

المقتطف

مجلّة علميّة صناعيّة زراعيّة

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة
وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلّد الخامس والثلاثون

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXXV

Al-Muktataf Printing Office,

Cairo, Egypt.

فهرس المجلّد الخامس والثلاثين

تنبيه — الصفحتان ٧٤٩ و ٧٥٠ يجب ان تكونا بعد الصفحة ٧٥٢

تكرَّر نمر الصفحات ١٠٤١ — ١٠٤٨ مرتين

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الخامس والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧

الشفاء بالاستهواء

الاستهواء (الهيبنوتزم) او التنويم المغنطيسي امرٌ معروف شرحناهُ في المقتطف مراراً كثيرة وبينّا وجوه الصواب ووجوه الخطاء فيهِ وما يُعدُّ صحيحاً منهُ وما هو تدجيل محض او ممزوج من الصحة والدجل

ومن الامور الصحيحة في الاستهواء انهُ يشفي من بعض الامراض العصبية التي مصدرها الوهم او الخلل في وظائف الاعصاب كالهستيريا على انواعها . وقد اعتمد عليهِ الناس من قديم الزمان لهذه الغاية قبل ان ولد مسمر الذي ادَّعى اكتشافهُ في اوربا بالوف من السنين . وانهُ يؤَثر في العقل تأثيراً يدعو الى اصلاح الاخلاق او افسادها

والعلماء مختلفون في استعداد الناس للاستهواء فالدكتور شاركو ومن يذهب مذهبهُ يقولون ان الاستهواء خلل عصبي وقتيٌّ لا يخضع لهُ الاَّ المصابون بضعف عصبي او بخلل عصبي . والدكتور ليبول يقول ان الذين يستفيدون من الاستهواء اكثر من غيرهم هم الاقوياء العقول الاقوياء الارادة الذين ليس بهم ضعف عصبي

لكن الذين استخدموا الاستهواء في العلاج حتى الآن اقتصروا على استعمالهِ في معالجة المصابين بامراض عصبية او بخلل عصبي فقد ذكر الدكتور وود في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني الذي التأم سنة ١٩٠٧ ان ٨٨١ من المرضى المصابين بامراض عصبية عولجوا بالاستهواء فشفي ٧٤١ منهم شفاء تاماً و ٨٤ شفاء غير تام وبقي ٥٦ لم ينجع الاستهواء فيهم

وقال الدكتور كلاي شو في ذلك المجمع وهو رئيس قسم الامراض العصبية في مجمع الطب البريطاني ان الاطباء صاروا الآن يعترفون بالاستهواء كواسطة من وسائط العلاج ولم يكونوا يعترفون بهِ قبلاً كذلك

وقد كتب الدكتور ونسلو مقالة في هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلة لندن قال فيها « ان الدكتور برليون الذي مارس الاستهواء اربع عشرة سنة في مدرسة الاستهواء الفرنسوية وجد بالامتحان في الوف من الناس ان الاستهواء يفيد ثمانية اعشار الاولاد وان الاولاد الاصحاء اقبل لهُ من المرضى وانهُ هو وجد ان الاستهواء يفيد الاولاد المخطئين فيصيرون يستهوون انفسهم اذا كررت الاستهواء عليهم . اي انهُ اذا وجد ولد مخطئاً في آدابهِ يكذب او يسرق او يرتكب دنيئة اخرى استهواهُ وامرهُ بالامتناع عن تلك الدنيئة وكرر الاستهواء عليهِ مراراً وهو يأمرهُ كل مرة بالامتناع عن تلك الدنيئة فيمتنع عنها اخيراً ويصير عقلهُ يحكم على طبعهِ وينهاهُ عنها . قال « وقد جيء اليَّ بكثيرين من المصابين بآفة السكر او بآفة السرقة (الكلبتومانيا وهي نوع من الجنون يحمل صاحبهُ على السرقة ولو لم يكن محتاجاً الى ما يسرقهُ) فعالجتهم بالاستهواء فشفوا شفاء تامًّا . ومن ذلك اني أُتيت مرة بشاب متهم بالسرقة وهو من التلامذة الاذكياء المجتهدين ولم يكن يظهر عليهِ شيء يدل على ما اتُّهم بهِ . فحالهُ ومقام والديهِ جعلاني اتأنَّى في الامر حتى لا ارميهُ بهذه التهمة ما لم اجد ادلَّة قاطعة على ثبوتها عليهِ فتذاكرت مع والديهِ وابنت لهما اني عازم على استهوائهِ . ثم جعلت اتكلم مع الشاب واتودَّد اليهِ حتى وثق بي واخبرني انهُ يصاب احياناً بالصداع فعرضت عليهِ ان ازيل صداعهُ بلمس جبينهِ وطلبت منهُ ان يستسلم لارادتي حتى اتمكن من شفائهِ فنوَّمتهُ وازلت الصداع منهُ بالاستهواء ثم جعلت اسألهُ عن الاشياء المسروقة فاعترف لي اعترافًا تامًّا بكل ما فعل ودلني على المكان الذي اخفى فيهِ تلك الاشياء . فايقظتهُ من نومهِ وهو لا يدري شيئًا مما قالهُ لي واطلعت والديهِ على ما اخبرني بهِ فلم يكادا يصدقانني ولكنهما فتشا عن الاشياء المسروقة حيث قال انهُ اخفاها فوجداها . ثم شفي الشاب من هذا الداء ولم يعد يسرق شيئًا »

ومن رأي الدكتور ونسلو انهُ يمكن استعمال الاستهواء لنزع الاميال الفاسدة التي تغرس في الصغار وابدالها باميال صحيحة شريفة فيصير الاستهواء افضل مصلح لنوع الانسان لانهُ لم تبقَ شبهة في ان الذين يستعملونهُ حق استعمالهِ يستطيعون ان يغيروا بهِ اخلاق الصغار فينزعوا منهم الاخلاق السيئة ويغرسوا بدلاً منها الاخلاق الكريمة وذلك بالاستمرار عليهِ والتأني فيهِ كأنهم يجرّعون الطفل كل يوم جرعة صغيرة من علاج نافع . قال انهُ دوَّن اخبار مئة ولد من الذين عولجوا كذلك فوجد ان ٣٥ منهم شفوا بالاستهواء تمامًا من اخلاقهم السيئة و ٤٥ اصطلحت حالهم كثيراً و ١٢ لم يستفيدوا مطلقاً كأن هذا العلاج لم ينجع فيهم . ثم قال ان « عقل الولد الصغير اقبل للتأثر بالاستهواء من عقل البالغ فانهُ يتأثر بهِ حالاً واما عقل

البالغ فلا يتأثر الا اذا تكرَّر الاستهواء عليهِ مراراً ولي خبرة واسعة في اصلاح الاولاد الذين يميلون الى السرقة والكذب فيسرقون ثم يغطون ذنبهم بكذبهم فاني وجدت ان هؤلاء الاولاد يشفيهم الاستهواء من السرقة ومن الكذب ايضاً . ووجدت انهُ يشفي من الخوف والرعب فان كثيرين من الاولاد يرتعبون من وجودهم في الظلام وحدهم فيسهل شفاؤهم من ذلك بالاستهواء . والاستهواء يغرس الثقة في نفس الولد وبغيرها لا يتعلم العلوم ولا الفنون ولا اللغات . ويقوّي طبيعتهُ العقلية والادبية . تجد الاولاد احياناً عنيدين متعبين يتلفون كل شيء لا يطيعون امرًا ولا يصدقون بكلمة تقاصُّهم وتضربهم فلا يؤثر القصاص فيهم . واكثر هؤلاء من اولاد السكيرين والمجرمين . وتجدهم احياناً ضعاف الذاكرة لا ينتبهون الى شيء ولا يستطيعون ان يعكفوا على عمل نافع او درس مفيد او تراهم كسالى يبعدون عن كل ما يتعبهم ولا يميلون الى عمل نافع . ترى البطء في طبعهم والجبن في افعالهم لا يفيدهم انذار ولا قصاص لا وعد ولا وعيد فماذا نعمل بهؤلاء هل نيأس من اصلاحهم هل نتركهم يعيشون كسالى خاملين اواشراراً مجرمين او معتوهين اومجانين . اليس في دائرة العلم ما يصلح اخلاقهم جرّبوا الاستهواء فقد دلني الاختبار الطويل على انهُ يشفي كثيرين منهم اذا عالجهم بهِ من يحسن استعمالهُ فانهُ يوقظ قواهم العقلية وينبهها ويقوّي ذاكرتهم ويغرس الثقة في نفوسهم بدل الخوف والشك . ولا شبهة في انهُ يقلب الصغار من الكذب الى الصدق ويزيل العيوب التي تملكهم . وحبذا لو انشئت مستشفيات او اصلاحيات لهذه الغاية حيث يقوَّم سلوك الصغار ويعوَّدون احاسن العادات »

وقد اعتمدت بعض المحاكم الانكليزية على الدكتور ونسلو لكشف الجرائم باستهواء المجرمين وجعلهم يعترفون بجرائمهم واختارتهُ محاكم نيويورك لهذه الغاية وسمحت لهُ بدخول السجن الذي يسجن فيهِ كبار المجرمين واستهوائهم فرأى فيهِ فتاة متهمة بانها دست السم لامها حتى ماتت وورثت منها ثمانين الف ريال وكان الاعتقاد الشائع حينئذ ان الفتاة ارتكبت تلك الجناية حتماً . فوصل اليها واستهواها بعد تعب كثير لانها لم ترد ان تخضع ارادتها لارادتهِ اولاً ثم عرف منها اموراً اثبتت لهُ براءتها واخبر القضاة بها فثبتت صحتها وبراءة الفتاة مما اتهمت بهِ

ومن رأي هذا الدكتور انهُ اذا استخدم الناس الاستهواء حق استخدامهِ انتفعوا بهِ نفعاً كبيراً جسداً وعقلاً لانهُ يمكنهم بواسطتهِ نزع الميل الى ارتكاب الجرائم وازالة التحاسد والتكالب من بين الناس فتزول الحروب وتصير من آثار ازمنة التوحش ويسرع ارتقاء الانسان بدلاً من كونهِ بطيئاً يسير خطوة الى الامام وخطوة الى الوراء حسب احوال الزمان والمكان

توما باين

THOMAS PAINE

مات منذ مئة سنة رجل لولا فقرهُ ولولا مجاهرتهُ بمخالفة رجال الدين ورجال السياسة لرأيت تماثيلهُ الآن منصوبة في كثير من مدن انكلترا واميركا

وولد منذ مئة سنة رجل لو عاصر الاول واحتذ حذوهُ وافتقر مثلهُ لنسي اسمهُ لكنهُ اعتدل وتأنَّى ولم يذكر الدين ولا السياسة لا بمدح ولا بذم ورُزق من كبار العلماء من شدَّ ازرهُ . وكانت الحرية الشخصية التي نادى بها الاول واضطهد لاجلها قد رسخت اصولها في النفوس فلم يمت الثاني حتى مدحهُ وبجَّلهُ الذين هدم اساس عقائدهم واستبدادهم اكثر مما هدمها الاول واعترف بفضلهِ الذين ناصبوهُ العداوة

الرجل الاول توما باين الكاتب الانكليزي الحر صاحب كتاب حقوق الانسان وكتاب عصر العقل . ولد ببلاد الانكليز سنة ١٧٣٧ من بيت وضيع من طائفة الكويكر . ولما كان لهُ ٣٧ سنة من العمر ذهب الى اميركا وفي نيتهِ اهاجة سكانها الى طلب الاستقلال التام فانشأ لهم رسالة موضوعها البصيرة او الاحتكام الى العقل (Common sense) كان لها تأثير شديد في نفوسهم على ما شهد بهِ وشنطون الشهير . فان زعماء الشعب الاميركي كانوا قد يئسوا من النجاح وكادوا يعدلون عن مطالبهم فلما انتشرت بينهم هذه الرسالة واطَّلعوا على ما فيها من الحجج والادلة اشتدَّت عزائمهم ونهضوا نهضةً واحدة . ولما أُنشئت الحرب انتظم في سلك الجندية كاحد الجنود . ولكن الدوائر كانت تدور على الاميركيين في اول الامر فانشأ لهم رسالة ثانية سماها حد الفصل او فصل الخطاب (Crisis) انشأها على نور النار في ليالي الظلام وقال في فاتحتها "These are the times that try men's souls" « اي في الاهوال تعرف الرجال » فذهب قولهُ مثلاً وجعل الجنود يتمثلون بهِ وجعلوهُ شعاراً للحرب فحاربوا وفازوا ولباين اليد الطولى في فوزهم . فذكر الاميركيون لهُ هذه الفضل فايهم حينما فازوا باستقلالهم وجعلوهُ سكرتيراً للجنة التي كانت تدير الامور الخارجية

اما هو فرجع الى انكلترا وقال ان غرضهُ تفتيح عيون الشعب ليرى جنون رجال الحكومة وجهالهم فانشأ كتاباً في هذا الموضوع سماهُ حقوق الانسان The Rights of man ظهر الجزء الاول منهُ سنة ١٧٩١ فانتشر انتشاراً لا مثيل لهُ و بيع منهُ مليون وخمس مئة الف

نسخة قبلما انتبهت لهُ الحكومة · وهو من الكتب القوية الحجَّة النزيهة العبارة وهذا مما زاد اقبال الناس عليهِ وارتباك الحكومة في امرها تجاههُ حتى قال الوزير بت Pitt ان باين مصيب في ما يقول ولكن ما العمل فاني اذا عضدتهُ او تغاضيت عنهُ فلا مناص من ثورة دموية

فاتهم باين بخيانة وطنهِ وطُلب للمحاكمة لكنهُ خرج من بلاد الانكليز قبل ان القي القبض عليهِ لان بعض الفرنسويين كانوا قد انتخبوهُ عضواً عنهم في مجلس النواب الفرنسوي · وحكم على توما موير الذي نشر الكتاب بالنفي اربع عشرة سنة

واستصعب باين خدمة فرنسا في مجلس نوابها لانهُ لم يكن يعرف اللغة الفرنسوية جيداً · ولما حوكم الملك لويس السادس عشر طلب باين ان يكتفى بنفيهِ الى اميركا فاغتاظ منهُ روبسبير وحكم عليهِ بالقتل والقي في السجن سنة ١٧٩٤ لكنهُ نجا من القتل وكان قد ألَّف الجزء الاول من كتابهِ عصر العقل The Age of Reason فسلَّم نسخهُ لاحد اصدقائهِ وهو ذاهب الى السجن فنشرهُ · والكتاب ضد الديانة المسيحية وضد التعطيل معاً لكنهُ مؤيد لمذهب الموحدين فاغتاظ منهُ المسيحيون في اوربا واميركا وخذلهُ وشنطون محرر اميركا واكثر اصدقائهِ · واقام في سجن فرنسا احد عشر شهراً ثم أُخرج منهُ ورُدَّ الى مجلس النواب لكنهُ سئم الحكومة الفرنسوية فتركها وذهب الى اميركا في سفينة بعث بها اليهِ جفرصن رئيس الولايات المتحدة وتوفي في نيو يورك في ٨ يونيو سنة ١٨٠٩ فقيراً معوزاً ونقل بعضهم رفاتهُ الى بلاد الانكليز ولكن لا يعلم اين هو الآن

قالت جريدة التيمس من مقالة انشأتها حديثاً عن هذا الرجل انهُ «مضى الى اميركا غريباً لكنهُ فعل فعلاً جليلاً في استقلالها واحسن مساعدة الفرنسويين في ثورتهم · وكانت كتاباتهُ السياسية تخيف بمقدار ما تخيف جنود الجمهورية وكتاباتهُ الدينية استحقت ان يقوم لنقضها اعلم رجال الدين في عصرهِ · ولقد كان لثلاثة او اربعة من كتبهِ الحكم الفصل في الشؤون السياسية كأنها ثلاثة او اربعة من معارك الحروب الكبيرة الفاصلة

«كان جمهور الناس يجهل ما هي حقوق الانسان الى ان ظهر كتاب باين في هذا الموضوع · نعم ان الخاصة كانوا قد اطلعوا على فلسفة لوك وروسو لكن كان رجال الدين ورجال القضاء قد اقاموا سوراً حصيناً بينها وبين عقول الجمهور فلما ظهر كتاب باين ثغر هذا السور ثغرةً كبيرة تدفق الماء منها فغمر البلاد كلها وعرف الجميع ان كل الناس احرار طبعاً ومتساوون ومستقلون ولا يمكن ان يخرج احد من ملكهِ او يخضع لسلطة غيرهِ الاَّ برضاهُ فلما قرأ الناس هذا الكتاب اندهشوا وقال اهالي لندن انهم لم يقرأوا شيئاً مثلهُ

«« وما فعلهُ باين في السياسة فعلهُ في الديانة اي التعاليم الدينية فان اعداء الديانة كانوا يحاربونها خفية بالاستعارات والكنايات وهم يتملقون رجالها لكي لا يتهموا بالكفر ولذلك لم يكن رجال الدين يخشون بأسهم. اما باين فجرَّد قلمهُ وتكنى واثار حرباً شعواء في رائعة النهار ولم يبقِ للصلح مكاناً وساعدهُ على قصدهِ انسجام عبارتهِ وبلاغة انشائهِ وشعور القارئ ان الكاتب يكتب ما يعتقدهُ ويقصد اقناع قارئيهِ بهِ مع انهُ كان قليل المعارف غير متضلع من العلوم

وبالجملة كان لباين اليد الطولى في أكبر ثورتين سياسيتين وفي ثورة دينية لا تقلُّ عنهما شأناً ومَن يقرأ كتبهُ الآن لا يجد فيها التحامل الذي وجدهُ معاصروهُ »»

والرجل الثاني دارون الواسع العلم الوَاسع الخبرة وقد اثار اعظم حرب علمية ودينية وادبية وهو يساعد القسوس وينفق على المبشرين لا نفاقاً بل اعتقاداً منهُ انهم يعملون اجلَّ عمل في ترقية نوع الانسان. وسيرتهُ واعمالهُ تقتضي مقالاً طويلاً فنرجئها الى الجزء التالي

اصلاح نسل الانسان

كان للمقالة التي نشرناها في الجزء الاخير من المقتطف وموضوعها « نيتشه وابن الانسان » وقع حسن لدى جمهور العلماء والادباء كما قال لنا بعضهم لان مسألة اصلاح النسل من اهم المسائل التي اهملها الانسان وكان الواجب عليهِ ان يقدمها على كل مسألة سواها. ويظهر لنا من مطالعة الصحف الاوربية ان الجزء الاول الذي صدر من مجلة « اصلاح النسل » (المجلة اليوجينية) وقع احسن وقع لما تضمنهُ من المباحث الجليلة المفيدة. فقد كتب صديقنا المستر فرنسيس غلتن محرر هذه المجلة يقول ان مدارها واسع مختلف المواضيع ومباحثها تشمل اولاً علم البيولوجيا من حيث علاقتهُ بالوراثة والانتخاب. وثانياً علم الانثروبولوجيا من حيث ايضاحهُ مسائل طوائف الناس وسنن الزواج. وثالثاً علم السياسة بمعناها القديم المطلق من حيث حقوق الوالدين المدنية. ورابعاً علم الاخلاق من حيث تقوية الملكات الآيلة الى اصلاح الهيئة الاجتماعية. وخامساً المواضيع الدينية التي تقوي وتطهر الاميال اللازمة لاصلاح النسل

فللوراثة شأن كبير لا ينكر ولكن الاحوال التي تحيط بالوالدين تؤثر في الاميال التي تكون كامنة في النسل وقت الولادة وتتنوَّع بتنوُّع الاحوال بعد الولادة ولذلك تشير هذه المجلة بكل اصلاح اجتماعي من شأنهِ تقوية الاميال الآيلة الى نفع المجتمع الانساني وكبح الاميال التي تضرُّ بهِ. وتعضد الرأي العام القائل ان العقل السليم يكون في الجسم

السليم من غير ان تهمل ما يلزم لتقوية القسم الروحي من طبيعة الانسان لان اهميته لا تقل عن اهمية القسم المادي . وتبذل اقصى الجهد في اقناع الناس من كل الطبقات بفضل الزواج وولادة الاولاد ولزومهما لارتقاء الامة

وقال في منع موت الاطفال ان السبيل الى هذا المنع يقوم بتغذية الاطفال التغذية الكافية الصالحة وهذا موضوع يجهله الاكثرون فمجال القول فيه متسع ويجب ايضاحه بكل واسطة ممكنة . ولقد قال احد اعضاء جمعيتنا انه يجب ان نبث مبدأ اصلاح النسل في ضمير العمران كأنه دين جديد — دين سام صارم لانه يستلزم العفة التامة والتمسك بعرى الفضائل — دين يرمي الى غرض من اشرف الاغراض وهذا الغرض مداره ارضي ولكن غايته سموية وطوبى للامة التي تجري وراءه وتدركه

وحالما تصير ام الارض تتبارى في اصلاح النسل لا في اعداد الجيوش والاساطيل تصير تضن بفلذات اكبادها وازهار صباها على الحروب وويلاتها . ثم ان عددها لا يعود يتجاوز حدود بلادها حتى تطمع بامتلاك بلاد غيرها وتتخاصم وتتلاحم لكي تغتصب ربوعاً ليست لها . فاصلاح النسل يأتي ببركة جديدة على نوع الانسان لانه يكون رائد السلم في العالم

وكتب الدكتور انج استاذ اللاهوت في جامعة كمبردج مقالة قال فيها « ان غرض كل الفضائل الاجتماعية خير نوع الانسان . وعلم اصلاح النسل يرمي الى هذا الغرض لا الى غيره ولذلك فالفضائل الاجتماعية وعلم اصلاح النسل متحدة معاً ولا يمكن الفصل بينها . لانها كلها ترمي الى غرض واحد وهو اصلاح الانسان . فان العالم البيولوجي (اي العالم بعلم طبائع الحيوان) والعالم الاخلاقي (اي العالم بالفلسفة الادبية التي تعلم وجوب الجري على قوانين الآداب والفضائل النفسية) يقولان ان ارتقاء البلدان لا يقاس بمقدار صادراتها ووارداتها ولا بمقدار ثروتها وقوتها الحربية والبحرية ولا بانتشار العلوم فيها ولا بحرية اهلها السياسية بل بنوع الرجال والنساء الذين تربيهم . فان الارتقاء في عرف العالم البيولوجي والعالم الاخلاقي هو صلاح الناس انفسهم لا صلاح الاحوال التي هم فيها . وكلاهما متفق مع هربرت سبنسر على انه لا يمكن انتاج السلوك الذهبي من الغرائز الرصاصية . فاذا كان الناس منحطين فالامة التي تتألف منهم منحطة ولا يمكن للوسائل السياسية ان تكون امة مرتقية من اناس منحطين

« ولا جدال في ان الغرض الذي يتوخاه علم الاجتماع وعلم اصلاح النسل هو ان يبلغ سكان الارض في عددهم ما تحتمله الارض من السكان ما دامت صالحة لسكن الانسان وان هؤلاء السكان يبلغون الغاية التي خلق لاجلها الانسان . ولا يجوز لنا ان نضحي الحاضر لاجل المستقبل

ولا ان نضحي المستقبل لاجل الحاضر فان من يولد بعد عشرة آلاف سنة لا يحق له ان ينال من اهتمامنا اكثر ممن يولد اليوم ولا اقل منه . وغرضنا نوع الانسان كله في حاضره ومستقبله

والآن لا يفرض على كل احد ان يتزوج ويخلف نسلاً ولو كان من الذين يشير المستر غلتن بزواجهم لاخلاف النسل بل هم احرار من هذا القبيل ولو ارادوا الترهب ولكن هذا لا يمنعنا من ان نقول لمن كانت بنيته الجسدية والعقلية على ما يرام تزوج واخلف نسلاً لان ذلك مطلوب منك لامتك وبلادك . وليس من اغراض جمعيتنا ان تشير بشيء يضاد قوانين الآداب والطهارة العائلية كلاً ولا نحن ممن يشير بشيء مناقض للحرية الشخصية وغاية ما في الامر اننا نشير وننصح بما فيه النفع للانسان ونسله . ولكن يحق لنا ان نطالب كل انسان غير صالح بما يضحيه لاجله الصلاح »

وقد انتقد البعض على جمعية اصلاح النسل ان غرضها مادي محض فكتب المستر كراكنثرب ينفي ذلك وقال على سبيل الاستفهام الانكاري « هل يعد مادياً من يقنع الناس من كل الطبقات بما للوالدين وما عليهم . هل يعد مادياً من يقول ان الزواج الجاري الآن لا ينتج دائماً نسلاً صالحاً . هل يعد مادياً من يقول انه يجب على بعض الناس في بعض الاحوال ان يقتصروا على القليل من الاولاد . هل يعد مادياً من يرسخ في العقول ان الاعتناء بالاطفال بعد ولادتهم وقبلها من المسائل التي يجب ان تهتم بها الحكومة اذا قصر الشعب عن الاهتمام بها . هل يعد مادياً من يقنع الناس بان مستقبل العالم امجد مما يحسبون ويجعلهم يتوقون الى ذلك المستقبل المجيد ويسعون الى تحقيقه بكل جهدهم »

هذا ومما لا مشاحة فيه ان الناس يعتنون بمزروعاتهم ومواشيهم اكثر مما يعتنون بنسلهم فينتقون البذار (التقاوي) من اجود الانواع لكي تجود الزراعة ويعتنون بخدمتها اكثر مما يعتنون باولادهم وهذا شأنهم في الاعتناء بمواشيهم وخدمتها . والحكومة تهتم بالمزروعات والمواشي اكثر مما تهتم بالسكان . ولا يحق لاحد ان يقيد حرية الناس فيقول هذا يجب ان يتزوج ويخلف نسلاً وهذا يجب ان لا يتزوج ولا يخلف نسلاً كما نقول عن البزور والمواشي ولكن يحق لنا ان نقول لكل احد ان تربية الاولاد على هذه الصورة تقويهم وتصلحهم وتربيتهم على تلك الصورة تضعفهم وتفسدهم . ويحق لنا ايضاً ان نقول للسقيم والمعتوه انك ان تزوجت واخلفت نسلاً اكثرت السقماء والمعتوهين في الامة وان نقول للحكومة انك ان لم تهتمي بتربية ابناء امتك جسداً وعقلاً ضعفت وانحطت من مصاف الامم الراقية . لان هذه الامور من الحقائق العلمية المثبتة وكل من يعلمها مطالب باذاعتها

المذنبات

— خطبة تليت في حلقة الادباء ببيروت في ٢٧ مايو سنة ١٩٠٩

ما هو المذنب ؟ سؤَالٌ تسمعهُ كلما ظهر ذلك المنظر الغريب في السماء ولكن الجواب عليهِ بقي غامضاً حتى السنوات الاخيرة . وقصدي الآن ان اذكر احدث الآراء في ماهية المذنبات وتعليل مظاهرها المتباينة وتطبيقها على قوانين العلم المسلَّم بها

وظهور المذنبات العظيمة من القدر الاول قليل جدًّا ففي القرن التاسع عشر ظهر اربعة منها الاول سنة ١٨١١ وكان لونهُ ضارباً الى الصفرة والثاني سنة ١٨٤٣ ومدة رؤْيتهِ كانت قصيرة لقربهِ من الشمس ولكنهُ كان يرى في وسط النهار . والثالث مذنب دوناتي ظهر في خريف سنة ١٨٥٨ وكان يرى بعد غروب الشمس بقليل واستمر ظهورهُ اكثر من ثلاثة اشهر . والرابع سنة ١٨٨٢ كان يرى باكراً في الصباح ذا ذنب طويل وشديد اللمعان وحينما اجتاز اقرب نقطة من الشمس صار يظهر جليًّا في رائعة النهار

اما المذنبات من الدرجة الثانية فهي اكثر عدداً ويزداد عددها كلما قل قدر لمعانها او نورها . ويؤْخذ من الاحصاءَات التي نشرت حديثًا انهُ يزورنا من المذنبات التي يمكن رؤْيتها بالعين المجردة واحد كل سنة او سنتين اما التي لا ترى الاَّ بالتلسكوب فيزورنا منها خمسة او ستة سنويًّا ولست اغالي اذا قلت ان فلكنا لا يكاد يخلو من مذنب يرى بالتلسكوب من القسم الذي يناسبهُ من ارضنا

وتقسم المذنبات باعتبار ظهورها الى دورية وغير دورية ومعدل ما يرى من الاولى اثنان او ثلاثة سنويًّا ومن الثانية ثلاثة او اربعة ولكنها لا تتوزع بالتساوي على مدار السنة ففي سنة ١٨٩٨ بان خمسة في خلال اثني عشر يوماً ثم بانت خمسة اخرى في تلك السنة . اما افلاكها فتكون اهليلجية الاَّ القليل منها وبعض المذنبات الدورية تقتضي سبعين الى ثمانين سنة لتتم دورتها ولكن القسم الاكبر منها يتم دورتهُ في اقل من ذلك . واقصر المدات المعروفة حتى الآن ثلاث سنوات وثلث لمذنب إنكي . وبما ان المذنبات يشبه بعضها بعضاً وبما ان المذنب الواحد تختلف رؤْيتهُ كلما ظهر فلا شيءَ يميزها ويفرقها سوى افلاكها ومعرفة هذه ليست بالأمر السهل ناهيك ان هذه الافلاك معرضةٌ دائماً للتغير فغير الدورية تتحول الى دورية والدورية الى غير دورية ومداتها تزيد او تنقص بحسب الاحوال فمذنب سنة ١٨٥٨

لا يرى الاَّ بعد مضي الفي سنة واكثر. ومدة دورة مذنب ١٨١١ تبلغ ٣٠٦٥ سنة . اما السبب الاكبر في تحول الغير الدورية الى دورية فجذب المشتري لها لانهُ اذا اتفق ان كان المذنب سابقاً لهُ يجذبهُ الى الوراء ويعيقهُ عن السير ويقصر مدار فلكهِ وقبل مضي بضعة اسابيع يحول مدة دورتهِ من الفي سنة مثلاً الى ست سنوات . ففي نظامنا الشمسي الآن ثلاثة وثلاثون مذنباً دورياً وخمسة وعشرون منها تستغرق دورتها من خمس سنوات الى تسع سنوات واكثرها تحولت الى النوع الدوري بجذب المشتري . وبعد ان يقع المذنب تحت جذب المشتري يصير عرضة لان يلتقي بهِ ثانية فيردهُ الى الحالة التي كان عليها قبلاً ما لم يمر بهِ اي بالمذنب سيارٌ آخر كارضنا او كالزهرة فيحرف فلكهُ قليلاً ويتركهُ سائراً في فلكهِ بعيداً من الوقوع تحت جذب المشتري الذي يردهُ الى الفضاء الشاسع . اما اذا كان المشتري سابقاً وقت الاقتراب فتكون نتيجة الجذب ان سرعة المذنب تزيد الى درجة عظيمة فيمر بالشمس ويتخطاها الى الفضاء اللانهاية لهُ

والذي نعلمهُ من الارصاد الفلكية والابحاث الرياضية ان المذنبات الاربع مئة والخمسين التي عرف نوع حركتها وعرفت صفاتها بالتدقيق تابعة للنظام الشمسي وهي جزءٌ منهُ كالسيارات

ما هو المذنب

ساد على عقول البشر قديماً واستمر الى عهد غير بعيد ان المذنب ليس الاَّ بخاراً منيراً في الجو وظهورهُ ينبئُ بوفود الاوبئة ووقوع الحروب وموت الملوك وغير ذلك من الويلات والنكبات التي يصاب بها البشر واول من بيَّن انها توجد في الفضاء خارج الجو الذي يحيط كرتنا تيخو براخي ثم قام اسحق نيوتن واظهر انها خاضعة لقوانين الجاذبية كغيرها من الاجرام السموية . وفي اواسط القرن الماضي برهن العالمان نيوتون وشياپارلي وغيرهما ان النيازك او الشهب مسببة عن وجود اجرام صغيرة تدور حول الشمس في افلاك اهليلجية وفي كل فلك من تلك الافلاك يسير مذنب وفي بعضها مذنبان او اكثر وثبت ايضاً ان احد تلك المذنبات او كلها يضعف نورها ثم تختفي عن العيان وعليهِ تكون اجرام النيازك اجزاء رأس المذنب التي تفرقت او تباعدت او بقاياهُ لوقوعها ضمن دائرة جذب الارض . وبسبب احتكاكها في الهواء تحمى الى درجة الانارة فتظهر لامعة ومنيرة والناظر يرى انها تترك وراءها خطاً لامعاً يدوم احياناً عدة دقائق وذلك يدل على انها مشبعة ببعض الغازات التي تفلت بسبب الحرارة . وبما ان اللمعان المذكور يدوم في بعض الاحيان اكثر من ساعة فذلك ينفي ان يكون ناتجاً عن الحرارة المسببة عن الاحتكاك اذ في جو رقيق ولطيف تضمحل الحرارة

في بضع ثوانٍ لسهولة اشعاعها ولكنهُ ناتج عن المجاري الكهربائية كما يحدث في الانابيب المفرغة من الهواء . اما صورة رأس المذنب السپكتروسكية فكناية عن عدد من الخطوط العريضة اللامعة المختلفة الكثافة وذلك يدل « اولاً » ان نور المذنب ذاتي وليس نتيجة الانعكاس فقط كما هي الحال في السيارات « ثانياً » ان المادة المنيرة في الحالة الغازية ولبعدهِ الشاسع يستحيل ان يكون ذلك الغاز محمياً الى درجة الانارة بحرارة الشمس وعليهِ يكون نورهُ مسبباً عن المجاري الكهربائية

ومما ذكر يرجح الفريق الاكبر من الفلكيين ان المذنب مجموع اجرام نيزكية يحيط بها و يتخللها جوٌّ غازي يجعلها منيرة ومنظورة بسبب المجاري الكهربائية فاذا افلت ذلك الجو و بطلت المجاري الكهربائية فقد المذنب انارتهُ فيختفي ويتحول الى مجموع اجرام نيزكية دائرة في فلكهِ . وقد ظهر ان طيف بعض المذنبات متصل وهو دليل على انعكاس نور الشمس عن الاجرام النيزكية . اما حجم هذه الاجرام فيختلف من القطع الصغيرة ذات الوزن الخفيف الى ما يبلغ ثقلهُ عشرات القناطير وثبت ايضاً ان نواة بعض المذنبات جسم جامد ولكن كتلتها صغيرة حتى انهُ لا يشعر بتأثيرها على جرم آخر من اجرام النظام الشمسي ... واغرب اقسام المذنب ذنبهُ الذي يظهر انهُ ليس خاضعاً لقوانين الجاذبية فعوضاً عن ان يكون متجهاً نحو الشمس لجذبها لهُ وتابعاً المذنب في سيرهِ تراهُ مدفوعاً الى الجهة الثانية بسرعة عظيمة فيتبع المذنب حين يكون سائراً نحو الشمس و يتقدمهُ حين يكون آخذاً بالابتعاد عنها . اما مادتهُ فدقيقة ولطيفة الى الغاية لان بعض النجوم التي يختفي نورها في جو كرتنا وتغيب اذا بلغت علو عشرة اميال فوق سطح البحر ترى باجلى بيان وراء ذنب المذنبات ولو كان ثخنهُ عشرة ملايين ميل . وقد ظهر من البحث السپكتروسكي ان الذنب في الحالة الغازية . اما سبب عدم انطباقهِ على قوانين الجاذبية فبسيط وهو ان الجاذبية تكون بالنسبة الى مقدار المادة لا الى حجمها اي بالنسبة الى مكعب قطر الجسم بين ان القوة الدافعة كهربائية كانت ام غيرها فبالنسبة لسطحهِ اي لمربع قطرهِ فاذا كانت الاجسام كبيرة تكون الجاذبية عظيمة وقوة الدفع اقل منها بكثير ولكن كلما صغر الجسم ضعفت الجاذبية وتعاظمت قوة الدفع حتى تصبح بعض الاحيان اشد من الجاذبية بمرات عديدة فيظهر فعلها و يفقد تأثير تلك

و بمبدإ الآراء الحديثة في الكهربائية ان الشمس جرم كهربائيتهُ سلبية ومن سطحها يندفع الى الفضاء دائماً عدد لا يحصى من الاجسام الصغيرة بسرعة معدلها ١٠٠٠٠٠ ميل في الثانية وهذه الاجسام او اللاكترونات اصغر حجماً من الجواهر الفردة ومنها يتألف ما كان

يدعى سابقًا الكهربائية السلبية فاذا اصطدمت برأس المذنب لصقت بدقائق الغازات المحيطة بهِ وكهربتها سلبيًا فيدفع قسم منها الى الخارج بقوة دفع الدقائق الباقية وبالاخص بقوة دفع الشمس ولذلك تكون دائمًا وابداً مبتعدة عنها في الجهة المقابلة لها

ولرب معترض يقول اذا كان ذلك صحيحًا وارضنا تابعة للشمس ومحاطة بجو من الغازات فلماذا لا يصيبها ما يصيب المذنب ويكون لها ذنب كذنبهِ . فالجواب على ذلك ان لها ذنبًا او مظهراً من مظاهرهِ يشاهد احيانًا قرب القطبين ويعرف بالاورورا طولهُ يبلغ ست مئة ميل ولا يتجاوز ذلك لان كتلة الارض عظيمة جدًّا بالنسبة لراس المذنب او الاجسام التي يتكون منها فتجذب تلك الدقائق ولا يفلت الاَّ القليل من جوها ولولا ذلك لتكون لها ذنب طويل جدًّا

وهنا يجب ان اذكر رايًا آخر قدمهُ الاستاذ ارهينيس "Arrhoneius" [1] بناءً على بعض خصائص النور التي اثبتها العالم مكسول بابحاثهِ الرياضية وهو ان النور يسبب في الاجسام التي يقع عليها قوة دافعة ومعلوم ان الاجسام التي تكون رأس المذنب في حركة مستمرة وحولها كثير من الغبار الدقيق المسبب عن الاحتكاك فلا غروَ اذا كان قسم من المذنب مكونًا من دقائق الغبار التي اندفعت بقوة النور الدافعة ولكن هذه القوة تزيد عن قوة الجاذبية ويظهر تأثيرها اذا كان قطر دقائق الغبار ضمن دائرة معينة وهاتهِ الحدود تختلف بالنسبة لثقل المادة النوعي ففي الاجسام التي كثافتها ككثافة الماء تكون $\frac{١}{٢٥٠٠٠}$ الى $\frac{١}{٣٥٠٠٠٠}$ من البوصة ومهما تكن الكثافة فالقوة الدافعة يبطل عملها اذا كان القطر يساوي طول موجة النور وعليهِ لا تأثير لها على الاجسام في حالتها الغازية . وقد ابان البحث السبكتروسكبي الدقيق ان الذنب غاز واذا صحَّ القياس جاز القول ان ذنب المذنب مسبب عن الدفع الكهربائي فهو كناية عن مجرى من دقائق الغاز التي تبتعد عن الرأس لسبب الدفع الكهربائي وكهربائية الدقائق سلبية . ولربما صحب دقائق الغاز المذكورة ذرات الغبار المتوفرة فيها الشروط التي ذكرتها سابقًا ولكنها تقصر كثيراً عن البلوغ الى آخر الذنب

وشكل الذنب وحجمهُ يمكناننا من معرفة مقدار قوة الدفع الكهربائي وقياسها لانهُ يظهر في الصور الفوتوغرافية حسب الطرق الحديثة اجسام صغيرة منيرة على ابعاد مختلفة من الرأس . وعليهِ اذا أُخذت صور متعددة في اوقات مختلفة ودرست ماهية تلك الاجسام واختلاف

(١) انظر تفصيل هذا الراي في المجلد السابع والعشرين من المقتطف والجزء الرابع الصادر في ابريل سنة ١٩٠٢

مواقعها امكن قياس قوة الدفع . ففي مذنب سنة ١٨٩٢ واسمهُ مذنب سوفت "Swift" كانت ٥ ,٣٩ قدر قوة الجذب وفي مذنب سنة ١٨٩٣ ستة وثلاثين مرة فقط

وبما ان دقائق الغاز التي تكوّن الذنب تبعد عن الراس بقوة الدفع الكهربائي فلن تعود اليهِ بل تفلت الى الفضاء وبما ان درجة نور المذنب تتوقف على لمعان تلك الدقائق فبفقدها يقل نورهُ كلما عاد فقرب من الشمس وزد على ذلك ان قوة التجاذب بين الاجسام التي يتألف منها الراس ضعيفة جدًّا ويزيد ضعفها تكهربًا بالكهربائية الايجابية ولذلك تأخذ بالابتعاد بعضها عن بعض فلا يمضي عليها زمان طويل قبل ان تتفرق وتتوزع في فلك المذنب. هذا ما يطرأُ على كل مذنب حتى يلاشيهُ ويحولهُ الى اجسام صغيرة تدور في الفلك السابق ولكن الانحلال والتفريق يحدثان سريعًا في المذنبات التي يقتضي لها وقت قصير لدورتها او اذا كانت تمر قريبًا من الشمس والتقارير الفلكية تثبت ان بعض المذنبات تلاشى بالطريقة التي ذكرتها سابقًا واشهرها مذنب "Biela" الذي كان يرى جليًّا بالعين المجردة ولكن بعد حين انقسم الى مذنبين واخيرًا تعذرت رويتهُ حتى باعظم التلسكوبات والدليل الوحيد على وجودهِ شعورنا بما يمرُّ في جونا من الشهب حينما تمر ارضنا في فلكهِ وذلك مرة كل ست سنوات او سبع

ولنتقدم الآن الى البحث في ماهية المذنبات من الوجهة الكيماوية :— ان القليل من المذنبات يمرُّ قريبًا من الشمس فلا يتحول الى غاز من كل المواد التي يتركب منها الاَّ ما اقتضى حرارة خفيفة وبما ان الكثافة والجذب قليلان فالغازات الخفيفة كالهيدروجين والهليوم تفلت ولا يبقى الاَّ الثقيلة كمركبات الهيدروجين والكربون اما اذا مرَّ المذنب بالقرب من الشمس . تعرض لحرارة شديدة فيتحوَّل الى غاز ما فيهِ من المواد التي درجة تحويلها اقل من الدرجة التي تعرض لها . ففي سنة ١٨٨٢ اقترب مذنب ولسن من الشمس حتى صار البعد بينهما اقل من ٥٠٠٠٠٠ ميل فتعرَّض لحرارة عظيمة وظهر خط معدن الصوديوم في طيفهِ وحدث امر غريب جدًّا اثبت ان انارة الذنب مسببة عن المجاري الكهربائية وذلك ان طيف المذنب المذكور كان وهو بعيد عن الشمس مؤلفًا من الخطوط المختصة بالهيدروكربون ولكن بعد اقترابهِ وظهور خطوط الصوديوم اختفت خطوط الهيدروكربون ولم يبقَ لها من اثر. وتعليل ذلك ان المجاري الكهربائية كانت تنتقل بواسطة غاز مركبات الهيدروكربون ولكن حين وجد غاز معدن الصوديوم وهو موصل جيد انتقلت بواسطتهِ وتركت ما سواهُ ولو كانت الانارة ناتجة عن حرارة الشمس فقط ولا دخل للكهربائية لكانت ظهرت خطوط الصوديوم وبقيت الخطوط الاخرى من غير ان تختفي . وثالث المذنبات التي ظهرت سنة ١٨٨٢ اقترب حتى صار على ٣٠٠٠٠٠

ميلٍ من سطح الشمس فتعرض لحرارة شديدة حولت الحديد الى غاز فكانت خطوطهُ ظاهرة جليًّا في الطيف وبان معها خطوط الصوديوم ٠ ولكن بعد ان ابتعد اخذت الغازات تبرد وتتقلص وحينما عادت الى حالتها الاولى اختفت خطوطها من الطيف وعندئذٍ ظهرت خطوط الهيدروكربون

ويليق بي في هذا المقام ان اتطرق الى السؤال الآتي وهو الا تصطدم ارضنا باحد المذنبات وماذا تكون النتيجة ؟

مرت الارض في ذنب مذنبٍ سنة ١٨١٩ وسنة ١٨٦١ دون ان يشعر احد بذلك ولم يعلم الامر الاَّ من الحسابات الرياضية بعد وقوعهِ ٠ وقد اصطدمت الارض ببقايا المذنبات « اي بحجارة الشهب والنيازك » دون ان تتأثر بشيء ففي سنة ١٨٣٣ كثر تساقط النيازك حتى خيل ان السماء كانت تمطرها كالمطر وكان الناظر يرى مئات والوفًا منها دفعة واحدة وبعضها كان يفوق الزهرة لمعانًا ويترك اثراً نارياً طويلاً جدًّا ولم يصل ارضنا واحد منها لانها كانت تسير في عكس جهة مسير ارضنا فاصبحت سرعتها وهي مارة في الجو عظيمة جدًّا ولذلك كانت تضمحل وتتلاشى في الهواء قبل ان تصل الى ارضنا ٠ واما اذا اصطدمت الارض بنواة احد المذنبات العظيمة التي من الدرجة الاولى كمذنب سنة ١٨٥٨ وكانت السرعة على اشدها فانها تحترق كما يعلم ذلك دارسو الفلسفة الطبيعية ولكن هذا بعيد الوقوع جدًّا وهو مثل ان رجلاً معصوب العينين يطلق بندقيتهُ في الفضاء ليصطاد طائراً لا علم لهُ بوجودهِ ولا بمرورهِ فيصيبهُ

ولسبب الجذب ربما سقط احد المذنبات على الشمس فتكون النتيجة ارتفاع الحرارة وحدوث اضطرابات مغناطيسية قوية وهذا جل ما نقدر ان نشعر بهِ

كثيراً ما يُسأَل الفلكيون عما اذا كانوا يتوقعون ظهور مذنب لامع وجوابهم يكون سلبيًّا في الغالب لان المذنبات الكبيرة اللامعة غير دورية ما عدا مذنب هالي "Halley" الذي يتم دورتهُ في ست وسبعين سنة وينتظر ظهورهُ سنة ١٩١٠ وقد ذكر ظهورهُ اول مرة سنة ١١ قبل الميلاد ٠ وفي سنة ١٦٨٢ رصدهُ الفلكي ادمون هالي وحسب فلكهُ والمدة التي يدور فيها دورتهُ وابان انهُ هو المذنب الذي ظهر سنة ١٥٣١ وسنة ١٦٠٧ وانبأَ بانهُ يعود فيظهر سنة ١٧٥٨ وتم ذلك فكان اول من حسب عودة المذنبات وانبأَ باوقات ظهورها

منصور حنا جرداق

النور والدماغ

انا نشاهد المرئيات بواسطة النور فنعلم من ذلك انها موجودة في الخارج وان اشكالها والوانها كذا وكذا . نعم ان النور ينعكس من المرئي الى اعيننا فيحرك عصب البصر وتنتقل حركته الى دماغنا فيصور له فيه صورة فنقول هو الشيء الخارجي والحق ان ما نحس به كذلك هو صورة الشيء الخارجي في الذهن لا نفس الشيء الخارجي

وقد اختلفت الحكماء هل هذه الصور مطابقة تماماً للاشياء الخارجية بمعنى ان الاشياء الخارجية هي مثل هذه الصور التي تحصل في دماغنا من انعكاس النور عنها ام مخالفة لها قد تعود العقل ان يقول بمطابقتها لها لانها حصلت عن تأثير النور الذي ورد منها اليهِ

والحق ان الاشياء الخارجية ليست لها صور في الخارج تنطبق على الصور التي ترسمها اذهاننا بل ليس في الوجود الا هذه الصور التي تنشأ في دماغنا واذ كان سببها ذلك المرئي الموجود في الخارج قلنا انها هي الصور الخارجية

انا لا نحس من المادة الا بقواها فنرى من الجسم لونهُ واللون نور والنور قوة ونسمع صوت الجسم والصوت حركة والحركة قوة . ونلمس الجسم فنحس بالحرارة والبرودة والخشونة والنعومة وكل ذلك ناشئ عن اختلاف القوة . ونرفع بايدينا جسماً فنحس بالثقل والثقل اثر الجاذبية وهي قوة . ونمد اصبعنا مثلاً الى جسم فيمانعها الجسم وذلك اثر الدافعة وهي قوة . ونذوق طعم الشيء فنحس بالحلاوة او المرارة او الحموضة وغيرها وكل ذلك اهتزاز في عصب الذوق تصدرهُ قوى المذوق فينتقل الى الدماغ . ونشم الروائح فنحس بها وما ذلك الا اهتزاز في الاعصاب السطحية تنقلهُ الى مركز خاص من الدماغ يحس بهِ كسائر المراكز الحسية

والعجب ان الذي يحس بالقوى هو الدماغ في الانسان ومحلهُ الرأس منهُ ولكن اذا عبّر الانسان عن نفسهِ اشار الى وسط صدرهِ قائلاً انا ولم يشر الى رأسهِ . ولعل السبب لذلك هو ان صدر الانسان وسطهُ واليد تقرب منهُ اكثر من الرأس ويبعد هذا التعليل انهُ يشير الى صدرهِ من دون تروٍ في الامر ليتحرى الاقرب اليهِ

واذ ليس من قصدنا ان نعين في هذه المقالة موضع انانية الانسان نضرب عن هذا صفحاً ونعود الى البحث عن النور الذي يظهر اثرهُ في دماغ الانسان فنقول اما النور الذي يرد من المرئيات فقد تكلم عنهُ الكثير من الفلاسفة ووفوهُ حقهُ من التنقيب ولكن هنالك انوار

يحس بها الانسان بعد ان يقطع بالاغماض ارتباطهُ بالخارج او من غير ان يكون لهُ مصدر في الخارج البتة اظن ان فلاسفة العصر لم يوفوهُ حقهُ من البحث

من ذلك انك اذا نظرتَ من مكان قليل الضياء الى شباك مضيءٍ فيهِ قضبان من الحديد واطبقت عاجلاً عينك تصوَّر لك الشباك مع القضبان كما ترى الشيء في القمر. وربما رأيت منهُ ما لم تلتفت اليهِ قبل الاغماض وتبقى الصورة امامك ثابتة قدر عشرين ثانية او اكثر الى دقيقة. واذا حوَّلت رأسك وانت مغمض العينين كانت الصورة امام عينك كما كنت تشاهدها. وقد يتصور لك الشباك شباكين فيبقى امام عينك واضحاً ثم يضعف قليلاً قليلاً وترى مكانهُ بقعة بيضاء خالية من اثر الشباك شيء وتهبط البقعة شيئاً او تصعد الى ان تمحي بتمامها ويعقبها سواد بقدر المكان المضيء الذي كنت تراهُ وهو ايضاً ينزل او يصعد كما نزل الاول او صعد ويمحي اخيراً كالاول وكأن هذا السواد اثر ردّ الفعل

والسواد الذي تراهُ هو بعكس الضياء الذي كنت تشاهدهُ اولاً فان الضياء الاول فيهِ خطوط سود هي قضبان الحديد والسواد هذا فيهِ خطوط بيض هي بدل القضبان السود وحجمهُ بقدرهِ. واذا شرعت البقعة البيضاء تزول فهي تتحرك يمنة ويسرة وفوقاً وتحتاً الى ان تمحي وقد تمحي مكانها

ان البقعة السوداء التي تحصل عقب البقعة البيضاء لا يكون فيها خطوط بيض اذا لم يكن الشباك ذا قضبان من الحديد او غيرهُ واذا كان فان بياض هذه القضبان خفيف جدًّا ويتحول هذا البياض الاخير الى بقعة بيضاء تتحول اخيراً الى مثل الهباء الكثير المتحرك

واذا نظرت من محل مضيء الى شباك مظلم فالامر بعكس الاول وذلك انك بعد الاغماض ترى بقدر الشباك سواداً ثم يتحول الى بياض يتحول هباء ولكن البياض لا تحس بهِ الاَّ بامعان

ومن الانوار التي تشاهدها من دون ان يكون لها مصدر في الخارج نور تشعهُ العين نفسها قد لا يظهر للناظر اليهِ وقد يظهر كالنور الذي يرى لامعاً بعض الآونة في عين السنور وما شابههُ من الحيوان وقت ظلام الليل. واني لاعرف فتاة ماتت لانها دخلت في احدى الليالي بيتاً مظلماً خالياً وكان قد ربط فيهِ فرس وهي لا تدري فرأَت نورين متوجهين اليها هلع لها فؤادها ظنًّا منها ان ذلك جني يريد ان يخطف حياتها والنوران كانا ينبعثان من عيني الفرس فمرضت لذلك مرضاً ماتت بهِ بعد ايام قليلة

تقدر ان تستدل على النور الذي تشعهُ العين بضغط احدى عينيك من جهة اليمين فتحس بحلقة صغيرة من جهة الشمال او من جهة الشمال فترى الحلقة في اليمين او من فوق فتراها تحتاً

او من تحت فتراها فوقاً ترى ذلك سواء كنت في ظلام او في نهار مغمضاً عينك او فاتحاً لها ٠ واذا لطم الانسان في عينهِ قدحت عينهُ شرراً حتى شاهد النور باهراً جليًّا وكلما كانت اللطمة اشد كان النور المرئي اسطع

واذا اطلت النظر في الظلام وانت مغمض العينين رأيت ضياء ضئيلاً جدًّا جدًّا يتموج دائمًا امام عينيك كأنهُ سحاب مضيء مصدرهُ اطراف الحدقة فيما اظن وهذا النور متحرك يتغير فيزول منهُ قسم ويأتي مكانهُ قسم آخر وليس للارادة سلطة عليهِ وقد يتشكل باشكال بديعة والوان جميلة فلا يلبث حتى يتغير وقد تتجسم هذه الاشكال في صور رجال ونساء وحيوانات وابنية وحدائق غناء كما ترى الاشياء في الخارج وهي اشبه شيء بما يرى في الحلم بل اعتقد انها هي بعينها غير ان العقل في اليقظة يحكم بكذبها

وقد فحصت في ليالي الشتاء الطويلة هذه الانوار باطالة النظر اليها لاعرف ماهيتها فكنت اطفئ السراج واجر رأسي تحت اللحاف الهو بالوانها واتعرف اوصافها فعلمت بعد اختبارات طويلة ان هذه الصور المرئية مصدرها ذلك النور الخفيف الذي تشعهُ العين دائمًا ولكنها غير خاضعة للارادة الاَّ قليلاً فهي لا تظهر الاَّ في بعض الاوقات تارة واضحة وتارة غامضة والنور المنبث امامي مشكل لاقسامها ٠ وقد كنت استعمل ارادتي فاريد ان ارى ديكاً مثلاً امامي فيظهر الديك بصورة مشوشة والنور الذي تشعهُ العين بانٍ لبعض اعضائهِ التي كانت واضحة

وهنالك نور آخر هو اخفى من الاول ليس مصدرهُ العين بل مصدرهُ فيما ارى الدماغ نفسهُ هو مدار الافتكار والتذكر فاذا اراد الانسان ان يتذكر شيئًا كان شاهدهُ قبلاً رأى شكلهُ ولونهُ امام عينهِ غير واضح حتى لا يظن ان ما يراهُ لهُ لون وشكل ٠ وهذا خاضع للارادة فاذا اراد الانسان ان يفتكر في شيء او يتذكر شيئًا رأى صورتهُ على الكيفية المذكورة اذا كان ما يفتكر فيهِ من قبيل الصور واما اذا كان من قبيل الاصوات فليس للاضواء دخل فيهِ اذ الانسان قد يتذكر الصوت النفسي ويفكر في الكلام النفسي كما يتذكر الصور ويفكر فيها ٠ والظاهر ان الدماغ يهتز اهتزازات مختلفة حسبما اوصلتهُ اليهِ حواسهُ قبلاً فهو يعيد امثال ما احس بهِ والشيء بالشيء يذكر كأن الدماغ فونوغراف عام يكرر الاضواء والاصوات جميعًا

واذا اردتُ ان يتشخص امامي ما افتكر فيهِ او اتذكرهُ حصل ما اردتهُ بجهد وكانت الانوار التي تشعها العين هي المشكلة لها فيكون ما افتكر فيهِ او اتذكرهُ من نوع الاشكال التي تظهر للعين بسبب النور المنبعث عنها

وقد تقوى صورة الشيء الذي يتفكر فيهِ الانسان او يتذكرهُ حتى يتجسم امامهُ من دون

ان يكون النور الذي تشعهُ العين بانيًا لهُ كالحلم الذي يراهُ من عمي لعرض بعد ان كان بصيراً وهذا يحتاج الى السؤال ممن عمي بعد البصر

وقد تعبت كثيراً لكي اتصوَّر بالوضوح جسمًا ثقيلاً كقنبلة مثلاً معلقًا في الهواء فلم اتمكن بل كنت اراهُ دائمًا اما مسنداً الى جسم من تحت او معلقًا بخيط من فوق او هابطًا الى الارض مما يدلُّ على ان الانسان لا يستطيع ان يتصور شيئًا لم يرهُ قبلاً

وكلما امعنت وجدت ان الذي يفكر ويريد في الانسان هو خارج عن هذه الصور والاشكال يحاكم بينها ويتذكر بها اشياء كانت غائبة عن ذهنهِ فكأَن الذي يصوّر الالوان والاصوات من الدماغ قسم والذي يفكر فيها ويتذكر قسم آخر

الاستانة في ٩ مارس سنة ١٣٢٥ هـ جميل صدقي الزهاوي

تاريخ العلوم الرياضية

[من خطبة لحضرة الاستاذ حسن افندي صديق تلاها في نادي خريجي مدرسة الفنون والصنائع الخديوية قال بعد مقدمة مسهبة بيَّن فيها اقسام العلوم الرياضية ومواضيعها]

ايها السادة الافاضل

اسمحوا لي بعد تلك المقدمة بتمهيد لنتباحث فيهِ عن تاريخ الرياضيات عند الانسان بوجه عام اريد بذلك الانسان في اول نشأتهِ وفي طور تكونهِ وتكوُّن معارفهِ ومعلوماتهِ وذلك قبل ان نفصل الكلام عن هذه العلوم عند الامم المختلفة امة امة وعلمًا علمًا فاقول :

بديهي ان اشد العلوم مساسًا بحاجة الانسان اسبقها ظهوراً في عالم الوجود ولذلك كان علم الاعداد او علم الحساب هو اول علم اضطر الانسان بحكم الضرورة الى النظر فيهِ والتعمق في مباحثهِ ذلك لان هذا العلم لا يبحث الاَّ في المحسوسات فاتصالهُ يكون بالحس مباشرةً

وبيان ذلك ان الانسان كما تعلمون مكوَّن من عنصرين مختلفين عنصر مادي وهو الجسم وعنصر اثيري لطيف غير مادي وهو الروح . وكل ما يحيط بالانسان اما مدرك بالجسم أو بالروح فما كان مدركاً بالجسم المادي فقط يكون مصدرهُ من الجسم وهو المحسوس واما ما لا يدرك الاَّ بالروح فمصدرهُ العقل وهو المعقول

لا أقول بخروج علم الحساب عن المعقولات ولكني اقول ان الذي دعا الى تعلمهِ ودراستهِ

انما هو المحسوسات وأما المعقولات فدعا اليها حب التوسع في العلم

لهذا السبب الطبيعي قال علماء التربية بعقم الطريقة التي بها يتعلم الاطفال الحساب باعداد مبهمة لا مميز لها . وهي حقيقة قررها (اوجست كومت) في فلسفتهِ فقال اشك في أن الواحد والواحد يكونان اثنين ولكني لا اشك مطلقاً في أن تفاحة وتفاحة تفاحتان مثلاً

وهنا انتقل بحضراتكم الى مبحث جديد وهو ان ادوار حياة الانسان هي نفس الادوار التي تمر على الامم في حياتها وبالتالي هي نفس الادوار التي تنتاب الانسانية نفسها . وهنا تكفينا ملاحظة تكوُّن علم الاعداد عند الطفل لنعرف ادوار تكوُّنهِ عند الانسان

كيف تكونت معارف الانسان بعد هبوطهِ على الارض ؟ أحسَّ فرأى فنظر ففكَّر فاستنتج . كذلك الطفل ولد جاهلاً بما حولهُ فمرت عليهِ نفس الادوار التي مرت على الانسان اثر هبوطهِ على سطح الارض (وهنا حجة الذين يذهبون الى ان افضل طرق التربية والتعليم انما هي طريقة الاستنتاج اذ هي الطريقة التي تعلم بها الانسان ولا معلم لهُ)

لنلاحظ الآن الكيفية التي يتعلم بها الطفل العدد والحساب لنعلم الكيفية التي توصل بها الانسان لتعلم الرياضة فوضع نظرياتها والتعمق فيها :

اعطوا الطفل تمرتين مثلاً ثم اعطوهُ واحدة اخرى تروا على وجههِ علامات الابتهاج والسرور وما ابتهاجهُ هذا الا لانهُ احس بالزيادة في التمر وما احساسهُ بهذه الزيادة الا ادراكهُ لعملية الجمع

خذوا منهُ واحدة تشاهدوا عليهِ علامات الاستياء . ذلك لانهُ احس بالنقص وما احساسهُ هذا الا عملية الطرح

سلهُ عما يطلبهُ من التفاح لهُ ولاخيهِ يجبك اربعة : لي اثنتان ولأخي اثنتان وما هذا الا الضرب

اعطوهُ اربع تفاحات لهُ ولاخيهِ يعطيها اثنتين و يستبقي لنفسهِ الاخريين . ولم يعمل الا عملية القسمة . وهكذا ترونهُ يستنتج قواعد الحساب الواحدة بعد الاخرى وكذلك الانسان في اول نشأتهِ

مثل الطفل في ذلك مثل الامم التي لا تزال في طفولتها كبعض الامم القاطنة بأواسط افريقية وغيرها . فعلم الحساب موجود في الانسان ومولود معهُ ولا يحتاج الا الى التنمية

ومن الاسباب التي زادت ارتباط علم الاعداد بالانسان ان كل فرد منهُ وجد معهُ آلة العد الخاصة بهِ . تلك الآلة هي اليد باصابعها . فمن اليدين واصابعها العشرة عرف الانسان

طريقة العد العشرية التي بفضلها تقدم علم الحساب حتى وصل الى الدرجة التي هو عليها الآن

ولم تقتصر فائدة اصابع اليد على تعليم الانسان العد فقط بل بفضلها تعلم كتابة الاعداد يدلنا على ذلك ما نراهُ على بعض الآثار القديمة وما لا نزال نراهُ عند بعض الافراد من الاميين والاطفال من بيان الاعداد بخطوط رأسية كاصابع اليد المرتفعة هكذا I II III الخ او بخطوط افقية كاصابع اليد الممدودة هكذا — = ≡ الخ

وسترون معي ان الارقام عند اغلب الامم شرقية وغربية لا تزال تشير الى انها مركبة من اشكال هذه الاصابع مرتبط بعضها ببعض

واقتصر هنا على الاشارة الى الارقام الرومانية حيث كانت اقرب الارقام الى الشكل والوضع الاصليين

في هذه الارقام ترى الوحدة مبينة بشكل الاصبع هكذا I والاثنين بشكل الاصبعين II وهكذا حتى نصل الى الخمسة فنجدها مبينة بشكل اليد الكاملة V فاذا زيد على هذه اليد اصبع VI تكونت الستة او اصبعان VII تكونت السبعة وهكذا حتى نصل الى العشرة فنراها بشكل اليدين معاً X قس على هذا الترتيب سائر الاعداد . وفي المجموع تجدون ان ما يدل على الاعداد في الارقام الرومانية انما هو الحروف الهجائية . ولا شيء اقرب للترتيب الطبيعي من هذا الاستعمال

وهنا ملاحظة جديرة بالذكر وهي ان هذه الارقام لم تنسب للرومانيين لكونهم هم الذين اوجدوها ولكنهم انما عمموا استعمالها فقط اما هي فموجودة قبل الرومانيين بقرون عديدة بل اقول انها وجدت قبل زمن التاريخ وهذا دليل على ان واضع هذه الارقام انما هو الانسان مجرداً عن الامة والتاريخ

ولرب معترض يعترض عليَّ بان هذه الارقام من وضع الرومانيين بدليل انها مبينة بحروفهم فارد هذا الاعتراض بان هذا الاستعمال لم يكن الاَّ مؤَخراً اما اصل وضعها فلم يكن الاَّ مجرد خطوط مركب بعضها مع بعض هكذا . I . II . V . L . [. . . الخ

عرفنا الآن ان علم الاعداد من العلوم التي اضطر الانسان بطبيعتهِ الى تعلمها والتوصل اليها بدون معلم . فهو من هذه الوجهة يكاد يكون طبيعة من طبائع الانسان

كذلك يقال في علم الهندسة

وجد الانسان محاطاً بقبة الفلك وهي كما ترون قبة مجوفة فتولدت عندهُ فكرة الكرة نظر الى اتصال الافق بالارض فسمى خط الاتصال الذي يحيط بهِ و يدور حولهُ (محيط

الدائرة) ادار نظره حوله فوجد ان بعده عن اي نقطة من نقط هذا المحيط تكاد تكون واحدة فاعتبر المركز الذي هو فيهِ مركزاً للدائرة . كان الانسان يعتقد ان الضوء مصدره العين فسمى الشعاع الذي ترسله العين الى دائرة الافق (شعاع الدائرة) وهذا الاسم لا يزال مستعملاً للآن عند الامم الافرنجية (Rayon, Radius)

هكذا صار الانسان ينتقل في الاصول الهندسية بدون معلم ولا مرشد غير نظرهِ وفكرهِ وبذلك صار علم الهندسة او كما سميناه علم الاشكال من اوائل العلوم التي تعلمها الانسان مضطراً بحكم طبيعتهِ واحتياجاتهِ

هنا آن لنا ان ندخل في التفاصيل فنبين الخطوات التي تنقلت فيها العلوم الرياضية منذ نشأتها حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن وحتى صارت اساس الرقي والمدنية

انظروا معي نظرة عامة في التاريخ تجدوا ان شمس المدنية والعرفان ابتدأت في نشر اشعتها على أمم الشرق (والشرق دائماً منبع النور) ثم اخذت في المسير لا تلتفت الى الوراء حتى اذا بها الآن وهي باسطة اجنحتها على الامم الغربية . وفي وجود الشمس في الغرب اشارة الى انها تنوي المغيب وفي غروب شمس العلم اشارة اخرى الى فناء العلم .... وما يدرينا لعل الساعة قريب

غير ان هذا الميل للغروب لا يكون داعية لنا الى اليأس فربما كان ما انتهى من الزمن يوماً من ايام الخلق اشرق علينا نهاره ونحن الآن في ليلهِ (وما اخوفني من طول هذه الليل) فلا يلبث ذلكم الليل ان تنقشع عنا غشاوته فتعود الينا شمس المعارف وتعود معها حياتنا الاولى

هذا الترتيب الذي سارت عليهِ شمس العلوم والمعارف من الشرق الى الغرب جعلني اوثر على عاطفة الوطنية فاجعلها تسمح لي بأن انصرف عما تدعوني اليهِ من البدء بدراسة تاريخ الرياضيات عن آبائنا المصريين لأسير على مقتضى الناموس الذي سار عليهِ العلم

وارجو ان لا تعتبروا هذا مني عقوقاً بوطني بل حفظاً لكرامة العلم الذي نحن بصددهِ

فابتدئ الان بدراسة الرياضيات عند مشرق شمسها عند اقدم الامم في المدنية عند قدماء الصينيين

(الصين)

مشهور ايها السادة أن المدنية الصينية اقدم المدنيات المعروفة فقد ورد في اساطير الصينيين ذكر حوادث كانت في القرن المائة والسبعين قبل الميلاد . الا ان وعورة بلادهم اولاً

وقلة الآثار عندهم وعدم العناية بها ثانياً جعلت تاريخهم من اغمض التواريخ .

اذن يكون لنا عذر واضح اذا كان كلامنا عن تاريخ الرياضيات الصينية غير وافٍ وكنا متخبطين في ظلمات تاريخها غير واثقين الاَّ بالشيء القليل الذي تؤيدهُ البراهين القوية

اول ما يعرف عن الصينيين انهم اخترعوا منطقة البروج الفلكية في سنة ١٧٧٠٠ قبل الميلاد اكما تقصهُ علينا اساطيرهم

و يروون ايضاً انهم اول من وضع علم الاعداد وانهم الواضعون ايضاً للطريقة العدية العشرية (لفظية ووضعية) التي هي اساس العلم الحديث . وكانت العدية الوضعية عندهم على نحو ما هي عليهِ الآن فكانت للاعداد العشرة الاولى اشكال مخصوصة ثم للعشرة والمائة والالف اشكال خصوصية كذلك . وكانوا يكتبون هذه الاعداد على حسب كتابتهم من اسفل الى اعلى اولاً ثم تدرجوا فصاروا يكتبونها على نسق الحرف المسماري الذي كان مستعملاً في ذلك الوقت بكلدة وفارس فصاروا يكتبون هذه الاعداد من اليمين الى الشمال واضعين العدد الاكبر جهة الشمال على نحو ما نكتب الآن وكان العدد عندهم اذا وضع قبل العدد او قبل اي قوة لهُ كان مضروباً فيهِ . واذا وضع بعد العدد اضيف اليهِ

وسنعود لتفصيل ذلك ان شاء الله عند الوصول الى كلدة

وبذكر كلدة اقول لحضراتكم ايها السادة ان بعض الكلدانيين هاجر في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد الى بلاد ابن السماء حاملين مصابيح العلوم والمعارف التي كانت تشرق في ذلك العهد على اقليم الجزيرة فزادوا الصينيين معارف على معارفهم وعلوماً على علومهم . علموهم بعض المباحث الفلكية وكان الصينيون مهتمين بها كما قدمت لكم فزادوا فيها نبوغاً وكانوا يحسبون دورات الكواكب السيارة وهم اول من اهتدى الى مايسمونه بالعدد الذهبي وهو عدد السنين التسع عشرة التي يتقابل في نهايتها القمر مع الشمس (هذا باعتبارهم ان الشمس متحركة لا ثابتة) وقد علمهم الكلدانيون ايضاً تقسيم الزمان ومقدار السنة الشمسية وقسموها الى اثني عشر شهراً والى اربعة فصول وقسموا الشهر الى اسابيع والاسابيع الى ايام واليوم الى ساعات . وهم اول من اهتدى الى النجمة القطبية وغيرها من السيارات

ولا أرى بين حضراتكم من يجهل ان الصينيين هم اول من اهتدى الى اكتشاف خاصية الابرة الممغنطة فاخترعوا البوصلة ولا تخفى فوائدها في التجارة وتسهيل الملاحة وتسهيل الاعمال المساحية

هذه هي اهم ما وصل الينا من معارفهم الحسابية والفلكية وان كان فيها بعض المبالغات مما يجعل تاريخهم شبه خرافات ولكني كما قدمت لكم لا يمكنني الاعتماد الا على اقوال مؤرخي الصينيين انفسهم وما اكثر المبالغات فيها !

اما في الهندسة فهم على ما يظن اول من وضع المبادئ الهندسية وينسبون لهم اكتشاف خاصية المثلث القائم الزاوية التي اسس عليها فيثاغورث نظريته المشهورة وينسبون اليهم ايضاً وضع علم حساب المثلثات الكروية الكبير الفائدة في المباحث الفلكية . ولكن اقول مع المؤرخ الكبير (سديو) انهم انما نقلوا هذا العلم عن العرب الذين اختلطوا بهم في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد

ومهما كان من معارف الصينيين فقد مرت ولا اثر لها في مدنيتنا الحاضرة بل ولا في المدنية الصينية نفسها . فقد ترى الصينيين الآن وهم على ما كانوا عليه قبل آلاف السنين واظن هذا يرجع على الاخص لثلاثة اسباب :

اولاً — تقديس قدمائهم تقديساً يقرب من العبادة حتى انهم ليعتقدون ان التفكر في ادخال اي تحسين على موضوعات قدمائهم جريمة من اكبر الجرائم

ثانياً تعالي الصينيين عمن حولهم من بني الانسان لاعتقادهم ان ما عداهم من البشر ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلاً

ثالثاً — عدم احتكاك الصينيين بمن حولهم لازالة بعض ما رسخ في اذهانهم من اعتقاداتهم الباطلة التي كانت اقوى اسباب تأخرهم وانحطاطهم

الا ان في نهضة الصين الحالية مما يجعل لنا وطيد الامل في رقي هذه الامة الشرقية العظيمة (وكلكم يعلم مركزها في الانسانية من حيث العدد) وفقنا الله الى سلوك اقوم السبل المؤدية الى النجاح والفلاح

وهنا ننتقل بكم بعد توديع مملكة ابن السماء راجين لها التدرج في مدارج الرقي والفلاح قاصدين البلاد الهندية وهناك موعدنا في الجلسة الآتية ان شاء الله تعالى فنجول فيها جولة تعرفنا ما هنالك ثم ننتقل الى بلاد فارس فكلدة فسواحل البحر الابيض المتوسط عند الامتين الفينيقية والعبرانية وبعدها نرجع ثانياً الى شواطئ نيلنا السعيد فندرس مدنية اسلافنا الكرام

الدماغ وافعاله

لا اعجب من دماغ الانسان . اكثر الآلات اتقاناً بخارية كانت او كهربائية لا تدانيه في كثرة افعاله واتقان اعمالها مع صغر حجمه وليونة بنائه

في جسم الانسان خمس مئة عضلة وكل عضلة منها مؤلفة من الوف من الالياف او الخيوط اللحمية الدقيقة وفي كل ليفة منها عصب خاص متصل بالدماغ . وفي الجسم الوف من الشرايين التي يجري فيها الدم وفي كلٍ منها عصب خاص متصل بالدماغ . وفيهِ كثير من الغدد وفي كل نقطة منها عصب خاص متصل بالدماغ . ومساحة سطح الجسم نحو ست عشرة قدماً مربعة وليس فيهِ مغرز ابرة الاّ وهناك عصب يشعر ويوصل الشعور الى الدماغ

وفي الدماغ غُرَف كثيرة تتصل اليها الانباء على الدوام من كل انحاء الجسم ومن كل ما حوله . فكلما فتحتَ عينيك ووقع عليهما النور ورسم فيهما صورة ما امامك بالوانهِ المختلفة نقلت الالياف العصبية هذه الصورة الى غرفة البصر في قصر الدماغ بكل تفاصيلها وما فيها من الاشكال والالوان . وفي غرفة السمع التي في الدماغ آلة من ذوات الاوتار تتصل اليها رنات الاصوات ونغماتها على اختلاف الحانها وابراجها من طنين الذباب الى هزيم الرعد ومن حفيف الشجر الى نغم العود والقيثار . فتتأثر بها وتجاوبها كما يجاوب الوتر المغني . وفي غرف الشم والذوق واللمس مواقف الحرس ومقاعد الشرطة حيث يُشمُّ ارج الطيوب ويذاق طعم المآكل ويُعرَف ما يداس وما يلمس . واغرب من ذلك كلهِ ان هذا الدماغ الكثير الافعال الجامع لشتات الوظائف يفهم بكل اللغات ويفكر بلا لغة

والدماغ مؤلف من حويصلات كثيرة العدد كثيرة الاشتباك تعدُّ بمئات الملايين بل بالوف الملايين تحار العين في كثرة اشتباكها بعضها ببعض ولكن اشتباكها الكثير وعددها الذي يفوق التقدير لا يحولان دون انتظامها واتفاقها في اعمالها

في ادارة التلفون في هذه العاصمة نحو ستين عاملاً للوصل والفصل بين المتخاطبين . والمتخاطبون في الدقيقة الواحدة لا يبلغون ثلثمائة ومع ذلك لا يندر وقوع الخطإِ في اعمال هؤلاء العمال . تطلب زيداً لتكلمهُ فيصل العامل تلفونك بتلفون عمرو بعد ان تقف دقيقتين او اكثر تدق الجرس وتلعن الساعة التي وضع التلفون فيها . والخطأُ ليس كثيراً ولكنهُ لا يقلُّ عن عشرين في المئة . واما الدماغ فالانباء تأتيهِ من مراكز عديدة في اللحظة الواحدة وهو قلما يخطئ في توجيه الانتباه الى كلٍ منها

لكن الدماغ قد توصل الى نظام لم تتصل اليهِ شركة التلفون في هذه العاصمة حتى الآن وهو انهُ قسم الجسم الى اقسام وجعل في كل قسم منها مركزاً خاصاً لذلك القسم . فالانباء ترسل اليهِ بدلاً من ارسالها الى المركز العام في الدماغ وهو إما ان يتصرف فيها من نفسهِ او يرسلها الى المركز العام حسب اهميتها وهذه المراكز هي العقد العصبية

قلنا ان مساحة سطح الجسم اي مساحة الجلد نحو ١٦ قدماً مربعة وقد حسبوا ان في كل قدم منها عشرة آلاف عصب او سلك تلفوني ففي سطح جسم الانسان ١٦٠ الف تلفون وهي لا تخاطب الدماغ رأساً الاَّ عند الضرورة فاذا وقعت بعوضة على يدك فالاعصاب التي تحت ارجلها تتأثر بوقوعها وتنقل هذا التأثير الى اقرب العقد العصبية وهي تأمر اليد بالحركة والانتفاض زجراً للبعوضة . وقد يحدث ذلك من غير ان يرسل الخبر الى الدماغ ولكن اذا دبَّت عقرب على يدك أُرسل الخبر الى الدماغ حالاً فيحرك اليد والجسم كلهُ ويعمل الحيلة في قتل العقرب . فهو من هذا القبيل مثل نظارة الداخلية في القطر المصري فانها قسمت البلاد الى مديريات ومراكز ونواحي وربطت النواحي بالمراكز بالتلفون وربطت المراكز بالمديريات والمديريات بنظارة الداخلية . فاذا حدث امر طفيف في الناحية اشعر المركز بالتلفون ومأمور المركز يجري ما يلزم ولكن اذا حدث في الناحية امرٌ جلل كأنْ هجمت عليهِ عصابة مسلحة من اللصوص واشتبك القتال بينها وبين اهل الناحية أُرسل الخبر الى المركز والى المديرية وقد يرسل الى نظارة الداخلية ايضاً لارسال قوة مسلحة تقبض على اللصوص

وهنا فاقت الصناعة الطبيعية من وجه واحد فان التلفون الصناعي اسرع من التلفون الطبيعي لان التأثير الكهربائي يجري في التلفون بسرعة الكهربائية اي نحو ١٦ الف ميل في الثانية واما الفعل العصبي فلا يسير الاَّ ٨٠٠ قدم في الثانية غير ان المسافات في الجسم قصيرة جدًّا فتدخل الانباء العصبية وتخرج مراراً كثيرة قبلما ينتبه الموكَّل بالتلفون الكهربائي لسماع صوتك او يتنازل لاجابة طلبك

لكن ان كان للتلفون الكهربائي مزية على التلفون العصبي من قبيل السرعة فالتلفون العصبي مزايا على التلفون الكهربائي اهمها ان التلفون العصبي ترسل بهِ اشكال المنظورات والوانها وهو ما لم يتصل اليهِ التلفون الكهربائي حتى الآن . وفي التلفون العصبي مراكز للكلمات الملفوظة تحفظ فيهِ باصواتها . ومراكز للكلمات المكتوبة تحفظ بصورها ومراكز للروائح والطعوم والاشكال . وقد استنبط الناس تلفوناً ينقل الاصوات ويكتب الكلمات ولكنهُ لم يتقن حتى الآن ولم يستطيعوا ان يصنعوا آلة تلفونية فوتوغرافية تنقل الصور وترسمها بالوانها الطبيعية

ولا استنبطوا تلفونًا ينقل الروائح والطعوم . واذا استنبطوا تلفونًا مثل هذا صارت ربة البيت تديرهُ الى دكان البقال وتذوق ما عندهُ من السمن وتشم رائحتهُ قبلما تطلب حاجتها منهُ وهي في بيتها وهو في دكانهِ

وانواع الحيوان مختلفة في شعور اعصابها او في مقدار المادَّة العصبية المخصصة لهذا الفعل او ذاك ودرجة ارتقائها . فمن السمك نوع نصف دماغهِ لحاسة الذوق كأَنَّ لا غرض لهُ من الحياة الاَّ الاكل مثل بعض كبار البطون . واعصاب الشم في الانسان شديدة الشعور حتى انهُ يشعر برائحة المركبتان (وهو مادة رائحتها كرائحة الثوم) ولو كان مقدارهُ جزءا من ٤٦٠ مليون جزء من الميليغرام . ويشعر برائحة عطر الورد ولو لم توجد منهُ الاَّ نقطة واحدة في خابية من الزيت . ومع ذلك فالحيوانات تفوقهُ في حاسة الشم ولاسيما حيوانات الصيد كما لا يخفى

وتتفاوت الحيوانات في تركيب ادمغتها حسب احوالها وهي من هذا القبيل مثل البيوت التجارية « والورش » الصناعية . يبتدئ التاجر الصغير او العامل البسيط يعمل عملهُ كلهُ بنفسهِ ثم تتسع تجارتهُ او صناعتهُ فيستخدم كاتبًا وصانعًا ويزيد اتساعها فيقسمها الى دوائر مختلفة متصلة كلها بمركز الادارة العام . وهكذا ادمغة الحيوانات فالحيوانات الدنيا تكتفي بالطعام فيتكون فيها تجويف تخزن الطعام فيهِ لتغتذي بهِ وهذا الاغتذاء يقتضي هضم الطعام فتتكون لهُ الاعصاب اللازمة ومركز تتصل بهِ . ثم يجد الحيوان انهُ في حاجة الى الحرارة فتتكون فيهِ آلة للتنفس واعصاب تديرها واوعية يجري فيها الدم . وتكثر الفضول في جسمهِ بكثرة الطعام والاغتذاء والانحلال فتتكوَّن فيهِ آلات لافراز الفضول كالامعاء والكليتين وتدعو الحال الى زيادة الاهتمام بالتغذية فتوزَّع وظائفها على الاسنان والغدد اللعابية والكبد والمرارة ولكلٍّ منها اعصاب تديرها . ومتى كثرت الادارات في معمل خيف من تضاربها فيقام لها مدير عام وهو الدماغ الذي يراقب اكثر حركات الجسد ولم يكن لهُ وجود خاص في الحيوانات الدنيا ثم ظهر وكبر في الحيوانات العليا

قلنا ان الدماغ يراقب اكثر حركات الجسد ولم نقل كلها لان بعضها يجري ولو لم ينتبه الدماغ لهُ بل بعضها يجري في بعض الحيوانات بعد نزع ادمغتها او قطع رؤُوسها وما ذلك الاَّ لان في اجسامها عقداً عصبية او ادارات محلية تقوم مقام المدير العام اذا عزل او مات . فاذا ازيل دماغ ضفدعٍ ووضعت في الماء اخذت تسبح فيهِ كأَن دماغها لا يزال في رأسها واذا وصلت الى عصًا طافيةٍ على الماء حاولت الصعود عليها لان العقد العصبية التي في سلسلة ظهرها تتأَثر من ملامسة اطرافها للعصا وتأمرها بالصعود عليها واذا وضع الطعام في فيها اكلتهُ ودماغها

منزوع من رأسها فهي مثل المديريات والمراكز والنواحي في القطر المصري تبقى جارية في اعمالها ولو استعفى ناظر الداخلية او استعفت الوزارة كلها . ولكن الانسان شديد الاثرة واسع الملك اعطى النواحي والمراكز بعض السلطة وابقى السلطة العليا في يدهِ لكثرة ما حولهُ من الاعداء فاذا قطع رأسهُ او نزع دماغهُ لم تعد الحياة تطيب لهُ

وقد يظن لاول وهلة ان عمل الدماغ مقتصر على التفكير والتدبير ونظم الشعر ورصف النثر وتثمير الاموال وادارة الاعمال ولكن من يمعن نظرهُ في تاريخ الانسان من طفولتهِ الى كهولتهِ في الصحة والمرض والراحة والتعب يجد ان دماغهُ يشتغل دوامًا ويدرّب اعضاءهُ كلها على الشغل حتى تقوم بما يطلب منها ولو كان من اصغر الاعمال هذا فوق ما يرثهُ من والديهِ واسلافهِ من الملكات والسلائق

ترى الطفل يبكي ويرفس «ويبعط» بيديهِ ورجليهِ اي يعمل الاعمال التي لا تحتاج الى فكر وروية وتقدير وتدبير واذا اوقفته على رجليهِ لم يستطع الوقوف واذا وقف لحظة وقع بعدها كأنهُ قطعة من الخشب وما ذلك الاَّ لان الوقوف يقتضي تحريك كثير من العضلات تحريكاً دقيقاً منتظماً لحفظ مركز الثقل داخل القاعدة . لكن اعصابهُ تتعلم من السقوط كيف تتلافاهُ وتعلم عضلاتهِ الطاعة لها . ومركز هذا التعليم او التدبير في المخيخ اي الجزء المؤخر من الدماغ ولولاهُ ما امكننا المشي ولا الوقوف ولا الجلوس بل كنا نبقى كالاطفال مطروحين على ظهورنا او كسطيح الذئبي في ما يروى عنهُ . واذا اتفق لواحد ان نعس وهو جالس من سماع خطبة مملَّة او من كثرة الفضول في معدتهِ ودماغهِ فانك تراهُ يكبو لان مخيخهُ يتعب او ينام فلا يعود يراقب اعصابهُ لتبقى عضلاتهُ منتصبة

ويجري المخيخ في اعمالهِ على حسب الانباء التي تصل اليهِ فاذا تضاربت افسدت عملهُ عليهِ كما اذا اتت انباء مختلفة الى المديرية من المركز الواحد وبعضها يناقض البعض الآخر فان المديرية تحار في امرها ولا تعلم ماذا تعمل . ويحدث مثل ذلك اذا جلس الانسان في قارب لعبت بهِ الامواج فيشعر انهُ صاعد وحالما يصل هذا النبأ الى مخيخهِ وقبل ان يرسل اوامرهُ الى اعضاء جسمهِ لتوازن نفسها مع الصعود يأتي نبأ آخر ان القارب نازل ويتلوهُ نبأ ثالث ان القارب انحرف الى اليمين او انحرف الى اليسار وهلمَّ جرًّا فيشكل الامر على المخيخ وتختلف اوامرهُ التي يرسلها الى اعضاء الجسم المختلفة الظاهرة والباطنة فتتصادم في اعمالها ويقع التشويش فيها وهذا هو سبب الدوار والجشاء والقيء . ويصيب المخيخ مثل ذلك في السكر لا لان حركات الاعضاء تشوش اعماله حينئذٍ بل لان المسكر يفعل بهِ مباشرةً فيخدرهُ ويمنعهُ من احكام

حركات الجسم فيصيب السكران ما يصيب راكب البحر

والمظنون ان القوى المدبرة لهذا الجسم التي عليها مدار الكلام والتفكُّر والتذكُّر والاستدلال والاستنتاج ونحو ذلك من قوى العقل العليا مقرها في المخ او في الجزء السنجابي فان المخ او الدماغ مؤلف من حويصلات او دقائق سنجابية اللون وهي الجزء الظاهر من الدماغ وفيها مراكز القوى العقلية ومن حويصلات او دقائق بيضاء وهي الجزء الباطن من الدماغ ووظيفتها الوصل بين الحويصلات السنجابية وبينها وبين اعصاب الجسم . وترى في الدماغ تلافيف كثيرة اي انخفاضات وارتفاعات ليتسع السطح الذي فيهِ المادة السنجابية . ويختلف شكل الحويصلة فقد تكون كروية وقد تكون بيضية وقد تكون مغزلية ويتفرع منها خيوط دقيقة تصل بعضها ببعض . وهي صغيرة جدًّا يختلف قطرها من جزء من ٤٠٠ جزء من البوصة الى جزء من ٣٠٠٠ جزء وقد قدَّروا عددها في دماغ الانسان من ٦١٢ مليون حويصلة الى ٩٣٠٠ مليون

ولا يعلم كيف تفعل هذه الحويصلات وكيف تحفظ المعلومات فيها فان الانسان قد يعرف عشرين الف كلمة من كلمات لغتهِ واللغات التي يعرفها فهل تحفظ كل كلمة منها في حويصلة من حويصلات دماغهِ او في طائفة منها . قد يحفظ الوفًا من الصور والاشكال والحوادث والنوادر والمعاني فاين تقيم كلها وكيف تحفظ وماذا يمنع اختلاطها بعضها ببعض في الغالب . قلنا في الغالب لانها قد تختلط في بعض الاحيان فيقص زيد عليك حادثة حدثت لهُ في القاهرة منذ عشرين سنة ويخلط بها حادثة حدثت لهُ في الاسكندرية منذ عشر سنوات ويصف لك مدينة في فرنسا ويخلط بها مدينة في النمسا . ويكثر ذلك في بداءة التعلم وقبل ان ترسخ حقائق كل علم على حدتهِ في الذاكرة

قلنا ان الدماغ متسلط على الجسم كلهِ . ولكن سلطتهُ ليست استبدادية ولا حكومتهُ استقلالية فقد علَّمتهُ التجارب ان اعطاء الاستقلال الاداري لبعض الجهات اسلم عاقبة واصلح مآلاً فاعطى القلب استقلالهُ والمعدة استقلالها والرئتين استقلالها وكذلك كل الاعضاء الداخلية التي لا يخشى عليها من الاعداء الخارجية . فالقلب يعمل عملهُ على الدوام اراد العقل او لم يرد . والمعدة والامعاء تعمل اعمالها والرئتان تعملان عملها وكذلك الكبد والطحال والكليتان . والاعضاء الظاهرة تعمل اعمالها احيانًا كثيرة كأنها مستقلة عن الدماغ ولكن اذا عرض لها عارض انتبه لها الدماغ حالاً ودافع عنها . فاذا اعتدت المشي في شارع فانك تمشي فيهِ يومًا بعد يوم من غير ان تنتبه او تلتفت الى شيء ولكن اذا مُدَّ فيهِ خط الترامواي فانك تصير

تنتبه وتحاسب وتحاذر ولا تكتفي بمهارة رجليك على المشي بل تستخدم عقلك وانتباهك كله والا داسك الترامواي كما داس كثيرين قبلك واذا اضيف الى الترامواي الاوتومو بيل في شوارع ضيقة مثل شوارع القاهرة وجب على الانسان ان ينقل دماغهُ من رأسهِ الى قدميهِ وهو سائر والا فحياته في خطر دائم

الفلسفة المادية ومذهب النشوء

(من مقدمة مختصر على مذهب دارون)

اول من ذكر مذهب بستور في الجراثيم باللغة العربية المقتطف اقدم مجلة عربية علمية بل المجلة العلمية الوحيدة في الشرق حتى اليوم · وذلك حوالى سنة ١٨٧٩ · ولكنهُ ذكرهُ في عرض الكلام على تأييد مذهب الحيويين ونقض مذهب الماديين مشايعة للآراء الغالبة في ذلك الحين · كما انهُ كان اول من نقل الى هذه اللغة ايضاً كلاماً لبعضهم في مذهب دارون في النشوء ولكن لنقضهِ على اسلوب يوافق اصحاب مذهب الخلق · ومع ذلك فلم يسلم من الانتقاد خصوصاً من اصحاب المذاهب القديمة ولو على نقل المذاهب العلمية الجديدة فقط · فلم يراعوا معهُ العمل بالمثل القائل « ناقل الكفر ليس بكافر » بل اعتبروهُ شريكاً بالتضامن حتى كانت كل حياتهِ الاولى جهاداً عنيفاً الجأهُ الى الهجرة اخيراً الى مصر

والحق يقال ان الوسط الذي كان المقتطف مقيماً فيهِ كان يجعل مركزهُ محفوفاً بالمصاعب · على انهُ في المسائل العلمية الهامة لم يسلك مسلك التشيع الأعمى ولم يوصد في وجه الباحثين حتى اشدهم مباينة لآرائهِ باب الانتقاد ونشر الآراء الجديدة بحرية تامه فكان لهُ بذلك الفضل الاول في اعداد الافكار في الشرق لقبول زرع العلم على الاطلاق · وما كان اشتدادهُ احياناً في مقاومة آراء خصومهِ الأ فضلاً لهُ ايضاً جعل هذا الاعداد اتم بحمل العقول على التوسع في الروية للانتقال بها من الرضوخ المغلق الى التفكير والبحث قبل التسليم · ولهُ عليَّ فضلٌ خصوصيٌّ ايضاً لا اريد ان ادع هذه الفرصة تمرُّ من غير ان اسديهُ شكري الخاص عليهِ فقد حمل عني كثيراً من مطاعن الطاعنين بسبب مباحثي ولو لم يكن نصيري فيها · وكثيراً ما كانوا يتناسونني و يمسكون بهِ وحدهُ وهو منتهى الفضل لهُ

ولما كانت الحقيقة لا تتجزأ فاما هنا واما هناك وكانت مباحث الطبيعيين اقرت مذهب الماديين في فلسفة الكون على قرار علمي مكين اقل ما فيهِ انهُ يثبت مبدأ التوحيد الطبيعي في

المواد والقوى رأيت ان اخوض غمار هذا البحث من وجههِ العلمي البحت غير حافل بالمصاعب التي ستعترضني في هذا السبيل وان انخعهُ بتلك الصراحة الجازرة التي لم يكن قد ألفها الجمهور بيننا منكباً عن خطة الذين يرون ان الحكمة انما هي في المصاداة لعلي ازحزح الافكار عن مألوفها لعلمي ان تحريك الافكار لا يكون غالباً الاَّ بمثل هذه المصادرة العنيفة لما يحدث ذلك فيها من الرجة القاسرة لتسهيل انتقال الانسان في العمران من حال الى حال · وما حالهُ التي هو فيها عنوان السعادة وما كانت في الماضي مما يؤسف عليهِ

فبادرت المقتطف حينئذٍ بكلام وجيز انتقد عليهِ انحيازهُ الى مبدإ الحيويين واعتبارهُ مذهب بستور خصوصاً مؤيداً لهم نافياً للقول بالتولد الذاتي وهو لا يؤيد قولاً ولا ينفي آخر كما تقدم · وكأني جهلت مركزهُ او تجاهلتهُ فختمت كلامي بتوجيه الخطاب الى منشئيهِ قائلاً « ومثلكم لا يسامح على ذلك وانتم بجانب كعبة العلم » وقد ردَّ المقتطف عليَّ بمقال عنوانهُ « الحياة حيرة العلماء » وختمهُ بهذا القول السديد المحكم في هذا المقام قال « ولو قعدت كعبة العلم التي نحن بجانبها مقعدنا لما استصوبت الاَّ آيتنا »

ولما كان الغرض من كل ذلك طرق مذهب الماديين من وجههِ العلمي نشرت مقالاً اردُّ فيهِ على المقتطف تحت عنوان « الحيرة علة البحث » ثم اردفتهُ بمقال آخر عنوانهُ « الحس وانواعهُ المختلفة » بنيتهُ على قول كلود برنار « الحس تكيف في التأثير لكيفية في المؤثر » واستطردت منهُ الى هذا القول الذي كان غرضي من كلامي السابق لتوجيه النظر اليهِ لاول مرة في اللغة العربية للبحث فيهِ على وجهٍ علمي فلسفي وهو :

« واذا نظرنا الى الحس من حيث كونهُ تكيفاً في التأثير لكيفية في المؤثر كما في قول كلود برنار فلا نستطيع ان نقفل باب الكلام في هذا الموضوع حتى نأتي ولو باشارة فقط الى كون المادة ذات حسٍ ايضاً بدليل انها تتأثر حال كونها مؤثرة وتنفعل حال كونها فاعلة · فيكون حس الاجسام الآلية مرتبطاً ارتباط الجزء بالكل بتلك القوة العظيمة التي بها تتجاذب الاجسام بالنسبة الى مادتها وبالقلب كمربع البعد بينها اعني بها الجاذبية العامة التي هي عبارة عن حس المادة في ابسط معانيهِ واعمِّ انواعهِ » اه

وقصدت بهذا القول ان ابين ان القوى الحيوية والقوى الطبيعية واحدة من مصدر واحد · ترجع بعضها الى بعض وتتحوَّل بعضها عن بعض · وما خاب ظني في ما يكون لهذا القول من التأثير فقد جرَّ الى مناقشات اظهر بعضهم فيها استغرابهُ لحس المادة هذا وكأنهُ نظر الى التعريف اللغوي فقال لي « انا اشعل هذه السيكارة فهل هي تحس » وحمل مثلهِ غيرهُ

حملةً شعواء انتصاراً للمبدإ الحيوي ونفياً لما يترتب عليهِ من التولد الذاتي واهم هذه المناقشات مدرج في المقتطف في ذلك الحين[1]

وغرضي من طرق هذا البحث على هذه الصورة انما كان لاقرار الفلسفة المادية على اساس علمي متين لازالة الوهم العالق باذهان كثيرين في تلك الايام من انها فلسفة يرمي اصحابها بها الى اغراض سافلة ويحاول خصومها تمكينهُ في اذهان العامَّة لتنفيرهم منها وهي خطة دنيئة في العلم وهي اليوم فوق ذلك خطة خرق لان حبلها قصير. فالفلسفة المادية اليوم تختلف كثيراً عن فلسفة الماديين القديمة في انها كانت كفلسفة اصحاب ما فوق الطبيعة نظرية بحتة واما اليوم فهي فلسفة قائمة على مبادئ علمية ثابتة قضاياها تكاد تكون كالقضايا الرياضية نفسها

وما عنيت بتقرير هذه الحقيقة اولاً الاَّ لغرض اهم وهو جعلها توطئة لتأييد مذهب دارون في النشوء والتحوُّل الى اقصاهُ باعداد الافكار له . اذ لا يخفى ان هذا المذهب كان لذلك العهد لا يجسر احد بيننا ان يتكلم عنهُ الاَّ في معرض النفي . وقد جاء ذكرهُ مرَّةً عرضاً في خطاب للدكتور لويس احد اساتذة المدرسة الكلية السورية فهاج الخواطر هناك عليهِ حتى اضطر الى الاستعفاء . وما ذكرت ذلك هنا الاَّ لابين مبلغ استنكار عامة العلماء لهذا المذهب ومبلغ اقصائهِ من دور العلم في ذلك العهد . — واما اليوم فلم يعد مستنكراً الى هذا الحد بل صار يعلَّم في اكثر المدارس الحرَّة . واول مدرسة ذكر فيها بالتصويب مدرسة ليون الفرنساوية الطبية وذلك في سنة ١٨٨٧ في خطابٍ لاحد اساتذتها المدعو تستو عنوانهُ الانسان في نظر المشرّح[2] وقد حوَّلهُ كثيرون اليوم الى غرضهم كما طبقوا كلام غاليلي في الارض على غرضهم بعد ان قاموا عليهِ وكما تحوَّلت انا الى ان اكون من الغلاة فيهِ بعد ان انكرتهُ وتأففت من ذكرهِ اوَّل ما سمعت بهِ

ففي سنة ١٨٧١ — وكنت ادرس الطبَّ في المدرسة الكلية السورية — سمعت — ولا اذكر كيف سمعت — انهُ قام رجل يدَّعي ان اصل الانسان من القرد[3] . فلم اتحرَّ حقيقة

---

(١) في المجلد الثالث والرابع والخامس والسادس (٢) الشفاء : المجلد الثاني

(٣) [المقتطف] هذا ما يتذكرهُ الدكتور شميل وقد كرَّرهُ مراراً على سمعنا في السنين الاخيرة . اما نحن فنتذكر انهُ هو اول من ذكر لنا مذهب دارون وذلك سنة ١٨٧٠ حينما كنا ندرس في المدرسة الكلية الاميركية بسورية . ذكرهُ على سبيل الاستغراب كخبر سمعهُ ممن اطلع عليهِ . وكان تأثيرهُ في نفوسنا حينئذٍ انهُ ان ثبت ثبتت بهِ وحدة الخلق ولكن نقضت بهِ التعاليم الدينية عن كيفية خلق الانسان وسائر انواع الحيوان

هذا القول ولم يكن في تعليم المدرسة ما يحملني على التبصر فيهِ . وغاية ما اذكر اني لم اسمع بهِ حتى اظهرت اشمئزازي منهُ ومن قائلهِ الذي اعتبرتهُ حينئذٍ دعيًّا ما خالف الاَّ ليعرف . ولا عجب فان الكيفية التي ذُكر لي فيها والتي يذكرهُ بها دائمًا خصومهُ من ان القرد اصل الانسان لا يمكن ان تحدث في سامعها لاول مرَّة وهو متشرب بالاعتقادات المخالفة الاَّ نفوراً ولو ان في نوع الانسان من هو احطُّ من القرد بكثير . وهو سلاحٌ يفتريهِ خصوم هذا المذهب لتحقيرهِ . والاَّ فمذهب دارون لا يقول ان القرد اصل الانسان وان الحمار اصل الفرس بل ان الانسان والقرد والفرس وسائر الاحياء في الطبيعة قاطبة من اصل واحد في نشوئها من مواد الطبيعة وبمجرَّد قواها وقد تغيرت تبعًا لناموس المطابقة حتى بلغت مبلغها الآن بالانتخاب الطبيعي

ثم مرَّت الشهور ولا اذكر اني عرفت عن هذا المذهب شيئًا جديداً حتى نسيتهُ . ومن الغريب اني بعد ذلك بزمان عند نيلي الشهادة كان موضوع خطابي[1] المدرسي النهائي «اختلاف الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية» وقد جئتُ فيهِ بكثير مما يؤيد هذا المذهب وانا لا اقصد فكنت كالذي كان يقول النثر وهو لا يدري[2]

ولكنَّ الذي لم اكن اقصدهُ في ذلك الحين لم يلبث ان صار موقف افكاري وموضوع حديثي وغرضي في كل كتاباتي بعد مبارحتي المدرسة ورحلتي الى اوربا واطلاعي على هذا المذهب في مؤلفات اصحابهِ . ولم اجد حينئذٍ ادنى صعوبة في تطبيقهِ على اقصى ما يرمي اليهِ قبل ان اطَّلع على مؤلفات الغلاة فيهِ كهكل وبخنر . لان علوم المقابلة في الطب تساعد كثيراً على ذلك . كما انهُ هو نفسهُ لم يجد ادنى صعوبة في امتلاكي لان تربيتي المدرسية لم تسمني بطابعها فان اعتلال صحتي في حداثتي لم يسمح لي بان اكون من متخرجي المدارس في ما خلا الطب . ولم اقرأ شيئًا من العلوم الكمالية التي يقولون انها توسع العقل وهي في اعتقادي تضيقهُ فكأَن ذلك حفظ لي استقلال افكاري . وما ذكرت ذلك هنا الاَّ لأُويد ما قلتهُ في ما تقدَّم من سوء تأثير التربية المدرسية كما لا تزال حتى الآن في تقييد العقول فيشبُّ التلميذ فيها ويخرج منها فاقداً كل استقلال في افكارهِ وخصوصًا كل تسامح وناهيك بما يترتب على ذلك في الحياة الاجتماعية من الشرور

ولقد بلغ مني الاقتناع بصحة هذا المذهب اني صرت اعتبر مبادئهُ اوليات لا يجوز ان تخفى على ابسط متعلم واقل مفكر فاذا لم يصرّح بها فلعدم جسارةٍ او لمصلحة . وفاتني ان هناك

---

(١) هذا الخطاب استعارهُ مني احد البلداء لتخزو فاتباعهُ عليَّ ولم يردهُ ولم اعد اعلم بعد ذلك مصيرهُ (٢) مثل فرنسوي

اسباباً اخرى اهمّ لم انتبه لها حتى انتبهت الى تطبيق هذا المذهب على الفلسفة العقلية نفسها فانجلى لي سرّ كل هذه المناقضات في العقول المختلفة اذ اتضح لي ان علم البسيكولوجية اي علم العقل او النفس فرعٌ من علم الفزيولوجية اي علم منافع الاعضاء فيجب النظر في العقل كالنظر في وظائف الاعضاء باعتبار انهُ عملٌ ماديٌّ. فكل ما يتطرّق الى المادّة من نواميس النشوء والتحوّل و يوءثر فيها يوءثر في العقل نفسهِ الذي هو ليس الاَّ فعلاً من افعال الدماغ. فاذا كان للاقليم وسائر نواميس المطابقة والانتخاب الطبيعي والوراثة شأن عظيم في تكييف الاعضاء الحية واثرٌ لا يمحى الاَّ في الاجيال المتطاولة اذا تغيرت الاحوال فللتربية والتعليم والعادات والاعتقادات وكل ما يوءثر في الاخلاق اثر في العقول ايضاً لا يزول الاَّ بمثل تلك الصعوبة حتى لقد يزول من الابناء اثر ما في الآباء من الاجداد ثم يعود و يظهر في الاحفاد لرسوخ ذلك في الطبائع وشدّة تكيفها بهِ. وعليهِ ناموس الرجعة عندهم و يراد بهِ الارتداد الى الاصل وهي حقيقة عرفها العامة قبل ان يقرّرها العلماء بقولهم « الاصل يحنُّ »

ولهذا كانت اعمال العقل كثيرة التناقض شديدة التغاير مملوءة بالمفارقات فترى الرجل الذكي الفوءاد والعالم المتضلع طروباً بسخافةٍ نفوراً من حقيقةٍ . فاذا نظرت الى كل ذلك من خلال مذهب النشوء والتحول تبدت لك الحقيقة الناصعة وسهل عليك حل هذا الاشكال. فاجأني بعضهم مرةً بقولهِ « انك لمصيبة على الناس لمغايرتهم في افكارهم » فاجبتهُ بقولي « اذا جازت الشكوى فمن منا اولى بالشفقة انتم الذين مصيبتكم بي واحدة ام انا الذي مصيبتي بكم متعددة »

واذا كنت كتبت ما يغاير مجرى الافكار غالباً او حدوت الانتقاد احياناً فليس لاني كنت اطمع بان ارد الناس اليّ في هذا الزمن القصير وانا لا اجهل ما يحول دون ذلك من الصعوبات بل لاني قصدت مباغتة الافكار لالفتها الى غير مألوفها . وان كنت لا اجهلَ ان القاء الحجر في المستنقعات الراكدة لا يقلق الضفادع المطمئنة الاَّ ريثما ينقضي حذرها فتعود الى نقيقها الاَّ اني لا اجهل ايضاً فعل الخمير المخمّر . فان اقل ما يعلق بالعقول حينئذٍ من اثر الافكار المخالفة ينمو فيها غالباً بسرعة الاختمار نفسهِ خصوصاً اذا صادف استعداداً في النفوس كامناً فيها لكثرة البواعث الضاغطة عليهِ فيكون مثل هذا التنبيه لهُ بمثابة الشرارة في اثارة كامن القوى المتجمعة . ولعل الناظر الى ما بين طرفي هذه الفترة القصيرة من ذلك العهد الى اليوم لا يسعهُ الاَّ الاعتراف بصحة هذا القول

الدكتور شميل

جوامد كالنبات

اتفق لنا ونحن ندرس الكيمياء منذ نحو ثلاثين سنة ان ابقينا انابيب الكشف ذات يوم مملوءة بما فيها من السوائل الكيماوية لانهُ لم يتيسر تنظيفها وعدنا بعد يومين او ثلاثة فوجدنا واحدة منها مملوءة بشيء كالنبات خيوط دقيقة نابتة من اسفل الانبوب الى اعلاهُ كل خيط منها قائم بنفسهِ كابر الصنوبر لكنهُ اسطواني تماماً وكأنهُ مؤلف من حويصلات مستطيلة الواحدة فوق الاخرى لونها عسلي وفيها شيء من الشفف كسوق زهر النبات المعروف ببخور مريم ولكنها ادق منها وهي مستقيمة او منحنية لا يشك من يراها انها مادة نباتية نامية في الانبوب. وكانت الانابيب كثيرة وكان الدرس الذي ملثت لا يضاحهِ عمومياً شاملاً لمواضيع مختلفة على سبيل المراجعة في الكيمياء الآلية فتعذر علينا معرفة المواد الكيماوية التي تولد منها هذا المركب الشبيه بالنبات ولم نكن قد قرأنا عن مركّب مثلهُ في كل ما وقع لنا من كتب الكيمياء ولا عثرنا على ما يشبههُ في السنتين التاليتين. ثم لم نعد نلتفت الى المواضيع الكيماوية الاَّ نادراً. وبالامس رأينا في بعض الجرائد العلمية صوراً تشبه ذلك المركب او ذلك النبات الكيماوي الذي رأيناهُ منذ نحو ثلاثين سنة ويقال فيها ان الاستاذ لدوك الفرنسوي ادخل نقطة من مذوب السكر فيها شيء قليل من فروسيانيد البوتاسيوم في مذوب كبريتات النحاس الخفيف فوجد ان نقطة مذوب السكر تتغطى بغلاف رقيق من فروسيانيد النحاس وهذا الغلاف يدخلهُ الماء ولكن لا يدخلهُ السكر فهو مثل الحويصلة النباتية من هذا القبيل فيجعل ينمو و ينشأ منهُ فرع كبرعم النبات فيحيط بهِ غلاف من فروسيانيد النحاس يدخلهُ الماء وينميهِ فيطول و يتولد منهُ فرع آخر وهلمَّ جرًّا. وهذه الفروع تمتص السوائل التي حولها وتنمو بها والغالب ان الخيط الذي ينمو كذلك يتولد في اعلاهُ انتفاخ كروي او مخروطي

ثم ان انتشار السوائل بعضها في بعض واختراق الحواجز الذي بينها لا ينحصران في تكوُّن خيوط نباتية الشكل مثل هذه بل يكوّنان ايضاً اشكالاً هندسية بديعة وتزاويق قياسية كما اوضح الاستاذ لدوك فاذا اذبتَ الجلاتين في الماء حتى يكون منهُ درهم من الجلاتين في عشرة دراهم من الماء واضفت اليهِ نقطة من مذوّبٍ ما مثل كلوريد الامونيوم او بروميدهِ او يوديدهِ وصببت منهُ خمسة سنتمترات مكعبة على لوح من الزجاج حتى تنبسط عليهِ ثم صببت على هذا الجلاتين نقطاً من بعض المحاليل مثل نترات الكلسيوم او نترات الفضة او شترات البوتاسيوم وصببت هذه النقط في اشكال قياسية على اللوح وتركتهُ موضوعاً وضعاً افقيًا رأيت النقط التي

صبيتها عليه اخذت تنتشر على سطحه رويداً رويداً وتكوّن صوراً بديعة في اشكالها والوانها يمكن الصاقها على ورق سميك كأَنها صورة مطبوعة بالالوان ويكون في هذه الصور خطوط بعضها شفاف وبعضها غير شفاف دواليك وثخنها يختلف من عشر المليمتر الى جزء من الف من المليمتر فتحلُّ النور وتعكسهُ كعنق الحمام وتختلف اشكالها والوانها باختلاف المواد الكيماوية واجملها يحدث من محلولي فصفات البوتاسيوم وكربونات البوتاسيوم فتتألق حينئذٍ كعرق اللؤلوء

ولا يخفى ان الانسجة الحية تؤلف من خيوط محبوكة كذلك كما ترى في عرق اللؤلوء واجنحة الفراش وريش الطيور وعضلات الانسان واعصابه واغشيته ونحو ذلك من المكونات الحية وكلها تحلُّ النور وتعكسهُ على هذه الصورة ولم يعلم قبلاً كيف تكوّنت كذلك فعلم امرها الان وعرف سببها وهو انتشار المذوبات وتكوُّن الخطوط منها

ومسير العلم الآن الى تعليل الفواعل الحيوية بعللها الطبيعية . وكل يوم تكشف امور جديدة تدلُّ على وحدة الخلق ووحدة القوى ولكن هل يكشف سرُّ الحياة اخيراً او لا يكشف هذه مسألة المستقبل كفيل بحلها

وهب ان الانسان عرف كيف يصنع الفراشة الحية من المواد التي تتركب منها فيكون ذلك من قبيل صنعهِ السكر من المواد التي يتكون منها وصنعهِ الماء من العنصرين اللذين يتكون منهما . وغاية ما في صنع الفراشة انهُ اصعب جدًّا من صنع السكر لكثرة العناصر الداخلة في تركيبها وتنوُّع الحويصلات والاعضاء التي يتركب جسمها منها واتصافها بصفات تولدت فيها بالانتخاب الطبيعي والجنسي بعد الوف والوف الوف من السنين حتى يصح لنا ان نقول انهُ يتعذر تكوينها ما لم تمرَّ على الاطوار التي مرَّت عليها اسلافها وما لم يمرَّ عليها من الزمن ما يكفي لذلك . ولكن اذا تعذَّر عمل الفراشة فقد لا يتعذر عمل الحويصلات الحية او الميكروبات المؤلفة من حويصلة واحدة او الاحياء التي لا تزال في ابسط تراكيبها ولا تكاد تمتاز عن الحويصلات الكيماوية المشار اليها آنفًا . وقد يختصر الانسان الطرق لتكوين الحويصلات الحية وما يتركب منها كما اختصر في تركيب كثير من المواد الكيماوية مثل نيترات الصودا . ولكن هل يستتبُّ لهُ بعد ذلك ان يصنع الاحياء المرتقية التي اقتضى تكونها ووصولها الى حالها الحاضرة الوف من القرون وعمرهُ محدود واقامتهُ على هذه الارض لا تدوم الأَ سنين قليلة . هذه مسألة جوابها بديهي وهو ان عمر الانسان وعمر نسلهِ مهما طال في الارض لا يكفي لشيء من ذلك فيبقى خلق المخلوقات العليا في يد خالقها او يد النواميس الطبيعية التي سنها لها

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

السَّل · المُكَأْفَة · كاسر العظام · الفِينَة (يونانيتها Pheno)

Gypaetus barbatus. E. Bearded vulture or ossifrage. F. Phene ou vautour barbu.

طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب يحمل كل عظم فيهِ مخ حتى اذا كان في كبد السماء ارسلهُ على صخرة فينكسر فيهبط فيأكل مخهُ ولذلك سمي كاسر العظام بالعربية واللاتينية وهو يرس بالعبرانية اي الكاسر يقابلها مادة فرس بالعربية · ويعرف هذا الطائر في السودان بابي ذقن (barbatus) لان لهُ ما يشبه اللحية

اما لفظة الفينة فهي الفيئة في ما وقفت عليهِ من كتب اللغة ويظهر ان الدميري قرأها الفينة واظنهُ مصيب في ذلك قال « الفينة طائر يشبه العقاب اذا خاف البرد انحدر الى اليمن قالهُ ابن سيده والفينات الساعات يقال لقيتهُ الفينة بعد الفينة فكأَن هذا الطائر لما كان في حينٍ ينحدر الى اليمن وفي حينٍ آخر يذهب عنها سمي باسم الزمان » · وفي المخصص لابن سيده « الفيئة طائر يشبه العقاب فاذا خاف البرد انحدر الى اليمن وهو من الفيء اي الرجوع » · فتجد ان الدميري نقل القسم الاول من عبارتهِ عن ابن سيده وخالفهُ في قراءة اللفظة واشتقاقها وعندي انهُ مصيب في القراءة ولعل اللفظة يونانية وقد وردت في اوذيسية هوميروس وكتاب النعوت لارسطو وغيرها وقيل ان اسخولس الشاعر اليوناني المشهور قتلته فينة وذلك انهُ خرج يوماً حاسر الرأس وكان اصلع فرأَتهُ فينة تحمل سلحفاة كبيرة فالقتها عليهِ ظناً منها ان رأسهُ صخرة ملساء فقتلتهُ · وكثيرون من علماء الافرنج قرأُوا هذه اللفظة فينة في الدميري منهم بوخارت وسافيني وغيرها

وهذا ما جاء في كتاب النعوت لارسطو عن هذا الطائر قال « والعقاب تبيض ثلاث بيضات ينقف منها اثنتان فقط فمتى قوي فرخاها التت واحداً منهما فتعطف عليهِ الفينة وتربيهِ » (كتاب النعوت ٦ : ٦ : ١) · وقال الجاحظ ما نصهُ « زعم صاحب المنطق انهُ ليس شيء في الطير اجفى لفراخه من العقاب وانهُ لا بد من ان يخرج واحداً وربما طردهن جميعاً حتى يجيء طائر يسمى كاسر العظاء فيتكفل بهِ » · وقال الدميري وهو بلا ريب ترجمة كلام ارسطو

ايضاً « والعقاب تبيض ثلاث بيضات في الغالب وتحضنها ثلاثين يوماً .... فاذا خرجت فراخ العقاب القت واحداً منها لانهُ يثقل عليها طعم الثلاث وذلك لقلة صبرها والفرخ الذي تلقيهِ يعطف عليهِ طائر آخر يسمى كاسر العظام ويسمى المكلّفة فيربيهِ » . وقال عن المكلّفة ما يأتي « المكلّفة طائر قال الجاحظ لما كانت العقاب سيئة الخلق تبيض ثلاث بيضات فتخرج فراخها فتلقي واحداً منها فيأخذهُ هذا الطائر الذي يتكلف بهِ قيل لهُ المكلّفة ويسمى كاسر العظام فيربيهِ »

وفي المخصص لابن سيده « السنل طائر مثل النسر عظيم يضرب الى السواد يحمل عظم الفخذ من البعير او الساق اوكل عظمٍ فيهِ مخ حتى اذا كان في كبد السماء ارسلهُ على صفًا او صخرةٍ فينكسر فيهبط فيأكل مخهُ »

فيظهر مما تقدم ان الفينة والسنل والمكلفة وكاسر العظام اسماء لهذا الطائر المسمى Phene عند اليونان و Ossifragus عند الرومان Gypaetus barbatus عند علماء الحيوان كما يتضح من وصفهِ في موءلفاتهم

قلت ان هذا الطائر يسمى پرس بالعبرانية وقد ورد ذكرهُ في التوراة وهو الانوق في الترجمة العربية ولا يخفى ان الانوق طائر آخر سيأتي ذكرهُ واري ان ترجمة اللفظة العبرانية بكاسر العظام او السنل اقرب الى الصواب

﴿ الرَخَمَة . الأَنُوق ﴾ Neophron percnopterus. E. Egyptian vulture or Pharoah's hen. F. Percnoptère ou poule de Pharaon.

طائر ابقع اصلع الرأس اصفر المنقار وهو في عرف علماء الحيوان نوع من النسور والعامة في الشام تسميهِ الشوحة . اما في المغرب ومصر والسودان وبلاد العرب فيعرف بالرخمة الى هذا اليوم

وفي دائرة المعارف العربية الرخمة طائر آخر يعرف بالحوصل او جمل الماء Pelican ولعل ذلك مأخوذ عن مقالة للمرحوم الدكتور زلزل في السنة الثانية من المقتطف صفحة ٥٨ . والذي اراهُ ان وصف الرخمة في كتب اللغة وغيرها ينطبق على وصف الطائر المعروف بهذا الاسم في وقتنا الحاضر كما ذكر بروس وسافيني وترسترام وغيرهم من السياح والعلماء الذين سمعوا هذه اللفظة من العرب وهي الترجمة المعوَّل عليها عند المستشرقين وعلماء التوراة . ويسمى هذا الطائر راحام بالعبرانية ويظن ان الاسم العربي والعبراني من مادة رحم او رخم وسميت الرخمة بذلك

للينها او عطفها على اولادها ومن هذه المادة اشتقت الفاظ كثيرة ترجع كلها الى العطف او اللين او الحنو الوالدي كالرحمة والرحم والرخامة والترخيم ورخمت الدجاجة اي حضنت بيضها والفاظ كثيرة غيرها كما يتضح من مراجعة باب رحم ورخم في كتب اللغة · وذكر بروس نقلاً عن هورس افلُّون ان الرخمة كانت رمز الحنو الوالدي عند قدماء المصريين ولا يخلو هذا الرأي من الصحة فالعرب كان عندهم شيء من هذا فقد جاء في الدميري في باب الأنوق ان في اخلاق الرخمة اربع خصال تحضن بيضها وتحمي فرخها وتألف ولدها ولا تمكن من نفسها غير زوجها · وقيل ان الرخمة سميت بذلك للونها تشبيهاً لها بالشاة الرخماء وهي التي ابيض رأسها وعنقها واسود سائرها [1]

اما وصف الرخمة في كتب اللغة فينطبق على وصف الطائر المعروف بالشوحة في الشام فالرخم في محيط المحيط « طائر ابقع يشبه النسر في الخلقة و يقال له الأخوق (صوابها الأنوق) يختار لبيضهِ اطراف الجبال الشاهقة ومواضع الصدوع وخلال الصخور ليعسر الوصول اليهِ والعامة تسميهِ الشوح » · وفي المخصص « الرخمة طائرة ضخمة بيضاء تأكل الجيف ولا تصطاد ويقال لها الانوق · · · وربما خالط لونها الاختماس يعني النقط الصغار لا ترى والرخمة بعظم العقاب ولا تبيت الأ في ارفع موضع تقدر عليهِ · · · ولا يرى بيض الانوق الأ في شق جبل او رأس عضاهة [2] لا يقدر عليهِ » · ففي بعض كتب اللغة الرخمة طائر ابقع وفي غيرها طائر ابيض ربما خالط لونهُ الاختماس وكلاهما صواب لان الرخمة قبل بلوغها يضرب لونها الى السواد ثم تبيض شيئاً فشيئاً

الدكتور
امين المعلوف

---

(١) كذا ورد وصف الشاة الرخماء في كتب اللغة وذكر بروس في رحلتهِ ان الشاة الرخماء في اليمن ما اسود رأسها وعنقها وابيض سائرها وهي الدرعاء في كتب اللغة وهذه الغنم نراها احياناً في اسواق مصر و يسمونها الغنم اليمنية وقد رأيتها مراراً ولا اقدر ان اتذكر هل هي كما قال بروس او عكس ذلك

(٢) العضاه كل شجر يعظم ولهُ شوك واكثر العضاه المعروفة عند العرب من جنس الاقاقيا Acacia كالسنط والسلم والسمر والطلح والسيال وهذه الاسماء معروفة في السودان الى يومنا كما جاء عنها في كتب اللغة · ومن العضاه ايضاً الاراك Salvadora لكنهُ ليس من الاقاقيا

المخلوقات الناقصة الاعضاء

(من كتاب تحت الطبع ترجمة وعلق حواشية حضرة الكاتب المجيد الياس افندي غضبان)

يتناول هذا القسم المخلوقات الناقصة الاعضاء وهي نظير المخلوق ذي العين الواحدة الذي يدعونهُ بالسيكلوب . والمخلوق ذي الساق الواحدة . والاجم منذ مولده اي بدون ساقين . او الاقطع الطبيعي وهو المولود بذراع واحدة او الاقطع الذراعين . و بالاجمال جميع المخلوقات التي تولد فاقدةً عضواً وحداً او اكثر من عضو

اما ذو العين الواحدة او ذو الساق الواحدة ومن يولد على شاكلتهما فهؤلاء ينقص فيهم على الغالب ذلك العضو باختلاط العضوين وتمثلهما في عضو واحد . و يتم سبك هذين الجزئين بتداخل العضوين في بعضهما بعضاً وامتزاجهما معاً حتى لا يعودا يمثلان الاَّ عضواً واحداً . اما العالم بفن التشريح فانهُ مع ذلك يكتشف دائماً في وسط العضو الممثل على هذه الكيفية الخط الذي كان يفصل بين ذينك العضوين

اما اصحاب العين الواحدة او الساق الواحد الذين عاشوا بعد مولدهم فهؤلاء قليلون جدًّا و يعدونهم من النوادر . . وان الشواهد التي يذكرونها عنهم هي على الغالب شواهد قصصية لا يمكن ان يعول عليها . الاَّ ان احد آباء الكنيسة الصادق الرواية يؤكد انهُ تحدَّث مع اناسٍ كان جسمهم قائماً على ساقٍ واحدة نظيرما يركزون هيكل شخصٍ فوق عامودٍ . وانهُ فضلاً عن منزلة الراوي العالية بين اصحاب التآليف مع ذلك ان المسألة خارقة الطبيعة يجوز للمطالع ان يشك بامرها ولا يحتم بتصديقها (١)

(انظر الرسمين التاليين) تشاهد صورة هولتين تمثل احداهما صورة انسان لهُ بعض التناسب بشكل الاسد وتمثل الاخرى رجلاً بذنب او ان عظم عصعصهِ طويلٌ هو اشبه بالذنب

ويحتوي المؤلف الجليل في علم التشريح وطبائع العلل للاستاذ كروفيليه على جملة رسوم هولٍ بشرية على شاكلة ذوات الاربع تحتفظ اعضاؤها بالشكل الانساني و يختص باقي الجسم

(١) قال في المحكم النسناس هو خلق في صورة الناس مشتق منهم لضعف خلقهم – وقال في الصحاح هو جنس من الخلق يثب احدهم على رجل واحدة – وذكر المسعودي في مروج الذهب انهُ حيوان كالانسان لهُ عين واحدة يخرج من الماء ويتكلم ومتى ظفر بالانسان قتلهُ – وذكر القزويني كما سبق عن الشافعي ان امرأة من قرى بلخ ولدت شخصاً لهُ نصف بدن ونصف راس ويد واحدة ورجل واحدة على صورة النسناس الذي يوجد في غياض الشحر باليمن

بشكل البهيمة[١] . واننا نختم هذا القسم في الهول الناقصي الخلقة وذلك بان نورد لمحةً من تاريخ لويس بن سيزار بن يوسف ديكورني وهو المولود في مدينة ليل من اعمال فرنسا في ١٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٨٠٦ وهو الذي كان طولهُ ثلاث اقدامٍ وثمان عقد . وكان رأسهُ وصدرهُ حسني التركيب معتدلي الحجم . وفي عمودهِ الفقاري بعض ميل طفيف الى الجانب الايمن . ولم يكن لهُ ذراعان بالكلية . اما اعضاؤُهُ السفلى فكانت مكوَّنة من



ساقين قصيرتين للغاية كانتا عند مولدهِ مفككتين ومخلوعتين من وركيهما لكنهما ثبتتا فيما بعد في مركزيهما من تلقاء ذاتهما وفقدتا جانباً كبيراً من حركتهما الطبيعية . اما الرجلان فكانتا حسنتي التركيب وكان الفرق بين الابهام والاصبع الذي يليهِ اوسع من الحالة الاعتيادية

(١) ذكر صاحب عجائب المخلوقات انهُ في جزيرة اطوران قوم على هيئة الانسان ورؤُوسهم كرؤُوس السباع فلما دنت منهم مراكب الاسكندر غابوا عن ابصارهم

وبالنظر الى التمرين اليومي الذي كان يمرن فيهِ رجليهِ على تناول الاشياء والقبض عليها قد توصل الى نتيجةٍ حسنة وذلك باعتمادهِ على رجليهِ في مقام يديهِ

كان لديكورني منذ نعومة اظفارهِ ميلٌ فطريٌّ للرسم والتصوير. بحيث انهُ كان يقبض برجلهِ على الاقلام الملونة فيبريها ببراعةٍ فائقة ويبتدئ بان يرسم بها. واتفق ان استاذ التصوير في مدرسة ليل المدعو واتو ابصرهُ مجتهداً في الرسم وتحقق ما عندهُ من الميل لفن التصوير فاحب ان يعتني بامرهِ ويعطيهُ بعض امثولاتٍ في هذا الفن . فنجح نجاحاً باهراً ونال في مدة بضع سنوات اول جائزةٍ سنوية تعطى في هذا الفن في مدينة ليل

ثم انهُ عقيب ذلك شخص الى باريس ليزداد تثقفاً في صنعتهِ وكان لهُ ذلك اذ نالت مصنوعاتهُ حظاً وافراً ومقاماً رفيعاً في معرض باريس واحرز عليها جملة اوسمةٍ وحق له ان يعرضها مع مصنوعات المصورين البارعين في ذلك العصر . وفي سنة ١٨٣٢ اوصتهُ الحكومة ان يصور رسم الملك ليوضع في دار حكومة ليل . وفي السنة التالية اوعزت اليهِ ان يرسم نظيرهُ لدار حكومة سيسترون . ولقد اشتغل ثلاث سنين متوالية في تصوير مريم المجدلية منطرحةً على اقدام السيد المسيح بعد بعثهِ من الاموات . ولما اتمَّ تصويرها واحكم اتقانها عرضها للبيع فاشتراها منهُ وزير الداخلية بثمن وافر

كان تركيب رأس ديكورني هائلاً فكانت جبهتهُ عالية جدًّا وعيناهُ حادتي البصر . وحديثهُ رقيقاً يتفنن بهِ نظير الاذكياء ذوي الشعور الصحيح وارباب الفنون السامية . وقد تمت لهُ الشهرة خصوصاً في فنّ التصوير الذي عظم سمعتهُ وزاد في تعارف الناس بهِ . وكانت والدتهُ تحبهُ كثيراً وتعتني بامرهِ وتسهر على حراستهِ منذ مولدهِ وتضمهُ الى صدرها كأنهُ من الاولاد المكملي التركيب البديعي المنظر . فلما شبَّ وبلغ اشدهُ اخذ يقابل تلك الوالدة الشفوقة بما في وسعهِ من الشكر والارضاء . وكان يعولها مما يكسبهُ (من كد رجليهِ لا من كد يديهِ) فكان انعطافهُ هذا البنوي نحو تلك الام المسكينة مما يخفف من بلواها ويجعلها في غبطةٍ من العيش وفي اسمى مراقي السعادة

كان يشاهد من بضع سنواتٍ في ميادين باريس العمومية ومفارق طرقها رجلٌ اقطع الذراعين منذ مولدهِ يعمل برجليهِ اعمالاً مختلفة الاشكال وبغاية الاهمية يدهش بها المارين ويستلفت انظارهم . وقد اتخذ ذلك وسيلةً يرتزق بها ويستمطر اكف مشاهديهِ فانهُ كان يقبض باحدى رجليهِ على ريشة اوزةٍ ويتناول بالاخرى سكيناً يبري بهِ الريشة ثم يأخذ قرطاساً ويكتب بهِ بغاية الضبط والاتقان . وهو يتفنن في الكتابة فيرسم جملة اشكالٍ خطية

يعسر على اكبر خطاط ان يأتي بمثلها . وكذلك كان يأخذ ابرةً ويدخل فيها خيطًا بمنتهى السرعة ويخيط خياطةً متقنةً نظير امهر الخياطات . ثم يتناول برجليهِ غدارةً فيحشوها بالذخيرة ويطلقها في الفضاء . وكان يقدح بزنادهِ فيشعل بهِ غليونهُ ويتلهى بالتدخين . ويأخذ لولبًا ينزع بهِ سدادة زجاجةٍ من المشروب ويفرغها في كأس ويشربها على نخب مشاهديهِ الى غير ذلك من الاعمال الدقيقة التي كان يعملها وقد ضربنا عنها صفحًا (١)

فيستنتج مما تقدم ان تلك البراعة المدهشة باستخدام عضوٍ من الاعضاء في اعمالٍ ليست هي من وظائفهِ مما يبرهن على ان التمرين المستديم يبدل بعد زمانٍ طويل حركة ذلك العضو ويغير الشكل المتصف بهِ . ذلك ان ابهامي هذا المسكين الناقصِ التركيب كانا اطول بكثير واشد ليونةً منها في طبيعتهما الاعتيادية بحيث كان هذا التكيف المكتسب بالتمرين سببًا لاتخاذ الرجلين في مقام الذراعين اللتين افقدتهُ اياها الطبيعة

ارمينية والارمن

يودُّ كثيرون من العثمانيين ان يعرفوا موقع ارمينية وتاريخها وعدد سكانها من الارمن ومن غيرهم . فاقتطفنا هذه المقالة مما كتبهُ بعضهم حديثًا في هذا الموضوع كالسر تشارلس ولسن والمستر تشارلس نسبت ومحرر كتاب السياسة لسنة ١٩٠٩ وغيرهم من الثقات

كانت ارمينية مملكةً مستقلة وعُرفت بهذا الاسم في زمن داريوس المادي قبل المسيح بخمس مئة سنة وتقلبت عليها الاحوال قبل ذلك وبعدهُ فكانت تستقلُّ تارةً وتخضع لغيرها اخرى كما سيجيء . اما تاريخها قبل داريوس فيوصلهُ الارمن الى الفي سنة قبل المسيح

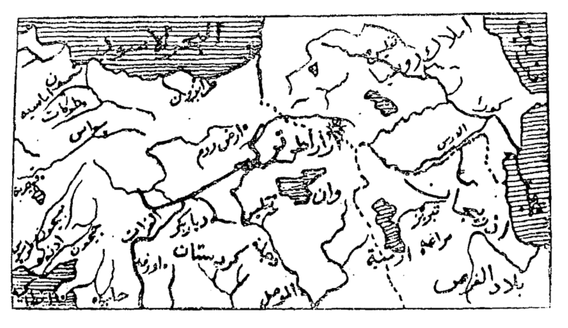
وهي بلاد جبلية في اعالي وادي دجلة والفرات والارس وكورا طولها نحو ٦٠٠ ميل وعرضها نحو ٤٠٠ ميل فتكاد مساحتها تماثل مساحة بلاد فرنسا . واكثرها جبال تعلو عن سطح البحر ٨٠٠٠ الى ١٢٠٠٠ قدم وفيها جبل اراراط الذي يقال ان سفينة نوح استقرت

---

(١) ولا بد من ان نذكر بعض اهالي القاهرة الفتاة الحلبية التي قدمت الى هذه العاصمة من مدة اربع سنوات وعرضت نفسها في جهة روض الفرج ليشاهدها الناس . فكانت يداها في نهاية القصر لم تكن لها سوى قطعة من ذراع بغير عضد ولا مرفق ولها اصابع غير كاملة العدد ولا الحجم . وكانت تستخدم رجليها في الخياطة والكنس وغسل الثياب وغير ذلك . وتتناول بها آلات الطعام من الملعقة والشوكة وتأكل بها وتأخذ فنجان القهوة وكوب الماء لتشربهُ كذلك

عليه وعلوهُ نحو ١٧٠٠٠ قدم وفيها سهول عالية يبلغ ارتفاع بعضها عن سطح البحر ٦٠٠٠ قدم . واودية واسعة بين جبالها تجري فيها الانهار فترويها قبلما تضيق مجاريها . وفيها بحيرتان كبيرتان بحيرة وان وبحيرة ارمية ومياههما ملحة وثلاث بحيرات صغيرة . والاودية واسعة شديدة الخصب والجبال قليلة الشجر ولكنها مغطاة بالنبات

ويشتدُّ البرد شتاء والحر صيفاً في الجهات الشمالية الشرقية فتختلف درجة الحرارة بين ٢٢ تحت الصفر بميزان فارنهيت و ٨٤ فوق الصفر وهو اختلاف كبير جدًّا ولكن الصيف قصير جافٌ واما الجهات الجنوبية الغربية فحرها معتدل وبردها معتدل



بلاد ارمينية باقسامها الثلاثة

والبلاد كثيرة المعادن من الفضة والرصاص والحديد والزرنيخ وينبت فيها كل نباتات المنطقة المعتدلة والباردة كالكرم والقمح والارز والقطن . ومراعيها واسعة تسوّم فيها قطعان الاكراد وانعامهم ويكثر السمك في انهارها وبحيراتها

وكان القدماء يقسمونها الى ارمينية الكبرى وهي تشمل نصفها الشرقي وارمينية الصغرى وهي ما وقع منها غربي الفرات

وهي مقسومة الآن الى ثلاثة اقسام قسم للفرس وهو بلاد اذربيجان وعدد سكانه نحو مليون نفس الارمن منهم نحو ١٥٠ الفًا وعاصمتهُ مدينة تبريز وعدد سكانها نحو ٢٠٠ الف نفس وقسم للروس وهو يشمل ولايات اروان واليصاباتبول والقارص وجانب من تفليس وعدد

سكانهِ نحو ثلاثة ملايين نفس وعدد الارمن فيهِ وفي سائر بلاد الروس مليون و ١٧٣ الفاً

وقسم لتركيا وهو الاكبر ويشمل ارمينية الصغرى وجانباً من ارمينية الكبرى اي ارض روم وديار بكر وبتليس ووان وخربوط وسواس وحلب وادنه وطرابزون

وعدد الارمن في هذه الولايات نحو مليون نفس وعدد سائر المسيحيين نحو ٦٤٥ الفاً وعدد اليهود ١٠٠ الف نفس وعدد المسلمين نحو اربعة ملايين ونصف . ولا يزيد الارمن على غيرهم من السكان الاَّ في سبعة اقضية من ١٥٩ قضاء . واكثرهم في ارض روم ووان وبتليس وخربوط وديار بكر . وسكان هذه الولايات ٢٦٤٢٠٠٠ والارمن فيها ٦٣٣٢٥٠ او نحو ٢٤ في المئة وسائر المسيحيين ١٧٩٨٧٥ او نحو ٧ في المئة والمسلمون ١٨٢٨٨٧٥ او نحو ٦٩ في المئة . والاقضية السبعة المشار اليها آنفاً عدد سكانها ٢٨٣٣٧٥ والارمن منهم ١٨٤٨٧٥ اي ٦٥ في المئة والمسلمون ٩٦٥٠٠ اي نحو ٣٥ في المئة

فالارمن قلال في كل الولايات العثمانية بالنسبة الى غيرهم من السكان ولا يزيدون على غيرهم الاَّ في بعض الاقضية القليلة السكان كما تقدم

وعدد الارمن في كل المسكونة نحو ثلاثة ملايين نفس ففي الولايات الارمنية العثمانية نحو مليون نفس وفي غيرها من الولايات العثمانية نحو نصف مليون وفي روسيا اكثر من مليون وفي بلاد الفرس نحو ١٥٠ الفاً وفي سائر البلدان نحو ٢٥٠ الفاً . فلا يحلم عاقل انهُ يمكن جمعهم من كل اقطار المسكونة وارجاعهم الى بلادهم وطرد سائر السكان منها لترجع ارمينية مملكة مستقلة كما كانت في سالف عهدها . ولا نظن ان عقلاء الارمن يفكرون في ذلك على الاطلاق لانهُ ضرب من المحال

وتاريخ ارمينية مرتبط بجغرافيتها الطبيعية فان انفصال اوديتها عن سائر البلدان ولاسيما في فصل الشتاء سهَّل على سكانها الخروج عن طاعة الملوك الذين كانت خاضعة لهم ولاسيما اذا كانوا ضعافاً . ووعورة جبالها عوَّدت رجالها الشدَّة وغرست في نفوسهم الانفة شأن كل سكان الجبال المنيعة

ولكن ارمينية وسط بين الشرق والغرب فيمر فيها الغازون شرَّقوا او غرَّبوا . لاسيما وان منها يوصل الى مروج اسيا الصغرى محط رحال غزاة المشرق من قديم الزمان . وكان اسمها قديماً بياناس وكانت عاصمتها ذسباس وهي مدينة وان . وقد وجدت فيها آثار ملوكها الاقدمين واول ملك منهم سردورس وكان قبل المسيح بنحو ٨٣٣ سنة وكتابات منقوشة بالقلم المسماري بلغة لاسامية ولا آرية . وتلاه ملوك تغلبوا على الاشوريين والحثيين ثم تغلَّب عليهم تغلث

فلاسر ملك اشور سنة ٧٤٣ قبل المسيح و بعد مئة سنة رحل اليها الارمن الآريون من المشرق واقاموا فيها ومن ثمَّ يبتدئ تاريخ الارمن . و بقيت ارمينية في حوزة ملوك مادي وعليها مرازبة من اهلها يتوارثون الولاية خلفًا عن سلف الى ان استولى الاسكندر المكدوني على مملكة داريوس فولّى على ارمينية الولاة من الفرس

ولما دارت الدائرة على الملك انطيوخس الكبير سنة ١٩٠ كان على ارمينية الكبرى والٍ اسمهُ ارداشس وعلى ارمينية الصغرى والٍ اسمهُ زادريادس فاستقلَّ هذان الواليان وكان ذلك بموافقة رومية وموآزرتها و بنى الاول مدينة ارتكساتا وجعلها عاصمة مملكتهِ . واعظم خلفائهِ فيها الملك تغران الذي كان سنة ٩٤ الى ٥٦ قبل المسيح صهر الملك مثرداتس العظيم . وقد بنى تغران هذا مدينة سماها تغرانوسرتا جعلها مثل بابل ونينوى واسكن فيها اناسًا من اليونان وغيرهم من الاسرى ثم لما لجأ اليهِ حموهُ مثرداتس من وجه الرومانيين نشبت الحرب بينهُ و بينهم فقهروهُ ولكنهم ابقوهُ في بلادهِ خاضعًا لرومية وضربوا عليهِ الجزية

ثم تنازع الفرس والروم على ارمينية الى ان اقتسموها بينهم سنة ٣٨٥ للميلاد وكانت قد تنصرت على يد القديس غريغوريوس المنير فاضطهد مرازبة الفرس الارمن واضطروهم الى العصيان ففشت الثورات في البلاد واستقلَّ امراؤُها باقطاعاتهم الى ان قام هرقل وردَّهم الى مملكة الروم . ثم جاء العرب ودوخوا مملكة الفرس واستولوا على ارمينية واقاموا الولاة عليها منهم ومن الارمن الى زمن الخليفة المعتمد سنة ٨٨٥ (٢٧٢ هـ) فنصَّب عليهم ملكًا منهم وهو بغراتداشود الاول فتوالى الملوك من نسلهِ على ارمينية الى سنة ١٠٧٩ ثم ان الخليفة المقتدر نصَّب كاجيج ارزرونيان ملكًا على وان وذلك سنة ٩٠٨ (٢٩٦) فتوالى الملوك من نسلهِ عليها وعلى سواس الى سنة ١٠٨٠ . وانشأ آل بغراتد دولة في القارص بقيت من سنة ٩٦٢ — ١٠٨٠

وظلت البلاد من ديار بكر الى ملاسجرد تحت سيادة العرب فالروم فالسلاجقة من سنة ٩٨٤ الى سنة ١٠٨٥ . فهجرها كثيرون من الارمن واستوطنوا القسطنطينية وتزوجوا في الروم وانتظموا في جيوشهم واغتصب واحد منهم سرير الملك سنتين وصار اثنان منهم امبراطورين وصار بعضهم من مشاهير القواد . وغزا باسيليوس الثاني ملك الروم ارمينية سنة ٩٩١ وهادنهُ واليها الحسن بن مروان عشر سنين ثم غزاها سنة ١٠٢١ واخذ سواس وانزل فيها الارمن وكان غرضهُ ان يقوي حصون ارمينية كلها و يضع فيها المقاتلة من جنودهِ لكن خلفهُ لم يعبأ بتحصين البلاد بل بردّ اهلها عن بدعتهم الدينية على زعمهِ

وتعاقب الروم والسلاجقة على البلاد يثخنون في اهلها ويجرعونهم غصص المنون الى ان استولى عليها الب ارسلان سنة ١٠٧١ فصارت جزءا من بلاد السلاجقة الى ان تجزأت سنة ١١٥٧ بين العرب والاكراد والسلاجقة ثم جاء المغول سنة ١٢٣٥ فاكتسحوها

وخلاصة ما ذكرهُ ياقوت الحموي في معجم البلدان عن بلاد ارمينية انها كانت في عهدهِ (اوائل القرن السابع) كثيرة الممالك . ونقل عن ابن واضح الاصبهاني انهُ كتب لعدة من ملوكها واطال المقام بارمينية ولم يرَ بلداً اوسع منهُ ولا اكثر عمارةً . وذكر ان عدَّة ممالكها مئة وثمان عشرة مملكة منها مملكة السرير وهي ثمانية عشر الف قرية واران وفيها اربعة آلاف قرية واكثرها لصاحب السرير وسائر الممالك فيما بين ذلك تزيد على اربعة آلاف وتنقص عن مملكة صاحب السرير

قال وسئل بعض علماء الفرس عن الاحرار الذين بارمينية لِمَ سموا بذلك فقال هم الذين كانوا نبلاء بارض ارمينية قبل ان تملكها الفرس فاعتقوهم لما ملكوا واقرُّوهم على ولايتهم فسموا احراراً لشرفهم

وذكر ياقوت مدن ارمينية مدينة مدينة وتاريخها من اول نشأتها الى عهدهِ في اوائل القرن السابع للهجرة فقال في الكلام على تفليس مثلاً انها مدينة قديمة عليها سور عظيم وبها حمامات شديدة الحر لا توقد ولا يستقى لها ماء فانها عيون تنبع من الارض حارة . افتتحها المسلمون في ايام عثمان بن عفان . فان حبيب ان مسلمة سار الى ارمينية فافتتح اكثر مدنها فلما توسطها جاءهُ رسول يسألهُ الصلح واماناً يكتبهُ لهم فكتب لهم اماناً يقول فيهِ «من حبيب بن مسلمة لاهل تفليس بالامان على انفسهم وبيعهم وجوامعهم وصلواتهم ودينهم على الصغار والجزية على كل بيت دينار ولنا نصيحتكم على اعداء الله ورسولهِ ما استطعتم وقرى المسلم المحتاج ليلةً بالمعروف من حلال طعام اهل الكتاب فان اتيتم واقمتم الصلاة فاخواننا في الدين والاَّ فالجزية عليكم وان عرض للمسلمين شغل عنكم فقهركم عدوكم فغير مأخوذين بذلك ولا هو ناقض عهدكم . هذا لكم وهذا عليكم شهد الله وملائكتهُ وكفى بالله شهيداً »

والمرجح عندنا ان الكتاب موضوع وضعهُ احد الكتَّاب للارمن كما وضع غيرهم كتباً مثلهُ زعموا انها كتب امان من الصدر الاول . ولكن ذكر ياقوت لهُ في صدر القرن السابع للهجرة يدلُّ على قدمهِ وعلى ان الارمن كانوا في ذلك العهد يطالبون ملوك المسلمين ببرهم

ثم قال ياقوت ان تفليس بقيت بايدي المسلمين واسلم اهلها الى ان خرج في سنة ٥١٥ هجرية من الجبال المجاورة لتفليس جيل من النصارى يقال لهُ الكُرج في جمع وافر واغاروا على

ما يجاورهم من بلاد الاسلام وكان الولاة منها قبل الملوك السلجوقية قد استضعفوا لما تواتر شايهم من اختلاف ملوكهم وطلب كل واحد الملك لنفسهِ فواقع الكرج ولاة ارمينية وقائع كان اخرها ان استظهر الكرج وهزموا المسلمين ونزلوا على تفليس فحاصروها حتى ملكوها عنوة واستقروا بها واجملوا السيرة مع اهلها وجعلوهم رعية لهم ولم تزل الكرج كذلك وولاة الامر مشتغلون عنهم بشرب الخمور وارتكاب الفجور حتى قصدهم جلال الدين منبركي بن خوارزم شاه في شهور سنة ٦٢٣ وملك تفليس وقتل الكرج كل مقتلة وجرت لهُ معهم وقائع كان ينتصر عليهم في جميعها ورتب فيها واليًا وعسكرًا ·ثم اساء الوالي السيرة في اهلها فاستدعوا مَن بقي من الكرج وسلموا اليهم البلد وخرج عنهُ الخوارزمية هاربين الى صاحبهم وخاف الكرج ان يعاودهم خوارزم شاه فلا يكون لهم بهِ طاقة فاحرقوا البلد وذلك سنة ٦٢٤ وانصرفوا فهذا آخر ما عرفت من خبرهِ

وقال في الكلام على ارض روم (واسمها فيهِ ارزن الروم) انها بلدة من ارمينية اهلها ارمن ولها سلطان مستقلٌ بها مقيم فيها وولاة ونواحٍ واسعة كثيرة الخيرات واحسان صاحبها الى رعيتهِ بالعدل فيهم ظاهر

وقال في الكلام على خلاط هي من فتوح عياض بن غنم سار من الجزيرة اليها فصالحهُ بطريقها على الجزية ومال يؤديهِ · وهي قصبة ارمينية الوسطى فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيرة وببردها في الشتاء يضرب المثل ولها البحيرة التي ليس لها في الدنيا نظير (بحيرة وان) يجلب منها السمك المعروف بالطريخ الى سائر البلاد ولقد رأيت منهُ ببلخ وبلغني انهُ يكون بغزنة وبين الموضعين مسيرة اربعة اشهر وهي من عجائب الدنيا · قال ابن الكلبي من عجائب الدنيا بحيرة خلاط فانها عشرة اشهر لا يكون فيها ضفدع ولا سرطان ولا سمكة ثم يظهر بها السمك مدة شهرين في كل سنة · انتهى

وهكذا كلامهُ على سائر مدن ارمينية فان بعضها كان عامرًا في زمانهِ وبعضها كان خرابًا وكان في بعضها ملوك مستقلون

وساءت حال ارمينية في عهد السلاجقة لانها صارت سكة للقبائل الرحل تمرُّ بها ذاهبة الى مروج اسيا الصغرى فخربت وهجرها اهل الزراعة ثم تمَّ خرابها على يد تيمورلنك واضطر جمهور كبير من الارمن حينئذٍ الى سكن الجبال العالية والدخول في ذمة الاكراد · وهاجر البعض الى كبدوكية وكليكية في اسيا الصغرى حيث اقام بغراتد روبن سنة ١٠٨٠ واسس امارة صغيرة صارت بعدُ ذلك مملكة ارمينية الصغرى وبقيت مستقلة ٣٠٠ سنة وقد عاونت

الصليبيين في زحفهم على فلسطين وبقيت في عزتها الى ان حاول صاحبها ان يغير معتقد اهلها ويضمهم الى الكنيسة الرومانية فانقسموا في ما بينهم وضعف شأنهم فغزاهم سلطان مصر واستولى على بلادهم وجعل سيس وطرسوس وادنه واياس ولاية واحدة واقرَّ عليها الامير موسى بن سنهري وكان ذلك سنة ١٣٧٥ للميلاد (٧٧٧ للهجرة) ثم جاء تيمورلنك كما تقدم وخرب البلاد لكن خلفاءهُ احسنوا سياسة الرعية فعاد رئيس الارمن (الكاثوليكس) الى اشمزين سنة ١٤٤١ بعد ان اضطرَّ ان ينتقل منها في زمن السلاجقة الى سواس ثم الى ارمينية الصغرى

واستولى السلطان سليم على ارمينية سنة ١٥١٤ كما ذكرنا في تاريخهِ وسلَّم ادارتها الى ادريس المؤرخ وهو كردي من بتليس فقسمها الى سناجق وولى على سهولها رجالاً من الاتراك وعلى جبالها رجالاً من اهلها فصلحت حالها وقوي شأن الاكراد فيها

واجتاح الفرس ارمينية سنة ١٥٧٥ وغزاها الشاه عباس سنة ١٦٠٤ ونقل الوفًا من الارمن الى عاصمتهِ اصفهان وكان قد مصَّرها جديداً . واستولى الفرس على اروان سنة ١٦٣٩ وبقيت في حوزتهم الى سنة ١٨٢٨ حينما انتقلت الى الروس . ثم اخذت روسيا باطوم واردهان والقارص على اثر حربها الاخيرة مع تركيا . وظلَّ امراء الاكراد كالمستقلين في ارمينية الى سنة ١٨٣٨ فضعفت شوكتهم حينئذٍ وقاموا لاستردادها سنة ١٨٤٣ بقيادة بدرخان بك وسنة ١٨٨٠ بقيادة الشيخ عبدالله الكردي ولكن الدولة العلية ارغمتهم على الطاعة

ولما جلس السلطان عبد الحميد على تخت الملك كان حال الارمن اصلح مما كان في عهد اسلافهِ من آل عثمان ووعدت الدولة في عهدة سان ستفانو ان تصلح حال سكان ارمينية وتمنع عنهم جور الاكراد والشراكسة واعادت هذا الوعد في عهدة برلين . ثم جاء الاتفاق على قبرص بين الدولة العلية وانكلترا وفيهِ وعدت الدولة بادخال الاصلاحات اللازمة لحماية المسيحيين وغيرهم من رعاياها في ولايات اسيا الصغرى ولم يذكر الارمن صريحًا في هذا الاتفاق لكنهم فهموا ان انكلترا تعهدت بحمايتهم او بحمل الدولة العلية على الاعتناء بهم بنوع خاص فذلك واهمال روسيا امرهم جرَّا عليهم المحن كما سيجيء

السلطان عبد الحميد

(تابع ما قبله)

(١) عبد الحميد في حداثته

عاد الاستاذ فمبيري الى الكلام عن السلطان عبد الحميد وهو اعرف الاوربيين بهِ فنشر عنهُ مقالة مسهبة في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قال فيها التقيت بهِ اول مرة وهو فتىً في السادسة عشرة من عمرهِ وكنت اعلّم اختهُ السلطانة فاطمة اللغة الفرنسوية وكان اسمهُ حينئذٍ حميد افندي وكان كثير التردد على سراي زوجها راغب باشا بن رشيد باشا ولذلك لا ازال اتذكرهُ جليًّا من ذلك الحين فقد كان نحيفًا اصفر الوجه وكان يضع يدهُ على ركبتي وينظر في وجهي بعينيهِ السوداوين وكأنهُ كان يود ان يلتقط كل كلمة فرنسوية اتلفظ بها ولكني لم اعرف اطوارهُ الاَّ بعد حين فقد بلغني عنهُ انهُ كان يتصرَّف حينئذٍ تصرف الجواسيس

وكان في حداثتهِ مكروهًا لا يحب احداً ولا يحبهُ احد يهمل دروسهُ ويفضل عليها الجولان في منازل الحريم والوقوف على ما يقال فيها من النمائم وما يجري من الدسائس فصار ذهنهُ مخزنًا لكل انواع التخرُّصات والوشايات ولذلك قرَّبتهُ والدة السلطان عبد العزيز اليها وهي مشهورة بتعصبها واعتقادها بالسحر فمال من ذلك الحين الى الاعتقاد بالسحر والتنجيم وكل ما هو خارق الطبيعة وكان لاعتقادهِ هذا شأن كبير في تدبير امور السلطنة وهو مما كان يدهش الاوربيين لانهم لا يعلمون سببهُ

ولجهلهِ العلوم كان يكرهها فبقي غير عارف حتى بلسانهِ التركي وكنت اذا حدثتهُ واستعملت عبارة بليغة يوقفني ويقول لي لم افهم هذه العبارة الفصيحة كلمني باللغة العامية . وغنيٌّ عن البيان انهُ كان يجهل التاريخ والجغرافية وكل العلوم والفنون ولكنه كان بارعًا بركوب الخيل وكان يسهل عليهِ ان يذلل اشد الخيل جموحًا واصعبها مراسًا حتى بعد ان ضعف جسمهُ

ولما رأى ابوهُ انهُ لا يعنى بغير الركب والصيد والاصغاء الى قصص النساء لم يعد يلتفت اليهِ

وكان من صغرهِ مقتصداً شديد الحرص . كان راتبهُ الشهري الف ليرة فكان ينفق منها على سرايهِ ويقتصد فوفَّر منها سبعين الف ليرة قبل ان رقي الى سدَّة الملك

وامتاز ايضًا من صغرهِ بالحذر وسوء الظن بالناس وكان يحسب دائمًا ان الاعداء يحيطون بهِ من كل جانب وانهم ينصبون لهُ الفخاخ ويدسون الدسائس . فكان يضطرب ويرتعد من

كل صوت يفاجئهُ . وكنت كلما مشيت معهُ في حديقة قصرهِ ورأينا احداً بغتةً ينبغت من رؤيتهِ وينزعج فيزعجني معهُ . وكان يغير مكان منامهِ حتى لا يعلم احد اين ينام وينهض في الصباح قلقاً متعباً مما يشاهدهُ من الاحلام ولا ينتعش الاَّ بعد ان يستحمّ

ولقد عطف عليَّ اكثر مما عطف على غيري من الاوربيين ولم يقيد حريتي في شيء ومع ذلك لم اكن ائتمنهُ لعلمي انهُ لا يثبت على حال واحدة . وقد اراد في اول الامر ان يبقيني في خدمتهِ فاشار الى ذلك ووعدني بالاموال والرتب وكان في الامكان ان يجعلني سفيراً او وزيراً ولكن لما تجلَّى طبعهُ لي لم تبقَ بي رغبة في خدمتهِ وفضلت ان ابقى بعيداً عنهُ واحافظ على ودهِ . انتهى باختصار

هذا ولقد كان الاستاذ فمبيري من اشد الاوربيين مدحاً لعبد الحميد واعجاباً بذكائهِ واهتمامهِ بترقية بلادهِ فكيف تغاضى حينئذٍ عن الاخلاق التي وصفهُ بها الآن . ان من يسكت عن امر يجهلهُ معذور ومن مدح امرءًا بناءً على مدح الناس لهُ او على ما ينسب اليهِ من مكارم الاخلاق معذور ايضاً ولو كان المدح كاذباً والنسبة في غير محلها ولكن ما عذر من يخفي الحقائق قصداً او يلبسها غير لباسها حتى يخدع بها من لا يعلمها . ولقد قام غير فمبيري فكتبوا وكشفوا الغوامض واعلنوا الحقائق مثل جورج دوريس ابن ادوسيدس باشا الذي اشرنا اليهِ في الجزء الماضي ومثل المرحوم ابرهيم بك المويلحي في كتاب «ما هنالك» ولكن مدائح مثل فمبيري وغيرهِ من الكتَّاب الاوربيين الذين لا ينتظر منهم التزلف مثل الكتَّاب العثمانيين اعمت الابصار وغشَّت على البصائر فبقي الناس في حيرة واتهموا بالغرض والعدوان كل من جاهر بالحق . ومرَّت الاعوام والشر يتفاقم حتى كاد يودي بالدولة والامة

ولو انصف الكتَّاب وتمسكوا بعرى الصدق في كل ما يكتبون لزال من هذا العالم نصف ما فيهِ من الشرور والمفاسد ولرأيتَ الناس غير الناس . ولكن ما دام هذا يخفي الحقائق وذاك ينشر الاباطيل تبقى سوق الشرور رائجة ويرتقي الناس من جهة وينحطون من اخرى حتى تمر القرون وهم حيث هم او احط اخلاقاً

وما دام الكتاب العثمانيون قد جرَّبوا هذه الخطة الخرقاء واختبروا ضررها فخليق بهم ان ينكبوا عنها ويجتنبوا كل مدح واطراء ولا يتركوا هفوة لحاكم مهما كانت منزلتهُ الاَّ ذكروها لهُ وعيَّروهُ بها لكي يرجع عنها ويصلح ما افسد . وليعلم الذين يسترون عيوب الحكام ويبدلون ذمهم بالمدح ولومهم بالاطراء انهم يجنون على بلادهم جناية لا تغتفر وليعتبروا بما جرَّ عبد الحميد على بلادهِ لانهُ كان دائماً محفوفاً بالمتزلفين المتملقين الذين يتغنون بمدحهِ وعيونهم ترى سيئاتهِ

(٢) السلطنة في عهده

ذكرنا في الجزء الماضي خلاصة تاريخ السلطان عبد الحميد ونريد الآن ان نذكر خلاصة تاريخ السلطنة العثمانية في عهده الى ان خلع موجزين الكلام ومقتصرين على الامور الرئيسية فنقول

لما ولي عرش الملك اقام في سراي طولمه بغجه ثم لما نشبت الحرب الروسية العثمانية انتقل الى يلدز وهي اكمة تشرف على البسفور وبنى فيها مباني كثيرة واحاطها بسور منيع وبنى سوراً آخر حول البناء الذي يسكنهُ هو وحرمهُ واولادهُ سمكهُ ١٢ قدماً ولهُ ابواب متينة من الحديد واستخدم الوفاً من الخدم والحشم تبلغ رواتبهم ٣٢ الف جنيه في الشهر

وكانت السلطنة حينما تولى في حالة الافلاس والثورة. كانت خزينتها فارغة وديونها متراكمة وقد شق عصا الطاعة اهالي البوسنه والهرسك والبلغار ونادت السرب والجبل الاسود بالحرب على الدولة فأخمدت ثورة السرب بيد من حديد وارتكبت الفظائع في البلغار وصوّرت صور الناس وهم يُمثَّل بهم ونشرت في اوربا فكان لها اسوأ وقع في النفوس. وقام غلادستون ونشر رسالتهُ المشهورة في الفظائع البلغارية فاوجس السلطان خيفة واسند الوزارة الى مدحت باشا واستشارهُ في الامر فقال لهُ لا ينجي السلطنة من الدمار ويسكت اوربا الا الدستور فأُعلن الدستور اول مرة في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ وانتخب النوّاب وابدوا من الحكمة ما جعل محبي البلاد العثمانية يرجون ان الحكومة الدستورية سترفعها الى اعلى ذرى المجد لكن الدستور لم يكن من مذهب السلطان فحل مجلس المبعوثان في ٥ فبراير سنة ١٨٧٧ واوقف العمل بالدستور وعزل مدحت باشا من الوزارة

وتفاقمت الخطوب في البلقان وطلبت روسيا من دول اوربا ان يساعدنها على جعل الباب العالي يصلح الحال وعقد مؤتمر في الاستانة لهذه الغاية اقرّ على امور رفض السلطان العمل بها فاعلنت روسيا الحرب على تركيا في ٢٤ ابريل سنة ١٨٧٧ وكان السلطان يعتقد ان انكلترا تساعدهُ على محاربة روسيا ولقد كانت الحكومة الانكليزية ميالة الى ذلك ولكنها لم تقدم عليهِ خوفاً من شعبها لان رسالة غلادستون كانت قد اثرت فيهِ تأثيراً شديداً

واشتركت رومانيا مع روسيا وطلبت استقلالها ودارت رحى الحرب وكادت الجنود الروسية تبلغ الاستانة بعد معارك تشيب الولدان واعمال تخلد المجد للجنود العثمانية والعار على بعض الذين كانوا يديرون حركاتهم من الاستانة. واخيراً طلبت تركيا الصلح وأُمضيت معاهدة سان ستفانو بين روسيا وتركيا في ٣ مارس سنة ١٨٧٨ فاعترضت عليها انكلترا وطلبت عقد مؤتمر برلين

فأُبدلت بمعاهدة برلين التي أُمضيت في ١٣ يوليو سنة ١٨٧٨ و بموجبها استردَّت روسيا بسارابيا واخذت القارص و باطوم واردهان واستقلت السرب ورومانيا والجبل الاسود وأُعطيت البوسنه والهرسك للنمسا لتحتلها وتدبر شؤُونها وجعل جانب من البلغار امارة ذات استقلال اداري واعطي جانب من تساليا لليونان . و يرجح بعض العارفين ان معاهدة برلين جاءَت اشد وطأَة على تركيا من معاهدة سان ستفانو لانها افقدتها بلاداً مساحتها ١٣٨٠٠٠ ميل وعدد سكانها ١٢ مليونًا من النفوس ولم يبقَ لها من املاكها في اوربا الاَّ ثلث ما كان لها ونصف ما كان فيهِ من السكان

وابتدأَت القلاقل في ارمينية سنة ١٨٨٣ لأَن الارمن كانوا يحسبون ان انكلترا تنظر في اصلاح حالهم حسب معاهدة برلين فلم تفعل وأُخمدت ثورتهم بالعنف . وثار اهالي كريت مما كان يحلُّ بهم من جور الحكام وثقل الضرائب فاخمدت ثورتهم بالعنف ايضًا عوضًا عن النظر في شكاويهم . وثار الارمن سنة ١٨٨٨ وطلبوا استقلالهم فأُخمدت ثورتهم بالقتل والتخريب . وبدت طلائع الثورة في اليمن سنة ١٨٩١ ووقع بسببها النفور بين الباب العالي و بين انكلترا فصادق روسيا ولجأَ بعض الارمن الى اوربا يستنهضون الرأي العام فيها و يعددون عيوب الحكم الحميدي فشدَّد السلطان الوطأَة على بلادهم واثارَ الاكراد عليهم فذبحوهم وخربوا قراهم وتمادوا في الفظائع . وقامت الجرائد الانكليزية تحث دول اوربا على خلع السلطان فخاف وعزم على الهرب من الاستانة واستدعى وزراءهُ يستشيرهم في الامر وامر اليخت عز الدين ان يكون مستعداً ليمضي بهِ الى اودسا فاشار عليهِ احد وزرائهِ ان يستدعي سفير المانيا ويستشيرهُ في الامر . ويقال انهُ ارسل اليهِ عزت العابد وكان لقبهُ عزت بك وبقي مدة غيابهِ يمشي في الغرفة التي كان فيها ذهابًا وايابًا قلق البال مشتت الافكار وقد وضع في جيوبهِ ومنطقتهِ مقداراً وافراً من الاوراق المالية واثمن ما عندهُ من الحلي . ثم عاد عزت بك من عند السفير وقال لهُ ان امبراطور الالمان يعضدهُ ولا يدع احداً يعتدي عليهِ او يوقع بهِ مكروهًا . فلما سمع هذا الكلام ابرقت اسرَّتهُ وتغيرت اطوارهُ وحسبها منةً لعزت عليهِ . و يقال انهُ اضطرَّ ان يرشي الجرائد الاوربية بمئتي الف جنيه لتغضي عن ذكر المذابح الارمنية وان يوزع على عباد الرتب والنياشين ٦٤٠ نيشانًا

وعاد اهالي كريت الى الثورة سنة ١٨٩٦ وانتصرت لهم اليونان في السنة التالية فدارت الدائرة عليها . وقام بعض الفرنسويين يطالبون الدولة بثلاثة ملايين من الجنيهات عن انشاء ارصفة سلانيك وشدَّت الحكومة الفرنسوية ازرهم واحتلت جزيرة متيلين (مدله) واستولت

على جماركها فاستعان السلطان بصديقه امبراطور المانيا فاشار وزير الخارجية الالمانية على سفير تركيا ان توفي الدولة ما يطلب منها · فاوفت جانباً من المطلوب ورهنت دخل الجمارك لايفاء الباقي · ولما استحق القسط الثاني سنة ١٩٠٥ ولم يوفَ ارسلت فرنسا اسطولها ثانية الى جزيرة مثيلين

وتعددت الثورات في مكدونيا وسلانيك ومنستير وادرنه سنة ١٩٠٣ من جور الحكام وقسوتهم وانتهاكهم للحرم فلا الاموال ولا الدماء ولا الاعراض كانت بأمن لحظة واحدة حتى اضطر امبراطور النمسا وقيصر روسيا ان يطلبا تعيين والٍ خاص لمكدونيا تعينه تركيا ومعه مأموران احدهما تعينه النمسا والآخر تعينه روسيا يشاركان الوالي في ادارة شؤون البلاد وتنظيم الجندرمة بادارة قائد ايطالي وضباط ينتخبون من جنود الدول الاوربية · وحسبا ان ذلك يذهب بما يقاسيه السكان من الظلم والقهر · وتردد السلطان في قبول هذا الطلب في اول الامر ثم قبل ان يجرب سنتين ثم طلب ان تطال هذه المدة قبل انقضائها · لكن حال البلاد لم تصلح · ورأت روسيا والنمسا ان احوال تلك البلاد لا تستقيم ما دامت ماليتها في يد تركيا لان جباة الاموال ينهبون الفلاحين و يبتزون اموالهم بكل طريقة فيضطرونهم الى الثورة فطلبت دول اوربا ان تعين مراقباً اوربياً لجمع الاموال الاميرية وان تلك الاموال تنفق في مصالح مكدونيا نفسها · ثم ان الوالي استخف بالمأمورين ولم يعمل برأيهما فاحتجت الدول على ذلك وعزمت ان ترسل اساطيلها فتستولي على بعض الجمارك وتحصر بعض الموانئ وابى امبراطور المانيا ان يشاركها في ذلك · ولما رأى السلطان ان الاساطيل الاوربية اجتمعت في بروس تحت امرة الاميرال ربر النمسوي اسرع الى مذاكرة السفراء لكنه قال لهم انهم ان اجبروه على العمل برأيهم فهو غير مسؤول عما ينتج من ذلك من النتائج الوخيمة في كل الممالك العثمانية كأنه يهددهم بذبح المسيحيين اما هم فلم يعبأوا بهذا التهديد واضطروه الى التسليم بطلبهم ولكن احوال مكدونيا لم تصلح وتفاقمت الخطوب في السلطنة كلها وهو يسكت اوربا بما يعطي من الامتيازات للالمان فتحرك جشع محبي الكسب من سائر الاوربيين حتى يتمثلوا بالالمان فيستفيدوا مثلهم · فلم نكن نرى مقالة لغيور على نوع الانسان يظهر بها معايب الحكم الحميدي ويلوم الدول ذات الشان لتغاضيها عنه حتى نرى مقالات كتاب كثيرين يلومون دولهم لانها لا تحاسن السلطان كما تحاسنه المانيا فتأخذ منه الامتيازات وتعود تجارتها الى الرواج في بلاده

ولما قام احرار العثمانيين يطلبون اصلاح حكومة بلادهم واضطروا ان يهاجروا منها لم يجدوا عضداً في اوربا كلها الا من رجال قلائل حتى علمتهم المحن انه لا يحك جلد الانسان

الأَ ظفره ُ ولكن الامة المرهقة كالامة العثمانية التي اقيم بعضها جواسيس على البعض الاخر وعامتها لا علم ولا ارشاد وقد مزقتها التحزبات الجنسية والدينية لم يكن يرجى لها ان تنهض نهضة فعالة للطالبة بحقوقها المهضومة ولو لم يتفق لبعض الضباط ان اجتمعوا على هذا الغرض الحميد وسعوا اليهِ بمهارة نادرة المثال ولولا جبن عبد الحميد وغيرة رجالهِ من نجاح عزت باشا العابد — لولا ذلك كلهُ لما أُعلن الدستور ولا خلع عبد الحميد

واذا جمع تاريخ عبد الحميد من اول نشأتهِ الى ان تحضره ُ منيته ُ وفصلت اعماله ُ فيهِ كان عبرةً من اكبر عبر الدهر

صادرات الممالك ووارداتها

اوردنا في الجدول التالي قيمة صادرات الممالك الكبيرة ووارداتها في السنتين الماضيتين وهي بملايين الجنيهات الانكليزية

	الصادرات		الواردات	
	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٧	١٩٠٨
بريطانيا العظمى	٤٢٦	٣٧٧	٥٥٤	٥١٣
المانيا	٣٣٧	٣٣٢	٤٣٠	٤٠٩
الولايات المتحدة	٣٩٥	٣٦٠	٢٩٦	٣٣٣
فرنسا	٢٢٤	٢١١	٢٤٩	٢٤٤
النمسا والمجر	١٠٢	٠٩٧	١٠٤	١٠٥
الهند الانكليزية	١٢٣	٠٩٧	٠٨٦	٠٩١
ايطاليا	٠٧٨	٠٧٤	١١٥	١٢١
كندا	٠٤٩	٠٥١	٠٧٥	٠٥٨
جنوبي افريقية البريطانية	٠٤٨	٠٤٥	٠٢٧	٠٢٥
سويسرا	٠٤٦	٠٤١	٠٦٧	٠٦٣
اليابان	٠٤٤	٠٣٨	٠٥٠	٠٤٤
اسبانيا	٠٣٧	٠٣٦	٠٣٨	٠٣٨
مصر	٠٢٩	٠٢٢	٠٢٧	٠٢٦

اما البلاد العثمانية فليس لدينا احصاء مدقق عن قيمة صادراتها ووارداتها في السنتين الماضيتين ولكن يظهر من احصاء السنين التي قبلها ان قيمة الصادرات نحو ٢٠ مليون جنيه وقيمة الواردات نحو ٣٠ مليون جنيه

وليس لقيمة الصادر والوارد من البلاد دلالة قاطعة على درجتها من الغنى والفقر والتقدم والتأخر والارتقاء والانحطاط لانها قد تكون مختلفة الاقاليم كثيرة المعامل فيها من كل الحاصلات والمصنوعات فتستغني عن غيرها من البلدان فاذا لم تستورد شيئًا فقد لا تصدر شيئًا ايضًا. مثال ذلك الولايات المتحدة الاميركية فان اكثر وارداتها في السنة الماضية كان من السكر والجلود والاصباغ والبن والحرير والقطن واللستك والصوف والنحاس والحديد والقصدير والتبغ والاثمار والفرو والشاي والخزف والورق والزيت والسمك. فاذا اهتمت بزرع قصب السكر مثلاً والبنجر والبن والتوت وربّت دود الحرير واصطنعت الاصباغ صار فيها ما يكفيها من هذه المواد وقس عليها غيرها مما يمكن الاستغناء عنه فتقل قيمة وارداتها كثيراً ولا يكون ذلك دليلاً على فقرها ولا على غناها. ومن هذا القبيل ان اكثر واردات فرنسا في العام الماضي كان من الصوف والقطن والفحم الحجري والحرير والحبوب وبزور الزيت والجلود والبن. واقليمها لا يصلح لزرع القطن والبن وليس فيها مراعٍ واسعة حتى تسترخص تربية الغنم فيها لاجل صوفها وجلودها والفحم الحجري غير كثير فيها ولذلك تضطر ان تجلب هذه المواد من غيرها فكثرة وارداتها ليست دليلاً على غناها

وقس على ذلك انكلترا فان اكثر وارداتها من القطن والصوف والجلود وكلها مما لا غنى لها عنهُ لصناعتها ومقطوعيتها

وكذلك القطر المصري فان اكثر وارداتهِ من المنسوجات القطنية والحريرية والصوفية والخشب والفحم والمعادن وكلها مما لا غنى لهُ عنهُ

اما البلاد العثمانية فيمكنها ان تستغني عن اكثر وارداتها كالرز والسكر والدقيق والبن والخشب والجلد والمنسوجات على انواعها لان فيها كل الاقاليم الحارة والمعتدلة والباردة وتجود فيها كل المزروعات وفيها حراج واسعة كثيرة الاشجار ومعادن ثمينة كالحديد والنحاس والرصاص وقوات مائية لانشاء المعامل

واذا استطاعت بلاد ان تستغني عن غيرها بشيء من الاشياء فقد لا يكون من الحكمة ولا من الاقتصاد ان تستغني بهِ بل الحكمة والاقتصاد يقتضيان ان تطلب ما هو اوفر ربحًا لها. فاذا كان القطن يجود في بلاد ولا يجود فيها الرز يكون من الحكمة ان يكتفي اهلها

بزرع القطن فيها ويشتروا رزهم من الخارج ومن الخرق في الرأي ان يبطلوا زرع القطن في بعض ارضهم ويزرعوها رزًّا والقطن اربح لهم . وشأن البلدان في ذلك شأن الناس في اعمالهم فكل رجل يستطيع ان يطحن قمحهُ وينخلهُ ويعجنهُ ويخبزهُ ويستطيع ان يطبخ طعامهُ بيدهِ ويخيط ثوبهُ ويخصف نعلهُ اذا قصد واراد ان يوفر اجرة الخباز والطباخ والخياط والسكاف ولكنهُ اذا كان تاجراً او قاضياً او طبيباً او محامياً فيكون احمق الحمق اذا قضى وقتهُ في خبز خبزهِ وطبخ طعامهِ وخياطة ثيابهِ واهمل عملاً اربح لهُ بما لا يقدَّر .

وكما اقتضت الحكمة تقسيم الاعمال بين الناس اقتضت تقسيم الزراعات والصناعات حسب الاقاليم والاستعداد الطبيعي فزرع القطن الذي يصلح لهُ اقليم القطر المصري وتصلح لهُ تربتهُ لا يصلح لهُ اقليم بلاد الانكليز ولا تربتها ولذلك لا يحاول الانكليز زرع القطن في بلادهم

وغزل القطن ونسجهُ اللذان يصلح لهما هواء جانب من بلاد الانكليز لا يصلح لهما هواء القطر المصري . وقد انشأت شركة معملاً لغزل القطن ونسجهِ في القاهرة فكانت النتيجة وبالاً عليها وعلى الذين اشتروا اسهمها فان الكهربائية المتولدة من جفاف الهواء وحركة الآلات كانت تعبث بالقطن وتطيرهُ بين ايدي العمال . وليس من المحال ان يغزل القطن وينسج في القطر المصري كما انهُ ليس من المحال ان يزرع القطن في بلاد الانكليز ولو ضمن بيوت من الزجاج ولكن الذي يهمّ امرهُ هو هل الاربح للانكليز ان يزرعوا القطن في انكلترا ولو في بيوت من الزجاج او الاربح لهم ان يشتروهُ من مصر واميركا . وكذلك هل الاربح لنا ان ننسج القطن في القطر المصري او ان نشتريهُ منسوجاً من انكلترا والجواب على ذلك واضح من افلاس الشركة التي اشتغلت بغزل القطن ونسجهِ

ولكن اذا كان لا بدَّ لبلاد من ان تستورد شيئاً من حاجياتها او كمالياتها من الخارج فلا بدَّ لها من دفع ثمنهِ اما نقداً او بضاعةً ولا بدَّ لها في الحالين من ان تصدر شيئاً من حاصلاتها او مصنوعاتها لتوفي بثمنهِ ما تجلبهُ من الخارج وكذا اذا كانت مديونة لغير اهلها فانها تضطر ان تصدر شيئاً من حاصلاتها او مصنوعاتها توفي بثمنهِ ربا ما عليها من الدين وفي هاتين الحالتين يظهر لزوم الصادرات . واذا لم تكن البلاد مضطرة ان تدفع ثمن بضاعة ولا ربا دين فثمن الصادر منها ذهبٌ يضاف الى ثروتها ويزيدها قوةً ومنعةً

الانسانية المتضامنة

نشرنا للدكتور شميل مقالةً ملؤُها علم وحكمة ونصحٌ وتحذير مثل كل ما يكتبهُ . وهي المقالة التي موضوعها «عبد الحميد في نظر الطب» المدرجة في الجزء الاخير من المقتطف . وقد ختمها بقولهِ «اما المسؤُولية الحقيقية (عما حلَّ بالبلاد العثمانية في زمن عبد الحميد) فعلى الدول الراقية المسؤُولة وحدها لدى الانسانية المتضامنة» فاذكرنا قولهُ هذا كلام النابغة الذبياني الذي قال

اتوعد عبداً لم يخنك امانةً ونترك عبداً ظالمًا وهو ضالعُ
حملت عليَّ ذنبهُ وتركتهُ كذي العرّ يكوى غيرهُ وهو راتعُ

وكأَن الدكتور شميل نظر الى البشر كما سيصيرون في الالف السنة المنتظرة فحاكمهم الآن بما سيصيرون اليهِ بعد ازمان طوال ونسي انهم في حالم الحاضرة ليوث غاب متواثبة

وما تجدي عليك ليوث غاب بنصرتها اذا دناك ذيبُ

والشكوى الى دول اوربا ومنها شكوى الجريح الى الغربان والرخم

ثم هل اصاب الدكتور شميل في شكواهُ من دول اوربا وفي تحميلها تبعة ما حلَّ بالبلاد العثمانية من سلطانها . هل بلغ الناس في هذا العصر مبلغ «الانسانية المتضامنة» الذي يشير اليهِ . لا وابيك لا الدول متضامنة ولا العيال متضامنة ولا الاخوة متضامنون ولا يكاد المرء يأتمن اخاهُ

وفارق عمرو بن الزبير شقيقهُ وخلَّى اميرَ المؤْمنين عقيلُ

وكأَنَّا بالدكتور شميل ابا فراس

يبغي الوفاء بدهر لا وفاء بهِ كأَنهُ جاهل بالدهر والناسِ

وقد نسي ان اكثر الناس على مذهب جرير حيث قال

فانت ابي ما لم تكن ليَ حاجة فان عرضتْ ايقنتُ ان لا اباليا

وقد اتعظوا بقول الرضي الموسوي القائل

لا تدنينَّ مؤَّار بين دعوتهم يوم الطعان فسوَّفوك الى الغدِ

قذفوك في غمائها وتباعدوا عنها وقالوا قم لنفسك واقعدِ

قطع الزمان قبال نعلك فانتعل اخرى تقيك من العثار وجدِّدِ

والمنصف يرى ان دول اوربا التي يعدُّها الدكتور شميل مسؤُولة قد وازرت الدولة العلية ودافعت عنها اكثر مما ينتظر منها . نعم انها خدمت بذلك مصلحتها ايضاً ومن لنا بمن يخدمنا ويخدم مصلحتهُ دوامًا . وهل يحق لنا ان نطلب من احد معونة تضرُّ بمصلحتهِ وان فعل فيكون جانيًا على نفسهِ . وكيف نستسهل تعرُّض دولة لدولة عنواً ونحن نرى الواحد منا جارهُ يعتدي على قريبهِ فلا يستطيع ان ينتهرهُ . وهل كنا نرضى ان نرى دول اوربا تتفق على خلع عبد الحميد قوةً واقتداراً وترسل جنودها فتحتل الاستانة كما احتلَّت بكين عاصمة الصين . وما ادرانا ان ذلك كان يتم من غير ثورة تعمُّ البلاد العثمانية كلها وحرب اهلية تسفك فيها دماء الالوف والملايين

انا لا نبرِّىء الدول من السعي وراء مصالح رعاياها ولكن من يلومها على ذلك مادامت هذه الدنيا دار جهاد وعراك وقبل ان نبلغ عصر التضامن الانساني الشامل الذي يشير اليهِ الدكتور شميل . اما اللوم كل اللوم فعلى العثمانيين انفسهم الذين كانوا يرون الخلل في الحكم الحميدي ويصبرون على الضيم صبر الاذلّين . الجناية الكبرى على عبد الحميد وعلى الذين شاركوهُ في سوء احكامهِ واللوم الاكبر على الذين رأَوا الخلل واغمضوا عيونهم عنهُ . وليس من المروءة تمسحنا بالدول الاوربية التي اضاعت اموالها ورجالها لتدفع عنا طمع الروس ولو كان في ذلك المصلحة الكبرى لها

واننا نخشى ان يتذرع كتابنا بعبارة الدكتور شميل في تبرئة حكامنا من المذابح والمنكرات والقاء اللوم فيها على عاتق الدول الاوربية فيضحك المستبدون منا في كمهم ونبقى حيث نحن

وكلامنا هذا لا ينفي التضامن الانساني متى جاء وقتهُ وصارت ممالك الارض مملكة واحدة او ولايات يديرها مجلس واحد يحكم بينها بالعدل والانصاف ويعرف كل احد ما لهُ وما عليهِ فلا يعتدي على غيرهِ . احلام قد يحققها ابناء ابناء ابنائنا بعد احتاب كثيرة اما نحن فنموت ولا نرى غير هذا التباري والتكالب

وفي نظر الصادي الى الماء حسرةٌ اذا كان ممنوعاً سبيل الموارد

والدتي

من الصدع في قلبي غداة تهدّما سمت نظرات الروح خلفك للسما
رأيتك نوراً في علاها كأنه شعاع لمصباح الجنان قد انتمى
عليه ابتسام الام في وجه طفلها ولألاءة اللحظين لما توسما
فلو ترسل الارواح في الجو نورها عرفتك بالنور الذي قد تبسما

٭٭٭

أنا منك بين العالمين كأنني أشكك في الدنيا فما هي منهما
اراها خلاء منك الا محامداً وآثار فضل حية وترحما
وقبراً ارى تلك المقابر كعبة وذاك بها الركن الكريم المعظما
امرّ عليها خاشعاً متلمساً وأحنو عليه خاضعاً متسلما
وألثم ترباً حين مسه أدمعي بروح البكا صلى عليك وسلما
بذا الدمع من هذا الفؤاد محبة أذاعت به سرّ الحياة المكتما
فلو اذن الله التراب غدا بها فؤاداً وصارت ذي الدموع به دما

٭٭٭

ولما استباحت موطن الصبر لوعتي وقارع سيف الحزم حتى تثلما
وقفت فكانت وقفة العمر في الردى على نفس ألقى به وتصرّما
وبين ضلوعي زفرتان من الأسى تتيهان في صدري فما بلغا الفما
كأنهما خيطان بالقلب علقا فان صعدا يصعد وان هبطا ارتمى
وارعد وهناً كالجناح تهزّه حمامة في عطفها مذ تحطما
وخيل لي ان الفضاء يدور بي وأن طريقي مدّ في الجو سلما

٭٭٭

فيا لهفتا كم عبرة قد تردّدت بصدري ولو كانت بطود تألما
تنفس في قلبي فتلهبه اسى وتذكيه اشجاناً وتحرقه ظما
بكيت فألفيت البكاء كأنه حقيقة موت تستحيل توهما
وأوريت زند الدهر قدحاً فلم تزل صواعقه حتى استنيرت وأظلما
وكادت ترى عيناي في سحب ادمعي متى لم تجفت برقاً من النار مضرما

فيا دمع ايام الحداثة ليتني حفظتك للبؤسى لقد كنت أنعما
وكنت ندى تجري فمن لي بالندى اذا الجوُّ من شمس الحياة تحدَّما
بكاء بكيناه وصرنا لضحكنا فأرجعنا نبكي عليه تندُّما

∴

جزعتُ ولولا أنَّ مثلكِ في النسا قليلٌ لعاتبتُ الزمانَ المذمما
وكنت أقول الارضُ صارت مآتماً عليكِ لو أنَّ الارض تصلح مأتما
وما تسعُ الدارُ التي صار أهلها « بطرفة عين » يبلغون الى السما
ولو كان فيها للنفوس حقيقةٌ لما كان يبقى ذلك الموتُ مبهما

⁂

وأبغضتُ فيكِ الليل من أجل كوكبٍ على ظلمات الحزن فيهِ تبسما
وغاضبتُ فيكِ الروض من أجل طائرٍ على أدمع الأنداء فيهِ ترنما
ولو أنَّ هذا الحزن علم لبثهُ فؤاديَ في الدنيا لكي تتعلما
فيا مَنْ لأمرٍ لا يردُّ اذا مضى ولا عِوَضٌ منهُ وان كان أعظما
أذلتُ لهُ دمعي الأبيَّ وان يكن أعزَّ من الدنيا عليَّ واكرما
ولو بذلوا لي كلَّ بحر بدمعة علي الارض عدَّت همتي الدمع مأثما
ولكنني ابكيك بالأعين التي رأت طلعة الدنيا ابتسامك والفما
ومن كان مولوداً بأمينٍ فليلمْ علي جزعي وليرمني كيفما رمى

مصطفى صادق الرافعي

باب الزراعة

الاطيان والمزروعات

بلغت مساحة الاطيان التي كانت مزروعة في القطر المصري في العام الماضي ٥٣٢٦٥١٢ فدانًا منها في الوجه البحري ٣١٧٤٦٢٧ وفي الوجه القبلي ٢١٥١٨٨٥ . ومساحة الاراضي التي تزرع حتى الآن ١١٢١٣٤١ منها في الوجه البحري ٩٣٨٣٢٠ وفي الوجه القبلي ١٨٣٠٢١ فدانًا . ومساحة الاطيان التي زرعت اكثر من مرة في السنة ٢٢٧١٣٤٧ . ومنها في الوجه

البحري ١٥٥٤٣٤٤ وفي الوجه القبلي ٧١٧٠٠٣ . فكأن اهالي القطر زرعوا في السنة الماضية ٧٥٩٧٨٥٩ فدانًا لان اكثر من مليوني فدان وربع مليون من اطيانهم زرعت مرتين

وهذا تفصيل المزروعات التي زرعت في العام الماضي (سنة ١٩٠٧—١٩٠٨) في الوجه البحري والوجه القبلي ومساحة الاطيان التي زرعت فيهما

	الوجه البحري	الوجه القبلي	المجموع
القطن	١٢٩٨٩٠١	٣٤١٥١٤	١٦٤٠٤١٥
الذرة	١١٦٩٠٥٩	٦٢٠٦٤٦	١٧٩٩٧٠٥
الرز	٠٢٢٩٤٨٢	٠١٩٢٨١	٠٢٤٨٧٦٣
القمح	٠٦٣٨٧٧٩	٥٢٩٣٨٧	١١٦٨١٦٦
الفول	٠١١٢٨٢٧	٤٢٨٢٥٨	٠٥٤١٠٨٥
الشعير	٠٢٤٦٨٤٥	١٩٣٧٦١	٠٤٤٠٦٠٦
قصب السكر	٣٤٨٩	٠٣٥٠٧٣	٠٠٣٨٥٦٢
البرسيم ونحوهُ	١٠١٩٠٩٢	٦٧٦٩٥١	١٦٩٣٠٤٣
الجنائن والخضر	١٣٤٩٧	٠١٤٠١٧	٠٠٢٧٥١٤
المجموع	٤٧٢٨٩٧١	٢٨٦٨٨٨٨	٧٥٩٧٨٥٩

الاطيان والملاك

بلغ عدد الذين يمتلكون الاطيان في القطر المصري ١٣١٠٠٨٨ مالكاً الوطنيون منهم ١٣٠٣٩٨٣ مالكاً وهم يمتلكون ٤٧٦٢٠١٧ فدانًا فمتوسط ما يمتلكهُ الواحد منهما ٣ فدن و ١٥ قيراطاً و ١٥ سهماً والاجانب منهم ٦١٠٥ وهم يمتلكون ٧١٠٨٩٨ فدانًا فمتوسط ما يمتلكهُ الواحد منهم ١١٦ فدانًا و ١٠ قراريط و ١٦ سهماً

ورب قائل يقول ان عدد الوطنيين نحو ١١ مليوناً فكيف لا يمتلك الاطيان منهم الاَّ مليون و ٣٠٠ الف نفس والجواب ان المالك يحسب واحداً ولو كان لهُ زوجة وخمسة اولاد من الصبيان والبنات فكأَنَّ الذين يمتلكون الاطيان مقسومون الى مليون وثلثمئة الف بيت ومتوسط ما للبيت منهم نحو اربعة افدنة . والاجانب الذي يمتلكون الاطيان مقسومون الى ستة آلاف بيت ولكل بيت منها نحو ١١٦ فداناً . ولا غرابة في ذلك لان اكثر صغار المالكين من الوطنيين واكثر الاجانب من كبار المالكين . فالوطنيون الذين يمتلك الواحد منهم اقل من

خمسة افدنة يبلغ عددهم ١١٦١٠٨٠ اي اكثر من ثمانية اعشار المالكين الوطنيين كلهم واما الاجانب الذين يمتلك الواحد منهم اقل من خمسة افدنة فعددهم ٥٧٦٥ فقط او نحو ٤٥ في المئة . والوطنيون الذين يمتلك الواحد منهم اكثر من خمسين فداناً عددهم ١٠٩٣١ فقط او اقل من واحد في المئة من عدد الملاَّك الوطنيين . واما الاجانب الذين يمتلك الواحد منهم اكثر من خمسين فداناً فعددهم ١٦٠٠ او اكثر من ٢٥ في المئة من عدد الملاَّك الاجانب

والاجانب على قلة عددهم في هذا القطر يمتلكون ١٣ في المئة من اطيانهِ ويدفعون ١٣ في المئة من ضرائب الاطيان واذا زيدت عليها الضريبة لاجل التعليم لحقهم من الزيادة ١٣ في المئة او نحو ٣٣ الف جنيه في السنة . ولا يكثر عليهم ذلك لانهم ممتازون في امور كثيرة

الضرائب والسكان

بلغت ايرادات الحكومة المصرية في العام الماضي ١٥٥٢١٧٧٥ جنيهاً بعضها من الضرائب المقررة اي التي قيمتها محددة لا تزيد ولا تنقص وهي اموال الاطيان واموال النخيل وعوائد البيوت ومجموع ذلك كلهِ ٥٢٨٧٥٦٢ وبعضها من الضرائب غير المقررة اي التي قيمتها غير محدَّدة تزيد وتنقص كايراد الجمارك وعوائد الموانئ والفنارات ومصائد الاسماك والتمغة ورسوم المحاكم ومجموع ذلك كلهِ ٥٤٦٨٥٧٥ . واما ما بقي مثل دخل سكك الحديد والمصالح ذات الايراد فهو ليس من قبيل الضرائب بل من قبيل اجور الاعمال . واذا قابلنا بين عدد سكان القطر في كل سنة من سنة ١٨٨٠ الى الآن سواءٌ كان ذلك معروفاً بالتعداد او بالحساب وبين ما دفعوهُ من الاموال المقرَّرة وغير المقررة في كل سنة من هذه السنين وجدنا ان ما كان يدفعهُ النفس منهم اولاً بلغ ١١٢ غرشاً سنة ١٨٨٠ ثم نقص رويداً رويداً حتى بلغ نحو ٨٦ غرشاً سنة ١٨٩٨ وزاد بعد ذلك قليلاً فبلغ في العام الماضي نحو ٩٤ غرشاً . فابن القطر المصري مرحوم اكثر من كل احد سواهُ من هذا القبيل ولولا الديون التي تراكمت عليهِ في السنوات الاخيرة باسرافهِ وخداع المرابين لهُ لكان مرحوماً اكثر من كل الناس . ولكن قلة دخلهِ من جهة وكثرة ديونهِ وعلو فائدتها من جهة اخرى لا تبقي لهُ الاَّ قليلاً من دخلهِ

مساحة القطن في القطر المصري

رأت الحكومة المصرية ان تحصي مساحة الاطيان المزروعة قطناً في القطر المصري فاعتمدت على خرائط المساحة وهي تشمل اكثر القطر . والاطيان مرسومة قطعاً في كل خريطة

منها ولكل قطعة عدد يدل عليها وتوجد مساحتها تجاه ذلك العدد في دفتر المساحة · فوزعت الخرائط على رجال المساحة فجالوا في البلاد ووضعوا علامة على كل قطعة مزروعة قطناً واذا اتفق انهم وجدوا قطعة والقطن مزرع في بعضها لا فيها كلها اشاروا الى ذلك وقدَّروا المساحة المزروعة تقديراً وذكروا ايضاً نوع القطن المزروع في القطع · واذا وجدوا القطن مزروعاً في جانب من قطعة كبيرة وتعذَّر عليهم تقديرها مسحوهُ مساحةً فعلية لمعرفة مقداره بالتدقيق · وشرع هؤُلاء الرجال في عملهم في ١٥ ابريل واتموهُ في ٢٦ مايو وكانوا كلما اتموا بلداً ارسلوا خرائطها الى مصلحة المساحة فجمعت مساحات الاطيان المزروعة قطناً ونشرتها في ١٧ يونيو وقالت انها صحيحة بوجه الاجمال ولكنها ستزيد التدقيق فيها وتزيدها بياناً وتنشرها في غضون الشهرين التاليين وهذا هو الجدول الذي نشرتهُ الآن

المديرية	مساحتها كلها	ارض مزروعة قطناً	بنوفتش	عباسي	ميت عفيفي	اشمولي	نوباري	مختلف
الغربية	١٥٦٣٢٣٠	٢٩٦٦٨٠	٩٧٩٧٠	٧٤٢٠	٢٦٤٦٧٠	٩٧٠	١٩٩٠٠	٥٧٥٠
الدقهلية	٠٦٣٧٢٣٠	٢٢٨٥١٠	٧٢٣٩٠	٩٦٠	١٥٦٧٥٠	١٠	٩١٠	٢٤٩٠
البحيرة	١٠٨٧٠٠٠	١٩٦٩٦٠	٣٣٣٠	٣٤٤٠	١٨٥٣٩٠	٣٣٠	٣٣٦٠	١٣١٠
الشرقية	٠٨١٨٠٧٠	١٠١٩٥٥٠	٦٩٠	٣٥٤٠	١٨٣٨٩٠	٣٣٠	٣١٤٠	٩٦٠
المنوفية	٠٣٧٤٣٢٠	١٣٧٣٧٠	١٧١٠	٣١٣٠	٩٨٤٨٠	١٢	٣٣٩٨٠	٨٥٠
المنيا	٠٤٦٣٥٨٠	٩٨٩١٠		٣٠	١٩٠	٩٨٦٨٠		
القليوبية	٠٣٣٠٦٣١	٥٩١٦٠	١	٣٠	٥٦٥	٩٣٠	١٦٩٠	٣٠
بني سويف	٠٢ ٢٤٤٥	٥٨٨٠٠	٥	٣٣٠	٧٠	٥٨٥٥٠		
الفيوم	٠٤١٣٩٨٠	٥١٤٧٠			٣٧٤٠	٥٤٧٣٠		
اسيوط	٠٤٧٣٨٦٠	٣٤١٩٠	١٦٠		١٠	٣٤٠٣		....
الجيزة	٠٣٤٤٨٨٤	١٧١٨٠	١١٠	١٠	١٣٠٧	٤٩٩	١	- ٣
قنا	٠٤٦١٣٨٠	١١٨٠	٣٠٠	١٥٠	٥٠	٤٣٠		٣٦٠
جرجا	٠٣٥٥٠٨٠	٤٥٠			٣٠	٣٧٠		٦٠
اصوان	٠١٠٤٠٠٠	٣٣٠	٤٠	١٠		١٧٠		
المجموع	٧٣٩٨٥٨٠	١٤٦٦٥٣٠	١٨١٦٠٦	١٧٩٥٠	٩٦٠٧٨٠	٣٤٤٥١٠	٤٩٨٨١	١١٨٠٣

وقد كانت مساحة الاطيان المزروعة قطناً في العام الماضي ١٦٣٨٠٤٠ · واصنافهُ هكذا بنوفتش ٢٣٧١٤٤ فداناً · عباسي ٥٩٩٢٥ · ميت عفيف ٩٨١٣٠٦ · اشموني ٣٢٠١٦٩ نوباري وسائر الاصناف الاخرى ٣٩٤٩٦

فالفرق كبير بين مساحة الاطيان المزروعة قطناً هذا العام ومساحة ما زرع قطناً في العام الماضي ولا يظهر سببهُ الاَّ اذا فرضنا الخطأ في تقدير المساحة في العام الماضي ٠واذا صحَّ ذلك وقع الشك في ما يقال من ان محصول الفدان آخذ في القلة

ويظهر من هذا الجدول ان اهالي اسيوط والمديريات الوسطى لا يزالون يعتمدون على القطن الاشموني مع ان بعضهم قد جرَّب العفيفي والعباسي ٠ وحبذا لو بحثت الجمعية الزراعية او مصلحة المساحة عن مزية القطن الاشموني في هذه المديريات وعن مزية العفيفي والعباسي فيها واذاعت ذلك حتى اذا كان العفيفي والعباسي يجود فيها كما يجود الاشموني عدل عنهُ اليهما

ثم ان مساحة الاطيان التي تزرع في مديريات الوجه البحري الست هو ٣١٧٤٦٢٧ وواضح من هذا الجدول ان الاطيان المزروعة قطناً الآن منها تبلغ ١٢٠٨١٣٠ فداناً او نحو ٣٨ في المئة من الاطيان الزراعية وهذا لا يزيد عن الثلث الاَّ قليلاً ٠ لكن القطن لا يزرع في الاطيان الضعيفة والمرجح اننا اذا حصرناهُ في الاطيان التي يزرع فيها فقط وجدنا انهُ يزرع في اكثر من اربعين في المئة منها

وفي الجدول المتقدم ان مساحة المديريات كلها اكثر من سبعة ملايين وثلث مليون فدان وبديهي ان هذا ليس مساحة الاطيان التي تزرع الآن لان مساحتها تقل عن ذلك اكثر من مليوني فدان ولكنه يشملها ويشمل الاراضي التي يمكن ان تزرع لو اصلحت وما لا يمكن زرعهُ من الترع والمصارف والجسور والبراري والرمال وما اشبه

القطن الاميركاني

جاء في احصاء ديوان الزراعة باميركا ان مساحة الارض المزروعة قطناً هناك هذا العام تبلغ ٣١٩١٧٠٠٠ فدان اي اقل من ٣٢ مليون فدان وقد كانت في العام الماضي اكثر من ٣٣ مليون فدان وهاك مقدار مساحتها ومقدار محصولها في الاعوام الثلاثة الماضية

	١٩٠٦	١٩٠٧	١٩٠٨	١٩٠٩
المساحة	٣٢٠٤٩٠٠٠	٣٢٠٦٠٠٠٠	٣٣٣٧٠٠٠٠	٣١٩١٨٠٠٠
المحصول بالبالات	١٣٥١١٠٠٠	١١٥٧٢٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠	

والظاهر من الاخبار الواردة عن زراعة هذا العام انها جيدة في بعض الولايات وغير جيدة في غيرها فهي معتدلة ٠ ويظهر من ارتفاع الاسعار المستمر حتى كتابة هذه السطور في ٢٩ يونيو انهُ يخشى ان يكون المحصول اقرب الى محصول سنة ١٩٠٧ منهُ الى محصول سنة

١٩٠٨ واذا تحقق ذلك وجاء المحصول مثل محصول سنة ١٩٠٧ او اقل فهو اربح للاميركيين من المحصول الكبير ويستفيد القطر المصري من ذلك فائدة مالية تخرجهُ من العسر المالي الذي هو فيهِ

النيل

بلغ ارتفاع البحر الازرق في آخر مايو مبلغاً عظيماً جدًّا يخشى معهُ من الغرق لو استمر ولكنهُ لم يستمر بل عاد الى الاعتدال ومع ذلك لا يزال ماء النيل غزيراً هذه السنة . وقد مرَّت ايام التحاريق والناس لا يشكون من قلة المياه كما كانوا يشكون في السنوات الماضية . واذنت الحكومة بري الشراقي في اول شهر يوليو . والراسخ في الاذهان انهُ اذا زرعت الذرة باكراً في اول يوليو جاءت غلتها وافرة جدًّا وامكن اعداد الارض بعدها لزرع القطن او غيرهِ مما يزرع بعدها فتجود المزروعات كلها . ولذلك ينتظر ان تكون الزراعة في العام المقبل اجود منها في هذا العام

الزراعة المصرية منذ مئة عام

(١٩) الحيوانات التي يربيها المزارعون

في الصعيد يستخدم المزارعون الثيران لجميع الاعمال الزراعية وذلك لان شدة الحرّ تحول دون استخدام الجواميس لهذه الغاية

وفي جزيرة اصوان يربون الثيران على سوق الذرة الخضراء والتبن . وفي الجهات الشمالية بين هذه الجزيرة واسنا تبتدئ زراعة الجلبان والحمص والعدس والترمس فيطعمون سوقها للثيران . وفي تلك الجهات لا يزيد ثمن زوج الثيران او البقر عن ١٩٠ فرنكاً وقد يهبط الى ١٤٥ فرنكاً . ويأخذ الثمن في الازدياد كلما تقدمنا شمالاً حتى يبلغ ٣٢٠ فرنكاً . ونقدر نفقة الثور او البقرة في اواسط الصعيد بغرش ونصف يومياً . وثمن العجل الذي عمرهُ ثلاثة اشهر بين ١٥ و ٣٠ فرنكاً في الصعيد . وتزيد هذه الاثمان قدر خمسها في الوجه البحري

وكما ذكرنا آنفاً لا يقتنون الجواميس في الصعيد للحراثة بل للانتفاع بالبانها فيسرحونها في الارض الشراقي ترعى الحلفاء فتقل بذلك نفقتها . وثمن الجاموس في جوار قنا بين ٦٠ و ٩٠ فرنكاً

وفي الفيوم يستخدمون الجاموس لادارة السواقي . وفي الوجه البحري يستخدمونهُ للحراثة

ايضاً . ويباع لحمهُ في مجازر المدن ومتوسط ثمن جلدهِ ثمانية فرنكات

اما الجمل فيربيهِ العرب القاطنون على ضفتي النيل ومنهم يشتريهِ الاهالي في جميع الجهات باثمان تتراوح بين ٩٠ و ١٨٠ فرنكاً تبعاً لسنهِ وقوَّتهِ . وتقدَّر نفقتهُ يومياً بنحو قرش أميري ويوَّجر بنحو اربعة غروش يومياً ويبقى قادراً على الشغل عشر سنوات . ويعتنى في الصعيد بتربية الغنم والمعزى وفيهِ عدد يوازي نحو نصف عدد الافدنة المزروعة . ويعلفونها البرسيم اليابس والاخضر وسوق الذرة والفول وتسرَّح في المراعي فتقدَّر نفقة العنز في اليوم نحو ربع غرش ويباع العنز الجيد بخمسة فرنكات

وغنم الصعيد ذات صوف اسمر اللون . ويجزّونها في اواخر مايو او اوائل يونيو فتزن جزة الخروف الواحد من رطلين الى ٤ ارطال . ويباع الرطل من الصوف بتسعة غروش الى ١٢ غرشاً والمغسول النقي بستة غروش الى سبعة ونصف وأجود الغنم في الفيوم حيث يعتنون بتربيتها ويجزّونها دفعتين في السنة . وثمن الخروف المتوسط نحو ثمانية فرنكات . وفي الاماكن التي يزرعون فيها الفي فدان يربون نحو ثماني مئة خروف ويتمشى هذا المعدل على معظم انحاء الصعيد

هذه تقريباً جميع الحيوانات التي يعتني الفلاحون بتربيتها فيرى انهم لا يستخدمون الاَّ الحيوانات التي ينتفعون اما بشغلها في الزراعة واما بألبانها وشعرها وصوفها فيسدون بذلك عوزهم . اما الخيل فلا يقتنونها الاَّ للركب والمباهاة

وبما ان الفوز في القتال بين اهالي بلدةٍ واخرى يكون غالباً في جانب الفئة التي يمكنها ان تجهز فرساناً اكثر من الاخرى اعتاد الناس تقدير قوَّة الرجل بقدر ما يملكهُ من الخيل

وفي جميع الجهات تناط رياضة الخيل بالعربان المشتغلين بالزراعة او بالقبائل الرحَّل . وعلى تربية الخيل يتوقف جانب ليس بقليل من دخلهم . ويباع الحصان العادي بثمن بين ١٣٠ و ١٩٠ فرنكاً

ويربي الفلاحون فضلاً عما ذكرناهُ الحمام والدجاج وغير ذلك من الطيور الاليفة . ولهم عناية خاصة بتربية النحل في غالب انحاء البلاد . فيضعون خلاياها تارةً في البساتين او الحقول وتارة بجانب البيوت . ويجنون العسل مرَّة في السنة بتدخين الخلايا بدخان زبل البقر او بعر الابل الى ان يخرج منها النحل فينزعون ثلثي اقراص العسل من كل خلية ويتركون الثلث الباقي موُونةً للنحل . فيجنون من الخلية خمسة ارطال عسلاً وخمس رطلٍ شمعاً . ويباع قنطار العسل في اسيوط بثمن بين ١٦ و ٢٦ فرنكاً ورطل الشمع بستة غروش وخشرم النحل بتسعة غروش

(٢٠) جباية الاموال الاميرية

ما فتئت مصر منذ عهد بعيد محطاً لرحال الفاتحين من فرس و يونانيين ورومانيين وعرب الى ان احتلها المماليك . فكانت في جميع هذه الادوار ملكاً للدولة الفاتحة تتصرف باراضيها كيف شاءت وتضرب عليها الضرائب بلا قيد او نظام ثابت يرجع اليهِ حتى لقد كان بعض الاهالي يعدُّون أنفسهم مالكين و يدفعون الضرائب على ما يملكونهُ وهم في الحقيقة ليسوا الاَّ واضعي يد يتمتعون بأملاكهم مازالت الاحوال تقضي بإغضاء الفاتحين عنهم

وفي عهد المماليك كان أمر الخراج والمساحة منوطاً بالاقباط يتصرفون فيهِ تصرُّف العارف الخبير و يستعملون في حساباتهم ارقاماً مرية يحجبون بها فنَّ الحساب عما سواهم فكان لا غنى عنهم في جباية الاموال ومساحة الارض فاقرهم المماليك في سابق وظائفهم وصاروا يعتمدون عليهم في جميع المسائل المالية فاستأثروا بجباية الاموال في جميع انحاء القطر المصري وكان عدد الموظفين منهم لهذه الغاية يربو على الثلاثين الف نفس

وكان لكل بك من ذوي الاملاك كاتب من الاقباط يستصحبهُ في اوقات تفقُّد القرى التي يمتلكها . وكان عند كل كاشف في المديريات كاتب منهم وكتبة صغار وجميعهم من الاقباط فيجبي صغار الكتبة الاموال من الفلاحين و يدفعونها الى رئيسهم الذي ينقدها لكاتب سرّ البك فيدفعها هذا الى البك و يأخذ منهُ صكاً بها

ونظراً لجهل الفلاحين بأحوال المساحة ومقدار ما عليهم دفعهُ من الاموال كانت المشايخ توزع عليهم ما يقدّرهُ هؤلاء الكتبة تبعاً لنظام كانوا يحرصون على كتمانهِ ليبقى في ايديهم امر الحل والعقد فيهِ . ولا تسل عما كان يحصل من التلاعب في تقدير المساحة والضرائب حتى لقد كانوا يزيدون او ينقصون فيهِ حسبما توحي اليهم ضمائرهم . ولا أبالغ اذا قلت انهم كانوا يختصون انفسهم بثلث ضرائب القطر المصري يعلونهُ على الاملاك و يقتسمونهُ بينهم من كبيرهم الى صغيرهم . اما كاتب البك او كاتم اسرارهِ فكانت لهُ ضريبة خاصة على عمال الكاشف تكثر او تقل تبعاً لاهمية الدخل وكانت في الغالب بين سبعة آلاف وعشرة آلاف فرنك سنوياً

وفضلاً عن ذلك كانوا يكيلون ما يأخذونهُ عيناً من الحبوب بمكيال يزيد ٣٠ في المائة عن المكيال الحقيقي و يأخذون الفرق لانفسهم . فالى هؤلاء ينسب ضعف الفلاح وانحطاط الزراعة اكثر مما ينسب ذلك الى ظلم البكوات رؤسائهم واختلال حالة الاحكام

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

وصايا صحية

كتب الدكتور هريكور الفرنسوي مقالة موضوعها الآداب العلمية ذكر فيها الوصايا التالية لحفظ الصحة وهي

(١) اعتنِ بصحتك لان صحة الانسان ضرورية لهُ ولازمة لامتهِ

(٢) لا بدَّ للعقل السليم من جسم سليم والرياضة لازمة لهما كليهما

(٣) اعتدل في طعامك وامتنع عن الاشربة الروحية واقتصر على الماء شرابًا

(٤) اذا كان عملك جسديًّا فكلِ الاطعمة النباتية والسكَّر واذا كان شغلك عقليًّا فكل اللحوم

(٥) العمل لازم للصحة

(٦) توقَّ مجاري الهواء البارد لا البرد

(٧) نَمْ ثماني ساعات في اليوم

(٨) اياك والتبغ

(٩) أدْخِلِ الشمس غرفتك وأطلقْ هواءها

(١٠) اخمد الغبار بالماء

(١١) اياك والستائر والبسط على انواعها

(١٢) اقضِ ايام العطلة في الخلاء

القطر النروجي وسلطة الفاكهة

ان اهالي نروج يأكلون الحلوى مع اللحم كأنهم الاتراك في تقديمهم الحلوى مع الوان الطعام ويصنعون قطراً يغمرون بهِ الاثمار الطرية والمقددة فتستطاب كثيراً لان قطرهم مخالف للقطر العادي فهو شفاف ولكنهُ ليس شديد الحلاوة وهم يصنعونهُ هكذا

يزلون القطر العادي من علب الاثمار المحفوظة في القطر ويضيفون اليهِ ماء ويمزجون ملعقة صغيرة من الاروروط بقليل من الماء البارد ويضعونهُ فوق القطر في كسارولاً ويضعونها على النار حتى تغلي ويضيفون اليهِ قليلاً من السكر ويغلونهُ ثلاث دقائق او اربع . ويكونون قد قطعوا الاثمار من الموز والبرتقال ومربَّى الكمثرى والمشمش او الخوخ والتين والكبوش والكرز والاناناس وما اشبه ووضعوها في صحن فيصبُّون القطر المشار اليهِ عليها حتى يغطيها . ويمكن تنويع طعم هذا القطر باضافة عصير البرتقال اليهِ او عصير نوع آخر من الاثمار . ويمكن ابدال الاروروط بالنشا

حلوى الرز والمشمش

اسلق الرز في اللبن حتى ينضج جيداً وحلهِ بالسكر واتركهُ حتى يبرد ثم احشُ بهِ المشمش وغمس كل مشمشة على حدتها في البيض المخفوق جيداً ولثها بمسحوق الكعك او الخبز المحمص الناعم واقلها بالسمن وضعها في صحنة وصب عليها من القطر النروجي

الاستحمام

انشأ الناس الحمامات للاستحمام من قديم الزمان فتفنن اليونان والرومان فيها وبلغوا من اتقانها حدًّا لم يصل اليهِ ابناء هذا العصر وجرى العرب مجراهم لما امتلكوا بلاد الروم وحماماتهم في مدائن الشام من اعظم مبانيها واجملها

والغرض الاول من الاستحمام تنظيف الجلد وتنشيط الدورة الدموية ولاسيما في الذين اعمالهم البدنية قليلة

اما الحمام الذي يراد بهِ تنظيف الجلد فيجب ان يكون بالماء الحار والوقت الاصلح لهُ في المساء قبل النوم ولتكن درجة حرارتهِ معتدلة وينظف الجلد حينئذٍ بالليفة والصابون ويحسن ان ينتهي بغسل البدن باسفنجة مبلولة بماء بارد وفركهِ وتنشيفهِ جيداً وفائدة الماء البارد تقليص مسام الجلد بعد تفتحها بالماء الحار لكي لا يكثر العرق من الجلد

والحمام الذي يراد بهِ تنشيط الدورة الدموية وانعاش الجسم هو الحمام البارد سواء كان بالماء البارد او الهواء البارد ووقتهُ الصباح حال القيام من النوم ويجب ان لا تطول مدتهُ اكثر من دقيقة اونصف دقيقة ولا سيما اذا كان الانسان لم يعتد الماء البارد ولا بد من فرك الجسم كلهِ جيداً بعد صب الماء البارد عليهِ حتى تعود الحرارة اليهِ ويحمر سطحهُ واذا كان الانسان ضعيف الجسم فليس من الحكمة ان يغتسل بماء شديد البرودة ومن هذا القبيل الاغتسال

بماء البحر وبالهواء البارد فانهُ يجب ان يكون قصير المدة ولا سيما اذا كان الجسم ضعيفاً ويجب فيهِ كلهِ فرك الجسم جيداً بعد الاغتسال حتى يحمر

والحمام البخاري من قبيل الحمام السخن وهو يكاد يكون دواء للزكام والتهاب الشعب والتهاب اللوز تين والروماتزم فيغني عن الدواء وهو من قبيل التنطيل بهيلة الماء السخن والغرض منه تفتيح مسام الجلد وتعريقه فان العرق الكثير الذي يخرج منه يأخذ معهُ كثيراً من الفضول المتجمعة في الجسم

ماري كورلي

اشتهر بين كبار المنشئين في هذا العصر سيدة اسمها ماري كورلي تبنَّاها في صغرها الدكتور تشارلس ماكي الشاعر الاسكتلندي محرّر جريدة لندن المصوَّرة . فقرأَت كل روايات سكوت ودكنس وثكري قبلما ناهزت الحادية عشرة من العمر وكانت من صغرها مغرمة بقراءة الاشعار ولاسيما اشعار كيتس وشلي وبيرون وتنيصن وشكسبير وحُظرت عليها قراءة الجرائد . وكان لها ميل شديد الى الموسيقى واراد الدكتور ماكي ان تنقطع لها ولكن انحرفت صحتهُ وساءت احوالهُ المالية فاضطرت ان تعدل عن درس الموسيقى وتبقى معهُ للاعتناء بهِ وتعمل عملاً تكتسب منهُ ما تستعين بهِ على شأنها وشأن الرجل الذي ربَّاها واعتنى بها فالَّفت روايتها الاولى واسمها رواية عالمَيْن وعرضتها على الخواجات بنتلي واولادهِ ليطبعوها وينشروها على نفقتهم حسب العادة عند الاوربيين فاعطوها لقرَّاء قرأوها لهم وحكموا بانها لا تصلح للنشر فردوها لها لكن تقريرهم عنها جعل المستر جورج بنتلي يهتمُّ بها فطلبها منها وقرأَها فاعجب بها وطبعها وكان لها رواج عظيم وفي اقل من سنة اكسبتها اسمًا بين كبار المؤَلفين . فاخذت تؤَلف الرواية بعد الرواية والكتاب بعد الكتاب فكتب اليها اعاظم الرجال مثل غلادستون وتنيسن والسر فردرك ليتون يعجبون بها ويطرون قريحتها

وكتبها شعرية معنىً خيالية مداراً لكن الحقائق تظهر من خلالها ظهور البدر من خلال الغيوم . اتفق لنا ان مسكنا كتابًا من كتبها يوم عطلة وكنا في سان سنفانو فلم نتركهُ حتى اتينا على آخرهِ في يومين او ثلاثة ورأينا فيهِ من الشجاعة الادبية في المجاهرة بالحق ما يجعلها في مصاف سقراط الحكيم فقد انحت على خدَمة الدين وكشفت عيوبهم وهتكت ستارهم وبينت فضائل الطبع البشري ما دام على سذاجتهِ بعيداً عن حب الكسب حتى جعلت قارئها يفضل اللص قاطع الطريق على خادم الدين المدعي التعبد

وقد كتب عنها بعضهم الآن مقالةً في مجلة البوكمان الانكليزية وصف فيها كيفية اشتغالها بالتأليف فقال انها تكتب بين الساعة العاشرة قبل الظهر والثانية بعدهُ وتبيض ما تكتبهُ باعتناء شديد فتكتب خلاصة الرواية بقلم الرصاص في دفتر ثم تكتبها بالتفصيل ثم تنسخها بيدها وتنقحها وتعطيها لمن ينسخها لها ثانية بآلة الكتابة وترسلها كذلك الى الطبع

وهي خطيبة شديدة العارضة قوية الحجة ولكن قال بعض الناس انها تقصد الظهور والشهرة فاغتاظت من ذلك وامتنعت من الحضور في المجتمعات العمومية . وقد سمعها المستر ونستن تشرشل تخطب مرةً فكتب اليها بعد ذلك يقول انني اتذكر دائماً الوقت الذي جلست فيهِ الى جانبك وسمعت خطبتك وما فيها من البلاغة التي كادت تثني عزمي عن مقاومتي لانتخاب النساء

كتب التعليم وتعليم البنات

لما كنا نتلقى مبادئ العلوم كنا نستغرب ما فيها من الاعجام والبعد عن المألوف فقضينا شهراً قبل ان فهمنا معنى علم الصرف . ولما كنا ندرس علم الحساب كنا نستصعب حل كثير من مسائلهِ لا من حيث طريقة الحل نفسها بل من حيث فهم المراد من السؤال كأن المسائل احاجي ومعميات يقصد بها امتحان مقدرة التلميذ على فهم مغزاها لا امتحان معرفتهِ لعلم الحساب وقواعدهِ . ولما دعينا للتعليم لم يكن من نصيبنا تعليم العلوم الابتدائية حتى نهتم ببسط قواعدها ومسائلها لكننا بذلنا جهدنا في ما علَّمناهُ من العلوم العالية لجعل العلم عمليًّا وربطهِ بأعمال الناس العادية او المألوفة . ومرت السنون ولا يزال اكثر كتب التعليم على حالهِ ولا سيما كتب تعليم الحساب فاننا التفتنا الآن الى كتاب حساب من الكتب التي تدرس في المدارس الاميرية فرأينا مسائلهُ لاتزال مثل مسائل كتب الحساب التي رأيناها في صبانا مما لا يقع لاحد استعمالهُ مثال ذلك رجل وامرأتهُ يتمان عملاً في ثلاثة ايام ونصف يوم اذا عمل الرجل فيهِ سبع ساعات كل يوم والمرأة عشر ساعات ويتمانهِ في كذا ايام اذا عمل الرجل كذا ساعات والمرأة كذا ساعات في اليوم ففي كم يوم يتمهُ الرجل لو عمل فيهِ وحدهُ وفي كم يوم تتمهُ المرأة لو عملت فيهِ وحدها . وهذه المسألة من ابسط الاحاجي التي في هذا الكتاب الذي يفرض تعلمهُ على صغار الطلبة . اسأل تلميذاً اتمهُ كم ايجار خمسة افدنة وعشرة قراريط وخمسة عشر سهماً اذا كان ايجار الفدان ستة جنيهات فيقف امامك والقلم في يدهِ يجمع ويضرب ويقسم ولا يحير جواباً مع ان ناظر الزراعة الامي لا يعجز عن الجواب الصحيح . او اسألهُ كم طوبة تحتاج لبناء

غرفة طولها كذا وعرضها كذا وعلوها كذا وسمك جدرانها كذا اذا امكننا ان نبني مترين ومكعبين ونصف متر من كل الف طوبة فيعجز عن الجواب والبنّاء الامي لا يعجز عنهُ

وقفنا مرة في مدرسة عالية مع المرحوم علي باشا مبارك فسأل التلامذة مسائل كثيرة في الهندسة والمثلثات والمساحة فكانوا يسردون قواعدها بالضبط التام ثم مسك عصاهُ بيدهِ وقال كم سنتيمتر مكعب في هذه العصا وما يلزم معرفتهُ للوصول الى الجواب فجعلوا يسردون قواعد المخروطات الناقصة من غير ان يهتدوا الى المطلوب

وغنيٌّ عن البيان ان واجبات المرأة المنزلية ونحوها تقتضي معارف خاصة ويظهر لنا ان كتب التعليم التي بين ايادي البنات لا تصلح لذلك او لا تفي بالغايات المطلوبة من تعليمهنَّ فيجب ان تنوع وتجعل عملية منطبقة على ما يحتجن اليهِ بنوع خاص وما يمكن ان يطلب منهنَّ بنوع عام فالحساب يجب ان يكون منزليًّا في مسائلهِ على قدر الامكان · وكتب الادب يجب ان تكون اكثر امثلتها من منشئات النساء البليغة وتراجمهنَّ · وكتب حفظ الصحة ووظائف الاعضاء وتمريض المرضى يجب ان تشمل كل المواضيع التي تضطر المرأة الى معرفتها بنوع خاص · وينبغي ان تكون الامثلة في ذلك كلهِ مما تراهُ البنت في نفسها وبيتها · ويحترز دائمًا من العبث ومما يتعب العقل ولا فائدة عملية منهُ

عمل الجلاته ونحوها

تعمل الجلاته (البوظة) ونحوها من المثلوجات هكذا — : يؤْتى اولاً بآلة من الآلات المعدَّة لذلك وهي اناءٌ من الخشب كالبرميل الصغير فيها اناءٌ اصغر منهُ من الحديد لهُ غطاءٌ تتصل بهِ قطعتان من الخشب والحديد المقصدر والغطاءُ يدور على نفسهِ بترس يوضع فوق الاناء حتى يحرك ما يوضع فيهِ · والآلة كلها رخيصة يؤْتى بها من اوربا وتباع عادة بثلاثين غرشًا الى اربعين

يوضع المزيج الذي يراد عمل الجلاته او الكريمه منهُ في الاناء المعدني الداخلي ويوضع بينهُ وبين الاناء الخشبي الخارجي ثلج وملح وتدار الآلة بالمسكة والترس الى ان يبرد المزيج ويجمد · ونسبة الثلج او الجليد الى الملح نسبة ثلاثة الى واحد وكلما استحال الجليد والملح الى ماءٍ يصبُّ من الآلة ويوضع بدلها جليد وملح · ولا بدَّ من مراعاة القواعد التالية وهي

(اولاً) يجب ان يكون الاناء الذي تصنع فيهِ الجلاته نظيفًا جدًّا وناشفًا لا ملح فيهِ ولا جليد

(ثانيًا) ان المزيج الذي يراد تجليدهُ يجب ان يبرَّد جيدًا قبل وضعهِ في الآلة

(ثالثًا) اذا لم يكن في الآلة اداة تدور في داخل الاناء الداخلي وتحط ما يجمد فيهِ وتمزجهُ بعضهُ ببعض فلا بدَّ من فتحهِ من وقت الى آخر ومزج ما فيهِ جيدًا حتى يصير من قوام واحد

(رابعًا) اذا كان المزيج شديد الحلاوة فلا يجمد ولكن اذا اضيف اليهِ حينئذٍ نقط قليلة من عصير الليمون الحامض جمد بسرعة. واذا كان سكرهُ قليلاً جمد خشنًا كأَن فيهِ قطع جليد

وانواع الجلاتة كثيرة مختلفة اشهرها ما يأتي

جلاتة اللبن العادية — تصنع من رطل من اللبن (الحليب) وبيضتين كاملتين وصفار بيضتين اخريين وثلاث اواقي سكر وقليل من روح الثانلا. يغلى اللبن ويصب على السكر والبيض بعد خفقهِ جيداً ويغلى على النار حتى يجمد قليلاً ويترك حتى يبرد جيداً ويطيب بالفانلا ثم يوضع في الآلة ويجمد كما تقدم

الكريمه — يؤْخذ نصف رطل من اللبن الذي مزج بالبيض كما تقدم ويضاف اليهِ نصف رطل من الكريمه (القشدة) المخفوقة جيداً ويضاف الى نصف رطل اللبن بيضتان وثلاث اواقي من السكر اي يضاف الى نصف الرطل ما يضاف الى الرطل في المزيج الاول لانهُ لا يضاف شيء الى القشدة. ويمزج اللبن بالقشدة جيداً وحينما يبرد المزيج يعطر بالفانلا ويجمد كما تقدم

الكريمه الايطالية — تصنع من نصف رطل من القشدة المخفوقة ونصف رطل من اللبن المعلل بالبيض والسكر كما تقدم وثلاث اواقي من الاثمار المحفوظة في العلب كالكرز وملعقة صغيرة من الكنياك

كريمه القهوة — تصنع من نصف رطل من القشدة المخفوقة ونصف رطل من اللبن المعلل بالسكر والبيض ونصف رطل من القهوة وثلاث اواقي من السكر

كريمه الشوكولاته — تصنع من ربع رطل من الشوكولاته المذابة في ربع رطل من اللبن الصرف ونصف رطل من اللبن المعالج بالسكر والبيض ونصف رطل من القشدة المخفوقة واوقية من السكر

كريمه الفريز — تصنع من رطل من الفريز يمرث على منخل جيداً وثلاث اواقي من السكر وعصير نصف ليمونة حامضة ونصف رطل من القشدة المخفوقة

كريمة الشاي — تصنع من نصف اوقية من ورق الشاي الجاف ورطل من اللبن الغالي وبيضتين وست اواقي من السكر ونصف رطل من القشدة المخفوقة وملعقة صغيرة من

الكنياك . يصب اللبن الغالي على الشاي ويترك ست دقائق ثم يصفى ويضاف البيض المخفوق الى هذا اللبن ويغلى بهِ ويضاف اليهِ السكر وحينما يبرد يضاف اليهِ الكنياك

جلاتة الليمون — تصنع من نصف رطل من السكر ورطل من الماء وبراشة قشر ليمونتين يغلى هذا المزيج ثلاث دقائق ويصفى وحينما يبرد يضاف اليهِ ربع رطل من عصير الليمون ويوضع في الآلة حتى اذا كاد يجمد يضاف اليهِ بياض بيضتين مخفوقاً جيداً ويكمل تجليده



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

قسمة المملكة العثمانية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

لقد احسن الباحث العثماني في كتمان اسمهِ وساحذو حذوهُ لكي لا ينتقل البحث من النظريات الى الشخصيات كما هي الحال في اكثر المناظرات فتضيع الفائدة المطلوبة ولأن المقصود هو ما يقال لا من يقول

البيان الذي جاء بهِ حضرة الباحث العثماني جليٌّ واضح والنتيجة التي وصل اليها لاجدال فيها وهي «انهُ لو كانت البلاد العثمانية كلها تركية او عربية اي لو كان لها لغة واحدة وحكومة واحدة ومجلس واحد لكان ذلك اصلح لها وكانت بهِ اقوى مما لو كانت لها ادارتان وحكومتان وكان لها مجلسا نوَّاب

وموضع الخلاف في ان الباحث العثماني يرى ان وجود ادارتين ومجلسين اصلح للبلاد واقرب الى العدل من وجود ادارة واحدة ومجلس واحد وثلث السكان غير مشترك فعلاً في حكومة بلادهِ كما هي الحال الآن ولكنهُ لم يحتج بصحة هذا الراي وتفضيلهِ على غيرهِ بل قال

«وقد اكون مخطئاً في رأيي هذا فارجو ان يطرح موضوعي على بساط البحث» الخ

وكاتب هذه السطور ليس على رأي الباحث العثماني ولا أنكر انهُ ان كان لابدَّ من توحيد اللغة فالعربية اصلح من التركية ونبغاء الاتراك ونبلاؤهم يتباهون بتعلم العربية والتكلم بها وهم يجيدونها كلاماً وكتابةً . وقد قال لي غير واحد منهم انهم آسفون لانهم لم يحاولوا اقتباس العربية قبل الآن وجعلها لغة السلطنة العثمانية وفي نيتهم ان يبذلوا وسعهم في هذا السبيل . اما انا فلا استسهل توحيد اللغة كما يستسهلون بل احسبهُ ضرباً من المحال لانهُ يشترط في ابدال لغة بأُخرى ان تهمل اللغة الاولى تمام الاهمال وتبذل العناية كلها في حفظ الثانية واذاعتها . فهل في طاقة احد الآن ان يمنع كتَّاب الترك من الكتابة بلغتهم وعلماء الترك من التأليف في لغتهم ويمنع الصحف التركية من النشر والانتشار . هل يستطيع احد ان يلجم اقلام الشعراء ويكم افواه الخطباء . هذه احلام لا يسلم بها احد ولا في المنام ليصير في الامكان تغلب العربية على التركية . نعم ان العربية تغلبت على القبطية والسريانية والرومية في مصر والشام ولكن كان ذلك في دور الانحطاط ولم تكن ثم مطابع ولا جرائد ولا شيء من وسائل نشر الافكار ومع ذلك بقيت اعمال الدولة ودفاترها بالقبطية والرومية زمناً طويلاً وابدلتا بالعربية قوةً واقتداراً . وغنيٌّ عن البيان ان الاتراك لا يلجأُون الى القوة في ابدال لغتهم بالعربية ولو كانوا ميالين الى ذلك . وكيفما قلبت نظري في هذا الابدال اراهُ بعيد الامكان ان لم يكن ضرباً من المحال

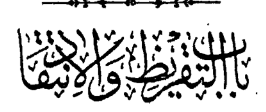
وابدال العربية بالتركية ليس اقرب الى الاحتمال من ابدال التركية بالعربية لا سيما وان العربية اوسع نطاقاً من التركية بما لا يقدَّر وفيها الآن من كبار الكتَّاب في كل فن ومطلب ناهيك عن ارتباطها بالدين الذي يدين بهِ الاتراك وهم لو خُيّروا لما اختاروا انقراضها ولو لم تكن لغتهم

ولكن هل اشغال الحكومة تقتضي حتماً ان يكون للامة لغة واحدة . كلاَّ فهؤُلاء اهالي ويلس بانكلترا لغتهم غير اللغة الانكليزية ومع ذلك ترى النظار منهم في الحكومة الانكليزية وقد صاروا يتكلمون اللغتين على حدٍ سوى . ونحن في اختيار نوابنا لمجلس النواب لا نعتمد على الصدفة والاتفاق بل نختار المتعلمين المتهذبين الذين يصلحون لقيادة الامة وهؤُلاء قلما يوجد منهم مَن لا يعرف لغةً اجنبية مع لغتهِ كالفرنسوية والانكليزية والايطالية . ولم نهتم قبلاً بتعلم التركية كراهة استبداد الحكومة السابقة اما الآن فلا اعجب اذا صار اكثر اولادنا يتعلمون التركية مع العربية . وقس على ذلك الضباط والقوَّاد فان اكثر شبان البلاد العربية سيشرعون

من الآن في تعلم اللغة التركية مع لغتهم العربية ولا يمضي عشر سنوات حتى تشيع اللغة التركية بين المتعلمين اكثر من شيوع اللغة الفرنسوية الآن ومن هؤلاء ينتخب تلامذة المدارس الحربية · واذا أُنصف سكان الولايات العربية فاختير ولاتهم منهم فيكونون عارفين بالعربية مع معرفتهم بالتركية · وقد يزيد ذلك اهتمام الاتراك بتعلم العربية

اما قسمة حكومة البلاد وادارتها الى قسمين فمضعف لها جدًّا و ينتهي بقسمتها فعلاً وقد لا يتم ذلك الاَّ بعد حروب اهلية فيجب الابتعاد عنهُ حتماً · وعندي انهُ لو خيّر الاتراك بين ان يجعلوا اشتغال الحكومة بالعربية وبين ان يقسموها الى قسمين ولم يكن لم مناص من احد الامرين لاختاروا الاول على الثاني لانهُ اقل منهُ ضرراً ولو كان اكثر منهُ تعباً

باحث سوري



خواطر نيازي

بحث انتقادي

احمد نيازي بك الرسنه لي بطل الدستور اشهر من نار على علم وقد اقتُرح عليهِ ان يكتب خلاصة الاعمال التي عملها في سبيل الدستور وما يتصل بها وكان قد كتب ما جرى من الحوادث يوماً فيوماً فادمجها في كتاب سماهُ خواطر نيازي ترجمهُ الى العربية حضرة الكاتب البليغ ولي الدين بك يكن وطُبع في هذه العاصمة

بدأَ نيازي خواطرهُ بمقدمة تاريخية فلسفية فبيَّن الادوار التي مرَّت عليها الدولة العثمانية من حين ظهورها سنة ٦١٩ هجرية الى سنة ٨٥٧ حين فتحت الاستانة ومن ذلك الحين الى سنة ٩٨٦ وقتما بلغت اوج مجدها وصار ملوك الارض يخطبون ودها وعقدت المعاهدة المشهورة مع الملكة اليصابات ملكة الانكليز · قال ولما بلغت من الرفعة ومواتاة الحظ مبلغ الكمال ادَّى بها فرط الغنى والاقبال الى الوقوف من سنة ٩٨٦ الى سنة ١١٨٠ اي حين ابتدأَت الحروب مع الروس · والدور الاخير بين سنة ١١٨٠ و ١٣٢٤ هو دور الخمول والاضمحلال ولكن الدولة لم تلقَ فيهِ من شعبها يأساً بل وجدتهُ لما انتهبت متأهباً وملوءُه امل في الحياة · وقد قام فيها حتى في زمن خمولها واضمحلالها سلاطين عظام مثل سليم الثالث

ومحمود الثاني وعبد الحميد الاول ورجال نوابغ مثل رشيد باشا ومصطفى فاضل باشا ومدحت باشا وشناسي كمال بك . ولكن الدور الرابع الذي استهل بالشهيد الاعظم سليم الثالث وختم بالشهيد الثاني مدحت باشا لم يكن ختامهُ بقتل الشهيد الثاني سوى فجر كاذب ينبئ باشتداد الظلام فيهِ فاربدَّت ظلمة الليل البهيم بعد ذلك حتى أنَّت الامة كلها وعادت اليها قوة دافعة دفعت بها من ذلك الجور الجهنمي فكان من ذلك انقلاب ١٠ تموز الماضي . نعم ان هذا الانقلاب الذي ابتدأ منذ مئة سنة ونيف وتعطل اثنين وثلاثين عاماً لم يحدث بتدبير حكيم ولا ببأس ذي بأس بل جاء برغبة شعب بات غرض الكوارث والمصايب

والمقدمة كلها على هذا النسق التاريخي الفلسفي ومع ذلك استطاع عبد الحميد ان يخفي مواهب الوف من الضباط الذين مثل كاتبها . ان هذا لمن اعجب العجب . وتبتدئ الخواطر بخلاصة تاريخية من سيرة نيازي نفسهِ حين كان تلميذاً لم يستكمل اربع عشرة سنة من عمرهِ وذلك سنة ١٣٠٣ قال انهُ سمع من ذلك الحين ان الوطن احترق والدولة غرقت والسلطان أحيط بالخائنين فايقن انهُ لا يستطيع خدمة امتهِ الاَّ في المدارس العسكرية فدخل المكتب الرشدي (العسكري) لكن اقاربهُ حاولوا صرفهُ عن عزمهِ لان الضباط المتخرجين من المكاتب العسكرية لم يستطيعوا ارجاع مجد الجيش العثماني فزاد شغفهُ بالجندية عساهُ ان يجد فرصة للانتقام من الخونة الذين اضرُّوا بالوطن ابتغاء منافعهم الخاصَّة فانتقل الى المكتب الاعدادي العسكري مسوقاً بحب الوطن . قال وكان اليوزباشي اورخان افندي استاذ الفرنسوية واليوزباشي توفيق افندي استاذ التاريخ يأتيان بالمباحث المفيدة فيذكران الحمية والترقي ومحبة الوطن ويقصَّان اخبار القدماء الذين استشهدوا في حب وطنهم من العثمانيين والفرنسويين . وكلما دار الكلام بيني وبين اخواني في المكتب على احوال العالم كان اسم الاديب الاعظم كمال بك موضوع حديثنا فنستغرب كيف يكون رجل مثلهُ مبغوضاً من الدولة على غزارة علمهِ وفضلهِ وشدَّة حميتهِ واخلاصهِ . وكنت اقول في نفسي اننا نتعلم هنا لنكون قواداً لابناء وطننا فلماذا يضطروننا ان نخفي احساساتنا الطاهرة ولا يدعوننا نقرأ المؤلفات التي تنميها وتعليها ولماذا لا يربُّون شبان الوطن على ما يقتدون بهِ من كمال كل الامم ليكونوا دواء لهذا الانحطاط

وقال انهُ حفظ كثيراً من اشعار كمال بك وغيرهِ من القدماء وهو في المدرسة الملكية الاعدادية فكانت غذاء لنفسهِ وملجأً يلجأُ اليهِ اذا خاف الوقوع في اليأس ولا سيما بيت كمال بك القائل ما ترجمتهُ

لا تحسبنَّ احتقار الشعب يورثهُ هوناً فليس يهان الدرُّ ان سقطا

ثم دخل المدرسة الحربية في الاستانة سنة ١٣١٠ فرأى انهُ امسى في سجن اسير المصائب حيث لا يحل لاحد ان يتلفظ باسم كمال بك او غيرهِ من الاحرار . وكان في تلك المدرسة ثلاثة من الاساتذة يحيون الآمال بدروسهم فنفوا وأُجلوا عن الوطن . ونتج من كثرة التضييق على التلامذة ومما كانوا يرونهُ من دلائل الفساد ان ألّفوا جمعية سرية يقصدون بها انقاذ البلاد من المابين وخدّامهِ لكن ادارة المدرسة اكتشفت جمعيتهم وبدّدت شملهم . ولما اتموا دروسهم واستلموا الشهادات وحلفوا اليمين قالوا في ضمائرهم انهم يخلصون الخدمة للحق والوطن بدل العبارات التي كرّرها عليهم من سلّمهم الشهادات . قال نيازي ولم يشذ في ذلك الاَّ بعض اولاد الكبراء

ثم وصف الحرب العثمانية اليونانية وقال ان الدولة اثارتها لكي تتغلب بها على الاميال الثورية التي اخذت تشتدُّ في ذلك الحين فان اركان الحرب وشبان الضباط ومعلمي المدارس والمهندسين والمحامين وبعض ذوي الحمية من المدرّسين والتلامذة واهل التجارب من الكهول كانوا يجتمعون سرًّا ويبحثون عن سبيل يؤَدي الى خلاص الوطن رغمًا عن الجرائد المنتشرة من منبع يلديز المتعفن وتقارير الجواسيس . وكانت الثورات التي آثارها العرب في اليمن والارمن في الاناطول والاستانة والحروب الدموية في كريد اقوى امارات الميل الى الاتحاد والمقاومة للاستبداد . ولكن تألُّف اكثر رجال الحكومة والجندية من المسلمين دون المسيحيين وحرمان المسيحيين من مناصب الحكومة وتقوية التعصب والتفريق بين الطوائف كل ذلك لم يدع مكانًا للثقة العامة . ثم انهُ حلَّ بارباب الحمية من الاعدام والتعذيب ما لا يوصف فاضطرَّ بعض الاحرار الذين سلموا من القتل والنفي الى المهاجرة فركنت يلديز الى الحيلة لتسقط هؤُلاء الاحرار وارسلت اليهم الجواسيس الخونة مبرقعين ببراقع الصداقة ومتسمين بسمة الاحرار وجادت في هذا السبيل بالمال لكي تسوء سمعة الاحرار الحقيقيين ويتزعزع امل الاصلاح من اساسهِ . وساعدها على ذلك الجرائد التي اشترتها بالمال . ثم ذكر ثورة البلغار واسهب في اسبابها ونتائجها وكيف عرف ان في سلانيك جمعية مؤَلفة من احرار العثمانيين وكانت الكتب التي طبعت في مصر ونشرت من مؤَلفات احمد رضا بك وناجي افندي قد احدثت حركة شديدة في الافكار واعدَّتها لما يلقى عليها ثم جاء عدم اهتمام الحكومة الحميدية بما كان جاريًا في مكدونية مجالاً للانقلاب

قال كنت في مكدونية اطارد العصاة كغيري من ضباط الجيش وذلك من سنة ١٣٢٠ الى سنة ١٣٢٤ وكانت اكثر المعارك تنتهي بفوزنا فنأتي بالجناة ومعهم قنابلهم واسلحتهم ثم

يصدر العفو عنهم ويخلي سبيلهم . وكانت نظارة الحربية لا تستحي من مخالفة العدل في الحقوق العسكرية فتهب الرتب والمناصب والرواتب للاصهار والجواسيس والمنافقين لا للمجتهدين المستحقين . فذلك وقلة الملابس وخبث الزاد وعدم اهتمام الحكومة بدفع الرواتب للجنود وطد في افكارهم فكر الثورة

وكانت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية قد علمت وعلّمت الناس في غضون ذلك ان تلك الاسواء ليست ناتجة من القواد والمفتشين والسر عسكر والصدر الاعظم بل من شكل الادارة فاستمالت اولي الضمائر الصادقة والمخلصين ولم تعد ترى حاجة الى التستر كما كانت عليهِ من قبل

ثم ذكر كيف درت الحكومة بالجمعية وناصبتها العدوان وكيف فازت الجمعية عليها اخيراً في حديث طويل مملوء بالعبر سداهُ ولحمتهُ حوادث تاريخية يودُّ كل عثماني الوقوف عليها لانها تبين لهُ كيف زُرِع غرس الحرية وكيف نما وترعرع وما اصابهُ من العواصف والزوابع وكيف صبر عليها الى ان اشتدت اصولهُ وفروعهُ

ولقد كان من حظ هذا الانقلاب المبارك أن كتب نيازي بك كل ما اتصل بعلمِهِ عنهُ في يوميتهِ ثم جمع منها ومن بعض المحررات الرسمية هذه الخواطر الحسان . وكان لهُ النصيب الاوفر من الاعمال المجيدة التي قلبت الحكم الماضي والوسائل التي استخدمها لذلك ضعيفة في ذاتها اذا نظرنا اليها من وجه حربي فقط وكان في الامكان اخماد انفاسها في طرفة عين ولكن حكمتهُ ومهارتهُ وتفانيهُ في حب وطنهِ ودناءة خصومهِ وخستهم وفروغ صبر الناس علي الحكم الحميدي كل ذلك حقّق الفوز لهُ وللحفنة من الرجال البواسل الذين خرجوا معهُ

ومن امثلة المهارة التي ابداها في اعمالهِ والاخلاص الذي يتخللها كلها ما كتب بهِ الى جرجيس رئيس جمعية طوسقا الالبانية حيث يقول «عزيزي جرجيس

اني لجأت الى البلقان في مئتين من الفدائيين مسلحين ببنادق موزر جاعلاً نصب عيني خلاص الوطن من الخطر الكبير الذي بات فيهِ وعازماً على فدائهِ بالروح . ولما كانت خطتك التي سننتها من اسرع الاشياء جلباً للخطر على هذا الوطن المقدس كانت مطاردتي لك اكثر من سواك ولكني امد اليك الآن يدي فقد آن لنا ان نتحد فلنجتمع حيثما اردت وكيفما شئت ولنجتهد معاً في خلاص الوطن لان الخروف الذي ينفرد عن القطيع يخطفهُ الذئب »

ومن امثلتها استعانتهُ بالبلغار بين المسيحيين علي تخليص الوطن بمنشور نشرهُ عليهم كلهُ حكمة وتودد وغيرة قال ولقد اثر هذا المنشور في البلغار بين تأثير المعجزه وزاده قدراً مخاطبة ضابط مثلي لهم مخاطبة الاخوان ودعوتهُ اياهم الى الاتحاد بعد مابدد شملهم وكسر قوتهم اربعة

اعوام . واني لم استخدم قوتي في الشر بل في ضمان الحق والحرية للجميع على اختلاف المذاهب والاجناس ولم اميز المسلمين عن غيرهم في انفاذ العدل الى غير ذلك مما يعلي شأن الجمعية و يزيد الثقة بها

و يظهر لنا ان لغة الكتاب التركية فصيحة لبلاغة معانيهِ وهذا مما لبَّك حضرة مترجمهِ وهو من ابلغ الكتاب بالعربية فحرص على كثير من الفاظهِ العربية الاصل وتراكيبهِ البليغة بلغتهِ التركية فجاءت عربيتهُ عويصة قليلة الوضوح والسلاسة ومع ذلك فلا بد لكل من يحب الحرية العثمانية من ان يطالع هذا الكتاب بالامعان . فانهُ ليس مجرد قصة تاريخية بل هو بحث اجتماعي في شؤُون الدولة العثمانية وادوائها وطرق علاجها . هاك مثالاً على ذلك من بعض ماقالتهُ جمعية الاتحاد والترقي في لائحتها التي قدمتها الى الدول

« انهُ ليس في مكدونية داءٌ خاص بها ولا مسأَلة ناجمة عنهُ وليس فيها تعصُّب اسلامي . ونحن نقول قبل كل الناس ان سكان مقدونية ليسوا في الرفاه المطلوب وافكارنا متفقة من هذه الوجهة مع اوربا الاَّ ان اختلافنا هو في تعيين منشإِ الضرر ولهذا نختلف في اتخاذ الوسائل المانعة لهُ . وسبب الضرر في كل الولايات التي تتألف منها المملكة العثمانية لا في مكدونية وحدها هو الاستبداد والظلم في اصول الحكومة الحاضرة والامر الذي آل بالبلاد الى هذه الحالة التي لا تطاق هو فقدان الحرية . والمرض المستولي على بلاد العرب او طرابلس الغرب هو عين المرض المستولي على مكدونية . فكل الاقوام المؤلفة من الترك والعرب والالبانيين والجركس والاكراد والارمن والفلاخ واليهود والعرب والروم والبلغار ممن يشملهم الاسم العثماني يكابدون تلك المشاق بعينها و يئنون تحت تلك الاثقال بعينها وفرق المذهب والجنس لا يخفف اعباءَ احد وليس بمكدونية ولا بغيرها من الولايات نوعان من الناس احدهما ممتاز والآخر مظلوم بل كلنا بلا استثناءٍ مشتركون في الظلم وكلنا رازح تحت استبداد واحد

« فان كانت حالة مكدونيا تهمُّ اوربا وان كانت اوربا تريد حقًّا ان تسعد المكدونيين فالذي يجب عليها ظاهر للعيان . اعينونا فعلاً على هدم الاستبداد الحاضر والخروج الى النور فيسعد العثمانيون عامة و يسعد معهم المكدونيون »

واكثر المنشور على هذا النمط وقد اهتم الذين كتبوهُ بنفي تهمة التعصب الديني . ولا ندري لماذا يهتمُّ الناس كثيرًا بنفي هذه التهمة مع اننا لا نرى اصحاب دين الاَّ وهم متعصبون لدينهم ولا ضرر من التعصب الاَّ اذا تطرَّف الى المسائل العمومية كأَن اتُّخذ ذريعة الى سلب حقوق الغير المدنية . اخبرنا رجل من دمشق ان الآراءَ اتفقت على انتخاب وجيه من وجهاءِ

المسيحيين منها لمجلس المبعوثان واجتمع المنتخبون عند اثنين من الكبراء احدهما عالم كبير فقال لم العالم ان انتخابكم فلاناً لمجلس المبعوثان وهو مسيحي غير جائز شرعاً . فاجمعوا عن انتخابهِ . فهذا هو التعصب الذميم لان صاحبهُ تذرَّع بالدين لسلب الحقوق . ولا مشاحة ان هذا التعصب موجود في ادمغة كثيرين من المدعين خدمة الدين وهو آفة كبيرة من آفات المشرق وانكارهُ ليس من الصواب

وفي هذا المنشور كلام شديد على روسيا والسياسة الروسية نحبُّ ان لا يكون اساسهُ متيناً وان تكون السياسة الروسية في بلاد الدولة العلية على غير ما وُصفت في هذا المنشور . وعسى جمعية الاتحاد والترقي ان تكون قد رأت الآن من دول اوربا كلهنَّ ما جعلها تحسن الظن بمقاصدهنَّ نحو الدولة العلية وتثق انهنَّ لم يتعرضنَ لشؤُون مكدونية الاَّ مكرهات وان عند كلٍّ منهنَّ من المشاغل ما يكفيها ويشغلها عن غيرها من دول المشرق

ويقيننا ان الدول الاوربية تكون اول شاكرة لناحينما نكفيها موُّونة الاهتمام بامورنا لانهُ لا ينالها من ذلك الا القلق والخسران . واكثر ما يشكو منهُ الوزراء الاوربيون اقلاق المبشرين لهم بشكاويهم . فلتثق الجمعية انهُ اذا جرى العدل في البلاد العثمانية او اذا بطلت شكوى الشاكين لم تعد الدول الاوربية تتعرض لنا الاَّ كما يتعرض بعضها لبعض . وهذا الامر نعلمهُ يقيناً بالخبُر والخبَر . وما شكونا الحقيقية من مداخلة الاجانب بل مما كان في البلاد من سوء الادارة . ولقد اجاد صاحب الخواطر في ما كتب بهِ الى مدير رسنه في هذا المعنى حيث قال « ان كل المصائب التي وقع فيها الوطن هي نتائج الاستبداد واحوال الاداة المستقلة ولن تنتهي هذه الاسواء ما لم تصر الحكومة شرعية ودستورية وما لم تتغير اصول الادارة من اساسها»

ويعجبنا انصاف المؤلف في اعطائهِ كل ذي حقٍ حقهُ قال في كلامهِ عن قرية اسمها وجهان « انها ذات شأن عظيم لانها مأمن لعصابات البلغاريين فلما رأى اهلها طليعتنا داخلهم الخوف فأقفلوا دكاكينهم وبيوتهم واختفوا فاستدعينا شيوخهم وامنّاهم بالشرف والذمة واخذنا معهم في البيع والشراء فاطمأَنوا وزال خوفهم ووضعوا ايديهم على الانجيل وعاهدونا على ان يصدقوا للمقصد العالي وان يسرعوا في انفاذ امرنا ومناصرتنا متى دعت الحاجة . ولما كان المساء واخذت شمس الاكوان تودع القرية بشعاعها المتضائل وتستودعها صدور الظلمات اخذت الضمائر التي اظلمت بليل المخاوف تستنير بشمس العدل وجعلت النواصي المستنيرة باشعة الآمال والوجوه المستبشرة بأنوار البشر تشيّعنا فيزيد ذلك جمال الطبيعة جمالاً . وبعد ان سرينا

ساعة ونصفاً قاربنا قرية رادويشتا فعادت طليعتنا التي كنا انفذناها اليها لتعدَّ لنا اماكن النوم وقالت لنا ان سكان هذه القرية تقلدوا اسلحتهم واحتشدوا في ميدان الجامع غاضبين ومتأهبين لمقابلتنا بالنيران وعبثاً حاولنا ان نبين لهؤلاء الناس الجهلاء المتعصبين مرادنا وان مقصدنا تأييد العدل»

وقد بذل نيازي ورجالهُ وسعهم في اقناع اهل هذه القرية بقبولهم عندهم تلك الليلة وكان يعرف كثيرين من شيوخهم ووجوههم فلم يتمكن من اقناعهم فاضطر ان يعود هو ورجالهُ ويبيتوا قرب المطاحن جياعاً عطاشاً قال «ولم تذق عيناي غمضاً طول ليلتي لما عراني من الغضب واليأس».

قابل ذلك بما ذكرهُ عن اهل القرية الاولى وعن رهبان دير صاري صالتيق حيث قال «تقابلنا مع الرهبان فبالغوا في اكرام وفادتنا واظهروا من كرم الضيافة خير مثال وقد جرى بيننا هذا الحديث

انا — انكم تجعلوننا اسرى مننكم بما تستقبلوننا بهِ ولا تدعون لنا مجالاً لبيان مقصدنا. ان مقصدنا الاصلي تأسيس اخاء بين العناصر المختلفة التي في وطننا واحداث قوة تضرب على الاحوال التي تخربهُ وايجاد حكومة دستورية شرعية. والاساس هو تهيئة الاسباب لاستعادة الحال السعيدة التي كانت في سنة ١٢٩٤

رئيس الرهبان — ان شرف مقصدكم ظاهر من نهج حركاتكم. الناس كلها راضون عن حسن اعمالكم وعدلكم وقد وثقنا نحن ايضاً من انا سنرى قريباً توفيقكم. سأجتهد ما استطعت في اعداد كل ما تحتاجون اليه. لقد صدرت الاوامر الواجبة من اجل الخبز واللبن انكم تعبون فاستريحوا»

ولا غرابة في ذلك فان المنشورات التي كان ينشرها نيازي كانت كلها تدعو الى اطمئنان المسيحيين وتثبت لهم ان الغرض انشاء حكومة دستورية تشترك فيها جميع العناصر المؤلف منها الشعب العثماني على السواء. وكذلك الجمعية كانت تكتب في منشوراتها دائماً «ان يعامل الاهالي بنهاية ما يستطاع من العدل والرأفة من غير فرق بين الجنس والمذهب»

ومن رأي نيازي ان هذه الثورة افلحت لانها شملت جميع العناصر من غير استثناء. قال في خطبة خطبها بعد اعلان الدستور ما يأتي

«يا ابناء وطني — ارى اضطراراً ان اجمل البيان عن عدم التوفيق والنجاح في الثورات من نحو اثني عشرة سنة في الاناطول وفي الست السنوات الاخيرة في الروملي. ان ثورة مواطنينا الارمن في الاناطول ضد حكومتنا المستبدة لما لم تكن شاملة سائر عناصر الوطن بل خاصة بالارمن فقط وثورة مواطنينا البلغار بين اخيراً في الروملي كانت محصورة في

العنصر البلغاري ... فاستعملت الحكومة العناصر المتنافرة بعضها ضد بعض فاحبطت مساعي الثائرين»

هذا وفي الكتاب صور كثيرة من صور الافراد والجماعات والاماكن منقولة عن صور شمسية مما كان يصوره نيازي ورجاله تحقيقاً للحوادث وحبذا لو طبعت في الترجمة العربية على ورق وحدها لا مع ملازم الكتاب لكي يجيء طبعها واضحاً. ولم نحاول تلخيص حوادث الكتاب في هذا التقريظ لاننا نود ان يقرأ كل احد الكتاب نفسه بالامعان الذي يستحقه فيرى كيف استطاعت حفنة من الرجال البواسل الصادقين ان يقلبوا حكماً ظالماً كانت تخشاه الالوف والملايين

الحرية في الاسلام

مسامرة لحضرة الشيخ محمد الخضر احد المدرسين في جامع الزيتونية الاعظم وفي المدرسة الصادقية القاها في نادي جمعية قدماء تلامذة المدرسة الصادقية في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٤ وهو يومئذ بمدينة بنزرت . وقد جعل مدارها على حقيقة الحرية والشورى والمساواة والحرية في الاموال والحرية في الاعراض والحرية في الدماء والحرية في الدين والحرية في خطاب الامراء وآثار الاستبداد

وحدد الحرية بقوله هي ان تعيش الامة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الامن على قرار مكين من الاطمئنان ومن لوازم ذلك ان يعيَّن لكل واحد من افرادها حدلا يتجاوزه وتقرر له حقوق لا تعوقه عن استيفائها يد غالبة . ثم فصَّل ذلك تفصيلاً حسناً فقال « ومن كشف عن حقيقة الحرية ستار الاجمال اشرف على اربع خصال مندمجة في ضمنها احدها معرفة الانسان ما له وما عليه فان الشخص الذي يجهل حقوق الهيئة الاجتماعية ونواميسها لا يبرح في مضيق الحجر مقيد السواعد عن التصرف حسب ارادته واختياره حتى يستضيء بها خبرة ويقتلها علماً اذ لا يأمن ان تطيش افعاله عن رسوم الحكمة والسداد فيقع في خطيئة تحدث في نظام تلك الهيئة علة وفساداً . ولا يخالط الضمائر من هذا ان الحرية مقصورة على علماء الامة العارفين بواجباتها اذ للاميين منها مخلص فسيح وهو باب الاستفتاء والاسترشاد قال تعالى (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)

ثانيها شرف نفس يزكي طويتها ويطهر نواياها من قصد الاعتداء على ما ليس يحق لها فلا ترمي بهمتها الا في موضع تشير اليه العفة ببنانها

ثالثها اذعان يدخل بهِ تحت نظر القوانين المقامة على قواعد الانصاف ويستنزلهُ ربثما تحرر ذمتهُ من المطالب التي توجه اليها باستحقاق

رابعها عزة جانب وشهامة خاطر يشق بها عصا الطاعة للباطل ويدمغ بها في قوة من يسوم عنقهُ بسوء الضيم والاضطهاد

ولا يقيم على ضيم يراد بهِ الاَّ الاذلان غير الحي والوتد

نستنتج من هذا البيان ان الاساس الذي ترفع عليهِ الحرية قواعدها ليس سوى التربية والتعليم فيتأكد على الحكومة التي تنظر الى فضيلة الحرية بعين الاحترام ان تسعى جهدها في تهذيب اخلاق الامة وتنوير عقولهم بالتعليمات الصحيحة»

واسهب بعد ذلك في تفصيل المشورة والمساواة ولا ندري ما يقول في المساواة بين الناس في حقوق الولاية هل يبقى على ما تقتضيهِ الحرية الشخصية من ان الناس احرار في ان يولوا عليهم من يشاؤُون مهما كان دينهُ ومذهبهُ او يستثني فيها كما استثنى في الحرية الدينية حرية من ارتد بدعوتهِ الى الانابة والتوبة فان رجع والاَّ ضرب بالسيف على عنقهِ

اننا نعلم حرج الموقف الذي يقف فيهِ كل من يحاول التوفيق بين الاحكام السياسية وبين الاحكام الدينية ولهذا ننصح دائماً لكل المشتغلين في هذا الموضوع ان لا يهتموا بهذا التوفيق لانهم لا يفيدون الدين ولا يفيدون السياسة وقد يضرونهما كليهما. ولقد حاول كثيرون من الاوربيين التوفيق بين اقوال التوراة واحكامها وبين القواعد السياسية والحقائق العلمية ففسروا واوّلوا وضيقوا ووسعوا وغيّروا وبدّلوا وقالوا اخيراً بترك الدين وحدهُ والعلم وحدهُ والسياسة وحدها الى ان تتفق كلها اتفاقاً صريحاً لا شبهة فيهِ لان الحق واحد لا يتنوَّع

«والمسامرة» من انفس ما رأيناهُ في موضوعها بالعربية وقد وصف صاحبها الحرية والاستعباد وصفاً شعريًّا بديعاً قال واذا اضاءَت على الامة شموس الحرية وضربت باشعتها في كل واد اتسعت آمالهم وكبرت هممهم وتربت في نفوسهم ملكة الاقتدار على الاعمال الجليلة ومن لوازمها اتساع دائرة المعارف بينهم فتتفتق القرائح فهماً وترتوي العقول علماً وتأخذ الانظار فسحة ترمي فيها الى غايات بعيدة فتصير دوائر الحكومة مشحونة برجال يعرفون وجوه مصالحها الحقيقية ولا ينحرفون عن طرق سياستها العادلة

والحرية تؤسس في النفوس مبادئ العزة والشهامة فاذا نظمت الحكومة منهم جيشاً استماتوا تحت رايتها مدافعة ولا يرون القتل سبة اذا ما رآه الناكسو رؤُوسهم تحت راية الاستبداد

ثم ان الحرية تعلم اللسان بياناً وتمد اليراعة بالبراعة فتزدحم الناس على طريق الادب الرفيع وتنتور المجامع بفنون الفصاحة وآيات البلاغة هذا خطيب يدعو الى سبيل ربهِ بالحكمة والموعظة الحسنة وذلك شاعر يستعين بأفكاره الخيالية في نصرة الحقيقة ويحرك العواطف ويستنهض الهمم لنشر الفضيلة وآخر كاتب وعلى صناعة الكتابة مدار سياسة الدولة

ولم تكن ينابيع الشعر في عهد الخلفاء الراشدين فاغرة افواهها بفن المديح والاطراء وانما ترشح بهِ رشحاً وتمسح بهِ مسحاً لا يفصهد من فضيلة الحرية فتيلاً وما انفلت وكاؤها وتدفقت بالمدائح المتغالية الا في الاعصر العريقة في الاستبداد

ولما وقر في صدر عمر بن عبد العزيز من تنظيم امر الخلافة على حياتهِ الاولى لم يواجه الشعراء بحفاوة وترحاب وقال ما لي وللشعراء وقال مرة اني عن الشعر لفي شغل . انتجعهُ جرير بابيات فأذن لهُ بانشادها وقال لهُ اتق الله ياجرير ولا تقل الا حقاً وعندما استوفاها واصلهُ بشيء من حر مالهِ فخرج جرير وهو يقول خرجت من عند امير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنهُ لراضٍ ثم انشد يقول

رأيت رقى الشيطان لا تستفزهُ   وقد كان شيطاني من الجن راقيا

ومن مآثر الاستعباد ماتجشأ بهِ اللها وتسيل بهِ الاقلام من صديد الكلمات التي يفتضح لك من طلاوتها انها صدرت من دواخل قلب استشعر ذلة وتدثر صغاراً نحو (مقبل اعتابكم) (المتشرف بخدمتكم) (عبد نعمتكم) ولا اخال احداً يصغي الى قول احد كبراء الشعراء

وما انا الا عبد نعمتك التي   نسبت اليها دون اهلي ومعشري

الا ويمثل في مرآة فكره شخصاً ضئيلاً يحمل في صدرهِ قلباً يوشك ان ينوء بما فيهِ من الطمع والمسكنة

ومن سوء عاقبة الخضوع في المقال ان يوسم الرجل بلقب وضيع ينحتهُ لهُ الناس من بعض اقوال لهُ افرغ فيها كثبة من التذلل وبذل الهمة كما سموا رجلاً باسم (عائد الكلب) لقولهِ

اني مرضت فلم يعدني واحد   منكم ويمرض كلبكم فأعود

ولا نجهل ان بعض من سلك هذا المسلك من التملق والمديح اتخذهُ سلماً ليظفر بحق ثابت ولكنهُ لا ينافي الغرض الذي ترمي اليهِ من ان الحقوق في دولة الحرية تؤخذ بصفة الاستحقاق وفي دولة الاستبداد لا تطلب الا بصفة الاستعطاف . انتهى بلفظهِ الرشيق ومعناهُ الانيق

ولقد احسن حضرة منشىء هذه الرسالة بطبعها ونشرها فهي حرية بان تقرأ وتحفظ ويسترشد بها

باب المسائل

(١) تسبيع الدائرة

الجاولي . زكي افندي ميخائيل المزبكي . نرجو ان تنشروا في مجلتكم الزاهرة مقالة مسهبة عن مسألة تسبيع الدائرة وما هو المعطى وما هو المطلوب

ج . لا نرى فائدة من نشر مقالة مسهبة في هذا الموضوع . ولا الموضوع يحتمل ذلك وغاية ما في الامر ان اقليدس ذكر في هندستهِ قواعد هندسية لقسمة الدائرة الى قسمين متساويين وثلاثة اقسام متساوية واربعة وخمسة وستة وخمسة عشر ومن حيث ان كل قوس تقسم الى قسمين متساويين فتقسم الدائرة ايضاً الى ٨ و ١٠ و ١٢ و ١٥ و ١٦ و ٢٠ و ٢٤ و ٣٠ و ٣٢ و ٤٠ و ٤٨ و ٦٠ الخ . ووقف علماء الهندسة عند هذا الحد الى بداءة القرن التاسع عشر وحينئذٍ قام غوس الرياضي وبرهن انهُ يمكن رسم كل شكل قياسي في دائرة اذا كان عدد اضلاعهِ $٢^{٢ن} + ١$ وكان هذا العدد اصم ولا يمكن رسم شكل قياسي عدد اضلاعهِ اصم اذا لم يكن عدد اضلاعهِ $٢^{٢ن} + ١$. فلا يمكن رسم المسبع في الدائرة ولا المتسع ولا ذو الثلاثة عشر ضلعاً اي لا يمكن قسمة الدائرة الى سبعة اقسام متساوية بالطرق الهندسية ولكن يمكن رسم ذي السبعة عشر ضلعاً لان $٢^{٤} + ١ = ١٧$ وهو عدد اصم وكذلك الشكل القياسي الذي فيهِ ٢٧٥ ضلعاً

وقد حاول الرياضيون قبل غوس وبعدهُ قسمة الدائرة الى سبعة اقسام متساوية او رسم مسبع فيها فلم يفلحوا ثم زادت رغبتهم في ذلك لما اوصى المسيو روليه الجمعية العلمية بباريس ان تمنح ربع تركتهِ التي تبلغ ١٢٥ الف فرنك لمن يحل هذه المسألة ولكن لم يوفق احد الى حلها وبقي المشتغلون بالهندسة يحاولونهُ الى يومنا هذا مع ان العالم غوس اثبت استحالة ذلك كما تقدَّم

وقد وردت علينا حلول كثيرة من هذا القبيل فكنا ننظر فيها من باب الفكاهة فلا نكاد نقرأ اسطراً قليلة منها حتى نرى محل الخطإِ فيها . ولكن ما لا يمكن عملهُ بالهندسة العادية يمكن عملهُ بطرق اخرى هندسية كالحركة الانزلاقية التي وصفها الفرد افندي بولاد في المجلد الخامس عشر من المقتطف لانها تحل المعادلات التي من الدرجة الثالثة والرابعة . وقد اعلنت الجمعية الفرنسوية منذ زمن طويل انها ما عادت تنظر في حلول لهذه المسألة على ما نتذكر

(٢) اقدم خط حديدي

فراشه . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط . ما هو اول خط حديدي انشئ في العالم وما هو تاريخ انشائهِ

ج . في سكة الحديد امران مستقلان الاول وضع الخطوط الحديدية على الارض لتجري المركبات عليها بسهولة ويقل الفرك كما في سكك الحديد والترامواي . والثاني استخدام الآلة البخارية لجر المركبات بدل الناس والحيوانات . اما الامر الاول اي وضع الخطوط الحديدية على الارض لتجري المركبات عليها بسهولة ويقل الفرك فيقال انهُ اول ما فُعل في هو يتهافن بيلاد الانكليز وذلك سنة ١٧٣٨ وكان الناس يضعون الواح الخشب على الطرق قبل ذلك لتقليل فرك العجل فوضع الحديد حينئذٍ بدلاً منها . الامر الثاني اي استعمال البخار لجر المركبات ويقال ان اول من فعل ذلك نقولا جوزف كينو الفرنسوي فانهُ صنع مركبة بخارية سنة ١٧٦٩ في دار الصنعة الفرنسوية على نفقة كونت ساكس وكان لها ثلاث عجلات وفيها آلة بخارية تدير العجل المتقدم . ثم اصلح جمس وط الانكليزي الآلة البخارية فاستخدمها رتشرد ترفتك في مركبة بخارية سنة ١٨٠٨ . وسنة ١٨١٣ اخذ وليم هدلي امتيازاً بمركبة متقنة تسير بالبخار وهي اصل كل القاطرات المستعملة الآن في الدنيا ولم تزل محفوظة في دار الامتيازات الصناعية ببلاد الانكليز بعد ان عملت عملاً مستمرًّا في جر مركبات الفحم الحجري من سنة ١٨١٣ الى سنة ١٨٧٢

وكانت الصعوبة الكبرى حينئذٍ في جعل قوة البخار منتظمة فتمكن جورج ستفنصن من ذلك سنة ١٨١٥ بعد تجارب كثيرة وحسَّن في الآلة البخارية تحسينات اخرى ضرورية وصنع قاطرة استعملت لنقل البضائع والناس في ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٢٥ وكان ثقلها ٩ طنات وسرعتها ١٦ ميلاً في الساعة . ثم انشئ الخط بين لفربول ومنشستر وعينت الشركة التي انشأتهُ ٥٠٠ جنيه جائزة لاحسن قاطرة تجري عليهِ فنالت قاطرة اخرى لستفنصن هذه الجائزة لانها جرَّت مركبة فيها ٣٠ شخصاً بسرعة ٣٠ ميلاً في الساعة وكان ذلك في اكتوبر سنة ١٨٢٩ . ومن ثمَّ الى الآن قد نمت القاطرات كما تنمو الشجرة الكبيرة من النبتة الصغيرة ولكن الاجزاء الجوهرية لم تتغير تغيراً جوهريًّا

(٣) السلطان مراد

مصر . مترجم . ما هو اسم السلطان Amurath بالعربية فقد فتشت كثيراً في القواميس وما عثرت على ترجمتهِ

ج . مراد

(٤) مرض المورفيا

كيشادا . (البرازيل) الخواجه ناصر لولو . ارجو الافادة عن مرض يسمونهُ هنا

Morphea ماذا يسمى بالعربية وكيف يتأتى في الانسان وهل لهُ دواءٌ لان الاطباء عندنا يقولون ان ليس لهُ دواءٌ

ج . لا اسم لهُ في العربية ولعلَّ اطباء العرب كانوا يسمونهُ الورم الصلب كما يظهر من وصف ابن سينا لهذا المرض . وهو حؤول فبريني في الجلد مع بعض التصلُّب وقد يصيب الوجه فيؤَدي الى تشوُّه السحنة ويصيب في الغالب اصحاب فقر الدم وكثيراً ما يصيب الجذع والاطراف فيعيق حركاتها . والعلة مستعصية ولا بدَّ في علاجها من الصبر الطويل والمواظبة على الوسائط الشفائية فيجتنب كل نوع من المهيجات ويعتنى بنظافة الجلد عموماً . ويعتمد من الداخل على الحديد والكينا والزرنيخ وزيت السمك والانذار فيها بالشفاء غالباً (انتهى باختصار من باثولوجية الدكتور فان ديك)

(٥) اسم مصر

ومنهُ . لماذا يسمى القطر المصري مصر بالعربية و Egypte بالفرنسوية والانكليزية

ج . الاسمان قديمان وقد كان اسم مصر بلغة اهلها خم اي الارض السوداء واسمها بالعبرانية مصرايم مثنى مصر اي المصران يراد بهما مصر السفلى ومصر العليا اي الوجه البحري والوجه القبلي ويرجح ان معنى مصر بالعبرانية الحصن او الارض الحصينة . والاسم اجبتوس يوناني وقد ورد كذلك في هوميروس اسماً للنيل بالمذكر ولمصر بالمؤَنث ولا يعلم اصلهُ تماماً فقد ظن الدكتور برغش انهُ من ها كه فتاح وهو اسم منف الديني وظن غيرهُ انهُ من اسم اجبيوس اي النسر . والظاهر ان الكلمة العربية هي نفس الكلمة العبرانية بعد ان افردها الاشوريون

(٦) ابن قلاقس

فاقوس . محمد افندي علي كامل الوالي . لمن هذا البيت الذي صدرهُ عقدوا الشعور معاقد التيجان وما هو عجزهُ

ج . لابن قلاقس الاسكندري وعجزهُ ونقلدوا بصوارم العرفان

وديوانهُ مطبوع بمطبعة الجوائب . وقد ذكر ابن خلكان ترجمتهُ وشيئاً من اشعارهِ

(٧) اولاد السوريين بامبركا

بيروك بأميركا . الخواجه ابراهيم عنبر . ان السوريين القاطنين في اميركا لا يعيش لهم اولاد مثل سائر المهاجرين فما سبب ذلك

ج . لاندري كيف تحققتم ذلك فان تحقيقهُ صعب واذا ثبت فهو مما يجب الاهتمام بهِ ونخاف ان يكون سببهُ من الاباء اذا كان صحيحاً اي انهم لايعيشون عيشه العفة قبل تزوجهم فيصابون بمرض يضعف النسل او يتأخرون في التزوج الى ان يكتهلوا ويضعفوا وعسى ان لا يكون الامر كما تظنون

(٨) مدرسة الهندسة المالية

مصر . فهيم افندي عبد الملك . هل

الاصلح لحامل شهادة الدراسة الثانوية المصرية من القسم العلمي ويريد اتمام دروسهِ في مدرسة المهندسخانة ان يسافر الى انكلترا او يتمها في القطر المصري وبعد الحصول على الدبلوما يمضي سنة او اكثر في انكلترا وما هو مقدار مصاريف السنة الواحدة وما احسن كليات انكلترا لهذا الفن مع العلم بأن المطلوب هو تعلم هندسة الري

ج . ان ذلك يتوقف على مقدار النفقة التي يستطيعها الطالب فان النفقة لمن يتعلم في مدارس انكلترا لاتقل عن مئتي جنيه في السنةِ وقد تبلغ ٣٠٠ جنيه فاذا استطاع الطالب ان ينفق هذا المبلغ سنوياً وكان عارفاً باللغة الانكليزية معرفة كافية فمستقبل من يدرس في انكلترا مضمون اكثر من مستقبل من يدرس في مصر على مايظهر واشهر المدارس لتعليم الهندسة المائية مدرسة كوبرس هل Cooper's Hill وكنجس كلدج King's College

(٩) المصطلحات الهندسية

ومنهُ اذكروا لنا اسم كتاب حساب لاهم المصطلحات الهندسية

ج . نرى ان مذكرة الجيب الهندسية تأليف ابرهيم افندي زكي المهندس حاوية كل شيء من هذا القبيل وهي مطبوعة في المطبعة الاميرية سنة ١٩٠٢

(١٠) فائدة الزحلقة

ومنهُ انشئ في جهة الجزيرة محل للزحلقة Skating فهل لعبهُ مفيد

ج . فيهِ فائدة من حيث التسلية وتدريب الجزء من الدماغ الذي يحكم حركات توازن الجسم وهاتان الفائدتان لا يستخف بهما

(١١) كتب روسو وفولتر

مونتيريا بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور . ماهي الكتب المترجمة الى العربية من مؤلفات جان جاك روسو وفولتر واين تباع

ج . لا نعلم انهُ ترجم منها شيء الى العربية غير تاريخ كارلس الثاني عشر لفولتر الذي ترجمهُ رفاعه بك وطبع في بولاق سنة ١٢٥٧ باسم مطالع شموس السير في وقائع كارلوس الثاني عشر

(١٢) كتاب عيون الانباء

نوفوهرزنتي بالبرازيل الخواجه خليل اسطفان . اين طبع كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء واين يباع

ج . طبع هذا الكتاب في المانيا اولاً ثم طبع في القاهرة فيباع فيهما ويطلب من كل باعة الكتب

(١٣) طول الميل البحري

ومنهُ كم متراً في الميل البحري

ج ٦٠٨٠ قدماً انكليزية او نحو ١٨٥٠ متراً

(١٤) الولد الساعي

ومنهُ . يقال ان الطفل قد يولد بعد الحبل

بسبعة اشهر و يعيش و يقولون هذا الولد سباعي اي حبل بهِ سبعة اشهر فقط فهل ذلك صحيح

ج · قد يعيش الطفل اذا ولد في الشهر السابع واعتني بهِ تمام الاعتناء

(١٥) الوحام والاجنة

ومنهُ اصحيح مايقال من ان الحامل اذا لم تحصل على ماتشتهيهِ اضرَّ ذلك بجنينها

ج · ان حدث ضرر من ذلك فيكون من ان الحرمان يغيظها فيؤَثر فيها تأثيراً عقلياً مضرًّا وكلما يؤَثر في الحامل قد يصل تأثيرهُ الى جنينها

(١٦) رياضة الحامل

ومنهُ · ما افضل رياضة للحامل

ج · المشي على شرط ان لا تتعب منهُ ولا بدَّ في ان يكون في مكان نقي الهواء · ويحسن بها ان لا تنقطع عن اعمالها البيتية كلها ولا عما اعتادتهُ من الاعمال والرياضة الاَّ في اواخر مدة الحمل

(١٧) نقود الامويين

حصن الاكراد · الخواجا اسكندر جبور عثرت في قرية قربعلي من قضاء حصن الاكراد على قطعة نقود ذهبية قديمة مكتوب على احد جانبيها باحرف كوفية « لا اله الا الله وحدهُ لاشريك لهُ » وعلى جانبها الاخر « الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد » اما الكتابة على حافاتها فلم اتمكن من قراءتها فارجو ان تفيدوني ما هي هذه النقود وعلى عهد اية دولة في الاسلام كانت متداولة

ج · نرجح ان الكتابة على دائر الوجه الواحد هي « محمد رسول الله ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ » · وعلى دائر الوجه الآخر « بسم الله ضرب هذا الدينر في سنة » فاذا قرأتم السنة عرف منها اسم الخليفة الذي ضرب في عهدهِ ونرجح انهُ من زمن الخلفاء الامويين ومن المحتمل انهُ من زمن الخليفة عبد الملك بن مروان وهو اول من ضرب السكة في الاسلام · وانهُ ضرب بين سنة ٧٧ و٨٦ ولو ارسلتم لنا صورتهُ بالحبر او بالشمع او بالفرك بقلم الرصاص لسهل علينا قراءة ما هو مكتوب عليهِ

(١٨) اهم المسائل

بغداد ما هي اهم المسائل العصرية التي لم يتفق العلماء عليها حتى الآن

ج · يظهر لنا ان اهم المسائل مسألة الخلود اي ان الجزء العاقل من الانسان يبقى خالداً بعد الموت ويبقى فيهِ ادراكهُ فتكون نفس الانسان متصلة من حين تكونهِ الى ما لا نهاية لهُ · ثم ان كانت متصلة في المستقبل فهل كانت متصلة في الماضي وكيف ذلك ونحن لا نشعر اننا كنا موجودين قبل ولادتنا

(١٩) مستقبل الصين

ومنهُ ما رأيكم في مستقبل الصين هل

يحتمل ان يقتدي الصينيون باليابانيين ويصيروا مثلهم

ج · نعم ذلك محتمل ولكنهُ غير مرجح ما دامت الصين محرومة من ملك مثل امبراطور اليابان يلتفُّ رجالهُ حولهُ ويكرمونهُ اكراماً يقرب من العبادة وهو متفانٍ في ترقية بلادهِ ومدرك اسباب الترقية الحقيقية

(٢٠) ابطال الحرب

ومنهُ ان الدول تتقارب بعضها من بعض بالمعاهدات السلمية والتجارية فهل ممكن انهم يتفقون كلهم سوية ويبطلون الحرب

ج · يسعى كثيرون في هذا السبيل الآن ومنهم كارنجي الغني الاميركي المشهور وهو ساعٍ الآن في عقد مؤتمر ببلاد الانكليز لمنع الحروب البحرية كما هي ممنوعة بين كندا واميركا في البحيرات الفاصلة بينهما · ولكن ما دامت المعامل التي تبني البوارج وتسبك المدافع وتصنع البنادق موجودة واصحابها يكتسبون من هذه المصنوعات وما دام المكتسبون من الحروب والاستعداد لها كثاراً وهم ذوو حول وطول فاذا لم توجد اسبابها اوجدوها هم · ومن المحتمل ان تبطل الحروب الفعلية بين دول اوربا ولكن الاستعداد لها يبقى على ساق وقدم ونفقاتهُ كثيرة كنفقاتها ولا يبطل إلاَّ بعد ازمان طويلة او يحدث انقلاب عظيم في المسكونة

(٢١) ارتقاء الانسان

ومنهُ · هل ارتقاء الانسان في قوى عقلهِ عمومي وتابع للنشوء والارتقاء او هو خاص ببعض الافراد من الفلاسفة. كما حدث في زمن اليونان واذا كان عمومياً فباي نسبة حدث جيلاً بعد جيل

ج · لما كان الانسان متروكاً للنشوء الطبيعي كان ضعافهُ يموتون او يقتلون قبل ان يخلفوا نسلاً فكانت سنَّة الطبيعة جارية فيهم وهي بقاء الاصلح او الانسب جسداً وعقلاً او جسداً فقط او عقلاً فقط ولذلك نبغ منهم كثيرون من كبار العقول وكان جمهورهم في درجة معتدلة من القوة الجسدية والعقلية ولكن لما كثر الاعتناء بالضعاف والسقماء فعاشوا وامتزج نسلهم بنسل الاقوياء ضعف الانتخاب الطبيعي ولم يظهر الارتقاء في جمهور الناس كما ظهر في علومهم وفنونهم وصنائعهم لان ارتقاء العلوم والفنون والصناعات خاضع لارادة الانسان واما ارتقاء النسل فلم يعد طبيعياً كما كان قبلاً مبنياً على الانتخاب الطبيعي والجنسي ولا صار صناعياً كتأصيل المواشي · فالعالم الكبير قلما يتزوج ويخلف نسلاً وقد يتزوج امرأة ليست من كبار العقول فلا يورث مزاياهُ لاولادهِ · ولولا كثرة المعارف وشيوعها بانتشار الكتب والجرائد والتعليم العمومي لصارت قوى العقل اضعف مما كانت قبلاً

(٣٢) مرض الحصاة

المنيا · ابو الليل افندي راشد · لي غلام يبلغ من العمر ست سنوات ومن مدة سنتين أصيب بمرض الحصاة وبعد عرضهِ على كثيرين من الاطباء اقروا بضرورة عمل عملية جراحية لهُ فاجريت العملية واستخرجوا حصاة وزنها ثلاثة دراهم ومن ذلك الوقت الى الآن وصحة ولدي متأخرة وحالة نمو جسمهِ لم تتغير اي لا يزال نحيفاً مع انهُ قبل مرضهِ بالحصاة كان بعكس ذلك واراهُ دائماً يقطر منهُ البول بدون ارادتهِ وكأني بهِ يتذكر مرضهُ الاصلي فيرتعش فهل من دواء يشفيهِ ويعيد صحتهُ الاصلية اليهِ

ج · يظهر ان العملية اصابت العضلة المعروفة بعاصرة مجرى البول · ولا بد من فحص البول والمثانة وعرض الولد على طبيب خبير فيعالجهُ العلاج المناسب لشفائهِ

(٣٣) ضعف النظر

الاسكندرية · جميل ... ولدت ضعيف النظر ولي اخت مثلي من هذا القبيل مع ان والدينا صحيحا الجسم والنظر ونظرهما جيد جدًّا حتى الآن وكذلك نظر سائر اخوتي وقد رآني مشاهير اطباء العيون فقالوا ان عينيَّ سليمتان ولكن لا بدَّ لي من استعمال النظارات (العوينات) واعطوني نمرة ٥ مكبرة ويندر من يستعملها غير الشيوخ · فما هو سبب ولادتي هكذا أَوَ ليس من سبيل لارى مثل سائر الناس

ج · يظهر انكم ولدتم وقطر عينيكم من الامام الى الوراء اقصر مما يكون عادةً وكذلك تحدُّب البلورية قليل فتقع صورة الشيء خلف الشبكية فتحتاجون الى زجاجة كثيرة التحدُّب تصلح هذا الخلل الطبيعي · اما حدوث الخلل او الخروج عن المألوف فلا يعرف سببهُ تماماً ولكنهُ مثل غيرهِ من الشواذ ككبر الانف وصغر الاذن واتساع الفم وما اشبه يحدث في الجنين لاسباب طبيعية او وراثية · ولا بدَّ لكم من استعمال النظارات

(٣٤) تعلم الانكليزية

كفر المبروك · عبد الحي افندي سليم · هل يوجد كتاب انكليزي وعربي نستطيع ان نتعلم منهُ اللغة الانكليزية بغير معلم وما اسمهُ

ج · اذا اردتم بتعلم اللغة الانكليزية ان تصيروا قادرين على فهم كتبها فقط سواء عرفتم لفظها او لم تعرفوا ولم تقصدوا التكلم بها فكل كتاب مترجم بالعربية والانكليزية كالتوراة والانجيل والقرآن يفي بهذا الغرض ولكنهم تتعلمونها كما تعلم علماء الآثار اللغة الاشورية واللغة المصرية القديمة · واذا اردتم ان تتعلموا كيف تلفظونها وتتكلمونها فلا كتاب يغني عن المعلم وعن مشافهة الذين يتكلمون اللغة

باب الاخبار العلمية

تذكار دارون

مرَّ مئة عام على ولادة دارون وخمسون عاماً على نشرهِ كتابهُ الاول المعنون باصل الانواع وقد احتفل العلماء بذلك في مدرسة كمبردج الجامعة احتفالاً عظيماً جدًّا حضرهُ جمهور كبير منهم من كل اقطار المسكونة . ابتدأ الاحتفال في ٢٢ يونيو باستقبال لورد ريلي للمحتفلين وقدمت في اليوم الثاني الخطب من نواب المدارس الجامعة والمدارس الكلية وسائر دور العلم والاندية والمجامع العلمية . ثم زار الحضور مدارس كمبردج المختلفة التي تتألف منها جامعتها وأُولمت لهم الولائم ووزعت رتبة دكتور في العلوم على الذين امتازوا منهم بخدمة العلم مثل البرنس رولان بونابرت وهو من اعضاء الاكادمية الفرنسوية والاستاذ ادورد فان بندن استاذ علم الحيوان في ليج والاستاذ جهيارت هوفرات بتشلي استاذ علم الحيوان والبلينتولوجيا في هيدلبرج والاستاذ روبرشودا استاذ علم النبات في جنيفا والاستاذ كارل غوبل استاذ علم النبات في مونخ والاستاذ هيغو دو فريس استاذ علم النبات في امستردام . وغيرهم من مشاهير العلماء . وعرض كل مايتعلق بدارون واسلافهِ وكل صورهِ من حين كان عمرهُ اربع سنوات الى حين وفاتهِ وعرضت كتبهُ كلها والتحجرات والامثلة العلمية التي جمعها

وقد كان عدد النواب الذين حضروا كثيراً جداً فحضر عن مدارس الولايات المتحدة وجمعياتها العلمية ٢٨ من كبار العلماء وعن مدارس المانيا وجمعياتها العلمية ٢٩ وعن مدارس فرنسا وجمعياتها العلمية ١٥ وقس على ذلك سائر البلدان . وقد ناب المستر كيتشنج عن مدرسة قصر العيني الطبية في مصر

فعلى بال من كان يخطر منذ اربعين سنة ان يحتفل الناس بدارون هذا الاحتفال بعد ان قام جمهورهم عليهِ واتهموهُ بالكفر واشركوا معهُ كل القائلين بقولهِ حتى المدارس الكبرى طردت الاساتذة الذين مالوا الى تصديق اقوالهِ . لاشبهة ان الحق يعلو ولا يعلى عليهِ وان الغلبة لهُ اخيراً

اقدم بقايا الانسان

ان عظام الانسان التي كشفت وعرفت مواقعها وجدت في احدث الطبقات من الدور الثلاثي من الادوار الجيولوجية ولكن وجد

على مقربة من هيدلبرج بالمانيا في اواخر سنة ١٩٠٧ عظام فكي انسان فوقها ٢٤ متراً من طبقات الارض · ويظهر من بقايا الحيوانات في الطبقة التي وجد فيها هذان الفكان انها قديمة جدًّا كما تقدَّم وقد تكون اقدم من اوائل احدث الطبقات من الدور الثلاثي فقد وجدت فيها آثار الكركدن وآثار الفيل القديم · والاسنان في الفكين طبيعية ولا شبهة في انها اسنان انسان ولكن ليس في الفك الاسفل بروز للذقن وهو غليظ غلظاً غير عادي والحيان عريضان جدًّا والنتو الاكليلي واطئ جدًّا والعظم الذي تحت الذقن كبير غليظ حتى يظهر بهِ الفك الاسفل كحرف الراء العربية · وعرض الجزء الصاعد من كل لحي من اللحيين ستة سنتمترات فذلك وامور اخرى في هذه العظام تدل على ان صاحبها اوطأ في سلم البشرية من اهالي استراليا الحاليين

وقد كشف هيكل انسان آخر في كهف له موستيه تحت طبقات كثيرة من الارض يقدر لرسوبها اربع مئة الف سنة · والظاهر انهُ عظام شاب في نحو الثامنة عشرة من عمرهِ فكاهُ يشبهان فكي القرد واسنانهُ كبيرة متينة ومغرز انفهِ في وجههِ عميق جدًّا يدلُّ على انهُ كان شديد الفطس

هبة علمية كبيرة النفع

ذكرنا غير مرة ان المستر كارنجي الغني الشهير وهب مليوني جنيه سنة ١٩٠٥ ليمنح ريعها معاشات لاساتذة المدارس الجامعة والكلية في الولايات المتحدة وكندا ولكنهُ اخرج المدارس الاميرية في البلاد الاميركية ثم زاد هبتهُ هذه مليون جنيه اخرى في العام الماضي لكي يشترك اساتذة مدارس الحكومة مع غيرهم من الاساتذة في الانتفاع بالهبة · ويظهر من تقرير اللجنة التي فوّض اليها انفاق ريع هذه الهبة ان الاستاذ الذي راتبهُ في المدرسة ١٢٠٠ ريال او اقل يعطى معاشاً ١٠٠٠ ريال في السنة · والذي راتبهُ اكثر من ١٢٠٠ ريال يعطى الف ريال وخمسين ريالاً عن كل مئة ريال فوق الالف والمئتين · ولكن لا يزيد المعاش على ٢٤٠٠ ريال في السنة · وقد اعطي المعاش حتى الآن الى ١٨٢ استاذاً ومتوسط معاش كلٍّ منهم نحو ١٥٠٠ ريال في السنة واذا مات الاستاذ اعطي نصف معاشهِ لارملتهِ

هبة مثل هذه تريح بال العلماء وتجعلهم ينقطعون لخدمة العلم من غير ان يهتموا بطلب المال لانهم يعلمون انهُ يعتنى بهم الى حين مماتهم ويعتنى بعيالهم من بعدهم

مذنب جديد

ورد تلغراف من مرصد كيل انهُ اكتشف فيهِ مذنب جديد من القدر الحادي عشر وذلك في ١٥ يونيو الماضي · وكان حين

اكتشافهِ في كوكبة المثلث سائراً نحو المرأة المسلسلة وفرساوس . ومن الغريب ان المذنب الذي اكتشف سنة ١٩٠٧ كان اكتشافهُ في ١٤ يونيو ثم قرب حتى صار يرى بالعين وقد يحذو مذنب هذا العام حذوهُ

الفحم في القطب الجنوبي

من اهم المكتشفات التي اكتشفت في جهات القطب الجنوبي حديثًا طبقات من الفحم الحجري سمكها كلها ١٥٠٠ قدم على الاقل وهي حيث العرض ٨٥ درجة اي على ٥ درجات فقط من القطب الجنوبي وبعض هذه الطبقات رقيق لا يزيد سمكهُ على قدم واحدة وبعضها سميك يبلغ سمكهُ سبع اقدام ووجدت آثار الجذور في الطين الذي وجد مع الفحم الحجري . وذلك دليل قاطع على ان تلك الاصقاع كانت حارة وكانت الاشجار تغطيها عصوراً متطاولة

مرض النوم

يظهر من بحث جمعية الطب الاستوائي انهُ مات بمرض النوم في اوغندا وحدها خمس مئة الف نفس . ولما عُرف كيف ينتشر هذا المرض قل فتكهُ فصار الآن عشر ما كان قبلاً . وقد انفق في لفربول وحدها على ارسال البعثات العلمية الى افريقية لهذه الغاية مئة الف جنيه

اصل الاقمار

قال الاستاذ سي الفلكي انهُ اثبت بالادلة القاطعة ان اقمار السيارات لم تنفصل عنها انفصالاً بل ان السيارات جذبتها اليها من الفضاء فدارت حولها وسنأتي على تفصيل بحثهِ في فرصة اخرى

مطر الهند

جاء في تقرير مرصد بمباي ببلاد الهند ان مقدار المطر الذي وقع فيها في العام الماضي بلغ ٥٣ عقدة و ٥٤ في المئة من العقدة اي انهُ اقل من متوسط الاربع والعشرين سنة من ١٨٧٣ — ١٨٩٦ بنحو ٢١ عقدة وستة اعشار العقدة

سبب خضرة النبات

اتضح للعلماء منذ زمن ان النباتات البحرية تتلون بالالوان المتممة للنور الذي يقع عليها واثبتوا ذلك بالامتحان وقد ابان الآن الاستاذ ستهل ان ذلك يجري في النباتات البرية ايضاً فانها يقع عليها النور الاحمر نور الفجر والشفق فيجعل لونها اخضر ويقع عليها النور المزرق من الانعكاس عن السماء فيضرب لونها الى الصفرة لان الاخضر متمم الاحمر والاصفر متمم الازرق . اي ان حويصلات النبات تمتص النور الذي يقع عليها فتظهر بلون النور المتمم لهُ . والظاهر ان هذه الحويصلات لا تمتص النور الساطع

الواقع عليها من الشمس مباشرة. الا ان المسألة كثيرة التعقيد ولا يزال البحث دائراً فيها

الكيمياء والاجنة

ظهر بالامتحان ان المواد الكيماوية توثر في اجنة بعض الحيوانات فتتغير اعضاءها فاذا اذيبت املاح المغنيسيوم في ماء البحر فالاسماك التي تتولد فيه حينئذٍ يكون كثير منها بعين واحدة ويتغير فيها فيبرز كثيراً

جائزة ازورس

وهب انستتو فرنسا جائزة ازورس ومقدارها اربعة آلاف جنيه للمسيو لويس بلريو والمسيو غبريل فوازن لاجل ما فعلاهُ في ما يتعلق بركوب الهواء وهذه الجائزة تعطى كل ثلاث سنوات للذي فعل في تلك المدة اعظم فعل يأول الى ارتقاء الانسان

سكان القطر المصري

حُسب عدد سكان القطر المصري سنة ١٨٠٠ في عهد الحملة الفرنسوية ٢٤٦٠٢٠٠ نفس وحُسب سنة ١٨٢١ من قوائم الضرائب ٢٥٣٦٤٠٠ نفس وسنة ١٨٤٦ من احصاء البيوت ٤٤٧٦٤٤٠ نفساً. وأحصي عددهم سنة ١٨٨٢ فكان ٦٨٣١١٣١ وسنة ١٨٩٧ فكان ٩٧٣٤٤٠٥ وسنة ١٩٠٧ فكان ١١٢٨٧٣٥٩ وقد قدر عددهم في العام ١١٤٥٥٦٧٣ اي بزيادة ١٦٨٣١٤ عما كانوا سنة ١٩٠٧ سنة الاحصاء الاخير. وقد كانت الزيادة السنوية نحو ١٦٦ الفاً سنة ١٩٠٧

سرايات اسمعيل باشا

بلغ ما انفقه اسمعيل باشا على سراي الجيزه ١٣٩٣٣٩٤ جنيهاً وعلى سراي الجزيرة ٨٩٨٦٩١ جنيهاً وعلى سراي عابدين ٦٦٥٥٧٠ وعلى سراي الاسمعيلية ٢٠١٢٨٦ وعلى سائر السرايات التي بناها ٢٣٣١٦٧٩ جنيهاً والجملة نحو خمسة ملايين ونصف من الجنيهات وبلغ ما انفقهُ على ردم حديقة الجيزة وحدها ٢٧٠٠٠٠ جنيه ومع ذلك باعت الحكومة تلك السراي واكثر حديقتها بثمن بخس لا يبلغ ما انفق على ردم الحديقة

مواشي ايطاليا

احصيت المواشي التي في ايطاليا في العام الماضي فوجدت كما يأتي

الخيل	٩٥٥٠٥١
البغال	٣٨٨٣٦١
الحمير	٨٤٨٩٨٨
البقر	٦١٩٠٩٩٠
الجواميس	٠٠١٩٣٦٢
الغنم	١١١٦٠٤٢٠
المعزى	٠٢٧١٤٥١٣
الخنازير	٢٥٠٣٧٣٣

ماسة هوب الزرقاء

انبأنا البرق ان ثماني ماسات بيعت في ٢٤ يونيو الماضي بمبلغ ٤٠٣٢٤ جنيهاً في اوتل درووو بباريس ومن جملتها ماسة هوب الزرقاء . ولم يهتم الناس بهذا الخبر لخفاء امر هذه الحجارة الكريمة ولا سيما ماسة هوب عن الجمهور . ولما كانت اخبار هذه الماسة من اغرب الاخبار تشبه اساطير الاولين وخرافات الاقدمين رأينا ان نلخصها في هذه العجالة فنقول نقلاً عما جاء عنها في جريدة التيمس

صاحب تلك الماسات الثماني في باريس محل الخواجا حبيب الجوهري السوري الطائر الصيت في مشارق الارض ومغاربها الذي كان يشتري الجواهر للسلطان عبد الحميد وهو الذي باعها وكان من جملتها عدا ماسة هوب الزرقاء ماسة وردية اللون مشهورة باسم مي ريجان وماسة اخرى اسمها البرنسس ماتيلد . اما ماسة هوب فوزنها ½ ٤٤ قيراط وقد ثمنت بخمسة وعشرين الف جنيه ولكن لم يدفع فيها غير ١٦ الف جنيه

ويروى عن هذه الماسة انها كانت من جواهر ملوك فرنسا يتوارثونها خلفاً عن سلف ثم اخذت منهم في اغسطس سنة ١٧٩٢ ووضعت في المحل المعروف بمستودع الاثاث فسرقت من هناك في الشهر التالي من تلك السنة فاذا صحت هذه الرواية ولم يروَ ان احداً كذبها فهذه الماسة كانت في الاصل ماسة جميلة مثلثة الشكل زنتها ⅝ ٦٧ قيراط ثم قطع بعضها منها وبقيت هذه الماسة بشكلها الحالي

وقد اقترن تاريخ اقتناء هذه الماسة باخبار الشؤم من اولهِ الى آخرهِ فكل اخبارها قتل وانتحار وجنون وافلاس ومصائب لا توصف . قيل ان اول من اقتناها من الاوربيين رجل اسمهُ جان بابتست تفرنيه الذي ولد في باريس سنة ١٦٠٥ ومات في موسكو سنة ١٦٨٦ واكتسب اموالاً طائلة من تجارة الماس والف كتاباً في رحلاتهِ الى تركيا وايران والهند فلما رجع من الشرق الى فرنسا باع الملك لويس الرابع عشر ٢٥ ماسة كبيرة ومنها ماسة هوب هذه . لكن ابنهُ جرَّ عليهِ المصائب فانهُ هوَّرهُ في المضاربة حتى اضطرَّ ان يبيع كل مقتنياتهِ ليوفي ديونهُ وبات فقيراً في الحادية والثمانين من عمرهِ فزينت لهُ النفس العودة الى الشرق فسافر ولكنهُ أُصيب بالحمى ومات في الطريق فكانت هذه اول مصيبة سطرت في تاريخ هذه الماسة

فطلبت مدام دومونتسبان من لويس الرابع عشر ان يسمح لها بالتحلي بهذه الماسة وكان لا يرد لها طلبًا لشدة شغفهِ بحبها فما تزينت بها حتى حدثت حادثة ذهبت بحبها من قلبهِ وازالت صولتها عن فؤادهِ فتركها وهام بمدام منتنون بدلاً منها . ثم ان نقولا فوكى الذي كان مراقب مالية فرنسا استعار هذه الماسة

من الملك لويس الرابع عشر ليعرضها في وليمة من الولائم الفاخرة والحفلات الباهرة التي كان يولمها وابقاها عندهُ مدة فحسدهُ الملك على تلك الولائم وغار مما كان يظهر من البذخ والترف فنقم عليهِ وسجنهُ وعاش ما بقي من عمرهِ ذليلاً حتى توفي بالسكنة سنة ١٦٨٠ . وظلت هذه الماسة سنين كثيرة بين جواهر ملوك فرنسا حتى صارت ماري انطوانت ملكة فرنسا وسمعت بحسن هذه الماسة وجمالها فطلبت من الملك لويس السادس عشر ان تُتحلى بها فعلقتها على عنقها في حفلة رقص بالتويلروي وكانت صديقتها ومستودع اسرارها البرنسس لمبال تستعير الماسة منها وتتحلى بها احياناً فكانت آخرة الملكة ماري انطوانت انها ماتت بضرب عنقها وآخرة صديقتها ان غوغاء باريس ضربتها حتى قتلتها

ثم اختفي خبر هذه الماسة ٤٠ سنة ويقال ان جوهرياً من اهل امستردام طلب منهُ قطعها فسرقها ابنهُ منهُ . فخرب بيتهُ بسبب ذلك وانتحر ابنهُ . ويقال ان الابن اعطاها لرجل فرنسوي من مرسيليا فحفظها حتى جاء بها اخيراً الى لندن وهو على آخر رمق من الفقر والمرض وباعها لرجل انكليزي ثم مات في اليوم التالي من شدة الجوع . وباعها الانكليزي لانكليزي آخر اسمهُ هوب سنة ١٨٣٠ بمبلغ ١٨٠٠٠ جنيه فسميت باسمهِ وقدرت قيمتها بمبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه لجمال شكلها وتمام صفائها وبديع جوهرها

وكان هوب يعيرها للمعارض الكبيرة ولم يصب بمكروه بسببها وظلت في عائلتهِ حتى ورثها اللورد فرنسيس هوب وتزوج الممثلة يوهي فكدرت صفاء عيشهِ حتى طلقها سنة ١٩٠٢ وباع الماسة لجوهري من لندن وهذا باعها لجوهري اميركي اسمهُ فرانكل فلم يستطع ان يجد من يشتريها منهُ فاشتد بهِ العسر ووقع في مشاكل مالية

وفي السنة الماضية بيعت لسمسار فرنسوي بمبلغ ٣٠٠ الف فرنك على ما قيل وهذا باعها للبرنس كانيتوفسكي الروسي فاعارها للممثلة البارعة الجمال لورن لادو فلبستها وهي تمثل في مرسح فولي برجير ثم اطلق الرصاص عليها من لوجهِ ليلة لبسها لها فقتلها واثبت ان الماسة لهُ واخذها وبعد ذلك بيومين طعنهُ بعض رجال الثورة فقتلهُ والسمسار الفرنسوي اصيب بالجنون ثم انتحر بعد ذلك بايام قليلة . ويقال ان جوهرياً يونانياً اقتنى الماسة بعدئذٍ فلم يمضِ الاَّ القليل حتى وقع هو وزوجتهُ وولدهُ عن صخر شاهق وقتل

ويروى الآن انهُ قبلما مات باع الماسة للسلطان عبد الحميد قبل خلعهِ لانهُ مغرم بالجواهر كما هو معلوم فاعطاها لابي صابر ليجلوها وانتهى الامر بابي صابر ان الفلق وضعت في رجليهِ وضرب ضرباً مبرحاً وزج في السجن ولم يخرج منهُ الا بعد خلع عبد الحميد

وحارس المحل الذي كانت الماسة موضوعة فيهِ وجد مخنوقاً امام الباب وكلوب بك الخصي الذي كان موكلاً بها التقت بهِ الغوغاء في شوارع الاستانة بعد الثورة فقضت عليهِ . وكانت سلمى زبيدة التي فتنت عبد الحميد بجمالها لابسة تلك الماسة على صدرها حين اشتدت غيرتهُ عليها خوفاً من ان تقع في حوزة غيرهِ فاطلق مسدسهُ عليها برصاصة اصابت صدرها قرب الماسة قبل ان يدخل رجال تركيا الفتاة قصر يلديز كما شاع وذاع ونشر في حينهِ

هذا ما روي من اخبار الشوم عن هذه الماسة ذكرناها وتركنا العهدة على رواتها اذ ما فيها من غرائب الصدف ونوادر الاتفاق يترك الانسان في ريب من صحة كثير منها

والماسة زرقاء اللون مستطيلة قليلاً قطرها الاطول ٢٦ مليمتراً والاقصر ٢٤ مليمتراً وقد ورد ذكرها في المقتطف مراراً

خمر ايطاليا

تقدَّر الخمور التي عصرت في ايطاليا في العام الماضي بنحو ٤٧ مليوناً و٨٦٨ الف هكتولتر وكانت سنة ١٩٠٧ نحو ٥٦ مليوناً و٦٢٦ الف هكتولتر والمتوسط السنوي بين سنة ١٩٠١ و ١٩٠٥ نحو ٣٨ مليون هكتولتر فزادت في العام الماضي عن المتوسط نحو تسعة ملايين هكتولتر ونقصت عن سنة ١٩٠٧ تسعة ملايين هكتولتر

وداع الدكتور اليوت سميث

احتفل الاساتذة الوطنيون في مدرسة قصر العيني الطبية وخريجوها وتلامذتها بوداع الاستاذ الدكتور اليوت سميث استاذ علم التشريح فيها وذلك في ١٥ يونيو فزينوا مدخل المدرسة وحديقتها بالانوار الكهربائية ومدوا فيها موائد الطعام الخفيف كالشاي والزبدة والكعك وكانوا قد دعوا الاساتذة الاوربيين ونساءهم وبعض الاصدقاء واصحاب المجلات فانتظموا حول الموائد والدكتور اليوت سمث في صدر المائدة الكبرى والى يمينهِ حضرة الدكتور طلعت بك مندوب سعادة ناظر المعارف . ثم وقف حضرة الدكتور ولسن استاذ علم الفسيولوجيا وافتتح الاحتفال بخطبة وجيزة نيابة عن جناب ناظر المدرسة الدكتور كيتنغ الذي اضطر ان يسافر الى بلاد الانكليز لحضور الاحتفال بعيد دارون وقال ان الدكتور كيتنغ اسف جداً لانهُ لم يتمكن من الحضور في هذا الاحتفال ولكن المهمة التي ذهب فيها بالنيابة عن المدرسة الطبية وعن القطر المصري عملية كمشاركة حضرات الاساتذة والتلامذة في وداع استاذهم الفاضل . وتأسف لان سعادة ناظر المعارف وجناب مستشارها لم يتمكنا من حضور هذا الاحتفال مع انهما كانا يودان ذلك وقد انابا عنهما حضرة الدكتور طلعت

بك ولو تمكن سعادة ناظر المعارف من الحضور لرأى ما سرهُ من مظاهر الالفة والوئام بين الاساتذة والتلامذة في هذا المعهد العلمي الشهير

وتلاهُ حضرة الدكتور محجوب ثابت فتكلم بالانكليزية والعربية وذكر مزايا الدكتور اليوت سمث وفواضلهُ وطلب من الحضور ان يشربوا نخبهُ . وتناوب الخطباء بعد ذلك وهم الدكتور ابرهيم فهمي مساعد الدكتور اليوت سمث والدكتور ماهر من اقدم تلامذتهِ . واحمد افندي شفيق ومحمد افندي شافعي وهما من طلبة السنة الرابعة وعبد الحي افندي . وقد تكلموا كلهم بالانكليزية الأ عبد الحي افندي فانهُ تكلم بالعربية . وقد اطنبوا كلهم بذكر ما للدكتور سمث من الايادي البيضاء عليهم وكيف انهُ رقى علم التشريح بمباحثهِ المبتكرة وكان مثالاً للتلامذة في علو الهمة ومحبة العلم كما انهُ كان مثالاً لهم ولسائر الاساتذة في الدعة ولين الجانب حتى تعلقت بهِ قلوب تلامذتهِ وحفظوا لهُ احسن ذكرى في قلوبهم وفي ادمغتهم ايضاً وان احتفالهم هذا بهِ انما هو من جملة الادلة على ان ابناء وادي النيل يقدرون فضل الفضلاء و يقومون بالشكر الواجب لمن يتفضل عليهم واسفوا جدًّا لان الاحوال قضت عليهم بان يفقدوا استاذاً فاضلاً مثلهُ ولكن اختيارهُ لمدرسة اكبر من مدرستهم لعلمهِ الغزير وشهرتهِ الواسعة يجعلهم يمزجون اسفهم لفراقهِ بسرورهم بارتقائهِ

وكانوا قد كتبوا لهُ كتاب شكر ووداع بالعربية فوقف حضرة سالم افندي هنداوي وتلاهُ بصوت جهوري وهذه صورتهُ

شكر وذكر

الى الاستاذ الدكتور اليوت سميث

ايها الاستاذ العظيم

اقمت فينا زماناً عرفنا فيهِ غزارة علمك وعظيم فضلك واريتنا فيهِ من حذقك ونبوغك في فنك ما علق قلوبنا وضاعف آمالنا فيك ولكن ابى الله الأ ان يحرم هذه المدرسة من ذلك العلم الجم الذي كان مورداً عذباً لطلاب الطب

فالآن يودعك ايها الاستاذ كما ترى اخوانك وتلاميذك من اهل مصر . يودعك طائفة من مربيها وقادة افكارها ليثبتوا للعالم ان هذه الامة لا تبخس احداً حقهُ ولا تنكر لاحد جميلاً وانها تشكر للمحسن احسانهُ وتمقت من المسيء اساءتهُ من غير ان يصرفها عن الحق عصبية ولا جنسية . يودعك ايها الاستاذ هؤُلاء الذين يريدون ان يعيدوا بامثالك من الافاضل عهد ابقراط في هذه الديار حتى لا يذكر اجنبي مصر الأ كما تذكرها صفحات التاريخ الصامتة تربة طيبة وجو جميل وحضارة فائقة وعلم جزيل

انا نودعك ايها الاستاذ ونودع فيك علماً خدم فن التشريح بما كشف من خفايا اسراره اجل خدمة حتى اصبحت في عالم الطب

اماماً يهتدي بهديهِ ويقتدي برأيهِ

فتقبل ايها الاستاذ ذكرى من لا يفتأُون يذكرونك بفضلك وغزير علمك وسر على بركة الله تعالى في ارتحالك وحلك ولا تضن على هذا البلد العزيز بما توفق اليهِ في مستقبل حياتك العلمية من الاكتشافات النافعة والآراء الصائبة فإن هذه المدرسة تنتظر ان تستفيد منك في بعدك ما استفادت في قربك فحقق ظنها بك وآمالها فيك ودم في وديعة الله وعنايتهِ . انتهى

وغني عن البيان ان هذا الكتاب من ادل الادلة على ما يشعر بهِ حضرات المحتفلين من الشكر لجناب المحتفل بهِ وعلى ما لهُ من الأيادي البيضاء في خدمة العلم

ولم يكتف المحتفلون بالموائد والخطب بل اهدوا الى جناب المحتفل بهِ هدية مصرية نفيسة قنديلاً كبيراً محلى بالفضة ومنقوشاً نقشاً بديعاً مثل القناديل الكبيرة التي تعلق في الجوامع وصينية واثني عشر ظرفاً وفنجاناً من فناجين القهوة والصينية والظروف من عمل القطر المصري وهي منقوشة نقشاً عربياً جميلاً

ثم وقف الدكتور سِمث المحتفل بهِ وقال ان هذا الاحتفال الذي لم يكن ينتظرهُ قط وهذه المظاهرة الشريفة حركت عواطفهُ كلها حتى لم يعد يجد كلاماً كافياً للتعبير عما يخالج ضميرهُ من السرور والشكر لاسيما وان الخطباء تكلموا ببلاغة يعجز هو عن المجيء بمثلها ولو كانت الانكليزية لغتهُ لا لغتهم . وقال انهُ في التسع السنوات التي اقام فيها استاذاً في تلك المدرسة بذل جهدهُ لكي يرسخ في اذهان الطلبة مبادئ علم التشريح وما يبنى عليها وكثيراً ما كان يريهم الفروق الطبيعية الراسخة في بنية الناس والتي لابد من مجاراتها والا ضاع جانب كبير من الجهد عبثاً . واشار الى اطباء العرب العظام مثل ابن سينا وقال انهُ يتوقع ان يرى من خريجي مدرسة الطب المصرية اطباء يشتهرون شهرتهم بتقويتهم الملكات الطبيعية التي يمتازون بها . ومما يذكرهُ بالسرور انهُ لم يرَ من التلامذة كل مدة اقامتهِ في هذه المدرسة غير دلائل الحب والولاء ولكن عدد التلامذة زاد جداً في السنوات الاخيرة حتى لم يعد قادراً ان يلتفت الى كل واحد منهم الالتفات الواجب على الاستاذ لتلامذتهِ فنغص ذلك عيشهُ لانهُ رأى نفسهُ غير قادر على القيام بما يجب عليهِ نحوهم فقبل المنصب الجديد في جامعة منشستر لكي يخلص من تبكيت الضمير

وكرر الشكر للمحتفلين بهِ مثنى وثلاث ورباع وقال انهُ سيبقى في فؤادهِ احسن تذكار لتلامذتهِ ورصفائهِ ومصر وسكانها

ثم اجتمع المحتفلون والمحتفل بهِ والمدعوون وصورهم المصور على نور ساطع يقوم مقام نور الشمس

حدائق الحيوانات

نشر الكبتن فلور مدير حديقة الحيوانات بالجيزة رسالة انكليزية عن حدائق الحيوانات في العالم قدّر فيها عدد هذه الحدائق اليوم بأكثر من مئة حديقة وقال ان اقدم هذه الحدائق عهداً حديقة فينا انشئت سنة ١٧٥٢ وحديقة مدريد سنة ١٧٧٤ وحديقة باريس سنة ١٧٩٣ . ثم انشأ الانكليز خمس حدائق من سنة ١٨٢٨ الى سنة ١٨٣٦ ولا يزال اربع منها باقياً الى الآن . ولم يزد عدد حدائق الحيونات في العالم الى سنة ١٨٥٠ عن ١١ حديقة والبواقي جدّت كلها بعد ذلك العهد

وذكر في الكلام على تاريخ حدائق الحيونات في العالم ان المصريين القدماء كانوا يحفظون كثيراً من الوحوش الحية عندهم ولكن الصينيين هم اول من انشأ حديقة للحيوانات كحدائق هذه الايام فقد ورد في تاريخهم ان ونج اول سلطان من سلاطين عائلة تشو انشأ حديقة للحيوانات في عهده وذلك قبل المسيح بأكثر من الف سنة

اعظم مقدار من الراديوم

طلب لورد ايفا والسر ارنست كسل سبعة غرامات ونصف غرام من الراديوم لامتحان افعاله الطبية في نادي الراديوم وسيدفعان ثمنها ثلاثين الف جنيه فيكون ثمن الغرام الواحد اربعة آلاف جنيه

الحمى الصفراء

لما كان ده لسبس يعمل في حفر ترعة بناما مات من العمال ٤٨ الف نفس بالحمى الصفراء اما الآن فكادت تلك الحمى تستأصل تماماً بعد ما عرف سببها وكيفية انتشارها فلم يمت بها احد في الثلاث السنوات الاخيرة حيث ماتت بها تلك الالوف قبلاً

اكل مالك الحزين

مالك الحزين او البلشون طائر معروف يمتاز بطول عنقه وانعقاف منقاره الى الاسفل حتى يضطر ان يقلبه حينما يريد الاكل . وقد ظهر الآن من مراقبة فراخه ان منقارها لا يكون اعوج في الثلاثة الاسابيع الاولى من عمرها فتلتقط طعامها به مثل سائر الطيور ثم يعوج فتصير تقلبه حتى تستطيع ان تلتقط طعامها . ويمتاز هذا الطائر على غيره من الطيور ايضاً بان الشق الاعلى من منقاره متحرك والاسفل ثابت على ضد ما هو في سائر الطيور

اصل المسابح

يظهر من البحث في تاريخ المسابح واستعمالها في عد الصلوات ان اصلها هندي اقتبسها البوذيون من الهنود ثم المسلمون ونقلها الصليبيون الى اوربا لما عادوا من سورية في القرن الثاني عشر فان الكنيسة الرومانية تنسب اول استعمالها الى القديس دومينيك (١١٧٠ — ١٢٢١)

اقدم صناديق الادوية

وجد الدكتور سثين الرحالة صندوق ادوية في صحراء تنهوانغ على حدود الصين مقفلاً ومختوماً وقد كان لفرقة من الجيش الصيني أُخفي هناك منذ الفي سنة ولم يزل على حاله

الغني المدفون

توفي رجل بالامس في بلاد الانكليز اسمهُ تشارلس موريصن وترك اثني عشر مليوناً من الجنيهات . ورث مليون جنيه من ابيهِ واشتغل بالربا والشركات المالية فزادت ثروتهُ رويداً رويداً وهو ملتزم جانب الحذر يكتسب الكثير وينفق القليل الى ان بلغت هذا المبلغ العظيم ولا يعلم باسمهِ الا قليلون من الذين يعاملونهُ . كان يلبس ثياباً سادجة ولا يركب مركبة الا اذا تعذَّر عليهِ المشي ولم ينفق على شيء من الكماليات والزخارف الا على الصور الثمينة . وهو لو اراد لصار من امراء المملكة ولطبق اسمهُ الخافقين ولخطب الملوك ودّهُ ولأثار الحروب وعقد معاهدات السلم ولكنهُ لم يفعل شيئاً من ذلك لانهُ رأى السلامة بالبعد عن الناس والراحة بالبعد عن اسباب الظهور والترف

توفير الطعام

كتب بعضهم الآن ان الانسان يستطيع ان يوفر نصف طعامهِ اذا مضغهُ جيداً فان هذا النصف يكفيهِ وتجود صحتهُ وتقل امراضهُ ويبقى ذهنهُ ماضياً واخلاقهُ رضية ومن يكثر الطعام ولا يمضغهُ جيداً يسوءُ هضمهُ وتعتل صحتهُ وتسوءُ اخلاقهُ ويبلد عقلهُ وكل ذلك مؤيد بالامتحان

تمثال لامارك

صُنع تمثال للامارك العالم الطبيعي الفرنسوي الذي سبق داروِن الى القول بتحول الانواع واقيم في بستان النبات بباريس في حفلة رأَسها المسيو فالير رئيس الجمهورية الفرنسوية في ١٣ يونيو

والتمثال من البرنز وهو يمثل لامارك جالساً يفكر وقد كتب تحتهُ لواضع مذهب النشوء . وخطب المسيو بريي فذكر الدرجات التي مرَّ عليها مذهب لامارك وتأثيرهُ في داروِن وقال ان هذه السنة هي السنة المئة من نشر كتاب لامارك فلسفة علم الحيوان والسنة المئة من ولادة داروِن . وتكلم وزير المعارف عن تاريخ لامارك وصداقة بفون لهُ وتأييدهِ اياهُ ومقاومة كيڤيه لهُ ومخاصمتهِ معهُ

حرير ايطاليا

بلغ مقدار الحرير الذي حُلَّ في ايطاليا في العام الماضي من الشرانق الايطالية ٤ ملايين و٤٨٦ الف كيلوغرام وكان في العام الذي قبلهُ ٤ ملايين و٨٢٠ الف كيلوغرام

فهرس الجزء الاول من المجلد الخامس والثلاثين

السر فرنسيس غلتن



ولس

دارون

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٥ رجب سنة ١٣٢٧

تشارلس داروين
CHARLES DARWIN

احتفلت اميركا قبل انكلترا بمرور مئة سنة على ولادة داروين وخمسين سنة على نشره كتابهُ اصل الانواع الذي غيَّر مجرى العلم والفكر . وظهرت مجلة العلم العام الاميركية في شهر ابريل الماضي وكلها مقالات عن داروين والمذهب الداروني باقلام اكبر علماء العصر . اولاها خطبة للاستاذ هنري فيرفيلد اسبرن من اساتذة جامعة نيويورك المعروفة بجامعة كولمبيا القاها وقت الاحتفال في تلك الجامعة وقد رأينا ان نقتطف منها ما يلي لانها تاريخية تلخص فيها ترجمة داروين وخلاصة اعمالهِ قال

ولد داروين سنة ١٨٠٨ ولد معهُ في تلك السنة كثيرون من الرجال الذين اشتهروا شهرة فائقة ومنهم لنكن رئيس الولايات المتحدة الاميركية[1] . وداروين ولنكن متماثلان في بساطة الاخلاق والبلهجة وفي محبة الحق وكره الاستعباد ولاسيما في عدم شعورهما بقوتهما . وقد استغربا كلاهما ما رأياهُ من تأثير اقوالهما وافعالهما في غيرهما . كتب لنكن مرة يقول « اني لست شيئاً واما الحق فكل شيء » وكتب داروين في خاتمة ترجمتهِ يقول « اني استغرب حقيقة ما يرى من تأثيري في اعتقاد العلماء ببعض المسائل الهامة مع انهُ ليس في مداركي شيء فوق المعتاد . ونجاحي كرجل من رجال العلم نتج عن بعض الاسباب والصفات العقلية واهمها محبتي للعلم واخذي المواضيع العلمية بالتأني والتفكير بالصبر واهتمامي بمراقبة الحقائق وجمعها . وكوني معطًى نصيباً معتدلاً من قوة الاستنباط والاستدلال »

اما لنكن فعملهُ العظيم الوحيد هو ضربتهُ القاتلة للرق . فقد جاهد الانسان قروناً طويلة

(١) ومن المشاهير الذين ولدوا تلك السنة ايضاً تنيسن ومندلسهن وهلمس وغلادستون

لينال حريتهُ في عمله وحكومتهِ ودينهِ وعقلهِ . فتحرَّر جسداً في الوقت الذي تحرَّر فيهِ عقلاً وهذا من الاتفاقات الغريبة . وليس من رأْيي ان اثبات نشوء الانسان هو اعظم افعال دارون لان الانسان عاش سعيداً قبل ذلك كما عاش بعدهُ ولعلهُ كان افضل مما صار اليهِ بعد اثبات مذهب النشوء لانهُ كان يعتقد انهُ مخلوق على صورة الله ومثالهِ . ولكن اعظم افعال دارون هو كونهُ انال الانسان حريتهُ العقلية حتى صار يدرس نواميس الطبيعة حرًّا غير مستعبد فحقق ما قيل في انجيل يوحنا « تعرفون الحق والحق يحرركم »

لما نُشر كتاب دارون منذ خمسين سنة كنا بعيدين عن درس الطبيعة وتأَملها بعين العقل لان عقولنا كانت مقيدة بقيود التقاليد الدينية وكنا نحسب كتب الدين كتباً طبيعية تبحث عن نواميس الطبيعة مع ان رجلاً من كبار ايمة الدين حذَّرنا من ذلك منذ القرن الخامس حيث قال « دعوا مسائل الارض والجو والعناصر للعقل لئلاَّ يرى رجال العلم مخافة ارائكم فيها فيهزأُوا بكم »

(ولو عرف الاستاذ اسبرن قول حجة الاسلام الامام الغزالي لاستشهد بهِ على ما هو بصددهِ فقد قال في كتابهِ تهافت الفلاسفة عن بعض الامور الفلكية « ان هذه الامور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق ادلتها ... اذا قيل لهُ ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيهِ وانما يسترب في الشرع »)

لما أَطلع دارون العالمَ النباتي هوكر سنة ١٨٤٤ على خلاصة بحثهِ كان عارفاً ما سيلاقيهِ من التخطئة والتكفير فقد قال اني ساصغر في عيون علماء الطبيعة حالما تنشر آرائي هذا الذي اتوقعهُ ولا اتوقع سواهُ

قام كوبرنيكوس قبل ذلك بثلاثمئة سنة على تخوم بولندا ونشر كتابهُ « حركات اجرام السماء » فرمى باول سهم في تلك الحروب التي تأَججت ثلثمئة سنة لاجل البحث في الطبيعة من غير قيد . وسنة ١٦١١ اثبت تلسكوب غليليو صدق ما استنتجهُ كوبرنيكوس وهو ان الارض تدور حول الشمس . والآن يرى تمثال غليليو في فلورنسا وقد رفع اصبعهُ امام اعضاء ديوان التفتيش مثبتاً دوران الارض حول الشمس

ومرَّت السنون واضطرَّ اهل التعصب الديني ان يتركوا الالتجاء الى السجن والتعذيب في اضطهاد المخالفين لم لكنهم استخدموا لاضطهادهم وسيلتين اخريين لا تقلاَّن عن السجن ايذاء وهما الاقصاء والحرمان من المناصب . رأى لينيوس وبفون ولامارك وسنت هيلر ادلة النشوء وجاهروا بها ولكنهم اضطروا ان يستردوا ما قالوهُ او يحرَموا مناصبهم . وبلغ الاعتقاد

بما هو فوق الطبيعة اوجهُ سنة ١٨٥٧ وكان كبار علماء الطبيعة مثل كيڤيه واون وليل واغاسز من القائلين بالخلق المستقل اي ان الخالق خلق كل نوع من انواع الحيوان والنبات على حدة فلا اتصال بينها ولا هي متولدة بعضها من بعض لكن علمهم كان مقوَّضاً من اساسهِ لانهُ ليس مبنيًّا على البحث الحرّ غير المقيد

والامر الذي عجز عنهُ العالمان الطبيعيان الكبيران بفون ولامارك نالهُ دارون بقريحتهِ الفائقة في الملاحظة والاستنتاج وكذلك بما جمعهُ من الحقائق الكثيرة الباهرة وبما ابداهُ من الادلة البسيطة المقنعة · لم يكن بليغ العبارة مثل جدهِ اراسموس دارون ولاغامضها مثل هربرت سبنسر ولذلك اتضحت اقوالهُ وادلتهُ لكل احد · وقد انحاز اليهِ رجال من كبار العلماء مثل هيكل وهكسلي ولكن فوزهُ لم ينتج عن حدة اقوال هيكل ولا من شدة عارضة هكسلي بل من تغلُّب الحقائق على الاباطيل · ولم يقم دارون لينقض تعاليم غيرهِ كما فعل امثالهُ من رجال القرن الثامن عشر بل ليبني بناءً جديداً · لكن افاضل العلماء اضطربوا من ذلك كأنَّ الارض زلزلت بهم زلزالها واخرجت اثقالها · ولم يحدث في عصر من العصور السالفة ما حدث في عصرهم من الانقلاب

لا مثيل لدارون في ما فعلهُ فهو في تاريخ المعارف ثاني ارسطوطاليس الفيلسوف اليوناني والعالم الطبيعي الذي تقدمهُ باكثر من الفي سنة

نشأ من بيت علم وفضل وهو نسيب فرنسيس غلتن قسيم وسمين في درس الوراثة الطبيعية فاجتمعت فيهِ مناقب اسلافهِ وخلا من معايبهم ففاقهم كلهم · وورث منهم الوداعة والامانة والمحبة للطبيعة · وورث من جدهِ اراسموس دارون قوة التصور والميل الى التعميم واستنتاج الكليات من الجزئيات فكانت الآراء والتعاليل تلوح في ذهنهِ دائماً كالبرق فلا يرى لهُ مناصاً منها واتجهت فيهِ الى جهة النشوء اي تولد انواع الحيوان والنبات بعضها من بعض · وورث من ابيهِ التدقيق في الملاحظة والرغبة الشديدة في معرفة العلل الحقيقية والحذر من الخطإ فكان يبذل جهدهُ دائماً ليبقى عقلهُ حرًّا فيطرح الآراء التي يكون قد ارتآها والتعاليل التي يكون قد عللها حالما يرى ما يناقضها

ان كان الشعر في الشاعر طبيعةً لا اكتساباً فالعلم في العالم طبيعة واكتساب · كان دارون من النوابغ بالفطرة ولكن الاحوال التي وُجد فيها اكسبتهُ كثيراً ولو كان يعتقد مثل نسيبهِ غلتن ان التعليم والاحوال الخارجية لا تؤثر في العقل الاَّ تأثيراً طفيفاً جدًّا · وقد بخس وسائطهُ العلمية حقها كما بخس استعدادهُ الفطري حقهُ وذلك لانهُ حسب ان

الوسائط العلمية مقصورة على الكتب والعلوم التي تعلمها في جامعتي ادنبرج وكمبردج واغفل ما اكتسبهُ من الناس الذين عاشرهم وسائر الوسائل العلمية التي رغبتهُ في العلم والبحث وارشدتهُ وقادتهُ في السبيل العلمي . فقد استفاد من قدوة ابيهِ وارشادهِ واستفاد من قراءة اشعار شكسبير وورد سورث وكلردج وملتن ومن كتب بالي وهرشل وهمبلت ومما سمعهُ من المباحث العلمية في جامعة كمبردج ومن ارشاد هنسلو النباتي وليل الجيولوجي ومن المشاهد الطبيعية التي شاهدها وهو مسافر في سفينة البيغل . لكن الوسط العلمي الذي انشأهُ وصيرهُ كما هو لا يوجد الآن في مدارسنا الجامعة لانهُ صار يتعذر على الطلبة ان يخصصوا الزمن الكافي لدرس الطبيعة في الطبيعة منصرفين عن مشاغل الحياة . ولم تعد المدارس تلتفت الى ذوي الاميال الفطرية والمزايا الطبيعية وتنشطهم على اتباعها ولو كانت جمع الخنافس والحشرات . فالوسائل التي نفعت داروين كانت كثيرة عظيمة ولكن لا ينتفع منها مثل داروين الاَّ داروين

دخل جامعة كمبردج وعمرهُ ١٩ سنة وكان مغرماً بالالعاب والصيد والقنص والركب ظريفاً يحب المزاح لكن ذلك لم يحل بينهُ بين معاشرتهِ لكبار العلماء فعرفهُ رفاقهُ بانهُ الشاب الذي يمشي مع هنسلو . وكان هنسلو قساً جليلاً ومن اكبر علماء النبات وقد استفاد داروين منهُ اكثر مما استفاد من كل احد سواهُ فعرَّفهُ هنسلو بسدجوك الجيولوجي بعد خروجهِ من المدرسة واحرز لهُ المكان في سفينة البيغل التي ساحت حول الارض سياحة علمية من سنة ١٨٣١ الى سنة ١٨٣٦ على نفقة الحكومة الانكليزية وهذا اهم حادث في حياتهِ العلمية

كل دروس المدارس لا تقابَل بنظرة واحدة الى مشاهد الطبيعة حينما تتجلى لدى عين باصرة وعقل مستنير . وقد كان لداروين ذلك العقل وتلك العين لانهُ قرأ كتاب ليَل في الجيولوجيا وعرف اقوال هتن في انتظام افعال الطبيعة فاخذ باقوالهما ورأى ان ناموس التغير المستمر الذي اثبت ليل استيلاءهُ على الجماد مستولٍ ايضاً على النبات والحيوان . واعترافاً بما لليل عليهِ من الفضل اهدى اليهِ الكتاب الذي الفهُ عن سياحتهِ هذه وقال في اهدائهِ ان الجانب الاهم مما هو علمي في هذا الكتاب وغيرهِ مما للمؤلف يرجع الفضل فيهِ الى ما اكتسبهُ من درس الكتاب البديع كتاب مبادئ الجيولوجيا (اي كتاب ليَل) . ولقد كانت سفرتهُ هذه اكبر معلم لهُ ومنمٍ لعقلهِ حتى قال ابوهُ لما رجع منها ان شكل رأسهِ قد تغير

وانتقل داروين الى لندن بعد رجوعهِ من السفر واقام فيها سنتين ليرتب المجموعات الطبيعية التي جمعها ويكتب ما يتعلق بها . واصابهُ وهو هناك ما منعهُ من الانتظام في خدمة الحكومة ولو انتظم فيها لخسر العلمُ ما كسبهُ منهُ لكنهُ أُصيب بمرض اضطرهُ الى مغادرة لندن والاقامة في

دون . وقضى اربعين سنة لم يرَ فيها يوم صحة مثل الناس لكن انحراف صحته الجسدية حفظ صحتهُ العقلية وبشاشة وجهه ولو بقي في لندن واشترك في مهامها لقتلهُ الهم قبل اجله كما قتل هكسلي فاني رأيتهُ هو وهكسلي سنة ١٨٧٩ وكان عمرهُ ٧٠ سنة وعمر هكسلي ٥٤ ولكن كانت تبين على هكسلي امارات الهم والشيخوخة اكثر مما تبين عليهِ

وتقسم مؤلفات داروِن الى ثلاثة اقسام القسم الاول ما كتبهُ وعمرهُ بين ٢٨ سنة و ٣٦ قبلما نشر مذهبهُ في النشوء وموضوعهُ سواحل المرجان والزولوجيا والجيولوجيا في سفرة البيغل ويومية سفرتهِ هذه . ثم اضطرهُ انحراف صحتهِ الى ترك الجيولوجيا والاقتصار على التاريخ الطبيعي فقضى ثماني سنوات من سنة ٣٧ من عمرهِ الى سنة ٤٥ وهو يبحث في السربيديا Cirripedia من الحيوانات الدنيا فكشف لهُ البحث التناع عن ناموس الانتخاب الطبيعي . وكان قد انتبه الى تغير الانواع وعمرهُ ٢٨ سنة فاخذ سنة ١٨٣٧ يستقري الادلة الدالة على تغير الانواع وكان شديد الملاحظة ينتبه لكل شيء كما كان قوي الاستدلال . ولم يكتفِ بكتابة ما يؤيد رأيهُ بل كان ينتبه لكل ما يخالفهُ ويكتبهُ . ورأى من المناسبة بين الحيوانات والنباتات وبين الاحوال التي تعيش فيها ما اذهلهُ ثم رأى كتاب ملثس في ازدياد السكان فخطر لهُ حينئذٍ خاطر تنازع البقاء والتغير المستمر واختيار التغيرات التي هي اكثر من غيرها مناسبةً وهي عماد كتابهِ اصل الانواع

ويمتاز هذا الكتاب بان مؤلفهُ قضى في اعدادهِ وتمحيصهِ أحدى وعشرين سنة ولو لم يتفق للعالم ولس ان اهتدى حينئذٍ الى مسألة تحوُّل الانواع بالانتخاب الطبيعي وعزم على نشر ذلك لَمَا نشر داروِن كتابهُ حينما نشرهُ

نشر داروِن كتابهُ اصل الانواع سنة ١٨٥٩ وعمرهُ خمسون سنة ونشر بين الخمسين والثالثة والسبعين من عمرهِ تسعة مجلدات كبيرة شرح فيها الاقوال التي قالها في كتابهِ الاول اصل الانواع واشهرها كتابهُ في تسلسل الانسان وهو الحلقة الثالثة من حلقات تحرير العقل من قيود الاوهام . الحلقة الاولى لكوبرنكس الفلكي والثانية لداروِن في كتابهِ اصل الانواع والثالثة لهُ ايضاً في كتابهِ تسلسل الانسان . ولا يخفى مقدار الذهول الذي اعترى رجال العلم ورجال الدين والناس اجمع من هذا الكتاب وكيف قامت القيامة عليهِ

ثم شرح الخطيب كيفية تدقيق داروِن في بحثهِ والتفت الى مذهبهِ وذكر ما يوافقهُ وما يخالفهُ وقال ان اراء داروِن كلها وجيهة ولا تزال في مكانتها مهما كُتب ضدها ولم يضعف منها الاَّ ما قالهُ عن وراثة التنوعات الجسدية او الصفات المكتسبة وعن قلَّة التغيرات الفجائية

وعن نمل الصدفة في حدوث التغيرات في الاحياء وبقاء الاصلح وهذا الامر الاخير اهمها ويكاد يثبت الآن انهُ لا يحدث شيء بالصدفة والاتفاق بل لكل شيء ناموس يجري عليهِ ولو كنا لا نعلمهُ . ولما ذكر دارون الصدفة قال انهُ عنى بها ما لا يعلم سببهُ اي انها مرادف الجهل

وفصَّل الخطيب كيف لقي دارون اول مرة قال : — في الثامن من نوفمبر سنة ١٨٧٩ لما كان دارون في السبعين من عمرهِ كنت في الثانية والعشرين من عمري ادرس في معمل هكسلي تشريح الحيوانات القشرية وقد كتبت في يوميتي حينئذٍ ما يأتي

« كنت منحنياً فوق كركند هذا الصباح اشرّح دماغهُ فرفعت رأسي ورأيت هكسلي وداروت مارَّين امامي ولا اظن انني سأرى بعد الآن عالمين كبيرين مثلهما لكنني واظبت على عملي واذا بهكسلي يكلمني ويعرّفني بدارون بقولهِ هنا اميركي لهُ شغل حسن في علم البلينثولوجيا عبر البحر (اي باميركا) ومدَّ دارون يدهُ اليَّ فصافحتهُ وشددت على يدهِ بكل عزمي عالماً اني لا اصافح تلك اليد مرةً اخرى وقلت لهُ اني مسرور جداً بهذا اللقاء . كان اطول من هكسلي وجههُ احمر وعيناهُ زرقاوان وحاجباهُ كثان يغطيانهما ولحيتهُ طويلة بيضاء كلها ومنظرهُ غير جميل ولكن وجههُ بشوش جداً فتبسم وودَّ ان لا يعاق مارش (الطبيعي الاميركي) وتلامذتهُ في شغلهم العلمي . اما هكسلي فقال لهُ يجب ان امنعك عن الكلام الكثير ثم سار بهِ . ولم يكد يخرج من الغرفة حتى حسدني التلامذة على كلامهِ معي

اما من حيث مخالفة العلم الطبيعي للدين فالعلماء قد اخذوا الآن ينفون هذه المخالفة . واذا نظر خلفاؤنا الى العلم الطبيعي والدين بعد ثلث مئة سنة او اربع مئة سنة رأوا مذهبين عظيمين الاول شرقي لا شأن فيهِ للطبيعة والنواميس الطبيعية بل هو ادبي ديني نشأ على ضفاف النيل ودجلة والفرات وبعد ان مرَّت عليهِ خمسة آلاف سنة في الجهاد بلغ اوجهُ في فلسطين حيث قيل ان الكون كلهُ صنعة يد الله وعلى الانسان ان يحب قريبهُ كنفسهِ . والمذهب الثاني غربي ابتدأ قبل هذا الحادث الاخير بستة قرون ابتدأ بالبحث عن الطبيعة ونواميسها وسار سيراً حثيثاً في بلاد اليونان ووقف بوقوفها ثم تجدَّدت حياتهُ بعد تسعة عشر قرناً بكوبرنكس وغليليو وبلغ اوجهُ بدارون . والانسان جزء من الطبيعة وهو يجد لذتهُ بدرسها وخيرهُ بمعرفة نواميسها . وسيرى خلفاؤنا ان هذين المذهبين مذهب المحبة ومذهب المعرفة المذهب الروحي والمذهب العقلي متفقان متضامنان لا تناقض بينهما

السر فرنسيس غلتن
SIR FRANCIS GALTON

أنبانا البرق بالامس ان ملك الانكليز منح هذا العالم العلامة لقب سر ٠ وقد جرى ملوك الانكليز على منح القاب الشرف للذين يفوقون اقرانهم في العلم كما يمنحونها للذين يفوقون الاقران في الغنى او في السياسة او في قيادة الجيوش ولو كان نصيب العلماء من ذلك قليلاً بالنسبة الى نصيب غيرهم وهم اولى من كل احد بالنصيب الاكبر

ولد السر فرنسيس غلتن سنة ١٨٢٢ فهو الآن في السابعة والثمانين من عمرهِ وامهُ ابنة اراسموس دارون فتشارلس دارون المشهور ابن خالهِ

طلب العلم في مدرسة برمنام واختار علم الطب فدرسهُ فيها وفي كلية الملك بلندن ثم في كمبردج ونال الدبلوما منها سنة ١٨٤٤ وقام للسياحة فزار القطر المصري وصعد الى اعالي البحر الابيض فكان اول الروَّاد الاوربيين في تلك الانحاء وكثيراً ما قال لنا انهُ يعرف مصر قبلنا ولدنا

ثم ساح في الجنوب الغربي من افريقية سنة ١٨٥٠ ومرَّ في بلدان لم تطأها رجل اوربي قبلهُ وكتب رحلتهُ في كتاب عنوانهُ اخبار سائح في افريقية الجنوبية الاستوائية نشرهُ سنة ١٨٥٣ فاهدت اليهِ الجمعية الجغرافية نشانها الذهبي ٠ ثم ألف كتاباً آخر ونشرهُ سنة ١٨٥٥ موضوعهُ صناعة السياحة او الوسائل التي يجب على السائح الالتجاء اليها اذا ساح في البوادي وبلاد المتوحشين فكان رواجهُ عظيماً وأُعيد طبعهُ خمس مرات بين سنة ١٨٥٥ وسنة ١٨٧٢

وزار شمالي اسبانيا سنة ١٨٦١ وبحث في البلاد وسكانها بحث العالم المدقق ونشر خلاصة مباحثهِ في كتب سماها فرص السيَّاح

والتفت الى علم الاحداث الجوية فبحث فيهِ ونشر خلاصة مباحثهِ سنة ١٨٦٣ وهذه اول رسمت فيها احوال الجو في خرائط كبيرة ٠ فجعل عضواً في لجنة مجلس التجارة التي تبحث في الاحداث الجوية

وعكف بعد ذلك على الوراثة الطبيعية والبحث في قوانينها وشؤُونها المختلفة واخلاق الناس وهو البحث الذي شهرهُ وسيبقى اسمهُ مقروناً بهِ ٠ ونشر كتابهُ الاول في النبوغ الوراثي ونواميسهِ ونتائجهِ سنة ١٨٩٩ فكان لهُ اعظم وقع في الدوائر العلمية والطبية ٠ ثم اتبعهُ بكتاب

آخر موضوعهُ علماء الانكليز وكيف ولدوا وكيف تربوا نشرهُ سنة ١٨٧٤ وآخر موضوعهُ البحث في قوى الانسان ونموها نشرهُ سنة ١٨٨٣ وآخر موضوعهُ معرض الحياة وآخر موضوعهُ سجل القوى العقلية في الامم وآخر موضوعهُ الوراثة الطبيعية

والتفت حينئذٍ الى موضوع آخر وهو علامات الانامل ودلالتها القاطعة على اصحابها وألّف في ذلك كتابين نشر اولها سنة ١٨٩٢ والثاني سنة ١٨٩٥ وقد قال في اولها انهُ انتبه لهذا الموضوع سنة ١٨٨٨ وهو يعد خطبة في تحقيق الشخصية لدار العلم الملكية حسب طريقة برتلون المبنية على قياس القامة والاعضاء المختلفة فخطر لهُ حينئذٍ ان يبحث في آثار الانامل لانهُ كان قد سمع ان آثارها لا تتغير فرأى ان الموضوع هامٌّ جدًّا وان ما يعرف منهُ قليل بالنسبة الى ما لا يعرف فاشتغل بهِ وجعل ينشر ما يقف عليهِ او يحققهُ بنسهِ في المجلات العلمية من سنة ١٨٨٨ فصاعداً . ولما زار القطر المصري حديثاً رأى طريقة آثار الانامل مستعملة فيهِ لتحقيق الشخصية فسر بذلك سروراً عظيماً

ولهُ رسائل ومقالات كثيرة في المواضيع المشار اليها آنفاً ولاسيما في الوراثة الطبيعية وهو الذي جعل للوراثة قانونًا حسابيًا فقال ان الحيوان يرث نصف ما فيهِ من والديهِ والنصف الآخر من اسلافهما فيرث الربع من والدي امهِ ووالدي ابيهِ والربع الآخر من اسلاف والدي ابيهِ ووالدي امهِ وهلمّ جرًّا . وقد قام حديثًا ينادي بوجوب اصلاح نسل الانسان وانشأ لذلك المجلة التي ورد ذكرها في الجزء الماضي من المقتطف وما قبلهُ

وقد مُنح كثيرًا من النياشين العلمية كنشان الجمعية الملكية الذهبي ونيشان هكسلي ونيشان دارون . وكان سكرتيراً لمجمع ترقية العلوم البريطاني من سنة ١٨٦٣ الى سنة ١٨٦٨ ورئيساً لقسم الانثروبولوجيا فيهِ

وقد تعرفنا بكثير من الناس من امم وطوائف مختلفة ولم نرَ اكثر وداعةً والين عريكة من علماء الانكليز الذين لقيناهم كترسترام وافانس وغلتن ولكير ومكلستر وسايس وبتري فانهم كلهم آية في الانس والدعة والبعد عن الدعوى حتى ان من لا يعرف مالهم من التآليف الكثيرة والشهرة الواسعة لا يظنهم على شيء من العلم والذي يعرف كتبهم وشهرتهم يظن انهُ يرى غير الذين سمع عنهم .

نهنئ صديقنا السر فرنسيس غلتن بما نال من ملكهِ عن استحقاق ونرجو ان يفسح لهُ في الاجل لخدمة العلم ونوع الانسان

نشوء الانسان والحيوان

الادلة الجغرافية

وهي تبحث في انتشار الاحياء على وجه البسيطة وفي اختلاف انواعها بالنسبة الى الاقليم ثم تبين ان ذلك من ضرورات النشوء

قال دارون «من امعن النظر في توزيع الكائنات الآلية على سطح الارض لا يسعهُ التعليل عمَّا بينها من المناسبات والمباينات الاَّ بما في الاقطار المتضادة من اختلاف البيئات وتباين الاحوال الطبيعية . فقد اجمع العلماء على ان هذه الكائنات بالنظر الى توزيعها الجغرافي تنقسم الى ما يختص بالعالم القديم والى ما يختص بالعالم الجديد

ومعلوم ان العالم الجديد يشتمل على نظائر اقاليم العالم القديم ولكن احياء كل منهما تختلف عن احياء الآخر اختلافاً عظيماً . ومن نظر الى السدود الطبيعية التي تحول دون مهاجرة الكائنات الآلية من اقليم الى آخر يرى اختلاف هذه الكائنات موافقاً لاختلاف الاقاليم المنفصلة بالسدود . والاحياء المائية تختلف كالاحياء البرية بعضها عن بعض في الاماكن المختلفة بمقدار ما يحول بينها من السدود . اما المباينات بين الكائنات المنتشرة في الاقاليم المختلفة فمصدرها التغيرات الحادثة من جراء الانتخاب الطبيعي بما يؤدي اليهِ تنازع البقاء حيث كانت الحواجز الطبيعية تحول دون هجرتها في ازمنة متفاوتة [1] » اه

ولقد قسم العلماء الارض الى خمس مناطق وهي

(١) منطقة النخل . وهي تقابل المنطقة الحارة . فيها يكثر النخل ونظيرهُ من اشجار المنطقة الحارة

(٢) منطقة الخشب . وتقابل المعتدلة وفيها تكثر الاشجار الخشبية الساق

(٣) منطقة الصنوبر . وتقابل المنطقة المعتدلة الباردة

(٤) منطقة الانجم وهي الباردة ولا يوجد فيها غير الانجم والنباتات التي تعيش في المنطقة الباردة

(٥) منطقة الجمد الدائم . ولا احياء فيها . — ولقد توجد هذه المناطق جميعها في جبل شامخ من جبال المناطق الحارة والمعتدلة

وضع العلماء تلك المناطق ثم جعلوا لها القضايا الآتية

(١) تنوير الاذهان للدكتور رلزل مجلد ١ جزء ٢ ص ١٢٠ بتصرف قليل

(١) دائرة الحيوان · ويراد بها قسم من الارض تسكنهُ طائفة من الحيوان ويختلف اتساعها بالنسبة الى تلك الطائفة · فدائرة الصنف مثلاً اضيق من دائرة النوع ودائرة النوع اضيق من دائرة الجنس ودائرة الجنس اضيق من دائرة الرتبة وهلمَّ جرًّا · مثال ذلك نوع الصنوبر في جبال السيرا فان دائرتهُ تمتد من علو الفي قدم الى علو احد عشر الفًا ولكنَّ هذا النوع اصناف لكلٍّ منها دائرة اضيق من دائرة النوع التي تشمل الجميع

(٢) اذا تماسَّت دائرتان فلا حدَّ واضح بينهما بل قد يمتزج طرفاها امتزاجًا يصعب معهُ وضع حدٍّ لاحدى الدائرتين

(٣) قد تتعدَّى الانواع الى دوائر سواها ولكنَّ هذا التعدّي يتوقف على عدد الافراد في ذلك النوع وعلى شدَّة بأسها

(٤) ولئن تماست الدوائر وتمازجت اطراف الانواع بعضها ببعض فالانواع لا تتغير عن اصلها ولكن افراد النوع الاقوى تحلُّ محل الافراد من النوع الاضعف وتبقى على ما كانت عليهِ اولاً

(٥) لا تتماسّ الدوائر الاَّ اذا كان الفاصل الطبيعي بينها اختلاف الحرارة اما اذا كان غير ذلك من الفواصل كالجبال الشاهقة والبحار الزاخرة والصحاري المحرقة فلا تماسَّ ولا تمازج بينها

(٦) المناطق الخمس شمالي خط الاستواء موجودة ايضًا جنوبيهُ · ولكن الانواع في الشمال تختلف قليلاً عما يقابلها في الجنوب · اما اذا نقل حيوان من منطقة في الجنوب الى ما يقابلها في الشمال او بالعكس فانهُ يبقى هناك ويعيش كما لو كان في اقليمهِ الاصلي

(٧) لحيوانات الجزُر المحاطة ببحارٍ عميقة خصائص لا توجد في غيرها · ومثالها حيوانات مدغسكر واوستراليا

وما يصدق على البرّ من هذا القبيل يصدق على البحر ايضًا على ان لهذه القضايا شذوذًا لا بدَّ من ذكرها هنا · وهي (اولاً) في الانواع التي حملها الانسان من منطقة الى أُخرى وعاشت فيها · (ثانيًا) في الانواع الرحالة او الكثيرة الصبر على اختلاف الاقليم فانها تقدر ان تعيش في اثنتين من المناطق المتاخمة على السواء · (ثالثًا) في الالبية وسيأتي بيانها

كيف نعلل القضايا السابقة

قال النوعيون · ان وجود الانواع في الدوائر المختلفة دليلٌ على خلقها مستقلةً · ويؤيدون ذلك بانهُ يستحيل احيانًا اجتياز الفواصل التي بين تلك الدوائر · ولا غبار على هذا القول اذا اعتبرنا ان الانواع وُجدت الآن · اذ لا سبيل الى انتشارها على نحو ما هي عليهِ الاَّ ان تكون خلقت مستقلةً في اماكنها · ولكن اذا رجعنا الى تاريخ الارض وعرفنا ان

الجبال والبحار والصحاري لم توجد بغتةً بل اقتضى لوجودها الازمان المتطاولة ثم لاحظنا ان انتشار الحيوان الجغرافي كان يختلف في كل دور من الادوار الجيولوجية رجعنا عن الرأي الاول الى القول بان الانتخاب الطبيعي هو السبب في ذلك الاختلاف . او كما اورد الدكتور زلزل لداروين « ان انواع الجنس الواحد على اختلاف سكناها في اقطار الارض السحيقة في البعد صادرة من اصل واحد لانهُ يمكن ردّها الى جدّ جامع وان الكائنات الحية على اختلاف انواعها انما نشأت منذ البدء في جهة واحدة من الارض تعرف بمركز الخلق وقد انتشرت من ذلك المركز في الاقطار المختلفة وفاقاً لما تقتضيهِ الاحوال » . ولإثبات ذلك نقول ان النشوء يقتضي الامور الآتية وهي —

(١) ان ارتقاء المملكة الحيوانية متوقف على نواميس ثابتة اخصها ناموس التباين

(٢) ان البيئة وتنازع البقاء يزيدان التباين بين الافراد

(٣) انهُ في نشوء الارض من حالتها الأولى الى الحالة الحاضرة حدثت ارتفاعات كثيرة تغيرت بواسطتها حرارة الاقاليم وهاجر كثيرٌ من الانواع الى الدوائر المختلفة فاختلطت مع الانواع الاخرى ولذلك لا نرى اختلافات عظيمة بين انواع الدوائر المتاخمة

(٤) وعقب ذلك انخفاضات كبيرة انفصلت على اثرها بعض الدوائر فصارت الانواع تزداد تبايناً وبقيت الارتفاعات والانخفاضات تتوالى حتى جاء الدور الجليدي (وهو الدور الذي انتشرت فيهِ الاحياء انتشارها الاخير) وانقضى فثبتت الاحياء في المحالّ التي تشغلها الآن

والظاهر من الآثار الجيولوجية ان الجليد كان يغطي كل البلاد الشمالية الى الدرجة ٣٨ و ٤٠ عرضاً فنزحت حيوانات المنطقة الباردة الى المنطقة المعتدلة وحيوانات المعتدلة الى الحارة . ثم عقب ذلك اعتدال في الحرارة فتراجعت بعض الحيوانات المهاجرة الى اوطانها وتلا ذلك انخفاضات هائلة وقيام الفواصل العظيمة على اثرها فتعذَّر الجلاء على الحيوانات الواقعة بين تلك الفواصل وبقيت حيث هي

ففي مدة الارتفاعات كانت اوربا واسيا وافريقية متصلة ولاسيما في جهة البحر المتوسط والبحر الاسود فنزحت حيوانات اوربا الى افريقية وكذلك نزح كثير من حيوانات اسيا الى اوربا والى افريقية والراجح ان الانسان نزح مع الحيوانات التي نزحت في ذلك الوقت

هذه مقتضيات النشوء فهل تؤيدها الحقائق المشاهدة . نعم واليك بعض الامثلة

اولاً استراليا — يلاحظ في حيوانات هذه القارة امران . الاول غرابتها واختلافها الشديد عن سائر الحيوان . والثاني انحطاطها بالنسبة الى حيوانات القارات الاخرى . ففيها

الحيوانات اللبونة البائضة وذوات الأكياس وكثير من حيوانات الدور الثاني مما لا يوجد في سواها. فما السرّ في ذلك؟ السرّ فيهِ ان استراليا انفصلت عن سائر القارات في احد الادوار الجيولوجية القديمة. فلما حدثت الانقلابات العظيمة في القارات الاخرى وعقبها تمازج الانواع واقتتالها الشديد على البقاء كانت حيوانات استراليا هادئة البال لا يهاجمها أحد من الخارج ولذلك ارتقت الحيونات في القارات الاخرى وتغيرت وبقيت الحيوانات في استراليا على ما كانت عليهِ لم تمتزج بغيرها ولم تضطر الى التنازع مع غريب على مكانها. ومن درس حيوان استراليا يمكننا تعيين الوقت الجيولوجي الذي انفصلت فيهِ تلك القارة عن سائر القارات. فان الحيوانات اللبونة قسمان الاول اللبونة الحقيقية ولا يوجد منها في استراليا الاَّ بعض الخفافيش والجرذان. والثاني اللبونة غير الحقيقية وهي لا توجد الاَّ في استراليا يستثنى من ذلك «الابوسوم» الموجود في اميركا. في الدور الثاني كانت الحيوانات اللبونة غير الحقيقية منتشرة في كل الارض. اما اللبونة الحقيقية فلم تظهر الاَّ في الدور الثلاثي وعليهِ لا بدَّ من القول ان استراليا انفصلت عن اسيا قبل الدور الثلاثي وان انفصالها هذا حفظ الحيوانات التي كانت فيها (وهي اللبونة غير الحقيقية) من تعديات الحيوانات التي ظهرت في الدور الثلاثي (وهي اللبونة الحقيقية) وبعكس ذلك في اسيا واوربا فان اللبونة الحقيقية اهلكت غير الحقيقية وحلَّت محلها

ثانياً افريقية — وهي تنقسم الى قسمين رئيسيين (افريقية الشمالية) وهي ما وقع شمال الصحراء (وافريقيا الجنوبية) وهي ما وقع جنوبها. اما الشمالية فحيوانها كحيوان اسيا واوربا ولذلك نضرب عنها صفحاً الآن ونتخطاها الى الجنوبية وطن الحيوانات الافريقية الاصلية

حيوانات هذه البلاد قسمان (١) الحيوانات الدنيئة الغريبة الشكل كالحشرات الافريقية والقرود المعروفة باسم الليمور وغيرها وهي تشبه حيوان مدغسكر. (٢) الحيوانات الكبيرة الشديدة البأس وهي تشبه حيوانات اسيا واوربا التي عاشت في الدور الثلاثي الاحدث. فالذي يستنتج من ذلك ان حيوانات افريقية الجنوبية كانت في الاصل من القسم الاول فلما انفصلت عن البلاد الشمالية بواسطة الصحراء او البحر الذي كان في محلها بقيت الحيوانات فيها ضعيفة دنيئة. ثم جاء الطور الجليدي واتصلت افريقية الشمالية بالجنوبية فنزحت الحيوانات الشمالية الى الجنوب ونازعت الحيوانات الاصلية البقاء وعقب ذلك انخفاض عظيم انفصل بهِ القسمان الشمالي والجنوبي مرة اخرى ولم يعد من اتصال بين افريقية الجنوبية والبلاد الشمالية فبقيت حيواناتها على ما كانت عليهِ لم تختلط كثيراً بالحيوانات التي نزحت من اسيا الى اوربا النزح الاخير

ثالثاً مدغسكر — وهي تشبه استراليا بغرابة حيوانها ولا ريب ان هذه الجزيرة كانت متصلةً بافريقية بادئ بدء ثم انفصلت عنها قبل ان تنزح الحيوانات الشمالية الى افريقية ولذلك نجد فيها حيوانات القسم الاول من حيوانات افريقية الجنوبية ولا نجد فيها نوعاً من انواع القسم الثاني

رابعاً جزر البحار وهي نوعان — الساحلية اي القريبة من سواحل القارات · والمستقلة اي الواقعة في عرض البحار بعيدة عن الساحل

فالساحلية كانت متصلة بالبرّ وحيوانها يشبه حيوان القارة القريبة منها اما درجة الشبه بينهما فمتوقفة على تاريخ الانفصال · خذ حيوان مدغسكر مثلاً فتراه لا يشبه حيوان افريقية كثيراً وذلك لبعد عهد الانفصال · اما زيلاندا وقد انفصلت عن استراليا بعد ان انفصلت مدغسكر عن افريقية فحيوانها اكثر شبهاً بحيوان استراليا من حيوان مدغسكر بافريقية · وحيوان انكلترا مثل حيوان سائر اوروبا تماماً وذلك لان انفصال الجزر الانكليزية حديث العهد جداً فلم يكن ثمت وقت كافٍ لان يتغير حيوانها كثيراً

وما يصدق على الجزر الساحلية لا يصدق على الجزر المستقلة · فان حيوان هذه لا يشبه حيوان قارة معينة · واول ما يلاحظ فيها عدم وجود الحيوانات اللبونة والحيوانات البرية المائية · وما وجد من سواها فهو مزيج من زحافات وحشرات دنيئة اتتها لا شك مع المجاري البحرية او مع الرياح السارية فاذا غلب فيها نوع من الحيوان فذلك لسهولة الطريق لديه

خامساً الانواع الالبية ويراد بها الانواع التي على الجبال الثلجية الشامخة · وهي متشابهة مهما بعدت الجبال بعضها عن بعض فاحياء الالب مثلاً كاحياء جبال اسيا او افريقية او اميركا العالية · وتعليل ذلك ان الانواع الشمالية كانت منتشرةً في الدور الجليدي فوق البلاد الشمالية والمعتدلة · فلما انقضى ذلك الدور وتراجعت الانواع الباردة الى اماكنها الشمالية تبع قسم منها خط الثلج الدائم الى اعالي الجبال الشاهقة حيث الاقليم يقارب اقليم المنطقة الباردة وبقي هناك الى الوقت الحاضر

والخلاصة ان الاحياء كانت منتشرةً في الارض كلها بحسب درجة احتمالها للبرد او للحر· على ان التغيرات الجيولوجية وما عقبها من تغير الحرارة وقيام الفواصل وما كان يصحب تغير الحرارة من النزح والتنازع الشديد بين الحيوانات الاصلية والحيوانات النازحة كل ذلك ادى الى الاختلافات الكثيرة بين الانواع والى توزيعها على ما هي عليه الآن

الانتخاب الاصطناعي

ركن العلم التجربة—فاذا اراد العلماء اثبات رأي ما امتحنوهُ بما لديهم من التجارب الممكنة . ولقد حاول كثيرٌ من النشوئيين ان يقيسوا النشوء بمقياس الحقائق المجرَّبة فلم يوفقوا الى غرضهم كل التوفيق وذلك لما يقتضيهِ النشوء من الاسباب التي يتعذَّر الوصول اليها في الوقت الحاضر ناهيك بقصر عمر الانسان ازاء الالوف من السنين التي تتطلبها تجاربهُ للوصول الى النتيجة المطلوبة . على ان لبعض مربي الحيوان والنبات تجارب يحسن بنا ذكرها للدلالة على كيفية نشوء الاصناف

يأخذ المربي شكلاً من الحيوان فيه صفات مستحبة ثم يولد من هذا الشكل نسلاً وينتقي من ذلك النسل ما كانت الصفات المطلوبة فيهِ واضحةً تمام الوضوح ثم يولد من هذا الشكل افراداً اخرى وينتقي منها الاحسن على نحو ما فعل المرَّة الاولى . ولا يزال كذلك يولد وينتخب الاحسن حتى يصبح وقد انشأ صنفاً من الحيوان يميزهُ عن سائر الاصناف ما ورثهُ من الصفات التي كان المربي يهتمُّ بابقائها . وامثلة ذلك من النبات اصناف الورد والصبير ومن الحيوان الفرس والكلب والهر وغيرها . ويلاحظ هنا امران

الاول—ان الفرد لا يرث من ابويه الادنين فقط بل من كل اسلافهِ وهو ولئن كان ما يرثهُ من ابويهِ اعظم مما يرثهُ من احد اسلافهِ فمجموع ما يرثهُ من اسلافهِ اعظم مما يرثهُ من ابويهِ

الثاني — في تربية شكل من الحيوان وتأصيلهِ تتقوَّى في ذلك الشكل مع كرور الزمن صفات خاصة تصبح مع الوراثة ثابتةً في ذلك الشكل

هذا هو الانتخاب الصناعي . فاذا قدر الانسان فيما لا يذكر من السنين ان ينشئ اصنافاً مختلفة من نوع واحد فلماذا لا تقدر الطبيعة في الالوف من السنين ان تنشئ الانواع . المعارضون للنشوء لا يشكون البتة في الانتخاب الصناعي ولكنهم يقولون انهُ لا وجه للشبه بين الانتخاب الطبيعي والانتخاب الصناعي وهاك اعتراضاتهم مع الردّ عليها

١ الرجوع الى الاصل — قالوا ان في الاصناف الصناعية ميلاً الى الرجوع الى الاصل الذي نشأت منهُ بخلاف الانواع الطبيعية فانها ثابتة لا تتغير . فيردّ على ذلك بان التغير الصناعي كان سريعاً جدًّا فلم يكن ثمت وقت كافٍ لتقوية الصفات الخاصة في الاصناف بحيث تصير ثابتة فيها . اما في الانتخاب الطبيعي فان الطبيعة تسير سيراً بطيئاً جدًّا وبذلك يتولد في الاصناف صفات خاصة تصير مع كرور الزمن ثابتةً لا تتغير

٢ الحلقات الوسطى— قالوا ان التدرُّج ظاهر في الاصناف الصناعية بخلاف الانواع

الطبيعية فان لا حلقات وسطى تربطها بعضها ببعض

وسببهُ ان التنازع الشديد بين الاصناف الطبيعية يؤول الى بقاء الانسب والى هلاك الاضعف . ولا شك ان انقراض كثير من الحلقات الوسطى راجع الى التنازع بين الاحياء ناهيك بان التغير الصناعي يمكن مشاهدته بالعين اما الطبيعي فلا سبيل الى معاينة الاشكال الوسطى فيهِ قبل هلاكها لما يقتضيهِ من الوقت الطويل كما اشرنا الى ذلك قبلاً . وسيتضح ذلك جلياً في الكلام على الانتخاب الجنسي

٣ الانتخاب الجنسي . ويراد به ان الاصناف الصناعية تتزاوج وتنتج بخلاف الانواع فانها لا يمكن ان تلد نسلاً اذا تزاوجت

ولايضاح ذلك يجب ان نفهم ان في التناسل امراً هاماً وهو الميل الطبيعي ففي حال الطبيعة ينتخب الفرد من الحيوان ما يميل اليهِ من الافراد الاخرى فيتزاوجان ويلدان نسلاً في غالب الاحيان . اما في الاصناف الصناعية فهذا الانتخاب الطبيعي معدوم فان المربي قد يلقح اصنافاً بعضها من بعض وهي لو تركت للطبيعة لما حدث اللقاح بينها ابداً . وقد يجمع بين نوعين من الحيوان لا تجمع الطبيعة بينهما لو خُيّرت فتتولد البغال وتكون بالطبع عقيمة . واليك ناموس التناسل . وهو ان التزاوج بين الاصناف المتباينة الى حدٍ معلوم افضل واحسن نسلاً من التزاوج بين الافراد من الصنف الواحد . وان التزاوج المستمر بين افراد الصنف الواحد او بين الاصناف التي جاوزت الحدَّ المعلوم في تباينها عقيم ولا نتاج منهُ

ففي الحيوانات الدنيا لا تزاوُجَ وانما الفرد يشطر نفسهُ شطرين يصير كلٌ منهما فرداً مستقلاً . فاذا علوت قليلاً رأيت النسل في بعض الاحياء بشكل برعمة تنمو في الجسم الاصلي وتبقى متصلة بهِ وفي الاجناس الارقى من تلك ترى البرعمة تنفصل عن جسم الاب ثم متى علوت الى طائفة اخرى رأيت للبرعمة محلاً خصوصياً في جسم الحيّ الاصلي وهو بدء الاعضاء التناسلية . وهكذا تتدرج الاعضاء التناسلية في الارتقاء حتى تراها في بعض الحيوانات نوعين ذكراً وانثى وكلاهما في جسم واحد . ثم يتصل الى الحيوانات العليا فترى كل نوع منها في جسم واحد لنفسهِ وكلما ارتفعت في سلم الاحياء رأيت الاعضاء التناسلية تتباين وتزداد تباعداً وتلك حكمة في الطبيعة لان النسل المولود من فردين مختلفين افضل من المولود من فرد واحد وذلك لان الاول يرث صفات مختلفة يبقى الانسب منها فيهِ بخلاف الثاني فان ما يرثهُ كمية قليلة جداً لا سبيل الى التنازع فيها . وهذا هو السبب في افضلية التزاوج بين الاصناف المتباينة اللهمَّ اذا لم يتجاوز تباينها الحدَّ المعلوم . ولنرجع الى ما كنا فيهِ

كيف نشأت الانواع من الاصناف ؟ سؤال اجاب عنهُ الدكتور « رومانس » بقولهِ انهُ قد ينشأ بين الاصناف صنف اذا تزاوج مع غيرهِ فنسلهُ يكون ضعيفاً جدًّا او قد لا يكون لهُ نسل البتة . فهذا الصنف ينفصل عن سائر الاصناف وتصير افرادهُ تتزاوج بعضها من بعض فيكثر بذلك الاختلاف بينهُ وبين سائر الاصناف ولا يزال كذلك حتى يصبح بعيداً عنها جدًّا (اي يصير نوعاً)

اما الاصناف الصناعية فلم تنفصل بداعي الاختلاف الجنسي بل بدواعٍ اخرى كاللون والحجم والشكل وغير ذلك من التباينات المرضية ولذلك فتناسلها اذا تزاوجت ممكن . فاذا قيل لماذا لا تنتج الانواع من بعضها قلنا لان النوع لم يصر نوعاً الاَّ لاختلافهِ الجنسي عن غيرهِ من الانواع وذلك سبب كافٍ لعدم انتاجها وبعكس ذلك الاصناف الاصطناعية فان كونها اصنافاً راجع الى اختلافات وتباينات عرضية اراد المربي ان يبقيها بينها . ونشوء الانواع بالانتخاب الجنسي يفسر لنا مسألة الحلقات الوسطى بينها . فانهُ لما كان انفصال الصنف عن سائر الاصناف راجعاً بالاكثر الى اختلاف الجنس عنها كانت الانواع الناشئة في منطقة واحدة او اقليم واحد واضحة الاختلاف جدًّا ولا سبيل الى وجود حلقات وسطى بينها اذ ذلك ما يقتضيهِ الانتخاب . وبعكس ذلك الانواع التي نشأت في اقاليم تفصلها فواصل طبيعية فقد وجد العلماء كثيراً من الحلقات المتوسطة بينها . وفي الختام نبسط النتائج الآتية

١ لا حد للتباين بين افراد نوع من انواع الحيوان فتتنازع هذه الافراد البقاء ويشتد التنازع بين الافراد الاكثر مشابهةً فيبقى الانسب منها وينفصل عن سائر الافراد نوعاً ما وينقرض الاكثر مشابهةً لهُ غالباً

٢ اعتبر ان التباين في الفرد الذي انفصل قليلاً عن غيرهِ وصل الى درجة بطل عندها ميلهُ الجنسي الى ما دون افراد صنفهِ من الحيوانات فيستقل ويزداد تباعداً مع كرور الزمن حتى يصير نوعاً

٣ أضف الى ذلك نزح الاصناف وما يتأتى عنهُ وعن تأثير البيئة مما يزيد التباين ترى ان النشوء الآلي امر طبيعي وان انقراض الحلقات الوسطى من مقتضيات النشوء احياناً

٤ الحلقات الوسطى ليست نادرة الاَّ بين الانواع فهي كثيرة بين الطوائف الحيوانية الكبيرة والسبب في ذلك كلهِ ما اكتشف حتى الوقت الحاضر من التحجرات الدالة على تاريخ الكون وانقراض تلك الحلقات بسبب التنازع بين الاحياء المتشابهة كما قدمنا

انيس الياس الخوري

الحياة والموت[1]

لا يبالغ الانسان اذا قال ان المسيو متشنيكوف اكبر ثقة في الطب اليوم . فقد كان في حياة الشهير باستور ساعدهُ اليمين وهو اليوم خليفتهُ في الاكتشافات الطبية التي احتكرها تقريباً معمل باستور . فمن وظائف الليكوسيت الى اكتشاف مكروبات السفلس الى تصلب الشرايين الى كثير غيرها مما يدلُّ على فضل هذا الرجل

ونريد هنا تلخيص كتابين لهُ يفسر فيهما نظريتين عن الحياة والموت كان لهما دوي كبير في الدوائر العلمية ثم نتبعها بآرائهِ في اطالة الحياة

اصلنا الحيواني

لا اظن ان قارئاً للمقتطف يشكُّ للآن في اصل الانسان الحيواني ولذلك لا أرى داعياً لايراد ادلة دارون المتداولة على ذلك . بل آتي هنا على ادلة اخرى اوردها متشنيكوف هي غاية في البيان

فاول هذه الادلة عملية الترسيب في الطب الشرعي التي تدل على اننا والقرود من عائلة واحدة . والعملية مبنية على حقيقة بيولجية مفادها ان رواسب دم الحيوانات تتشابه او تتفارق بنسبة مشابهة الحيوانات او مفارقتها . فرواسب دم الانسان تختلف عن رواسب دم البقر ولكنها تشابه رواسب دم القرد . ورواسب دم البقر والجاموس تتشابه ايضاً مما يدل على قربهما في سلسلة النشوء . فالمحاكم اليوم تستعمل هذه العملية للتمييز بين دم الانسان والحيوان في حوادث القتل التي يشتبه فيها بين الدمين وهذه المحاكم نفسها التي تؤيّد بعملها هذا ما ينفي التقاليد القديمة تعاقب من يقول شيئاً ضد التقاليد القديمة

قال متشنيكوف وفي عواطفنا ومشاعرنا كثير مما يدل على اصلنا الحيواني . مثال ذلك وقوف الشعر وقت الخوف فنحن والحيوان سواءٌ في هذه الصفة وقد كانت تفيدنا ونحن في دور الحيوانية اذ انها كانت تعطي الخائف هيبةً ربما تغلب بها على مهاجمهِ . وما انكماش الجلد ونفش الريش في الطير الا اشكال اخرى لهذه الصفة . ولو فحصت قوة الحواس وضعفها في الحيوان لرأيت اشتراكنا معهُ فالانسان والقرد يختلفان عن بقية الحيوانات بضعف حاسة الشم والسمع

هذا قليل من كثير اكتفي بهِ كتمهيد لموضوعنا وأُشير على الراغب في التوسع بالكتاب نفسهِ

(١) The nature of man and the prolongation of life by Metchnikoff.

٢ الموت غير طبيعي في الانسان

اذا قلنا ان الجوع في الانسان طبيعي اردنا بذلك ان الطبيعة اوجدت الجوع كما اوجدت اليد او الرجل اي انهُ واسطة لحفظ الجسم وبدون الشعور بهِ يموت الفرد كما لو هاجمهُ حيوان وافترسهُ · فهل الموت على هذا القياس طبيعي ؟ اذا كان كذلك فلماذا لا نشعر برغبة فيهِ كما نشعر برغبة في الاكل ؟ حتى لو فرضنا ان الموت طبيعي لعمينا عن غرض الطبيعة منهُ اذ ما هو الداعي الذي يدعو الى خلق الحي ثم قتلهِ ؟

من الاحياء اليوم ما يعيش دائماً كبعض انواع البكتيريا و بعض النباتات والاحياء الدنية · فحشيش الجنائن اذا حش قبل الازهار عاش دواماً ولكن اذا ترك ليزهر مات بعد الازهار · يقول مشنيكوف ان موتهُ في هذه الحالة ناشئ عن تسم ذاتي يتكون وقت الازهار · ثم استنتج ان جميع الحيوانات تموت مقتولة بتسم ذاتي ينشأ من الطعام وهو سبب موت الانسان

فالحيوانات ذوات القولون اي المعى الغليظ من الامعاء الذي تحفظ فيهِ بقايا الطعام اقصر عمراً من الحيوانات التي تعيش بدونهِ · فالغراب والببغاء والسلحفاة يصغر القولون فيها الى حد العدم واعمارها اطول من عمر الانسان · فطول العمر او قصرهُ يكون دائماً على نسبة قصر القولون او طولهِ · والقولون في الانسان هو احد الاعضاء الاثرية التي ورثها من الحيوانات حين كان يحتاج الى حفظ بقايا اكلهِ في جوفهِ وقت الجري او القتال وفي هضم النباتات الجامدة كالحبوب وغيرها · وهذا سبب فائدتهِ للفرس والبقرة لان امعاءها لا تقدر على هضم الفول والشعير فاذا وصلا الى القولون جزأتهما البكتيريا وسهلت عملية الهضم · ولكنها في هذا العمل تقتل الحيوان بما تطرحهُ في جسمهِ من التسكين او السم · وفعلهُ في الاجسام فعل الكحول الذي هو في الحقيقة سم البكتيريا التي تخمر العنب او غيرهُ

فاذا فهمنا ذلك سهل علينا معرفة سبب طول حياة الغربان مثلاً · فاذا شرحت الغراب وجدت ان قولونهُ صغير جدًّا حتى ان بقايا الاكل لا تبقى فيهِ وقتاً كافياً لتتعفن اي لتحل بها مكروبات التعفن وتملأ الجسم من سمومها · وهذا على عكس الحالة في الانسان · فالقناة الهضمية تتكون من المعدة والمعى الدقيق والمعى الغليظ او القولون · فالمعدة اذا صرفنا النظر عن هضمها للمواد النشوية لا نرى لوجودها فائدة خصوصاً اذا تذكرنا استعدادها للامراض · والمعى الدقيق قادر على تأدية وظيفتها · ذكر مشنيكوف حادثة قطعت فيها المعدة واوصل المعى الدقيق بالمريء وعاش صاحبها · والقولون في الانسان ليس فقط عديم الفائدة بل هو مضر · ذكر المؤلف ايضاً حادثة قطع القولون فيها وشفي صاحبهُ · فالخلاصة ان المعى الدقيق قادر وحدهُ على القيام بالهضم

٣ كيف يموت الانسان

بعد هضم الاكل تطرح بقاياهُ في القولون وهو تربة صالحة للمكروبات وغيرها وهذه تنفث سمومها في الجسم فتقلل حيويتهُ شيئاً فشيئاً فينكمش القلب وتتصلب الشرايين وتصغر الكبد وينقلب الليكوسيت من صاحب الى عدو

والليكوسيت (حويصلات الدم البيضاء) هي الاحياء التي تؤدي للجسم وظيفة الجيش للملكة . فاذا دخل مكروب في الجسم اجتمعت حولهُ فتعمل على قتلهِ او طردهِ او اكلهِ . واذا حدث جرح اجتمعت حولهُ وضمت اطراف الجلد ووقفت كحارس امين تمنع دخول المكروب فيهِ . فهذه الاحياء على فائدتها للجسم في دور الشباب تنقلب الى عدو ألد في دور الشيخوخة . وذلك لان السموم التي تطرحها مكروبات القولون في الجسم لا تؤثر في الليكوسيت ولو اضعفت باقي اعضاء الجسم . فاذا قل الغذاء في الدم بسبب هذه السموم انقلبت الليكوسيت واكلت الاعضاء فتبتدئ باكل صبغة الشعر والاعصاب وهذا سبب الشيب والخرف في الشيخوخة . فاذا تراكم السم هبطت الدورة الدموية وتصلبت الشرايين وخمد الجسم الى ان يموت

٤ كيف نصحح الطبيعة ؟

اذا لم يمكنا قطع القولون يجب ان نهتدي الى طريقة نمنع بها التعفن فيهِ . فالغذاء النباتي مثلاً اقل استعداداً للتعفن من اللحم ولكنهُ اصعب هضماً منهُ . كذلك لو أحسن مضغ الطعام قل الباقي النازل الى القولون وبالتالي قل التعفن . واتباع فلتشر في اميركا الذين يجيدون مضغ الطعام الى ان يصير سائلاً تاماً لا يفرغون امعاءهم الا مرة كل اسبوع او عشرة ايام . ولكن هذه الطريقة تضعف المعدة وترخي اعصابها لقلة العمل . كذلك غسل القولون بالماء او غيرهِ يضعفهُ ويوقف قابليتهُ للانقباض

اما الدواء الذي يصفهُ متشنيكوف ضد الشيخوخة فهو دواء شرقي عثر عليهِ وهو في البلقان ويسمى هناك باليغورت ونسميهِ في مصر باللبن الرائب او الزبادي . فان هذا اللبن يحوي كثيراً من البكتيريا التي تقاوم مكروبات التعفن ولا تضر بالجسم . فاذا وصلت الى القولون استوطنت هناك وحاربت المكروبات المضرة فقللت اضرارها . واذا واظب الانسان على اخذها في كل اكلهِ واضاف الى ذلك الاحتراس من الامراض وعدم الافراط في الحياة تأخر الاجل من السبعين الى المائة او المائة والعشرين هذا مع التمتع بشيخوخة خالية من عيوبها المعروفة

لندن — سلامه موسى

الذئاب ولا الناس

نضرب المثل بغدر الذئاب وشراستها وبأنها لا يأتمن بعضها بعضاً ونقول انها تسير في غدواتها وروحاتها صفاً واحداً كتفاً لكتف لئلاً يغدر متأخرها بمتقدمها . ونشبه بها اشرار الناس والغادرين والذين يأكل بعضهم بعضاً وفي ذلك يقول احد الشعراء

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً لصاحبهِ يوماً احالَ على الدم

اشارة الى ما يقولهُ الجمهور من غدر الذئاب وقد اشار اليهِ الامام الدميري حيث قال والذئب اذا كدَّهُ الجوع فتجتمع لهُ الذئاب ويقف بعضها الى بعض فمن ولّى منها وثب اليهِ الباقون وأكلوهُ . واذا عرض للانسان وخاف العجز منهُ عوى عواء استغاثة فتسمعهُ الذئاب فتقبل على الانسان اقبالاً واحداً وهم سواء في الحرص على أكلهِ فان ادمى الانسان واحداً منها وثب الباقون على المدمى فمزقوهُ وتركوا الانسان . وقال الاخر

ليت شعري كيف الخلاص من النا س وقد اصبحوا ذئاب اعتداء

وقالوا اغدر من ذئب واختل واخبث واخون واعتى واظلم واجرأ وانشط واوقح واجسر وايقظ واعق واجوع والأم من ذئب . وقالوا من استرعى الذئب فقد ظلم . ولكن الذين بحثوا في طبائع الحيوان ورأوا الذئاب في مسارحها وراقبوها في غدواتها وروحاتها يقولون ان تشبيه الاشرار بها ظلم لها وحطٌّ من قدرها ولو سمعت لها محاكم القضاء لحكمت على المشبّه بالقذف وعاقبته عقابَ القاذفين فان الذئاب لا تحتكر الطعام كما يفعل محتكرو الحنطة حتى يغتنوا بغلائها ولو مات الفقراء جوعاً ولا يقوم اقوياؤها على ضعفائها فيقتلنهم قتلاً كباراً وصغاراً ذكوراً واناثاً اطاعةً لامر حاكم ظالم وسلطان مستبد كما فعل العثمانيون بعضهم ببعض

هل حدث بين الذئاب او بين كل وحوش الغاب ما حدث في مذابح سورية او مذابح ارمينية تؤتى المرأة بزوجها فيذبح على ركبتها ثم تؤتى باولادها فيذبحون امامها الواحد بعد الآخر ويؤخذ طفلها من يدها ويشطر شطرين

هل رأت الذئاب في فلواتها ذئباً شديد الدهاء واسع الحيلة يخدعها ويحتكر طعامها لكي يميتها جوعاً ويعيش هو بلا تعب ولا نصب . كتب بعضهم في جريدة الاستقلال الاميركية يقول درست طبائع الذئاب في الاصقاع الشمالية سنين كثيرة فلم ارَ فيها ما يجيز لنا ان نشبه

بها الاشرار الذين يظلم بعضهم بعضاً ويهتضم بعضهم حقوق البعض الآخر. فالذئاب لا يقتل بعضها بعضاً ولا يسرق بعضها من بعض ولا يختلس بعضها ما لغيره ولا تحتكر الطعام وتمنع غيرها من مشاركتها فيه. واذا افترس ذئب غزالاً وسوّلت له نفسه ان يحتكره ويمنع غيره من مشاركته فيه وثب عليه جاره واخذ بخناقه كأنه يقول له لا احتكار في الطعام فهو قوام الحياة والحقوق فيه طبيعية متساوية. يفعل ذلك من غير تذمّر ولا انذار لعلمه ان الاقوال لا تغني عن الافعال متى كان في الامر موت وحياة

ويظهر من بحث هذا الكاتب وبحث غيره ان الذئاب لا تتناظر بل تتشارك وتتعاون والاشتراكية عندها افضل من الاشتراكية التي ينادي بها علماء الاجتماع الانساني لانها مبنية على الحقوق الطبيعية المحضة وقد ترقّت وتمحصت بناموس بقاء الاصلح من غير تعمّل ولا تصنع

ترى في كتب القصص وما كتب في طبائع الحيوان انّ الذئاب تسير في آجال وقائدها اكبرها جرماً واشدها بطشاً وانه نال السيادة بقوة ساعديه ونابيه بعد ان قهر الخصوم وجرّعها المنون حتى لم يبق له منازع ولا مزاحم. ولكن الامر ليس كذلك بل الزعامة في آجال الذئاب لام الصغار وزوجها يعينها بافتراس الفرائس لاولادها. والغالب بين ذئاب البلدان الشمالية ان يكون في كل اجل من آجالها خمسة الى اثني عشر ذئباً والمقام الاول فيه للام فهي ترشده في روحاته وغدواته وافراده لا تعصي لها امراً مشيئتها شريعة لهنّ لا تنقض كشريعة مادي وفارس وهي تسير في صدر الاجل ويتبعها اصغر اولادها سناً لانهنّ الى ارشادها احوج والا وقعن في المهالك فاكلن ما لا يصلح لهنّ من الطعام ولو كان سمّاً زعافاً ودخلن في كل مأزق يعسر عليهنّ الخروج منه وسعين باقدامهنّ الى الفخاخ والشباك. ويتلو هؤلاء اولاد السنة السابقة لانهنّ يكنّ اقل من اخواتهنّ حاجة الى العناية والارشاد

واذا مرض ذئب او جرح لم تثب عليه الذئاب لتفترسه كما يفعل الناس باخوتهم المستضعفين بل اجتمعت حوله ورثت لبلواه

فاغضى واغضت واتسى واتست به مراميل عزاها وعزته مرمل

على ما قاله الشنفرى شاعر العرب الذي كان يعرف من طباع الذئاب اكثر مما عرف منها القزويني والدميري لانه رآها مرأى العين ودرس افعالها واطوارها. وتحاول اولاً ان تعرف ما هو مصاب الجريح او المريض ومما شكواه اما هو فيرى ان الشكوى لا تجديه غير التأسي فيخرج من بينها ويمضي لطيته حتى اذا اشتدّ به الالم رفع رأسه وعوى فتجيبه عاوية مثله لكنه يرى ان عواءها لا يجدي فيبقى سائراً الى ان يجد كهفاً يلجأ اليه ويجلس فيه يلحس جرحه

كأنهُ يعلم ان الراحة خير دواء طبيعي واللعاب من احسن علاج لميكروبات الفساد وكأنها هي تعلم ذلك ايضاً فلا تتبعهُ لتزعجهُ وتقلقهُ بل تمضي لشأنها تفتش عن طعامها وطعامهِ فيعلم هو اين سارت وكلما جاع اقتفى اثرها واكل من الصيد الذي اصطادتهُ لها ولهُ

واذا التقى ذئبان اشتد بهما الجوع لم يهجم احدهما على الآخر ويأخذ بخناقهِ بل تعارفا تعارف الاصدقاء او المعارف وسارا معاً في طلب الصيد فاذا كان الطريق واسعاً سارا جنباً لجنب واذا كان ضيقاً اوكانت الارض مغطاة بالثلج سار احدهما امام الآخر. وقد يختفي احدهما في كمين ويسير الآخر وراء الصيد ويلجئهُ الى الوقوع في الكمين حيث رفيقهُ فيقبض عليهِ ويكون للاثنين معاً للساعي والقاعد ولو كان الاثنان من سربين مختلفين

وهذا شأن الذئاب اذا طاردت ظبياً من الظباء السريعة العدو التي لا يلحقها حيوان مهما كان سريعاً فانها تنقسم وتكمن لهُ في اماكن مختلفة وتطاردهُ مناوبةً وتبقيهِ في البقعة التي هي فيها وكلما حاول الخروج منها نهض ذئب من كمينهِ وردَّهُ اليها الى ان يعييهُ التعب ويقع فريسة لها فتغنمهُ جزاء تعبها ولا تختصم في ما بينها وقت اقتسام لحمهِ ولا يظلم احدها الآخر بل تأكل كلها منهُ على السواء كانها ابناء عائلة واحدة. تفعل ذلك لا عن فكر وروية ولا جرياً على قانون سنتهُ لنفسها او اقتبستهُ من غيرها كما اقتبسنا قوانين نبوليون ناسبت حالنا او لم تناسبهُ بل تفعلهُ منقادة لقانون الطبيعة قانون الاشتراك والتعاون

فقولهم في الامثال هؤلاء مثل الذئاب يأكل بعضهم بعضاً قول بعيد عن محجة الصواب يحق للذئاب ان تلوم قائلهُ وتقيم الحجة عليهِ. ولو جرى الناس على ناموس الطبيعة وتعاونوا وتناصروا لانتفى من بينهم هذا التنازع المعيب ولما رأيت فيهم قوماً يقومون على اخوانهم ويذبحونهم ذبح الاغنام لا ليسدوا جوعاً ولا ليثأروا دماً ولا ليدفعوا عن عرض بل ليطيعوا امر حاكم ظالم وينهبوا بضاعة وامتعة او ليتزلفوا الى الله بقتل المخالفين لهم في الدين

« وما ذئبان جائعان أُرسلا في زريبة غنم بافسد لها من حرص الرجل على المال والشرف لدينهِ » كما روى ابن ماجه والبيهقي عن كعب بن مالك وقال حديث صحيح حسن. فان كان الحرص على المال والشرف يفسد الدين فكيف بالحرص على طاعة اوامر الظالمين وكيف يدَّعي قوم انهُ من الدين او في سبيل الدين

ان الذئب لأرأف بالذئب من الانسان باخيهِ الا من اصلح النشؤُ من الناس

ثروة الانكليز

مهما كانت مزايا الشعب الانكليزي من حيث حبهُ لوطنهِ وعكف ابنائهِ على العمل ونبوغ كبار الساسة منهم الذين قهروا الممالك بدهائهم فلا شبهة ان مزيتهُ الكبرى ثروتهُ الطائلة . وهو معروف بها في اوربا لا ينكرها عليهِ احد وقد جمع هذه الثروة الطائلة بجدهِ وكدهِ فاستخرج المعادن من جوف الارض وصنع منها الآلات والادوات واتجر بها وجلب المواد الاصلية من البلدان القاصية وصنع منها المصنوعات واتّجر بها واستولى على بلدان واسعة في اسيا وافريقية واميركا وجزائر البحر وقاسم سكانها خيراتها فاجتمعت لديهِ موارد الثروة . ولقد كان ايراد الحكومة الانكليزية يبلغ اربعين او خمسين مليونًا من الجنيهات في اواخر القرن الثامن عشر حين كان ايراد الدولة العثمانية اقل من خمسة ملايين من الجنيهات مع ان بلادها اوسع من البلاد الانكليزية واغنى ولكن حكومتها وماليتها كانتا دائمًا مختلتين معتلتين لانها كانت تعطي الولايات بالالتزام للولاة فيبتزون كل ما يستطيعون ابتزازهُ من الاموال ولا يعطونها الا النزر منهُ يحلبون الرعية ويجزون صوفها ولا يعتنون بها ولا يهتمون بتوفير ثروتها

قدَّر السر وليم بتي ثروة انكلترا سنة ١٦٦٤ بمئتين وخمسين مليونًا من الجنيهات كما يأتي

ثمن الارض الزراعية ومساحتها ٢٤ مليون فدان	١٤٤٠٠٠٠٠٠ جنيه
ثمن المباني	٠٣٠٠٠٠٠٠٠ "
ثمن السفن التجارية	٠٠٣٠٠٠٠٠٠ "
ثمن الجنائن والمواشي ومصايد الاسماك	٠٣٦٠٠٠٠٠٠ "
النقود الموجودة في البلاد	٠٠٦٠٠٠٠٠٠ "
ثمن الاثاث والبضائع	٠٣١٠٠٠٠٠٠ "
والجملة	٢٥٠٠٠٠٠٠٠

اي نحو نصف ثروة القطر المصري الآن وكان عدد سكان انكلترا حينئذٍ اقل من خمسة ملايين من النفوس . لكن النقود كانت عزيزة في ذلك الوقت والاسعار رخيصة فما كان يساوي حينئذٍ خمسة جنيهات يساوي الآن عشرين جنيهاً ولو لم يتغير بوجه من الوجوه ولذلك فثروة البلاد كانت تساوي حينئذٍ الف مليون جنيه اي مضاعف ثروة القطر المصري

وفي اواخر القرن الثامن عشر قدرت ثروة انكلترا بنحو ١٣٦٤ مليون جنيه كما يأتي

قيمة الارض الزراعية	٩٩٠٠٠٠٠٠٠ جنيه
قيمة المباني	١٧٠٠٠٠٠٠٠ „
قيمة المواشي من كل الانواع	١٠٢٠٠٠٠٠٠ „
السفن الحربية والتجارية	٠١٦٠٠٠٠٠٠ „
النقود التي في البلاد	٠٢٥٠٠٠٠٠٠ „
بضائع التجار والصناع	٠٣٥٠٠٠٠٠٠ „
الاثاث واللباس	٠٢٦٠٠٠٠٠٠ „
والجملة	١٣٦٤٠٠٠٠٠٠

وقدَّر السر جون سنكلر دخل انكلترا السنوي حينئذٍ بنحو ١٣٠ مليون جنيه هكذا

ايجار الاطيان	٣٣٠٠٠٠٠٠ جنيه
ايجار البيوت	٠٨٥٠٠٠٠٠ „
ربح المزارعين	٠٦٠٠٠٠٠٠ „
دخل عمال الزراعة	١٥٠٠٠٠٠٠ „
ربح المناجم والملاحة الداخلية	٠٢٠٠٠٠٠٠ „
ربح الملاحة الخارجية	٠١٠٠٠٠٠٠ „
الربح من تربية المواشي	١٥٥٠٠٠٠٠ „
الربح من الدين والرهن	٣٠٠٠٠٠٠ „
ربح التجارة الخارجية	١١٢٥٠٠٠٠ „
ربح الصناعة	١٤١٠٠٠٠٠ „
دخل البحارة من سفن التجار	٠٤٥٠٠٠٠٠ „
دخل خدمة الدين	٠٢٢٠٠٠٠٠ „
دخل القضاة ونحوهم	٠١٨٠٠٠٠٠ „
دخل معلمي المدارس	٠٠٦٠٠٠٠٠ „
دخل التجارة الداخلية في البيع والشراء	٠٨٠٠٠٠٠٠ „
دخل الخدم	٠٢٠٠٠٠٠٠ „
دخل مختلف	٠٢٠٠٠٠٠٠ „
والجملة	١٣٠٥٧٠٠٠٠

وهذا يقرب من الدخل الذي حسبهُ الوزير پت لما فرض ضريبة الايراد على البلاد اي ان ثروة انكلترا كانت تقدَّر بنحو ١٣٠٠ مليون جنيه في اواخر القرن الثامن عشر ودخلها السنوي بنحو ١٣٠ مليون جنيه . ولا يخفى ان ثروتها قُدّرت في اواخر القرن التاسع عشر بنحو ١٣٠٠٠ مليون جنيه ودخلها السنوي بنحو ١٣٠٠ مليون جنيه ومن ذلك الدخل الذي يدفع اصحابهُ ضريبة الايراد وهو ٦٠٠ مليون جنيه . وليس العبرة بثروة البلاد الداخلية ودخلها منها بل العبرة بما تكتسبهُ من الخارج فاذا قدّرت املاكها في بلادها بالف مليون جنيه او بخمسة آلاف مليون جنيه فهي واحدة لا تتغير وكذا اذا كان ريعها يساوي مئة مليون جنيه او الف مليون جنيه ولكن العبرة بما تكسبهُ من الخارج بصناعتها وتجارتها واموالها المشغلة في البلدان الاجنبية

وقد حسب محرر مجلة الاحصاء الانكليزية الآن ان للانكليز ٢٧٠٠ مليون جنيه مشغلة في غير انكلترا ريعها السنوي ١٤٠ مليون جنيه فهم يكسبون في السنة من اموالهم التي استدانتها منهم حكومة الهند وحكومات المستعمرات وسائر الحكومات ٣١ مليون جنيه . ومن اموالهم الداخلة في انشاء سكك الحديد ونحوها في البلدان الاجنبية ٥١ مليون جنيه وبقية الربح من اموالهم المشغلة في الشركات الاجنبية التي انشأوها باموالهم او اشتركوا فيها كشركات تقطير المسكرات وشركات المياه وشركات الاراضي وما اشبه ٥٨ مليون جنيه والجملة ١٤٠ مليون جنيه كما تقدَّم

فان كانت اموالهم تدرُّ عليهم هذا المبلغ الطائل من المال فهم في غنى حتى عن العمل . هذا عدا المكاسب الوافرة التي يكسبونها من مصنوعاتهم وتجارتهم ولذلك قدَّر علماء الاحصاء المالي انهُ يتوفر لدى الانكليز الآن مئة مليون جنيه كل سنة اي ان دخلهم السنوي يزيد على نفقاتهم مئة مليون جنيه فلا عجب اذا غارت منهم ممالك اوربا وحاولت السير في خطتهم لاقتسام هذا الربح معهم او لاكتساب مثلهِ

ورب قائل يقول ان كان الانكليز يربحون مئة مليون جنيه كل سنة فوق ما يقوم بنفقاتهم كلها فممن يربحونها والى اين تفضي هذه الحال . والجواب انهم يربحونها من الامم التي انتفعت باموالهم فان كانوا قد انفقوا مليون جنيه على سكة حديدية في بلاد غير بلادهم مثل البلاد المصرية فربحهم خمسة في المئة على الاموال التي دفعوها انما هو جزء صغير من الربح الذي نالتهُ البلاد من تلك السكة لانها سهّلت النقل وقللت نفقاتهِ وحملت الناس على احياء الارض الموات التي كان احياؤُها متعذراً لبعدها . اي قللت ما يتلف من قوة الناس والبهائم في النقل وزادت ما ينتج من خيرات الارض . وقس على ذلك سائر الاعمال العمومية التي تعمل

بالمال فان ربحها للمنتفعين بها يزيد على الربا القانوني الذي يعطى لاصحاب المال

وقد رسخ في الاذهان ان الانكليز غنموا اموالهم غنيمة من البلدان التي فتحوها في اميركا والهند . ولكن يظهر الآن من مزاحمة الالمانيين والبلجيكيين لهم في الصناعة والتجارة ان الكسب لا يأتي من سواقي الغنائم الحربية بل من قطرات الصناعة والتجارة والزراعة من الغرش الذي يربحهُ الصانع والتاجر بكل سلعة يبيعها ومن البارة التي يربحها الزارع من كل بيضة تصدر من بلادهِ . هذه بلجكا وعدد سكانها نحو سبعة ملايين نفس فقط تصدر كل سنة من الحاصلات والمصنوعات ما ثمنهُ مئتا مليون جنيه نحو نصفها يمر بالبلاد مروراً والنصف الآخر من حاصلاتها الزراعية والمعدنية ومصنوعاتها الزراعية والمعدنية فتصدر من معادن الحديد والفحم والتوتيا والنحاس والرصاص ما ثمنهُ ٢٤ مليون جنيه ومن الصوف والكتان والحنطة والسكر والجلود والخيل ما ثمنهُ ٣٣ مليون جنيه ومن المغزولات والمنسوجات والادوية والزجاج والاصباغ والآلات والادوات ما ثمنهُ ١٦ مليون جنيه . فليست انكلترا منفردة في ثروتها ولا الثروة متوقفة على اتساع المستعمرات ولكن اساسها الثابت انتظام ادارة البلاد وعلم سكانها واجتهادهم

وليس الغرض من كتابة هذه السطور مجرَّد العلم بثروة الانكليز او غيرهم من الامم ولا الحث على اقتفاء خطواتهم في كل شيء لان توزيع الثروة عندهم غير حسن فقد ابعد ما بين اغنيائهم وفقرائهم فالفقراء يتضورون جوعاً تمضي ايام واشهر لا يجدون عملاً يعملون بهِ ولا يندر ان يموت بعضهم جوعاً او ينتحر يأساً والاغنياء لا يعلمون ما يعملون باموالهم فيعيشون عيشة الترف ينتقلون من قصر الى قصر وقد جمعوا في قصورهم من التحف ما لا يأخذهُ الوصف ولا يقوَّم بثمن . وانما غرضنا من المقابلة بين فقرنا وغنى غيرنا تجنُّب الغرور وحث الذين في يدهم شؤُون البلاد على بذل الجهد في اصلاح ادارتها واستثمار خيراتها وحث الاهلين على الاجتهاد والاقتصاد لايفاء ما علينا من الديون لاوربا اولاً ولذخر الاموال لايام الشدة ثانياً فان الحكومتين العثمانية والمصرية مديونتان لاوربا بنحو ٢٥٠ مليوناً من الجنيهات وشعبيهما مديونان بنحو مئة مليون ولا بدَّ من ايفاء الدين والاَّ لجانب كبير من الدخل يذهب رباً له ويستحيل علينا ان نرفع رؤُوسنا بين الامم وعلى عواتقنا اثقال الديون . نعم ان جنودنا اشداء وقوادنا بواسل ولكن الحروب لا تدار بلا مال والعزة والمنعة لا تأتيان بثقال الاقوال . ولا منجاة لنا الاَّ اذا قام اولياء الامور بما يطلب منهم من الاصلاح وعكف الناس كلهم على الاجتهاد والاقتصاد حتى توفي البلاد ديونها وتتوفر الاموال في خزائنها.

مالية الدولة العثمانية

المال قوام الاعمال ولا تقوم مملكة دخلها اقل من نفقاتها . ويجب ان يقدَّم اصلاح مالية الدولة على كل فرع من فروع الحكومة الاَّ ما لزم منها لاصلاح المالية مباشرة كالامن العام والاعمال العمومية التي منها نفع مالي اما ما سوى ذلك من الفروع التي تقتضي ترقيتها زيادة في النفقات من غير زيادة في الدخل كتكثير الجنود وانشاء الاساطيل وبناء المتاحف فيجرى فيها بالتأني على ما تسمح بهِ الحالة المالية

ويراد باصلاح مالية الحكومة تكثير موارد دخلها بتكثير دخل الرعية . وتقليل نفقاتها بالاقتصاد فيها . لا تكثير دخلها بسلب اموال الرعية او ابتزاز جانب كبير منها ولا تقليل نفقاتها بترك ما لا بد منهُ لقيام اعمالها

ولقد كانت كتب التقويم الافرنجية تقدر دخل الحكومة العثمانية السنوي بنحو سبعة عشر مليوناً من الليرات العثمانية وتقدّر نفقاتها بما يقارب ذلك فنحمل قلة الايراد على ما كان شائعاً من اختلاس الاموال التي تحصَّل من الاهالي . اما وقد قدّرت الايرادات في الميزانية الجديدة باكثر من خمسة وعشرين مليوناً من الليرات والمصروفات بتسعة وعشرين مليوناً فلم تبقَ شبهة في ان الايرادات كانت اكثر مما يذكر في كتب التقويم ولو لم تصل كلها الى الخزينة . ومن رأي وزير المالية العثمانية الحالي ان تقدير الايرادات بخمسة وعشرين مليوناً معتدل جداً ويرجح انها ستزيد على ذلك ولا تنقص عنهُ

ويظهر لنا انهُ اذا بلغت ايرادات الحكومة العثمانية خمسة وعشرين مليوناً من الليرات والبلاد خارجة من حالة الخراب فلا يبعد ان تبلغ مضاعف ذلك بعد سنوات قليلة فقد قال وزير المالية ان موارد الايراد العثمانية التي استولى عليها الاوربيون مثل الملح والحرير والتبغ زادت ضعفاً او ضعفين بحسن ادارتهم كما سيجيء . فلا عجب اذا تضاعفت بقية الموارد اذا أُحسنت ادارتها او اذا أُصلحت حال البلاد والعباد . فان ايرادات الدول الكبرى من الجنيهات اكثر من مضاعف عدد سكانها من النفوس كما ترى في هذا الجدول

المملكة	عدد سكانها	ايراداتها	مصروفاتها
روسيا	١٥٠ مليون نفس	٢٦٢ مليون جنيه	٢٧٢ مليون جنيه
فرنسا	٠٣٩ "	١٥٨ "	١٥٨ "
بريطانيا	٠٤٤ "	١٥٦ "	١٥٢ "

النمسا	٤٧٠ مليون نفس	١٤٧ مليون جنيه	١٤٧ مليون جنيه
المانيا	٦٢٠ "	١٣٨ "	١٣٨ "
ايطاليا	٣٤٠ "	٠٨٦ .	٠٨٤ "

وواضح من ذلك ان كل نفس في فرنسا يدفع اربعة جنيهات في السنة من نفقات الحكومة . وكل نفس في انكلترا يدفع ما يقرب من ذلك وكل نفس في النمسا يدفع اكثر من ثلاثة جنيهات وكل نفس في المانيا وايطاليا يدفع اكثر من جنيهين وكل نفس في روسيا يدفع نحو جنيهين . والبلاد العثمانية ليست اقل خيرات من روسيا وايطاليا والنمسا ولا سكانها اضعف همة من سكان سيبيريا وكلابريا فاذا اصطلحت حكومتهم فاستثمروا خيرات بلادهم لم يتعذر عليهم ان يدفعوا ما يدفعهُ الروسيون والايطاليون لحكومتيهما

واذا غضضنا الطرف عن هذه الممالك الكبيرة والتفتنا الى الممالك الصغيرة التي انفصلت عنا مثل رومانيا واليونان والسرب والبلغار رأينا انهُ يخص النفس منها من نفقات الحكومة نحو جنيهين الى جنيه وربع حسب طول الزمن الذي مرَّ على انفصالها عنا

اسم المملكة	عدد سكانها	ايراداتها	مصروفاتها
رومانيا	٧ ملايين نفس	١٢ مليون جنيه	١٢ مليون جنيه
اليونان	٣ "	٥ ملايين جنيه	٥ ملايين جنيه
السرب	٣ "	٤ "	٤ "
البلغار	٤ "	٥ "	٥ "

فاذا لم نحذُ الاَّ حذوها في اصلاح ادارتنا بلغت ايرادات الحكومة العثمانية من رعاياها وهم نحو ثلاثين مليونًا من النفوس لا اقل من ٣٧ مليونًا من الجنيهات

وغنيٌّ عن البيان ان ايرادات الحكومة اي المال الذي تتقاضاهُ من رعاياها اكثرهُ اجور لرجالها اي اجور الرجال الذين يحفظون الامن والرجال الذين يقضون بين الناس والرجال الذين يعملون سائر الاعمال العمومية التي تقوم الحكومة بعملها كنقل البريد والتلغراف . فهي اجرة عمل يعمل للرعية فعلى كلّ واحد منها او من سكان البلاد ان يدفع قسطهُ من نفقات الحكومة . هذا هو الاساس الاول الذي تبنى عليهِ جباية الاموال الاميرية على انواعها

ثم ان الناس متساوون في اشخاصهم ولكنهم غير متساوين في ما يملكون فالحكومة تتعب في المحافظة على حياة زيد كما تتعب في المحافظة على حياة عمرو بوجه عام فتستحق منهما اجراً واحداً ولكن اذا كان زيد يملك ضياعًا واسعة ريعها الف جنيه في السنة وعمرو يملك ارضًا ضيقة

مدى الثلاثين سنة الاخيرة رأينا ان ايرادات الحكومة لم تزد شيئاً في حين نرى بسرور ممزوج بامتعاض زيادة دخل ادارة الديون العمومية زيادة عظيمة فهذا رسم التمغة زاد ٢٠ في المئة والملح مئة في المئة والحرير ٣٠٠ في المئة

فهذا النجاح الذي اصابتهُ الادارات الاجنبية يدل على تأخر حالتنا ولكن لا يمكن القاء تبعة ذلك علينا لانهُ إرث اورثناهُ الحكم الماضي. وبفضل الدستور ستنمو الزراعة الوطنية نماء عظيماً. ثم انهُ توجد ايرادات يجب انقاصها ونفقات يقتضي زيادتها وسترون في السنة القادمة تحقيق هذه الامنية إذ تنقص الضرائب مع ضمان زيادة الدخل. فمستقبلنا هو في حسن استغلال اراضينا ولنا الامل انهُ بمساعدة الحكومة ومساعي النواب حين عودتهم الى بلادهم يقدم الماليون على تأليف الشركات المالية لاستثمار الاراضي. واذا دقق النظر في الميزانية ظهر ان ٤ الى ٥ ملايين من دخل الحكومة ليست ناتجة عن ضرائب وان ١٠ الى ١٢ مليوناً من العشرين مليوناً الباقية يؤديها المزارعون

ثم انتقل الخطيب الى الكلام على كل نوع من الايرادات على حدة فقال:

ويركو الاملاك — تعلمون ان تخمين الاملاك الذي جرى منذ ٣٠ سنة لم يكن عادلاً فروعي الاغنياء وجير على الفقراء فان الذين يملكون ما يساوي مئة الف ليرة خمنت املاكهم باربعة آلاف فقط ولا يمكن اصلاح هذا التخمين في مدى شهرين في بلاد واسعة كبلادنا ويصعب ابدال المأمورين في يوم واحد ولكن لا بدَّ من بداية لكل شيء. فعلى ناظر المالية ان يشرع في ذلك دون ان تهولهُ نفقات العمل. واني اعرف في سلانيك صاحب بنك رأس ماله ١٢ مليوناً وهو لا يدفع سوى ٢٥ ليرة

ضريبة التمتع — ان الاجانب لا يدفعون ضريبة التمتع ولما كانوا يلاقون في هذه البلاد ترحاباً ورعاية فيجب عليهم ان يشاركوا الوطنيين في دفع الضرائب. وانا واثق بانهم لا يبخلون على الحكومة الدستورية بما كانوا يأبون اداءهُ الى الحكومة السابقة. ولي الامل ان توافق الدول على تحصيل الضرائب من تبعتها القاطنة في المملكة العثمانية اذا سئلت ذلك. فهل اهتمت الحكومة بهذا الامر؟ ان مجلس النواب لا يعلم شيئاً من ذلك لان الوزارة لا تطلعهُ على المفاوضات. هذا وان بعض المحلات الاجنبية في الاستانة يربح ٢٠ الف ليرة في السنة ولا يدفع سوى ثمن تذكرة «الاصناف» في حين ان الفلاح في الولايات يدفع اضعاف هذا المبلغ

البدل العسكري — اننا تجاه موقفين فالمسيحيون يطلبون ان ينتظموا في الجندية ويبذلوا دماءهم في سبيل الوطن ولا يمكن رد طلبهم. والحكومة تخشى خسارة دخل سنوي من البدل

العسكري قدره مليون و ٦٤٥ الف ليرة فارتأت اللجنة وضع طريقة توفق بين الفريقين

ويستفاد من لوائح نظارة الحربية الاحصائية ان ١٢ في المئة من المبلغ المذكور آنفاً يستوفى من المسلمين الواقعة عليهم القرعة العسكرية فيبقى مبلغ مليون و ٢٠٠ الف ليرة يدفعهُ غير المسلمين فكيف السبيل لسد هذا النقص ؟ فأرى ان يعمل بالطريقة التي يعامل بها المسلمون . وفي علمكم ان الطوائف توزع هذا البدل بطرائق مختلفة فتفرض على كل فرد اداء هذا البدل منذ صغره فلو استدعينا اليوم المسيحيين لحمل السلاح لحق لهم ان يطالبونا بارجاع البدل الذي دفعوهُ حتى الآن ويجب ان لا يبقى سكان العاصمة معفين من الخدمة العسكرية وهم يتمتعون بعدة امتيازات وفيهم كثيرون من الاغنياء فاذا استوفي البدل من الذين تصيبهم القرعة العسكرية ولا يريدون الخدمة اجتمع لدينا مبلغ ٤٠٠ الف ليرة

رسم الحبوب — هو رسم جائر يعادل ١٢ ونصف في المئة من المحصول وليس في الطاقة لسوء الحظ الغاؤهُ لان هذا الرسم يستوفى منذ ٦٠٠ سنة ولا يمانع المزارعون بدفعهِ على اننا سنجتهد في انقاصهِ في السنة المقبلة ٢ ونصف في المئة

المعادن — ان الاجانب يؤكدون ويجب تصديقهم ان ارض بلادنا غنية بالمعادن وقد أصابوا ربحاً في الاماكن التي عدنوها فيجب تسهيل المعاملات في منح الرخص وامتيازات تعدين المعادن ولا فائدة بدون ذلك

الجمارك — ان دخلها يبلغ ٤ ملايين ليرة وزيادة الرسم الجمركي من ٨ الى ١١ في المئة لم تنقص مقدار البضائع الواردة غير ان هذا الرسم لا يصيب التجار بل الاهالي نظراً لسوء تصرف مأموري الجمارك فقد تحقق المسيو كريفورد (مفتش الجمارك الانكليزي) ان المخمنين يخمنون بضائع قيمتها ١٠ ليرات بمئة قرش وذلك ناتج عن قلة راتب المأمور . ففي الميزانية القادمة تزاد رواتب مأموري الجمرك بغية وضع حد لهذه الاختلاسات

رسوم الجمرك على الصادرات — يجب الغاؤها لانها مناقضة لاصول علم الاقتصاد

رسوم الصحة — تستوفى هذه الرسوم في الولايات دون معرفة الحكومة وتستوفى من الاموات ففي بغداد لا يعطون اجازة لدفن الميت قبل دفع ٥٠ غرشاً ولما كان فائض هذه الواردات لا يدفع لخزينة الحكومة فيجب اصلاح هذا الخلل

شركة حصر التبغ — لقد وقع في السابق خلل عظيم في ادارتها انما تبعة ذلك واقعة على اهمال الحكومة وتغاضيها وبعد اربع سنوات ينتهي اجل الامتياز فعلى الحكومة ان تدرس منذ الآن كيفية استلامها هذه الادارة ولما كان ليس في وسع الحكومة العثمانية ان تستلم

ريعها مئة جنيه فقط فالعدل يقضي ان يدفع زيد من نفقات الحكومة عشرة اضعاف ما يدفعهُ عمرو من قبيل حفظ هذه الاملاك لان الحكومة تتعب في الاحتفاظ باملاك الاول عشرة اضعاف ما تتعبهُ في الاحتفاظ باملاك الثاني بوجه عام وقس على ذلك سائر الممتلكات

قال ادم سمث واضع علم الاقتصاد السياسي عند الانكليز ان على كل احد ان يدفع للحكومة على نسبة دخلهِ مقابل ما يتمتع بهِ من حماية الحكومة . وهذه هي القاعدة الاولى من قواعدهِ . وعندنا انها مانعة ولكنها غير جامعة لانهُ يجب على المرء ايضًا ان يدفع على املاكهِ التي لا ريع لها لاهمالهِ استثمارها والا طمع بمشتري الاراضي وتركها بوراً الى ان تعمر البلاد حولهُ وترتفع اسعارها بلا تعب ولا مشقة فيكسب من غير ان يشارك غيرهُ في نفقات الحكومة

والقاعدة الثانية من قواعد ادم سمث ان الضريبة التي يدفعها كل انسانٍ يجب ان تكون معلومة مقررة حتى يعرف ما عليهِ . والقاعدة الثالثة ان الضرائب تجبى في اسهل الاوقات لجبايتها وعلى اسهل اسلوب يمكن جمعها بهِ . والرابعة ان ينفق على جباية الضرائب اقل نفقة ممكنة . وهذه القاعدة تمنع الالتزام الذي جرت عليهِ الحكومة العثمانية فظلمت رعاياها لكي يكتسب منهم الملتزمون

وموارد الميزانية العثمانية في تقدير وزير المالية ثمانية كما ترى في الجدول التالي

الاموال المقررة	١٣٣٥٣٩٢٩	ليرة عثمانية
الاموال غير المقررة	٠٤٥٤٧٧١٠	" "
البوسطة والتلغراف ونحوها	٠٣٠٣٢٠٢٧	" "
التمغة والتمتع	٠١٠٦٤١٤٦	" "
الاعمال العمومية	٠٠٣٢٥٨٠٥	" "
الاملاك الاميرية	٠٠٢٦٥٤٨١	" "
ويركو مصر	٠٠٨٧١٣١٦	" "
ايرادات متنوعة	٠١٦٠٨٥٤٨	" "

ولا بأس بادخال ويركو مصر وان كان يذهب كلهُ ربًا لدين معلوم ولا تأخذ الحكومة العثمانية غرشًا منهُ

ولقد عينت لجنة لفحص مواد الميزانية الجديدة فعدلتها واختارت جاويد بك مندوب سلانيك (الذي صار ناظراً للمالية بعدئذٍ) ليرفع تقريرها الى مجلس المبعوثان فوقف في ٢٢ يونيو الماضي وتكلم عن الميزانية كلامًا وقع احسن وقع في النفوس وقد لخصناهُ هنا نقلاً عما

قرأناهُ في جريدة الشمس وجريدة الارز اللبنانية قال :— ان هذا اليوم يستحق ان يخلد في التاريخ العثماني لان هذه هي اوّل مرّة منذ ٦٠٠ سنة تسنى لممثلي الامة الموافقة على استيفاء الضرائب المفروضة على الاهالي وفحص الاثقال الملقاة على عاتق الامة واستعمال سلطتها المطلقة في الشؤون المالية . ان قوّة البلاد الاقتصادية تسمو على كل قوة فالحكم الذي ألغي كان يتلاعب بهذه القوّة فقسم الامة الى قسمين قسم يأخذ ولا يعطي وقسم يعطي ولا يأخذ وقوامهُ ذلك الشعب المسكين. ولقد آن الوقت لابدال كل ذلك ان الشعب يطلب منا ارجاع حقوقهِ اليهِ وانهاض البلاد من وهدة الخراب والشقاء الى ذروة الرقي فيجب علينا ان نسمع شكاويهُ منذ الآن محاولين معالجتها . واننا نجهل الافكار التي خالجت عقل الوزارة لما بسطت لدينا حالة وارداتنا وبينما كنا ننقد الارقام وندقق فيها كانت اصوات استغاثة الشعب تطن في اذاننا وكنا نسمعهُ يصرخ بنا قائلاً :

« في وقت الحرب نحن الذين نبيع نفوسنا اعلاء لشأن الوطن ونملأ جثثنا ساحات القتال وفي وقت السلم نستمر على تضحية نفوسنا ونبقى متعرضين لعوامل الطبيعة للشمس المصهرة والبرد القارس لكي نقيت الامة ونضمن بقاءها وبينا نحن على وشك ان نجني ثمار اتعابنا ينتصب امامنا الجابي والضابطة »

غير انهُ يطرق آذاننا صوت آخر اشد وقعاً وهو نداء الكيان الوطني الذي يجب ضمانهُ ويمنعنا من ان نفعل كما نريد موجباً علينا ضمد جراح الامة من ثقل الضرائب تدريجاً

وعلى الحكومة واجبان آخران احدهما يعود الى ناظر الداخلية الموكول اليهِ ضمان الراحة العمومية والآخر الى ناظر الاشغال العمومية فاذا اتم كلاهما واجبهما تتوفر لدى الحكومة الاموال ويتبدل عجز الميزانية بزيادة قدرها ٤ الى ٥ ملايين ليرة اذ لا زراعة ولا استثمار بدون امن ولا رواج للمحصولات بدون طرق مواصلات والا رأى الفلاح فائض محصولات ارضهِ بائراً غير انهُ لا اهمية للعجز المالي اذا كانت الميزانية صادقة حاوية كل النفقات والواردات وهي مبنية على دخل الحكومة الحقيقي

ان بعض النظارات عارضت في توحيد الشؤون المالية قصد الاستقلال بانفاق الواردات على هواها كما في العهد المنقضي نهذا امر يتعذر قبولهُ ويدل على قلة ادراك بعض النظار لروح الدستور ولي الرجاء الوطيد ان ناظر المالية يتغلب عليهم بواسطة مجلس النواب. فيجب ان يذكر في الميزانية حتى ثمن احقر مقعد من المقاعد والكراسي كما هو جارٍ في انكلترا حيث يذكرون في الميزانية ثمن فهارس المتاحف التي تباع للزوار . فاذا نظرنا الى مجموع الميزانية في

حصر هذا الصنف فيلزم ان تؤجره الى شركة خاصة بشروط أكثر موافقة . ان الرسوم المعروضة على اصدار التبغ الى مصر والبلقان يبلغ مقدارها ١٨٠ الف ليرة فتحول دون مزاحمة التبغ اليوناني في مصر وقد انقصت اللجنة الرسم الحالي الى نصفهِ فاذا زادت الكميات الصادرة تلغى هذه الرسوم تماماً

التنباك — ان حصر هذا الصنف قد انقص الكميات المستوردة الى ثلثها وقد كثر تهريبهُ مع الاسلحة فيجب الاتفاق مع الشركة صاحبة الامتياز بهذا الخصوص

البوسطة والتليفون — يجب ان يترك للحكومة ادارة شؤُون البوسطة والتلغراف لاسباب سياسية انما لا يوافق حصر ادارة التلفون بها لان لا علاقة لها بالراحة العمومية ولذا حذفت اللجنة ذكرها من الميزانية لتيقنها عدم اقتدار الحكومة على ضبط هذه الادارة وقد عجزت عنها الحكومة الفرنسوية فيجب منح امتيازها لشركة خاصة

المسكوكات — يجب توحيد سعر المسكوكات وقد عهد الى لجنة مالية اختصاصية لتقطع بهذا الامر .

سكة الحجاز — ان شؤُونها مختلة فعلى الحكومة ان تلزّم استثمارها لشركة خاصة

معمل الغاز — يجب فصلهُ عن الطوبخانة واعطاؤُهُ لشركة خاصة

مناجم هركله — يقتضي الاتفاق عليها مع الشركة الفرنسوية صاحبة الامتياز

املاك الحكومة — يجب بيع كل هذه الاملاك الاَّ الغابات

الديون — ان البنك العثماني مستعد للمساهلة وقد رضي باسقاط الفائدة التي يتناولها

رسوم البحرية — ان الحكومة السابقة الغت رسوم الجمرك على البضائع الداخلة برّاً واضافتها الى البضائع التي تدخل بحراً مما عرقل التجارة وحال دون مزاحمة المصنوعات الوطنية للمصنوعات الاجنبية فيجب الغاء هذا الرسم

واتم الخطيب كلامهُ معتذراً عن عدم تمكن اللجنة من وضع ميزانية احسن من هذه لعدم توفر الوقت وان ناظر المالية لم يتمكن من تقديم تفاصيل الميزانية نظراً لتأخر النظارات عن ارسال برنامج كل نظارة

فوقف ناظر المالية وقال انهُ يأمل تقديم الميزانية في اوّل تشرين الثاني وان اعادة الاحصاء والمساحة ستعودان باموال وافرة على الحكومة ويقدر ما يدخل من الآستانة بثلثمة الف ليرة اما التمتع فان اللجنة تنظر في تعديل نظامهِ والحكومة ساعية لدى السفارات على حملها على الموافقة على استيفاء هذا الرسم من الاجانب وهي مهتمة ايضاً بنظام التمغة

مقاومة الجسم للامراض المعدية

ونقوية هذه المقاومة

تدخل الامراض المعدية كالكوليرا والطاعون والتيفوس والتيفويد مدينةً او قريةً او بيتًا فيعدى بها بعض الناس ولا يعدى البعض الآخر . ولا بدَّ من شيءٍ في الذين لا يعدون وقاهم من العدوى او من شيءٍ في الذين يعدون عرَّضهم للعدوى فما هو هذا الشيء وهل يمكن تقوية ما في الجسم من المقاومة للامراض المعدية . هاتان مسألتان اجاب عنهما الدكتور سيمون فلكسنر بمقالة تليت في جامعة كولمبيا بنيويورك في شهر مارس الماضي ونشرت في مجلة العلم العام الاميركية ومما قالهُ فيها ان تجنُّب اسباب الامراض المعدية اي الميكروبات التي تسببها متعذّر في غالب الاحيان لاَن بعض هذه الميكروبات موجود في كل مكان كميكروب السل وبعضها لا يخلو منهُ جسم الانسان نفسهُ كميكروب الصديد الموجود دائمًا على جلدهِ وميكروب ذات الرئة وميكروب الدفثيريا اللذين قلما يخلو منهما الانف والحلق . وفي غشاء الامعاء المخاطي ميكروبات متنوعة وكثير منها ضارٌّ وقد يكون بينها ميكروبات التيفويد والدسنطاريا والكوليرا ويبقى الجسم سليماً من شرها

ينتج من ذلك نتيجتان الاولى ان اجتناب الميكروبات المرضية والناس المصابين بها والاماكن الموجودة فيها ضرب من المحال . والثانية انهُ لا يصعب على الجسم ان يقي نفسهُ منها في غالب الاحيان والاَّ ما بقي حيٌّ على وجه البسيطة . وهذه الوقاية لا تقتصر على منع الميكروبات عن الوصول الى داخل الجسم وان كان هذا المنع يقي الجسم منها حتمًا ولهُ في الجسم وسائل خاصة بهِ بل تقوم ايضًا بوصول الميكروبات الى الدم وابطال فعلها فيهِ

ومن الميكروبات المرضية ما لا يقيم في جسم الانسان ولكن عدواهُ شديدة جدًّا مثل الجدري والحصبة والقرمزية ومنها ما لا بدَّ لهُ من وسيط يقيم فيهِ قبلما يدخل جسم الانسان مثل الملاريا التي يقيم مكروبها في نوع من البعوض والحمى الصفراء التي يقيم مكروبها في نوع آخر منهُ والطاعون الذي يقيم مكروبهُ في الجرذان على ما يظن

والناس مختلفون كثيراً في استعداد ابدانهم للعدوى بالامراض المعدية ما عدا الجدري فانهُ كان يصيب كل الناس تقريبًا قبل اكتشاف التطعيم

ثم ان ميكروبات الامراض المعدية لا تفعل بكل انواع الحيوان على حدٍّ سوى ولا بكل

افراد النوع الواحد على حدٍ سوى فمنها ما هو خاص ببعض الانواع ولا يفعل بغيرهِ مطلقاً او لا يفعل بهِ الاَّ قليلاً مع ان النوعين متقاربان . بل ان فعلها يختلف في افراد النوع الواحد ولا يمكن ان نعلل العدوى والمناعة تعليلاً صحيحاً ما لم يفسر ذلك التعليل سبب بلوغ العدوى الى بعض الانواع دون غيرها وسبب بلوغها الى بعض افراد النوع الواحد دون البعض الآخر . وهذا التعليل لم يعرف حتى الآن اي لم يعرف السبب الحقيقي للعدوى والمناعة

وقد عرف منذ زمن طويل ان ميكروبات الامراض المعدية تصل احياناً الى الدم ولا تسبب العدوى ثم اذا مات الحيوان وجد دمهُ خالياً من الميكروبات وكذلك اعضاؤُهُ الباطنة وتبقى كذلك مدة طويلة بعد الموت الى ان يحلَّ فيها الفساد . وهذا يدل على انها تقي نفسها من الميكروبات مدة الحياة ووقتاً ما بعد الموت . ثم ثبتت قوة الدم على مقاومة الميكروبات بالامتحان وذلك بحقن الارانب بسوائل متعفنة في شرايينها فلم تصب بمكروه واستخرج جانب من دمها بعد ذلك فلم يحل بهِ الفسادَ . فلم تبقَ شبهة في ان الدم يقي نفسهُ احياناً من ميكروبات الفساد

والظاهر ان الجسم يتخلص من الميكروبات بطريقتين الواحدة بافرازها من الكليتين والكبد والثانية بقتلها وهي فيهِ . وقد اثبت علم الميكروبات ان الدم وبعض سوائل الجسم تقتل الميكروبات وهذهِ الخاصية تبقى في الدم والسوائل بعد خروجها من الجسم . فهنا قضية محسوسة لا ريب فيها وهي ان الدم وسوائل باطن الجسم تقتل كثيراً من الميكروبات

ولكن يظهر ان قوة الدم على قتل الميكروبات محدودة وهي لا تفعل بكل الميكروبات على حدٍ سوى . والميكروبات التي يسهل قتلها فيهِ ينجو بعضها احياناً فتنمو وتتكاثر . وبعض الميكروبات اقوى من غيرها على مقاومة فعل الدم والنجاة منهُ . ودماء الحيوانات ليست متماثلة تماماً في فعلها بالميكروبات واذا اخرج الدم من جسم الحيوان فقوَّتهُ على قتل الميكروبات تزول منهُ بعد بضعة ايام وتزول منهُ حالاً اذا سخن الى درجة ٦٠ بميزان سنتغراد

ويظهر لاول وهلة انهُ قد عُرف سبيل العدوى والوقاية ولكن ليس الامر كذلك لان فعل الدم لا يجري على وتيرة واحدة دائماً من حيث قتلهُ الميكروبات ووقاية الجسم منها ولا هو كافٍ لتعليل كل الامور المشاهدة في العدوى والوقاية ومع ذلك فقد عرف كيف يفتك الدم بميكروبات الامراض فقد وجد فيهِ ترياق (Alexin) مركب من مادتين الواحدة تلصق بالميكروباب وتأتي بها الى المادَّة الثانية فتميتها وهذه المادة الثانية تتولد من الليكوسيت اي الحويصلات البيضاء التي في الدم وعلى مقدار هذه المادة تتوقف قوة الجسم على الفتك

بميكروبات الامراض لكن مقدارها لا يبقى واحداً فتزيد تارةً وتنقص اخرى . والظاهر ان بعضها يفرز افرازاً من الليكوسيت وبعضها يتكون من انحلاله وهذا هو القسم الأكبر فان الليكوسيت يتم عمله ويتحلل على الدوام كما تنحل سائر دقائق الجسم الحي ومن انحلاله يتولد في الدم مادة تميت الميكروبات وتنتصل من الدم الى اللمفا والتجاويف المصلية لكن هذه المادة سريعة الانحلال فلا بدَّ من تولدها دائماً والاَّ قلَّت كثيراً

ثم ان بعض الحويصلات البيضاء التي في الدم يأكل الميكروبات وهو المسمَّى بالفاغوسيت اي آكل الحويصلات فله شأن كبير في وقاية الجسم من شرها والدم يبعث به الى كل عضو تهجم عليهِ الميكروبات فيفترسها افتراساً . وفعلهُ في ذلك لا يقلُّ عن فعل المادة المذكورة آنفاً . والظاهر ان وظيفة الفاغوسيت الاولى كانت تطهير الجسم من الفضلات التي تتجمع فيهِ ثم جعل ينقي الجسم من الميكروبات ايضاً فقويت فيهِ هذه الصفة بالانتخاب الطبيعي ولكنهُ لا يستطيع ذلك ما لم تكتنف الميكروبات مادة غروية ليسهل عليهِ ابتلاعها

ثم ان عمل الميكروبات والمادة المميتة لها والفاغوسيت الذي يأكلها لا يجري دائماً على وتيرة واحدة في كل الحيوانات فاذا حقنت ضفدع بميكروب التتنوس (الكزاز) لم يصبها التتنوس وهي في حرارتها الطبيعية فاذا رفعت حرارتها قليلاً ظهر التتنوس فيها . واذا حقنت دجاجة بميكروب الانثركس لم يصبها ما دامت حرارتها عادية فاذا خفضت اصابها . ومعلوم ان ما يقينا من الميكروبات لا يستطيع ان يقينا منها دائماً والاَّ لما اصابنا منها ضرر فما سبب ذلك

اولاً ان الميكروبات تختلف كثيراً في فعلها فبعضها لا يضرُّ الاَّ نادراً وتسهل مقاومتهُ وبعضها قليل الضرر ولا تصعب مقاومتهُ ولكنهُ يصير في بعض الاحيان شديد الضرر حتى تتعذَّر مقاومتهُ ولاسيما متى جاء في صورة وافدة كما في الميكروب الذي يسبب الانفلونزا (النزلة الوافدة) والميكروب الذي يسبب ذات الرئة ولا يعلم سبب ذلك حتى الآن ومهما كان سببهُ فالميكروب يسبب حينئذٍ المرض الخاص بهِ

ثم ان في الجسم قوة لتعديل السموم التي تفرزها الميكروبات وملاشاتها سواءٌ كانت الميكروبات خارجية او داخلية . والظاهر ان اكثر فعل الميكروبات في الجسم يكون بواسطة السموم التي تفرزها لا بها نفسها فميكروب الدفثيريا مثلاً يتلف الغشاء المخاطي الذي يقع فيهِ ويكون سمًّا ينتشر في البدن ويسمهُ . وميكروب التيفويد يقع في الامعاء ويكون سمًّا ينتشر في البدن ويسمهُ وهلمَّ جرًّا . وانواع الحيوان تختلف في مقدار تأثرها بفعل هذه السموم كما تختلف في مقدار تأثرها بفعل الميكروبات نفسها فذوات الدم البارد لا تتأثر من سموم بعض

الميكروبات التي تميت ذوات الدم الحار ولكنها لا تجري كلها على نسق واحد دائماً فسم ميكروب التتنوس لا يؤثر في الضفدع ولا في التمساح من ذوات الدم البارد واذا رفعنا حرارتهما معاً حينئذٍ فالضفدع تصاب بالتتنوس واما التمساح فلا يصاب بهِ . وسم ميكروب الدوسنطاريا اذا دخل دم الارنب وصل منهُ الى امعائها واضرَّ بها ولكنهُ لا يصل من امعائها الى دمها . واذا ادخل سم التتنوس الى دم الدجاجة لم يفعل بها ولكنهُ اذا ادخل الى دماغها فعل بها حالاً واحدث فيها التتنوس ويبقى السم في دم الدجاجة سليماً بضعة اسابيع فعدم فعلهِ بها ليس ناتجاً عن ان دمها قتلهُ او اتلفهُ بل عن سبب آخر ولعلهُ عدم استطاعة السم على اختراق الاوعية الدموية والوصول الى المراكز العصبية . وبعض الحيوانات تصاب بالتتنوس صيفاً ولكنها لا تصاب بهِ شتاء

و يستنتج من ذلك كلهِ انهُ توجد وسائل مختلفة لمنع سم الميكروبات من فعل الاعضاء التي تفعل بها عادةً ومن هذهِ الوسائل مواد تبطل فعل السم ومواد تتلفهُ وهي موجودة عادةً في الدم . وقد عرفت مادة من هذهِ المواد المضادة لفعل السم وهي المادة المضادة لفعل الدفثيريا التي توجد بمقادير طفيفة جدًّا في دم الناس ودم الخيل

والظاهر ان افعال الميكروبات الضارة ناتجة عن ان سمها يكون اكثر مما في الجسم من الوسائل المضادة لهُ او ان الوسائل تكون اضعف من فعل السم . ويظهر ان الجسم اقدر غالباً على مقاومة الميكروبات نفسها منهُ على مقاومة السم الذي يتولد منها . فقد عجزنا عن مقاومة الادواء الميكروبية لاننا لم نعرف طريقة لمقاومة هذهِ السموم ولكننا وجدنا ترياقاً لبعضها كسم الدفثيريا والتتنوس

وفي الجسم عادةً ما يكفي من الوسائل لمقاومة فعل الميكروبات المرضية وسمومها فلا تتغلب عليهِ الاَّ في احوال غير عادية وهذهِ الاحوال غير معروفة تماماً لكثرة العوامل التي تؤثر فيها فنعلم بالمشاهدة ان اللباس المناسب والطعام المناسب والاقامة في الاماكن الصحية والاعتناء بالجسم واجتناب التعب المفرط والغم والهم كل ذلك يحفظ الصحة وما يناقضهُ يعرّض الجسم للمرض . ولكن يجب الفرق بين العلة والمعلول فان الوسائل الصحية قد تمنع وصول الميكروبات المرضية الى الجسم لا انها تقوي الجسم على مقاومتها . ويظهر من بعض التجارب ان بعض الافعال يعدُّ الجسم للامراض المعدية فالحيوانات التي تضمَّر بالصوم او تروَّض رياضة شديدة او تعطى مقادير كبيرة من الالكحول او تعرَّض للبرد الشديد بحلق شعرها تصير اكثر تعرُّضاً من غيرها لبعض الامراض ناذا وجد ان قوة المناعة التي في الدم تتغير بتغير الاحوال

كان ذلك دليلاً فعلياً على تأثيرها في وقاية الجسم وعدم وقايتهِ

وقد شوهد ان الفاغوسيت اي حويصلات الدم التي تأكل ميكروبات الامراض تقل من دم الانسان وقتما يصاب بمرض ثقيل ولا يعلم هل قلتها سبب لاشتداد المرض او ان اشتداد المرض سبب قلتها . ولكن يعلم بالامتحان انهُ اذا ضعف الفاغوسيت اشتدَّ فعل الميكروبات فاذا حقن حيوان من خنازير الهند بمقدار غير قتال من ميكروب الكوليرا وأُعطي قبل ذلك قليلاً من الافيون فميكروب الكوليرا يفعل بهِ ويميتهُ مع ان هذا المقدار لا يميتهُ عادة . وواضح ان سبب ذلك هو ان الافيون خدَّر الفاغوسيت فلم يعد قادراً على اكل ميكروب الكوليرا . ويمكن ان يزاد فعل الفاغوسيت ببعض الوسائل فيقوى على ميكروبات الامراض . ومن هذه الوسائل الاغتسال بالماء البارد والقيام في الشمس كمن يستحم بها وحقن الدم ببعض المواد الكيماوية كالببتون والالبيموز والحامض النكلينيك والسبرمين والبيلوكربين pepton, albumose, nucleinic acid, spermin, pilocarpino فانها تقوي فعل الدم على اهلاك الميكروبات المرضية ولو وقتياً وقد يمكن مقاومة ميكروب المرض بعد ان يستقر في الجسم وتبتدئ العدوى

اذا حقن خنزير الهند بميكروب الكلورا في البريتون ظهرت فيهِ اعراضها حالاً ومات في بضع ساعات ويوجد حينئذٍ ان ميكروب الكوليرا قد تكاثر فيهِ وتغلَّب على الليكوسيت وقلل عددها فلم تعد تستطيع مقاومتهُ ولكن اذا حقن خنزير الهند بمذوب الملح قبل الحقن بميكروب الكوليرا باربع وعشرين ساعة او بمادة كيماوية من المواد المذكورة آنفًا زاد عدد الليكوسيت في الدم وتغلبت على ميكروبات الكوليرا

وفائدة الليكوسيت في مقاومة الامراض المعدية قبل ظهور العدوى اشد من فائدتها في الشفاء منها بعد حدوث العدوى على ما يرجح لان فعل الدم في مقاومة العدوى يمكن ان يزاد بالوسائل الخارجية واما فعلهُ في اتلاف سمها فلا يزاد لان الجسم يكون قد ضعف بفعل السم فلا تؤَثر فيهِ الوسائل الخارجية

وهنا امر آخر حريٌّ بالنظر وهو ان الجسم يشفى احياناً كثيرة من الامراض بعد ان يصاب بها فهل الوسائل التي يستعملها للشفاء اي للتغلب على الميكروبات وسمومها هي من نوع الوسائل التي يستعملها لمقاومة الميكروبات وسمومها ولا تمتاز عنها الاَّ في انها اقوى منها

يظهر من البحث في الدم من اليوم الرابع الى العاشر من ايام المرض وفي الطحال والنخاع انهُ يتولد فيها مواد كيماوية تبطل فعل سم الميكروبات وهذه المواد الكيماوية يولدها ميكروب المرض نفسهُ اي انهُ يعيش ويولد مادة كيماوية تميتهُ اما بتكثيرا لمادة المشار اليها آنفًا التي قلنا

انها تميت الميكروبات او بتقوية الفاغوسيت على قتل الميكروبات . وتزيد هذه المادة الكيماوية بتقدم المصاب نحو الشفاء حتى اذا شفي صار فيهِ من هذه المادة ما يكفي لوقاية غيرهِ من ذلك المرض او لشفائهِ منهُ اذا اصيب بهِ . هذه هي المناعة التي تحصل عادة من الاصابة بالامراض المعدية . فاذا أصيب واحد بالجدري مرة لم يعد يجدر مرة اخرى لان ميكروب الجدري يولد في جسمهِ ويبقى فيهِ مادة تمنع اصابتهُ مرةً اخرى وكذا من يصاب بالتيفويد لا يصاب بهِ مرةً اخرى لان التيفويد يولد في جسمهِ مادة تقيهِ من الاصابة بهِ ثانيةً

ويمكن اظهار فعل المناعة وقت اشتداد الآفة مثال ذلك ان نطعمَ بقرة في جانب من جسمها من دم بقرة اخرى ماتت بالطاعون البقري المعروف باسم رندر بست وتطعمُ في الجانب الآخر من دم بقرة اخرى أصيبت بهذا الطاعون وشفيت منهُ فالبقرة التي تطعم كذلك يظهر فيها الداء ولكنهُ يكون خفيفاً جدًّا وتشفى منهُ لان دم البقرة التي شفيت اكسبها بعض المناعة ولكن تكون العدوى في دمها شديدة قبل شفائها حتى اذا طعمت بهِ بقرة اخرى سليمة أصيبت بالطاعون البقري وماتت بهِ

واذا كانت العدوى حاصلة من سم الميكروبات وحدهُ لا من السم والميكروبات معاً كما في الدفثيريا التي ينتشر سمها في البدن ويبقى ميكروبها غير منتشر فيهِ فالمادة التي يكتسبها الدم وقت الوقاية تكون بسيطة فعالةً جدًّا وهي افعل ترياق للدفثيريا . ولا يعلم كيف تفعل هذه المادة بالفاغوسيت حتى يصير اقدر مما كان على مقاومة سم الميكروبات

فهنا امران مستقلان الواحد المقاومة العمومية التي توجد في الجسم للميكروبات المرضية بنوع عام والثاني المناعة الخصوصية التي يكتسبها الجسم من دخول نوع من الميكروبات فيهِ لمقاومة ذلك النوع عينهِ اذا داخلهُ ثانيةً . والمقاومة محدودة في فعلها وكثيراً ما تعجز عن وقاية الجسم الذي هي فيهِ . واما المناعة فيمكن تقويتها وهي تكفي لوقاية الجسم الذي تولَّدت فيهِ ولوقاية غيرهِ ايضاً . فاذا قيل ما هي افضل طريقة لوقاية الحيوان من مرض معدٍ اجبنا ان يعدى بذلك المرض ويشفى منهُ فلا يعود يعدى به كما هو الغالب

وهناك فرق آخر بين الوقاية والمناعة وهو ان فعل الوقاية سريع ويقوى بالوسائط فيزيد فعلها حالاً ثم يزول بعد يوم او يومين وقلما يبقى منها شيء بعد اربعة ايام . اما المناعة فعمل بطيء تبتدئ ببعض حويصلات الجسم فتجعلها تفرز مواد جديدة تتصل منها الى الدم ولكنها متى تكونت تبقى دائماً او يصير الجسم قادراً على تكوين مثلها سنة بعد سنة

اصل الانتخاب الطبيعي

ابنا غير مرة ان مذهب نشوء الانواع بعضها من بعض بواسطة الانتخاب الطبيعي قال بهِ دارون وولس في وقت واحد لا لانهما استنتجاهُ في وقت واحد بل لانهما اشهراهُ معاً. وقد كتب ولس يثبت ان الفضل في هذا الاكتشاف لدارون وان ليس لهُ هو الاَّ جزءٌ صغير جدًّا منهُ. وهذا شأن الكرام الذين لا يبخسون الناس اشياءهم ولا ينتحلون ما ليس لهم. وكلام ولس في هذا الموضوع لما احتفلت جمعية لينيوس الطبيعية بهِ وبدارون حريٌّ بان يكتب بماء الذهب

وقد اشرنا اليهِ في شهر اغسطس الماضي وذكرنا خلاصتهُ ورأينا الآن ان نترجمهُ كلهُ هنا قال — . اني شاكر مجلس ادارة هذه الجمعية على الشرف العظيم التي انالتني اياهُ بقرنها اسمي مع اسم تشارلس دارون في هذا الاحتفال. وعلى الشرف الاعظم الذي نلتهُ بتخليد صورتي مع صورة سابقي المجيد في النشان الذي منحتني اياهُ

واني استميحكم بذكر بعض كلمات من حيث العلاقة التي كانت بين دارون وبيني قبل شهر يوليو من سنة ١٨٥٨ وبعض ما يتعلق بي وبهِ مما مكَّن العلاقة بيننا ولا يخلو ذكرهُ من لذة لاني لم اذكرهُ قبلاً

من حين مات دارون سنة ١٨٨٢ وانا اجد الكتاب يعزون اليَّ شيئًا لا استحقهُ لانهم لا يعلمون ماهو نصيبي الحقيقي من المذهب الداروني فقد قيل في الجرائد والمجلات اننا اكتشفنا الانتخاب الطبيعي في وقت واحد وكلٌّ منا لا يعلم بما فعلهُ الآخر. وبالغ بعضهم فقال اني انا السابق الى هذا الاكتشاف واني تنازلت عنهُ لدارون

ودفعاً لهذا الوهم ارى انه يليق بي ان اقص واقعة الحال كما وقعت تماماً

ان الامر الوحيد الذي يربطني بدارون ولم ينكرهُ احد عليَّ هو ان فكرة الانتخاب الطبيعي او بقاء الاصلح وما ينتج عنها خطرت لي كما خطرت لدارون وكل منا لا يعلم ما خطر للآخر واننا اعلنَّا ذلك معاً في وقت واحد امام هذه الجمعية منذ خمسين سنة

ولكن الامر الذي نسيهُ الكتَّاب هو ان هذه الفكرة خطرت ببال دارون سنة ١٨٣٨ قبلما خطرت ببالي بعشرين سنة. وان دارون ظل كل تلك السنين يجمع الادلة التي تؤيدها مما كتب في علم الحيوان والنبات والزراعة ومن التجارب التي جرَّبها هو نفسهُ والامور التي

شاهدها كما يظهر مما اثبتهُ في كتابهِ «اصل الانواع» وفي كتابهِ الآخر الذي موضوعهُ الحيوانات والنباتات الاهلية نانه جمع مواد ذينك الكتابين وحققها ورتبها في تلك السنوات العشرين

وقد كتب دارون مجمل آرائهِ في سنة ١٨٤٤ وأطلع عليها صديقيهِ السر تشارلس ليل والسر جوزف هوكر قبلما خطر لي ان اهتم بدرس المواضيع الطبيعية. فلحّ عليهِ السر تشارلس ليل ان ينشر خلاصة آرائهِ باسرع ما يمكن لئلاَّ يسبقهُ احد اليها اما هو فأبى مفضلاً الانتظار الى ان يتسنى لهُ تنسيق كل ما جمعهُ في هذا الموضوع. ثم تمَّ ما أنبأ بهِ ليل فجاءهُ كتاب مني وفيهِ مقالة في هذا الموضوع فانقضَّ عليهِ كصاعقة من السماء واضطرهُ. حينئذٍ صديقاهُ ليل وهوكر الى نشر مقالة منهُ في هذا الموضوع مع مقالتي وقرئت المقالاتان معاً في هذه الجمعية

فما اعظمَ الفرق بينهُ وبيني. هو درس الدرس الطويل واعدَّ المعدات الكثيرة وعزم ان لا يشهر نتيجة عملهِ الاَّ بعد ان يجمع لهُ من الادلة ما لا يبقي محلاً للريب. اما انا فخطر ببالي هذا الخاطر في طرفة عين ولم افكر فيهِ اكثر من ساعات قليلة فكتبتهُ حسبما خطر لي حينئذٍ بكل تفاصيلهِ وتطبيقاتهِ ثم نسختهُ على ورق رقيق وارسلتهُ الى دارون وحدث كل ذلك في اسبوع واحد وقد كنت عجولاً كما هو دأبي دائماً. وطالب العلم انما يقصد تحقيق الامور التي يكتشفها لا الشهرة بها

هذا الذي جرى وانهُ ليرضيني ان يكون نسبة نصيبي من هذا الاكتشاف الى نصيب دارون منهُ كنسبة المدة التي قضيتها في تحقيقهِ الى المدة التي قضاها هو اي كنسبة اسبوع واحد الى عشرين سنة. ولو انقاد للجاجة اصدقائهِ ونشر اكتشافهُ بعد ما اكتشفهُ واشتغل في تحقيقهِ بعشر سنوات او خمس عشرة سنة او ثماني عشرة سنة لما كان لي فيهِ اقل نصيب ولاعترف لهُ الناس اجمع انهُ هو المكتشف الوحيد لناموس الانتخاب الطبيعي بكل نتائجهِ

حقّاً اني موفق جدّاً باكتسابي شيئاً من فخر هذا الاكتشاف مهما كان قليلاً. ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر وقبل ذلك ايضاً كان كثيرون من علماء الحيوان والنبات يبحثون في هذا الموضوع وارتأوا فيهِ آراء لا تكفي لحلهِ وبعضهم من اكبر العلماء عقلاً لكنهم لم يهتدوا الى محجة الصواب. ولو لم يتأخر دارون في نشر اكتشافهِ ليزيدهُ تمحيصاً لما ابقى لي اقل شأن فيهِ

وهذا يفسح لي مجالاً للنظر في هذه المسألة وهي لماذا عجز كثيرون من اكبر العلماء عن اكتشاف هذه الحقيقة وخُصَّ باكتشافها دارون وخصصت بها انا. يظهر لدى البحث اننا

انا وداروين كنا متفقين في امور كثيرة عقلاً وملابسات وهذه الامور قادتهُ وقادتني الى اكتشاف الانتخاب الطبيعي معاً

واول هذه الامور اننا انا وداروين كنا في صغرنا من المولعين بجمع الزيزان على انواعها. وليس بين الحيوانات ما يماثل هذه الحشرات في تعدُّد اشكالها وتنوع الوانها التي تمتاز بها انواعها ومناسبتها للاماكن التي تعيش فيها. وهذه الصفات تظهر في زيزان الاقاليم الحارة كما تظهر في زيزان الاقاليم المعتدلة وفي الجزائر الانكليزية وحدها على ضيقها ٣٠٠٠ نوع منها

ثانياً ان داروين كان مثلي مغرماً بجمع الاشياء الطبيعية حبًّا بجمعها كما صرَّح بذلك لا للتدقيق في درس تراكيبها ظاهراً وباطناً او رغبة في رؤية ما بينها من الاختلاف كما اقول انا ولو لم يظهر هذا الاختلاف لاول نظرة . فهذا الامر السطحي الصبياني على ما يقال الذي يُنظر فيهِ الى الظواهر فقط ويستخفُّ بهِ لانهُ ليس من مطالبِ العلماء المدققين هذا الامر هو الذي قادنا الى النظر في مسألة تولد الانواع لان الطبيعة تميز بين انواعها بهذه الصفات الظاهرة التي هي اختلاف في الشكل او في نسبة الزوائد بعضها الى بعض فيمتاز بها النوع الواحد عن الآخر امتيازاً واضحاً يتبعهُ غالباً اختلاف في الحركات والعادات . وكثيراً ما يسهل الفرق بين نوعين متماثلين بما بينهما من الاختلاف في الوانهما ونقوشهما

ويرى المرء في البحث عن هذه المميزات واكتشاف ما لا ينتظر اكتشافهُ منها بين الحشرات المتشابهة لذةً تفوق الوصف . واذا كان ميالاً الى التفلسف مثلي ومثل داروين اضطرَّ الى البحث من اسباب ما يراهُ اي عن كيفية حدوث هذه التغيرات الكثيرة والغاية منها

ثم اتفق لنا كلينا ان سحنا في الارض لمشاهدة الطبيعة وجمع الامثلة الطبيعية وكانت سياحتنا كلينا في اغنى البلدان بالموجودات الطبيعية فاضطررنا ان نلتفت الى ما في الكائنات الحية من التغيرات وما يلابسها من تغير البقاع والاقاليم فزادت رغبتنا في البحث عن كيفية تولد انواع الحيوان والنبات وصارت هذه الرغبة شغلنا الشاغل فصرنا نفكر في هذا الموضوع نهاراً وليلاً

ولما امتلأ ذهنانا بهذه الامور انتبهنا كلانا الى كتاب ملثس في السكان والطرق الطبيعية التي تمنع زيادتهم حتى تبقى اسباب المعيشة كافية لهم فأثر فينا كلينا تأثيراً واحداً اي قادنا الى الفكر بان هذا الجهاد يقضي ببقاء الاصلح او الانسب للبقاء

ومما يستحق الذكر ان داروين قرأ هذا الكتاب بعد رجوعهِ من سياحتهِ بسنتين وانا

قرأتهُ قبلما سحت ولما كنت في سياحتي خطرت معانيه ببالي وأرشدتني الى هذا الامر اي بقاء الاصلح في الجهاد لاجل البقاء

وقد كنا كلانا في سياحتنا في سعة من الوقت للبحث والتفكير في ما يقع تحت نظرنا وعندي ان هذا ايضاً كان من اقوى الاسباب التي اوصلت بحثنا كلينا الى نتيجة واحدة

وهذه المشابهات بيننا في كثير من الامور العقلية والاحوال الخارجية التي قادتنا كلينا الى التفكير في موضوع واحد على صورة واحدة تفسر لنا كيف لم يوفق احد من معاصرينا الى هذا الحل البسيط لمسألة من اعظم المسائل فان روبرت تشمبرس وهربرت سبنسر وهكسلي كانوا كلهم من كبار العقول الواسعي الاطلاع الكثيري البحث والتنقيب ولكنهم لم يكونوا مثلنا ميالين بالفطرة الى جمع الحيوانات والنباتات والبحث عن مميزاتها. وكلهم والسر تشارلس ليل العالم الكبير معهم عكفوا على البحث في بعض المواضيع العلمية فشغلت كل عقولهم وحرمتهم من البحث في غيرها . وكذلك العلماء الذين سبقوا دارون الى البحث في هذه المواضيع لم تكن معارفهم فيها كافية ولا جمعوا من موادها الشيء الكثير كما جمع هو ولا كانت رغبتهم شديدة مثل رغبته ليروا ما رآه

والآن اعود الى ما يخصني في هذا البحث فاقول اني وصلت الى هذه النتيجة من عهد طويل وهي انهُ ما من احد يستحق ان يُمدَح او يُذَم لاجل خاطر خطر لهُ ولكنهُ يُمدَح او يُذَم بحسب النتائج التي انتجها من ذلك الخاطر لان الخواطر والآراء ليست من الاعمال الخاضعة للارادة فانها تخطر لنا وقلما نعلم كيف تخطر ولا من اين تأتي ومتى خطرت لنا وتملكت منا تعذَّر علينا صرفها عنا او تغييرها بارادتنا ولذلك يحسن ان يكون الناس احراراً في آرائهم وخواطرهم لا يرغَّبون فيها بمدح ولا عنها بذم

ولكن الاعمال التي تنتج عن الآراء هي التي تستحق المدح او الذم لانها خاضعة لارادة صاحبها وبها يُعلم ما اذا كانت آراؤُهُ صائبة فتتبع او طائشة فتهجر

ولذلك فاني اقبل اكليل المجد الذي كللتموني بهِ الآن لا لانهُ خطر ببالي خاطر جعلني انتبه لناموس بقاء الاصلح بل لانكم نظرتم الى اعمالي التي عملتها لايضاح هذا الناموس وتحقيقهِ واظهار ما ينطبق عليهِ والتوسع في ذلك ولو خالفت فيهِ معلمي وصديقي تشارلس دارون

معركة بولتاوى

فصل من التاريخ وكلمات لفولتير

افادتنا انباء اوربا بالامس ان الحكومة الروسية والشعب الروسي احتفلوا بعيد مرور ٢٠٠ سنة على معركة بولتاوى احتفالاً عظيماً اهتم بهِ جلالة القيصر اهتماماً خاصاً فزار بنفسهِ ميدان تلك المعركة الهائلة بجوار مدينة بولتاوى الروسية المسماة باسمها والظاهر انهُ اراد من زيادة الاهتمام بهذا العيد التاريخي الوطني تحميس قومهِ واثارة النخوة في رؤُسهم ولاسيما رؤُوس جيشهم الذي انكسرت قلوبهُ على اثر فشلهِ في حرب منشوريا الاخيرة وخيف عليهِ ان يفقد الثقة بنفسهِ وبقوادهِ ودولتهِ الامر الذي هو آفة الجندية واكبر خطر عليها

وقد عمت الاحتفالات جميع بلاد الروس وكان اعظمها في العاصمة بطرسبرج وفي بولتاوى نفسها ميدان المعركة المحدد لتذكارها . اما في بطرسبرج فقد اقيم لها حفلة دينية شائقة خرج الكهنة على اثرها من الكنيسة وطافوا في شوارع المدينة لابسين ثياب التقديس الكهنوتية حاملين الايقونات والصلبان والشموع والشعب وراءهم خاشع مبتهج واطلقت المدافع من القلاع واحتفل بكشف الستار عن تمثال من تماثيل الامبراطور بطرس الاكبر وهو ينجي باحد تدابيرهِ الحربية فرقة من جندهِ كان يتهددها خطر الغرق في خليج فنلندا في احدى معاركها . واحتفل اهالي بطرسبرج ايضاً بوضع الحجر الاول لانشاء جسر جديد على نهر النيفا والحجر الاول لتأسيس مدرسة كبيرة ستحوي نحو الف تلميذ . وقد حضر هذه الاحتفالات القيصرتان ام القيصر ووالدتهُ وعمتهُ ملكة اليونان . واما في بولتاوى فابتدأ الاحتفال والقيصر حاضر بحفلة دينية ايضاً اقيمت عن روح الامبراطور بطرس الاكبر ثم عقبتها حفلة كشف الستار عن تمثال القائد الباسل كيلنج الذي كان زعيم الجند الروسي في حصون بولتاوى حين هاجمتها الجنود الاسوجية وبعد ذلك عرض القيصر الجنود بابهة عظيمة واوصاهم ان يقتفوا آثار اسلافهم العظماء ابطال معركة بولتاوى والقى الخطاب الآتي على كثيرين من الاعيان والوجوه قال

«كنت ارتقب بقلب خافق هذا اليوم الميمون النقيبة الذي منَّ الله عليَّ ببلوغهِ ولا اشك ان كلاً منكم كان يشاركني في هذا الشعور الوطني . ولا بدع فاننا نحتفل بمرور قرنين كاملين على معركة شهيرة هائلة كانت الحد الفاصل بين حياة بلادنا وموتها وانتعاش مجدنا القومي وتلاشيهِ في ظلمات العدم ولكن الله سبحانهُ وتعالى تداركنا بلطفهِ الخفي فاعد لنا سمو

مدارك بطرس الاكبر ورباطة جأش الشعب الملتف حوله منجاة من الهلاك فتم لنا الظفر الباهر في تلك المعركة وبها احرزنا المجد المخلد · كذا كانت المخاطر التي تهددت روسيا في قديم الزمان وقد اصابتها منذ يسير مخاطر ومتاعب اخرى هي الآن في طور الخلاص منها والحمد لله · ولا اشك اننا نسير في طريق النجاح والاصلاح لان الجيل الذي يخلفنا سيتسنى له اكثر منا خدمة بلاده وامته · وشرط هذا الطلب ان يتضافر رعايانا تضافراً صادقاً ويثقوا بقوة وطنهم وينصرفوا الى حبه وحب الاطلاع على تاريخه

« واني ارفع كاسي الآن داعياً الله ان يكون الشعب الروسي وقيصره على تمام الوفاق والوئام واشربها متمنياً السعادة والهناء لسلالة اولئك الابطال الذين حاربوا وانتصروا حيث نحن الآن وحيث وجدت خلفهم الجند القائم امامنا بمظهر يقر العين ويسر الخاطر · ولذلك اشرب على حبه وولائه هو وسائر جيوشنا بل على حب امنا جميعاً اي روسيا العظمى »

على ان معركة بولتاوى تستحق ذكراها من الروسيين كل تمجيد لانها هي اول معركة وجهت انظار اوربا اليهم وجعلت لهم في نفوس الدول الاوربية العظمى هيبة ورهبة لانهم انتصروا فيها على الدولة الاسوجية وكانت يومئذٍ ذات حول وطول وسلطان واسع وقهروا ملكها كارلوس الثاني عشر الذي كان يلقب بطل اوربا والملك الذي لا يقهر ويعدُّ في مقدمة جبابرة العالم وقواده العظام · وكان للدولة الاسوجية على روسيا فضل قوة ظاهر حتى انها قبل معركة بولتاوى بنحو خمسين سنة استولت على بعض الولايات الروسية بدون مقاومة وفعلت مثلها دولة بولونيا التي اقتسمها الروس والالمان والنمسويون بعد ذلك بنحو ١٥٠ سنة وفاز الروس منها بالسهم الاوفر وهكذا الدهر في الناس قلب وبرق امانيه خلب

اما معركة بولتاوى فهي اعظم معركة قامت بين الروس تحت قيادة امبراطورهم بطرس الاكبر وبين الاسوجيين تحت قيادة ملكهم كارلوس الثاني عشر وكان وقوعها في ٨ يوليو سنة ١٧٠٩ وقد تقدمها وتأخر عنها كثير من المعارك بين الفريقين استغرقت نحو ١٤ سنة وساعد الروس في السنين الاولى حلفاؤهم البولونيون والدنمركيون ثم تخلوا عنهم عجزاً ويأساً لتوالي انتصارات الاسوجيين وكاد اليأس يدخل ايضاً قلب بطرس الاكبر ولكن عزمهُ الشديد الواصل الى حد العناد تغلب عليه اخيراً ورسخ قدمهُ في ميدان المقاومة حتى تم له نصر باهر في المعركة المذكورة فرَّ على اثرها عدوهُ كارلوس الى البلاد العثمانية واقام في ضيافتها في مدينة بندر خمس سنوات متوالية على عهد السلطان احمد الثالث وحاربت الدولة العلية لاجله روسيا وانتصرت عليها قرب نهر بروث · ثم خرج كارلوس من البلاد العثمانية واستأنف الحرب مع

الروس مدة اربع سنوات وكان الفشل نصيبهُ في معظم المواقع واخيراً عقدت شروط الصلح بين الفريقين بعد ما اخذت روسيا من اسوج بلاداً واسعة من احسن بلادها واعادت ملك بولونيا اغسطس حليف الروس الى عرشهِ وكان قد اسقطهُ عنهُ الملك كارلوس في ابان سطوتهِ وانتصاراتهِ

ومن ذلك الحين ازداد الامبراطور بطرس شهرةً على شهرةٍ في اقطار المعمور ولقب بطرس الأكبر وصار رعاياهُ يدعونهُ «ابا الشعب» وكانت وفاتهُ سنة ١٨٢٥ وهو فوق سن الخمسين بقليل

على ان حروب بطرس الأكبر وانتصاراتهِ على الاسوجيين وقبلهم على التتر والفرس وسواهم وان كانت جليلة عظيمة ليست اعظم آثارهِ بل اعظمها ادخال الاصلاحات الجمة في بلادهِ واخراجها من ظلمة الجهل المطبق الى نور غير يسير من العلم والعرفان باستقدامهِ الى مملكتهِ الواسعة اصحاب العقول الثاقبة من رجال الفنون والصناعات الاوربيين لينشروا كنوز علمهم على الناشئة الروسية كما انهُ ارسل من اولاد الاعيان جمهوراً اقتبس من انوار الغرب ما استطاع اقتباسهُ ثم عاد بهِ الى اوطانهِ. ولم يكتفِ بكل ذلك بل ذهب هو بنفسهِ متنكراً الى النمسا وهولاندا وسويسرا وانكلترا وجعل يتعلم الحرف المختلفة ولاسيما المتعلقة منها بالصناعة البحرية حتى انهُ انشأ بيديهِ دارعة محمولها ستون مدفعاً ونال ايضاً قسطاً كبيراً من بعض العلوم كالجراحة والكيمياء والطبيعيات والفلك وغيرها وقضى في تحصيل ذلك كلهِ سنتين فقط وكان يود زيادة الاستفادة لو لم تجبرهُ على الرجوع الى بلادهِ فتن وقلاقل بدرت بوادرها فاخمد شررها قبل ان يتحول الى ضرام متأجج

وقد وصف فولتير الكاتب الفرنساوي الشهير شيئاً من اطوار العدوين العظيمين بطرس الأكبر وكارلوس الثاني عشر في عهد معاركهما الاولى التي كان طائر النصر في اكثرها يحوم فوق هام الاسوجيين لا الروس . قال :

«وكان قد اعلى قدر كارلوس الثاني عشر تسع سنوات من النصر الباهر والفتح المبين . واعلى قدر بطرس اليكسوفتش تسع سنوات قضاها في المصاعب والمتاعب ليجعل جيشهُ معادلاً جيش اعدائهِ الاسوجيين قوة ونظاماً . فخر ذاك انهُ غزا ممالك وفتح بلداناً . وفخر هذا انهُ رقى مملكتهُ ومدَّن بلادهُ . لايخوض كارلوس غمرات الحروب الاَّ لانهُ يميل اليها بالفطرة ويشتاق الى احراز اكاليل النصر . ولا يخوضها بطرس غير مبالٍ بمخاطرها الا تطلباً للنفع وطمعاً منها بثمرة محسوسة . كان ملك اسوج كبير النفس كلفاً بالسخاء عن غير تكلف . وكان

ملك الروس لا يبسط يدهُ الاَّ وقد اعد مطمعاً يقبض عليهِ . ذاك معتدل في معيشتهِ الداخلية واهوائهِ الى حد لا يباريهِ فيهِ مبارٍ ولم تبدر منهُ بادرة توحش الاَّ مرة واحدة . وهذا ترهبهُ رعاياهُ وتعجب بهِ الغرباء مفرط في اهوائهِ مقصر في حق نفسهِ حتى اختصر لها طريق الحياة . لُقب كارلوس «الملك الذي لا يقهر» وهو لقب متقلقل تنزعهُ منهُ ساعة حرب واحدة ينالهُ فيها الفشل . ولقب عدوهُ «بطرس الاكبر» او «بطرس العظيم» وهو لقب ثابت يبقى لهُ ان انتصر او انكسر لانهُ لم يربحهُ من وراء النصر وحدهُ»

وقد وصف فولتير موقف بطرس الاكبر في معركة بولتاوى فقال :

«وكان في وسط جيشهِ يتنقل بين صفوفهِ ممتطياً جواداً تركيًّا حاثًّا قوادهُ وجنودهُ على الاقدام والثبات واعداً كلاًّ منهم بحسن الجزاء»

ولما تم الفوز لبطرس الاكبر اقام مأدبة كبيرة دعا اليها اسراهُ من ضباط الاسوجيين واشار اليهم بيدهِ شارباً كأسهُ قائلاً (اني اشرب على صحة ضيوفنا الذين علَّمونا فن الحرب) فذكرنا بلينهِ سلماً وشدتهِ حرباً قول القائل :

اني لاكثر مما سمتني عجباً يد تشج واخرى منك تأسوني

ادوار مرقص

مدافن مريشة

عمران فلسطين قديم مثل عمران مصر ان لم يكن أقدم منهُ ولم يزل في البلاد كثير من آثار عمرانها السابق مدفونًا تحت انقاض مدنها وفي قبور ملوكها وكبرائها واهل البحث ينقبون عنهُ وقد ضعفت همتهم في العهد الحميدي لشدة المراقبة عليهم ولكن المراقبة أفادت ولم تضر لانها حفظت آثاراً كثيرة من مغادرة البلاد وعسى ان تبقى على حالها من هذا القبيل على شرط ان ينشأ في سورية دار لتحفها يحفظ فيها ما يكشف منها كما تحفظ الآثار المصرية في دار تحفها

وقد بعث الينا حضرة الفاضل فيضي افندي العلمي رئيس بلدية اورشليم بكتاب اهدتهُ اليهِ جمعية النقب في فلسطين وصفت فيهِ مدافن مريشة المصورة اعترافًا بما لهُ من الايادي البيضاء في مساعدة الذين كشفوها وصوَّروها ووصفوها

والظاهر ان المستر فستر والمستر جون هو يتنج كانا اول الاوربيين الذين رأَوا هذه المدافن بعد اكتشافها وقد كشفت سنة ١٩٠٢ . وهي على مقربة من بيت جبرين واتفق ان الدكتور

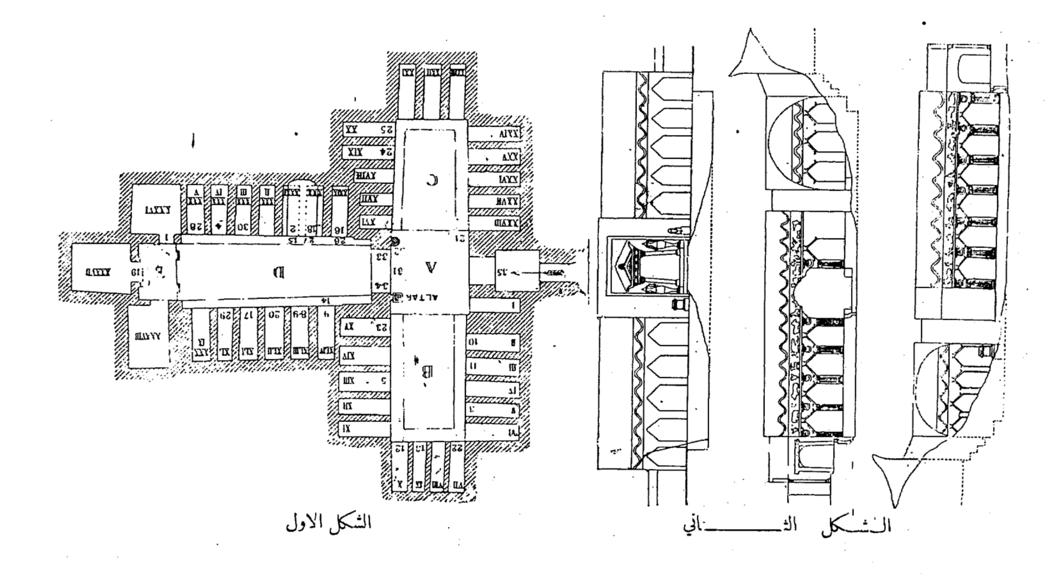
يترس الاميركي والدكتور ثيرش الالماني كانا سائحين في فلسطين في ذلك الوقت فاستأجرا دليلاً اخذها اليها فرأَيا انها من المكتشفات ذات الشأن الكبير وقاساها وصوَّراها ورسمها الخواجه رعد من مصوري اورشليم بالفوتوغراف وصورها الاب فنسنت والاب سافنياك بالوانها

والمدافن التي فيها صور ملونة قليلة في سورية فقد ذكر رنان انهُ وجد في كهف ابلون بصيداء بعض المدافن وعلى جدرانها صور ملونة ولكنها ساذجة · اما فلسطين فلم يوجد فيها من المدافن المصورة قبل مدافن مريشة او بيت جبرين غير ثلاثة

وبيت جبرين قرية قائمة حيث كانت مدينة قديمة من مدن فلسطين الحصينة · وقد كان لها شأن في زمن الحروب الصليبية فبنى الصليبيون فيها قلعة حصينة وكانت مدينة كبيرة في زمن الروم وكرسيًّا اسقفيًّا لكن شأنها الاكبر كان في زمن الرومانيين ولاسيما سنة ٢٠٠ للميلاد حين بناها الامبراطور سبتيميوس سويرس وسميت اليثروبوليس · ولا تزال هناك آثار الطرق الرومانية التي كانت ممتدةً منها الى كل الجهات · وذكرها يوسيفوس المؤَرخ باسم بيت جبرين ولعلَّ معناهُ بيت الجبار او بيت الجبابرين ومن رأْي مؤَلفي هذا الكتاب ان المدينة القديمة الحصينة كانت على نحو ميل الى الجنوب من بيت جبرين الحالية في المكان المسمَّى الآن تل سندحنا اي ماريوحنا نسبة الى دير هناك لان موقعها الطبيعي احصن من موقع بيت جبرين وهي مريشتا او مريشة المذكورة في سفر ميخا النبي وفي سفر الايام الثاني حيث حدثت معركة كبيرة بين آسا ملك يهوذا وبين زارح الكوشي فدارت الدائرة على زارح

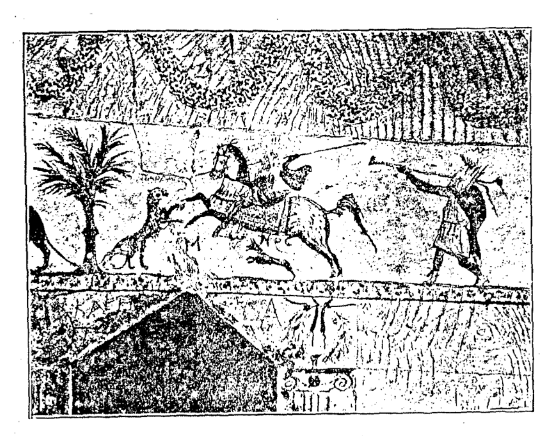
وصارت مريشة من عواصم تلك البلاد في عهد الادوميين ودخلت في سهم سلوقس مع غزة بعد وفاة الاسكندر المكدوني واخذها البطالسة سنة ٣١٢ قبل الميلاد ثم أُخذت منهم واعيدت اليهم سنة ٢٧٤ واخذها منهم انطيوخس الكبير سنة ٢١٨ ولكن دارت الدائرة على جنودهِ في رفح في السنة التالية فاستردتها مصر وبقيت تابعة لها الى ان حدثت معركة بانياس سنة ١٩٨ فعادت الى انطيوخس الكبير هي وكل فلسطين ثم اعطاها لابنتهِ التي ازوجها لملك مصر · وكان لها شأن في حروب المكابيين واخربها الفرس سنة ٤٠ قبل المسيح ولم تعد تذكر من ذلك الحين الا كخرب وصارت بيت جبرين تذكر بدلاً منها

والمدافن الموصوفة في هذا الكتاب اربعة وفي كل منها قبور كثيرة كما في الشكل الاول وهو رسم المدفن الاول والحُجَر التي على جوانبهِ قبور مستقلة · والمدفن كلهُ منحوت في الصخر كمدافن الفراعنة ينزل اليهِ بدرج فيجد الداخل اولاً داراً فسيحة مربعة حيث الحرف A والى يمينهِ ويسارهِ جناحان كبيران والقبور على جوانبهما وامامهُ مدخل آخر يوصل منهُ الى غرفة طويلة

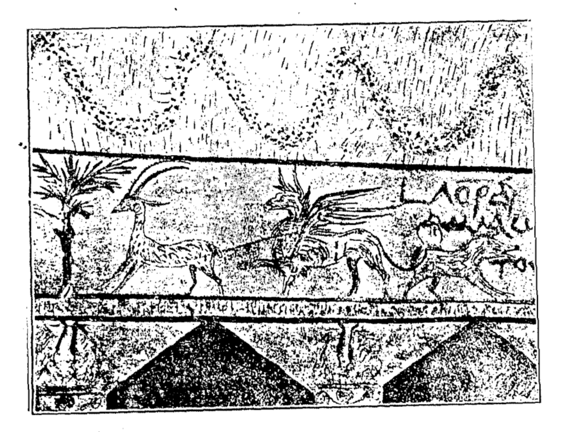


الشكل الأول

الشكل الثاني



صورة مطاردة الصيد على الواجهة الجنوبية انظر الصفحة ٧٦٩



صورة خنزير وتنين ووعل

والقبور على جانبهما وجملة القبور في هذا المدفن ٤٤ ثلاثة منها كبيرة وهي التي في طرف الفرع الشرقي وطول كل قبر من القبور الصغيرة ٢٤٠ سنتمتراً وعرضهُ ٧٢ سنتمتراً ما عدا القبرين ١٦ و١٧ وواجهات القبور مصورة وبعضها منقوش نقشاً غائراً في الحجر كما ترى في الشكل الثاني فان القسم الاعلى منهُ صورة الواجهة التي يراها الداخل متى وصل الى الحرف A والقسم الاوسط صورة الواجهة الداخلية إذا وقف الناظر عند الحرف D والتفت الى الجنوب . والقسم الاسفل صورة الواجهة المقابلة لها

ومن النقوش الملونة في هذه الواجهات كما ترى في القسم الاوسط من الشكل الثاني مبتدئاً من الزاوية الجنوبية الغربية صورة مطاردة الصيد فاولاً صورة رجل بيده بوق طويل وهو لابس رداء أصفر تحتهُ ثوب ابيض وقد تمنطق بمنطقة وارخى لها عذبتين لكن شيخ بيت جبرين اتلف وجههُ لما كُشف غيرةً منهُ على حفظ الشعائر الدينية . وكان شعرهُ مربوطاً بشريط أحمر وقد عبثت بهِ الريح وفي قدميهِ خفان ربطهما بسيرين فوق الخلخل وقد كتب اسمهُ فوقهُ ولكن حروفهُ غير واضحة وامامهُ فارس يمتطي جواداً اصهب وقد سدَّد رمحهُ وكاد يطعن بهِ نمرة والنمرة واثبة على جوادهِ وفي صدرها نبلة ادمتها ووراءها كلب صيد واثب عليها وهو صغير جداً بالنسبة اليها كما انها هي صغيرة بالنسبة الى الجواد . والى جانب الجواد كلب آخر يعدو اليها ولبس الفارس مثل لبس البواق . وسرج الفرس كثير الزركشة كالسروج العربية المنقوشة وجلد النمرة مرقط والوانهُ سوداء وصفراء وفي عنق الكلب طوق وهو دقيق الاذنين وقد سال الدم من صدر النمرة . ووراء النمرة والكلب شجرة تشبه النخل او الدوم وبعد ذلك حيوانات مختلفة منها حيوان كالاسد وقد ازبأرَّ وفغر فاهُ ودلع لسانهُ ولكن كتب فوقهُ انهُ نمر

ومن الصور الكثيرة صورة زرافة وخنزير بري ووعل وتنين وهو حيوان مجنح في صورة الاسد او الفرس . وفيل وفرس بحر واسماك كبيرة وحمار وحش وعناق الارض الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

وهناك كتابات يونانية كثيرة فعلى باب الجناح الجنوبي من القبر الاول كتابة يقال فيها ابولوفانس بن سسمايوس كان ركن الصيدونيين في مريشة ثلاثاً وثلاثين سنة وهو اشد ابناء عصرهِ حباً لوطنهِ توفي وعمرهُ اربع وسبعون سنة

ويدل شكل الكتابة على انها من القرن الثالث قبل المسيح . والاسم ابولوفانس يوناني ولكنهُ كان شائعاً في فينيقية والاسم سسمايوس سامي وقد ورد في الاصحاح الثاني من سفر الايام الاولى والكلمة هناك سسماي والكلمة التي ترجمناها بكلمة ركن هي اركاس ومنها ارخون

اي رئيس وقد عربت قديماً ومنها اراخنة او اراكنة في العربية · ويدلُّ لقب هذا الرجل
على ان جماعة من اهالي صيداء سكنوا مدينة مريشة وكان ابولوفانس بن سسماي زعيماً لهم
ومن الكتابات الغريبة المسطورة على قبر من هذه القبور محاورة شعرية بين حي وميت .
قالت الحي للميت · أليس في طاقتي ان افعل لك شيئاً او اسرك بشيء
الميت للحي · كلاَّ فاني راقدٌ مع آخر (مع الموت) ولكن حبي لك لن يحول
الحي للميت · يسرني وحق الزهرة انَّ رداءك لا يزالُ عندي رهناً
الميت للحي · ولكنني بعدتُ عنك فانتِ حرَّة افعلي ما تشائين
لمشيعي الجنازة والنادبين لا تلطموا حائطاً لا يرد جواباً قضي الامر · دخلت من الباب ورقدت
والكتابة من القرن الثالث قبل المسيح كما يستدل من شكل حروفها .
وقد وجدت قبور مثل هذه في بلاد اليونان وقرطاجنة ومصر وسورية وفينيقية · والظاهر
انها نشأت في القطر المصري اولاً ثم شاعت في بقية البلدان
وفي الكتاب كثير من الفوائد التاريخية ولو وجدت في الممالك العثمانية ادارة كبيرة لحفظ
الآثار القديمة لسعت في ترجمته الى العربية او التركية لان العثمانيين احرى من غيرهم بالوقوف
على فوائده · فنشكر للذين اشتركوا في اكتشاف هذه المدافن وحل رموزها ووضعوا لنا هذا
الكتاب النفيس

الحضارة الاثينية القديمة (١)

ان موضوعنا هو الحياة الاثينية وبحثنا مقصور على حضارة اثينا · ومن الخطإ في التاريخ
ان نزعم — كما يفعل الكثيرون — ان ما يقال في احوال الاثينيين وعوائدهم عامتهم وخاصتهم
يصدق ايضاً على اليونانيين (الاغريقيين) بوجه عام · فان بلاد الاغريق على المعنى القديم —
هلاس — ليست هي بلاد اليونان الصغيرة المتحدة كما يؤخذ من الخريطة الحديثة · انما اثينا
بلد يستميل القلوب قبل الابصار بل هي البلد الذي تفوق معلوماتنا فيه معلوماتنا في غيره : هي
البقعة التي نبتت فيها الفنون واثمر العقل الانساني · هي التي خلَّفت لنا اثراً فاخراً خالداً اعني
به تاريخها الحافل بالحوادث المدهشة · كان هذا البلد فوق ذلك اغزر بلاد اليونان سكاناً
واحماها انفاً · ولكنها كانت عاصمة حكومة صغيرة هي حكومة « اتيكا » على انها كانت بعيدة

(١) خطبة تليت في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية في شهر يونيو الماضي

— الاَّ من قبل اللغة — عن كثير من الحكومات الاغريقية من الوجهة السياسية والاجتماعية بُعْدَ المانيا عن فرنسا . كان قدماء اليونان يريدون بهلاس كل مكان ينزلهُ الاغريقيون حيث تكون لغة الاغريق هي لغة الكلام وحيث يتجانس القوم بعض التجانس في الاصل والدين . واذا توخينا الحقيقة وجدنا انهُ يصعب علينا ان نجد شيئًا يطبق كل التطبيق على من نسميهم بقدماء اليونان الاَّ من وجهة وحدة اللغة — على ان هذه كانت مختلفة اللهجة اختلافًا لا يقلُّ عمَّا بين لغة الشاعر السكوتلندي «بارنس» ولغة الانكليز الفصيحة — وكذلك ما بينهم من التشابه في الزي والدين والاشتراك في الملاهي والملاعب العامة «كالاُلومبيا» «ودلفي» وما شاكلها . على اننا اذا عمدنا الى التعميم في الحكم على هؤلاء القوم كنا مخطئين وكنا كالذي يقول بعد ألفي عام مثلاً ان الانجلوسكسونيين الحاليين هم نسل واحد!

اما العالم اليوناني القديم فكان يشمل بلاد الاغريق الاصلية وجزر الاجيان وكريت وشواطئ تركيا الحاضرة والشواطئ الغربية في آسيا الصغرى واطراف ايتاليا الجنوبية والجنوبية الغربية والجزء الاكبر من صقلية وقبرص ومكيرين في افريقية وأماكن اخرى بعيدة الى جهة الغرب حتى مرسيليا وشواطئ البحر الاسود . واليونان التي نعرفها لم تكن مملكة واحدة بالمعنى السياسي بل كانت عدداً من الحكومات المستقلة وكان البعض منها في منتهى الصغر ومع ذلك كانت تضمر لبعضها البغضاء والانتقام

اما الرابطة التي كانت تجمعهم فهي اللغة والدين والشعور الجنسي . وقد كانت اتيكا وعاصمتها الاثينا ارفعهن مقامًا وفائدة بل هي اشهرهن من حيث تاريخ العقل الانساني . ولا يخالف اليونانيون الآخرون الاثينيين في نظام الحكومة فقط بل هم يباينونهم ايضًا في مبادئهم وعوائدهم الاجتماعية . ولا يفوتنا ان نذكر هنا انهُ بينما كانت اسبارطة ذات حكومة أوليغراقية (حيث تحكم القلة الكثرة) جافة الطبيعة بعيدة عن الآداب مجردةً عن صفة اكرام الاجانب كانت اثينا شديدة التمسك بالمبادئ الديموقراطية (القاضية بالمساواة في الحقوق والامتيازات) والعمل بها محبة للاجتماع والمخالطة ميالة الى الادب حريصة على سجية السخاء والكرم نحو الاجانب بحيث اذا ذكرت (طيبة) وقوم يوشيان-كانوا اغبياء بجانب هؤلاء الاثينيين اما تساليا فكانت ارسطقراطية منغمسة في حمأة الترف والملذات جامدة في احوالها واجتماعها

بينما كان هؤلاء على هذه الصفات كانت اثينا قليلة التقيد بالعوائد وعقول رجالها في يقظة مستعدة لقبول كل جديد يطرأ عليها . وربما كانت اثينا من اليونان — في العصر الذي

سنتكلم فيه عنها — بمنزلة باريس من اوربا الغربية بعد لويس الرابع عشر حيث كانت محل الاعجاب والاستغراب وكان يحسدها غيرها ويغبطها على رقيها فيعمل على تقليدها فاذا فشل حقد عليها وكرهها . كانت اثينا الواضعة للاذواق والازياء في كل الفنون والآداب . على انهُ كان يصعب على المرء ان يحكم بباريس على اوربا كما انهُ لا يمكن ان يحكم باثينا على اليونان فلذلك ينبغي لنا ان نحذر من التعميم ومن تطبيق ما قد يصدق من الملاحظات على الاثينيين فقط على اليونان جميعًا . ولا ريب انَّا قد نكون مصيبين ولكن ربما ادى ذلك بنا الى خطإٍ عظيم . وليست هذه الاختلافات بين الاغريقيين وبعضهم ناشئةً من موقعهم الجغرافي واستقلال حكوماتهم بعضها عن بعض في النمو والنشوء . ولئن كانت هذه مسائل جديرة بالاعتبار الا ان السبب الاول سابق لهذه وابعد . خذ الجزر الانجليزية مثلاً لذلك تجد ان الرجل الارلندي يختلف عن الرجل الانجليزي لا لكون الاول يسكن ارلندا بل لاختلاف عائلتيهما اللتين تناسلا منهما . وهذه كانت حال قدماء اليونان فكان اغريقي جزء اليونان — الاثيني — يخالف اغريقي دوريا الاسبارطي في التركيب العقلي . وذلك لان الاول كان مختلط الجنس والاصل اكثر من الثاني . على ان كلا الرجلين كان يتكلم باللغة الاغريقية وكانت بينهما لحمة اتصال في النسب ومع ذلك كان بينهما من التباين ما بين الانجلوسكسونيين وسكان ايرلندا القريبين من الجنس السلتي . ولقد يظهر لنا ان ايضاح هذه النقطة من الاهمية بمكان فلا بدع اذا قرنا في ما يلي شيئًا عن هؤُلاء القوم على قدر ما وصلت اليهِ الابحاث الحديثة :

قبل ابتداء تاريخ الامة اليونانية هاجر القوم ذوو القامة الطويلة والشعور الخفيفة الذين هم سائدون اليوم في بريطانيا والمانيا واسكاندناوه وغرب روسيا فدخلوا ايطاليا واسسوا روما ثم مالوا الى الشمال فحطوا عصا الترحال في ارض فرنسا والجزر الانجليزية ثم انتقل منهم قوم الى الجنوب ونزلوا في شبه جزيرة البلقان فقطنوا البلاد الاغريقية . اما ما حدث لهؤُلاء القوم وما آل اليهِ امرهم في كل بقعة نزلوا فيها فذلك يتوقف على ما لاقتهُ كل طائفة منهم وما صادفتهُ في طريقها

فهم طبعًا صادفوا قومًا كانوا مستقرين على معاشهم واجتماعهم فكان تاريخهم بعد ذلك يتوقف على عدد من اتصلوا بهم واخلاقهم وعلى درجة اندماج كل فريق بالآخر . وكانت نتيجة ذلك خليطاً من السكان كانت فيهِ كفة العنصرين بين الرجحان والهبوط

اما الذين هبطوا على بلاد الاغريق فانهم وجدوا تمدنًا ارقى من تمدنهم من حيث

الاجتماع والفنون اذ كان في الاغريق قوم قديمو العهد بتلك البلاد ذوو خلقة مغايرة لخلقة من غزوهم اشد منهم سمرةً واقصر قامة واضعف بنية . كان هؤلاء القدماء يسمون البلاسجيين (Pelasgians) - فاختلط اول من نزل من المهاجرين بهؤلاء القوم اختلاطاً شديداً فانهم جعلوا لغتهم اليونانية هي السائدة وكذلك دينهم ولكنهم مع ذلك اقتبسوا كثيراً من خواص البلاسجيين وملكاتهم ونقائصهم وشيئاً غير قليل من معتقداتهم . وهذه اول طبقة من الاغريق وهي لا ريب طبقة مختلطة الاجناس . ثم اتى بعد ذلك مهاجرون من جنس السابقين فدخلوا البلاد ولكنهم لم يتأثروا في مجموعهم كما تأثر من سبقهم بل حافظوا على جنسيتهم وعوائدهم وحدودهم اكثر مما كانوا عليه في ماضيهم وهذا سبب عظيم لاختلاف اغريقي الجهة الواحدة عن اغريقي الاخرى ولا شك في ان اغريقي الايونيان ومنهم اغريقي اثينا — يمثل نتيجة الاختلاط بين العناصر التي نجمت عن الغزوات الاولى . بينما الاغريقي الدوري — الذي هو ممثل في الاسبارطي — يصور لنا العنصر اللاحق المتفق الاصل :

يقول المؤرخون العمرانيون ان القوم الذين نزلوا في الشمال كانوا اقوى بنيةً واجد اخلاقاً على انهم لم يكونوا مشهورين بسرعة خاطرهم او لطافة غرائزهم الفنية وطبائعهم الاجتماعية بل كانت هذه الصفات متوفرة في اهل الجنوب البلاسجيين القدماء . ولما كانت اتيكا بين الاثنين هي التي كانت تأوي هذا الجنس الاصلي بنسبة كبيرة بين سكانها فلا عجب ان نرى الاثينيين اكبر الجميع حظاً في المسائل الفنية والاجتماعية

واذ كان بحثنا هو عن اخبار اثينا فانما نريد بذلك ما اختصت به هذه المدينة في عصر رقيها وسموها . وان ما يجهله المؤرخون من السنين من تاريخ اثينا ليقرب من الف عام طرأ فيها من التقلبات والتغيرات في اخلاق القوم واحوالهم ما لا يعلمونه حق العلم . وان تقلبت الحوادث في سالف العصور لم يكن بالسرعة المعهودة في ايامنا هذه حتى ان الازياء كانت تحافظ على طبيعتها وشكلها زمناً طويلاً . وان اثينا التي عهدها وشاهدها القديس بولس في دولة الرومان لم تكن اثينا التي يعرفها بركليز وافلاطون وديموستينز قبل ذلك باربعة قرون او خمسة فان بناء الاكروبوليس وما اشتمل عليه من مظاهر الابهة والمجد لم يدرس لذلك العهد وكانت الديانة باقية على حالها من الوجهة النظرية ولم تغير المباني الشاهقة والعمارات الشامخة الفاخرة منظراً المدينة الخارجي ولكن الامة الاثينية انحطت اخلاق رجالها وتبدل نظامها الاجتماعي . والمقصود من حديثنا هذه الليلة هو تصوير الاثينيين وحياتهم على ما كانوا عليه ايام مجدهم ونشاطهم وطهارة صفاتهم واخلاقهم من المفاسد والنقائص . ويبتدئ

هذا الدور بوجه التقريب من منتصف القرن الخامس قبل الميلاد الى غزوة المقدونيين او من عام ٤٤٠ الى ٣٣٠ قبل الميلاد . وكانت معاقل القوم في ابان هذا الزمن في منتهى المنعة والتحصين وكان بناء البارثنون والبروسلاس قد تمّ تشييدها (في الاكروبوليس). وقد كست يد النقاش الشهير فيدياس المدينة جلالاً وعظمة وابهة . وكان سوفوكليز ويوروبيدس مشتغلين باخراج مؤلفاتهما العديدة بابداع الروايات المحزنة (تراجيدي) وارستوفانيس بنشر رواياته المضحكة (كوميدي)

في هذا العصر ايضاً نشأ سقراط رجلاً معروفاً بين الاهالي محبوباً منهم مشتغلاً بالمجادلات في الاماكن التي يغشاها عامة القوم وفي منازل الخاصة . وتيوسوويدس يكتب تاريخه الكامل . فلما مضت ايام هؤلاء جاء افلاطون يلقي تعاليمهُ في اروقة المجمع العلمي وشرع ينشر مؤلفاته ومنشآته القديمة المثال واحاديثهُ الفلسفية التي بلغت منتهى الإحكام والاتقان فيما لا يدركهُ عقل الانسان رغماً عن كونها مفرغة في قالب الهزل والمجون . ثم ظهر اكزينوفون على مرسح الحياة الاثينية وتبعهُ الخطباء المفوهون المشهورون على التعاقب . ولقد بلغت الخطابة في أواخر هذا العصر اقصى درجات السمو والارتقاء بفضل بطلها ديموستين وارتقت الفلسفة بظهور ارسطو البعيد الغور ورأس الناظرين فيها . وصارت فنون النقش والتصوير والتزويق الى ابهى ما يتصور بفضل بركسيليدز ولسباز .

واذا نظرنا من الوجهة السياسية وجدنا ان اتيكا او اثينا كانت في احسن ايام هذا العصر رئيسة على كافة الطوائف اليونانية المتحدة فاثرت وغنيت بما كان يدفعهُ هؤلاء اليها من الخراج . فبلغت سفنها الحربية المئات واصبحت اعمالها الحربية في أعلى درجاتها . على ان اتيكا كانت صغيرة لا يتعدى طولها خمسين ميلاً ولا يزيد عرضها على الاربعين . ولقد بلغت في هذا القرن في نظاميها السياسي والاجتماعي أتمّ وا كمل شكل (ديمقراطي) ومن ثم سارت نحو الاشتراكية . ولقد كانت قبل هذا العصر خاضعة لارادة افراد اقوياء من الطبقة الارسطوقراطية ثم سقطت ايضاً بعد انقضاء القرن الذي نحن بصدده تحت اقدام المقدونيين الذين تلاهم الرومانيون حتى اصبحت لا تتمتع من حريتها الا بظلها

فترى من ذلك ان القرن الذي قصرنا بحثنا عليه هو الذي كانت فيه اثينا متمتعة بافخر آدابها وابهى فنونها وانقى افكارها وارقى فصاحتها واعظم مطامعها واكبر امانيها لذلك سنجتهد في جعل اعتبار هذا العصر خالياً من كل الحوادث والعناصر التي حلت باثينا بعده وسنعمل على ان نقف بحثنا على الزمن الذي اخترناهُ هذه الليلة

أما المصادر التي استقينا منها معلوماتنا فكثيرة وليس من الضروري ان نجمع الشذرات المجردة والاشارات المطلقة والآراء الشتتة والافكار المبعثرة عن الحياة الاثينية والعقل الاثيني فان لدى المؤرخين كتب الاثينيين انفسهم التاريخية والمذكرات والروايات المضحكة والهزلية وتواريخ الاشخاص واحاديثهم وخطبهم في المجامع العامة ومجالس القضاء وكذلك ما سطروهُ في الاخلاق والسياسة ولديهم فوق ذلك مذكرات عن حياة هؤلاء القوم العامة منها والمنزلية أنشأها القدماء من الاثريين والمنفيين والشراح ومن شاكلهم اولئك الذين كان في مكنتهم الاطلاع على ما فقدناهُ نحن من المؤلفات الادبية التي سطرها اهل العصور التالدة على ان لدينا شواهد واقعية من بقاياهم التي لا يزال عددها في الازدياد بواسطة التنقيب والاكتشافات من ذلك كثير من الكتابات المنحوتة في الاحجار وفي الاجداث عدد عديد من الآنية المزينة بما يصور لنا منظر حياتهم الحقيقية

ولا ندعي ان كل هذه الاشياء بمجموعها تمكننا من تصور هؤلاء القوم والوقوف على دقائق معيشتهم من حركة وسكون فلقد يكون بنا قصور في ادراك احوالهم وتصوير عيشتهم على الوجه الصحيح جداً ومع ذلك فعندنا كثير من المسائل نثق من صحة اعتقادنا فيها ناذا بحثنا في شؤونها فليس ذلك من قبيل صرف الوقت في غير النافع فعلينا بتناول حوادث هؤلاء القوم الواقعية واحوالهم وعوائدهم واغراضهم السامية وما كانوا يبغضون وفضائل حكومة (اتيكا) ونقائصها ومواضع الضعف في اهلها وسخافاتهم وموضوعات سرورهم وما كانت تجيزهُ شرائعهم وتبيحهُ الهيئة الاجتماعية عندهم

نشرع الآن في وصف اثينا للالمام بها من حيث الاحوال الاجتماعية والعمرانية فنقول كان القدماء كافة مطبوعين في كل احوالهم على نحو ما يحيط بهم من المظاهر الطبيعية فكل عوائدهم واعمالم وازيائهم وطعامهم ومساكنهم على مقتضى طبيعة ارضهم وهواء بلادهم بل كان معظم تقاليدهم الدينية جارياً كذلك مجرى المعاش من الوجهة المتقدمة . على اننا في يومنا هذا نرى ان الانجليزي مثلاً يأكل من ثمرات الاميركان وفاكهتهم ولحوم استراليا وكذلك هو ينسج اقطان غيره من الممالك . وما ذلك الا لانهُ ميسور دائماً نقل هذه الاشياء من مكان الى آخر دون مشقة . ولئن كان القدماء يتجرون في محصولاتهم على قدر ما كان يتهيأ لهم من الوسائل الا انهم كانوا يقتصرون غالباً على محصولات ارضهم ومصنوعاتها ونرى فوق ذلك ان اهل هذا الزمان منصرفون الى التقليد في طرق الحياة فنجد ان اهل البلد الواحد يشيدون المنازل على نفس الطراز الذي يشيد عليهِ غيرهم من اهل البلدان الاخرى المخالفة

لما في الاقليم وكذلك هم يفعلون في ملابسهم ومآكلهم ومشاربهم ولم يكن القدماء كذلك بل كانت ثياب الرجل ونظام منزله واوقات عمله على حسب ما تقتضيه طبيعة الارض التي نشأ فيها وقد يكون ذلك من الاسباب الجوهرية في طول اعمارهم رغماً عما كانوا عليه من النقص في علومهم الطبية

واذا شئنا ايها السادة أن نفهم العوائد الاثينية وتفقه حب الاثيني للهواء المطلق في عيشته العامية والمنزلية ومزاجه العقلي وميله للفنون الجميلة لزمنا ان نتعرف ارض بلده وجوها وهناك ادلة على ان الاقطار اليونانية كانت في الايام الخالية مملكة ذات غابات وحراج اكثر منها اليوم وكانت غزيرة الحياة قوية الانبات اشد منها في وقتنا هذا فلقد حدث افلاطون في احدى صحفه عن سهل فسيح ذي اشجار باسقة تنبت على ضفتي نهر الاكياس في المكان الذي كان يرتاده سقراط وفيدراس للجلوس ولكن قد تبدلت اليوم الارض غير الارض واضحت خالية من كل ذلك والراجح ان هذه الاشجار كانت مغروسة في بقعة ذات نصيب من التقديس ولسنا في ريب من ان هواء تلك البلاد قد لطف على توالي القرون وتعاقب الايام حتى اصبح جافاً جداً وقد فصل تيوسيديدس وافلاطون القول تفصيلاً في وصف تلك البلدان وجودة تربتها وجمال منظرها

كانت الارض تنبت الزيتون والكرم والشعير والحنطة والعسل وكانت قطعان الغنم والمعزى والخنازير ترعى في التلال وكان القوم يستعينون في اعمالهم الشاقة بالثيران ومنهم الذي كان يشتغل بصيد الاسماك كما هو طبيعي في كل الممالك البحرية. ولا يغرب عنا انهم ما كانوا يعرفون الشاي ولا البن ولا السكر ولم يكن جو اتيكا ملائماً لبقاء الزبدة دون حفظها بالثلج · من ذلك يتبين لنا مقدار ما كان للنبيذ والزيتون والعسل من الاهمية عند اهل تلك البلاد وقد كانوا يسيغون النبيذ الممزوج — او المقتول في اصطلاح بعضهم — بالماء بدل الجعة فكان نبيذهم بمثابة الشاي والقهوة عندنا والعسل مكان السكر وزيت الزيتون مكان الزبدة وكانوا يستعملون الزيت في مصابيحهم وشموعهم · من كل هذا نعرف ان الرجل الاثيني كان بعيداً عن الجشع في الطعام وانهُ كان متقشفاً قنوعاً في تناول النباتات دون اللحوم وانهُ جمع بين ذكاء الفؤَاد وبساطة العيش ومن ثم يمكننا ان نفهم المظهر الصحيح لعيشة هذا الرجل اجمالاً وتفصيلاً على ان هاتين المزيتين لم تكونا نتيجة للاخلاق الشخصية عند القوم فقط بل هما نتيجة البيئة التي ينشأ فيها الواحد منهم

ننظر الآن في تأثير هواء تلك البلاد على مزاج اهلها وطبيعتهم · اجمع الباحثون في

طبائع العالم على ان هواء اثينا جمع بين الصفاء والرقة وانهُ اصح هواء في بقاع اليونان بل في العالم جميعاً فشتاؤها قصير غير ذى برد قارس وصيفها لطيف الحرارة بتأثير النسيم البحري فلذلك كان القوم يسيرون في الطرقات حاسري الرؤوس حفاة الأقدام مرتدين بابسط الثياب وكان الرجل منهم يفضل ان يمضي سحابة يومهِ بعيداً عن منزلهِ وقد كانت مراسحهم ودور حكومتهم مجردة عن السقوف وكان الناس لا يستخدمون النار في منازلهم للدفء بل لانضاج الطعام فقط · اذا وقر ذلك في اذهاننا عرفنا كيف كان هؤلاء القوم يسعون الى التوفيق بين مطالب انفسهم وبين مقتضيات الطبيعة ولم يكن هذا المناخ قليل التأثير في ملكات الاثينيين واذواقهم من حيث الالوان والاشكال والبناء والنقش والتزويق فهذا بناء الأكربوليس وما شابههُ من المباني الاثرية البديعة الفائقة في الجمال تشهد لتأثير هواء بلادهم فيهم

اعتاد الاثيني من اول نشأتهِ على الاشتغال بقطع الاحجار ونحتها فلما برز في هذا الفن وبانت عبقريتهُ في النحت وبرع في النقش والتزويق كان لديهِ من الكائنات الطبيعية كالاحجار والرخام ونحوها ما يحقق لهُ آمالهُ ويقرب اليهِ امانيهُ

ولا شك اننا لا نستطيع درس مدنية الاثينيين وحضارتهم اذا لم نتعرف عيشتهم الاولى وطبيعة الارض التي كانت تؤتيهم بما يضمن لهم حياة بسيطة غير ذات ترف وهواؤها ذا الاثر الطيب في نفوس اهلها واجتماعها وما كان فيهم من الميل الى الفنون الجميلة وعدم الخلود الى الكسل والبطالة وتجافيهم عن الملاذ

كانت اثينا متصلة بفرضتها (بيريه) بجدارين طويلين يرويها نهر الفيساس واليساس وعن غربها وشرقها تلال مرتفعات وحدائق ذات ازهار وكان الغرض من اقامة ذينك الجدارين ضمان المواصلة في زمن الحرب وقد كان سمكهما ١٢ قدماً وارتفاعهما ٣٠ قدماً ويقدر عدد سكان اثينا على اختلاف طبقاتهم ٤٠٠٠٠ نسمة

وان من بواعث الدهشة والعجب ان تكون اثينا — تلك البقعة الصغيرة — ينبوع ارقى الادبيات والفنون والفلسفة وجميع التجارب الاجتماعية · كان في وسط اثينا بناء الأكربوليس الذي كان بيتاً مقدساً وبيت مال ومتحفاً وحصناً في آن واحد وكان فيها ايضاً مكان يقال لهُ 'Agora' او المجمع او السوق فكان الباعة يضعون اوعية تجارتهم في ذلك السوق على انهُ كان معدّاً ايضاً للمقابلات ومعروضات الجمهور فكأنهُ يشبه سوق عكاظ عند العرب في الجاهلية وكان هناك ايضا بناء البارثنون ومعبد الظفر وتمثال اثينا وهناك مرتفع آخر من الارض

معد للاجتماعات العمومية حيث يقصدهُ الاهالي لاستماع من يقوم بينهم من الخطباء . اما مدافنهم وحدائقهم فكانت في الضواحي خارج سور المدينة . واهم ضواحيها بقعة سيراميكاس حيث بستان الاكاديما الذي كان بهِ جمنازيوم ومزارع وفساقي . ولما كان هذا المكان مقر افلاطون لدروسهِ الفلسفية اطلق اهل هذا العصر من الاوربيين اسم اكاديمي على المجامع العلمية . وكان عندهم جمنازيوم آخر في شرق نهر اليساس يقصدهُ روَّاد الفلسفة وطلابها لاسيما ارسطو . وقد بني بعد ذلك مرسح التمثيل وقاعة الاغاني Odeum وكثير من المعابد والهياكل وكذلك دارُ البورصة

ستأتي البقية عبدالرحمن زهدي

العناية بالاطفال (١)

قال احد علماء الاجتماع : ان ارتقاء الشعوب وتقدمها في الحضارة والعمران يحكم عليهِ طبقًا لعنايتها بصحة الاطفال . هذه حقيقة ساطعة وحكمة بالغة جديرة باعتبار الحكومات لما يترتب عليها من سعادة العباد وارتقاء البلاد اذ ان وقاية الاطفال من الامراض الفتاكة هو من اعظم دعائم المدنية بل هو ركن من اركان القوة . وقد فقه اهل الغرب كل هذه الامور ولاسيما بعد ما ظهر في بعض بلادهم ان عدد الوفيات يزيد على عدد المواليد وذلك لسعي فريق كبير من المتزوجين الى اقلال نسلهم طالبين تخفيف نفقات الاولاد ومزعجات تربيتهم عن عائقهم مدفوعين الى ذلك بتيار الحضارة العصرية التي تشتمل على كثير من السيئات كما تشتمل على المحامد والحسنات .

فبعضهم كالاميركيين فرضوا الضرائب على العازبين والمتزوجين الذين ليس لهم بنون واعطيت الجوائز والمساعدات المالية للوالدين الذين رزقوا اولاداً كثيرين وقد دلت التجارب على ان هذه القوانين بالرغم عن شدتها اتت بفوائد عظيمة حتى ان البرلمان الفرنسوي قام منذ زمن ليس ببعيد يقترح على الحكومة في احدى جلساتهِ ضرب مثل هذه الضرائب -

على ان ما نشاهدهُ في ايامنا هذه من الاهتمام بامر الاطفال ليس شيئًا يذكر بالنظر الى ما كان يفعلهُ القدماء حرصًا على النسل وحفظًا لصحة جسمهِ . فقد روى لنا التاريخ عن اهل سبارطه انهُ كان محتماً على كل فرد من افراد الامة رزقهُ الله مولوداً ان يأتي بهِ الى لجنة مؤلفة

(١) من خطبة لحضرة الدكتور امين دمر القاعا في نادي موظفي الحكومة بالاسكندرية في ٢٦ يونيو

من العلماء والاعيان للكشف عن مولوده فاذا كان سليم البنية قوي الجسم خالياً من الامراض الظاهرة ليس فيهِ عاهة طبيعية خلقية اعتنت الحكومة بهِ وانفقت عليهِ واعطت اهله مساعدة مالية للاعتناء بتربيتهِ . واما اذا كان نحيف الجسم ضعيف البنية وفيهِ آثار مرضية ظاهرة قد تضره في صحتهِ رمتهُ في هاوية واغنت اهلهُ ووطنهُ والهيئة الاجتماعية باسرها عن الاهتمام بهِ على غير طائل . فكان حكم الموت ينفذ في هؤلاء التعساء لجرم اقترفهُ سواهم ولانهم ولدوا في هذا العالم ضعاف الاجسام فعدهم الاقدمون غير قادرين على الخوض في معمعان الحياة . ومع ما في هذه العادة من الهمجية والاستبداد لانهُ لا يجوز للانسان ان يقتل اخاهُ الانسان فقد اتت بفوائد لا تنكر . ونبغ في مدينة سبارطه العالم والطبيب والجندي وضرب المثل بقوة هذا الشعب الباسل ونشاطهِ

اما في عصرنا عصر التمدن الذي تغلبت فيهِ عواطف الانسانية الشريفة والغيرة الاجتماعية الصادقة . فقد فكر فضلاء القوم في افعل الوسائط للحصول على الضالة المنشودة ورأوا التمسك بالمبدإ الفلسفي القديم القائل بمنع الضرر قبل الوقوع فيهِ او منع السبب اتقاء للنتائج . ولهذا نرى من اهل الغرب اهتماماً عظيماً بالبحث عن اسباب كثرة وفيات الاطفال وطرق مقاومتها فانشأوا لذلك الجمعيات العديدة لمقاومة الفحشاء وتخفيف الامراض المسببة عنها ومقاومة السل الرئوي ومنع تعاطي المسكرات وكل ما ينشأ عن هذه الامراض حفظاً للنوع الانساني . وغنيٌّ عن البيان ان المصاب بهذه الامراض يكون نسلهُ بعد الزواج ضعيفاً مستعداً للاصابة بهذه الامراض او مصاباً بها

عرفنا ما فعلهُ اهل الغرب والوسائل التي يبذلونها للحصول على اشرف غاية واعني بها الاعتناء برجال الغد فما الذي فعلهُ اهل الشرق عامة وخصوصاً اهل القطر المصري ؟ ان عدد المولودين في هذه البلاد في ازدياد مطرد والحمد لله وليس هناك ما يدعو الى القلق والاضطراب اما عدد الوفيات ومعظمهُ من الاطفال فعلى حال لا ترضي ولا يزال كثيراً جداً بالرغم عما بذلهُ اهل الفضل والمروءة لتقليلهِ . ونرى ان انجع دواء لهذا الداء الاجتماعي الخطير هو شرح اسباب كثرة وفيات الاطفال وتداركها بالوسائل الفعالة ولكن هذا لا يتم الا بإرشاد العامة وتثقيف عقول الافراد بالقاء المحاضرات الادبية الصحية وتوزيع النشرات والابحاث على صفحات الجرائد والاكثار من الكلام في هذا الموضوع الجليل

فالواجب علينا وقد علمنا خطورة هذا الموضوع وضرورة الاهتمام بهِ ان نبحث الآن عن الاسباب الرئيسية التي تذهب بحياة الالوف من الاطفال والوسائل الواقية منها

كل حي يلد حيًّا على مثالهِ طبقًا لاحكام الوراثة وهذا ما يشاهد في النوع الانساني فان كان مصابًا بمرض عضال معدٍ او عادة ذميمة لا بد وان تتسرب جراثيمهُ الى نسلهِ وذريتهِ كالسل الرئوي والزهري وتعاطي الكحول وما شاكل ذلك • ولكن هناك امراضًا اخرى لا دخل للوراثة فيها بل هي اكتسابية محضة تنتج عن خرق الانسان لحرمة الشرائع الصحية وعدم العناية بتربية الاطفال وهذا ما أُريد ان اتكلم عليهِ • اما عدم العناية بتربية الاطفال وازدياد وفياتهم كما سأُبينهُ فناشئ عن جهل الوالدين لاصول التربية الصحية • اما لاغفالهم اتباع القوانين الصحية كالنظافة والاستحمام والاعتناء بالملابس وما شاكل ذلك واما لسوء الارضاع • وسأسهب الكلام على هذين الامرين واشفعهما بالكلام على التدابير الصحية الواجب اتباعها للوقاية من الامراض القتالة في دور الطفولية

السبب الاول

في كثرة وفيات الاطفال • جهل الوالدين لاصول التربية الصحية

كيف يكون ذلك ؟ استميحكم ايها السادة الكلام عن الاحوال التي يشاهدها الطبيب في هذه البلاد والحقائق المحزنة التي يجب التنبيه اليها لاصلاحها فاقول اذا رغبتم في ان تعلموا شيئًا عن اعتناء السواد الاعظم من اهل الشرق بصحة اطفالهم فلا يكلفكم ذلك عناء كبيرًا

انشأ اهل البر والاحسان في اماكن مختلفة من هذه المدينة التي يسمونها عروس الشرق عيادات مجانية لمعالجة المرضى عمومًا والاطفال خصوصًا واخص بالذكر منهما مستوصف السبع بنات ومستوصفات جمعية رعاية الاطفال

اذا ساقنا القدر الى الاحياء التي فيها هذه العيادات المجانية فماذا نشاهد ؟

نشاهد جيشًا عرمرمًا ومعظمهُ من النساء الوطنيات حاملات على اذرعهن اطفالهن طلبًا للاستشفاء وندهش عند ما نرى القذارة التي تظهر على وجوه هؤلاء الاطفال وعلى ملابسهم يأتي اهلهم بهم الى الطبيب ويناولونهم قبل المجيء بهم قرصًا من (الطعمية) او قطعة من الخبز او الفطير او شيئًا من الفاكهة ومعظمهم او كلهم مصابون بمرض واحد هو الحمى المعدية المعوية وعوارض مرضهم الوحيد هي القيء والاسهال وان اردتم ان تعلموا سبب هذه الحمى فاجيبكم انها ناشئة عن سوء العناية بصحة الاطفال

واذا طلب الطبيب الكشف عن هؤلاء فهناك الطامة الكبرى • انظروا ماذا يشاهد تاخذ الام تنزع ملابس طفلها مبتدئة بالقماط (اللفة) اذا كان الطفل حديث السن فالحرام فقفطان فصديري فقفطان آخر فالقميص ونزع هذه الملابس يستغرق عشر دقائق ان لم

اقل اكثر من ذلك ولو اقتصر الامر على هذا لهان ولكن هذه الملابس على كثرتها تكون قذرة جدًّا حتى لقد تتصاعد منها روائح كريهة لا تطاق . وهذا لان العادات الشائعة بين الجمهور الاعظم من الوطنيين تحظر على الوالدين غسل طفلهم بالماء والصابون قبل بلوغهِ الاربعين يوماً واذا كان والده او والدته مصابين بالزهري او التشويش فلا يجوز قط غسله بالماء او ملامسته له قبل بلوغهِ السنتين من عمره كأن الماء والتشوش ضدان لايجتمعان الاّ كأن القذارة تقي من الامراض والنظافة مجلبة لها

لقد حان الوقت لان نقلع عن هذه الخرافات التي ما انزل الله بها من سلطان ونسير طبق القوانين الصحية التي قررها العلم الحديث ونعلم حسنات هذه وسيئات تلك ونغرس في نفوس اطفالنا رغماً عن سنهم العوائد الحميدة التي تمكنهم من الدفاع عن انفسهم ولقيهم شر الامراض لان من كان يستطيع مقاومة المرض قاومهُ وسلم منهُ والعكس بالعكس طبقاً للسنة الطبيعية سنة بقاء الافضل والاختيار الطبيعي .

اقسم لكم ايها السادة اني سمعت مراراً باذني آباء يعزون انفسهم بوفاة طفل لهم بقولهم « ذهب طفل يرزقنا الله غيره » . هذا طفل لاشعور له ولا يرجى منه نفع الآن فموته لا يعتد به . فمثل هذه الأقوال الساقطة تجرح قلب الانسانية اذا لم يكن لها تأثير في قلب الوالدين . اهكذا نعامل هؤلاء الضعفاء الذين ليس لهم حول ولا قوة ؟ ومن يكفل ان الله يرزقنا طفلاً بدلاً من الطفل الذي توفي بسبب اهمالنا . ومن يكفل ان معاملتنا للثاني تكون اقل قساوة من معاملتنا للاول . أيرجى بعد ذلك فلاح لقوم هذا مبلغ اخلاقهم

نسلم ان الطفل هو رجل الغد فلماذا لا نعاملهُ معاملة الرجال ونحن لا نعلم ما سيكون من امره في مستقبل الايام . ورب طفل ضعيف الجسم حقير ينبغ وينفع اهلهُ ووطنهُ بأسره فالطفل كالنبات ينمو نموًّا سريعاً ويأتي بثمار جنية

علمتم النتائج السيئة التي تعود على الطفل بسبب جهل والديهِ واغفالهما القوانين الصحية فلنشرح الآن التدابير الصحية الواجب اتباعها لحفظ صحة الاطفال

نظافة الطفل

إن مفرزات الطفل من بول وغائط تنقذف في الاشهر الاولى من العمر وهو في اقمطتهِ فيجب ان ينظف جسمهُ مراراً وان تغير اقمطتهُ حالاً بعد الافراز لانهُ اذا لامس البول او الغائط جلدهُ وقتاً طويلاً يهيجهُ فيصير لونهُ شديد الاحمرار وكثيراً ما يتشقق ايضاً

اما طريق التنظيف فتكون بغسل القسم الظاهر من الجهاز التناسلي البولي بفوطة مبللة

بالماء الفاتر وبمسح الجلد مسحاً خفيفاً من غير فرك و يذر عليهِ مسحوق صحي ناعم (بودره)

حمام الطفل — اجمع الاطباء على وجوب غسل جسم الطفل كلهِ يومياً في العام الاول بتمامهِ وهذا الغسل عظيم الفوائد ولاسيما في البلاد الحارة ولا اخشى اذا قلت انهُ ضروري جداً في هذا الثغر بالنظر الى تقلب احوال جوه وفوائد ذلك ظاهرة في البالغين

نظافة عينَي الطفل — يجب ان تغسل بماءِ البوريك بضعة اسابيع بعد الولادة لانقاء شر الرمد . اما اذا اصيب الطفل برمد في عينيهِ فيجب استشارة طبيب اختصاصي بامراض العيون بلا توان ولا تهامل اذ كثيراً ما يتسبب عن هذا التهامل فقد بصر الطفل

ملابس الطفل — ترى ان خير الملابس ما قل فيقتصر على استعمال القميص والحزام والقفطان والمئزر و يضاف اليها صدرية صوف في فصل الشتاء . اما الاحذية فلا نرى ضرورة كلية لاستعمالها الاَّ اذا أُخرج الطفل للنزهة وكان ذلك في الشتاء . اما في المنزل فلا لزوم لها على الاطلاق

الخروج بالطفل للنزهة — يجوز الخروج بالطفل بعد انقضاء الاسبوع الاول في فصل الصيف و بعد الاسبوع الثاني في الربيع والخريف واما في الشتاء فيمتنع الخروج بالطفل مدة الشهر الاول بتمامهِ

السبب الثاني

في كثرة وفيات الاطفال . سوء تدبير الارضاع

كل طبيب مارس معالجة الاطفال بضع سنوات في القطر المصري لا يسعهُ الاَّ ان يجاهر بالحقيقة التالية المحزنة :

ان الموت يفتك باطفال المصريين فتكاً ذريعاً خلافاً لاطفال البلدان الاخرى ففي فرنسا مثلاً نجد عدد وفيات الاطفال الذين لا يتجاوز عمرهم العام الواحد ١٦٧ في الالف من مجموع الوفيات كلها و ١٦٥ في الف ولادة . اما هذه النسبة في القطر المصري فمحزنة للغاية اذ هي بين الاطفال الوطنيين ٣٧٢ وفاة في الالف من مجموع الوفيات كلها و ٢٨٨ في الف ولادة

واذا بحثنا عن الامراض التي يموت بها الاطفال لمعرفة اشدها فتكاً بهم نرى بوجه التقريب من كل الف وفاة

٥٠٠ بالاسهال

١٥٠ بامراض الجهاز التنفسي

١٥٠ بالنحول

٠٥٠ بالامراض التي تنتقل بالعدوى

٠٢٥ بالسل الرئوي
١٢٥ بامراض مختلفة

فيتبين مما تقدم ان عدد وفيات الاطفال بالاسهال عظيم جدًّا ومن الخطإ اسناد هذه العلة الى اشتداد الحر وبروز الاسنان بل ان السبب الوحيد لهذه العلة الجارفة هي عدم انتظام الارضاع فزوال هذه الآفة موقوف على اعتناء الوالدين بارضاع اطفالهم فيدرأون عنهم شر الاسهال المميت

ومن الفضائل الاجتماعية السامية التي تحلي آداب المرأة النزاهة والتفاني في عمل الخير ذلك ان تقوم بالخير نحو طفلها لمجرد نفعه وحبًا بصحته وحسن مستقبله لا لشيء آخر . فاذا ارادت السيدة ان تقوم بواجب الرضاعة المقدس ولا اخالها تمتنع عن اداء هذه الوظيفة السامية وجب عليها ان تعتني بطفلها ولا تكل الى غيرها وظيفة تغذيته لاسباب تافهة اغفل ذكرها . اذ ان الله منَّ عليها بصحة جيدة وجعل ثدييها يدران لبنًا غزيرًا مفيدًا للقيام بهذه المهمة الشريفة . ولتعلم ان هذه الوظيفة محاطة بمخاوف ومخاطر كثيرة لا يدرك اهميتها ولا يتدارك وقوعها الاَّ قلبها الحنون الرؤوف

قد علمنا الاختبار ان السيدة الشرقية توجه عنايتها وتبذل مجهودها لكيلا يسمع لولدها صوت ولا صياح ولا بكاء فلا يزعج راحتها نهارًا ولا نومها ليلاً . وان يكون آلة صماء بيديها لا حراك لهُ واذا صاح او بكى فاقرب شيء اليها لتسكين اوجاعه وآلامه اعطاؤهُ ثديها بلا حساب ولا نظام . وكيف تمنع ثديها عن فلذة كبدها في كل ثانية غير مكترثة لما تجرهُ عليه من الامراض القتالة كالنزلات المعدية والمعوية التي تنتج من ارتباك وظائف الهضم وعدم هضم الطعام . واذا دعي الطبيب واشار بمنع كل غذاء عن الطفل لمدة معينة واستبداله بجرعة كذا وماء كذا فلا تتمالك سيدة المنزل من اظهار غيظها ودهشتها منادية بالويل والثبور وعظائم الامور غير مبالية بنصيحة الطبيب ظانة انهُ يريد لطفلها الموت العاجل

ومن المضحكات المبكيات ان السواد الاعظم من الامهات يعتقد ان الاكثار من الارضاع او الطعام يجلب الصحة والعافية للاطفال وان الاعتدال والحمية الموقتة يقود الى المات

واغرب من ذلك كله ان نرى السيدة العاقلة المتعلمة التي احرزت من العلوم العصرية حظًّا وافرًا فضلاً عن الجاهلة والامية تجهل كل هذه الامور ولا تؤثر فيها نصيحة الطبيب فهي تعتني بارضاع ابنها الاعتناء التام وتستمر على اعطائه ثديها الى ما بعد السنتين من عمره وهي مقتنعة ان اللبن هو افضل غذاء للاطفال ويا ليتها تقتصر على ذلك بل تناول رضيعها كل

الاطعمة التي نتناولها هي نفسها حتى «المغلظات» التي اشتهر بتحضيرها المطبخ الشرقي «والحوادق» التي يلذ تعاطيها في البلاد الحارة وكثيراً ما جاهدت لابطال هذه العوائد المضرة ولكن بلا نتيجة والطبع غلاب · ولولا خوفي من التطويل لابنت لحضراتكم آفات الارضاع الغير المنتظم والامراض التي تنتاب الاطفال بسبب عدم انتظام الارضاع ولا سيما في البلاد الحارة

ولما كانت الرضاعة من المسائل الحيوية التي لها اعظم تأثير في صحة الرضيع اقول عنها ولو بالايجاز ما يلي

للرضاعة طرق متباينة واحوال مختلفة وافضلها موافقة على ما نظن للبلاد الحارة كمصر الطريق التي سار عليها الاستاذ الشهير « بودين » في مستوصف الرضع في باريس فأتت باحسن الفوائد وانفعها لان نمو الاطفال ظل سائراً بكل انتظام وصارت امراض الجهاز الهضمي نادرة جداً ولم يعد يموت طفل بالاسهال · ذلك ان الغذاء الاساسي للاطفال في العامين الاولين من سنهم هو اللبن « الحليب » ومستحضرات اللبن وهي التي يسميها الاستاذ « بودين » شوربا باللبن واليكم بيان ذلك

في التسعة الاشهر الاولى لا يعطي للرضيع الا لبن والدته وتكون مرات الرضاعة سبعاً في النهار والليل منها ست في النهار وواحدة في الليل ففي النهار يرضع كل ساعتين ونصف او ثلاث مرات · هذا في الاشهر الاولى من سنهِ وعند ما يبلغ الرضيع الشهر السادس والسابع ينقص عدد نوب الرضاعة من ثديي والدتهِ ويعطى بعض الاطعمة الاخرى المحضرة باللبن وبعض المواد النشوية بالكيفية الآتية

يضاف الى غذائهِ بعض المساحيق النشوية كدقيق الارز والبطاطس والارروط · وبعد انتهاء السنة الاولى يضاف اليها دقيق القمح (الغلة) او الشعير او الذرة انما يشترط بصنع هذه الاطعمة ان تضاف كمية قليلة من هذه المساحيق الممزوجة بالماء مزجاً تاماً الى مقدار كبير من اللبن بحيث يكون هناك طعام سائل ثم يضاف مقدار كبير من المسحوق كلما زاد الطفل قوة ونمواً

اما انواع الشوربا المصنوعة بمرق اللحم او عصير اللحم فممنوع اعطاؤُها للرضيع على الاطلاق اولاً لان ما فيها من الغذاء قليل بالنسبة الى ما في الاطعمة المشار اليها (مائة جرام من اللبن تعادل كيلو جرام من مرقة اللحم) · ثانياً لانها قد تحدث ارتباكاً في وظائف الهضم · ثالثاً لان تعاطيها يكره الرضيع بتناول الاطعمة المصنوعة من اللبن.

اما البيض فيجب منعهُ لانهُ قلما يتيسر وجودهُ جديداً في المدن والعواصم ولان معدة الطفل لا تقوى على هضمهِ.



الترك والعرب

جواباً على اقتراحات الباحث العثماني صاحب مقالة « البلاد العربية » المدرجة في المقطم الاغر نقول :

بما ان عنصري الترك والعرب هما الركن الاساسي للملكة العثمانية اي مملكة الشرق الادنى التي علمها الهلال كما ان الشمس هي علم الشرق الاقصى فاشتراك هذين العنصرين معاً هو الدواء الوحيد لنهضة هذه المملكة التي اخرها تفرد العناصر ومناظرتها · على ان الترك اقتبسوا دينهم وشريعتهم وآداب لغتهم من العرب فامتزاج هذين العنصرين حسب مبتغى السلطان سليم العثماني يجعل لغتهما رسميتين تجاه الامة فتوحد بالتمادي نظراً لتقارب مباديهما لفظاً وكتابة واما الوظائف ملكية كانت او عسكرية فتكون متساوية بين جميع العناصر بالاستحقاق · وهذا الجمع بين مدنية الاتراك ونشاطهم وعلوم العرب وبسالتهم يشيد مملكة من اعظم ممالك العالم حسبما اشرنا اليهِ بمؤلفنا الفرنساوي الحديث « الحل العقلي للمسئلة الشرقية » الذي وضعناهُ هدية لرجال سياسة الشرق والغرب ابرهيم يعقوب ثابت

بيروت

اللغة العثمانية

قرأت مقالة الباحث العثماني ومقالة الباحث السوري في الجزئين المتتاليين من المقتطف وتمعنت موضوعهما في اختيار اللغة الاكثر موانقة وكفاية للعثمانيين · فعن لي ان اتشبه بذينك الفاضلين واذكر ما اره ُ ايضاً فاقول :

اذا نظرنا في اختيار اللغة العثمانية الى فضل الفتح والتأسيس فالرضاء باللغة التركية واجب غير اننا نكون حينئذٍ جعلنا الشعب العثماني على درجتين احداهما حاكمة والاخرى محكومة فيكون العنصر التركي على الدرجة الحاكمة وسائر العناصر في اختلافها على الدرجة المحكومة · ولكن هذا يخالف غرض الدستور العثماني ولا يرضي بهِ عنصر من العناصر · ثم ما فائدة

الاستمساك بمجد تاريخي لا فائدة وراءهُ ؟ نحن اليوم في حاجة الى مجد يبقى وتصيبنا فائدتهُ

واذا نظرنا في اختيار اللغة العثمانية الى بقاء النوع فلا يرضى عنصر من العناصر ان ينطوي سجله ويمحى من الوجود ذكرهُ وان تبطل لغتهُ . كل امة تريد لنفسها البقاء فالتركي والعربي والرومي والالباني والارمني والكردي والقوقاسي وغيرهم كلفون بلغاتهم كلفهم بعصبيتهم . فلا حيلة في حمل قوم على الرضاء بلغة بدلاً من لغتهم . ولا سبيل اذن الى الاتفاق على اختيار لغة من اللغات وهذا ايضاً محال

ولكن من اين لنا ان اختيار لغة من اللغات التي تبين كفايتها يفضي الى انحاء غيرها؟ لقد عاشت الدولة العثمانية سبعة اعصر ولغتها اللغة التركية . بها تكلم ملوكها وبها كتبت صدورها وبها خاطب ابناؤها ابناءها . فاية لغة اندثرت في تلك السنين الطوال مع ما كانت البلاد فيه من عيش البداوة وفقدان وسائل النشر وكساد اسواق العلم ؟ واليوم ونحن مستظلون بظل الدستور متمتعون بنعيمهِ ولدينا ادوات كافية لطبع الكتب ونشرها وكل امة تجدُّ في حفظ لغتها وتحليتها واجادتها فمن منا يخاف على لغتهِ من الانحاء

فاذا تقرر لدينا ذلك وجب علينا النظر في اتخاذ لغة اصلية كافية لحاجاتنا وافية برغائبنا نجعلها لغة الدولة العثمانية . ولا ارى بل لا اخال اري ان هنالك لغة في لغات العالم كلهِ تقوم مقام اللغة العربية . ألا يا حسنها من لغة . ما شاء الاديب قول جزل واسلوب هو السحر والفاظ عذاب . ولو لم يجن عليها اهلها ويهمل امرها منذ مئات من السنين لنالت الكمال

وانما اوثر اللغة العربية على غيرها لاشياء وفرت فيها واختصت فهي لغة تقبل الايجاز الى حد لا تسابقها اليهِ لغة اخرى وفائدة ذلك هو الاقتصاد في الوقت وفي الدراهم وكلاهما نقد . وان رسالة تركية يبالغ الكاتب في الايجاز فيها يبلغ عدد كلماتها المائة يمكن ان تكتب بالعربية بخمسين . فاذا كانت الرسالتان برقيتين وكان ثمن الكلمة الواحدة قرشين ربح صاحب الرسالة العربية مائة قرش واغتنم فرصة هي قصر الوقت الذي استغرقهُ تحرير رسالتهِ وبات اشد ثقة من صحة بيانهِ واصابة الغرض .

واللغة التركية مستمدة ادبها وثلاثة ارباع كلماتها من اللغة العربية واللغة العربية لم تستمد من اللغات الاخرى الاَّ ما يقل عن العشرة في الالف . واكثر ادباء الترك يعرفون قواعد العربية وان لم يتمكنوا من فهم الكلام العربي والوقوف على دقائقهِ . فتعلم اللغة العربية اقرب الى التركي من تعلم اللغة التركية الى العربي . واذ كانت المصطلحات العلمية على اختلاف انواعها مأخوذة من اللغة العربية يتبين للمنصف مقدار الرجحان بين اللغتين

بقي علينا ان ننظر في امكان العمل بهذا . رأيي اتخاذ اللغة العربية لغة للدولة العثمانية . ولقد يخال اكثر الناس ذلك صعباً وربما ظنهُ محالاً . وهو في اعتقادي اسهل مما يظن . ما على الحكومة الا ان تعلن نيتها وتبين عن عزيمتها فتبدأ بجعل تعلم العربية اضطرارياً في جميع مدارسها وتنشئ مدارس ليلية لهذا الغرض يذهب اليها المأمورون فلا تمضي عشرات من السنين الاَّ وقد حصل المقصود ونيل المرام

وفي كتب اللغة العربية الجديدة اساليب هي من السهولة بمكان وكما قدمنا في اول هذه النبذة اختيار العربية لغة للحكومة لا يقتضي اهمال التركية ولا غيرها . هذا ما اراهُ وربما عدت الى مقال يكون اوسع مجالاً فلينتظرهُ قراءُ المقتطف الكرام ولي الدين يكن

منشور يصلح النفوس

حضرة الفاضلين العالمين صاحبي المقتطف الاغر

كنت اقرأ مقتطف شهر يوليو الجاري فاطلعت على جانب من «مقدمة بحثٍ على مذهب دارون» لحضرة العالم الحر الدكتور شبلي شميل وقبل آخره بقليل استوقفت نظري عبارة ان لم تكن هذه اول مرة سمعت مثلها ولو بالفاظ مختلفة ولكنها اتت في وقت خصوصي فاستلفتتني استلفاتاً خصوصياً وها كم اياها «فاذا كان للاقليم وسائر نواميس المطابقة والانتخاب الطبيعي والوراثة شأن عظيم في تكييف الاعضاء الحية واثر لا يمحى الاَّ في الاجيال المتطاولة اذا تغيرت الاحوال فللتربية والتعليم والعادات والاعتقادات وكل ما يؤثر في الاخلاق (وانا ازيد على ذلك وخصوصاً الاديان) اثر في العقول ايضاً لا يزول الاَّ بمثل تلك الصعوبة الخ»

استوقفت هذه العبارة فكري فذكرتني المنشور الذي تحدثت بهِ التلغرافات والجرائد اخيراً وهو الذي كلف الصدر الاعظم سماحة شيخ الاسلام باصدارهِ لجميع انحاء السلطنة يبرهن فيهِ بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية مساواة المسيحيين باخوانهم المسلمين

تغنت اكثر الجرائد بفوائد هذا المنشور العظيم حتى يكاد قارئها يتخيل المسلمين والمسيحيين العثمانيين متعانقين نادمين على ما سبق من الاضطهاد والفظائع ناسين كل ثار ضاربين صفحاً عن الاحقاد . اما انا وليتني مخطئاً في ظني فقد امعنت النظر طويلاً واجهدت عقلي لكي يثبت لي حقيقة تلك الفوائد فرأيتني كلما ازددت تنقيباً وتدقيقاً بعدت تلك الفوائد عني حتى كدت احسبها سراباً

قلت في نفسي ان كان منشور من الحكومة يقوّم نفوساً عوجتها قرون ويصلح اخلاقاً

تعفنت واستعصى فيها الفساد فهو كالادوية التي تنشر عنها اعلانات في الجرائد بانها « تشفي من جميع الامراض في مسافة عشرين يوماً »

وقد كنت اود ان ادع هذه الحادثة تمر كما مر عليَّ غيرها دون ان اكتب عنها للجمهور لانني نظراً للشباب ارى اني قليل الاطلاع والاختبار ومن انا بازاء كتابنا الفطاحل ولكن كذا نزق الشباب فاعذروهُ وها كم كلمتي ان رأيتم في نشرها اي فائدة عمومية فانشروها والاَّ فاضربوا بها عرض الحائط ولا بأس من ذلك فمن السقطات المتوالية يتعود مخيخ الطفل على وزن حركات اعصابهِ وتنظيمها الى ان يصير بعد قليل قادراً على المشي وحدهُ

لدى حكومتنا العثمانية مهمتان احداهما دائمة وينظر فيها الى المستقبل البعيد واخرى موقتة وينظر فيها الى الحاضر والمستقبل القريب . الاولى اعداد امة عثمانية جديدة حية راقية . والثانية اصلاح الجيل الحاضر من الامة بقدر الامكان اتقاء لشرهِ وخوفاً من سقوطهِ سقطة قد يكون من ورائها الدمار فلا تنال حاضراً ولا مستقبلاً

اما الاساس المتين الذي تقوم عليهِ الامم وتنمو وتعيش فهو العلم الصحيح العلم الذي ينير الاذهان ويمنع تطرق الخرافات والخزعبلات اليها ويقيها من التعصبات الدينية الذميمة التي اودت بامم كثيرة وخربت مدناً وممالك باكملها واخرت المدنية اجيالاً

فالوقت والتعليم كفيلان باعداد امة المستقبل وما على الحكومة العثمانية الا ان تعمل بثبات لنشر العلم الصحيح بين جميع افراد الامة ثم تنتظر فقد لا يرى ثمرة اتعاب الصدر الاعظم وباقي ابطال الامة الاَّ احفادهم او احفاد احفادهم ولا اظن ان المنشور يرمي لهذا الغرض فهو بعيد عنهُ بمراحل

اما اصلاح الفاسد من الجيل الحاضر وهو على ظني المقصود بهذا المنشور فهو الامر الصعب او المستحيل . نفوس استأصل فيها الجهل واستعصى الفساد ليس من السهل اصلاحها فعلى عيون تلك الفئة المقصودة غشاء سميك من الاحقاد والتعصب الذميم لا يقشعهُ عنها منشور ولا مناشير

رجل اختلط دمهُ بكراهة كل طائفة غير طائفتهِ فورثها عن والديهِ ورضعها مع اللبن من ثديي امهِ ثم سمعها مع اول لفظة منها ورآها في عشرائهِ وهو صبي وشاب وكهل وزادهُ منها ما لقيهُ منها عند الطوائف الاخرى غرسها الجهل وقواها الاحتكاك وانماها الظلم وفساد الاحكام رجل مثل هذا لا يرجى اصلاحهُ بمنشور . لا يرجى ان يمحى من ذهنهِ ما رسخ فيهِ من الاعتقادات الباطلة . لا يرجى ان منشوراً ينزلهُ من مركزهِ الذي صورهُ لهُ الجهل والخيال

بانهُ عالٍ علوًّا شاهقًا عن مركز الطوائف الاخرى ليساوي تلك الطوائف التي تعود على اذلالها واحتقارها وهو معذور في ذلك لانهُ لا يمكنهُ ان يتغلب على الطبيعة

ولكن هل بسبب ذلك تترك تلك الفئة الحاضرة على حالها وتيأس الحكومة من اصلاحها. كلا فما لا يدرك كلهُ قد يدرك بعضهُ انما لتبدإ الحكومة بالاعمال لا بالاقوال فالقول قد يقنع العاقل اما الجاهل فلا يقنعهُ الا العمل وقد لا يقتنع فيجب ان يضغط عليهِ ليطيع . لتبدإ الحكومة بالعمل لتنشر العدل والمساواة بين جميع الطبقات فتنتخب ولاة ومأمورين عقلاء وتلاحظهم ملاحظة شديدة ولتضغط على المشايخ والقضاة والمعلمين والمفتشين والقسوس ايضًا بيد من حديد ان لم يمكنها ان تقنعهم (واقناعهم اقرب الى المستحيل) ليعملوا على نشر المحبة والمساواة بين الجميع والضغط في مثل هذه الاحوال انيد من اطلاق الحرية التامة لان ضغط الحاكم العاقل اسلم عاقبة بكثير من ترك الحرية المطلقة لاناس لا يفقهون معناها واليكم تاريخ بطرس الاكبر وتقدم الروسيا وغيرها من الممالك اكبر شاهد . ثم لا بأس بعد ذلك كلهِ باصدار مثل هذا المنشور واتباعهِ بعشرات مثلهُ بل بمئات والوف وتكليف من يظن انهم متعلمون وانهم هم قادة الافكار في بلادهم كالمشايخ والمعلمين والقسوس باذاعتها بين العامة في الجوامع والكنائس والمدارس فربما ادى ذلك الى فائدة وقتية وان كان لا يمكن اصلاح الماضي كلهِ فقد يصلح او على الاقل يوقف الشر عند الحد الذي وصل اليهِ فلا يتفاقم الى ان يزول الجيل الفاسد ويأتي غيرهُ

ولكنني اكرر ان واسطة الضغط في الاحوال الحاضرة اقرب الى الفائدة من واسطة التعاليم المجردة لان التسلط على الاجسام لاسهل من التسلط على العقول

قد وجدنا الطبيب الماهر في شخص فطاحل الرجال كعطوفة الصدر الاعظم وسماحة شيخ الاسلام والفئة الصغيرة التي مثلها ولكن اين الممرض الماهر اين من يفهم اوامرهم وينفذها بغيرة ونشاط واين من ينتفع بها وقد استفحل فيهِ الداء

ان مهمة رجال الحكومة العثمانية الحاضرة في اصلاح الفاسدين لمن اصعب المهام فانها تستلزم عملاً دائمًا وثباتًا مستمرًا وصبرًا وتؤدة ومداواة الحاضر بالحاضر . فالداء الواحد قد تختلف ادواؤهُ باختلاف الاحوال والزمان وقد يكون السم دواء نافعًا

هذا قولي اذا كان الغرض الوحيد من هذا المنشور الاصلاح الداخلي اما اذا كان الغرض منهُ ايضًا افهام اوربا والعالم المسيحي عمومًا حسن نيات رجال الحكومة الاجلاء واطراحهم الاحقاد الدينية جانبًا فنعم ما فعلوا

اديب شاهين بالمالية

لايعلم الغيب الاَّ الله

حضرات منشئي المقتطف الفاضلين

لا يخفى على من لهُ المام بالعلوم الطبيعية وخصوصاً علم الفلك . ان نجوم السماء اراضٍ بعضها اكبر من الكرة الارضية بالوف من المرات وهي مؤلفة مثل ارضنا من عناصر بعضها غاز مثل الاوكسجين وبعضها سائل مثل الزيبق وبعضها جامد مثل الذهب والفضة . وليس لهذه النجوم او الكواكب في الحقيقة ارتباط ولا تعلق بالحوادث الواقعة على الكرة الارضية التي تحصل لبعض الملوك والوزراء والامراء والحكام واصحاب الجرائد وغيرهم

ويقول علماء الفلك الحقيقيون ان علم الفلك لا دخل لهُ في معرفة علم الغيب وان خمسة لا يعلمهم نبيّ مرسل ولا ملك مقرب كما جاء في القرآن الشريف « ان الله عندهُ علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي ارض تموت » .

ويقول الفلكيون ايضاً ان الانباء بحدوث الخسوف والكسوف في المستقبل هو بطريقة حسابية وهندسية مقررة في علم الفلك . كذلك الانباء بمواليد الاهلة ومعرفة اوائل الشهور العربية وغيرها من الظواهر الفلكية . ولا يدعي الفلكي بمعرفة ما يحدث للدولة العلية او لغيرها من الدول . او ما يحدث للحجاج في الحجاز في هذا العام بل لا يعلم الفلكي ماذا يكون وقت سعدهِ او نحسهِ في ايام معلومة قبل حلولها

هذا الشيخ محمود محمد الفلكي صاحب مجلة طوالع الملوك مع ادعائهِ بانهُ حاز قصب السبق في معرفة المستحيل من العلوم الغيبية لم يذكر في تقويمهِ (الاسرار الخفية) خسوف القمر الكلي الواقع ليلة الجمعة ١٥ جمادي الاولى (٤ يونيه الماضي) ولعلهُ اعتقد ان الانباء بحوادث الهند والفرس تروج مبيع تقويمهِ اكثر من الانباء بحوادث الخسوف والكسوف

وهذا الشيخ احمد موسى الزرقاوي نشر كتاباً اسمهُ حديث الزرقاوي او ليلة في الفلك اثبت فيهِ ان الكرة الارضية ثابتة وغير متحركة وان النجوم ومنها الكواكب السيارة تدور حول الارض كما قال القزويني والفخر الرازي وغيرهما من القدماء . وجاء الزرقاوي باعجب من ذلك حيث قال ان من اراد ان يشتغل بالبورصة بافكارهِ فهو يخبرهُ بما يحدث في المستقبل من معرفة اثمان القطن والقمح وغيرهِ

ان الله عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الاَّ هو . فان كان الزرقاوي وصاحب مجلة طوالع

الملوك وغيرهم يمكنهم نفع غيرهم بمعارفهم الفلكية التي بها يتوصلون لمعرفة المستقبل حقيقة فلماذا لا يعرضون معلوماتهم على كبار الرجال من موظفي الحكومة المصرية او على اصحاب البنوك والسماسرة وغيرهم ممن يهمهم حسن الاحوال في المستقبل لماذا لا يشتري الزرقاوي وصاحب مجلة طوالع الملوك وغيرهم من اوراق النمر التي تربح من اوراق اليانصيب المتداولة للجمعيات الخيرية في مصر واسكندرية

الامر المستغرب زعم هؤلاء ان علومهم بالمستقبل مقتبسة كلها من معرفة مواقع النجوم واقتران الكواكب وحلولها في البروج الاثني عشر وهذا كلهُ متعلق بمعرفة علم الفلك . وعلم الفلك ومعلموهُ ومتعلموهُ يتبرأُون من اقوالهم كلها

الاسكندرية احمد السيد

صور الاشياء

حضرات الدكاترة اصحاب المقتطف الاغر

ان صور الاشياء ثابتة في الخارج — وليس في العين نور طبيعي لم يصلها من الخارج

اثبات القضية الاولى — قال حضرة جميل افندي صدقي الزهاوي في بحثهِ المدرج بعدد يوليو سنة ١٩٠٩ من المقتطف ما نصهُ

والحق ان الاشياء الخارجية ليست لها صورة في الخارج تنطبق على الصورة التي ترسمها اذهاننا بل ليس في الوجود الأ هذه الصورة التي تنشأ في دماغنا واذ كان سببها ذلك المرئي الموجود في الخارج قلنا انها هي الصورة الخارجية . اه . ولننقض ما ابرمهُ حضرتهُ فنقول : ينبني على عبارتهِ ان صور الاشياء في العين ايضاً غير ثابتة بل غير موجودة بالمرة لانهُ اذا انتفى السبب وهو الصور الخارجية انتفى معهُ المسبب وهو الصور التي ترتسم على الشبكية والواقع بخلاف ذلك . وقد استدلَّ على دعواهُ بما لا يثبتها وهو اننا لا نحس من المادة الأ بقواها كاللون واللمس والطعم والرائحة وكلها اهتزازات في الاعصاب . وذكر اننا نرفع بأيدينا جسماً فنحس بالثقل والثقل اثر الجاذبية وهي قوة ونمد اصبعنا مثلاً الى جسم فيمانعها الجسم وذلك اثر الدافعة وهي قوة انتهى باختصار

ولنضرب صفحاً عن الطعم والرائحة والثقل لانها لا دخل لها في تكوين صورة الجسم ولنبحث معهُ في لون الجسم وحجمهِ ونثبت انهما يمثلان لهُ صورة ثابتة في الخارج ما داما ثابتين ولنبدأ

باللون نقول : من المعلوم عند علماء الطبيعة ان الجسم الابيض يعكس جميع الالوان السبعة التي يتألف منها الطيف الشمسي بدليل رؤية القرص الملون بخطوط متجاورة تمثل الالوان السبعة ابيض امام العين عند ادارتهِ بسرعة · والاسود يمتص الاشعة كلها فالسواد عدم اللون والازرق مثلاً يمتص جميع الاشعة ماعدا اللون الازرق فيعكسهُ وهكذا · ألم يكن ذلك كافياً لثبوت صورة الجسم الخارجية ما دام لونهُ ثابتاً ؟ ولننتقل الى الحجم فنقول : قد بيّن علماء الطبيعة ان من خواص الجسم كونهُ غير قابل للتداخل لانهُ يعرف بذراتهِ والذرة الواحدة لا تقبل الانكماش وانما تغيرُ شكل الجسم المكون من جملة ذرات ناشيء من تقارب ذراتهِ او تباعدها وتسمى الاولى قوة الجذب والثانية قوة التنافر · فاذا كان متمتعاً بقوة الجذب بين ذراتهِ صار صلباً كالحجر والحديد والثلج · فاذا تنافرت ذراتهُ بسبب الحرارة صار سائلاً فاذا اشتدت الحرارة صار غازياً كالبخار · اذن فالجسم لهُ صورة ثابتة في وقت معين وهو زمن رؤيتهِ في حالة من هذه الحالات الثلاث · والذي يرتسم على الشبكية ويراهُ الانسان هو صورة الجسم المطابقة لصورتهِ في الخارج ولو لم تكن لهُ صورة معينة في الخارج لما تميز بعض الصور في نظر الانسان من بعض بل لما وجدت بالمرة كما اسلفناهُ · واذا قال جنابهُ ان العين ليست شاهداً عدلاً قلنا لنا شاهد عدل آخر وهو آلة الرسم (الفوتوغرافيا) التي لا تتأثر بالمؤثرات فتكون صورة طبق الاصل فثبت المطلوب

اثبات القضية الثانية — ذكر صاحب المقالة ان في العين نوراً ليس اصلهُ من الخارج بل هو من الدماغ حيث قال : ونعود الى النور الذي يظهر اثرهُ في الدماغ فنقول : اما النور الذي يرد من المرئيات فقد تكلم عنهُ الكثير من الفلاسفة ووفوهُ حقهُ من التنقيب · ولكن هناك انوار يحس بها الانسان بعد ان يقطع بالاغماض ارتباطهُ بالخارج او من غير ان يكون لهُ مصدر في الخارج البتة اظن ان فلاسفة العصر لم يوفوهُ حقهُ من البحث اهـ · والذي اراهُ انهُ هو النور الذي يرد من المرئيات يستعمل لانارة الصور عند اغماض العين بعد انطباعها على الشبكية او عند النوم في حالة الرؤيا او تبرز هذا النور في الظلمة لانارة الاشباح كعيون السنانير · أما ترى ان بعض الحيوانات تبقى مطبقة العينين بعد الولادة بضعة ايام لا تبصر كالكلاب والسنانير · فتمثيل حضرتهِ لهذا النور بما يظهر في عين الهر ونحوهِ في الظلمة لا يثبت المطلوب : لانهُ لو كان هذا النور في عينهِ من الاصل لما ولد مقفل العينين لا يبصر في النور ولا في الظلمة · اما وقد شوهد ان الضوء الخارجي هو الذي يفتح عينيهِ ويملأُهما نوراً كما يفتح ضوء الشمس عيون النرجس فلا مناص لنا من الحكم بان النور وصل الى عينيهِ من الخارج ·

ولو كانت عين الانسان بها نور طبيعي لرأى الانسان في الظلمة بهذا النور ولما احتاج الى ضوء من الخارج فلم يبقَ مجال للشك في ان النور بجميع انواعهِ تكتسبهُ الاعين من اضواء هذا الكون كما يكتسب القمر النور من الشمس ويرسلهُ الينا لنهتدي بهِ في ظلمات البر والبحر

محمد علي الدسوقي

مدرس عربي بمدرسة بنها الاميرية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نقص في مدارس البنات

يجب اصلاحهُ

ولم ارَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

احتدم الجدال منذ ايام في مجلس شورى الامة على تعليم البنات الاميرية فاختلفوا رأياً في امر ديني يرى كثيرون من العقلاء وجوب التساهل فيهِ ولكن فاتهم البحث في امر هو اولى الامور بالاهتمام بل هو النقص العظيم الذي تحتاج مدارس البنات في هذا القطر الى تلافيهِ سواء كانت اميرية او اهلية ويظهر هذا النقص لاول وهلة انهُ قليل الاهمية ولكن متى اتضح للقارئ الكريم انهُ هو السر في ارتقاء امة باسرها عقلاً وصحة جسم واقداماً علم اهميتهُ وشدة الحاجة اليهِ

لم تبلغ الدولة الرومانية اوج العزة والمنعة والسلطان الا بجنودها الباسلة القوية الاجسام ولكن هذه الجنود لم تحرز هاتين الصفتين العظيمتين الاَّ بعد ما تنبه الرومان لامر من الاهمية بمكان الا وهو ادخال فن الرياضة البدنية الى كل مدارس البنات والى حلقات كنَّ يجتمعنَ فيها حتى قيل انهم كانوا يعتنون بترويض ابدانهنَّ اكثر من عنايتهم بترويض عقولهنَّ فانجبن تلك الامة التي خلد التاريخ مجدها وعظم بين الامم التي كانت معاصرة لها جلالها وقدرها

فكل امة في العالم في افتقار ماس ليس الى تهذيب فتاتها وتثقيفها بالعلوم فقط بل الى تقوية جسمها وجعلهِ قادراً ان يتغلب على الامراض لان لهذا الجسم القوى السليم نفعاً عظيماً في مستقبل تلك الامة ولاسيما اذا بقيت هذه الرياضة البدنية متبعة في اجيالها

كثيراً ماينبئنا البرق وتنقل الينا صحف الغرب ما يفعلهُ النساء اللواتي يطالبن حكومة انكلترا وغيرها بحقوق يدعينَ بها زاعمات انهن قادرات على ادارة المهام كالرجال وان الرجال لا يرجحون عليهنَّ عقلاً ولا يزيدن عنهنَّ همة . فهذه الجرأة وتلك القوة لم يكتسبنهما الا بتلك الرياضة البدنية التي تعودنها والنشاط الذي انحدر اليهنَّ بسببها

عرفت الدول الاوربية والولايات المتحدة منافع تلك الرياضة الجلى فادخلتها الى مدارس البنات وعينت لها الجوائز كما هي الحال في مدارس الصبيان هنا . ولكن هذه الرياضة ليست على مثال واحد فما ينفع منها فتاةً قد لا ينفع فتاة اخرى بسبب مزاجها فلهذا عينت معلّمين ومعلمات خبيرات بها فينتقين لهن الالعاب التي توافق امزجتهن ويرتحن اليها والملابس التي تلائمهن في اثناء اللعب . ولا يكتفين بذلك بل يعلمونهن تدبير المنزل ايضاً ويعدونهُ من اجمل فنون الرياضة وانفعها

حدثت سيدة انكليزية مشهورة في عالم الكتابة قالت : رأيت سيدة انكليزية تدلُّ ملابسها الفاخرة وحلاها العظيمة القيمة على انها من المثريات فلم يعجبني منها الا ظهور علامات الصحة على محياها الجميل . فسألت بعض معارفها عنها فقالوا ان ما ترينهُ من امارات الصحة عليها سببهُ الرياضة التي تداوم استعمالها في منزلها . فسعيت جهدي حتى تعرفت بها وسألتها عن انواع الرياضة البدنية التي تستعملها في منزلها وكنت اتوقع انها تذكر لي اسماء ادوات لعب جديدة اخترعت حديثاً ولكنني دهشت وعجبت لما قالت ان رياضتها لا تتعدى تدبير منزلها وجعلت تقص عليَّ ما تعملهُ قالت ! ان مسح المائدة رياضة جيدة فانها تقوي الذراعين وتزيد التنفس فتنفع الصدر . ومسح الارض بالماء لا تفوقهُ رياضة نفعاً للجسم وكذلك الكنس ونفض الغبار عن الامتعة . فعملي هذا فضلاً عن انهُ يكسبني صحة وعافية فانهُ يشرح صدري لانني ارى كل شيء نظيفاً ومرتباً في محلهِ وعند ما امسح ارض المطبخ اشعر حقيقة بانني ربة منزل سعيدة . واذا قرع باب المنزل وانا امسح الارض بادرت فوضعت مئزراً وقابلت الضيف معتذرة . الى ان قالت ولا انكر عليكِ ان عندي خدماً ولكنني تعودت هذه الرياضة لما كنت اتعلم في المدرسة فاسر بها كثيراً

فهل يرضى آباء البنات وامهاتهن في هذا القطر ان تتعلم بناتهن في مدارسهِ تدبير المنزل

حتى اذا صرن زوجات عملن بايديهم كما عملت تلك السيدة الفاضلة ؟ ·

رأينا في القطر في السنوات الاربع الاخيرة نهضة حقيقية الى تعليم البنات ولكن هذه النهضة لا يزال ينقصها ادخال فن الرياضة الى المدارس التي انشئت لهن و ينقصها ايضاً فن تدبير المنزل وكلاهما من الاهمية بمكان · ان الارض التي تلقي فيها بذوراً صالحة لا تخرج نباتها فينمو ويزهو الا اذا كانت جيدة التربة تلفحها الشمس ويمرّ بها الهواء الذي يروض البنات فيمد جذوره في الارض · وحيوان البرية اذا حبس في قفص ليدجن وهن جسمهُ وضعف قوتهُ لانهُ معتاد الرياضة في الحراج والغابات · فالرياضة واجبة للفتاة وجوبها للفتى وللحيوان الاعجم والنبات . فلماذا نهمل الاعتناء بها في مدارس بناتنا واين نحن من الغربيين الذين نروم الاقتداء بهم في امورنا

يزايل هذا القطر في كل عام مئات بل الوف من اهلهِ الى البلدان الاوربية وبينهم الشبان الذين استنارت عقولهم بنور العرفان و يعودون الينا وقد تشبهوا بالقوم في بعض عاداتهم من مستحسن ومستهجن ولكننا لم نرَ واحداً منهم كتب لنفع امتهِ منبهاً اياها الى وجوب ادخال فن الرياضة الى مدارس بناتنا لنقول انهُ عرف سرًّا من اعظم الاسرار في ارتقاء الغرب · فمن لي يبلغ صوتي هذا اليهم ليتحققوا صحتهُ ويعودوا الينا وفي صدورهم نهضة جديدة وهمة ماضية تلجئهم الى حث سراة امتهم عليهِ ودعوتهم اليهِ

ومما لا مشاحة فيهِ ان شبان هذا القطر المتعلمين الذين هم آخذون في الازدياد عاماً بعد عام يسعى الواحد منهم جهدهُ لكي يتزوج بابنة متعلمة مهذبة الاخلاق فاذا بقيت مدارس بناتنا محرومة ادخال فن الرياضة اليها كانت العاقبة ولا شك ضعف النسل في الطبقة الراقية من اهله ولكن ذلك لا يظهر في الحال بل يستغرق ظهورهُ عدة سنين

فعلى نظارة المعارف التنبه لهذا النقص وعلى الاباء والامهات ان يطلبوا منها تلافيهُ كما تلافتهُ في مدارس الصبيان

اما فن تدبير المنزل فالواجب على الاباء والامهات اطراح الصلف والخيلاء جانباً واجماعهم على وجوب ادخاله الى مدارس البنات ليجني الابنة نفعهُ متى صارت ربة منزل فان لم تطبخ بيدها كانت خبيرة باعداد الطعام فتساعد الطباخ او تراقبهُ وان لم تمسح ارض مطبخها بيدها فربما جاءها يوم عصيب تنظر فيهِ الى مسحهِ · وقس على ذلك سائر الاعمال المنزلية · على ان خير امرأة مدبرة هي التي تدبر شؤُون منزلها بيدها والسلام

رحمه صروف

الجنين في شهور الحمل

يبتدئ جنين الانسان بجرثومة صغيرة لا ترى بالعين لصغرها ثم يكبر رويداً رويداً ولكنهُ لا يبلغ حجماً يرى فيهِ الاّ اذا اتمّ اسبوعين من عمرهِ . ومتى بلغ عمرهُ ثلاثة اسابيع صار حجمهُ مثل حجم النملة وظهرت فيهِ مبادئ الحبل الشوكي (سلسلة الظهر) والقلب والدماغ . ومتى بلغ عمرهُ اربعة اسابيع صار مثل ذبابة الخيل في حجمهِ ويكون شكلهُ حينئذٍ مثل دودة معقوفة فاذا بُسط بلغ طولهُ نصف عقدة ويكون رأسهُ اكبر من سائر بدنهِ وتظهر فيهِ آثار عينيهِ . وفي الاسبوع الحادي عشر تظهر آثار اضلاعهِ على صدرهِ وظهرهِ ويتكوّن قلبهُ ويكبر دماغهُ وتنبت يداهُ ورجلاهُ ويصير طولهُ نحو سنتيمترين ولا يمكن تمييز الذكر من الانثى حينئذٍ

وحينما يصير عمرهُ شهرين يبقى التمييز بين الذكر والانثى صعباً وتكبر عيناهُ ولكن لا تكون اجفانهما ويظهر منخراهُ ولكنهُ يكون من غير انف بارز وتظهر فتحة فمهِ جيداً ويكون رأسهُ اكثر من ثلث جسمهِ كلهِ

وفي آخر الشهر الثالث تتضح اجفان عينيهِ ولكنها تكون مطبوقة وتظهر جبهتهُ ويظهر انفهُ ويمكن حينئذٍ التمييز بين الذكر والانثى ويصير قلبهُ يضرب بقوة وتبتدئ الدورة الدموية وتبتدئ عضلاتهُ في التكوُّن وتظهر اصابع يديهِ ورجليهِ ويصير طولهُ ١٢ سنتمتراً وثقلهُ ٢٥ درهماً الى خمسين

وفي الشهر الرابع تبتدئ اعضاؤهُ في الحركة فتشعر امهُ بذلك وهذا هو ارتكاض الجنين ويصير طولهُ من ١٥ سنتيمتراً الى ٢٠ وثقلهُ من ٨٠ درهماً الى ٩٠

وفي الشهر السادس يظهر الشعر في رأسهِ وحاجبيهِ وتظهر رموش عينيهِ ويبلغ طولهُ من ٢٥ الى ٣٠ سنتيمتراً وثقلهُ نحو ١٤٠ درهماً

وفي الشهر السابع يتم بناء عظامهِ تقريباً ويكبر حجمهُ واذا ولد حينئذٍ فيمكن ان يعيش ولا يعيش اذا ولد قبلما يتم الشهر السابع الاّ اذا استعملت لهُ وسائل غير عادية تمنع اختلاف الحرارة عليهِ . ومن الشهر السابع الى حين الولادة يزيد نموهُ وتزيد قوتهُ حتى يصير قادراً على احتمال تغيرات الهواء اذا خرج اليهِ . ولا صحة ما يقال من ان ابن الشهر السابع اسلم من ابن الشهر الثامن والصحيح ان ابن الشهر الثامن اسلم لانهُ اكمل بناء وتأهباً للحياة . واذا اكثرت الحبلى من الاكل فقد يسمن جنينها جداً وتجد مشقة كبيرة وألماً شديداً في ولادتهِ

وصايا صحية

اذا اكثرت الطعام لسببٍ من الاسباب فتعبت منهُ فارحْ معدتك وامعاءك يوماً او يومين بتقليل الطعام جدًّا فيزول التعب وتعود اليك صحتك

اذا شعرت ببداءة الزكام فاذهب الى سريرك حالاً واسترحْ فيهِ محافظاً على الدفء واكتفِ بالطعام القليل المغذي فتسلم من الزكام قبل حدوثهِ او قبل تمكنهِ منك

اذا كنت قصير القامة واردت ان تطيل قامتك قليلاً سنتمتراً او سنتيمترين فروض جسمك يوماً بعد يوم بالتعلق بشيء مرتفع او باسلوب آخر يمط الجسم مطًّا من غير ان يخلع منفصلاً منهُ فانك اذا واظبت على ذلك طال جسمك قليلاً

اذا ظهرت في وجهك نقط سوداء فاصلح طعامك اي قلّلْ من الطعام المدهن الدسم واكتفِ بالطعام البسيط المغذي واستحمَّ كل يوم بحمام حار يفتح مسام جسمك وينظفها . ولا بدَّ لك من غسل وجهك بماء فاتر كل ليلة قبلما تنام بعد ان تذيب فيهِ قليلاً من البورق ملعقةً صغيرة في طست الماء وافركه جيداً حتى ينظف وتجري الدورة الدموية فيهِ واستعمل الصابون الجيد . والغالب ان هذه الواسطة تزيل النقط السوداء ما لم تكن كبيرة جدًّا

اذا كنت نحيف الجسم واردت ان تسمن ولو قليلاً فاشرب كثيراً من اللبن كل يوم مصَّهُ مصًّا ولا تكرعهُ كرعًا فانك اذا مصصتهُ امتزج بلعابك وسهل هضمهُ . واكثرْ في طعامك من الارز واللوبياء والفول والحمص والزبدة واللحم المدهن والعنب والتين والزبيب والجوز واللوز والتمر والبيض والسكر فان هذه الاطعمة تزيد السمن ولكن لا تكثر منها كثيراً حتى يصيبك منها سوء هضم

واذا كنت سمينًا واردت ان تنحف قليلاً او يعتدل جسمك فاعصر ليمونة حامضة في كاس من الماء الفاتر واشربه في الصباح قبل الطعام فاذا فعلت ذلك يومًا بعد يوم قلَّ سمنك بعض الشيء ولاسيما اذا قللت طعامك

اذا اكثر النساء من المشي السريع يوميًّا الى حد التعب زال اكثر ما يشكين منهُ من السامة والضجر

وقاية العين

ان كنت تقرأ او تكتب او تخيط او تعمل عملاً آخر دقيقًا فاجلس بحيث يأتي النور من ورائك لا من امامك فان ذلك حفظ لعينيك واقل اجهاداً لها

لا تفرك عينيك في الصباح بل اغسلها بماء بارد او فاتر واذا وجدتهما لاصقتين بالعماص من زكام او ضعف فيهما فادهن اجفانهما في المساء بقليل من الفاسلين واغسلها في الصباح باللبن الممزوج بالماء وليكن الغسل تنطيلاً

اضرُّ شيء بالعينين طول السهر والقراءة على نور ضعيف فاذا تعبتا من ذلك فاغمضهما واتركهما مغمضتين بضع دقائق فتستريحا ولكن اذا تكرَّر اجهادهما على نور ضعيف اصابهما ضرر دائم

القراءة في سكة الحديد والقطر سائر تتعب البصر فاذا كانت عيناك ضعيفتان فلا تقرأ في القطر

اذا وقعت قذى في عينك فلا تفركها بل اغمضها وانفخ انفك مراراً كمن يريد ان يمخط واذا كانت القذى منظورة فيسهل نزعها بطرف منديل ولكن اذا كانت من الحديد ونحوهِ عسر نزعها فلا بد من الالتجاء الى الطبيب . واذا نزعت القذى وبقيت العين محمرة مألومة منها فاقطر فيها نقطتين من زيت الزيتون النقي واتركها حتى يزول الاحمرار منها

يصيب العين لطمة احياناً فيحمر جفناها و يزرقان وقد يسودان و يزول ذلك بوضع قطعة من اللحم النيء عليها او بدهن الجفنين وما حولها بالزبدة وتجدد الزبدة كل عشر دقائق

باب الزراعة

محصول القطن وسعرهُ

ورد التقرير الاميركي الشهري في الثاني من يوليو مقدراً حالة القطن الاميركي ٧٤ و ٦ اعشار اي انهُ يعادل نحو ثلاثة ارباع ما لو كان تام النمو والخصب . وقد كانت درجتهُ في اول يونيو ٨١ وعشر اي اصابهُ في غضون يونيو ما اضرَّ بهِ وقلَّل نموهُ نحو ستة ونصفاً في المئة . وقد كان في اول يوليو من العام الماضي ٨١ وعشرين . وحالما ظهر هذا التقرير ارتفعت اسعار القطن في اميركا وانكلترا وارتفعت ايضاً في القطن المصري مجاراةً لها ولا تزال الاسعار تتراوح بين الصعود والهبوط ولكنها لم تهبط عن الدرجة التي بلغتها اولاً دلالة على ان تجار القطن يعتقدون ان الموسم الاميركي صغير لا يزيد على ١٢ مليون بالة وان الاسعار التي بلغها

القطن الآن لا يهبط عنها · وهاك جدولاً ذكرت فيه حالة المواسم الاميركية الماضية من سنة ١٨٨٨ الى الآن وعدد الافدنة التي كانت تزرع كل سنة ومقدار الموسم بالبالات الاميركية وحالة القطن في اوال يونيو ويوليو واغسطس وسبتمبر واكتوبر من كل سنة

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المحصول	المساحة
١٩٠٩	٨١ ١	٧٤ ٦					٣١٩١٨٠٠٠
١٩٠٨	٧٩ ٧	٨١ ٢	٨٣ .	٧٦ ١	٦٩ ٧		٣٣٣٧٠٠٠٠
١٩٠٧	٧٠ ٥	٧٢ .	٧٥ .	٧٢-٧	٦٧ ٧	١١٥٧١٩٦٦	٣٢٠٦٦٠٠٠
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٢ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	١٣٥١٠٩٨٢	٢٨٦٨٦٠٠٠
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ .	٧٤ ٩	٧٢ ١	٧١ ٢	١١٣٤٥٩٨٨	٢٧٠٠٠٠٠٠
١٩٠٤	٨٣ .	٨٨ .	٩١ ٤	٨٤ ١	٧٥ ٨	١٣٥٦٥٨٨٥	٣٠٠٥٣٢٠
٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	١٠٠١١٠٠٠	٢٨٩٠٧٠٠٠
١٩ ٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ .	٥٨ ٣	١ ٧٣٨٠٠٠	٢٧٨٧٨٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	١٠٦٨١٠٠٠	٢٧٦٣٤٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ .	٦٨ ٢	٦٧ .	١٠٣٨٣ ٠٠	٢٥٤٢١٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ .	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٠٩٤٣٦٠٠٠	٢٤٢٧٥٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ .	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	١١٢٧٥ ٠٠	٢٤٩٦٧٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ .	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ .	١١٢٠٠٠٠٠	٢٤٣٢ ٠٠٠
١٨٩٦	٩٧ ٢	٩٢ ٥	٨٠ ١	٦٤ ٢	٦٠ ٧	٨٧٥٨ ٠	٢٣٤٤٥٠٠٠
١٨٩٥	٨١ .	٨٢ ٣	٧٧ ٩	٧٠ ٨	٦٥ ١	٠٧١٥٧ ٠٠	٢٠١٩١٠٠٠
١٨٩٤	٨٨ ٣	٨٩ ٦	٩١ ٨	٨٥ ٩	٨٢ ٧	٠٩٩٠١٠٠٠	٢٣٦٨٨٠٠٠
١٨٩٣	٨٥ ٦	٨٢ ٧	٨ ٤	٧٣ ٤	٧٠ ٧	٠٧٥٠٠٠٠	١٦٦٥٦٠٠٠
١٨٩٢	٨٥ ٩	٨٦ ٩	٨٢ ٣	٧٦ ٨	٧٣ ٣	٠٦٧٠٠٠٠٠	١٦٥٧٢٠٠٠
١٨٩١	٨٥ ٧	٨٨ ٦	٨٨ ٩	٨٢-٧	٧٤ ٧	٩٠٣٥٠٠٠	١٩٨٥٨٠٠٠
١٨٩	٨٨ ٨	٩١ ٤	٨٩ ٥	٨٥ ٥	٨٠ .	٠٨٦٥٣٠٠٠	٢٠٣٨٩ ٠٠
١٨٨٩	٨٦ ٤	٨٧ ٦	٨٩ ٣	٨٦ ٦	٨١ ٤	٠٧٣١١٠٠٠	٢٠١٧٥٠٠٠
١٨٨٨	٨٨ ٢	٨٦ ٧	٨٧ ٣	٨٣ ٨	٧٨ ٩	٠٦٩٣٥٠٠٠	١٨٩٣٨ ٠٠

وواضح من هذا الجدول ان حالة القطن في شهري يونيو و يوليو لا تكفي للحكم على المحصول الحكم البات لانهُ يحتمل ان تتحسَّن الحالة في الاشهر التالية فيزيد المحصول كما يحتمل ان تبقى على حالها او تزيد سوءًا فيقل المحصول كثيراً ولكن يظهر منهُ ايضاً انهُ اذا ساءت الحالة في تقدير يوليو عما كانت عليها في تقدير يونيو فالغالب ان يقلّ التحسن بعد ذلك و يأتي الموسم صغيراً واذا تحقق ذلك فمنهُ ربح كبير لاهل الزراعة وتجار القطن وصناعهِ عموماً

النقابات الزراعية

يهتم جماعة من الفضلاء بانشاء النقابات الزراعية في هذا القطر برئاسة دولة الامير الحكيم البرنس حسين باشا كامل وقد وضعوا لتأليفها قانوناً شاملاً اطلع عليهِ رئيس قلم قضايا الحكومة و ينتظر من يوم الى آخر صدور الدكريتو الخديوي بهِ حتى يتيسر لهم تأليف النقابات او شركات التعاون الزراعية في القطر

والغرض من هذهِ النقابات او شركات التعاون ان تقدم الى الفلاحين ما يحتاجون اليهِ من التقاوي والسباخ والادوات الزراعية وما اشبه بارخص ما يمكن من الاثمان وتكون البضاعة من اجود الانواع فتكون التقاوي منتقاة والسباخ معروفة كمية المواد الغذائية فيهِ بالتحليل الكيماوي والمحاريث من اجود ما صنع . وقس على ذلك سائر ما يحتاج اليهِ الفلاح من المواد والآلات والادوات . وزد على ذلك فان هذهِ النقابات تهتم ببيع حاصلات الفلاح كما تهتم بان تشتري لهُ ما يحتاج اليهِ . وتبذل جهدها حتى لا يغبن في الثمن بائعاً ومشترياً . واذا احتاج الى المال ليشتري بهِ لوازم الزراعة او لوازم المعيشة اعطتهُ ما يحتاج اليهِ منها بفائدة معتدلة جدًّا فتغنيهِ عن المرابي الذي يدينهُ بفائدة عشرين او ثلاثين في المئة ولكنها لا تسهل عليهِ سبل الاستدانة لاجل البذخ فلا تسلّمهُ ما يستدينهُ نقوداً ينفقها في ما لا فائدة لهُ منهُ بل تعطيهِ ما يحتاج اليهِ بضاعة ونحوها من لوازم الزراعة والمعيشة

ثم ان هذهِ النقابات تهتم بارشاد الفلاحين الى ما بهِ النفع لزراعتهم من حيث طرق الحرث والري والتسميد ومقاومة الحشرات والآفات وما اشبه

وغني عن البيان ان نقابات مثل هذهِ تخدم القطر المصري اجل خدمة . و يقيننا ان الواضعين لهذا المشروع الجليل قد تحوطوا من الآن لما يمكن ان يقع من الغش والتحيل فيهِ فان اعضاء النقابات ليسوا باصحاب البضائع التي تصنع او تجلب الى القطر ولا هم بالمشترين الذين تنتهي اليهم المبيعات اخيراً فالتاجر الذي يجلب السماد الكيماوي او المحاريث البخارية هو

هو سواء اشترت منهُ النقابات او اشترى منهُ الفلاحون ولا بدَّ لهُ من ربح يربحهُ من تجارتهِ فاذا دخل بين اعضاء النقابة او شاركها بوجه من الوجوه فلا فائدة للفلاح من ذلك ·

وايضاً ينتظر من مديري النقابات كلها ان يشتركوا فيها ويخدموها عفواً لمجرد النفع العام وهو امر محقق في القائمين بهذا المشروع الآن لانهم كلهم من الكرماء الفضلاء المتفانين في حب وطنهم · ولكن يجب ان يكون في القانون ما يكفل بقاء الادارة في يد امثالهم ويمنع دخول المنتفعين فيها لئلا تصير نقابات تجارية للكسب من الفلاحين كما صارت امثالها في البلدان الاوربية وقد نتجت عنها فوائد جمة ولكن بعضها افاد مديريهِ اكثر مما افاد المشتركين فيهِ · فعسى ان يكون اصحاب مشروعنا المصري قد تحوطوا لذلك من الآن وان تسرع الحكومة في التصديق على مشروعهم واصدار الامر العالي بهِ

هذا ومجال النفع للنقابات الزراعية واسع جدًّا واوسعهُ في رأينا ليس البيع والشراء بل تعليم الفلاحين كيفية استغلال الريع الاكبر ودفع الآفات عن الزراعة والمواشي فان محصول فدان القطن قد يكون قنطارين فقط وقد يبلغ بحسن العناية عشرة قناطير فاذا فرضنا ان حسن العناية والارشاد زادا محصول الفدان قنطاراً واحداً فالزيادة في القطر كلهِ تبلغ مليوناً ونصف مليون من القناطير وهي تساوي ستة ملايين من الجنيهات في السنة · فمهما توفر على الفلاحين بمشترياتهم لا يساوي جزءا صغيراً مما يكسبونهُ بحسن ادارتهم · وقس على ذلك محصول القمح والذرة وكل الحاصلات الزراعية فانها تتفاوت كثيراً حسب درجة الاعتناء بالزراعة والفرق فيها كبير جدًّا · ولما كان ارشاد الفلاحين من جملة الاغراض التي ترمي اليها هذهِ النقابات ان لم يكن اهمها فالامل انها تفيد القطر فائدة كبيرة جدًّا تعود بالشكر الجزيل على حضرات الفضلاء واضعي هذا المشروع ولا سيما رئيسهم الامير الجليل المتفاني في خدمة وطنهِ البرنس حسين باشا كامل

الحشرات المضرَّة بالزراعة

لا يتولد الحي من غير الحي في عصرنا هذا ولا يتولد نوع من الحيوان الا من نوعهِ فاذا ظهر في هذا القطر نوع جديد من الحشرات فهو مجلوب اليهِ من بلاد أخرى واذا اهتمت الحكومة استطاعت ان تمنع دخول الحشرات الجديدة الى البلاد · ومن الغريب ان الحشرات الجديدة قد تكون افتك بالمزروعات من الحشرات القديمة كما ان الامراض الوبائية التي تدخل بلاداً لم تدخلها من قبل تكون افتك بسكانها من الامراض الوطنية ولو كانت وبائية لان

الاجسام تعتاد الآفات التي تتكرَّر عليها فلا يعود ضررها كبيراً مثل الآفات التي لم تعتدها

وقد نبهنا الى هذا الموضوع اننا رأينا بالامس بندقًا اخضر مما يباع في اسواق القاهرة في هذه الايام وارداً في بر الاناضول على ما يظهر ووجدنا في اكثرهِ دوداً كبيراً ابيض اللون خرق قشر البندق واكل لبهُ · وبديهي ان الذين يشترون هذا البندق يرمون ما يجدون فيهِ دوداً فيتمُّ الدود نموهُ ويصير فراشاً يطير في القطر ويبزر وهو لا يجد البندق عندنا ولكنهُ يجد اثماراً اخرى تصلح لمعيشتهِ فقد يبيض على البلح او على لوز القطن او على المنجو اوعلى غير ذلك من الاثمار ويتكاثر في القطر ويمسي آفةً من شر الآفات · فلو منعت الحكومة دخول كل الاثمار والحبوب التي فيها حشرات وديدان لسلمت البلاد من آفات كثيرة · كذا تفعل البلدان الاخرى فانها تمنع دخول الاثمار المضروبة وفسائل الاشجار التي عليها حشرات وبعضها مثل قبرص يمنع دخول الاثمار والاشجار مطلقاً مهما كان نوعها مخافةً ان تنصل بها الحشرات اليها فتضر بزراعتها

تسمين المواشي

من العبث الاهتمام بتربية المواشي وتعليفها في القطر المصري لاجل الذبح لان الاموال الاميرية على الاطيان الزراعية عالية جدًّا فلا يمكن تركها مراعي للمواشي · والاطيان التي تنبت نباتات المراعي تنبت المزروعات على انواعها فيمكن زرعها قمحاً وقطناً وما اشبه وربح اصحابها من الزراعة اكثر من ربحهم من المواشي لو جعلوها مراعي لها

لكن ما يقال على القطر المصري لا يقال على القطر السوري حيث المراعي واسعة والارض رخيصة ولا مال عليها او مالها طفيف جدًّا

ورعاية المواشي العادية لا تكفي لتسمينها الاَّ اذا كانت المراعي كثيرة الخصب وافرة الكلاءِ ومع ذلك تمضي شهور كثيرة من السنة ولا شيءَ فيها ترعاهُ المواشي فعلى من يريد تربيتها لاجل الذبح ان لا يكتفي بالمراعي الطبيعية بل يضيف اليها انواع العلف الاخرى التي تقيت المواشي وتسمنها

ولا يخفى ان الزراعة اسلوبان الاسلوب الاول والابسط هو استخراج خيرات الارض في شكل نبات وحبوب واثمار اي تحويل عناصر الارض وعناصر الهواءِ الى مواد نباتية · والاسلوب الثاني هو تحويل هذه المواد النباتية الى لحم ودهن وصوف وشعر وجلود الى حيوانات نأكل لحمها وننتعل جلودها ونكتسي شعرها وصوفها · ثم يتحلَّل اللحم والجلد والصوف وتعود

عناصرها الى التراب والهواء ويدور هذا الدور الى ما شاء الله · وعمل الزارع الذي يتحوّل بهِ التراب والهواء الى نبات وحبوب واثمار وتحول بهِ النباتات والحبوب والاثمار الى لحم وجلد وصوف هو العمل المنتج المغني بين كل اعمال الانسان وما سواهُ تنويع وتحويل وقلب وابدال

وقد تقدّم ان سكان القطر المصري لا يهتمون بتربية المواشي للذبح بل يقول خاصتهم بعدم ذبح صغار المواشي مطلقًا لكي تبقى للزراعة · ومعلوم ان اللحم لا يستطاب الاَّ من صغار العجول والحملان ولذلك يبقى القطر محتاجًا الى استيراد كثير من المواشي للذبح · واذا اتتهُ سمينة بيعت فيهِ بثمن غالٍ لا كالعجول والخراف العجاف التي تأتيهِ الآن فتباع بثمن بخس · ويستورد القطر الآن من المواشي للذبح ما يزيد ثمنهُ على مئة الف جنيه واذا كانت هذه المواشي سمينة كما يجب فقد تباع بمضاعف هذا الثمن · فهنا باب زراعي واسع للذين يريدون ان يربوا المواشي في القطر السوري لكي تباع في القطر المصري واذا تألفت شركة لهذا الغرض وابتاعت وابورين لجلب المواشي واهتمت بجلب السليم السمين منها فقط وجدت في ذلك بابًا واسعًا للربح

والناس مصيبون في اختيارهم اللحم السمين على اللحم الهزيل لان الاول اكثر غذاء من الثاني كما يظهر من هذا الجدول

	في لحم البقر		في لحم الضان	
	السمين	غير السمين	السمين	غير السمين
مواد نتروجينية كالهبر	١٥ في المئة	١٨ في المئة	١٢٫٥ في المئة	١٥٫٠ في المئة
" غير نتروجينية كالدهن	٣٠ "	١٦ "	٣٣٫٠ "	١٨٫٠٠ "
مواد جمادية	٠٤ "	٥ "	٣٫٠ "	٣٫٥ "
جملة المواد الجامدة	٤٩ "	٣٩ "	٤٨٫٥ "	٣٦٫٥ "
ماء	٥١ "	٦١ "	٥١٫٥ "	٦٣٫٥ "

ففي كل مئة درهم من لحم البقر السمين ٤٩ درهمًا من اللحم المغذي و ٥١ درهمًا من الماء · وفي كل مئة درهم من لحم البقر الهزيل ٣٩ درهمًا فقط من اللحم المغذي و ٦١ درهمًا من الماء فالنسبة بين المواد المغذية في لحم البقر السمين والهزيل كالنسبة بين ٤٩ و ٣٩ · وفي كل مئة درهم من لحم الغنم السمين ٤٨ درهمًا ونصف درهم من المواد المغذية و ٥١ درهمًا ونصف درهم من الماء · وفي كل مئة درهم من لحم الضان الهزيل ٣٦ درهمًا ونصف درهم فقط من

المواد المغذية و٦٣ درهماً ونصف درهم من الماء . فالنسبة في المواد المغذية بين لحم الغنم السمين والهزيل كالنسبة بين ½ ٤٨ و½ ٣٦ فاذا بيع رطل اللحم الهزيل بستة وثلاثين مليماً وجب ان يباع رطل اللحم السمين بثمانية واربعين مليماً لتحفظ الموازنة بين اللحمين في مقدار الغذاء هذا فضلاً عن ان اللحم السمين اطيب طعماً وقد يكون اسهل هضماً ايضاً



الصناعة المصرية منذ مئة عام

(١)

صناعة الفخار والآجر

يصنع عرب العبابدة في جوار اصوان ضرباً من القدور يسمونهُ « البرَم » وهو اسم المكان الذي يقلع منهُ حجرها فانهم يأخذون حجراً يجوّفونهُ ويسوّونهُ من الخارج مستديراً الى ان تصير ثخانة جدرانهِ ثلاثة سنتيمترات او اربعة فيستعملونهُ للطبخ فيهِ ويبيعونهُ في تلك الجهات حتى مدينة اسنا

ويصنعون هذه القدور ايضاً بطريقة أُخرى افضل من الاولى وذلك بان يدقوا حجر البرَم ويعجنوا دقيقهُ ممزوجاً بصلصال يأتون بهِ من سفح جبل اصوان فيصنعون منهُ قدوراً تدلكها النساء من الخارج بالايدي ثم يعرضونها لحرارة الشمس يومين وبعد ذلك يشوونها شيًّا خفيفاً فتصير صالحة للاستعمال

وفي ادفو معمل مهم لصنع الخزَف تصنع فيهِ جميع الآنية الخزفية وخصوصاً ما ضخم منها كالدنان وخلافها

وفي قنا يستخرجون من عند فم الترعة التي في جهة الشمال الشرقي منها نوعاً من الصلصال الضارب الى البياض يصنعون منهُ ازياراً وقللاً يبرد فيها الماء بتبخُّر ما يرتشح منهُ ولذلك تروج تجارة هذه الآنية في جميع انحاء مصر فيصدر من قنا نحو ثلاث مئة الف منها سنويًّا .

وتباع القلة في قنا ببارة واحدة وفي الجهات الاخرى ببارتين او ثلاث اما في التجارة « جملة » فيباع الالف منها بخمس مئة بارة ٠ اي نحو سبعين غرشاً

ويصنع في ملوي وفي منفلوط اذنان كبيرة من مثل التي تستعمل في الصباغة والدباغة وعمل السكر الخ ورغماً عن ثخانتها يلزم استعمالها زمناً قبل ان تنقطع عن الارتشاح

ويعمل البلاّص في القرية التي اخذت هذه الآنية منها اسمها حيث يعتنون بصنعها وشيها لتكون صالحة لحفظ الزيت والسمن ٠ اما أكواز الفخار التي تستعمل في السواقي فتصنع في غالب جهات مصر بمقادير عظيمة جداً ٠ وكثيراً ما يرى حطامها في ارباض القرى

ولا يصنع من فناجين القهوة والآنية التي تحفظ فيها الاثمار المسكرة غير شيء يسير في القاهرة

واكثر بيوت القاهرة مبنية من الاجر المشوي خلافاً لبيوت القرى المبنية جميعاً من الطوب المجفف بالشمس

ويعمل الاجر من طين يؤخذ من مسيل النيل فيصنعون منهُ قطعاً طول الواحدة منها ٢٠ سنتيمتراً وعرضها ١٠ سنتيمترات وثخنها ٥ سنتيمترات ٠وما يستعمل منها بدون حرقٍ يجففونهُ في الشمس خمسة ايام قبل استعمالهِ

ويضعون غالباً في الاتون (القمينة) نحو ٤ او ٥ آلاف طوبة منهُ يحرقونها ٢٤ ساعة بايقاد سوق الذرة والفول والسلجم اليابسة وفي الوجه البحري يستعملون سوق الارز ٠ وبعد الانتهاء من الحرق بيومين يبرد الاتون ويستخرجون منهُ الاجر

ويصنع الكلس (الجير) في اغلب جهات الصعيد حيث تكثر الحجارة الملائمة لعملهِ في الجبال المجاورة لمسيل النيل ٠ وكان من جملة الاسباب الداعية لتدميرهيا كل الوجه البحري المبنية بالحجر السكري اللون تهافت الاهالي على اقتلاع حجارتها وعملها كلساً لما وجدوا في ذلك من السهولة والتملص من عناء جلبها من الجبال البعيدة

(٢)

صناعة نسج الاقمشة القطنية والكتانية (التيلية) الخ

يُفضَّل القطن الذي يزرع في انحاء اسنا على غيرهِ من القطن المصري ولذلك ينسج شيء كثير منهُ في اسنا ويباع للاعراب ولاهالي القرى المجاورة ٠ غير ان قوص وقنا أهم من اسنا في هذه الصناعة ٠ ففيهما اكثر من مئتين وخمسين نولاً يستنزف اصحابها قطن الصعيد الذي يمكنهم الحصول عليهِ ويشترون ايضاً كميات ليست بقليلة من الوجه البحري ٠ ويجلب تجار

القاهرة القطن من سوريا يبيعونهُ في هاتين المدينتين وخلافهما . ويُعطي الحائك رطلاً[1] ونصف رطل للغزّالة فترجع ذلك لهُ بعد نحو شهر رطلاً غزلاً

وقطعة القماش التي تنسج بمرةٍ على النول تبلغ ٦ اذرع (بلدية) في ذراع ونصف عرضاً . ويقتضى لحياكتها يومان واجرة يوم الحائك من غرش الى غرش وربع ويباع الذراع من هذا القماش بنحو غرش

ويحوكون ايضاً في قنا ضرباً من الشال القطني المخطط باقلام زرق يلبسهُ المزارعون واكثر الاهالي على اكتافهم وطول هذا الشال اثنا عشر ذراعاً وعرضهُ ذراع ونصف وثمنهُ خمسة فرنكات ويباع منهُ جانب عظيم للقوافل القادمة من دارفور وسنار وغيرهما من جهات اواسط افريقية

وينسج نساجو الاقمشة القطنية كل ما يلزم للفلاح من الانسجة الصوفية ايضاً فيشترون الغزل من النساء والرجال الذين يغزلون الصوف اثناء رعاية المواشي وفي اوقات الفراغ من العمل

وفي بني سويف نحو ٦٠٠ حائك جميعهم منقطعون لحياكة الاقمشة القطنية التي يبيعونها للاهالي ولقبائل العرب المجاورة . اما في مدينة الفيوم فتتناول هذه الصناعة نسج الاقمشة القطنية والصوفية والكتانية . ففي هذه المدينة نحو ١٠٠ نول لنسج القطن و ١٢٠ نولاً لنسج الكتان فضلاً عما يوجد منها في قرى البلاد وكثيرٌ ما هو

وقبل نسج الكتان يقصرون خيوطهُ بغليها في مزيج من ماء النطرون والكلس (الجير) الحي ثم يغسلها بماء بارد وتجفيفها

ويصنعون ثلاثة انواع من الاقمشة الكتانية وتباع الشقة منها بين ١٣ غرشاً و٣٠ غرشاً تبعاً لجودتها وعرضها الذي يكون من ¾ الذراع الى ذراع ونصف . اما طولها فيكون دائماً ٣٠ ذراعاً

ولا يصدر من الفيوم الاّ جانب قليل من الاقمشة الكتانية غير انهُ يصدر منها مقادير كبيرة من الخيش الى الخارج فضلاً عما يباع منهُ في داخل القطر . وهو يصنع شققاً عرض الشقة ذراعان وطولها اربعة اذرع فيصدر منها الى اوربا وسوريا نحو ٤٠ الف شقة سنوياً . ويرد الى الفيوم والى بني سويف من قطن سوريا والوجه البحري بين ست مئة قنطار والف قنطار سنوياً

---

(١) الرطل في قنا يساوي ثلاثة ارطال ونصف في القاهرة

ويرأس طائفة الحاكة في كل من الاماكن المهمة شيخ يتولى جباية الاموال المضروبة على ارباب هذه الحرفة والفصل في ما يشجر بينهم . وتبلغ الاموال المضروبة على طائفة النساجين نحو ثلاثة الاف غرش يوزعها مشايخ الحرفة على الصناع حسب اهمية اشغالهم

ويرسل من الفيوم الى القاهرة اسبوعياً نحو الفي شال مصنوع من الصوف الابيض الذي يكثر في تلك الجهة

اما في الوجه البحري فيحوكون الاقمشة الكتانية في كثير من الاماكن وخصوصاً في طنطا وشبين ومنوف وسمنود حيث يصنعون منها ضروباً مختلفة بين خشن ومقصور مكفوف الحواشي وصفيق يستخدمونهُ لعمل الخيم واغشية حشايا الاسرة . وفي شبين نحو ٤٠٠ نول لحياكة الكتان وفي طنطا اكثر من ذلك قليلاً

وتنفرد المحلة الكبرى باتقان صناعة الاقمشة الحريرية التي تستخدم لعمل الستائر واغطية الدواوين والمساند والاخونة (الترابيزات) من سادج ومزركش بخيوط ذهبية وفضية وحبرَ سوداء للنساء ومناديل وغير ذلك

وهناك مصابغ لصبغ الحرير بالوان مختلفة من اسود واحمر واصفر واخضر وبرتقالي . غير ان ما يصبغ بلون الورد يؤتى بهِ من القاهرة مثل خيوط الذهب والفضة التي يزركشون بها الاقمشة السابق ذكرها

اما الحرير فيؤتى بهِ من سوريا بطريق دمياط ومقابل ذلك يرسلون الى بلاد الشام جانباً من هذه المنسوجات الحريرية

وفي دمياط انوال لحياكة حبَر الحرير السوداء وانوال اخرى خاصة بعمل الاقمشة الكتانية المزركشة بحواشٍ من حرير يصدّرون معظمها الى بلاد الشام حيث يستعملونها حزُماً وعمائم

ويصنع قماش قلع المراكب في المنصورة والمنزلة والبرلس ودمياط ورشيد والاسكندرية وامبابه واجوده ما يصنع في رشيد . ويباع مما يصنع في المنصورة في سوريا وجزائر الارخبيل الرومي

ولا خلاف في ان صناعة الحياكة عريقة في مصر فلا يعلم زمن بدئها ولكنها رغماً عن ذلك لا تزال على حالتها كما كانت منذ القدم

وواضح مما تقدم ان القطر المصري تأخر في الصناعة تأخراً بيناً معيباً منذ مئة سنة الى الآن كأن النجاح الذي اصابهُ من زراعة القطن جعلهُ يغضي عن سائر ابواب الرزق

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمه والقابه ومحل اقامته امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمه (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارساله الينا فليكرره سائله فان لم ندرجه بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) فوائد العفة

وندمر كاسل بجمايكا . الخواجه شحاده خليل مالك . لماذا يستحي الناس من ذكر بعض اعضائهم مع ان عليها يتوقف وجودهم

ج . يظهر لنا ان ميل الانسان الى ستر عورتهِ والاستحياء من ذكرها قديم فيهِ وان هذا الميل كان لهُ اليد الطولى في ارتقاء نوع الانسان جسداً وعقلاً وادباً فرسخ فيهِ بكرور الايام . والامم التي يشتدُّ فيها الحياء ارقى من غيرها والامم التي يقلُّ حياؤُها تنحط رويداً رويداً لسبب طبيعي لا يخفى . افرضوا انهُ وجدت قبيلتان في جزيرتين منفردتين وكانتا متساويتين في كل شيء ثم اتفق ان احداها مالت الى الحياء والعفة والاخرى خلعت العذار ومالت الى الشبق والتهتك فلا تمضي قرون كثيرة حتى تختلف القبيلتان اختلافاً كبيراً الاولى يقوى نسلها وتصحُّ ابدانهم وعقولهم وآدابهم فيتغلبون على كثير من المصاعب الطبيعية ويتدئ عمرانهم ويتوطد . والثانية يضعف نسلها وتعتلُّ ابدانهم وعقولهم وآدابهم ويعجزون عن المصاعب الطبيعية ويبقون على البداوة او يكون عمرانهم ضعيفاً . لأن الشبق يضعف الجسم والعقل ويفسد الآداب ويضعف النسل ايضاً . ولا خوف على امة العفةُ اساس تمدنها او دينها ولكن يخشى على كل امة لا عفة في تمدنها ولا يوجب دينها العفة على ابنائها

(٢) اصل الرجم

ومنهُ . نقرأُ عن احجار الرجم في الفضاء فكيف وجدت وكيف استطاعت التخلص من جاذبية الاجرام التي نزعت منها

ج . من رأي بعض العلماء ان الرجم اصلية في الكون وان الاجرام السموية تكونت منها اي من اجتماعها بعضها ببعض . والمذهب القديم ان السديم هو الاصل ثم تكونت منهُ الاجرام الكبيرة ويتفق ان يتصادم بعض هذه الاجرام فتتكسَّر وتصير الرجم منها فتبقى دائرة في الجو الى ان تدنو من جرم كبير يجذبها اليهِ . وقد ذهب الاستاذ بكرنج الآن الى ان اصل اكثر الرجم الارضية من الارض

وقد انفصلت عنها وقتما انفصل القمر

(٣) كيف وجدت المادة

ومنهُ · هل يعقل ان يكون الوجود بدون بداية وكيف وجدت المادة التي تكوّن منها كل ما يرى وهل يرجى في مستقبل الدهر ان يهتدي العلماء الى حل هذه المعضلة

ج · ان تصور العقول لا يجري على نسق واحد فالبعض يتصورون الوجود بدون بداية والبعض لا يستطيعون تصورهُ كذلك · ولا يعلم كيف وجدت المادة ولا نعلم هل يهتدي الناس الى معرفة ذلك في المستقبل · ولا يخفى اننا نريد بالعلم هنا العلم المبني على ما ندركهُ بالمشاهدة والامتحان · وقد يعتقد الانسان اعتقاداً او يستنتج استنتاجاً عقلياً ان للمادة بداية وان الله خلقها على هذه الصورة او تلك ولكن الاعتقاد شيء والاستنتاج العقلي شيء والحكم العلمي المبني على التجارب والمشاهدات شيء آخر

(٤) غاية الارتقاء

ومنهُ · هل لناموس الارتقاء حدٌّ يقف عندهُ او هو سائر الى ما لا نهاية لهُ

ج · لا نعلم ولا نظن احداً من الناس يدَّعي علم ذلك

(٥) اميال الانسان

ومنهُ · نرى عقل الانسان وقلبهُ في نزاع دائم القلب يميل والعقل يردع فهل يرجى ان يعيش الانسان بعقلهِ فقط وتنتزع من قلبهِ جراثيم الاميال وهل هذا النزاع طبيعي نافع او هو مكتسب ضار

ج · يراد بقلب الانسان في هذا القول الاميال التي في دماغهِ واعصابهِ ودقائق جسمهِ وهي صفات او حالات موروثة نتجت اصلاً عن اسباب طبيعية كميل شعر الزنجي الى السواد والتجعد وميل شعر الصقلبي الى الشقرة والاسترسال وكشهوة الاكل والنزهة · ويراد بالعقل المعلومات الاولية او البديهيات مثل ان الكل اكبر من جزئهِ والاشياء المساوية لشيء واحد مساوية بعضها لبعض والمعلومات الاختبارية مثل ان الشمس تشرق في الصباح وتغيب في المساء والحرث والخدمة ينميان الزرع والوقاية من الامراض تقلل خطر الوقوع فيها · فاذا كانت الاميال آيلة الى نفع الفرد او النوع او كليهما فالغالب انها تبقى وتقوى · لان الذين تكون قوية فيهم يكونون اقوى من غيرهم على البقاء واخلاف النسل واذا آلت الى ضرر الفرد او النوع او ضررهما كليهما فالغالب انها تضعف وتزول لان الذين تكون فيهم لا يقوون مثل غيرهم على البقاء واخلاف النسل وعلى ذلك يتمشى الارتقاء

(٦) حرية الانسان

ومنهُ · هل الانسان حر بكل معنى الكلمة او هو آلة في يد الطبيعة تديرهُ كيفما شاءت فاذا كان حرًّا فلماذا لا يكون كما يريد ويبلغ

كل امانيهِ واذا كان آلة في يد الطبيعة فلماذا يطالَب على ما يفعلهُ بقوتها وارادتها

ج · هو حرٌّ من وجوه وغير حرّ من اخرى فالامور التي رسخت في اسلافهِ راسخة فيهِ لا يستطيع تغييرها مهما حاول فهو مقيد بها كما اذا ولد ابيض او اسود او طويل القامة او قصيرها فهو مقيد من هذا القبيل وغير مسؤول عن سوادِ لونهِ او بياضهِ وطول قامتهِ او قصرها · ولكن ميلهُ الى هذا النوع من الطعام او ذاك غير شديد فيهِ حتى يقيدهُ باكل نوع دون آخر فيستطيع ان يأكل الطعام النافع ويستطيع ان يأكل الطعام الضار فاذا اكل طعاماً ضارًّا ومرض فهو مسؤُول عما فعل ونفع نتيجة فعلهِ عليهِ · وهكذا الميل الى الكذب فانهُ موجود في الانسان ولكنهُ غير شديد فيهِ حتى يتعذر عليهِ الامتناع عنه فيستطيع ان يصدق في كل اقوالهِ فاذا كذب فهو مسئول · وظاهر من ذلك ان الحرية والتقيد على درجات مختلفة فقصير القامة مقيد بقصر قامتهِ كما تقدم ولكنهُ يستطيع اذا اراد ان يزيدها سنتمتراً او سنتمترين بالمواظبة على مط جسمهِ · وابيض الجسم مقيد ببياض بشرتهِ ولكنهُ اذا قضى عمرهُ في الشمس مكشوفًا اكتسبت بشرتهُ سمرةً دائمة قد تنتقل الى نسلهِ وعلى ذلك اسمرَّ بل اسودَّ نسل العرب والشراكسة الذين سكنوا بلاد السودان اما الزنجي فلا يظهر انهُ يستطيع ان يقلل سوادهُ ولو قضى حياتهُ في شمالي اوربا · والانسان حر ان يأكل ما يشاء كما تقدم لكنهُ قد يرى في نفسهِ ميلاً يدفعهُ الى اكل بعض المآكل ويجد عناء شديداً في نهي نفسهِ عنها · والخلاصة ان الانسان حرٌّ من وجوه ومقيد من وجوه اخرى وللحرية والتقيد درجات متفاوتة

(٧) بعض التراجم

زحلة · · · · نرجو ان تنشروا لنا ترجمة غمبتا وشوبنهور وغلادستون ونيوكم وشاركو واذا كنتم قد نشرتم تراجم هؤُلاء الرجال قبلاً فارجو اعادة الكلام عنهم لان اعداد المقتطف القديمة غير موجودة عندي وانا في حاجة ماسة الى الاطلاع على تراجمهم

ج · تأتينا مسائل كثيرة من هذا القبيل ولا ندري كيف يطلب اصحابها هذا الطلب فان كنا قد نشرنا تراجم هؤُلاء الرجال في المجلد العشرين او الثلاثين من المقتطف فلماذا نعيد نشرها الآن ونضيع على الوف القراء عدداً او عددين من المقتطف لكي يستفيد مشترك واحد في زحلة لم يتفق انهُ كان مشتركاً في المقتطف لما نشرت هذه التراجم فيهِ · ولماذا لا يطلب ان يشتري الاجزاء التي نشرت فيها تلك التراجم ليستفيد هو ولا يضر غيرهُ · اما نحن فقد نشرنا ترجمة غمبتا في الجزء السابع من المجلد السابع من المقتطف وترجمة غلادستون في

الجزء السابع من المجلد الثاني والعشرين ولم ننشر ترجمة شوبنهور ولا ترجمة نيوكم ولا شاركو وسننشر ترجمة نيوكم في الجزء التالي فقد اتانا نعيهُ قبل كتابة هذه السطور

(٨) المعجزات والعلم

ديفه بقضاء اللاذقية . الشيخ سليمان احمد
هل في العلم دليل على امكان وقوع المعجزات الواردة في الكتب الدينية

ج . اذا اريد بالمعجزات الحوادث الطبيعية النادرة الحدوث كما يفهم بعض علماء التفسير فالعلم يؤيد وقوع بعضها واذا اريد بالمعجزات ما يجري على ضد نواميس الطبيعة وليس لهُ سبب طبيعي فالعلم لا يسلم بصحتها لان اكثر ما بُحث فيهِ من هذا القبيل وجد للصحيح منهُ اسباب طبيعية وما بقي وجد غير صحيح

(٩) عمر الارض والكواكب وابعادها

ومنهُ . اليس من باب الظن والتخمين ما يقال عن عمر الارض والكواكب وابعادها واوزانها

ج بعضهُ من باب الظن كالذي يقال عن عمر الارض لانهُ مستنتج من امور غير مقررة وبعضهُ يجب ان يكون صحيحاً كالذي يقال عن ابعاد السيارات واوزانها لانهُ مبني على امور رياضية مقررة . فعمر الارض مثلاً يقدَّر الآن من مقدار الملح الذي في ماء البحر فان مساحة البحار ومقدار المياه التي فيها ومقدار الملح الذي في الماء يمكن معرفتها كلها بالتقريب . والملح حاصل من الانحلال والتركيب في بعض المواد التي تحملها مياه الانهر الى البحر فاذا عرفنا مثلاً ان مياه الانهر تحمل كذا قنطاراً من المواد كل سنة وانهُ يتكون منها كذا قنطاراً من الملح وفي مياه البحار كلها كذا قنطاراً منهُ فالنتيجة انهُ اقتضى كذا وكذا من السنين حتى تكون هذا المقدار من الملح في مياه البحار ولنفرض انهُ ع فعمر الارض اكثر من ع من السنين . ومعرفة ذلك كلهِ تقريبية ولكن بُعْد الشمس والقمر والسيارات مبني على ان النور يسير في خطوط مستقيمة وعلى خواص اخرى من خواصهِ فاذا رصد جرم سموي من مكانين في وقت واحد وقيس البعد بينهما تماماً امكن معرفة بعدهِ . والاجرام البعيدة يقتضي حساب بعدها قاعدة واسعة جدًّا فلا يقاس بالدقة التامة لكن لا يكون الفرق بين النتيجة الحسابية والحقيقة كبيراً فاذا وجد بالحساب ان بعد نجم عشرة آلاف مليون ميل فقد يزيد عن ذلك او ينقص عنهُ واحداً في المئة او واحداً في الالف ولكنهُ لا يزيد او ينقص عشرة في المئة او عشرين في المئة

(١٠) قدم الماس

كفر المبروك . عبد الحي افندي سليم
هل كان الماس معروفاً في عهد اليونان والرومان

ج . نعم وقد ذكرهُ اليونان قبل المسيح بثلاثة قرون باسم الادماس اي الذي لا

يخضع او العاصي دلالة على صلابتهِ وعدم احتراقهِ ووصفهُ بلينيوس وصفًا مسهبًا وذكر منهُ الهندي والعربي. وقد كان بليني في القرن الاول المسيحي. ويظن بعض علماء الآثار ان المصريين القدماء كانوا يعرفون الماس ويستعملونهُ في النقش على حجارة الغرانيت

(١١) سيحون وجيحون والفرات

قراشة. شيخ العرب ابو هاشم علي قريط. من اين منبع الانهار الثلاثة سيحون وجيحون والفرات وفي اي بلاد تتفرع

ج. سيحون وجيحون نهران في ولاية ادنه ببر الاناضول ينشآن في نجود كبدوكية (سواس) ويصبان في بحر الروم قرب مدينة ادنه سيحون يصب الى الجنوب الغربي منها وجيحون الى الشرق منهُ واكثر جريهما في ولاية ادنه واوائل جيحون في الطرف الشمالي الغربي من ولاية حلب. والفرات ينشأ بعضهُ في ولاية ارضروم وبعضهُ في ديار بكر ويجري في ولايات وان وسواس وحلب وبغداد والبصرة

(١٢) الالتروبزم

بغداد. الخواجه هاربتون مراديان من هم الالترويزم وما هي فلسفتهم وما منزلتها لدى طلاب الحقيقة

ج. ان معنى الالتروزم الغيرية نسبة الى الغير مقابلة للانانية نسبة الى انا. وضع هذه الكلمة الفيلسوف كنت واعتمدها الفيلسوف هربرت سبنسر وشرحها شرحًا مسهبًا في كتبهِ وبيَّن اصولها ومراميها ويراد بها السعي في نفع الغير اي انها ضد الانانية التي يراد بها السعي في نفع النفس. وقد نشرنا فصلاً مسهبًا فيها في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف والصفحة ٥٠٥ — ٥١٥

(١٣) المادية ووجود الله

ومنهُ. ما اقوى البراهين العلمية لاقناع الماديين الذين ينكرون وجود الله

ج. اذا اريد بالبراهين العلمية الاقيسة التي مقدماتها ما يعرف من حقائق الطبيعيات والكيمياء والفسيولوجيا والجيولوجيا والنبات والحيوان وما اشبه فهذه لا براهين فيها على وجود الله كما لا برهان على وجودهِ في علم الصرف والنحو والمعاني والبيان والعروض وما اشبه. واذا اريد بالعلم الاقيسة المبنية على المبادىء الفلسفية او الدينية فبراهينهُ لا تقنع الماديين. والغالب ان الماديين لا ينكرون وجود الله ولكنهم يقولون ان عقولهم لا تحدُّ او لا تدرك وجودهُ. وان قلت لهم لا بدَّ لكل موجود من موجِد قالوا لك ان الموجد موجود فيستلزم وجودهُ موجدًا لهُ وهذا دور لا يدرك العقل لهُ نهاية

ويظهر لنا ان العلماء الماديين لا ينكرون وجود الله او هم ليسوا اجحد من غيرهم لوجودهِ وان سيرتهم تدلُّ على انهم افضل من كثيرين من المجاهرين بالاعتقاد بوجود الله. ولا يقع

واحد منهم عن رأيهِ في هذا الموضوع الآ ويتكلم عن العزة الالهية بالوقار التام . اما الذين لم يبدوا هذا الوقار فانما قصدوا التهكم بالمعبودات التي يصورها بعض الناس لانفسهم ويجعلون مزاياها الغضب والحقد والانتقام وحب الرشوة والتبجيل

(١٤) العلم والشر

ومنهُ . اذا كان العلم ينقض الشر ويقللهُ فهل يغنينا عن الدين من هذا القبيل

ج . كلاَّ فان من الناس من تقنعهُ الادلة العلمية ومنهم من تقنعهُ الادلة الدينية

(١٥) الحل المغنطيسي

سان ستفانو . حسين افندي يسري . ما معنى كلمة Magnetic Induction

ج . معناها الفعل الذي يفعلهُ المغنطيس بالاجسام القابلة للتمغنط كالحديد والنكل اذا كانت قريبة منهُ ونحن نترجمها بالحل المغنطيسي

(١٦) الرموز الكيماوية

ومنهُ . كيف تكتب الرموز الكيماوية وكيف تركب الكلمات كما ترى في H_2SO_4

ج هذه عبارة الحامض الكبريتيك ونحن نكتبها هكذا هـ٢ ك١ ا٤ اي جوهران من الهيدروجين وجوهر من الكبريت واربعة من الاكسجين والحروف الانكليزية هي الحروف الاولى من اسماء العناصر وكذلك الحروف الغربية . ونشير عليكم ان تطالعوا كتاب الدكتور فان ديك في اصول الكيمياء وياحبذا لو رأينا من عدد كبير من القراء رغبة في مطالعة المباحث الكيماوية التي من هذا القبيل حتى ننشر لهم دروساً متوالية فيها وهي مما قضينا في تدريسهِ جانباً من العمر

(١٧) الطوفان

البرازيل . الخواجه خليل اسطفان . لا يخفى ان المطر بخار تصاعد بحرارة الشمس عن سطح البحار والبحيرات ونحوها من مجاميع المياه ثم تكاثف ببرد الجو فعاد ماء ووقع مطراً والمطر يجري جداول وانهاراً ويصب في البحار وهكذا على توالي الادهار فلا يزيد الماء ولا ينقص فكيف توفقون بين هذا الامر وبين ما هو مكتوب في سفر التكوين عن الطوفان حيث يقال انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء الخ فمن اين اتت تلك المياه العظيمة وغطت الجبال الشامخة ومات كل ذي حياة كما هو مكتوب هناك والى اين ذهبت بعد مئة وخمسين يوماً الى آخر ما ذكر هنالك

ج . ان علماء التفسير على ضروب فبعضهم يفهم الكلام على ظاهرهِ ويقولون ان الله قادر على كل شيء فيوجد الماء من لا شيء كما اوجد الكون كلهُ ثم يلاشيهِ بكلمة ولا يتعبون انفسهم بالتفسير والتأويل وهذا اخصر الطرق واسلمها من العثار

وبعضهم يقول انهُ حدث اضطراب عظيم في قشرة الارض فعلت مياه البحار بامواج

عظيمة وغمرت اليابسة سهولها وجبالها ولم تزل آثار هذا الطوفان في جبال الارض حتى الآن . ومن هؤلاء المرحوم دوق ارجيل وقد نشرنا خطبة لهُ في هذا الموضوع في المجلد الثامن من المقتطف صفحة ٥٣٨ و ٦٠٠

وبعضهم يقول ان الطوفان كان محلياً لان الناس كانوا محصورين في بقعة من بقاع الارض حول جبل اراراط فاجتمعت مياه الامطار كلها في ذلك المكان ووصلها ماء البحر ايضاً

ومنهم اناس يلجأون الى التأويل فيقولون حدث طوفان قديم مثل سيل العرم او مثل الطوفانات التي تحدث الآن في بلاد الصين وتداول الناس خبرهُ بالاسناد الى ان وصل الى كاتب سفر التكوين فكتبهُ كما سمعهُ وكتبهُ البابليون كما سمعوهُ وقد نشرنا ترجمة خبرهم في المجلد السابع من المقتطف صفحة ٦٥٣

اما نحن فلا نرى فائدة من محاولة التوفيق بين الكتب الدينية والمبادىء العلمية وترانا ميالين الى الرأي الاخير ولكننا لا نجزم بصحتهِ

(١٨) الاغتسال بالماء البارد

ام درمان . محمود افندي الناظر هل في سقوط ماء الدوش على الرأس مباشرةً ضرر على الدماغ وهل الافيد استعمال الماء بارداً او فاتراً

ج . لا ضرر على الدماغ من ماء الدوش والماء الفاتر اصلح اذا كان الجسم نحيفاً لا يحتمل الماء البارد واما اذا كان قوياً واحتمل الماء البارد فهو اصلح لهُ بشرط ان لا يطيل الانسان الاقامة فيهِ وان ينشف جسمهُ ويفركهُ جيداً بعدهُ حتى تسرع الدورة الدموية في جلدهِ

(١٩) الحواة والثعابين

ومنهُ . طالما رأينا في مجلتكم انكم تنسبون الحواة الى الشعوذة ولكنني رأيت ان بعضهم صادق بالامتحان وذلك انني ضربت ثعباناً بآلة حادَّة تركت فيهِ اثراً وبعد ايام حضر الحاوي فاريتهُ المكان الذي فيهِ الثعبان ولكنني لم اخبرهُ بالواقعة فاخرجهُ لي بعينهِ فكيف تؤَولون ذلك

ج . ان كان ثعبانكم قد بقي مستكناً في مكان واحد فقد لا يتعذَّر على الحاوي ان يخرجهُ منهُ . ولكن في هذه الحادثة شبهات الاولى كيف عرفتم ان الآلة الحادَّة ابقت اثراً في الثعبان وكيف تمكنتم من رؤْية هذا الاثر . وكيف عرفتم ان الثعبان بقي في المكان الذي دخلهُ امامكم وكيف عرفتم انهُ لم يخرج منهُ واتفق للحاوي انهُ قبض عليهِ خارجاً واظهرهُ لكم وهو لا يعلم شيئاً من امر هذا الاثر . اما حكمنا على شعوذة الحواة فمبني على اعترافهم لنا وعلى كشفهم لنا كيفية عملهم في اظهار الثعابين . ولا شبهة ان في الحواة شيئاً خاصاً قلما يشاركهم احد فيهِ وهو مهارتهم الفائقة في القبض على الثعابين وقلع انيابها السامة وخفة حركاتهم في اظهارها واخفائها



ده غويه

خسر المستشرقون ولا سيما الباحثين في العربية وفنونها وآدابها خسارة لا تعوَّض بوفاة العالم المحقق ميخائيل جان ده غويه استاذ العربية في ليون ويقال انهُ ليس في اوربا كلها من يجاريهِ في معرفتهِ العربية الاَّ الاستاذ وستنفلد

ولد ده غويه سنة ١٨٣٦ وتتلمذ للعالم دوزي الذي كان اعلم رجال عصرهِ بالعربية وعكف على المؤلفات القديمة في التاريخ والجغرافية وهو الذي جمع تاريخ الطبري وصححهُ وطبعهُ وعلَّق عليهِ تعاليق كثيرة ويقال ان نشر هذا التاريخ اعظم عمل عمل في القرن التاسع عشر. ونشر ايضاً ديوان مسلم بن الوليد وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبه ولهُ كتاب جغرافيي العرب في ثمانية مجلدات ومن المقالات الحافلة التي قرأناها لهُ مقالة في الانسكلوبيذيا البريطانية عن الطبري بسط فيها الكلام على التواريخ العربية والمؤرخين

وكانت وفاتهُ في ١٧ مايو الماضي في مدينة ليون

الاستاذ نيوكم

— خسر علم الفلك خصوصاً والعلوم الرياضية عموماً خسارة لا تقدَّر بوفاة العالم الفلكي المشهور الاستاذ نيوكم اكبر علماء الفلك في اميركا توفي في الحادي عشر من شهر يوليو وسنأتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

مؤتمر الطب العام

يجتمع مؤتمر الطب العام في بودابست من ٢٩ اغسطس الى ٤ سبتمبر بحماية امبراطور النمسا ومباحثهُ معروفة في التشريح وعلم الاجنة والفسيولوجيا والباثولوجيا وعلم الميكروبات والتشريح الباثولوجي والاقراباذين والطب الباطني والجراحة والتوليد وامراض العين وامراض الاطفال وامراض المجموع العصبي والامراض العقلية والامراض الجلدية وامراض مجرى البول وامراض الانف والحلق وامراض الاذن وامراض الفم وحفظ الصحة والوقاية من الامراض والطب الشرعي وامراض الجنود والامراض الاستوائية . وستتلى فيهِ الخطب الكثيرة في هذه المواضيع

وفي جملتها خطبة للدكتور بشفرد الانكليزي عن السرطان وخطبة للدكتور غرويرالالماني عن الوراثة والانتخاب وخطبة للدكتور لافران الفرنسوي عن الطب الاستوائي (اي تطبيب الامراض الخاصة بالاقاليم الحارة قرب خط الاستواء)

اصل المصريين القدماء

يرى الدكتور اليوت سمث من فحصه العظام التي وجدت في المدافن المصرية القديمة ان اقدم السكان الذين بقيت عظامهم الى الآن كانوا اقصر قامة من ابناء هذا العصر واضعف منهم عضلاً ويشبهون في شكلهم العرب واهالي جنوبي اوربا وهم اشبه الناس بالبربر سكان الساحل الجنوبي من افريقية مما يلي بحر الروم . ولم توجد حتى الآن آثار شعب من ذلك العصر في بلاد اخرى من البلدان المجاورة للقطر المصري فعمرانهم كان خاصاً بهم تولد في وادي النيل بعد ان اقاموا فيهِ السنين الطوال قبل الزمن الذي كشفت آثارهُ

ولما قامت الدوله الاولى من الدول المصرية تغير بعض السكان فاتسعت رؤُوسهم وضاقت انوفهم وتحسنت سحنتهم اي دخل البلاد شعب جديد . وقلما يعرف شيء عن اصل هذا الشعب ولكن يرجح ان السكان الاصليين في الوجه البحري اختلطوا باقوام اتوهُ بحراً من جزائر بحر الروم او من سواحل اوربا الجنوبية او اتوهُ برًّا من سورية او من سواحل افريقية الجنوبية . ولكن شكل السكان الاصلي لم يتغير الاَّ قليلاً في ايام الدول الاولى وبقي اناس كثيرون منهم محافظين على شكلهم القديم ولم يظهر التغير واضحاً الاَّ في زمن الدول الحديثة

وما حدث في الوجه البحري حدث ضدهُ في الوجه القبلي وبلاد النوبة فان الجنس الاصلي لم يمتزج بالشعوب الجديدة من الشمال بل بالزنوج من الجنوب . فاهالي الوجه البحري من المصريين القدماء وقد امتزجوا باقوام اتوهم من سواحل بحر الروم . واهالي النوبة من المصريين القدماء وقد امتزجوا باقوام اتوهم من الزنوج

ماء البحر ومصل الدم

ذهب المسيو كوينتون الى ان سبب مشابهة مصل الدم لماء البحر ان الحيوانات كلها كانت تعيش اولاً في ماء البحر وكانت دقائق جسمها مغمورة بهِ فلما صار بعضها برياًّ بقي في دمها سائل مثل ماء البحر تماماً لتبقى دقائقها مغمورة بهِ ولذلك فاللكوسيت اي حويصلات الدم البيضاء تعيش في ماء البحر كما تعيش في الدم ثم وجد ان الحقن بماء البحر يقوي الجسم في بعض الاحوال كأنهُ يصلح مصل الدم

برج بابل

زعم كثيرون من الشرّاح ان الخرائب المعروفة ببرج بابل هي من بقايا البرج المذكور في التوراة والمعروف بهذا الاسم · لكن ثبت للباحثين عن الآثار القديمة انها بقية هيكل قديم بني للسيارات السبعة حسب رأي القدماء وهي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهي التي جمعها البازجي بقولهِ

تلك الدراري زحل فالمشتري
وبعدها مريخها في الاثرِ
شمس فزهرة عطارد قمر
وكلها سائرة على اثرِ

وكان هذا البرج مبنيًّا بالاجرّ سبع طبقات كل طبقة اضيق من التي تحتها وملونة بلون يخالف لون غيرها فالطبقة العليا لزحل ابعد السيارات في عرف القدماء وكانت سوداء اللون لان اجرها كان مطليًّا بالقار · والتي تحتها للمشتري وكانت مدهونة بدهان برتقالي اللون · والتي تحتها للمريخ مدهونة بلون احمر دموي والتي تحتها للشمس وكانت مبنية بطوب غير مشوي ومغشاة بصفائح الذهب الوهاج وتحتها طبقة الزهرة مدهونة بلون اصفر مفتوح وتحتها طبقة عطارد من اجرّ اطيل شيئًا حتى صار لونهُ ازرق وفي اعلى البرج كرة كبيرة مصفحة بالفضة تمثل القمر وفيها الذخيرة المقدسة التي لا يراها الا كاهن الهيكل

وقد بنى هذا البرج او الهيكل العظيم نبوخذنصر ملك بابل الذي نشأ بين سنة ٦٠٥ و٥٦٢ قبل المسيح بناهُ على اساس هيكل قديم وقال فيما كتبهُ عنهُ « اني اتممت بهاء البرج بالفضة والذهب والحجارة الكريمة والاجر المدهون بالمينا وخشب الاز والشربين وهو بيت الدراري السبع التي تنير الارض بناهُ ملك قبلي منذ اثنين واربعين جيلاً ولكنهُ لم يتمهُ فبنيتهُ كما كان في العهد الماضي اتقبليّ يانو (عطارد) عملي وامنحني حياة دائمة وظفراً في بلدان كثيرة ليعش نبوخذنصر امامك » · وقد بقي اسم نبوخذنصر خالداً في صفحات التاريخ ولكن برجهُ خرب وصار اكواماً من الانقاض

الفرس في عدوهِ

اتفق المصورون والنحاتون على رسم الفرس وهو يعدو انهُ يمدّ يديهِ الى الامام ورجليهِ الى الوراء حينما يرتفع كلهُ عن الارض . ويقلب حافري رجليهِ حتى يتجه نعلاهُ الى الاعلى ويتقوّس ظهرهُ الى الاسفل · وهذا الشكل من التصوير او التصوُّر قديم جرى عليهِ اليونان والرومان قبل المسيح بالف سنة الى ١٨٠٠ سنة وتابعهم فيهِ الفرس والصينيون واليابانيون ولكن يظهر من تصوير الفرس بالفوتوغرافيا السريعة وهو يعدو انهُ حينما يرتفع عن الارض يتقوّس ظهرهُ الى اعلى لا الى اسفل وان يديهِ تنحنيان الى الوراء ورجليهِ الى الامام

على ضد ما يصوره المصورون . واول ما يمس الارض من قوائمهِ رجلٌ من رجليهِ وهي تمسها تحت بطنهِ لا وراءه لكي تساعدهُ على الوثوب بمرونتها

اللبن والميكروبات

ثبت من البحث المدقق ان اللبن المحلوب لا يخلو من الميكروبات ابداً فاللبن الذي يحلب اولاً يكون في السنتيمتر المكعب منهُ من ١٨٠٠٠ ميكروب الى ٤٨٠٠٠ ميكروب واللبن الذي يحلب بعدهُ يكون في السنتيمتر المكعب منهُ من ٨٦٠ ميكروباً الى ٤٨٠٠ ميكروب كأن الميكروبات تكون في اخلاف (حلمات) البقرة فيخرج اكثرها مع اللبن الذي يحلب اولاً لكن هذه الميكروبات على كثرتها قد لا يكون فيها شيء من الميكروبات المرضية اما اللبن الذي يفرز من جسم البقرة فيكون خالياً من الميكروبات حال افرازهِ . وبعد خروج اللبن يقع فيهِ ميكروبات كثيرة من ظاهر ضرع البقرة ومن الغبار المتطاير في الهواء ومن ايدي الحلاَّبات ثم من الآنية التي يحلب فيها والآنية التي ينقل بها الى ان يصل الى من يشربهُ . ويكون بعض هذه الميكروبات مرضياً ولذلك لا يجوز مطلقاً شرب اللبن قبل اغلائهِ ولو استلقيتهُ من ضرع البقرة.

الحساب الغربي في روسيا

عزمت روسيا على ترك الحساب الشرقي والجري على الحساب الغربي وستتقدم لائحة بذلك الى الدوما في الخريف المقبل ولا يخفى ان الحساب الشرقي هو الحساب القديم وفيهِ خطأ يبلغ يوماً كاملاً كل نحو مئة وثلاثين سنة وقد أُصلح بالحساب الغريغوري سنة ١٥٨٣

السليقة والاختبار

ربَّى بعضهم خمسة اجراء من قطط جزيرة مان الانكليزية ولم يدعها ترى الفيران مطلقاً ولما صار عمرها خمسة اشهر اتاها بفارة فنظرت اليها ولم تؤْذها وبعد شهر ونصف جوَّعها واتاها بفارة اخرى فلم تؤْذها ايضاً . ثم ادخل اليها امها فقبضت على الفارة حالاً واكلتها وبعد قليل تعلمت تلك الاجراء الاقتداء بامها في قتل الفيران واكلها . ويظهر لنا ان غريزة ذلك الصنف من القطط لقتل الفيران ضعيفة اما لقلة الفيران في جزيرة مان او لسبب آخر وانهُ لو جربت هذه التجربة بقطط بلادنا لوجدت غريزة قتل الفيران قوية فيها فتقتلها وتأكلها ولو لم تتعلم ذلك من امهاتها

كاشف جديد للدم

شرح الاستاذ مكويني في جمعية دبلن الملكية خواص مركب كيماوي اسمهُ بنزيدين benzidine فقال انهُ اذا اذيب في الحامض الخليك واتصل بقليل من الدم مع قليل من

اكسيد الهيدروجين تكوّن حالاً لون ازرق شديد البهاء . وهذا الكاشف عن الدم دقيق جداً فيظهره ولو كان مقداره جزءا من خمس مئة الف جزء اي اذا اذيبت نقطة من الدم في خمس مئة الف نقطة من الماء او نحو ٣٠ اقة من الماء فالبنزيدين يظهر الدم فيها وهذا الكاشف يكشف الدم ولو كانت لطخة قديمة مرّت عليها السنون الطوال . والاثمار الجديدة والخضر تفعل فعل الدم في اظهار اللون الازرق ولكن يفرق بينها وبينه بسهولة بانها اذا سلقت بماء غالٍ لا تعود تكوّن اللون الازرق واما الدم فلا يؤثر الغليان فيهِ

السرطان

ظهر تقرير اللجنة الملكية الانكليزية المقامة للبحث عن السرطان وليس فيهِ شيء حريٌّ بالذكر لان الباحثين قد غاصوا في هذا الموضوع وهم يبحثون الآن في خواص الدقائق التي يتركب منها الجسم الحي وكيفية وصول الداء اليها وفعلهِ بها . وليس في هذا التقرير شيء يدعو الى الطمانينة كما في التقرير الذي قبلهُ لا لان ما ذكر في التقرير السابق قد نقض بل لانهُ لم يضف شيء اليهِ من حيث الشفاء

ومن الغريب ان السرطان يصيب افضل الناس فقلما يصاب بهِ احد من المجانين او السكيرين او المومسات . وتصاب بهِ النساء المتزوجات اكثر من العازبات وذوات الاولاد اكثر من العواقر . والظاهر ان كثيرين يصابون بهِ ثم يشفون من غير ان يشعروا بذلك . افلا يصحُّ القول بان من يصاب بسرطان خفيف ولا يعالجهُ ولا ينتبه لهُ ثم يشفى منهُ هذا الانسان لو انتبه لهُ وعالجهُ بعملية جراحية لقواهُ وزاد خطرهُ بتهييجهِ وعدوى الانسجة التي حولهُ بهِ . يقول الاطباء ان استئصال السرطان عند اول ظهورهِ خير واسطة للنجاة منهُ ولكن من المؤكد ان بعض الذين يعالجون كذلك لا يشفون ومن المؤكد ايضاً ان البعض يشفون من غير علاج افلا يحتمل ان الذين يشفون بعد العملية هم من الذين يشفون من غير عملية بل ما ادرانا ان الذين لا يشفون بعد العملية اضرتهم العملية بدلاً من ان تفيدهم . هذه امور لا تحقق الاّ بعد التجارب الكثيرة في مئات من الناس

وراثة المعارف

كتب المستر وايك كوك مقالة في مجلة المعاصر الانكليزية زعم فيها ان الانسان يرث معارف اسلافهِ ويكون عقلهُ خزانة جامعة علوم الاوائل والاواخر ولكنها لا تظهر فيهِ لتغلُّب المادة على العقل فاذا تنبَّه العقل وسكنت المادة كما في الاستهواء ظهرت فيهِ المعارف المكنونة وذكر مثالاً لذلك شاباً قليل العلم

استهوني. فانجلت له الحقائق العلمية وصار يتكلم فيها كأنه ابن بجدتها ويذكر مصطلحاتها كأنه مرن عليها كل حياته واذا سئل عن مريض شخَّص داءه ووصف دواءه كأنه من مهرة الاطباء. واصابته نوبة هستيرية مرة دامت ثلاثة عشر شهراً فاملى فيها خطباً يومية تملأ كتاباً كبيراً في تاريخ الفلسفة والكون وكل ما يتعلق بالمادة والعقل فوصف النظام الشمسي ونسبته الى سائر انظمة الكون واشتقاق الارض من الشمس والادوار التي تعاقبت على الارض قبل ظهور الانسان عليها وكيفية ظهور الاحياء من حيوان ونبات وارتقائها في سلم الخلق وقال انه ستكشف متحجرات احياء ارقي مما كشف ولم يذكر شيئاً عن الحلقة بين الانسان والعجماوات بل قال ان الانسان ظهر بغتةً كما يولد النابغة من والدين امنيين ثم ذكر تاريخ الانسان من اول ظهوره الى الآن وتاريخ ارتقاء العقل والعلوم والفنون واستطرد الى وصف العالم الروحي. وهذا الرجل طبيب الآن واسمهُ جكسن دافس ويلقب بنبي بوكبسي. ويظهر لنا انهُ قرأ وهو فتى كتاباً مسهباً في هذه المواضيع ككتاب الكسموس فانطبعت صورته في ذهنه ثم شعر بها حينما اصابته النوبة الهستيرية فجعل يتلوها كأنهُ يقرأها في صحيفة ذهنه لا انهُ ورث معارفهُ من اسلافه

الغلاء والشكوى

يشكو العمال في بلاد الانكليز من غلاء المعيشة فيها وقلة العمل اكثر مما يشكو غيرهم. وقد بحث مجلس التجارة الانكليزي عن اسباب هذه الشكوى وقابل بين اجور العمال في انكلترا وفرنسا والمانيا واجور السكن ونفقات المعيشة فوجد انهُ اذا انتقل العامل الانكليزي الى فرنسا وجد ان اجرة السكن فيها مثل الاجرة في انكلترا تقريباً وثمن الطعام والوقود اغلى مما في انكلترا ١٨ في المئة واجرة العمل اقل مما في انكلترا ٢٥ في المئة وساعات العمل اطول مما في انكلترا ١٧ في المئة

واذا انتقل الى المانيا وجد ان اجرة السكن اغلى مما في انكلترا ٢٣ في المئة وثمن الطعام والوقود اقل مما في انكلترا ١٨ في المئة واجرة العمال اقل مما هي في انكلترا ١٧ في المئة وساعات العمل اطول مما هي في انكلترا ١١ في المئة. فالعامل الانكليزي مرحوم اكثر من العامل الفرنسوي ومن العامل الالماني. ومع ذلك هو اكثر منهما شكوى لانهُ اوفر علماً واكثر مطامع

واتعب خلق الله من زاد همهُ
وقصَّر عما تشتهي النفس وجدهُ

ذيول النساء

لا شبهة في ان طول الذيل كان دائماً من ادلة العظمة لكن الاقدمين لم يبالغوا فيهِ كما بالغ المتأخرون ولا حصروهُ في النساء دون الرجال فقد قيل انهُ لما دخلت الاميرة اليصابات

النمسوية الى باريس لتكون زوجة للملك كارلس التاسع كان طول ذيلها ستين قدماً وان الملكة ماري ملكة اسكتلندا كان طول ذيلها ٣٦ قدماً ٠ولا يزال النساء الاوربيات يطلن ذيول اثوابهنَّ التي يقابلن بها الملوك فلما توّج ملك الانكليز الحالي امر ان يحدّد طول الذيل فجعل ذيل لباس امرأة اللورد يردين فقط ثم يزاد نصف يرد لكل درجة فوق درجة اللورد حتى تصل الى زوجة الدوق فيكون طول ذيلها اربعة يردات اي ١٢ قدماً

غنى الاسكا

اشترت الولايات المتحدة الاميركية بلاد الاسكا من روسيا بسبعة ملايين ومئتي الف ريال وهي بلاد واسعة جداً تبلغ مساحتها ٥٨٦ الف ميل مربع وقد استخرج منها من الذهب سنة ١٩٠٧ ما يساوي ١٩ مليونًا من الريالات وبلغت قيمة صادراتها حينئذٍ ٣٣ مليون ريال وقيمة وارداتها ١٩ مليون ريال وبلغت قيمة سمك الصامون الذي صيد منها تلك السنة ١٦ مليون ريال وفيها ثلاثون الف ميل مربع من الارض الصالحة للزراعة ولرعاية المواشي اي نحو عشرين الف فدان وليس فيها الآن الاَّ نحو اربعين الف نفس من البيض ولكنهم آخذون في الازدياد بسرعة وهم يزيدون بالمهاجرة خمسة عشر الفاً او اكثر كل سنة

قطع الخليج الانكليزي في الهواء

استتبَّ لرجل فرنسوي اسمهُ بلريو ان يقطع من فرنسا الى انكلترا طائراً بطيارة وهي اول مرة استتبَّ فيها ذلك وقد قطع مسافة ٣٧ ميلاً في ٣٥ دقيقة وكان لهذا الامر شأن كبير في فرنسا وانكلترا ولكنهُ لا يحل مسألة الطيران بمعنى ان يتمكن الناس من السفر بالمركبات الهوائية كما يتمكنون الآن من السفر بالمركبات البخارية

حراج اميركا

قالت جريدة العلم الاميركية ان اهالي اميركا يقطعون كل سنة ٢٣ الف مليون قدم مكعبة من الخشب وما ينمو في كل حراج بلادهم في السنة لا يزيد على سبعة آلاف مليون قدم مكعبة فهم يقطعون من الحراج اكثر من ثلاثة اضعاف ما ينمو فيها

ميكروب الجدري

اعلن الدكتور اوزولدو كروز مدير مصلحة الصحة في بلاد البرازيل ان ميكروب الجدري كشف في معمله كشفهُ الدكتور هنريك بيوربير والدكتور بروازك ولقد عجز العلماء عن اكتشاف هذا الميكروب قبل الآن مع قيام الادلة الكثيرة على ان مرض الجدري من جملة الامراض الميكروبية فلهذا الاكتشاف شأن كبير عندهم

شكلتن والقطب الجنوبي

يظهر من حديث لمكاتب جريدة التلغراف مع الرحالة شكلتن انهُ لو لم يمت اربعة من افراسهِ باكلها الرمل لتمكن بها من الوصول الى القطب الجنوبي تماماً وانهُ كان معهُ غرموفون وكان هو ورفاقهُ يتسلون بهِ ومن الغريب ان طيور البنغوين كانت تجتمع حولهُ تستمع صوتهُ وقد عرتها الدهشة

هبات كارنجي للمكاتب

بلغت هبات كارنجي للمكاتب العمومية اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات فانهُ وهب ٩٥٩ مكتبة في الولايات المتحدة ٣٤٨٧٠٧٤٥ ريالاً

و٨٦ مكتبة في كندا	٢٠٥٩٤١٥	"
و٣٢٩ في انكلترا	٧٨٥٩٥٥٠	"
و٤٠٥ في سكتلندا	٢٥٧٥٠٨٠	"
و٤٢ في ارلندا	٧٢٤٦١٠	"
و١٤ في زيلندا الجديدة	١٤٦٢٥٠	"
و٥ في الهند الغربية	١١٩٠٠٠	"
و٢ في استراليا وتسمانيا	٤٧٥٠٠	"
و٣ في جنوبي افريقية	٢٣٥٠٠	"
و١ في جزائر سيكلس	١٠٠٠٠	"
و١ في جزائر فيجي	٧٥٠٠	"
ولمكاتب المدارس الكلية	٣٦٥٣٧٥٣	"
والجملة	٥١٥٩٦٩٠٣	

الاسطول الانكليزي

عرض قسمان من الاسطول الانكليزي في شهر يونيو الماضي امام محرري الصحف الذين حضروا من المستعمرات الانكليزية وكان فيها ١٤٤ سفينة محمولها معاً ٧٧١٢٠٠ طن وفيها ٦٣٣ مدفعاً . ومن هذه المدافع ١٤٤ مدفعاً قطر فوهة كلٍ منها ١٢ بوصة اي انها من اكبر مدافع البوارج وثمن هذه السفن ستون مليوناً من الجنيهات

تعقيم اللبن عن بعد

استنبط احد الفرنسويين اسلوباً لتعقيم اللبن ونحوهِ من المواد بالاشعة البنفسجية من النور الكهربائي

تلفون من غير سلك

شاع استعمال التلفون الذي لا سلك لهُ ولكن يصعب الكلام بهِ اذا كانت المسافة طويلة عشرين ميلاً او اكثر. ويقال الآن ان ملازمين فرنسويين استنبطا تلفوناً من غير سلك يسهل التكلم بهِ ولو كانت المسافة مئة ميل

الدستور في ايران

ثار حزب الدستور في ايران على الشاه محمد علي ونشبت الحرب بينهم وبين جنودهِ وعقد الفوز لهم اخيراً فدخلوا طهران وفرَّ هو من وجههم ولجأ الى السفارة الروسية فخلعوهُ

ونصبوا ابنهُ وليّ عهدهِ بدلاً منهُ وهو فتًى في الحادية عشرة من عمرهِ وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

هبة ركفلر

ذكرنا غير مرة ان المستر جون ركفلر الغني الاميركي وهب اموالاً طائلة ينفق ريعها في مساعدة المدارس الاميركية واناط ذلك باناس عهد اليهم بانفاق هذا الريع وبالامس بلغ السبعين من عمرهِ فزاد هذه الاموال مليوني جنيه دفعةً واحدة تذكاراً لذلك فصارت عشرة ملايين وستمئة الف جنيه وصار جملة ما وهبهُ للمشروعات العلمية ٢٤ مليوناً من الجنيهات

اصل النيازك

النيازك او الحجارة النيزكية او الرجم على نوعين الواحد اكثرهُ حديد والآخر اكثرهُ سواد حجرية

وقد كتب الاستاذ بكرنج الفلكي الاميركي مقالة يبحث فيها عن اصل هذه النيازك ورجح ان اكثرها ارضي وقد انفصلت عن الارض لما انفصل القمر عنها لان القوة الدافعة التي دفعت جرم القمر مزقت جانباً كبيراً من قشرة الارض فدار حولها او حول الشمس قطعاً كبيرة ولكنها اصغر من القمر كثيراً ثم تصادمت وتمزقت ولا يزال كثير منها يدور حول الارض فتدنو الارض منهُ من وقت الى آخر ونقوى عليهِ فيقع عليها

سل القرود

لا يخفى انهُ يموت كثير من القرود بالسل في حدائق الحيوانات وقد اعتمدت جمعية علم الحيوان في فيلادلفيا باميركا على امتحان القرود بالتبركولين قبل وضعها في حديقة الحيوانات مع غيرها من القرود فقل ظهور هذا الداء من حين اعتمدت على هذه الواسطة

الحرية في يوليو

كان شهر يوليو الماضي شهر تذكار مجيد عند ثلاث من الامم الكبيرة فالامة الاميركية عيدت في الرابع منهُ لتذكار حريتها والامة الفرنسوية عيدت في الرابع عشر منهُ لكسر نير الاستبداد فيها وقيام الحكم الدستوري والامة العثمانية عيدت في الثالث والعشرين عيد منحها الدستور بل نيلها الدستور اغتصاباً لا سؤالاً. وقد ابتهجت هذه الامم كلها باعيادها وكانت الامة العثمانية اشدها ابتهاجاً لقرب عهدها بالحكم المطلق الذي ازهق نفوسها وقد احتفلت بهِ في كل مكان ولاسيما في الاستانة العلية وفي القاهرة والاسكندرية عاصمتي الديار المصرية

زلزلة اليونان

أُصيبت ولاية اليس من بلاد اليونان بزلزلة عنيفة دمرت كثيراً من بيوتها وقتلت كثيرين من اهاليها

فهرس الجزء الثاني من المجلد الخامس والثلاثين



المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٦ شعبان سنة ١٣٢٧

الاستاذ نيوكم

PROF. SIMON NEWCOMB

ذكرنا في الجزء الماضي نعي الاستاذ نيوكم الفلكي المشهور ووعدنا بذكر ترجمته في هذا الجزء وانجازاً لذلك نقول

قالت مجلة العلم العام الاميركية :— لم يقم في اميركا جمهور كبير من العلماء كما قام في انكلترا في عصر الملكة فكتوريا وفي المانيا بعد تجديد مدارسها الجامعة ولكن قام من الاميركيين في علم واحد وهو علم الفلك علماء تحق لهم الزعامة . والفضل في ذلك للكرماء الذين وهبوا الهبات الطائلة لإنشاء المراصد الكبيرة حيث يقضي العلماء وقتهم في البحث ولا يضيعوا جانباً منه في التعليم . وقد فقدنا الآن فلكينا العظيم الذي امتاز به علم الفلك في اميركا ونحن نندب فقده لانه ليس عندنا من يقوم مقامهُ . ولد سيمون نيوكم في ١٢ مارس سنة ١٨٣٥ وقد ذكر تاريخهُ في صباه في الكتاب الذي نشره منذ ست سنوات وقال فيهِ ان اباهُ كان معلماً وانهُ هو كان ميالاً الى علم الحساب منذ حداثته وقد استطاع ان يستخرج الجذر الكعبي وعمره ست سنوات ونصف سنة (وهو استخراج صعب حتى على الشبان) وقرأ كل الكتب التي وصلت اليها يده ولاسيما الكتب العلمية ولكنهُ لم يدرس في مدرسة درساً قانونياً بالمعنى المتعارف . ولما صار عمرهُ اربع عشرة سنة خدم طبيباً على امل ان يقتبس منهُ بعض المعارف ولما رأى ان الطبيب دجال ولا فائدة تقتبس منهُ هرب من وجهه ومضى الى ولاية نوفاسكوشيا بسفينة شراعية ولم يكن معهُ ما يفي باجرة السفر فعمل في السفينة بما يقوم بذلك ثم جعل يعلم في مدرسة صغيرة وعمرهُ ثماني عشرة سنة وبعد سنتين تعرَّف بالاستاذ هنري سكرتير دار العلم السمثسونية لانهُ كان يواظب على درس العلوم الرياضية ويستعير الكتب من مكتبتها لكي

يصير قادراً على عمل الحسابات الفلكية · وقد برع في هذه الحسابات حتى اختير لعمل التقويم البحري وتيسر لهُ حينئذٍ ان دخل مدرسة هارفرد الجامعة ودرس على الاستاذ بيرس وقرأ كتب لابلاس ولاغرانج ومن ثم صار لهُ الشأن الاكبر في حساب افلاك النجيمات وامتد في الحساب الى اورانوس ونبتون وغيرهما من السيارات الكبيرة والى القمر وعُدَّ من النوابغ في هذا الموضوع مثل لابلاس ·

وجُعل استاذاً للعلوم الرياضية في المدرسة البحرية سنة ١٨٦١ ومديراً للتقويم البحري سنة ١٨٧٧ وبقي في هذا المنصب الاخير الى ان تركهُ سنة ١٨٩٧ لانهُ بلغ اعلى رتبة بحرية فيهِ لكن مجلس اميركا استبقى خدمتهُ بنوع استثنائي · وكان استاذاً في جامعة جونس هبكنس ايضاً وقد خدم العلم خدمة جلّى في مباحثهِ عن نظام الافلاك وادارته اعداد التقويم البحري السنوي وبكتبهِ ومقالاتهِ الفلكية القريبة المأخذ وقد كان آية في حسن البيان ولهُ كتب مهمة في علم الاقتصاد السياسي وكان رئيساً لجمع تقدم العلوم البريطاني وعضواً في كثير من الجمعيات العلمية

وقالت مجلة ناتشر الانكليزية بلسان السر روبرت بول الفلكي المشهور: — «لقد اصيب العلم بضربة من اشد الضربات بوفاة الاستاذ نيوكم وفقدت اميركا بفقدهِ اشهر علمائها ولم يفقد العالم عالماً مثلهُ في علم الفلك النظري بعد وفاة ادمس · ومن اهم اشغالهِ الفلكية بحثهُ في افلاك النجيمات ليعلم هل هي اجزاء سيار كبير تكسر في قديم الزمان كما كان يظن فبحث في حركاتها وما اعتراها من التغير مدة الوف ومئات الوف من السنين فوجد انها لم تكن مجتمعة في بقعة واحدة ولذلك فهي ليست اجزاء سيار تكسر بل ان كل نجيمة منها كانت مستقلة من اصلها من حين تكوّن النظام الشمسي · واهم مباحثهِ متعلق بالقمر وحركاتهِ ولم يكن يكتفي بالمباحث النظرية بل كان ماهراً في الامور العملية ايضاً كما يظهر من بحثهِ في سرعة النور

فقد بهِ العالم اشهر علَم بين الفلكيين الاميركيين وسيبقى ذكرهُ خالداً في نفوس الذين عرفوا عملهُ · ولقد كان عزيزاً على اصدقائهِ الكثيرين في اوربا واميركا بسمو افكارهِ وكرم اخلاقهِ وشهامة نفسهِ»

وقد اشتهر بكتبهِ الفصيحة العبارة القريبة المأخذ التي ادنى بها قطوف علم الفلك من اذهان العامة — وكان ثقة في علم الاقتصاد السياسي وضمان الحياة ولهُ مقالات شتى في المجلات العلمية والادبية في المواضيع الفلكية وغير الفلكية ولا يزال قراء المقتطف يذكرون مقالتهُ مناجاة الارواح المدرجة في جزء مارس الماضي ومقالة عن الطيران والمراكب الطيارة مدرجة في جزء اكتوبر من العام الماضي · ويقول اصدقاؤهُ انهُ كان من اكثر العلماء اشتغالاً ومن اشدهم دعة وفكاهة حديث · وقد نال اسمى الالقاب والرتب العلمية

الناس اخوة

أهدي ببغاء الى ابنة فألفتهُ والفها وبعد شهور قليلة دخلت ابنة عرس اليهِ وعضتهُ فاماتتهُ . فحزنت عليهِ الابنة وبقيت اياماً لا تتعزى عن فقده وشاركها ابوها وامها في حزنها . ومرض جواد ووقع على الارض يتألم فرآهُ صاحبهُ وسائسهُ على تلك الحال فلم يستطيعا ان يمتنعا عن البكاء . وامثال ذلك كثيرة تقع كل يوم فلا نطيل الكلام فيها

يصاب احد معارفك او اقاربك بمرض مؤلم فيصرخ ويتوجع فتشعر كأن صراخهُ تفتت كبدك وتخرج تفتش لهُ عن طبيب او عن دواء ولو في نصف الليل وتحت المطر

ويموت جارك او صديقك او قريبك فتحزن عليهِ وتبكي وتنوح . وترى رجلاً حُكم عليهِ بالقتل وعلق فتمرُّ عليك ايام وانت منغص العيش مكروب النفس تشعر كأن بلاطة على صدرك

هذه حال الانسان الطبيعي يتألم لاخيهِ وقريبهِ وجارهِ وابن نوعهِ ولو كان بعيداً عنهُ بل يتألم للحيوان الاعجم . وهذا الانسان نفسهُ تثور ثائرة الغضب في نفسهِ فيهجم على اخيهِ الانسان ويمزقهُ تمزيقاً لا شفقة ولا حنان فاين الحب واين الاخاء

الخلقان في الطبع الحنو حديث والجفاء قديم يتنازعان الانسان فيتغلب هذا تارة وذاك اخرى حسب عوامل الزمان والمكان . وللفضلاء اهتمام شديد بتقوية الخلق الحديث فاقاموا الادلة على ان الناس اخوة من اصل واحد ودمثوا الاخلاق بالتربية والتعليم فقويت عاطفة الحب والحنان وضعفت عاطفة البغض والجفاء حتى لقد اخترعوا الوسائل لازالة الالم من الذين يحكم عليهم بالقتل شفقة عليهم . بينما هؤلاء الفضلاء يسعون هذا المسعى الحسن يسعى غيرهم في اقامة الادلة على ان الناس غير متساوين بالفطرة وانهم مرؤوس ورئيس ورجل يسعى ورجل يُسعى لهُ

قال كاتب من كتاب العصر في جريدة الاستقلال الاميركية يذهب كثيرون الآن من اهالي اوربا واميركا من صميم المتمدنين ان اولاد بعض الناس يولدون ليكونوا عبيداً وخداماً لاولاد غيرهم وان اتباع هذا المذهب اكثر مما كانوا منذ مئة عام

فقد عاد الاستعباد الذي يحسب الاوربيون والاميركيون انهم الغوهُ لكنهُ عاد بصورة جديدة . فلم يكتفوا بالقول ان بعض الناس مخلوقون ليكونوا عبيداً لغيرهم بل قالوا ان بعضهم

مخلوقون ليكونوا اسياداً فتكون السلطة في يدهم سياسيةً او علمية او دينية · واتخذوا مذهب النشوء الطبيعي عضداً لهم فقالوا ان بقاء الاصلح قضى بامتياز بعض الناس على البعض وبعض الاسر على بعض وبعض الامم على بعضٍ وان القويَّ ليس مكلفاً بحماية الضعيف الاَّ بمقدار ما يكلف الانسان بحماية بهيمتهِ لاجل منفعتهِ · هذه خلاصة ما يقولونهُ ولكن اللوم ليس عليهم بل على علماء الطبيعة الذين وضعوا اساس هذا المذهب مذهب بقاء الاصلح وتركوهُ على اطلاقهِ · ومثلهم في تحمل اللوم فيلسوف مثل فردريك نيتشه الالماني ينادي منذ خمسين سنة الى الآن ان نوع الانسان فسد وضعف بمقاومة ناموس الطبيعة وحماية الضعفاء والزعانف وانهُ لو أُطلقت يد الطبيعة حتى يتغلب القوي على الضعيف والصحيح على السقيم والعالم على الجاهل لزال نسل الضعفاء والسقماء والجهلاء ولم يبقَ الاَّ الاسر الراقية من طوائف الناس · وفاتهُ ان هذه الطوائف الراقية متباينة ايضاً في درجات رقيها واذا أُطلق لها العنان قويت فيها الشهوات القديمة الدنيئة التي هي ارسخ في طبعها من المناقب التي اكسبها اياها التعليم والتهذيب فيقوم بعضها على بعض ويفني بعضها بعضا والبقية الباقية منها يكون شعارها الاثرة والغطرسة · وقولنا هذا لا ينفي ما يسعى اليهِ الفضلاء مثل السر فرنسيس غلتن وحزبهِ الذين يبذلون الجهد الآن في حث الاقوياء على التزوج واخلاف النسل ونصح السقماء المصابين بامراض وراثية ان لا يتزوجوا ويخلفوا نسلاً سقيماً مثلهم لانهم لا يطلقون العنان للطبيعة الاَّ انَّ لاصلاح النسل ونزع التباغض والتضاغن سبيلاً آخر بيولوجياً طبيعياً وهو اختلاط طوائف الناس بعضها ببعض بالتزاوج فان هذا الاختلاط يقوي انواع الحيوان كل نوع على حدتهِ كما هو ثابت علماً واختباراً فعلى مَ لا يقوي نوع الانسان ولا سيما اذا كان بين الطوائف المتقاربة.

كان سكان مصر الاقدمون امة واحدة وكان عمرانهم بسيطاً ورقيهم قليلاً كما يستدلُّ من آثارهم فدخل البلاد اقوام من الشمال واقوام من الجنوب فاختلطوا بهم وكان اكثر اختلاط السكان في الوجه البحري بالاقوام الشمالية واكثر اختلاطهم في الوجه القبلي بالاقوام الجنوبية فزاد عمرانهم واسرع ارتقاؤُهم · وما جرى في هذا القطر جرى في كل الاقطار التجارية فامتزجت الشعوب بعضها ببعض وزاد ارتقاؤُها · اما الاقطار النائية التي ليست في طريق التجارة فاضطرت ان تهاجر وتختلط بغيرها او بقيت في امانا كنها راضية بالضعف والصغار

وامتزاج الامم من اقوى الوسائل الطبيعية لترقيتها واضعاف خلق الاثرة والتباغض وتقوية خلق الايثار والتواد · فعلى الذين يهتمون باصلاح نسل الانسان وترقيتهِ جسداً

وعقلاً ان يسعوا في اقناع ابناء نوعهم انهم وسائر الناس من طينة واحدة ولا يمتاز بعضهم على بعض الاَّ بالفضائل المكتسبة . وان كانت الاديان قد فرَّقت بينهم في ما مضى فعلى زعمائها ان يزيلوا اسباب التفريق الآن . وان كان رجال السياسة يسعون الى احكام اسباب العداء بين امة وامة وشعب وشعب فعلى علماء الاجتماع ان يحبطوا مساعيهم ويسفهوا اراءهم . وعلى رسل الخير دعاة الاديان ان يجعلوا غرضهم الاول التعليم بان الله صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض

ولا يخفى ان الكلام لا يفيد عشر ما يفيدهُ العمل وانهُ اذا كان عمل المعلم مخالفاً لتعليمهِ ذهب تعليمهُ ادراج الرياح . فالمبشر الذي يعلّم ان الناس من دم واحد ويقاطع اختهُ او ابنتهُ اذا تزوجت رجلاً اجنبياً لمجرد كونهِ من غير امتهِ ينقض بعملهِ كل ما يقولهُ بلسانهِ ويثبت للملإِ انهُ جاهل لا يفهم معنى ما يعلّم بهِ او منافق يظهر الايمان ويبطن الكفر

ولا مثل التزاوج بين الامم لتمكين عرى الاتحاد فضلاً عن فائدتهِ في تقوية النسل . وان افضل مشهد شهدناهُ وكان لهُ الوقع الاكبر في نفوسنا حلقة الامام المرغني في هذه العاصمة وقد اجتمع فيها العرب والترك والفرس والمصريون على اختلاف اممهم وكثيرون غيرهم من امم السودان وصلّوا كلهم الى قبلة واحدة وراء امام واحد وعبدوا الهاً واحداً على صورة واحدة ثم جلسوا على موائد الطعام بيضهم وسمرهم وسودهم صميمهم وخلاسيهم على اختلاف اشكالهم واديانهم كأنهم من بيت واحد وكثيرون منهم مرتبطون برباط القرابة ولو كانوا من امم مختلفة . وان ابلغ عبارة سمعناها قول شيخ من ائمة هذا القطر تراهُ فتحسبهُ من الشراكسة عن اخيهِ وهو اسود وابن جارية سوداء « اخي الامام فلان قال كذا وقولهُ الصواب » . فاباحة التزاوج بين الامم المختلفة والترغيب فيهِ خير واسطة تربط الشعوب واذا سلمت من التباغض الديني والمذهبي وكان العفاف عنوانها ربطت امم العالم اجمع واصلحت ما عجزت عن اصلاحهِ الشرائع والسنن . ولكن اختلاف الاديان وجعل هذا الاختلاف مصلحة من مصالح المنتفعين بهِ يبقى فاصلاً بين الامم وسدًّا حصيناً يمنع الصلاح . فهل يسير العمران سيرهُ في الخطة التي اشرنا اليها خطة اقناع الناس انهم اخوة من دم واحد او يسير في الخطة الثانية خطة القائلين ان الناس غير متساوين واذا ساويت بينهم اليوم اختلفوا غداً وزادت نواميس الطبيعة القوي قوة والضعيف ضعفاً الى ان ينقرض الضعيف من امام القوي ويفني الناس بعضهم بعضاً . هذان امران مقاليدها في ايدي رؤساء الامم وزعمائهم

سكان القطر المصري

(أ) العدد والسن

بلغ عدد سكان القطر المصري في الاحصاء الاخير ١١٢٨٧٣٥٩ الذكور منهم ٥٦٦٧٠٧٤ والاناث ٥٦٢٠٢٨٥ فالذكور اكثر من الاناث ٤٦٧٨٩ ولذلك لا صحة لما يقولهُ البعض من ان الاناث اكثر من الذكور في البلدان الشرقية او لا صحة لهُ في القطر المصري على الاقل —

وعدد الذكور حين الولادة الى نهاية السنة الاولى ٢٢١٧٨٧ وعدد الاناث ٢١٥٤٨٠ اي ان عدد الذكور اكثر كثيراً من عدد الاناث اما لان المولودين منهم اكثر من المولودين منهنَّ او لانهُ يموت منهنَّ في غضون السنة الاولى اكثر ممن يموت منهم . ثم يزيد موت الذكور على موت الاناث الى السنة الرابعة فقد بلغ عدد الذكور الذين في السنة الرابعة ١٨١٨٠٨ وعدد الاناث ١٩٤٥٥٥ وبعد ذلك زادت وفيات الاناث على وفيات الذكور فبلغ عدد الذكور بين السنة الخامسة والتاسعة ٧٩٦٧٥٥ وعدد الاناث ٧٦٨٧٦٠ . وبلغ عدد الذكور بين السنة العاشرة والرابعة عشرة ٦٧١٤١٧ وعدد الاناث ٥٢٣٣٠٦ وبين السنة الخامسة عشرة والتاسعة عشرة بلغ عدد الذكور ٥٢٨٧٢١ وعدد الاناث ٤١٨٦٤١ فان كان الاحصاء صحيحاً بين السنة العاشرة والتاسعة عشرة فهو من الغرابة بمكان ولا نظن ان لهُ مثيلاً في بلاد اخرى ولا يكاد يعقل ان يبلغ الفرق نحو ٢٦٠ الفاً بين الذكور والإناث في نحو مليونين من الذكور والاناث .

وتنقلب الحال بعد ذلك فبين السنة العشرين والتاسعة والعشرين عدد الذكور ٨١٦٤٩٢ وعدد الاناث ٩١٨١٩٠ وكذلك بين السنة الخمسين وما فوقها فان عدد الذكور ٦٨٧٦١١ وعدد الاناث ٧٦٢٧٣٢ . وان صح هذا الاحصاء فهو يدلُّ على ان موت الذكور يزيد على موت الاناث في السنة الاولى والثانية والثالثة والرابعة ومن السنة العشرين فصاعداً وموت الاناث يزيد على موت الذكور من السنة الخامسة الى التاسعة عشرة فقط

(٢) العمل

عدد العاملين بالزراعة من اهالي القطر المصري ٢٣١٥١٤٩ العمال منهم بالاجرة ٨٣٢٧٨٥ والباقون ملاك او مستأجرون للاطيان

وعدد العاملين بصيد السمك ونحوه ١٢٤٨٨١ والعاملين بنسج المنسوجات ٨٣٢٣٨ والعاملين بالجلود كالدباغين ونحوهم ١٢١٨ والعاملين بالخشب ٧٥٠٦ وبالمعادن ٣٠١١١ وبالخزف ٩٦٥٣ والخبازين والطباخين ونحوهم ٤٠٦٦٩ والخياطين ونحوهم ٧٦٤٠٩ وصانعي الاثاث ٥٤٢٠ والبنائين ٩٤٩٢٥ وصانعي القوارب والمراكب ٣٨٦٦ والمراكبية ٣٩٣٥٢ والعربجية ٢٣٦٨٨ والشيالين ١٧٧٩٧ ومستخدمي سكك الحديد ١٠٦٦٢ ومستخدمي الفنادق ١٢٠٧٣ والبقالين ونحوهم ٨٨٢٥٧ وباعة الاقمشة ١٧٥٥٤ والجيش والبوليس ٤٩٨٩٥ ومستخدمي الحكومة ٢٨٨٥٦ والتربية ١٩٩٧٢ وخدمة الدين ١٤٤٠٧٩ والخدم من كل الانواع ٢٣٥٨٥٠٦

(٣) الاديان

المسلمون من كل المذاهب	١٠٢٦٩٤٤٥
الاقباط الارثوذكس	٦٦٧٠٣٦
« الكاثوليك	١٤٥٧٦
« البروتستانت	٢٤٧١٠
البروتستانت من غير الاقباط	١٢٧٣٦
الروم الكاثوليك	٥٧٧٤٤
الروم الارثوذكس	٧٦٩٥٣
بقية الطوائف المسيحية	٢٧٩٣٧
اليهود	٣٨٦٣٥
من اديان اخرى	٢٠٦

فالمسلمون اكثر من تسعة اعشار سكان القطر المصري وبقية السكان اقل من العشر

(٤) الجنس

اكثر سكان القطر المصري مصريون اصلاً كما لا يخفى والحضر منهم ١٠٣٦٦٠٤٦ والبدو ٥٣٧٦٣١ وجانب كبير من البدو تحضر . والعثمانيون الذين لم تمضِ عليهم المدة الكافية في القطر المصري لحسبانهم من الوطنيين او لم يعلنوا عزمهم على حسبانهم وطنيين يبلغ عددهم ٧٠٣٥٥ وهم من امم المملكة العثمانية الاربع الامة التركية والامة السورية والامة العربية والامة الارمنية فالاتراك ٢٧٥٩١ والسوريون ٣٣٩٤٧ والعرب ٤٤٠ والارمن ٧٧٤٧ وقد حسب جميع اليونانيين وعددهم ٦٢٩٧٣ مع غير الجنس العثماني ونرجح ان كثيرين

منهم من العثمانيين كما ان أكثر المسيحيين من غير الاقباط والاروام هم من سورية وما يتصل بها كحلب وبغداد

(٥) العاهات

في القطر المصري من العميان ١٤٨٢٨٠ ومن العور ٣٦٣٧٠٢ ومن المجانين ٧ ٥٤٤ ومن المجذومين ٦٥١٣ . ومما يستغرب الاختلاف الكبير بين الذكور والاناث في هذه العاهات فالعمى يصيب الاناث اكثر مما يصيب الذكور فان في القطر ٧٩٢٥٣ عمياء و ٦٩٠٢٧ اعمى والعور يصيب الذكور اكثر مما يصيب الاناث فان في القطر ٢٠٧٤٢٣ اعور و ١٥٦٢٧٩ عوراء وكذلك الجنون يصيب الذكور اكثر مما يصيب الاناث فان فيه ٣٦٧٣ مجنوناً و ١٧٧٤ مجنونة . والجذام يصيب الذكور اكثر مما يصيب الاناث فان في القطر ٤٢٨٧ مجذوماً و ٢٢٢٦ مجذومة . ولم نكن نظن ان عدد المجذومين بالغ هذا الحد

(٦) القراءة والكتابة

عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة في القطر كله ٦٠٩٣٢٢ الذكور منهم ٥٤٨٦٦٩ والاناث ٦٠٦٥٣ فقط

(٧) المواليد والوفيات

اختلف متوسط المواليد في الثماني السنوات الأخيرة في مدن القطر المصري من نحو ٤٢ في الالف الى نحو ٤٧ في الالف سنوياً وفي الاقاليم من نحو ٤١ في الالف الى نحو ٤٥ في الالف وعدد الوفيات في مدنه من نحو ٣٨ في الالف الى ٣٢ فقط في الالف وفي الاقاليم من نحو ٢٢ في الالف الى ٢٧ في الالف والاختلاف غير كبير في عدد المواليد ولا هو مما يمكن تقليله او تكثيره بالوسائل الادارية او العلمية وتكاد المدن تماثل الارياف فيه . واما متوسط الوفيات فقليل في الارياف بين ٣١ و ٢٧ في الالف واما في المدن فكثير جداً بين ٣٢ و ٣٨ في الالف وهنا المجال واسع للتدابير الصحية من كل وجه وتقليل ضرر الازدحام في المدن ليقل عدد الوفيات ولا ندري لماذا هذا الاختلاف الكبير بين سنة واخرى ففي سنة ١٩٠٠ بلغ متوسط الوفيات في المدن نحو ٣٧ في الالف وفي سنة ١٩٠١ بلغ ٣٣ و ٣ اعشار فقط في الالف والفرق كبير جداً بين السنتين وكذلك بلغ متوسط الوفيات ٣٦ وسبعة اعشار في الالف سنة ١٩٠٢ وهبط الى ٣٣ فقط في الالف سنة ١٩٠٣ نعلم ما هذا الفرق الكبير بين سنة والتي تليها . هذه المسألة وامثالها من المسائل الهامة التي يجب ان تعنى الحكومة بها

الحضارة الاثينية القديمة

(تابع ما قبله)

مبانيهم وطرقهم

كانت مبانيهم دليلاً على عظمة نفوسهم ودقة اذواقهم وحسب طالب الدليل في ذلك بناء الاكربوليس وما اشتمل عليهِ من النقوش ومظاهر الجمال . وكان مدخل اثينا المسمى بروبيلاس بناء ناخراً أُنفق عليهِ ما يقدر بنحو ٥٠٠٠٠٠ جنيه من نقود هذا الزمان . واذا لم يكن من اهمية هذه المباني الا انها كانت تبعث الغبطة في قلوب الاهالي وتثلج صدورهم مجداً وفخاراً بانهم منشؤُوها ومقيمو صروحها فكفى

ولقد قال يوماً ديموستنيز « ان اثينا تحرز اعياناً باقية مدى الدهور فهي تملك ذكرى اعمالها الجيدة وجمال الاثار القديمة وكفاك من كل ذلك الاكروبوليس والبارثنون »

واذا ولج القادم باب المدينة وجد امامهُ تمثال بطل من الابطال مندرع بالرمح والمجن والمغفر . وقد بقي هذا التمثال مدة طويلة من الزمان ممثلاً القوة الحافظة لكل اهل اثينا

اما اشكال معابدهم الهندسية فكانت واحدة تقريباً غير انها كانت تتفاوت في التزويق والسعة . وكان يضيئها فتحات في سقوفها وانعكاس الضوء من جدرانها الرخامية الشفافة . وقد كان للاثينيين حذق في الهندسة يداني دقة المصريين القدماء . وهذه مبانيهم شاهدة لهم . واذا تعرفنا مبانيهم الفاخرة وتصورنا الضوء الذي كان ينبعث من رخامهم الابيض المترقرق وتزاويقهم الذهبية . وادركنا كذلك ان تلك الخطوط والالوان والنسب انما كانت تدرك وتنفذ بابصار قوم يحبون هذه الاشياء حبًّا لذاتها وللذاتها . وتذكرنا ايضاً ان الاكربوليس كان ينفق في سبيل انشائهِ — فضلاً عن الذكاء الانساني — مبلغ من المال يعادل ٦ او ٧ ملايين من دنانير هذه الايام وان الرجال الذين كانوا قائمين باعباء هذا العمل يدعون اليهِ وينفقون عليهِ من مالهم انما كانوا يقنعون بالعيش في بيوت قد لا يكون من حظها الا الحقارة والاستخفاف — اذا اعتبرنا ذلك كلهُ سهل علينا جدًّا ان ندرك ما كان مستقراً في نفوس اولئك القوم من روح التضامن والروح الدينية وعشقهم للفنون

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

كان عند الاثينين مظلات مشيدة من الرخام ذات ابواب وعرصات يسبهل فيها الطلاب وعامة الناس طلباً للراحة حيناً او المطالعة حيناً او المناقشة والمجادلة . وكانت جدرانها مزينة بتصاوير تمثل الرماح والتروس والحوادث التاريخية والجغرافية . كانت هذه المظلات تستعمل في بعض الاحايين لعقد المجالس القضائية او الاجتماعات العامة الاعتيادية وكانت فوق ذلك ملجأً لابناء السبيل ومن لا عمل لهم حتى يجدوا فيها عزاء وتسلية بلقاء اهل بلدهم ومجاذبتهم اطراف الحديث

بينما كانت هذه المظلات ذات سقوف كانت المراسح والمجالس الرسمية عارية عنها . واذا كانت الحال كذلك افلم يكن هناك مبانٍ اخرى مغطاة بالسقوف ؟ بلى . ان الاثيني كان يلحظ في كل بناء الغرض الذي شيد من اجلهِ ذلك البناء . ولنضرب لذلك مثلاً بدار الاغاني " Odium " فقد كان الغرض من تشييدها سماع التوقيعات الموسيقية واغاني المغنين . ولما كان ذلك يستلزم مكاناً محصوراً جعلوا لهذا البناء سقفاً على شكل قبة

لم يكن للاثينين في ذلك العصر خلاف ما ذكرناهُ من المباني الشاهقة والصروح الشامخة شيء من البيوت او القصور او الطرقات المنسّقة المنظمة . ولقد وصف احد كتاب اليونان مدينة اثينا بقولهِ « ان اثينا بلدة متربة مغبرّة قليلة المياه حقيرة البيوت وان الاجنبي عنها ليرتاب لاول وهلة عند رؤيتها وينكرها فلا يصدق بها حتى يرى مرسحها وسامق مبانيها . فهي ضيقة الطرق معوجة السبل

واول بقعة في اثينا حظيت بتنظيم الطرق هي مرفأها بيريه في عهد تموطقلس المشهور وعلى يدي المهندسين الكبيرين هيبو داماس وهوسمان

ولقد يدهشنا جدّاً ما نراهُ من عبادة هؤلاء القوم للفنون الجميلة ورقيهم العقلي مع ما كانوا عليهِ من التسامح والتساهل في امر قذارة طرقهم وعدم استكمالها لوسائل الراحة العامة . فكأن الاثينين كانوا احط من الرومانيين في العناية برصف طرقهم وتنسيقها . قال المؤرخ استرابو ان اليونانيين كانوا عشاق جمال وذوي عناية بحصونهم كلفين بمرافئهم وخصب ارضهم بينما كان الرومانيون مولعين بتنسيق طرقهم وحماماتهم وتوفير المياه عندهم

اما طرقها فكانت حالكة الظلام في الليل محرومة من النور . واذا لم تكن الليلة مقمرة اضطر السارون الى حمل المصابيح او المشاعل . كان السكان في حلّ من قذف فضلاتهم ومياههم العفنة من نوافذهم . وما على احد الاَّ ان ينبه السابلة بقولهِ " Existo " اي تنحّ عن الطريق وكان في اثينا ملاحظو طرق الاَّ انهُ لم يكن من واجبات هؤلاء الاَّ منع الاعتداء والمزاحمة

وملاحظة المرور ومراقبة الكناسين . والنتيجة ان اثينا كانت غير مراعية القوانين الصحية حتى ابتلاها الله بطاعون كان يفتك باهلها فتكاً ذريعاً كما قال مؤرخهم ثيوسيديدس واذا تدبرنا ما قاله المؤرخ استرابو من ان الاثينيين لم يعنوا بامر المياه ووسائل توفيرها ادركنا ما كان يتكبده الاهالي اذ ذاك في نقلها الى منازلهم فمنهم من كان يحتفر الآبار او يتخذ لنفسه صهريجاً من المعدن ومنهم من كانوا يرسلون بارقائهم فيأتونهم بالمياه في قدور كبيرة . هذا ما كان من امر معاشهم وحياتهم الاجتماعية

الوطنيون والنزلاء والعبيد

واذ قد علمنا حياة الوطني بوجه عام فلنبحث الآن في حال الاهالي جميعاً وصلاتهم السياسية والاجتماعية . فالسائر في طرقات اثينا قد يرى ثلاثة او اربعة من الوطنيين البحت وعدوّاً آخر من العبيد . على ان هناك نوعاً ثالثاً من الاهالي اي النزلاء الاجانب عن البلد وهم الذين لاحظ لهم في تدبير شؤون البلد او وظائفه العامة . بل انهم مباح لهم تعاطي التجارة في اثينا والتمتع بحمايتها ومزاياها نظير جعل من المال يرضخون به للحكومة . ولم يكن لأحدهم ان يمتلك قيد شبر من الارض . ولم يكن هناك مظهر مخصوص لكل صنف من الناس ولم يكن الارقاء يلبسون ثياباً خصيصة كما كان عليه الامر في اسبارطه ولا يرسلون شعورهم كعبيد اسبارطه . ولا يختلفون عن الاحرار في اللون الا ما كان من بعض الارقاء الاثيوبيين . كما انه لم يكن بين المجموع فرق في المهن والصناعات . واذا مررت باسكاف لم يمكنك ان تحكم عليه هل هو من الاحرار او الارقاء . هذا امر حري بالامعان والتدبر اذ انّا نفهم منه ايضاً ما كانت عليه اثينا من مبادىء الديمقراطية البحتة

كان الرقيق رجلاً غير ذي ثروة ولم يكن عاطلاً ولا جنديّاً ولكنه كان رجلاً عاملاً . واذا شئنا ان نعرف نصيب الرقيق في الحياة العملية الاثينية تجلّى لنا ذلك فيما يلي

الجمعية العمومية

كان القوم يهرعون الوفاً في ذلك اليوم يوم التئام الجمعية ويصعدون الى مرتفع من كل انحاء اثينا ومرفإها بيريه يستوي في ذلك فقيرهم وغنيهم . حقيرهم واميرهم . وملاك الضياع والزراع والتجار والباعة واهل البطالة والحدادون وصناع الاحذية والنقاشون وباعة الاسماك وارباب الفنون الجميلة لا تمييز بين بيض الايدي وسودها . يذهبون الى ذلك المرتفع من الارض وكلهم ذوو حق في التصويت ذوو حق في ان يتكلموا ليسمع منهم . ولا نغلو اذا

قلنا انهم كانوا جميعاً في مستوٍ واحد تقريباً من قوة التفكير والقدرة على الخطابة وحسن البيان. ولكنهُ لم يكن بين هؤلاء فرد واحد من الارقاء. وقد كان البعض يتخلف عن ذلك الاجتماع ممن لا تمكنهم اعمالهم من ذلك او الذين لا يحفلون بهِ او طائفة ممن الفوا نضائد النعيم ونمارق الراحة ولذة البطالة

اضف الى هؤلاء القاعدين ايضاً النزلاء الاجانب الذين ليس لهم حظ من الاعمال الادارية قلَّ او كثر ويهمني جدًّا في هذا المقام ايها السادة ان يستقر في اذهاننا ان الذين كانوا يغشون ذلك الاجتماع هم القرويون غالباً فان في ذلك كشفاً لبعض اسرار الديمقراطية التي كانت ضاربة بجرانها في ذلك البلد الامين

يهمنا ايضاً — ايها السادة — ان نعلم ان الاثينيين البحت لم يكونوا من الارسطقراطيين الذين لا عمل لهم ولا كانوا عالةً على ارقائهم كما يذهب الى ذلك فريق من الناس. كلا ! انهم كانوا جميعاً سواء في الحقوق والامتيازات الوطنية التي حرم منها ارقاؤُهم والاجانب النازلون بينهم . هذا ما كان من امر النظام الاجتماعي عند القوم بوجه الاجمال

انا لا نكون مبعدين اذا قلنا ان الاثينيين هم اول من وضع النظام الحكومي للامم . ولكن الفكرة قد تبدلت اليوم عما كانت عليهِ في اعصرهم . كان الرجل الاثيني يفهم من معنى الحكومة انها عبارة عن شركة قائمة على اساس تبادل المنفعة . وعندهم ان المنافع او المصالح لا تخرج عن امور ثلاثة : سلامة حياة الجمعية . واطمئنانها . واستقرار الامن فيها . فالوطني الصميم اي كل فرد من الافراد المؤسسين لهذه الشركة يملك حق ابداء الرأي في المصالح العامة التي تقرها الجمعية . فاذا حلَّ بالدولة خطر او نزل بها خطب جلل وجب على الشركاء جميعاً ان ينهضوا للدفاع عن وطنهم والذود عن حوضهِ . فينخرط عامتهم وخاصتهم في سلك الجند ويعملون سهامهم ورماحهم في صدور عدوهم حتى ينجاب غبار الحرب عن فوزهم او فوز عدوهم. واذا ما اصاب الدولة رخاء ونعيم كان للشركاء نصيب من ذلك الرخاء مباشرة او بالواسطة . نعرف من ذلك ان الوطني القح كان من واجبهِ ان يعمل على حفظ الحياة المشتركة ويبذل كلَّ مجهوداتهِ في جلب المنفعة ودفع المضرة . هذا هو مبلغ فهم الاثينيين القدماء لمعنى الحكومة . ولقد جاء في نظريات حكيمهم ارسطو ان مبدأ دوران دولاب الحكومة يقوم على امرين . مداولات المجلس . ونشر العدل . واني امسك عن الخوض في هذه النقطة لعدم حاجتنا اليها الآن

لم يكن الاجانب النزلاء يخولون حقوق الوطنيين الصرفة الاَّ اذا قام احدهم بخدمة جليلة للوطن على انهُ لم ينعم على احدهم بهذا الامتياز الاَّ بموافقة المجلس مرتين وباجماع ٦٠٠٠ صوت في المرة الثانية ذلك فضلاً عن التحريات الدقيقة التي تستلزمها الحال · ولم تكن هذه الحقوق والامتيازات ثابتة خالدة بل ان المتمتع بها قابل للتجريد منها اذا ارتكب جُرمًا او اثمًا كبيراً يضر بالمصلحة العامة · اما اذا قام احد الافراد بعمل فاخر فان الامة ترفع شأنهُ وتبيح لهُ ان يتبوأ مقعدهُ من صدور المجالس وتعفيهُ من بعض التكاليف العامة

كان الوطنيون يتزوج بعضهم من بعض ولا يتزوج الاجنبيُّ من وطنية على الاطلاق. ولم يكن من حق الاجنبي ايضًا ان يقيم الدعاوي القضائية الا عن يد وكيل من الوطنيين الاصليين · وكان من الضروري ان يكون لكل اجنبي وصيٌّ وطني يحفظهُ من الاضطهاد او الاساءة · على ان هؤلاء النزلاء كانوا عرضة للاستخدام في الجندية كعساكر لا ضباط وكذلك كانوا يدعون للخدمة في السفن الحربية

لم يكن الرقيق عندهم كما يفهم عادة من هذه اللفظة ولكنهُ كان خادمًا ابيض اللون كسيدهِ غير انهُ كان مسيراً لا مخيراً رقيقًا لا حرًّا · نعم ان الرقيق كان يباع ويشرى الاَّ انه كان ينال من سيدهِ كل عطف وعناية · ولئن كان هناك بعض سيئي الخلق ممن لا يرقبون في الله إلاًّ ولا ذمة قساة القلوب يسومون عبيدهم سوء العذاب ولكنهم كانوا قليلي العدد جدًّا بل كان وجودهم نادراً والنادر لا حكم لهُ · كان السيد الاثيني حريصًا على عبدهِ كثيراً فيطعمهُ مما يأكل ويعنى بعلاجهِ اذا مرض ومن ثم كانت الثقة متبادلة والمحبة نامية بين السيد والمسود · واذا غضضنا الطرف عن مسألة الاتفاق في اللون فان الاحساس الديمقراطي في السيد الاثيني كان يجذبهُ نحو رقيقهِ ولا شك في ان نتيجة ذلك وفاق اجتماعي تام — وهو غير ما عرفت بهِ الطبقات الارسطقراطية في دولة الرومان من التجبر والكبرياء والتمجد الباطل · نستخلص من ذلك ان الفضائل الانسانية كانت بمجموعها مستقرة عند الاثينيين في عصر كان العالم مائجًا فيهِ بمظالم الاسترقاق ومصارع الاستعباد · بينا كان السيد الاثيني على هذه الشمائل الطيبة والاخلاق الفاضلة كان السيد الروماني زاهيًا زهو الغراب صلفًا مختالاً فخوراً متغطرسًا الى الدرجة القصوى · كان الاثيني حسن العشرة · رحب الصدر · جديًّا في كل اعمالهِ عكس ما كان عليهِ الروماني

نروي عن المؤرخ بلوطارخ قصة احد الاشراف الرومانيين قال : اصدر ذلك السيد

امرهُ الى عبيدهِ ان لا يخاطبهُ احدهم في امر ما لم يسألهُ عنهُ . واتفق لهذا السيد انهُ اقام وليمة لاصدقائهِ فلما ارسل عبدهُ الى صديق لهُ يدعى قلوديوس لم يحضر. فارسل اليهِ عبدهُ مرة ثانية فلم يحضر ايضاً فلما اعياه الامر استدعى عبدهُ وقال لهُ « الم تأخذ الدعوة وتوصلها الى صديقي » قال العبد « بلى ايها السيد » قال « ولمَ لم يحضر » قال العبد « انهُ ابى الحضور » قال السيد « اما كان لك ان تبلغني ذلك ؟ » قال عبدهُ « انك لم تسألني عن ذلك ايها السيد » ثم استطرد بلوطارخ من هذه القصة الى المقارنة بين اخلاق الاثينيين والرومانيين الى ان قال وان السيد الاثيني ليجاذب عبدهُ اطراف الاحاديث ويساجلهُ الابحاث السياسية ويسألهُ رأيهُ في بعض المسائل بينما يكون هذا مشتغلاً بحفر الارض وفلحها

كان نصيب العبد في العائلة نصيب احد اعضائها الاَّ انهُ كان قابلاً للمعاقبة والتعزير على انهُ ما كان للسيد الاثيني ان يقتل عبدهُ كما كان يفعل الرومانيون بعبيدهم

وان من دواعي الدهشة والاستغراب ان يتسامح الاثينيون في امر الاسترقاق مع ما كانوا عليهِ من حب اطلاق الحرية الشخصية وحرية القول والعمل الى حد ان حكماءهم وفلاسفتهم مثل سقراط وافلاطون وارسطو لم يروا بأساً في الرق واتخاذ الارقاء . قال ارسطو « ان بعض الاناسي يولدون سادة احراراً بينما يولد غيرهم عبيداً اسارى » . وزاد على ذلك بقولهِ « ان الرقيق آلة حية في يد اهل الذكاء الراقي يصرّفونها على حسب اهوائهم » . ومن هذا يحق لنا ان نؤمن بأن عبيد اثينا كانوا احط من الاحرار من الوجهتين العقلية والاجتماعية . ولكن بالرغم عما قالهُ ارسطو واذاعهُ بين مواطنيهِ نجد ان ارقى اولئك القوم عقلاً . واعني بذلك شعراءهم كانوا يعطفون على الرقيق وينصحون دائماً الى الجمهور ان يحسن معاملتهُ لما كانوا يعلمونهُ من تكاليفهِ وواجباتهِ تلقاء سيدهِ . اما مصدر اولئك الارقاء والطريق التي كانوا يُستوردون منها فهو الاقطار المجاورة للاثينيين فاذا وقع اهلها اسرى في ايدي هؤلاء باعوهم بالمزاد في اليوم الاول من كل شهر

يتحصل مما سبق ان الاثينيين الاصليين كانوا متساوي الحقوق في المسائل المالية والاجتماعية فكان الكثير منهم ارباب ضياع او زرّاعاً او اصحاب معامل صناعية او تجاراً او ملاّك سفن او بحارة او اهل حِرَف وقد كان ابو الخطيب ديموستنز صانع اسياف وكانت ام الروائي يوروبيدس بائعة نباتات اي خضار

قال المؤرخ بلوطارخ يصف اعمال الحاكم الاثيني بريكليز: ان الغرض الذي كان يرمي اليهِ الحاكم بريكليز من تشييد المباني العظيمة والعمارات الشاهقة هو « خلق العمل » هو ايجاد

سبب يدفع الاهالي الى الحركة فينحل ما انعقد من ايدي الشعب و ينشطون من عقال الكسل والجمود . ولان هذه الاعمال تحيي كل صنف من الصناعات والحرف وتكثر من الايدي العاملة وتجعل الاهالي اهل تكسب لا اهل بطالة . ولم يرضَ ذلك الحاكم ان يعيش عامة القوم وسوقتهم دون ان يكون لهم نصيب من العمل او ان يعيشوا عالة على غيرهم . من اجل ذلك كان لا ينفك عن التفكير في ابتكار الاعمال الكبيرة والمشروعات النافعة التي تستلزم حولها الكثير من الصناعات والفنون والتي يعوزها الكثير من الايدي » . فرحم الله ملكاً هذه اعماله

اذا حللنا اخلاق هؤلاء القوم تحليلاً ابسيكولوجياً وجدنا انهم لم يكونوا يحتقرون العمل مطلقاً ولا يستنكفون ان يزاولوا الحرف بانواعها . وجدنا انهم لم تشب صفاتهم الدناءة والملق والتزلف . لم يكن بينهم الشذوذ الذي كثيراً ما نراه باعيننا في هذا الزمان . ذلك الشذوذ الذي يشير اليه حكيمنا العربي بقوله

والغنى في يد اللئيم قبيح ‌ ‌ ‌ قدر قبح الكريم في الاملاق

ولم يكن كذلك من اخلاقهم ان يلتصقوا بالاغنياء . الامر الذي قد فشا بيننا وانحطت بسببه اخلاقنا اصلح الله الحال . لم يكن الثراء او حسن البزة وجودة الثياب من مميزات الانسان بل مميزاته هي فضيلته وعلمه . لم يكن سقراط رجلاً ذا ثروة ولكنه لما احرزه من الفضائل الادبية العالية كان مقبولاً محترماً من كل مواطنيه لا فرق بين الصعاليك والملوك

النساء وحقوقهن

لم تكن المرأة قبل ذلك الزمان في اثينا الا قعيدة منزلها وحلس دارها فهي تلازمه حياتها وتوزع الاعمال المنزلية على ارقائها وتشتغل بغزل الاقمشة تتخذ منها لبوسها وتربي بناتها وصغار اولادها . فلم تتعد تربيتها هذه المسائل . فهي لا تبرح بيتها ابداً الا مع من يصحبها من ذويها واهل بيتها . وليعلم اخواني ان هذا الاحتجاب والانزواء والعزلة عن الناس الذي جرى عليه هؤلاء النساء جاء من التقليد كبقية العوائد التي تسربت الى اثينا من الممالك المجاورة لها . ولا ريب في ان هذا الاحتجاب كان عاملاً على انحطاطهن في القوتين البدنية والعقلية بسبب بعدهن عن الحركة الدنيوية وجهلهن بما يحصل في العالم (ولعل هذا ايضاً هو اقوى سبب في تقهقر نساء مصر في هذا العصر) افليس من الطبيعي اذن ان يعاملهن الرجال كأن انحطاطهن هذا طبيعي لا كسبي فيحتقروهن ولا يروا فيهن الكفاءة والاستعداد للاضطلاع على عظائم الامور . وعلى ذلك لم تكن الحياة الاثينية المنزلية مما كان يأبه له رجال ذلك الزمان . بل كان

الزواج عندهم يجري مجرى عامة عوائدهم · اي انهم لم يعدوهُ من المسائل الضرورية في استكمال شروط الحياة كما هي الحال عند اهل هذا الزمان

كان الصداق عندهم امراً جوهريًّا كما هي الحال في فرنسا الآن فاذا كان نقداً قدم الرجل ضمانهُ واذا كان اثاثًا لم يصح للزوج ان يعتبر ذلك ملكا لهُ

كان الطلاق عندهم كذلك مباحاً ولكنهُ كان ميسوراً للرجل بقدر ما كان عسيراً على المرأة وما على الرجل اذا رام عن زوجتهِ فصالاً الا ان يرد الصداق اليها و يرسلها الى بيت اهلها · اما هي فمن الصعب ان تحصل على طلاقها من زوجها · و يقول بعضهم انهُ كان يوجد في اثينا رجال موكلون بمراقبة النساء مراقبة شديدة من حيث السلوك وخروجهنَّ من المنازل · على ان ذلك لم يكن في عصر تمدنها الذي نتكلم عنهُ في ليلتنا هذه بدليل قول ارسطو « ان ذلك ينافي الروح الديمقراطية · اذ كيف يسوغ لنا ان نمنع النساء الخروج اذا كان يمكنهن ان يقمن في بعض العتر او العشائر بما يقوم بهِ الارقاء في العشائر الاخرى »

وقبل الانتقال من هذا الموضوع نقول : لئن كان حق المرأة وحريتها مقيدين نظريًّا الا انها كانت متمتعة بهما من الوجهة العملية · وان الادوار التي تلعبها المرأة في كثير من الروايات المضحكة تدلنا على ما كان يومئذ من التأثير لطائفة النساء · قال المشترع سولون « كل امر أُبرم بتأثير المرأة لا نصيب لهُ من المشروعية » وحكى ديوتنس عن رجل كان يجادل امرأتهُ في الامور السياسية · وهذه الشواهد تشير بمجموعها الى ما كان للنساء في الواقع من الحرية خلافاً لما قد يبين من نظريات القوم في مسئلة حقوق المرأة

وهنا اختم الحديث مرجئًا الى فرصة أُخرى بحثي في التربية والتعليم عن الاثينيين ومواسم القوم وقضائهم وصناعاتهم واثبات انهم كانوا اقرب في احوالهم الى اهل هذا العصر من غيرهم من الامم

عبد الرحمن زهدي

تابين مارك انطونيوس لجوليس قيصر

(من رواية جوليس قيصر لشكسبير كبير شعراء الانكليز)

(تعريب عيسى افندي اسكندر المعلوف اللبناني)

اعيروني بني الاوطان اذنا لاني قد ملئتُ اليوم حزنا

أيا رومانُ هذا النعيُ فاجعْ قد اصطكّت لهُ كل المسامع
كما انفجرت لهُ سحبُ المدامع بحزن الملك جوليس استعرنا

انا في موقف التأبين واقف فلستُ بمادحٍ والدمع واكف
ومقترف الشرور الغرُّ عارف بأن الشرَّ يحيا ان دفنا

وان الخير يطمر مع عظامِ وهذي حالة القوم العظامِ
فقيصر راشف كأس الحمامِ يفجّع بالمصائب كلّ مغنى

بروتسُ ناسبٌ شرَّ الطماعه لقيصر وهو عنوان القناعه
فان صحَّ المقال فذي براعه بأن القاتل الجاني تجنّى

بروتس سادتي رجل شريف وكلٌّ منكم شهمٌ منيفُ
وان فقيدنا خلٌّ عطوفُ لمن بالنفس فديتهُ تمنّى

فقاد لرومة الاعداء أسرى وذاقوا من بسالتهِ الأمرّا
ومال فكاكهم اجراهُ يجرا لذا ملأ الخزينة منهُ خزنا

وعند مجاعةٍ اذرى الدموعا مراراً نادبًا من مات جوعا
نامسى في عواطفهِ قنوعا ومن عرف الطماعة لن يحنا

فكلكمُ بمشهد الاحتفالِ رآهُ رافضًا تاج المعالي
ثلاثًا ردّهُ دون امتثالِ بنسبتهِ لاطماعٍ كذبنا

بروتسُ ناسبٌ هذا اليهِ واني لستُ معترضًا عليهِ
ولكن موقفي حرجٌ لديهِ ونحن لحبّ قيصرنا نسبنا

لقد احببتمُ الملك الحبيبا بلا سببٍ وما زدتم نحيبا

فماذا يمسك الدمع السكوبا وان خمادنا من ذاك أنّا

لأين هربتِ ايتها الشواعرْ ألستِ مقيمة بين الكواسرْ
واين عقولنا امست نوافرْ وكلٌّ باضطراب البال جنَّا

فقلبي عند قيصر في الإرانِ وهل مرءٌ يعيش بلا جنانِ
فسوف يعود منطلقًا لساني بعودتهِ فليس الصمت جبنا

اذا وجدت دموعكم احبسوها بدون تأخر كي تسفكوها
(امسك الجبة) أجبة قيصرٍ لم تعرفوها وقد صبغت بطعنات كخنا

فاول لبسهِ هذه العباءه مساء الصيف لم يلقَ المساءه
فنال النصر في تلك البداءه ولكنَّ الردى فيها استكنَّا

فهذي طعنةٌ كسكا جناها وهذي آخرٌ حسداً رماها
وافجع طعنةٍ اجرى دماها بروتسُ خائنًا مولاهُ خونا

فقيصرُ كان يحسبهُ ملاكا ولم يطلب عن الحب انفكاكا
محبتهُ لهُ جرَّت هلاكا فكلٌّ يلعن المكار لعنا

لدى تمثال بومباي التقاهُ ونكران الجميل جنت يداهُ
بجنبهِ تلفع مذ رآهُ يجور عليهِ بالسكين طعنا

عليهِ ذلك التمثال اجرى دموعًا اشبهت بالجري نهرا
فقيصرُ من أليم الطعن خرَّا وقد وهنت قواهُ هناك وهنا

خيانتهُ قد انتصرت علينا لذلك سوف يسقط في يدينا
فكم عند البلية قد بكينا ومن ألم التفجع قد رزحنا

(يبكي القوم) اذا ابكاكمُ جرح الثيابِ وأضرم في الحشى نار العذابِ
فكم يبكيكمُ قتلُ الشبابِ تعالوا وانظروا الملك المعنَّى

فهذي جثة فيها الجراحُ أليس لمثل منظرها يناحُ
فما للفاتكين بها رباحُ سينشر ظلمهم قرنًا فقرنا

فلا تدعو الحزين يثير ضرًّا على قوم جزوهُ الخير شرًّا
سقونا اليوم كأس الحزن مرًّا بقتل مليكنا المحبوب غبنا

همُ الحكماء والشرفاءُ اصلا نغدرهمُ لهيبَ الحزن اصلى
لعلهمُ رأوا في القتل عدلا وسوف يفسرون غريب معنى

أنا رجلٌ عيٌّ قد احبَّا صديقًا في مغانيهِ تربَّى
فلا عجبٌ اذا ما زدتُ ندبا وارسلت الدموع عليهِ مزنا

فما أُوتيت من قبل الفصاحه ولكن شجعتني ذي المناحه
وقد وكأنت في نطقٍ جراحه لتشرح من غريب السرّ متنا

ولو أني بروتسُ في الخطابه لفجعتُ العواطف بالكآبه
وحرّكتُ الحجارة بالنيابه ليأخذ ثار قيصرَ كلُّ مبنى

آداب المحادثة

للكاتب الفرنسوي الشهير الدوق روشفيكول

وقعت في اثناء مطالعاتي على القطعة الآتية في آداب المحادثة لصاحبها الدوق روشفيكول الفرنسوي فاستحسنت نقلها الى العربية على صفحات المقتطف لا لانها مدهشة في دقة معانيها وغرابة مبانيها فهي ليست من فرائد البلاغة · بل لما اشتملت عليهِ من صواب الملاحظات في لهجة صادقةٍ ونصحٍ بيّن وعبارةٍ سهلة · وزادني حرصًا عليها ان موضوعها المحادثة اشد المواضيع اتصالاً بالناس لا يخلو منهُ احدهم مرة او اكثر كلَّ يوم الى آخر العمر · ومعظمهم مع ذلك يقصرون في شروطهِ تقصيراً يفضحهم لانهُ ينافي ما يدَّعونهُ من التمدن والتنور ورقة الطباع جاهدين نفوسهم في اثباتِ الدعوى بكيفية معيشتهم مأكلاً ومشرباً وملبساً ومركباً وزيارة واستزارةٍ

واذا تأمل المتأمل قليلاً رأى للمحادثة شأناً كبيراً في تهذيب الاخلاق وتثقيف العقول وتنبيهِ الاذهان الى مباحث دقيقة ومشروعات جليلة كثيراً ما ينجم عنها فوائد عامة وخير شامل · وانما تكون كذلك اذا رعي حقها فلم يقتصر منها اصحابها كما يفعل ابناء الشرق على المطايبة والمفاكهة وقتل الوقت كما يقولون · وانما الوقت عمرهم وعمرهم هو كل ما يملكون · واما

ابناء الغرب فقد تنبهوا الى هذه الوسيلة الثمينة فصار احدهم يعنى كل العناية باختيار عشيرهِ ومحدثهِ لمعظم قدر الحديث والعشرة في نفسهِ . وبلغ من شدة حرصهم على الاحاديث وجنى فوائدها واطايبها ان انشأوا لها اندية خاصة عامرة ينتابها من يختارونهُ . وقد سبقهم اسلافنا العرب الى مثل ذلك حتى كان للاديب الكبير الوزير الصاحب بن عبَّاد مجلس يفوق مجالس الملوك والخلفاء يحضرهُ جمهور غفير من اهل العلم والادب والنقد والظرف وسواهم يعرض كل منهم بضاعتهُ على قدر مجهودهِ ويبادل اخوانهُ وجلاسهُ الافادة والاستفادة والايناس والانس

ولا يخفى ان لذة الحديث تزيد كلما زاد شعور صاحبهِ وواعيهِ بسموه وفائدتهِ . وقدجرى يوماً بحضرة المأمون الخليفة العباسي حامي ذمار العلوم والفنون في عصرهِ ذكر ملذات الدنيا العظمى واطايبها الكبرى فخاض الذاكرون في البحث وعدّدوا ماعددوا فلما انتهوا قال لهم المأمون مامعناه . « اين انتم من حديث الرجال فانهُ اعظم الملذات واعذبها من النفس وقعاً » فقالوا « صدقت ياامير المؤمنين »

وصلت الآن الى نقل ما كتبهُ روشفيكول في آداب المحادثة . اما الكاتب فاسمهُ الدوق فرنسوى دي لا روشفيكول ولد سنة ١٦١٣ وتوفي سنة ١٦٨٠ وكان مشهوراً بالانشاء الناصع الجلي والكلمات الجامعة المانعة ويقينهِ الغريب بخلو البشر من كل فضل وفضيلة قائلاً ان كل ما يبدو لنا منهم خيراً محضاً في اصلهِ وفرعهِ ليس على شيء من ذلك اذا عرضناهُ على محك النقد الصحيح بل يرجع الى حب الذات وتطلب المنفعة . وهذا الذي قالهُ روشفيكول في المحادثة

« ان الذين يستحب حديثهم من الناس قليلون جدًّا لان معظم الجلاس والعشراء يحسبون حساب نفوسهم في ما يقولون ملتفتين الى ذلك اكثر من التفاتهم الى حساب غيرهم في حق التحدث مثلهم مع انهُ يجب على المرء ان يصغي الى حديث جلاسهِ لكي يصغوا هم ايضاً الى حديثهِ . يجب ان يدع لهم مجالا للتعبير عن افكارهم ولو كانت تافهة ليس تحتها طائل وان يمازج قلوبهم وارواحهم منصرفاً اليهم بجملتهِ محدثاً اياهم في مايروقهم مثنياً على مايستحق الثناء من اقوالهم مشعراً اياهم ان ثناءهُ عن يقين واعتقاد لاملاطفة ومجاملة . غير قاطع عليهم حديثهم ولا معارض اياهم لمجرد ولوعهِ بالمعارضة كما يجري في اكثر الاحيان

« ويجب ان يدع الجدال والخصام في المواضيع العقيمة التي لايعرف لها خمر ولا خل وان يحترز كل الاحتراز من بدور اقل بادرة منهُ تدل على انه يعتقد في نفسهِ فضل ذكاء وسعة

اطلاع على جلسائهِ . وان لا يرى من مصائب الدهر تنازلهُ لسواهُ كرماً وتأدباً عن حق الحكم في بحث دار عليهِ الحديث

« ومن آداب المحدث بل واجباتهِ ان يجعل كلامهُ طبيعياً سهل المأخذ لا كلفة فيهِ وان يراعي حال المخاطب وطبعهُ وعلمهُ وذوقهُ في صعوبة او سهولة المبحث الذي يعرضهُ ولا يسومهُ تصريحاً ولا تلميحاً استحسان مايقولهُ ولا الاجابة عليهِ بل يترك لهُ الخيار التام في ذلك . وان يبدي آراءهُ واميالهُ على غير تصلب وعناد مظهراً انهُ يلتمس من اقوال جلسائهِ زيادة علم واستنارة في ماهو فيهِ . وعليهِ ان يتحاشى اطالة الحديث عن نفسهِ وشؤُونهِ وان لا يعين ذاتهُ مثالاً في حكاية يرويها او امر يفترضهُ

« ومن كمال الظرف ان لا يبالغ في استقصاء الموضوع الآخذ فيهِ ويعصر منهُ آخر قطرة بل يبقي فيهِ بقية لمخاطبيهِ فلا يفوتهم منهُ نصيب يسير في كلمة حكم او استدراك

« والحذر كل الحذر من القاء الحديث بلهجة المتسلط الآمر ومن الباس الامر الصغير الحقير ثوباً ضافياً من الالفاظ الطنانة والاساليب المفخمة

« وللمحدث حق الاحتفاظ بارائهِ والحرص عليها اذا رآها صواباً ولكن لا حق لهُ ان يكسر خاطر من خالفهُ فيها ويمس كرامتهُ الشخصية بعبارة او اشارة . ولا يليق بهِ اظهار سخط او استياء من تلك المخالفة . ومن السلاطة والخشونة ان يحاول ادارة دفة الحديث دون سواهُ ويقصرهُ على موضوع واحد او يسوقهُ عمداً الى الجهة التي تروقهُ خاصة . بل يجب تناول اي موضوع كان عرض اتفاقاً على ميدان البحث

« ولا ينسَ ناسٍ ان بعض المواضيع وان كانت حسنةً محبوبة بحد ذاتها قد لا تروق بعض الجلاس وان كانوا على جانب من الذوق والمعرفة فيجب اذاً بعد منحها نصيبها من الوقت الانتقال الى غيرها من المواضيع التي تروق هؤُلاء فلا يغبنون بالنسبة الى سائر اخوانهم

« وقصارى القول ان القاء الحديث بصورة ملائمة في وقت ملائم يقتضي حذقاً غير يسير

« والصمت يعوزهُ الحذق ايضاً لان لهُ كيفيات متباينة لا تكاد تقع تحت الحصر ومن ثم كان للبلاغة مجال فيهِ كما لها في الكلام . فقد يكون في الصمت اشارة استحسان او استهجان او توقير او ازدراء الى غير ذلك . وقس على الصمت ودلالتهِ كيفية النغمة واللهجة والاسلوب والايماء فان لها صوراً شتى تدل كل صورة منها على غرض ومعنى . والذين يدركون ذلك كلهُ ويحسنون استخدامهُ حسب مقتضى الحال قلائل . وربما عجز عنهُ بعض من يضعون لهُ قواعد ويبوبون لهُ ابواباً . ولكن الحازم يسعهُ اتقاء اكثر مواضع الزلل بان يكون شديد التأمل

قليل الكلام كثير الاتهام لنفسهِ ولو جاء بالمرقص والمضطرب »

اقول وقد اشار الشاعر العربي الى هذه النصيحة الاخيرة من نصائح الكاتب الفرنساوي واصفاً رجلاً ذا علم وتواضع حيث قال

ويسيء بالاحسان ظناً لا كمن ـ يأتيك وهو بشعرهِ مفتون

ادوار مرقص

الجناية والتحقيق

اطلعنا على القصة التالية في مجلة بيرصن فعربناها لما فيها من الارشاد لقضاة التحقيق ورجال البوليس والاطباء عدا ما فيها من فكاهة الحديث . والقصة عن لسان طبيب اسمه جرفِس

قال كنت سائراً مع الدكتور ثرُنْدَيْك في حي ضيق الشوارع من احياء لندن واذا نحن بامرأة تسير مسرعة وعليها دلائل الخوف ووراءها شاب حسن البزة وعلى وجههِ امارات الاضطراب . وحالما وقع نظرنا عليهِ عرف الدكتور ثرنديك وقال لهُ دعيت الآن لاحقق حادثة قتل او انتحار اتريد ان تراها معي يامولاي فان هذه اول حادثة حققتها واراني خائفاً قلقاً

ولما قال ذلك عادت المرأة اليهِ وامسكت بذراعهِ وهزتهُ وهي تقول اسرع اسرع وكان وجهها ابيض شاحباً وقد تصبب عرقاً وشفتاها ترتجفان ونظرت الينا كأنها ولدت رأى ما يخيفهُ

فقال الدكتور ثرنديك للشاب لبيك ياهارت . ثم اومأ اليَّ لاتبعهُ فتبعنا المرأة وهي تعدو امامنا

والتفت ثرنديك الى الشاب وقال لهُ هل جعلت اقامتك هنا وهل اخذت في البيطب

فقال كلاَّ يامولاي وما انا الا مساعد ورئيسي طبيب القسم هنا ولكنهُ غائب الآن . وانا شاكر لك لمجيئك معي

فقال ثرنديك اني آت لارى ثمرة تعليمي فيك

واوصلتنا المرأة الى حارة بين الشوارع فرأينا جمهوراً من الناس وقوفاً امام باب فلما رأونا حادوا من طريقنا ودخلت المرأة امامنا مسرعة وصعدت على سلم الى ان وصلت الى اعلاهُ حيث يبتدئ سلم آخر ولما قربت الى هناك جعلت تصعد همساً ثم اشارت بيدها الى باب وقالت تجدونها هنا . وارتمت على درجة السلم الثاني غياء

فصعدنا وراءها وفتحتُ الباب والتفت لارى ثرنديك فوجدتهُ صاعداً متمهلاً وهو يلتفت

يمنةً ويسرةً يتمعن في كل مايراهُ . ودخلنا الغرفة وكان لها شباك واحد وكان لايزال مغلقاً فلم نرَ شيئاً لقلة النور . والغرفة صغيرة حقيرة ولكنها مرتبة وفيها سرير على ترتيبهِ فيهِ فتاة نائمة لايبين فيها شيء غير عادي سوى لطخة كبيرة في الوسادة التي تحت رأسها

ولما دخل الدكتور هارت مشى الهوينا الى ان دنا من السرير اما الدكتور ثرنديك فاسرع الى الشباك وفتحهُ فسطع النور في الغرفة . ورأى الدكتور هارت ما ادهشهُ فرجع الى الوراء وهو يقول اعوذ بالله ماهذا . فان النور الذي دخل من الشباك انعكس عن وجهٍ صبيح وجه فتاة في نحو الخامسة والعشرين من عمرها جاءهُ الموت فلم ينزع جمالهُ بل اضاف اليهِ السكينة والوقار . شفتان تكادان تتلامسان وعينان ذبلتا في ظل رموشهما وشعر اسود غزير يحيط بوجه ابيض نضير

ثم ازيح الدثار قليلاً فاذا تحت ذلك الوجهِ البدري جرح غائر يكاد يقطع عنقاً بلورية فنظر ثرنديك اليها نظر الحنو والشفقة وقال اليد يد وحش كاسر ولكن قضي الامر سريعاً فلم تتألم

اما الدكتور هارت فاحمرَّ وجههُ غيظاً وقبض راحتيهِ وهزهما وهو يقول اين هذا اللعين لابدَّ من قتلهِ لابدَّ من شنقهِ . قال ذلك والدموع ملء عينيهِ

فقال لهُ ثرنديك هذا ما اتينا لاجلهِ ياهارت الآن فاكتب ماتراهُ فانصاع لامر استاذهِ واخرج دفترهُ من جيبهِ وجعل يبحث ويكتب مايراهُ وطلب مني ثرنديك ان اصور الغرفة واصف مافيها فاخذت قلماً وجعلت ارسم واكتب وكنت التفت اليهِ من وقت الى آخر لارى ماذا يفعل فرأيتهُ اخرج سكيناً من جيبهِ وقحف بها شيئاً وجدهُ على الوسادة فدنوت منهُ لارى ما قحف فقال لي اترى ماهذا فنظرت واذا بشيءٍ كالرمل الفضي فقلت أليس هذا رملاً فضياً فما اتى بهِ الى هنا

فقال سنرى ما هو في ما بعد ثم اخرج علبةً من جيبهِ فيها بعض مواد الفحص كشمع الختم والانابيب الشعرية وما اشبه واخرج منها غلافاً صغيراً من الورق وضع الرمل فيهِ واقفلهُ وجعل يكتب عليهِ واذا بالدكتور هارت يقول اعوذ بالله اعوذ بالله امرأة قتلتها انظروا انظروا فنظرنا واذا في يسارها خصلة من شعر اشقر

فوضع ثرنديك الغلاف في جيبهِ حالاً وانحنى فوق اليد التي فيها خصلة الشعر فوجدها مطبوقة ولكن اناملها غير واصلة الى كفها ولما حاول فتحها وجدها يابسة كقطعة من الخشب فاخرج بلورة من جيبهِ مما يكبر المنظورات وجعل يتفحص الشعر من اولهِ الى آخرهِ وقال هنا

امور اخرى غير ما يظهر لاول وهلة ماذا تقول يا هارت واعطاهُ البلورة فاخذها وقبل ان نظر فيها فُتح الباب ودخل ثلاثة رجال مفتش البوليس وملازم من رجال البوليس السري وطبيب القسم

فقال طبيب القسم لهارت اظنهما من اصدقائك مشيراً اليَّ والى الدكتور ثرنديك فاخبرهُ ثرنديك بواقعة الحال وكيف دعانا الدكتور هارت للفحص الطبي معهُ

فالتفت الينا وقال ان هذا الامر لا يعنيني بل يعني مفتش البوليس ولم يكن مساعدي مخولاً بان يدعوكما معهُ . ثم خاطب هارت قائلاً لا داعي للانتظار هنا . وكان ثرنديك قد وضع ثرموتراً تحت جسم المرأة فاخرجهُ ونظر الى درجة الحرارة . ولم يشأ مفتش البوليس ان يخرجنا من الغرفة كما اشار طبيب القسم بل حسب لوجودنا فائدة والتفت الى ثرنديك لما رأى الثرموتر في يدهِ وقال لهُ منذ كم ساعة ماتت على ما تظن يا دكتور

فقال ثرنديك منذ نحو عشر ساعات . فاخرج كلٌّ من المفتش والملازم ساعتهُ ونظر اليها وقال المفتش اذاً حدث ذلك الساعة الثانية بعد نصف الليل . ورأى طبيب القسم اليد التي فيها خصلة الشعر وقال للمفتش انظر انظر فالتفت المفتش وقال امرأة امرأة . لا بدَّ من انها امرأة قوية فقد هان الامر عليك يا دكتور . وقال الملازم وهذا يفسر وضع الصندوق قرب رأسها فان المرأة التي قتلتها قصيرة القامة فلم يتيسر لها الوصول الى رقبتها بسهولة

فقال المفتش ولكنها جبارة فانها كادت تقطع العنق كلها ثم انحنى وجعل يفحص الجرح والتفت الى الوسادة ووضع اصابعهُ عليها وجعل يفركها ثم قال هذا رمل هذا رمل فضي فكيف وصل الى هنا

وبادر طبيب القسم والملازم الى حيث المفتش ليتحققا الاكتشاف الذي اكتشفهُ وجعلوا يتذاكرون في امرهِ وقال المفتش لثرنديك هل رأيت هذا الرمل فقال نعم رأيتهُ ولا اعلم كيف اتى الى هنا . فقال المفتش وانا ايضاً لا اعلم ثم جعل يفتش في رف الغرفة والمغسلة وقال عرفنا عرفنا انظروا هذا لوح من الصابون الرملي وفي طست الغسل ماء مخلوط بالدم وفيهِ كثير من الرمل فالقاتلة غسلت يديها وسكينها من الدم بهذا الصابون ثم وقفت فوق رأس المقتولة فوقع الرمل من يديها على الوسادة فالامر بسيط جدًّا

فقال ثرنديك نعم بسيط جدًّا فكيف ترتب الحوادث بعضها مع بعض . فقال الملازم يظهر لي ان هذه المرأة قرأت طويلاً قبلما نامت فهنا كتاب على المائدة بجانب السرير وعليها شمعدان فيهِ شمعة احترقت كلها ولم يبقَ منها الاَّ طرف فتيلتها . ثم جاءت القاتلة فاشعلت الغاز

وادنيت الصندوق من السرير وصعدت عليه وذبحتها . واستيقظت الفتاة حينئذٍ وقبضت على شعر القاتلة ولكن روحها كانت قد بلغت التراقي . وغسلت القاتلة يديها وسكينها واصلحت السرير . ولكن كيف دخلت ولم يدر بها احد وكيف خرجت والى اين مضت هذه امور يجب ان نكتشفها .

وقال طبيب القسم اليس الاحسن ان تدعو صاحبة البيت وتسألها بعض المسائل قال ذلك ملتفتاً الى المفتش والى ترندبك . اما ترندبك ففتح الباب وجعل يدير المفتاح في القفل فيفتحه ويقفله ثم قال هوذا صاحبة البيت امام الباب

فاشار اليها المفتش فدخلت ودخل رجل وراءها .

فامسك المفتش دفتره بيده وقال اخبرينا يا مسز غلدستين كل ما تعرفينه عن هذه الابنة وما هو اسمها .

فمسحت عينيها وقالت بصوت متقطع يا مسكينة اسمها منة الدر وهي المانية اتت من برلين منذ نحو سنتين وليس لها احد من الاقارب هنا وكانت تخدم على المائدة في مطعم فلسترش كانت على غاية الرصانة والهدو

— اي ساعة عرفت بما اصابها

— نحو الساعة الحادية عشرة فاني ظننت انها خرجت على جاري عادتها ولكن زوجي انتبه الى ان شباكها كان لا يزال مغلقاً فصعدت وقرعت الباب ولما لم اسمع مجيباً فتحته ودخلت فرأيت — وهنا غلبها الحزن فجعلت تبكي وتنتحب

— اذا كان بابها غير مقفل فهل من عادتها ان تتركه كذلك

— اظن نعم وكانت تبقي المفتاح من الداخل دائماً

— هل كان باب الدار مقفلاً هذا الصباح

— كان مغلقاً ولا نقفله لان بعض النازلين عندنا يعودون متأخرين

— اخبرينا هل لها احد يقصدها بسوء او احد ناقم عليها

— كلا كلا ولماذا ينقمون عليها فانها لم تختصم مع احد وخصامها مع مريم طفيف لا يعبأ به

فقال المفتش من هي مريم هذه

— فقال الرجل الذي دخل مع مسز غلدستين وهو زوجها لا شيء لا شيء ولم يكن ذلك خصاماً

فقال المفتش — لعله سوء فهم او عتاب

فقال المستر غلدستين نعم سخافة وقلة عقل من اجل شاب فغارت مريم منها وهذا كل ما جرى

فقال المفتش نعم فهمت شيئاً من الغيرة وهذا امر اعتيادي

ولما قال ذلك دخلت فتاة قصيرة القامة مجدولة العضل شعرها منفوش شديد الشقرة فلما وقع نظرنا عليها وقفنا كلنا مبهوتين ودار المفتش ووضع في جيبه ورقة ملفوفة وقالت مسز غلدستين هذه ابنتي مريم ثم التفتت اليها وقالت لها هؤلاء الاطباء ورجال البوليس

فنظرت الينا واحداً بعد الآخر ثم قالت هل رأيتموها لما اظنها ماتت . قالت ذلك بصوت الحزن الشديد كأنها امرأة فقدت ولدها وهي تمني نفسها بانه لا يزال حياً . فاثر كلامها في تأثيراً شديداً والتفت الى ثرنديك فلم اره امامي وتطلعت الى الدار فرأيته يفتش في رف صغير وراء الباب الذي يفتح الى الشارع فنزلت اليه واذا هو يلف ثلاث قطع من الشمع باوراق رقيقة وقال لي انهم سيقبضون على هذه الفتاة المسكينة ولا اريد ان اري ذلك فهلمَّ بنا . ثم فتح الباب ووقف لحظة يمتحن المزلاج ونظرت الى الرف الذي وراء الباب فوجدت عليه شمعدانين من الخزف الابيض

ولما خرجنا قال لي ارايت المفتش وضع خصلة الشعر في جيبه

فقلت نعم وكان الاولى به ان يبقيها في مكانها . فقال اصبت وهكذا تفسد التحقيقات الجنائية بتسرع المحققين . وعمله هنا لا يقدم ولا يؤخر في هذه الحادثة ولكن كان من المحتمل ان يفسد التحقيق كله

فقلت له هل مرادك ان تتعرض للشهادة

فقال ان ذلك يتوقف على مقتضى الحال فقد جمعت بعض الادلة ولكنني لا اعلم الآن مقدار قيمتها ولا اعلم هل انبه لها المفتش واللازم ولا بدَّ لي من بذل الجهد في اظهار الحقيقة لان المسألة تتعلق بالامن العام وكلنا مسؤول عنه

ثم افترقنا وذهب كل منا الى عمله الخاص به ولم نجتمع ثانية الا في المساء وقت العشاء فرأيته جالساً يفكر والى جانبه ميكرسكوب وشيء من الرمل الذي وجدناه على الوسادة وكان مهتماً بعمل طوابع من السمنت فقال لي هذا السمنت اصلح من الجبس لعمل الطوابع الرقيقة وهذا الرمل جميل انظر ما اجمله بالميكرسكوب فنظرت واذا هو مزيج من حبوب السلكا وقطع الاصداف والمرجان فقلت هذه قطع من الاصداف والمرجان . فقال نعم ولا شيء فيه من الرمل الفضي فقلت كلاً ولكن ما هو ومن اين اتى . فقال هذا نبأ من قاع البحر . من قاع بحر الروم من قاع البحر المتوسط . فقلت وبماذا ينبئنا . فقال ساعرف ذلك قريباً

ثم جعل يطبع السمنت بقطع الشمع كأنها طوابع وهي القطع التي رأيته لفها ووضعها في جيبه . ونظر الى الطوابع بالميكروسكوب ثم لفها كلها ووضعها جانباً . وسمعنا حينئذٍ واحداً يقرع الباب فدخل واعطى ثرنديك ورقة وقال ان المستر غلدستين عوقني كثيراً قبلما اعطاني هذه الورقة فلا تظن اني تأخرت في الطريق . فأخذ ثرنديك الورقة منه وقرأها وتمعن فيها ثم قام الى رف الكتب واختار منه كتاباً وفتحه وجعل ينظر فيه فنظرت واذا هو بلغتين مختلفتين فقال لي انه التوراة بالروسية والعبرانية . ثم قرع الباب ودخل حامل البريد فقام اليه فوجد بين مكاتيبه مكتوباً رسمياً ازرق الغلاف فقال هذا جواب سؤالك ثم فضه واذا قاضي التحقيق يطلب منه به ان يحضر فتح الجثة غداً الساعة الرابعة بعد الظهر لان الدكتور دافدصن طبيب القسم عزم على فتحها حينئذٍ . فقال سنذهب ولو استاء دافدصن من ذلك وانا ذاهب الآن الى بلتن لكي يصور لي صفحتين من هذه التوراة بالفوتوغرافيا (و بلتن هذا مساعد له) .

ثم تغدينا في اليوم التالي وكنت اراه مشغول البال كثير التفكير فقلت له هل جمعت ادلة كافية تقدمها الى قاضي التحقيق . فقال ادلتي كثيرة ولكن يعوزها شيء يربطها بعضها ببعض فاذا امكنني ان اربطها معاً قبل الوصول الى المحكمة صارت مقنعة . ثم دخل بلتن ومعه صورتان فوتوغرافيتان في صندوق وهما صورتا صفحتين من التوراة ولكن الحروف فيهما بيضاء على ارض سوداء وقد ألصقتا على كرتون كما تلصق الصور الفوتوغرافية عادة فاراينهما ثرنديك بكل تأنٍ ماسكاً اياهما من حرفيهما وقال اننا سنقتدي بعلماء اللغات ثم ردهما الى الصندوق وشكر بلتن . وقمنا وركبنا القطار لنذهب الى المكان الذي تفتح فيه الجثة ووصلنا الى شارع قديم البيوت والمخازن فجعل ينظر في اسماء المخازن والبيوت الى ان وصل الى بيت فوقف امام بابه ورأى امرأة فسألها عن شيء وسمعتها تقول له الساعة السادسة ونصف . ثم واصلنا السير الى ان وصلنا الى مكان فتح الجثة فوجدنا الدكتور دافدصن طبيب القسم قد اتم عمله وعزم على الخروج فقال لنا اني متأسف لانني لم استطع ان انتظركما ولكن فتح الجثة انما هو عمل رسمي لا فائدة منه في حادثة مثل هذه ومع ذلك لا تزال الجثة مفتوحة وهارت هنا يريكما اياها وودعنا ومضى .

ولما دخلنا رأينا الدكتور هارت جالساً يكتب تقريره فقام وجعل يعتذر عن الدكتور دافدصن فقال له ثرنديك لا داعي للاعتذار لانك غير مسئول عن آدابه ولا اريد ان اشغلك وغاية ما اريده ان اتحقق امراً او امرين . فعاد الدكتور هارت الى كتابة تقريره

ودنا ثرنديك من الجثة وجعل يقلّب نظره كأنهُ يبحث عن الرضوض ونحوها ثم انحنى فوق الجرح وجعل يبحث فيهِ ورأيتهُ اخرج اسفنجة وبلورة من جيبهِ ومسح جزءًا من عظم الرقبة ونظر اليهِ بالبلورة ثم اخرج كاشة واستخرج شيئاً وامعن نظرهُ فيهِ ولفهُ بورقة ووضعهُ في جيبهِ وقال لقد اكتفيت وصافح الدكتور هارت وقال لهُ سنلتقي غداً عند قاضي التحقيق · وخرجنا وجعلنا نمشي في الشوارع القريبة كي يقتل الوقت الى ان دقت الساعة السادسة فسار بي في شارع منعرج الى ان وصلنا الى امام دكان بائع تبغ فوقف امام الباب الملاصق لهُ واخرج من جيبهِ الصندوق الذي فيهِ الصورتان الفوتوغرافيتان وجعل ينظر فيهما وهو واقف امام الباب وظلّ كذلك الى ان جاء رجل قصير القامة مجدور الوجه تدلُّ سحنتهُ على انهُ من غرباء اليهود فقال لثرنديك عفوك فاني ساكن هنا يريد من ثرنديك ان يتنحى لهُ ليفتح الباب ويدخل

فاعتذر ثرنديك اليهِ وتنحى من امام الباب ثم قال لهُ اظنك تعرف العبرانية

فقال الرجل لماذا تسأل هذا السوأل

فقال لان معي كتابتين واحدة باليونانية وواحدة بالعبرانية ولا اعلم ايتهما باليونانية وايتهما بالعبرانية · واعطاه الصورتين فمسكهما وقال لهُ هذه بالعبرانية وهذه بالروسية لا باليونانية · فاخذهما منهُ وشكرهُ على ذلك واعاد الصورتين الى صندوقهما وسرنا في طريقنا وهو يقول انتهى شغلنا ولم يبقَ الا عملية صغيرة اعملها في البيت وقد وقعت على دليل جديد غفل عنهُ دافدصن وليس من عادتي ان انتقد اعمال رصفائي ولكن هذا الرجل اظهر من قلة الادب ما لا يعذر عليهِ

وكان قاضي التحقيق قد عين الساعة العاشرة من اليوم التالي للحضور الى المحكمة ولكننا اضطررنا ان نتأخر عن ذلك ربع ساعة لأن ثرنديك مرَّ في طريقهِ على دار البوليس السري وقابل رئيسهُ فلما وصلنا الى المحكمة رأينا المحلَّفين [1] جلوساً وامامهم صف من الكراسي للشهود وهناك المحامي عن المتهمة ورأيت الرجل الذي طلب منهُ ثرنديك التمييز بين العبرانية والروسية وملر مدير البوليس السري وكان قد سبقنا · وكان القاضي يسأل مسز غلدستين فشرحت لهُ الامور التي شرحتها لنا ثم جيء بفتاة اسمها كاتي سلفر فلما وقفت رمت مريم غلدستين بعين الغضب

(١) المحلفون عند الانكليز جماعة من الاعيان يسمعون التداعي في الدعاوي الجنائية والمدنية ويشرح لهم القاضي القوانين المتعلقة بها ثم يتداولون ويحكمون حسبما يتراءى لهم · وسموا محلفين (جوري) لانهم يحلفون على ان يحكموا بالعدل

وكانت مريم واقفة في قفص المجرمين وشعرها منفوش على ظهرها ووجهها اصفر كوجوه الموتى وهي تنظر مدهوشة كأنها في حلم

فسألها القاضي عما تعرفهُ عن القتيلة فقالت انها تعرَّفت بها منذ ثلاث سنوات حين اتت من المانيا وان ليس لها اقارب في بلاد الانكليز ثم صار لها بعض الاصدقاء لانها كانت انيسة المحضر

فقال القاضي وهل لها احد يبغضها

فقالت نعم فان مريم غلدستين تبغضها

فقال وكيف عرفتِ ذلك

فقالت لانها تخاصمت معها من اجل شاب اسمهُ موسى كوهن فانهُ كان اولاً خاطباً مريم ولما رأى منة ألدَر احبها وترك خطيبتهُ فاغتاظت مريم ولامت منة لانها اخذت خطيبها منها وكان لمنة خطيب اسمهُ بتروفسكي فتركتهُ وقالت لمريم خذيهِ بدلاً من خطيبك

فقال لها وماذا قالت مريم

فقالت ان مريم لم يعجبها ذلك لان موسى كوهن اجمل من بتروفسكي ولم تكن تحب بتروفسكي وجعلت اباها يخرجهُ من بيتهم وعلى اثر ذلك حدث ما حدث

فقال القاضي ماذا تعنين

فقالت ان مريم حقدت على منة وقالت انها ستقتلها

فقال ومتى كان ذلك . قالت قبل الحادثة بيوم

فقال ومن سمعها تقول ذلك غيرك

قالت سمعتها واحدة ساكنة معنا اسمها ادث بَرينت وسمعها بتروفسكي نفسهُ

فقال القاضي اظنك قلت الآن ان بتروفسكي خرج من البيت

فقالت نعم ولكنهُ ترك صندوقهُ في غرفتهِ واتى حينئذٍ ليأخذهُ

فقال وهل اخذهُ

قالت نعم اخذهُ وكانت مريم قد اخذت اوضتهُ وجعلتها لمنامتها وقد خرجتُ انا وادث ومريم حينئذٍ وتركناهُ في الدار ولما عدنا وجدنا انهُ اخذ صندوقهُ وذهب

ثم امسك القاضي سكيناً كبيرة بيدهِ وقال لها هل رأيت هذه السكين قبلاً

فقالت نعم رأيتها وهي سكين مريم التي تقص بها الرسوم لمحل شغلهُ تزويق الجدران

ثم نودي على بولس بتروفسكي وهو الذي ميَّز لنا الخط العبراني من الروسي فاقسم اولاً ثم شهد مؤيداً كل ما ذكرتهُ كاتي سلاثر . وجاءت بعدهُ ادث برينت فشهدت مثله

فقال القاضي لا بدَّ لنا قبل سماع شهادة الاطباء من سماع شهادة البوليس فما تقول يا حضرة الملازم الفرد باتس . فوقف الملازم وقال دعاني الكونستابل سموندس الساعة الحادية عشرة والدقيقة التاسعة والاربعين فوصلت الى البيت الساعة الحادية عشرة والدقيقة الثامنة والخمسين مع المفتش هريس وطبيب القسم ولما وصلت وجدت الدكتور هارت والدكتور ثرنديك والدكتور جرفس في الغرفة ووجدت المقتولة منة ادلر في سريرها مذبوحة وكانت ميتة باردة ولا يظهر انها جاهدت قبل موتها ولا اختل نظام سريرها . وكان قرب السرير مائدة عليها كتاب وشمعدان لا شمع فيهِ كأَنَّ شمعتهُ أُشعلت كلها لان طرف الفتيلة لا يزال في الشمعدان . وهناك صندوق وضع الى جانب السرير قرب رأس القتيلة . والظاهر ان القاتل صعد على الصندوق لكي يتمكن من ذبحها لان المائدة تمنعهُ من الوصول الى رأسها وازاحتها قد توقظها . وأستنتج من وجود الصندوق ان القاتل قصير القامة

فقال القاضي أكان هناك شيء يدل على القاتل

— نعم خصلة شعر اشتر في يد المقتولة

ولما قال ذلك صرخت مريم غلدستين صرخة مزعجة وأغمي على امها . واخرج الملازم غلافين من جيبهِ وقال ان الشعر الذي في الغلاف الاول هو الذي وجدناهُ في يد القتيلة والشعر الذي في الغلاف الثاني شعر مريم غلدستين

فنهض محامي المتهمة وقال من اين وصلت الى شعر المتهمة

فقال الملازم من كيس وجدتهُ معلقاً في غرفتها

فقال المحامي اني اعترض على ذلك واقول انهُ لا دليل على ان الشعر الذي في كيس في غرفتها هو شعرها

فقال القاضي للمحامي اني سانظر في اعتراضك والآن دعنا نسمع بقية تقرير البوليس

فقال الملازم لقد فحصت الشعرين وقابلت بينهما فظهر لي انهما من شعر واحد . ورأينا ايضاً قليلاً من الرمل الفضي على الوسادة

فقال القاضي رمل فضي هذا من الغرائب كيف وصل الرمل الفضي الى الوسادة

فقال الملازم لا غرابة في ذلك فقد وجدنا هذا الرمل ايضاً في طست الغسل فان القاتلة غسلت يديها من الدم ومن المحتمل انها غسلت السكين ايضاً ووجدنا على المغسلة صابوناً من الصابون الذي فيهِ رمل والظاهر ان القاتلة وقفت امام القتيلة والصابون على يديها فوقع الرمل منهما على الوسادة

فقال القاضي هذا تعليل غريب ولكنهُ وجيه وحنا المحلفون رؤوسهم كأنهم رأوا التعليل عين الصواب

ثم قال الملازم ولدى التفتيش في غرفة مريم غلدستين وجد فيها سكين مما يستعمل لقص الرسوم ولكنها اكبر من المعتاد وكان عليها لطخ دم ولما سئلت عنها قالت انها جرحت إصبعها بالسكين فتلطخ بالدم واعترفت ان السكين لها

فوقف المحامي وقال هل فحصتم اصبع المتهمة • فقال الملازم لا اظن ولا اعلم • فكتب المحامي جوابهُ • ثم قال هل وجدتم شيئاً من الرمل الفضي في طست الغسل • فاحمرَّ وجه الملازم وقال اني لم افتش في الطست

ثم جلس المحامي وجعل يكتب ما قالهُ الملازم وظهر كأن المحلفين لم يرضوا عن هذه المسائل

وقال القاضي الآن نسمع شهادات الاطباء ونبتدئ بشهادة طبيب القسم فنهض الدكتور دافدصن وبعد ان اقسم اليمين المعتادة قال لهُ القاضي لقد رأيت المقتولة بعد قتلها وفحصت الجثة أليس الامر كذلك

فاجاب نعم وجدت جثتها في سريرها وسريرها على ترتيبهِ ويظهر انها كانت قد ماتت منذ نحو عشر ساعات واعضاؤها متيبسة ولكن جزعها غير متيبس وسبب موتها جرح غاير في عنقها قطع العنق الى السلسلة وهو جرح سكين ماضية حزَّت العنق في حزّة واحدة ولا يمكن ان تكون القتيلة ذبحت نفسها وقد وقف القاتل على صندوق وضع الى جانب السرير والمرجح ان القاتل قصير القامة شديد العضل ايمن لان الحز من اليمين الى اليسار والظاهر ان الموت وقع حالاً والقتيلة لم تجاهد ووجدنا في يسراها خصلة شعر امرأة وقد قابلت بينها وبين شعر المتهمة وارى انهما من شعر واحد

القاضي — هل رأيت السكين التي للمتهمة

الطبيب — نعم ورأيت عليها لطخ دم فحصتهُ فوجدتهُ دم حيوان من الحيوانات اللبونة والمرجح انهُ دم انسان ولكن لا يمكنني الجزم في ذلك

القاضي — اكان يمكن ان يحدث الجرح بهذه السكين

الطبيب — نعم مع ان السكين صغيرة بالنسبة الى الجرح ولكن يمكن احداث هذا الجرح بها

والتفت القاضي الى المحامي وقال لهُ اتريد ان تسأل الطبيب شيئاً

فنظر المحامي في اوراقهِ ثم قال نعم لقد سمعنا ان على السكين لطخ دم وقيل قبلاً انهُ وجد دم في طست الغسل وان القاتل غسل يديهِ وسكينهُ في الطست فكيف بقيت لطخ الدم على السكين

فقال الطبيب يظهر ان السكين لم تغسل

المحامي — قلت ان المقتولة لم تجاهد وان الموت وافاها حالاً ثم قلت انها قبضت على شعر القاتلة وانتزعتهُ فكيف توفق بين الامرين

الطبيب — يظهر ان المقتولة قبضت على الشعر في اللحظة الاخيرة من حياتها وهي تسلم الروح • وعلى كلٍ فالشعر وجد في يدها

المحامي — هل من الممكن الحكم على شعر انهُ شعر فلان او شعر فلان

الطبيب — كلاَّ ولكن هذا الشعر خصوصي في لونهِ فيسهل تمييزهُ

وحينئذٍ جلس المحامي وقال القاضي الآن دور الدكتور ثرنديك وهو اول من رأى المقتولة وفحصها

فوقف ثرنديك واقسم اليمين وسألهُ القاضي عن عملهِ فاجاب انهُ استاذ الطب الشرعي في مدرسة سنت مرغريت • وحينئذٍ طلب المحلفون منهُ ان يبدي رأيهُ في الشعر والسكين فقال لهُ القاضي هل ترى ان هذا الشعر الذي في الغلاف الاول هو شعر المتهمة • فاجاب لا شبهة عندي انهُ شعرها.

القاضي — انظر هذه السكين اتظن انهُ كان يمكن ذبح المقتولة بها

فاخذ السكين وتفحصها ثم ردها الى القاضي وقال نعم كان يمكن ذبحها بها ولكنني متأكد انها لم تذبح بها

فقال القاضي ما هي ادلتك على ذلك

اجاب ارى الاصلح ان اسرد لكم حوادث الواقعة كما وقعت على ما يظهر لي

فاشار اليهِ القاضي ليتكلم فقال لاداعيَ لاضيع وقتكم باعادة ما قيل فان الملازم بايشس وصف الغرفة والدكتور دافدصن وصف حالة المقتولة وكان لها حين رأيناها نحو عشر ساعات ميتة وقد ذبحها غيرها على الاسلوب الذي ذكرهُ الدكتور دافدصن ويظهر ان المرأة لم تستيقظ مطلقًا بل انتقلت من النوم الى الموت رأسًا

فقال القاضي ولكنها قبضت على الشعر قبل موتها

فقال ثرنديك انها لم تقبض على الشعر ولكنهُ وضع في يدها وضعًا وجلب القاتل لهذا الشعر ووضعهُ في كفها دليل على انهُ كان متعمداً قتلها ومصممًا عليهِ ودليل ايضًا على انهُ يعرف البيت ويعرف اين يجد هذا الشعر فيهِ

ولما قال ذلك احدق اليهِ القاضي والمحلفون والحضور كلهم مدهوشين وساد السكوت

عليهم جميعاً الاّ مسز غلدستين فانها ضحكت ضحكاً هستيرياً . ثم قال لهُ القاضي كيف عرفت ان المقتولة لم تنزع الشعر من رأس القاتلة

فقال الامر سهل وادلته ثلاثة وكل منها كافٍ لصحة ما اقول . فاولاً حالة يد المقتولة فان الذي يقبض يده حال موته تبقى يده مقبوضة وتيبس كذلك وهذا ما يسمى باليبس الموتي وهو يدوم مدة ثم يزول وقد كانت يد المقتولة يابسة ولكنها لم تكن قابضة على الشعر بل كانت مطبوقة قليلاً وكان الشعر موضوعاً فيها وضعاً فسهل نزعهُ منها ولولا ذلك لتعذَّر نزعهُ فالشعر وضع فيها بعد الموت

وثانياً اذا نزعنا خصلة شعر نزعاً فاصول الشعر تكون كلها في الطرف الواحد ورؤوسهُ في الطرف الآخر اما هذه الخصلة فبعض اصولها في الطرف الواحد وبعضها في الطرف الآخر من غير انتظام فلا يمكن ان تكون قد نزعت نزعاً بشدها من الرأس معاً

وثالثاً وهو الدليل الاهم والاقطع ان هذا الشعر لم ينزع من الراس نزعاً بالنتف بل سقط منهُ سقوطاً من نفسهِ وقت المشط فان في اصل كل شعرة بصلة وغلافاً فاذا نمت شعرة جديدة تحتها دفعتها من امامها فتقع او يسهل نزعها لاقل سبب ولا يقع معها من اصلها سوى غلاف اتصالها بالبصلة واما اذا قلعت قلعاً خرجت البصلة وغلاف اصلها معها . ويمكن ايضاح ذلك بسهولة لكم اذا طلبتم من المتهمة ان تنزع شعرة من شعرها وتريكم اياها وقابلتموها بهذا الشعر

ولم تحتج مريم الى اشارة من احد بل نزعت خصلة كبيرة من شعرها واعطتها للدكتور ثرنديك فوضعها في ماسك يمسكها ووضع في ماسك آخر بعض الشعر الذي وجد في يد المقتولة واعطاهما للقاضي فرآهما واراهما للمحلفين وهو يقول لاشبهة في ذلك لاشبهة فان الفرق بينهما واضح كالشمس . وصمت المحلفون ولكن عضلات وجوههم كانت تتكلم عنهم

ثم قال ثرنديك من اين جاء القاتل بهذا الشعر لقد كنت اظن في اول الامر انهُ وجدهُ في مشط المتهمة ولكن الملازم وجد في غرفتها كيساً فيهِ مشاطة شعرها فالقاتل اخذ الشعر من هذا الكيس .

فقال القاضي ارى يا دكتور ان مسألة الشعر قد انجلت لنا تماماً فلا داعي للاطالة فيها فهل رأيت شيئاً يدل على مَن هو القاتل

فاجاب نعم رأيت اشياء تدل على من هو القاتل (ثم التفت الى مدير البوليس السري فنهض ومضى الى الباب خلسة وعاد واضعاً شيئاً في جيبهِ) وبقي ثرنديك يتكلم فقال لما دخلت دار

البيت رأيت خلف الباب رفًا عليهِ شمعدانان من الخزف الصيني في كل منهما شمعة وفي صحن احدها شمعة قصيرة طولها نحو عقدة والى جانب ممسحة الرجل التي داخل الباب شمع ناقط على الارض واثار اقدام ملطخة بالوحل وعلى السلم آثار اقدام ملطخة بالوحل ايضاً ونقط شمع وخيط كبريت محروق في الدار واخر امام باب الغرفة . ونقطة من نقط الشمع التي على السلم مدوسة قبل ان تجمد وعليها اثر جالوش ورايت قفل باب الدار مزيتاً وكذلك قفل باب الغرفة وعلى مفتاحهِ علامة تدل على انهُ فتح من الخارج بسلك اعقف بقي اثرهُ في المفتاح وعلى وسادة المقتولة رمل يشبه الرمل الفضي ولكنهُ ليس منهُ وساعود اليهِ . وعلى المائدة التي بجانب السرير شمعدان لا شمع فيهِ ولكن موضع الشمعة فيهِ فوهة معدنية لها ثمانية السنة لمسك الشمعة وفي اسفل الفوهة فتيلة شمعة قديمة محروقة ولكن في اعلى الفوهة قليل من الشمع لاصق بها . فلو تركت الشمعة في الشمعدان حتى احترقت كلها ولم توضع فيهِ شمعة غيرها بعدها لذاب هذا الشمع القليل ولم يبق حيث هو فوجودهُ يدل على ان شمعة اخرى وضعت هناك ثم نزعت وبقي اثرها . ولما رأيت ذلك خطر ببالي حالاً الشمعة القصيرة التي رايتها في صحن الشمعدان عند باب الدار فنزلت واخذتها وفحصتها فوجدت فيها آثار الالسنة الثمانية التي في شمعدان غرفة النوم . والشمعدانان اللذان عند باب الدار لا السنة فيهما ولذلك فقد اخذ واحد هذه الشمعة من اسفل واطفأها وصعد بها واشعل عود كبريت في الدار واخر على السلم واشعلها بهِ ودخل الغرفة ووضعها في الشمعدان الذي وجدهُ على المائدة وقد حملها بيدهِ اليمنى وهي سخنة لان اثر ابهامهِ وسبابتهِ عليها واضحة وقد طبعت هذا الاثر في قوالب السمنت التي ترونها هنا (قال ذلك ووضع امام المجلس قطعة الشمعة والطوابع التي طبعها عنها)

- فقال لهُ القاضي وماذا تستنتج من ذلك كلهِ

فقال استنتج ان رجلا دخل البيت قبل الحادثة وزيّت القفلين واخذ خصلة الشعر ثم دخل البيت ليلاً قبيل الساعة الثانية وقلت قبيل الساعة الثانية لان السماء امطرت ليلتئذٍ من الساعة واحدة ونصف الى واحدة وثلاثة ارباع فسرى بعد المطر كما يظهر من آثار الوحل واخذ الشمعة من اسفل واطفأها وصعد بها واشعل الكبريت ليرى طريقهُ وفتح الباب بسلك اعقف ودخل ووضع الشمعة في الشمعدان وذبح المرأة وغسل يديهِ وسكينهُ ثم نزل بالشمعة وطرحها في صحن الشمعدان الذي عند الباب

اما الرمل فقد اخذت بعضهُ وفحصتهُ فوجدتهُ من رمل بحر الروم من السواحل الشرقية لان فيهِ كسر نوع من الصدف لا يكون الاَّ هناك

فقال القاضي هذا من الغرائب وكيف وصل رمل بحر الروم الى غرفة في لندن

فقال ثرنديك الامر بسيط ان الاسفنج الذي يقلع من سواحل سورية يكون فيهِ كثير من هذا الرمل . والمخازن التي تجلب هذا الاسفنج وتنظفهُ وتتاجر بهِ يكثر الرمل فيها حتى يغوص الانسان فيهِ الى كواحلهِ والعمال الذين يفرغون الاسفنج وينفضونهُ وينظفونهُ ويحزمونهُ تمتلئ ثيابهم رملاً فاذا كان القاتل واحداً منهم وانحنى فوق المقتولة فلا بدَّ من ان يقع من ثيابهِ وجيوبهِ شيءٌ من هذا الرمل . وحالما تحققت ذلك كتبت الى المسترغلدستين اسألهُ عن اسماء الذين يترددون على بيتهِ وعمل كل منهم فارسل اليَّ كشفاً بذلك ورأيت ان بينهم رجلاً يشتغل بفتح الاسفنج وحزمهِ وعلمت ان الاسفنج الجديد وصل الى لندن منذ ايام قليلة فصارت المسألة الآن هل هذا الرجل هو الرجل الذي ترك آثار انامله على الشمعة فصنعت صورتين فوتوغرافيتين من كتاب بالعبراني والرومي وجعلت هذا الرجل يمسكهما ثم ذررت عليهما ذروراً يظهر آثار الانامل عليهما وها الصورتان وآثار انامله عليهما وها آثار انامله على الشمعة والآثار واحدة كما ترون

ولم يكد ثرنديك يسلّم الصورتين والطوابع المطبوعة عن الشمعة للقاضي حتى قام بتروفسكي ومشى نحو الباب خلسةً واراد فتحهُ فلم ينفتح فعالجهُ فلم ينفتح وادرك حينئذٍ انهُ قد اقفل فقبض عليهِ وحاول خلعهُ وجعل يهزهُ كالمجنون وقد جحظت عيناهُ وتوتر وريداهُ . ولما رأى ان الباب لا ينفتح استلَّ سكيناً من نطاقهِ وهجم على ثرنديك ولكن مدير البوليس السري كان مستعداً لهُ فقبض عليهِ والسكين في يدهِ

فقال لهُ ثرنديك اعط هذه السكين للقاضي ثم قال للقاضي انظر فيها جيداً واخبرني هل ترى عند رأسها ثلماً صغيراً مثلث الشكل

ففحصها القاضي وقال نعم فيها ثلم صغير فهل رأيتها قبلاً

فقال كلاَّ ولكن الأولى ان اتمم كلامي . ولا حاجة بي الآن ان اقول لكم ان آثار الاصابع هي آثار بتروفسكي هذا . وحسب امر المحكمة مضيت وشاهدت فتح الجثة وقد وصف لكم الدكتور دافدصن الجرح فلا داعي لاعادة وصفهِ ولكنهُ لم ينتبه الى شيء فيهِ انتبهت لهُ انا وهو انني وجدت في عظم الرقبة قطعة صغيرة من الفولاذ فاستخرجتها وها هي وارجح انها من هذه السكين فانظرها يا حضرة القاضي

ثم سلم الغلاف الذي فيهِ قطعة الحديد للقاضي فوضع القاضي السكين على ورقة وادنى قطعة الفولاذ من الثلم الذي فيها وقال اصبت فانها انطبقت على الثلم تماماً

ولما قال ذلك وقع بتروفسكي على الارض لا حراك بهِ

ولما عدت انا وثرنديك من المحكمة قال لي ان هذه المسألة تعلمنا امراً ذا شأن فقلت وما هو قال اذا اكتشف قتيل في مكان وجب ان يُحفَظ كل ما في ذلك المكان على حالهِ لان لكل شيء دلالة قد يكون لها الشأن الاكبر في اكتشاف المجرم ويجب ان لا يدخل احد من رجال البوليس الاَّ بعد ما يدخل رجل خبير بالتحقيق اتم الخبرة · فلو لم يتفق اننا وصلنا قبل غيرنا لما وجدنا الادلة التي هدتنا الى معرفة الجاني

سياحة الياس الموصلي

عثرت في مكتبة نظارة الهند على كتاب عربي كتب سنة ١٦٨١ يتضمن وصف سياحة لاحد كهنة العراق في اوربا واميركا · والكتاب مكتوب بالخط النسخي واسم المؤَلف الخوري الياس بن حنا الموصلي الكلداني · ولغة الكتاب عامية الاَّ المقدمة التي يظهر ان المؤَلف سرقها من كتاب آخر لانهُ لا مناسبة بينها وبين لغة الكتاب · وقد وصف رحلتهُ من بغداد الى باريس الى مدريد ثم الى البيروه والمكسيك ومنها الى اسبانيا حيث كتب كتابهُ ·

وكلامهُ عن اوربا وصفي اما عن اميركا فاكثرهُ تاريخي مسنداً الى مؤَرخي الاسبانيين وهو واصفاً خيرٌ منهُ مؤَرخاً لانهُ في الوصف ينقل للقارىء آراءهُ وما يشعر بهِ عما رآهُ واما في التاريخ فهو ناقل غير مشبع حاشياً كلامهُ بالخرافات ·

١ فهرست الكتاب

قال المؤَلف ما خلاصتهُ : اولاً عن اخبار سفرتي في خروجي من بغداد وسياحتي في بلاد الافرنج المتصلة حتى بلاد هند البيروه · وثانياً في اخبار خروجي من سلطنة البيروه وانحداري الى نيكيدينيا (المكسيك) ومنها لرجوعي لاسبانيا · ثم سبعة عشر فصلاً عن اكتشاف البيروه وعن ملوك الهنود · الفصل الاول عن الصين والثاني عن اكتشاف هند الغرب والثالث عن فتح البيروه والسادس عن هزيمة اهل بيروه

وبقية الفصول على هذا الشكل وبعضها مخصص للتبشير ومملوءٌ بقصص عن ظهور العذراء ومعجزاتها

٢ حكاية السياحة

بعد ان شكر الله ومدحهُ في ما يزيد عن الصفحتين على عادة كتَّاب العرب حمل على

نصاري المشرق وصوّب عليهم لعناته لانفصالهم عن رومية قائلاً ومستشهداً بآيات من التوراة ان الله عاقبهم بما سلط عليهم من الحكام المستبدين · ثم وصف رحلتهُ من بغداد الى القدس حيث انتصر على عصبة من اللصوص بشفاعة العذراء ومن القدس سافر الى اسكندرونة حيث ركب سفينة انكليزية فمر على قبرص وكريت والبندقية حيث مكث مدة يتنزه فيها ثم اقلع منها الى رومية وهناك قابل البابا ونال منهُ كتب التوصية المطلوبة · ولكنهُ لم يمكث طويلاً في ايطاليا بل سافر منها الى فرنسا · وهناك ترك العنان لقلمهِ في مدح لويس الرابع عشر الذي دعاهُ واظهر سرورهُ بلقياهُ · ومدحهُ للويس وتفخيمهُ اياهُ يذكرني بالشعراء المصريين في مدحهم عبد الحميد · وقد هالتهُ مباني باريس وقصورها وغنى الفرنسويين ودلائل الرخاء والبركة على البلاد ونسب ذلك كلهُ الى عدل لويس الرابع عشر · ومن باريس نزل جنوباً الى اسبانيا حيث مكث قليلاً ببرشلونه · ثم التزم ان يرجع الى رومه حيث كان اخوهُ يتعلم في مدارسها فلما وصلها وجدهُ قد ختم درسهُ فودعهُ وسفرهُ الى وطنهِ · وقضى مدة يروح ويجيء بين رومه وصقلية في طلب الف قرش ولما يئس سافر الى مدريد يشتكي للملكة من سوء حالهِ فنزل عند احد الاشراف ومدح كرمهُ وكانت ام الشريف مريضة فلازمها حتى شفيت فارادت مكافأتهُ فقالت لهُ « ايش يطلب حتى تهبهُ » فشاور اخوانهُ فنصحوا لهُ بالذهاب الى اميركا بلاد الذهب · فسافر سنة ١٦٧٥ من احدى مواني البرتغال وقد سافرت بجانب سفينتهِ اربع عشرة سفينة اخرى

وحينما كان في المحيط نشبت الحرب بين فرنسا واسبانيا وهاج البحر حتى خاف احدهم ومات من كثرة الوهم

ولما وصل الى البزيل (البرازيل) وصف حيواناً في انهرها يشبه التمساح قال وهو يخرج الى البر فاتحاً فاه فتنزل العصافير وتنقر اسنانهُ فتنظفها وهو لا يضرها

وكان الذين حولهُ ينظرون اليهِ بعين الاحترام لانهُ زار القدس ويطلبون منهُ ان يباركهم بالكلداني

قال وزرت رجلاً طاعناً في السن يقال انهُ عاش مئة وخمسين سنة قال لي انهُ لما اتى الاسبان الى بزيل ظنوهم حيتاناً عائمة في البحر

وقال عن فتح بيزارد لبيروه : وكانت قلوب الاسبان قاسية على الهنود ولا يجوز لنا ذكر اعمالهم لئلا يضجر القارئ ويتألم قلب السامع

وقال في الفصل الثالث عشر عن هنود البيروه : انهم كانوا يقربون لسلطانهم الجديد مائتي

طفل مما لا تزيد اعمارهم عن اربع سنوات وعند الزواج يوضع بين العريس والعروس قدر فيها شحم الغنم فيلقي فيها العريسان ناراً فاذا احترقت يقول لهما الشبين : الآن قد تزوجتما ثم يعظهما بان لا يتعب الواحد ويشتغل ويتنزه الآخر على تعبهِ .

وحبذا لو اكثر المؤلف من وصف العوائد بدلاً مما ذكرهُ من التاريخ

لندن سلامه موسى

(المقتطف) نلتمس من حضرة الكاتب ان يخبرنا عن حجم الكتاب وكم يملأُ من صفحات المقتطف لو طبع بحرفهِ وقطعهِ . ومن مشتركينا في بغداد ان يخبرونا عما يعرفونهُ عنهُ

اما الف القرش التي ذكرها حضرة الكاتب بالاستغراب فكانت تساوي حينئذٍ مئة جنيه انكليزية لان قيمة القرش كانت شلنين او اكثر قليلاً . وكانت تشتري حينئذٍ ما لا يشترى الآن باقل من مئتي جنيه او ثلثمئة جنيه فهي ليست مما يستخف بهِ

جزيرة كريت

يرى جمهور من الكتاب ان اهم المسائل العثمانية الحاضرة مسألة كريت فرأينا ان نصف حال تلك الجزيرة كما هي الآن لانهُ ظهر لنا ان احوالها خافية حتى على بعض رجال السياسة الذين في يدهم الحل والعقد . وقد التزمنا الاختصار التام

جغرافية الجزيرة

كريت جزيرة كبيرة في البحر المتوسط المعروف ببحر الروم جنوبي بلاد اليونان تبعد ستين ميلاً عن رأس ماليا في بلاد اليونان و ١١٠ اميال عن رأس كريو في الطرف الغربي من بر الاناضول و ١٠٠ ميل عن جزيرة رودس و ٣٠٠ ميل عن جزيرة قبرص

طولها نحو ١٦٠ ميلاً وعرضها يختلف بين ٣٠ ميلاً وستة اميال ومساحتها ٣٣٦٥ ميلاً مربعاً . وهواؤُها طيب مقوٍّ للابدان . ويقع فيها من المطر سنوياً قدر ما يقع في بلاد الشام تقريباً . ويشتد الحر في سهولها في يوليو واغسطس وسبتمبر ولكن النسيم البحري يلطفهُ وحرها في بقية السنة معتدل . واكثرها جبلي ولا سيما في الجانب الغربي منها حيث جبال شامخة يقال لها الجبال البيضاء وفي وسطها جبل ايدا وهو اعلى جبالها ارتفاعهُ ٨٠٥٥ قدماً عن سطح البحر واما جانبها الشرقي فقليل الجبال وتكثر الاودية الخصيبة فيهِ . ولنهارها غدران تغزر شتاءً وتجف صيفاً ولكن الينابيع كثيرة فيها فتروي مزروعاتها الصيفية

وسواحلها كثيرة الاجوان وفي ساحلها الشمالي مرافئ امينة للسفن اشهرها خليج سودا وفي جنوبيها مرفأ امين ايضاً وهو المعروف بالمواني الحسنة وقد ذكر هذا المرفأ بهذا الاسم منذ ١٩٠٠ سنة في اعمال الرسل من الكتاب المقدس . ولكريت جزائر صغيرة تابعة لها

وحاصلات الجزيرة القمح والاثمار ولا سيما البرتقال والليمون والعنب واهم اشجارها شجر الزيتون وفيها الكستنا والسنديان والخروب

وقد بلغت قيمة صادراتها سنة ١٩٠٧ نحو ١٢ مليون فرنك او دراخمة وقيمة وارداتها نحو ١٨ مليون فرنك واهم صادراتها زيت الزيتون والصابون والخروب وقمع البلوط والاثمار الطرية واليابسة والكستنا والجلود والجبن والحرير . واهم وارداتها الدقيق والرز والشعير والتبغ والسكر والزبدة والبن والمعادن

وفي احصاء سنة ١٩٠٠ وجد عدد سكانها ٣١٠ ١٨٥ نفساً ومنهم ٨٤٨ ٢٦٩ من المسيحيين و٤٩٦ ٣٣ من المسلمين و٧٢٨ من اليهود و٦١١٣ من الغرباء ومن سنة ١٨٩١ الى ١٩٠٠ زاد عدد المسيحيين فيها ٢٥٦ ٦٢ نفساً ونقص عدد المسلمين ٩٥٥ ٣٩ نفساً . ولغة السكان اليونانية يتكلمونها كلهم

واكبر مدنها خانيا العاصمة وكان عدد سكانها ٥٣٧ ٢٤ في احصاء سنة ١٩٠٠ . ورثمو وكان عدد سكانها ٩٣١١ وكنديا وكان عدد سكانها ٧٧٤ ٢٣ . وكان في الجزيرة كلها ٣٥٠٠ كنيسة و ٥٥ جامعاً و٥٨ ديراً

والمرجح ان عدد السكان زاد من سنة ١٩٠٠ الى الآن كما زاد بين سنة ١٨٩١ و ١٩٠٠ فيكون عدد سكانها الآن نحو اربع مئة الف نفس ونحو تسعة اعشارهم من المسيحيين

تاريخها

عمران كريت قديم جداً مثل عمران مصر وبابل وفينيقية وقد تقلبت عليها دول كثيرة وسكنها شعوب مختلفة الى ان استولى عليها آل عثمان سنة ١٦٦٩ . وشاركت اليونان في ثورتهم سنة ١٨٢١ فاحتلتها الجنود المصرية من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٠ وأعيدت بعد ذلك الى الدولة العلية . وثار اهلها سنة ١٨٥٩ و ١٨٦٦ ثم توالت الثورات فيها الى ان تداخلت انكلترا وفرنسا وروسيا في امرها وجعلت حكومتها دستورية سنة ١٨٩٨ واقيم عليها حاكم قومسيراً سامياً وبقيت من املاك الدولة العلية ولكنها أُعفيت من دفع الجزية . وسنة ٩٠٦ لأعطي ملك اليونان حق تعيين هذا القومسير السامي وارسال الضباط لقيادة الجندرمة الكريتية . ولا يظهر ان الباب العالي صادق على هذا الامر الاخير الا اذا كانت المصادقة سرية لم تعلن

حالتها الحاضرة

الدستور او نظام الحكومة الذي مُنحتهُ كريت في ٢١ فبراير سنة ١٩٠٧ يقضي بان يكون لها مجلس فيهِ ٦٥ نائباً ينتخبون لمدة ثلاث سنوات والمجلس يجتمع عادة شهرين او ثلاثة اشهر كل سنة من اول مايو والقومسير السامي هو رئيس السلطة الاجرائية وهو الذي يعين النظار او المشيرين وهم اربعة يجتمعون مع النواب ويشاركونهم في المذاكرات ويصوتون معهم. والمسائل الخاصة بعلاقة كريت مع الدول الاجنبية يفصل فيها معتمدو الدول الاربع الحامية لكريت

والتعليم اجباري اسماً لكل ولد عمرهُ بين ٦ سنوات و ١٠ وكان في الجزيرة في العام الماضي من المدارس الابتدائية ٦٢١ مدرسة للمسيحيين فيها ٢١٧١٤ من الذكور و٨٤٣٥ من الاناث و ١٩ مدرسة للمسلمين فيها ١٢٤٣ من الذكور و٧١٤ من الاناث ومن المدارس الثانوية ٢٩ وكلها للمسيحيين وفيها ٣٧٣٩ من الذكور و ٤٣٥ من الاناث وتنفق الحكومة ٧٥٠٠٠٠ فرنكاً كل سنة على التعليم. ونظام القضاء فيها مثل نظامهِ في بلاد اليونان. وفيها محكمتان استئنافيتان و ٥ مجالس للجنايات و ٣٦ محكمة جزئية وفيها من البوليس والجندرمة نحو ٢١٠٠ نفس ضباطهم من اليونان

وقد بلغ دخل الحكومة في العام الماضي ٥٩٥٠٢٢٠ فرنكاً ونفقاتها ٤٦٦٢٠٩٦ فرنكاً ونحو نصف الدخل من الجمارك وما بقي من احتكار التبغ والملح والتمغة ورسوم المحاكم

وعلى الحكومة دين يبلغ ٥٣١٧٢٢٦ فرنكاً وهي مخولة ان تعقد قرضاً جديداً بقيمة ٩٣٠٠٠٠٠ فرنك لتنفقهُ على المنافع العمومية وقد تنازلت لها الدولة العلية عن حقها في احتكار الملح سنة ١٩٠١ مقابل مبلغ ١٥٠٠٠٠٠ فرنك. وفيها بنك عمومي رأس مالهِ خمسة ملايين فرنك وبنك زراعي رأس مالهِ نحو ٤ ملايين فرنك. ونقودها مثل نقود اليونان اساسها الدراخمة وقيمتها مثل قيمة الفرنك تماماً اي كل ٢٥ دراخمة وربع تساوي ليرة انكليزية

هذه جغرافية الجزيرة وهذه خلاصة تاريخها وهذه حالتها الحاضرة ويظهر منها انها مستقلة استقلالاً ادارياً تاماً مثل مصر وتزيد عليها بانها لا تدفع جزية (ويركو). فاذا امكننا ان نردها الى احضان السلطنة العثمانية حتى تكون مساوية لغيرها من الولايات في ما لها وما عليها من غير ان نضر بسكانها نحسناً نفعل لها لان اتصالها بمملكة كبيرة قوية كالمملكة العثمانية خير لها من اتصالها بمملكة صغيرة ضعيفة كالمملكة اليونانية. واذا لم نشأ ان نراعي

مصلحتها الخاصة بل مصلحة المملكة العثمانية عموماً كما هو الواجب علينا فلا غنى لنا عن استعمال السياسة في اعادتها الينا اولاً فان لم تفلح فلا بد من استعمال القوة

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندي

ولكن يجب ان نحسب حسابنا قبل الاقدام على استعمال القوة لان الدول الاوربية تدعي انها مخولة حقوقاً في كريت من حين مؤتمر برلين ورجال السياسة العثمانيون مسؤولون لدى الامة العثمانية عن حفظ حقوق الامة العثمانية باقل ما يمكن من النفقات مالاً ودماً ومقاماً فليحسبوا حسابهم وليعلموا انهم مطالبون بكل ما يفعلون

رسائل الاستانة

ذهب احدنا الدكتور فارس نمر الى الاستانة العلية في اواسط يوليو الماضي ليقف على احوالها ثم كتب عما رآهُ وسمعهُ فيها رسائل نشرت في المقطم · وقد طُلب الينا ان نثبتها في المقتطف لما حوتهُ من الامور الحرية بالمراجعة فاثبتناها في ما يلي

(١) الصدر الاعظم والعثمانيون في مصر

لما وصلت الى الاستانة رأيت ان اقوم بواجب الولاء والاحترام لسمو الامير الذي استظل برايتهِ واستوطن بلادهُ فتوجهت مع سعادة الفاضل سعيد شقير باشا مدير عموم حسابات السودان الى قصر دولة الوالدة ببلدة بيك على ضفة البسفور · وهو قصر ينبسط البسفور كالبساط الازرق على جانبهِ الشرقي وترتفع اكمة ملتفة الاشجار تحكي اجمل آكام سويسرا على جانبهِ الغربي وامامهُ جنة غناء تعجز عن وصف محاسنها قرائح الشعراء · يشعر الداخل اليهِ بسط وانشراح كما يشعر الجالس فيهِ والمتمتع بجمال المناظر التي حولهُ بمزيد السرور والارتياح · فقابلنا هناك سعادة محمود شكري باشا وقضينا مدة من الزمان نتفكه بطلاوة حديثهِ ومحاسن ما قصهُ علينا من اخبار دار السعادة ثم كتبنا اسماءنا في السجل وودعنا وانصرفنا · وفي اليوم الثالي وصلني كتاب من سعادة يوسف بك صديق يخبرني فيهِ ان سمو الخديوي المعظم تعطف وعين الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الاربعاء (غد ذلك اليوم) لمقابلتنا · فتشرفنا بالمقابلة في الوقت المعين بعد خروج سعادة رشدي باشا ناظر الحقانية من مقابلة سموهِ فابقانا سموهُ في حضرتهِ ساعة من الزمن اطلعنا فيها على طرف يسير من معلومات لا تحصى وعاها ذهنهُ

مدة اقامتهِ في الاستانة · ومن جملة ما اتحفنا بعلمهِ ان حضرة الفاضل رفيق بك العظم رفع الى الصدارة العظمى عريضة عن العثمانيين بمصر يشكون فيها انهم لا يعاملون المعاملة المرومة في القطر المصري واردف سموهُ هذا الخبر بكلام لطيف يشعر بالاستغراب بعدما هو معلوم من ميل سموهِ الى رعاياهُ العثمانيين وغيرتهِ عليهم ورغبتهِ في حسن معاملتهم · فاجبت سموهُ اني لم اسمع بهذه العريضة الاَّ تلك الساعة ولا اعلم شيئًا مما هو مذكور فيها فلذلك لا ادري ما اقولهُ عنها · ثم تحوَّل سموهُ في الحديث الى موضوع آخر .

وبعد ذلك بيومين تشرفنا بمقابلة فخامة حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في قصرهِ في حي قيل لي انهُ حيّ الاعيان بالاستانة ويسمى نشانطاش فالتقيت هناك بمبعوث اليمن في مجلس المبعوثان واخبرني انهُ عائد الى بلادهِ قريبًا بعد ان تقرر اعطاؤُها شبه استقلال اداري

ثم دخلت على فخامة الصدر الاعظم ودار الكلام بيننا بالفرنسوية لانهُ يستسهل التكلم بها على ما يظهر اكثر من التكلم بالعربية · ومن غريب ما يقال اني كنت قد قابلت كثيرين قبل مقابلتهِ وبعد التشرف بمقابلة سمو الخديوي المعظم فكان فخامتهُ اول من كلمني منهم عن العثمانيين في الديار المصرية واول من سألني عن احوالهم واخبار راحتهم ورفاهيتهم فشرحت لفخامتهِ طرفًا من اخبار تقدمهم ونجاحهم ودلائل مقدرتهم وذكائهم ونتائج سعيهم وعلو همتهم وكنت الحظ علامات السرور والابتهاج تلوح على وجههِ كلما اوردت لهُ شواهد تقدمهم وكفاءتهم · فقال لي حينئذٍ ما مضمونهُ ان ذكاء العثمانيين في مصر محسوب عليهم لانهُ بلغهُ انهم لا يعاملون كما يعامل سائر المصريين الوطنيين بل قد ضيقت عليهم سبل التمتع بمزايا الوطنية والاستخدام في الحكومة المصرية فادركت حينئذٍ وجه الشكوى التي بلغت فخامتهُ وقلت في نفسي لا بدَّ وان تكون من قبيل الشكوى القديمة التي طالما رددها العثمانيون على صفحات جرائدهم

فقلت لفخامتهِ اتصل بي ان حضرة الفاضل رفيق بك العظم رفع الى فخامتكم عريضة شرح فيها اماني العثمانيين في مصر بعد انقضاء عهد الاستبداد وابتداء عهد الدستور فقال أتعرفون رفيق بك العظم قلت نعم · قال انهُ قابلني وكلمني عن العثمانيين في مصر وشرح لي احوالهم واخبرني بمثل ما اخبرتموني بهِ عن نجاحهم ولكنهُ ذكر ايضًا ان العثماني لا يعدُّ مصريًا في القطر المصري الاَّ بعد ما يقيم فيهِ خمس عشرة سنة ويستوفي شروطًا معلومة وانهُ بعد ذلك لا يشارك المصري في بعض مزاياهُ الوطنية وانهُ لا يعامل في مصر كما نعامل نحن المصريين في سائر الولايات العثمانية بلا فرق ولا تمييز بينهم وبين سائر العثمانيين

فقلت ان هذا الذي قالهُ حضرة رفيق بك العظم لفخامتكم مطابق للواقع وقد مضت عليهِ

سنون عديدة وقد شكت منهُ الجرائد العثمانية المصرية كثيراً في حينهِ واستغاثت بالقوميسير العثماني السامي فلم يستطع ان يغيثها لان دولة الاستبداد لم تكن تؤيد رجال حكومتها ورجال حكومتها لم يكونوا يستطيعون اغاثة رعيتها والحكومة المصرية لم تكن تقصد غير الخير لرعاياها العثمانيين ولكن السياسة التي استصوبتها هي ان تقدم اولاً رعاياها الوطنيين والعثمانيون لم يبدوا منازعة ولا معارضة في هذا التقديم بناء على ان صاحب البيت اولى ببيتهِ . ولكن الامور تتبع بعضها بعضاً ولذلك شكا العثمانيون لما رأوا الاجانب الذين يسابقونهم في ميدان التجارة وغيرها من المعايش مشدودي الازر محميي الظهر بمساعي قناصلهم ونفوذ دولهم ورأوا دولتهم لا تسأل عنهم ولا تهتم بامورهم ولا تمدّ يداً ولا تفوه بكلمة لقضاء مصالحهم وترويج اشغالهم كما تفعل دول سواهم . ولولا ميل الحضرة الخديوية اليهم وعناية الحكومة المصرية العامة بهم وبسواهم لساءت حالهم وتأخروا كثيراً عن سواهم بسبب اهمال دولتهم لهم ولمصالحهم فهم ينتظرون من دولتهم الدستورية الآن اصلاح ما قصرت فيهِ الدولة الاستبدادية منذ زمان

فقال بخامتهُ ما معناهُ انهُ لا يسلم باقل فرق ولا تمييز بين العثمانيين واخوانهم المصريين الوطنيين بل يجب ان يعامل الجميع معاملة واحدة على السواء وان يكونوا متساوين في الحقوق كما يتساوون في الواجبات . قال ونحن نطلب ان تعاملوا في مصر كما يعامل المصريون هنا فقد انتظم كثيرون منهم في الجيش العثماني فعاملناهم كما نعامل ضباطنا وعساكرنا تماماً وقد جاءني رجال نظارة الحربية بالامس يسألونني عن مدة الخدمة التي نحسبها لهم فقلت لهم احسبوها من يوم دخولهم في المدرسة الحربية المصرية كما نحسبها للضباط العثمانيين من يوم دخولهم في المكتب الحربي واعتبرنا المدرسة الحربية المصرية كمكتب حربي عثماني . وهذا الذي نعامل بهِ المصريين في بلادنا نطلب ان يعامل بمثلهِ العثمانيون في بلاد مصر

ثم قال بخامتهُ فلما كلمني رفيق بك بما تقدم قلت لهُ اكتب ذلك وارسلهُ اليَّ فكتبهُ وارسل العريضة اليَّ فارسلتها الى دولة رؤوف باشا القوميسير العثماني السامي لكي ينظر فيها ويجري الواجب . ثم ذكرت شيئاً عنها للجناب الخديوي العالي فاظهر سموهُ ميلهُ وحسن استعدادهِ لازالة اسباب الشكوى فانهُ يعد العثمانيين من اخص رعاياهُ المخلصين فارسلت حينئذٍ الى رؤوف باشا اطلب العريضة منهُ لكي اطلع سموهُ على ما جاء فيها فاجابني دولتهُ انهُ كان منحرف المزاج في هذه المدة وانهُ لم يهتدِ الى المكان الذي وضع فيهِ العريضة . فان كان للعثمانيين في مصر شكاوي يريدون من الحكومة الدستورية ازالتها او اماني يتمنون منها تحقيقها فما عليهم الاَّ ان يكتبوا عنها

فقلت اني اشكر لفخامتكم على حسن عنايتكم واعدكم بان ازف الى العثمانيين بمصر هذه البشرى المتضمنة وصيتكم . ثم انتقلنا الى حديث آخر الخصهُ في مقالاتي التالية

(٢) البطريرك المسكوني وجمعية الاتحاد والترقي

ان حضرة الفاضل بهاء الدين بك الذي تولى دعوة الضيوف الى الوليمة التي اولمتها جمعية الاتحاد والترقي في سراي يلديز مساء يوم الاحتفال بعيد الدستور والحرية لما علم بوصول مدير المقطم الى الاستانة تفضل فارسل اليهِ رقعة خصوصية يدعوهُ فيها الى تلك الوليمة ويخبرهُ انهُ حفظ للمقطم مكاناً خصوصياً على المائدة . فتوجهنا الى هناك ووجدنا الحفلة جامعة لكل ذي شأن ومقام من اكابر اهل الاستانة واعيانها ووجهائها كما سنذكرهُ في المقالات التي سننشرها عن حقيقة الحال في الاستانة ورأينا هناك بطاركة الطوائف المسيحية ايضاً . ولما كنا قاصدين مقابلة غبطة البطريرك المسكوني اعظم بطاركة الروم الارثوذكس ومقدام العنصر الرومي في السلطنة لمعرفة ما يقولهُ عن المسائل الواقعة بينهُ وبين الحكومة في الاستانة وعن مركز العنصر الرومي بين العناصر العثمانية بعد الحوادث التي حدثت في المدة الاخيرة من عهد الدستور المعروف عند الترك « بالمشروطية » طلبنا الى صديق من اصدقائنا الوجهاء ان يقدمنا الى غبطتهِ في تلك الحفلة كما قدمنا الى كثيرين آخرين فيها فاجابنا ان غبطتهُ لم يحضر الى الوليمة فقلنا ولماذا ألم تدعهُ الجمعية اليها كما دعت غيرهُ . قال بل دعتهُ في مقدمة المدعوين ولكن غبطتهُ رفض الدعوة وابى الحضور فقلنا ولماذا . قال اننا نحن نعلم هنا انهُ رفض الدعوة ولكن غبطتهُ ادرى باسباب رفضهِ لها . وقطعنا الحديث عنهُ

ثم زرنا غبطتهُ في بطريركية الفنار وجرى لنا معهُ حديث طويل دام ساعة و ٤٥ دقيقة شرح لنا فيها آراءهُ بالتفصيل عن كل المسائل والمشاكل الحالية وعن الخلاف الواقع بين الروم الارثوذكس في القدس الشريف وسائر بلاد فلسطين وبين رهبان دير الروم في القدس ومن جملة ذلك ايضاً اسباب عدم قبولهِ دعوة جمعية الاتحاد والترقي الى الوليمة

هذا وقد قابلنا في حياتنا عدداً عديداً من اعاظم رجال العالم في الدين والعلم والسياسة والامور الاجتماعية والمالية والاقتصادية وحادثناهم ملياً . والحق يقال اننا وجدنا غبطة بطريرك الفنار الحالي من اجلاّهم فكراً واصرحهم تعبيراً واثبتهم رأياً واشدهم في نفس سامعيهِ تأثيراً بحيث لا يسع سامعيهِ الاَّ الاعتراف لهُ بقوة الحجة ودقة الرأي وبعد النظر في الامور سواءٌ كان على رأيهِ او لم يكن . فلما قلنا لهُ اننا قصدنا التشرف بمقابلة غبطتهِ في الوليمة ولكن قيل

لنا انهُ لم يحضر اليها قال نعم اني دعيت اليها ولكني لم اقبل الدعوة ولم احضر الى الوليمة لاسباب اربعة احب ان يعلمها الناس على حقيقتها وخصوصاً ابناء طائفتنا من قراء العربية لان كل سبب منها يوجب علينا عدم الحضور في الوليمة . فوعدت غبطتهُ بنشرها . فقال

اما السبب الاول فهو ان الوليمة كانت مساء الجمعة . ويوم الجمعة عندنا يوم صوم «وقطاعة» كما هو معلوم . فلا يجوز لبطريرك الفنار الذي يتخذهُ ابناء طائفتهِ في العالم كلهِ قدوة لهم ان يحضر وليمة تؤكل فيها اللحوم والاطعمة التي يمتنع «القاطع» عن اكلها لكي لا يكون حجر عثرة في سبيل اخوتهِ وابناء كنيستهِ

واما السبب الثاني فهو اننا نحن الرؤساء الروحيين رجال زهد وتقشف وابتعاد عن الملذات العالمية فحضور الولائم والمآدب وحفلات البسط والفرح ليس لنا بل لسوانا

واما السبب الثالث فهو ان بطريرك الفنار ليس مطلق السراح كبطريرك الارمن الارثوذكس او بطريرك الارمن الكاثوليك مثلاً بل مقامهُ مقيد بمراعاة امور واعتبارات في روسيا وبلاد البلقان وبلاد اليونان . ولهذا لم يكن يسعني قبول الدعوة وحضور الوليمة الا بعد مراعاة تلك الامور والاعتبارات وذلك يستغرق زمناً و يقتضي مفاوضة

(وكنا نود ان نسأل غبطتهُ زيادة الايضاح عن تلك الامور والاعتبارات ولكن مدار حديثنا مع غبطتهِ كان على امور اهم منها فلم نشأ ان نتمادى في الكلام عنها لكي لا يضيق بنا الوقت عن الكلام على سواها) واما السبب الرابع فهو ان جمعية الاتحاد والترقي ارسلت تدعوهُ الى الوليمة بعد ما حملت عليهِ جريدتها طنين حملة منكرة وقالت فيهِ اقبح مما مالك في الخمر وطعنت على غبطتهِ طعناً شخصياً حتى انها شبهتهُ بجانٍ من كبار الجناة وقالت انهُ يحق عليهِ العقوبة التي حقت على ذلك الجاني الى غير ذلك مما لم يسبق لجريدة فضلاً عن هيئة كالجمعية ان تقولهُ في رئيس قوم محترم المقام شرقاً وغرباً كالبطريرك المسكوني في العالم . فحفظاً لحرمة المقام الذي رقتهُ طائفتهُ اليهِ يجب عليهِ طبعاً رفض دعوة الجمعية والامتناع عن الحضور في وليمتها

فقلنا عند سماعنا هذا السبب الاخير اننا لا نعرف اللغة التركية ولا نقرأ جريدة طنين ولكنا سمعنا من غير واحد من المطلعين ان جريدة طنين تنشر آراءها هي وتقول اقوالها من عندها وتحمل تبعتها ولا علاقة للجمعية بها . وقد اعلنت الجمعية ذلك صريحاً وقالت انها لا تُسأل عما ينشر فيها اذ هي ليست لسان حالها لا رسمياً ولا على وجه شبيه بالرسمي . فأكد غبطتهُ ان جريدة طنين تعبر عن آراء الجمعية واميالها وانها لسان حالها ولو اقتضت السياسة

والمصلحة تبرؤ الجمعية منها ظاهراً وانكار علاقتها بها وتنصلها من تحملها تبعة اقوالها

وقد ذكرنا السبب الرابع المتقدم آنفاً امام بعض الفضلاء الذين يستوعبون ما ينشر في جريدة طنين فقالوا لا بدَّ وان يكون هناك سوء تفاهم فاننا نتذكر كل ما ينشر في طنين ولا نتذكر انها نشرت شيئاً مطلقاً بمعنى ما استاء منهُ غبطة بطريرك الفنار . نعم ان محرر طنين موصوف بحرية الفكر والمجاهرة في القول بلا مداراة ولا مداجاة وانهُ يغمس قلمهُ في علقم النقد ويحمل بهِ على خصمهِ فيجرعهُ مرارتهُ بلا رفق ولا مراعاة ولكننا لا نرى في طنين تهجماً مثل ذلك التهجم على مقام البطريرك المسكوني ولو رأيناهُ لكنا اول من يؤاخذ محرر طنين بهِ ويعترض عليهِ

وكنا قد تعرفنا بحضرة الفاضل جاهد بك محرر طنين واجتمعنا بهِ غير مرة وكان من جملة المدعوين الى وليمة اراد ان يولمها لنا كاتب من فضلاء الصحافيين الانكليز في نادي الاستانة مساء الجمعة الماضي . فعزمنا على مراجعة جاهد بك في ذلك املاً ان يصرح في جريدتهِ بما يزيل سوء التفاهم ويسهل السبيل الى ازالة الاشكال وتقريب الاتفاق الذي يتمناهُ كل عثماني يحب الخير للامة العثمانية وللدولة الدستورية . — ولكننا علمنا ان الباخرة رومانيا التي تعود بنا الى هذا القطر عزمت على السفر من الاستانة عصر يوم الجمعة مع ان ميعاد سفرها المعتاد هو يوم السبت لا يوم الجمعة . فارسلنا الى حضرة الصحافي صديقنا نعتذر عن حضور الوليمة واوصينا بعض الوجهاء من اصدقائنا واصدقاء محرر جريدة طنين ان يبلغوهُ ما كنا عازمين ان نبلغهُ اياهُ شفاهاً لولا سفر الباخرة وان يرجو منهُ ما كنا قاصدين ان نرجوهُ عسى ان يكون من وراء ذلك فائدة . والامل ان حضرتهم ابلغوهُ الوصية وان تأتي بالنتيجة المرومة

فهذه هي الاسباب التي منعت غبطة البطريرك المسكوني من قبول دعوة الجمعية وحضور وليمتها في سراي يلديز ذكرناها هنا انجازاً لوعدنا لغبطتهِ وتصحيحاً لرواية الجرائد الاوربية ورجاء ان يفتح ذكرها الباب للتصافي والعتاب وزوال الجفاء الذي لا تحمد عاقبتهُ ولا تؤمن مغبتهُ

(٣) جمعية الاتحاد والترقي — الحكومة وحوادث ادنه

اشتدت رغبة المصريين في زيارة الاستانة هذه السنة اشتداداً لم يسبق لهُ نظير في سالف السنين حتى في عهد اسماعيل باشا الخديوي الاسبق على ما يقال

ولكننا لا نظن ان هذه الرغبة تدوم طويلاً لاننا وجدنا بعض العائدين منها يفضلون

قضاء الصيف في لبنان على قضائهِ فيها لاسباب متعددة لا محل لذكرها هنا . وقد كنا نفكر في زيارة الاستانة قبل عيد الدستور بمدة او بعدهُ بمدة حتى لا نجد من نود مقابلته فيها مشغولاً بامر العيد ولكن اشار علينا بعض الاخصاء باغتنام فرصة العيد فيها لان كثيرين من رجال الدولة يقصدونها في ذلك الحين فيتيسر لنا الاجتماع بهم فيها حينئذٍ ولا يتيسر قبل ذلك او بعدهُ . فاعتمدنا فجأَة على السفر اليها لكي نكون يوم العيد فيها وارسلنا الى شركة رومانيا نطلب السفر في باخرتها داسيا التي كانت مسافرة يوم الجمعة في ١٦ يوليو الماضي فوجدنا المسافرين قد قطعوا كل تذاكرها ولم يبقوا مكاناً خالياً فيها ولكن حضرة وكيلها المحترم في هذه العاصمة قلدنا منة بتدبير غرفة لنا فيها بعد ما اضطر احد رجال الباخرة الى الخروج منها واخلائها لنا . وسافرنا في ذلك اليوم والباخرة مزدحمة بركابها ازدحاماً عظيماً صعب معهُ على خدمة الباخرة انْ يحفظوا نظام الخدمة وهبت يومئذٍ ريح شديدة هاجت البحر هيجاناً عظيماً حتى ان رئيس الميناء الذي اخرج الباخرة من بوغاز الاسكندرية لم يستطع النزول منها الى زورقهِ والرجوع الى الاسكندرية لشدة تعالي الموج وتعاظم الهيجان فاضطر ان يذهب فيها الى الاستانة .

وكانت الامواج تتقاذف الباخرة فتنود نوداناً شديداً وهي تشق العباب بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة حتى اعترى الدوار معظم ركابها . وطبع المرء ان ينسب كل مكروه يصيبهُ الى غيرهِ ولو كان غيرهُ براءٍ منهُ فالقوا اللوم في الدوار على الباخرة . هذا يقول انها صغيرة وذاك يقول انها زائدة السرعة وآخر انها مزدحمة غير متقنة الخدمة الى غير ذلك من الاسباب التي انقلبت الى ضدها في رجوعنا بها من الاستانة والبحر رهو والامواج ساكنة والركاب جميعهم بغاية البسط والراحة . فقد كانوا يطنبون في مدح الباخرة على نظافتها وسرعتها وتوفر وسائط الراحة فيها . والواقع انها اسرع باخرة تمخر بين الاسكندرية والاستانة وانها مستوفية وسائط الراحة واسبابها وكلها من احدث طرز وقد جهزت بعدة تامة من تلغراف مركوني مما لا وجود لهُ في كثير من اعظم البواخر المتقنة

ولما رست بنا الباخرة في ميناء ازمير نزلنا اليها مع من نزل من الركاب فوجدناها دون الاسكندرية جمالاً وتنظيماً ولكنها انظف ميناء بحري رأيناهُ في الشرق وفي اوربا فلا قذر على رصيف الميناء فيها ولا وحل ولا قمنة وروائح منتنة ولا شيءٌ من الاشياء الكريهة التي تستقبل الداخل عادة الى الثغور البحرية ولاسيما الثغور التجارية الواسعة كازمير . وكان حضرة صاحب السعادة عبادي باشا محافظ الاسكندرية مسافراً في هذه الباخرة ايضاً ولما وصل اليها استقبلهُ ربانها وسائر رجالها بمزيد الحفاوة والاكرام وانزلوهُ في احسن مكانٍ فيها

واحلوهُ المحل الاول في قاعة الطعام ورفعوا الراية المصرية على الباخرة اكراماً لسعادتهِ واجلالاً لمقامهِ. ولما كنا نعلم ما اتصف بهِ سعادتهُ من الغيرة على الامة العثمانية وشدة المحبة للدولة العلية دار الحديث بيننا مراراً على الاحوال العثمانية فوجدنا ان تضارب الاخبار اثر في سعادتهِ تأثيرهُ فينا فكان يغادرهُ تارة في خوف وقلق وطوراً في اطمئنان ورجاء ولذلك كان يودُّ الوقوف على حقيقة الحال مثلنا. فالتقى سعادتهُ في ازمير ببعض الفضلاء والوجهاء من الاصدقاء والاخصاء وسألهم عن الحال فاجابوهُ بما يسكن البال

واتفق اننا مررنا بسعادتهِ وهو جالس يكلم صديقاً من كريد وطنهما الاصلي فنادانا وعرفنا بهِ قائلاً ان صديقي راشد افندي الكريدلي من تجار ازمير يعرفكم بمن يطلعكم على حقائق الامور. فسلمنا على راشد افندي واذا هو رجل فاضل رقيق الجانب عظيم الاحتشام قليل الكلام ولكنهُ يتقد غيرة وحمية على الامة العثمانية والدولة العلية. فقال اني كنت بمصر واعرف المقطم منذ زمان طويل ولا ازال اطالعهُ دائماً الى اليوم وقد فهمت ما تطلبون فهلمَّ بنا نقابل الدكتور ناظم بك فانهُ بين رجال الاتحاد والترقي اشهر من نار على علم. قلنا انهُ من الذين نتوخى مقابلتهم. وبحثنا عنهُ كثيراً في اماكن متعددة فلم نجدهُ وعلمنا اخيراً انهُ توجه الى ضواحي ازمير ليخطب على الناس هنالك. والتقينا في مسيرنا بجماعة من اعضاء جمعية الاتحاد والترقي احدهم عالم فاضل اسمهُ جلال افندي يدرّس في مكتب الصنائع بازمير وفي مكتب للجمعية يسمى بمكتب حديقة المعارف ولا يعرف لغة اجنبية غير التركية ولكنهُ يفهم اللغة العربية الفصيحة ويعبر عن مرادهِ بها كسائر علماء الترك وهو مطلع على الاحوال العثمانية حق الاطلاع ففهمنا منهُ شيئاً كثيراً عن مساعي الجمعية ومقاصدها. وزرنا بعض انديتها في ازمير وعددها خمسة عدا نادي الضباط داخل الثكنة. ورأينا العمل جارياً في بناء نادٍ جديد للضباط بجانب الثكنة

وفهمنا ونحن في ازمير ان جمعية الاتحاد والترقي منظمة على النمط التالي

يدخل من يشاء الانتظام بين اعضائها في نادٍ من الاندية الخاصة بهم بعد ما يقرر النادي قبولهُ فيهِ. ويختلف عدد الاندية في المدن والبلاد باختلاف كبر المدن وصغرها فعددها في ازمير مثلاً واحد للضباط خاص بهم وخمسة للملكيين قد يدخلهُ الضباط ايضاً اذا شاءوا. ثم ان الاندية الواقعة في قضاء (مركز) واحد تنتخب سبعة من اعضائها يعقدون مجلساً يسمى مجلس القضاء. ومجالس الاقضية في ولاية (مديرية) واحدة تنتخب سبعة من اعضائها يعقدون مجلس الولاية. فمجالس الاقضية تخاطب مجلس الولاية ومجالس الولايات تخاطب مجلس الجمعية

المركزي في سلانيك . وقد فهمنا ان عدد اعضاء هذا المجلس المركزي سبعة ايضاً وان محلات مجالس الاقضية والولايات واسماء اعضائها واعضاء المجلس المركزي تبقى مكتومة على قدر الامكان والقصد من كتمانها ليس التهويل والايهام كما توهم قوم بل التخفيف عن اعضائها وعدم تعريضهم لمطالب الناس . فانهُ ما دامت اسماؤُهم مكتومة ومحلاتهم غير معلومة الاَّ عند الاخصاء لم يقصدهم القصاد لقضاء مصالحهم وبلوغ مآربهم ولم يتعرضوا هم للتجارب الكثيرة التي كثيراً ما تحول الانسان عن الجادة القويمة متى شعر بما لهُ من القوة ورأى الناس يكبرون ما لهُ من النفوذ والسطوة والصولة

ويظهر لنا ان نظام الجمعية لا بد وان يكون على هذا النمط او قريباً منهُ وانهُ ان كان يبدو في بعض افعالها ما يخالف ذلك فهو من قبيل الفرق الذي لا بدَّ منهُ بين النظري والعملي كما لا يخفى

ولما يئسنا من الاجتماع بالدكتور ناظم بك قبل سفر الباخرة من ازمير زرنا دولة كاظم باشا والي الولاية فاظهر لنا ازدياد تجارة تلك الولاية بعد اعلان الدستور وقال ان التقدم فيها يظهر من يوم الى يوم وسألناهُ عن الحركة التي كانت قد ظهرت في ايفالى وبعض اطرافها فقال لنا ان الاروام ابدوا بعض الاضطراب ولكنهم اخلدوا الى السكون والتدابير محكمة فلا خوف من وقوع فتنة في الولاية . ثم اظهر سرورهُ بزيارة العثمانيين للاستانة هذه السنة فقلنا ان المصريين سروا بانقضاء زمان الاستبداد وانتهزوا فرصة الحرية والدستور لزيارة بلاد يحبون اهلها ويميلون اليها وستأتي جماهيرهم بكثرة اليها في السنين الآتية كما اتت هذه السنة

ثم قصدنا مقابلة سعادة الفريق اسمعيل فاضل باشا قومندان موقع ازمير وهو من ضباط الجيش المشهورين ومن رجال الحرية المعدودين فعلمنا انهُ يتأهب للسفر في الغد الى ادنه ليرئس ديوان الحرب فيها ويجري العدل في امر المذابح الارمنية . وتفقدناهُ في اماكن متعددة فلم نجدهُ ثم عدنا الى الباخرة يصحبنا جماعة من المودعين الذين قابلناهم وهم غرباء وودعناهم وهم اصدقاء واحباء واذا اسمعيل فاضل باشا قد سبقنا اليها لتوديع حضرة حرمهِ المصونة ونجلهِ الكريم المسافرين الى الاستانة فقابلناهُ هناك وعلمنا منهُ ان الحكومة الدستورية والجمعية متفقتان مع مجلس المبعوثان على وجوب اظهار الحق في حوادث ادنه واجراء العدل فيها بالصرامة الواجبة بلا محاباة ولا رأفة ولذلك جدد تشكيل ديوان الحرب وصدر الامر اليهِ بالتوجه الى ادنه وتولي رئاستهِ . فقلنا اذا كان الامر كذلك فقد زال والحمد لله المحذور ولم نعد نخشى ان العالم المتمدن يتهم الحكومة الدستورية بالتشبه بالحكومة الاستبدادية في اخفاء

الحقيقة وعدم اجراء العدالة . فقال ان العالم كلهُ يعلم ان الحكومة الدستورية غير مسأولة عن حوادث ادنه وانهُ لم يكن لها يد فيها بل جرت رغماً عنها والعالم كلهُ سيعلم ان الحكومة الدستورية ستمحو بماء العدل هذه النقطة السوداء من تاريخ الدولة العلية وانها لا تفرق بين تبعتها التركية وتبعتها الارمنية بل تنظر اليهما كلتيهما بعين واحدة وتعاملها معاملة واحدة . فقلنا اذاً لا خوف من ان يعترض العنصر الارمني كالعقبة الكؤود في وجه الاصلاح وفي سبيل النجاح . قال لا خوف من ذلك باذن الله وسترون قريباً مياه الصفاء جارية في مجاريها واخواننا الارمن ناسين ما كان كأنهُ لم يكن . ثم اعطانا اسماء بعض المبعوثان الذين يزيدوننا علماً بهذا الامر وبغيره متى وصلنا الى الاستانة . واتفق اننا لما دخلنا مجلس المبعوثان لاول مرة سمعنا يوسف بك كمال العائد من ادنه يطلب من المجلس اعطاء المنكوبين في ادنه ما يبتاعون بهِ لوازم الحرث والزرع ويخطب ببلاغة وحماسة واكثر الخطباء يؤيدونهُ حتى قرر المجلس اعطاء اولئك المنكوبين ٢٠٠ الف ليرة . وقال لنا بعض المشهورين من اعضاء الجمعية ان العدل لا بدَّ وان يجري مجراهُ في امر الحوادث الارمنية ورأينا تأييد ذلك في مقالة رنانة لجاهد بك محرر جريدة طنين . ولم نكد نسمع للشكوى الارمنية حساً ولا ركزاً مدة اقامتنا في الاستانة بل كانت الخواطر كلها متجهة الى المشاكل الرومية

لا ندخل مدينة عظيمة في الممالك المتمدنة الاَّ وجدنا للسوريين اثراً ظاهراً في النجاح والتقدم واحراز قصب السبق فيها وخصوصاً في التجارة . زارنا بعض الاصدقاء منهم يوماً في الاستانة وورد بيننا ذكر الخواجا جبيب الجوهري السوري الذي طبقت شهرتهُ الخافقين فقال لنا احدهم وعندنا هنا في الاستانة من كبار التجار السوريين من فاق الاقران حتى اضحى اغنى مالك في الاستانة ما خلا واحداً من اهلها الاتراك . فقلنا ومن هو قال هو حضرة صاحب العطوفة محمد افندي عبود . فسرنا هذا الخبر سروراً عظيماً ولاسيما لما علمنا ان عطوفتهُ من العصاميين الذين حصلوا كل ما حصلوا بجدهم وكدهم . ثم عرض حضرة مخبرنا ان يرينا بعض املاك عطوفتهِ فارانا وكالة عظيمة لهُ في استنبول تعد سوقاً قائمة برأسها وهي من اجمل وكالات استنبول ان لم تكن اجملها . فصعدنا فيها حتى دخلنا على عطوفة صاحبها فاذا هو رجل عاقل فاضل تحلى بالاتضاع ودماثة الاخلاق وجرى لنا معهُ حديث طلي ادَّى الى ذهننا صورة مجملة جلية عن تجارة الاستانة والاحوال التجارية الحالية . ثم زاد عطوفتهُ هذه الصورة وضوحاً وتفصيلاً لما رد لنا الزيارة بعد ذلك ببرهة قصيرة . ومررنا ايضاً بوكالة اخرى لهُ جديدة في

شارع بيرا الكبير وهي ايضاً من اجمل وكالات ذلك الشارع واعظمها اتقاناً كأنها بنيت في مدينة من اجمل المدن الاوربية ونقلت برمتها الى الاستانة العلية

وبينما كنا نشاهد السوق الوطنية الكبيرة في استنبول وهي المعروفة عند الاتراك باسم « تشرشي » مررنا بعدة دكاكين لتجار من السوريين اشهرهم الخواجا نعسان صاحب المعمل الشهير الذي وصفهُ احدنا شاهين بك مكاريوس في احدى رسائله من دمشق فان لهُ في الاستانة فروعاً وتجارة رائجة . ورأينا البضائع السورية المختلفة الاشكال والالوان معروضة في دكاكين اخرى كثيرة

وكنا ذات يوم نحادث رجلاً اوربياً عن تجارة الاستانة فقال لنا ان انجح التجار المسلمين هنا هم من ابناء العرب فان لابن العرب مقدرة في التجارة يمتاز بها على غيره

فرأينا ان ننشر ذلك هنا لتشديد عزائم ابناء هذا القطر والقطر السوري وغيرهما من الاقطار العثمانية العربية حتى لا يهابوا الاقدام على التجارة خارج اقطارهم اذ الشواهد عديدة على انهُ اذا فتح لهم ميدان التقدم خارج بلادهم تقدموا واظهروا من المقدرة ما لم يكن يظن فيهم وهم داخل بلادهم وما لا يشهد لهم بهِ الاجنبي الاَّ بعدما يرى نجاحهم في بلاد غيرهم

(٤) تركيا الفتاة وتركيا العجوز

كان الناس يتجادلون قبل شهر مارس الماضي في ما اذا كانت جمعية الاتحاد والترقي قد مضى زمانها وانقضى ووجب حلها والاكتفاء بوجود الحكومة والبرلمان العثماني من دونها او في هل كان الاصلح بقاؤُها الى حين حتى يتوطد الدستور على اساس مكين . وكان خصومها في ذلك الحين يشكون من تعرضها للاحكام ودخولها في شؤُون الحكومة ومجلس المبعوثان وانصارها يحاولون انكار ذلك كأنهُ تهمة تؤَاخذ بها فيجب عليهم تبرئتهما منها . فلما كان ما كان ودخل جيش الحرية الى الاستانة ووضعت الاحكام العرفية عليها مع وجود مجلس المبعوثان زال ذلك الجدال ولم يبقَ لهُ عين ولا اثر . ولم نعد نسمع احداً يشكو من مداخلة الجمعية في الشؤُون العمومية بل يخال لنا ان الناس مالوا كل الميل حتى انقلبوا من الشيء الى ضده حسب العادة واوشكوا ان يعدوا الجمعية الكل في الكل وان يخصوا بها كل عقد وحل . فان هذا هو التأثير الذي يرتسم على ذهن الداخل الى الاستانة من سماعهِ اقوال الناس عنها

وسواءٌ طابق هذا التأثير الواقع او لم يطابقهُ فالانتماء الى الجمعية قد ازداد جدًّا في هذه الايام حتى كاد يشمل اكثر ابناء العصر من الذين كانوا يعرفون برجال تركيا الفتاة في ما مضى .

وليس اشمل من هذا الانتماء الى الجمعية غير الانتماء الى الدستور المعروف عند الترك «بالمشروطية» فالناس كلهم ينتمون الآن الى الدستور ومن لا ينتمي اليهِ يلقب بالرجعي وقلما ينجو من قبضة المجالس العسكرية المعروفة بدواوين الحرب في هذه الايام · ويقال بوجه الاجمال ان الرجعيين باتوا في خبر كان ولم يبقَ لهم اقل قوة ولا شأن · وانهُ لم يبقَ غير الدستوريين في سلطنة آل عثمان · ورأي الخاصة والعامة في الاستانة ان الدستور بات النظام المقرر في تركيا وان الرجوع عنهُ الى الاستبداد اضحى ضرباً من المحال · وهذه العبارة سمعناها في الجواب على سؤالنا من افواه فخامة الصدر الاعظم وسماحة شيخ الاسلام ودولة بشوكت باشا وسعادة ناظر المالية وغيرهِ من وكلاء الدولة وجناب السر آدم بلوك رئيس صندوق الدين وعدد عديد من الاعيان والمبعوثان وضباط الجيش ورجال الاتحاد والترقي والموظفين والتجار والماليين · وزاد عليها غبطة البطريرك المسكوني فقال ان الدستور مؤيد الاركان ولكن خصومنا يريدون ان يتهمونا باننا ضدهُ ولا نؤيدهُ وفاتهم ان الدستور مبثوث في كل قطرة من دمائنا وان كنيستنا دستورية ديمقراطية ايضاً · واردنا ان نعرف رأي الطبقات السفلى من العامة فسألنا خدمة الفنادق وسائقي المركبات وماسحي النعال فكانوا كلهم يقولون انهم لا يريدون غير الدستور وانهم يكرهون ان يعودوا الى الاستبداد ولم يشذ عن هذا القول الا مزين (حلاق) كان كثيرون من مقربي عبد الحميد يحلقون عندهُ وكانت جيرتهُ تنتفع من موائد الطعام التي تخرج من يلديز فقال لنا لا فرق بين الدستور والاستبداد سوى قطع الارزاق عن هذه الجيرة واجراء ارزاق جديدة على اهل جهة اخرى ·

فجل العثمانيين ان لم نقل كلهم اصبحوا الآن دستوريين · والذين يعول عليهم في سياسة البلاد وتدبير الامور والاصلاح والتنظيم منهم فئتان فئة من المتقدمين في السن الذين كانوا يتولون الاحكام في العهد السابق وفئة من الذين هم احدث منهم سناً · واكثر هؤلاء وقليلون من اولئك ينتمون الى جمعية الاتحاد والترقي والباقون يمكن ان يقال انهم قسمان · قسم عليها وهو الاقل وقسم لا عليها ولا معها بل يبعد عن الحياد وهو الاكثر · وهذا التقسيم الذي يجدهُ الانسان خارج مجلس المبعوثان يجدهُ داخل مجلس المبعوثان ايضاً فللجمعية فيهِ فرقة تشمل عدداً عظيماً من المبعوثان · والباقون منهم من يكون تارةً على رأي فرقة الجمعية وتارةً على غير رأيها ومنهم من هو معارض لها او هي تعدهُ كذلك

ولا ريب في ان عدد المنتمين الى الجمعية آخذ في الازدياد وان كلمتهُ تزداد نفوذاً يوماً فيوماً لان كثيرين من المعارضين يتركون المعارضة حذراً من يقال انهم اعداؤها وغير

المعارضين قد يكونون معها كما يكونون عليها

ولهذا احببنا ان نعلم ما هو المصدر الحقيقي الذي تستمد الجمعية منهُ قوتها وسطوتها فتبين لنا بعد البحث انهُ المجلس المركزي بسلانيك وان هذا المجلس يستمد قوتهُ من قوة ضباط الجيش فالاعتماد الاصلي الحقيقي هو على قوة الجيش وهذه القوة تبقى مضمونة مكفولة ما دام ضباط الجيش متحدين

فاتحاد الضباط هو الركن العظيم الذي يثبت عليهِ النظام الدستوي الحالي . والذي يسأل الضباط عن هذا الاتحاد يجيبونهُ اننا بمثل سائر الناس قد يرضى الواحد منا بهذا الامر اليوم ولا يرضى بهِ غداً ولكن ليس بيننا اقل سبب يمكن ان يجعل واحداً منا يرضى بغير الدستور. فمهما اختلفنا في التفصيل فنحن نبقى متحدين في هذا الامر الجوهري وهو حفظ الدستور وتأييد من يسعى في حفظهِ . ولا خوف من ان يصيبنا في المستقبل امر يحل اتحادنا اشد مما اصابنا في الماضي فان عمال عبد الحميد اغروا عساكرنا التي اعادت الدستور واشتروها بالمال وفرقوا بيننا ولكننا تغلبنا على ذلك وحفظنا الدستور وهذا ما نحن مستعدون لفعلهِ على الدوام . وقال لنا رجل عاقل من محبي الجمعية قد يمكن ان ضباط الجيش يختلفون مثلاً في تأييد الجمعية كما هي عليهِ وان فريقاً منهم يطلب ان تكون على صورة اخرى ويسعى في انشاء جمعية ذات خطة أُخرى ولكن اختلافهم هذا لا يؤثر في الامر الجوهري الذي هو حفظ النظام الدستوري . وكل ضابط منهم يشعر اليوم بان مجدهُ وشرفهُ مقيدان بحفظ هذا النظام فلا يمكن ان يتحد مع غيرهِ على قلبهِ واعادة الاستبداد بوجه من الوجوه بل كل واحد منهم يجاهر بانهُ اذا قام غيرهُ وطمع في شيء من ذلك قاومهُ وافتدى الدستور بدمهِ . فاتحاد الضباط على حفظ الدستور مضمون على قدر ما يمكن ان يضمن اتحاد فئة من الناس في كل مكان وزمان واذا وقع بينهم خلاف او انشقاق فذلك يكون على امور اخرى عرضية بالنسبة الى حفظ الدستور

ومهما يكن من ذلك كلهِ يقال اليوم بالاجمال ان كفة الجمعية ارجح من كفة الخارجين عنها في تدبير شؤون السلطنة . وقد كانت في ما مضى تأبى الدخول في وظائف الحكومة ثم عدلت عن ذلك ورأت من الصواب ان تشارك ابناء العهد القديم من الدستوريين في تدبير الامور . فتألفت هيئة الحكومة اذ ذاك من فئتين فئة الاحداث او رجال تركيا الفتاة وفئة القدماء او رجال تركيا العجوز ولو تيسر اتفاق هاتين الفئتين في تدبير الامور لكان ذلك خير العثمانيين لانهم يجنون منهُ ثمرة اتعاب رجال ذوي حنكة واختبار ورجال ذوي همة وحمية ونشاط ولكن يظهر ان هذا الاتفاق غير ميسور . فرجال تركيا العجوز يشكون من ان رجال

تركيا الفتاة شبان قليلو التجربة والاختبار كثيرو الادعاء قليلو الاصطبار لو تركت لهم الاحكام لا نقلب النظام رأساً على عقب وخربت السلطنة وقامت القيامة عليها في مدة قصيرة · وشبان تركيا الفتاة يقولون ان اولئك المتقدمين برجال قد تمكنت منهم الملكات الفاسدة التي تمكنت في حكام العهد الغابر فلم يعودوا يصلحون لاصلاح السلطنة وانجاحها · ويشكون من ابطائهم في فض المسائل وتسويفهم من يوم الى يوم في قضاء مصالح العباد · فرئيس تحرير طنين يحمل كل يوم حملة هائلة على فريد باشا ناظر الداخلية ويروي عنهُ اموراً يضعف بها حجة من ينتصر لرجال تركيا العجوز · وقال لنا بعضهم قولاً على غاية الغرابة ولذلك لا نضمن صحتهُ وهو ان رفعت باشا ناظر الخارجية لم يكن يعلم شيئاً من كل ما جرى في المسألة الكريتية ولم يفتح مجموعة اوراقها الرسمية الاَّ بعد جلاء جنود الدول واضطرار الدولة العلية الى مكاتبة الدول بشأنها· ونقلوا الينا عن فريد باشا ناظر الداخلية اموراً في تحقيق حوادث ادنه نأبى اثباتها هنا حتى يذيعها سوانا لعظم تبعتها وقد كنا نود ان نسألهُ عنها لما اجتمعنا بهِ في دائرة السفراء بسراي يلديز ولكنا فضلنا ترك ذلك الى فرصة اوفى بالغرض · ومع ان الاكثرين متفقون على مدح الصدر الاعظم والشهادة باقتدارهِ وذكائهِ وحبهِ للاصلاح فبعض الذين يريدون قلب وزارتهِ يدعون ان منصبهُ يقتضي ارادة اقوى وعزماً امضى في قضاء الامور

والحاصل ان تركيا العجوز غير راضية بافعال تركيا الفتاة وتركيا الفتاة غير راضية بافعال تركيا العجوز· وهذا على ما قيل لنا تأويل منشور نشرهُ المجلس المركزي لجمعية الاتحاد والترقي بسلانيك واشار فيهِ الى وجوب تعيين الاحداث في الوظائف

وقد ازدادت حجة تركيا الفتاة قوة بعد التجربة الاولى التي جربت بتعيين جاويد بك ناظراً للمالية · فان هذا الشاب المتوقد الذهن الطلق اللسان والخطيب المفوه المتقد غيرة وحمية على الدستور والحرية والمتفاني في حب الارتقاء للدولة العلية قد اثبت بعد تقلدهِ منصب نظارة المالية انهُ ابن بجدتها يشتغل شغل الرجال المجتهدين ويجاهد في اصلاح اختلال المالية العثمانية كالابطال المجاهدين ويقضي واجباتهِ في اوقاتها بلا ابهة ولا مباهاة حتى قال لنا مالي من اخبر الاجانب بمالية الحكومة العثمانية اني اصبحت شديد الامل باصلاح المالية العثمانية كثيراً بعد ما رأيت نجاح جاويد بك في اشغالهِ واني اعتقد انهُ اذا كان هذا الشاب لا يصلح المالية فلن يصلحها عثماني بعدهُ · ولهذا قويت حجة رجال تركيا الفتاة بوجوب تقليد المناصب العليا لافراد منهم بعد هذه التجربة · وعليهِ شاعت الاشاعات المتعددة عن قرب تغيير الوزارة او استبدال بعض رجالها المتقدمين بآخرين من المحدثين · ولكن الحوادث الاخيرة دلت على ان تركيا

العجوز ليست على ما يتوهم الانسان من الضعف امام تركيا الفتاة بل قد قال لنا غير واحد من الذين يعوَّل على قولهم انهُ لا يزال لتركيا العجوز قوة عظيمة وانصار عديدون وخصوصاً بين اعيان البلاد وان تركيا الفتاة لا تفوز بمرادها الاَّ بعد جهاد شديد ونزال طويل . وبعد هذا القول بقليل وقف نورادونجيان افندي ناظر النافعة في مجلس المبعوثان وكان الشائع ان فرقة الاتحاد والترقي في المجلس عزمت على اسقاطهِ واستبدالهِ بغيرهِ فجعل يرد على الاسئلة التي سئلها ولم يمض الاَّ القليل حتى صاح الاعصاء «كفى كفى» وخرج من المجلس فائزاً وهجعت الاشاعات التي شاعت عن استبدالهِ هو وآخرين من رجال الوزارة بضعة ايام ثم عادت فتجددت كما كانت . فعدّوا فوزهُ هذا دليلاً على قوة تركيا العجوز في معارضة تركيا الفتاة . وقال آخرون ان في فرقة الجمعية نفسها كثيرين لا يستصوبون اخراج رجال تركيا العجوز من الاحكام بل يخالفون في ذلك رأي الآخرين من رفاقهم بحجة الاحتياج الى اختبارهم وتجاربهم ويقول جماعة من الخارجين عن الجمعية ان تقليد المناصب لفريق من شبان الاتحاد والترقي يشق على فريق آخر يحرمها فلذلك يعارض فيهِ

والخلاصة ان عدم اتفاق تركيا الفتاة وتركيا العجوز في ادارة الاحكام وتدبير الامور يؤخر طبعاً في ادراك النجاح المطلوب فهو من هذا القبيل من الصعوبات التي لا غنى عن تذليلها وازالتها لبلوغ المراد من الاصلاح والفلاح

العناية بالاطفال

(تابع ما قبله)

علمتم كيف تكون العناية بالاطفال وان المسأولية الملقاة على عاتق الوالدين عظيمة جدًّا لانهُ مطلوب منهم تربية ابنائهم التربية الصحية الواقية لهم من الامراض . وقد ذكرت لكم اهمها اعني الحمى المعدية والاسهال وابنت لكم التدابير الصحية الواجب اتباعها لتلافيها كالاعتناء بنظافة الطفل وبملابسهِ واستحمامهِ وتدبير الارضاع على قواعد اساسية . ولكن هناك امراضاً أُخرى قد اشرت اليها في صدر هذه المحاضرة لا تقل اهمية عن الاولى وهي تقف للاطفال بالمرصاد قبل خروجهم الى هذه الدنيا

ايها السادة

الدين والذمة يحتمان على كل فرد من افراد المجتمع الانساني النظر الى مصلحة اخيهِ في

الانسانية كنظرهِ الى مصلحتهِ الخصوصية وهذا ما نسميهِ في عصرنا الحالي التعاضد الاجتماعي وهو ينطبق تماماً على الآية الذهبية القائلة « افعلوا بالناس ما تريدون ان يفعلهُ الناس بكم » وهذا التعاضد الاجتماعي يحرم على كل عضوٍ من اعضاء المجتمع ان يأتي عملاً يضر بالهيئة المنسوب اليها

تعلمون ايها السادة ان من الامراض ما يتطرق الى النسل والذرية بعامل الوراثة وقد ذكرت لكم اهمهُ وهو السل الرئوي والزهري والتشويش وتعاطي الكحول ولما كان انتشار هذه الامراض وتأثيرها في النسل عظيمين جداً رغبت في الكلام عنها لتعلموا طرق الوقاية منها

السل الرئوي :

لا ازيدكم علماً بهِ هو ألد عدو للانسان حتى لقد قدر نطس الاطباء الوفيات بهِ بربع مجموع الوفيات كلها . ولا موجب لشرح طريق العدوى بهِ لانكم تعلمونها . وقد اكتشف اعضاء المؤتمر الدولي الصحي الذي عقد اخيراً في مدينة واشنطن طرق عدوى واعلن عنها بلسان الاستاذ كلمت وهي لا تقل اهمية عن العدوى بطريق الجهاز التنفسي وذلك ان في القناة الهضمية باباً كثيراً ما يكون سبباً في نقل العدوى فان الاغذية التي تصل الى المعدة والامعاء تكون ملوثة بجراثيم التدرن فتصاب بهِ وينتقل منها باشلوس كوخ بالدورة الى محلهِ المختار اعني الرئة . والمصاب ينقل جراثيم المرض الى اطفالهِ بهذه الطريق ايضاً او انهم يصيرون شديدي التعرض للاصابة بهِ . فالواجب على المسلول اذاً ان يتجنب الزواج قبل ان يتم شفاؤُهُ منهُ وليعلم انهُ ليس بين الامراض المزمنة ما هو اقرب الى الشفاء من السل كما اثبتهُ الاساتذة بوشار وجاكود وجرانشه

تعاطي الكحول والمشروبات الروحية

تعلمون كلكم تأثيرها في النسل بدليل ان السكير قلما يرزق بعد الزواج اولاداً اصحاء الاجسام وزد على ذلك انهم يكونون في الغالب مصابين بالامراض العصبية كالشلل والصرع والسل نفسهِ كما اعلن ذلك مؤخراً الدكتور جاك بريتليون من مشاهير اطباء باريس في تقرير رفعهُ الى اعضاء المجمع الطبي الفرنسوي

واذا بحثنا عن حالة الاحداث المتشردين في الازقة او الذين يعالجون في مستشفى المجاذيب رأينا آثاراً خلقية ظاهرة ورثوها عن والديهم واكثر اسبابها تعاطي الكحول

وقد دلت الاحصاءات الرسمية باقطع دليل على ان تعاطي الكحول هو السبب الاسامي في ازدياد الجرائم . اما الداء الوبيل الذي له اسوأ تأثير في النسل وفي المجتمع فهو بلا مشاحة داء الزهري

داء الزهري

يسوءنا ان نرى سوق الآداب العمومية في كساد وتجارة الفساد تزداد رواجاً في هذه البلاد عاماً فعاماً وان الناس نفوسهم قليلو الاهتمام بمقاومة هذه الرذيلة المهلكة وتخفيف ضررها ومنع انتشارها ولا يسعنا في هذا المقام شرح هذه العلة واسبابها وعوارضها لنذكر ما هي الحكمة في معالجتها إذ ان هذا الموضوع يحتاج الى كتاب مطول بل كتب مطولة . يتساءل المصاب به لماذا لا تحمل زوجته ولماذا تجهض اذا حملت ولماذا لا يعيش له اولاد ولماذا ولماذا ويجهل او يتجاهل السبب الحقيقي ويحاول كتمان الامر حتى على الطبيب الحاذق زاعماً انه من الامراض المخجلة التي يجب اخفاؤها . وهو لا يخجل امام ضميره عند ما تعرّض له من اجل لذة وقتية

عار على الانسان ان يهمل مرضه هذا ويكتم عوارضه فيكون سبباً في اهلاك اطفاله وحرمانهم نعمة الحياة وقوة الصحة . نشدتك الله ايها الانسان اذا عرفت انك مصاب بداء الزهري او السل فلماذا لا تجتنب الزواج قبل ان تتم المدة اللازمة لشفائك منه ولماذا تقتحم هذا الخطر الاجتماعي غير مبالٍ بما تجره على غيرك من المصائب والنوائب . فاعلم ان مرضك هو اقرب الامراض الى الشفاء في جميع اطواره كما اثبته واعلنه على رؤوس الاشهاد اكبر عالم في العلوم الزهرية الاستاذ فورنيه واحذر الوقوع في ايدي الدجالين الذين يعدونك بالشفاء القريب

علمتم من هذا البحث الوجيز تأثير الامراض الوراثية من النسل وادركتم الجناية الفظيعة التي نجنيها على اطفالنا والانسانية باسرها اذا اقتحمنا خطر الزواج ونحن مصابون بامراض قد تنتقل الى ذريتنا بحكم الوراثة . فواجب الانسانية والشرف يقضي علينا اذاً ان نعتني بتربية اطفالنا اعتناء خصوصياً يقيهم مخالب الامراض القتالة حتى اذا شبوا كانوا اقوياء الجسم اصحاء البنية سليمي العقول يخدمون نفوسهم وبلادهم ويجاهدون جهاد الابطال في سبيل هذه الحياة والسلام

الدكتور امين دمر



الروائح العطرية

توجد الرائحة العطرية في المملكة الحيوانية كالزباد والمسك والعنبر وبكثرة في المملكة النباتية ولذا لا تستخرج في الغالب الاّ منها . وهي توجد في الازهار كالفل والورد والياسمين وفي الاثمار كجوز الطيب والفانيليا وفي قشور الاثمار كاليوسف افندي والليمون وفي الاوراق كالصعتر والنعناع وفي عصير الالياف كالكافور وفي الصمغ كالمستكا واللبان وفي الاخشاب كالقرفة والصندل وفي الجزور كالريزورم فان لهُ رائحة زكية تشبه البنفسج

يعوذ استعمال العطور والروائح الى قدماء المصريين فهم اول حرقوا البخور في معابدهم واستعملوا الطيب في تحنيط موتاهم وتعطروا بزيوت الازهار وقد كانوا في بادئ الامر يضعون الازهار طي الملابس حتى تيبس فتنتشر منها الرائحة اي تبخر منها الزيوت العطرية وتبقى في الملابس ثم توصل كيماويو العرب الى استخراج هذه العطور بالتقطير والنقع

وكيفية التقطير مستعملة الى يومنا هذا في استخراج ماء الزهر والورد . والنقع يستعمل للازهار الزكية الثمينة وهي ان تنقع في زيت جيد فيمتص منها الرائحة بان يذوب الزيت العطري في الزيت الآخر ويستعمل للتقطير

إما عملية التقطير المستعملة عندنا فيها خسارة كبيرة كما يشاهد في البيت الذي يخرجون فيهِ فانك تشم الرائحة تعبق في انحائهِ وما هي الاّ ابخرة مشبعة بالزيوت الطيارة من عدم ضبط الجهاز او عدم تبريد البخار المتكاثف كما يجب فمنعاً لهذا الخلل ولزيادة المنفعة والمحصول اشير : اولاً لعدم وضع الازهار في اناء التقطير منفصلة بدون وقاية لها من ملامسة الجدران الملاصقة للنار بان توضع داخل كيس او شبكة مرتكزة على ارجل داخل الاناء الملآن بالماء . او توضع الازهار فوق الماء بقليل بحيث تقابل البخار الصاعد فيمتص منها جميع زيوتها العطرية . ثانياً ضبط وتحكيم الحاجز الطفلي الرابط جهاز التكاثف باناء التبخير والافضل استبدال الطفل بالطين الاسوانلي مضافاً اليهِ قليلاً من ملح الطعام . ثالثاً جعل حرارة ماء تبريد البخار المتكاثف لا تزيد كثيراً عن حرارة اليد او استعمال ملتوٍ بشكل حلزوني (ثعباني) داخل تيار ماء بارد لزيادة تبريد البخار المتكاثف وعدم انتشار شيء منهُ

فايق جرجس

الصناعة المصرية منذ مئة عام

(٣)

حياكة الحصر

الحصر من الادوات الضرورية في مصر فالحصير فراش الفلاح وسجادته ومائدته وغطاء كوخه ومقعد أحبته . وقد جادت الطبيعة بالنبات الذي تحاك منه الحصر فجعلته دائماً ميسوراً لجميع سكان وادي النيل من النوبة الى شطوط البحر المالح فتكاد لا تخلو قرية من حوكه .

في الصعيد يحوكون الحصر من نبات الحلفاء الذي يكثر في الاراضي المهملة ومن الخوص . وفي الفيوم يصنعونها من الخوص والنباتات الغابية التي تكثر على ضفاف بركة قارون ويصدرون منه كميات وافرة الى الجهات الاخرى . غير ان اجود انواع الحصر يصنع في منوف وضواحيها فيأتون « بالقش » من ترّانه ومن جوار بحيرات النطرون يحضره لهم العرب القاطنون في تلك الجهات

ويدفعون اجرة الحياكة للولد غرشاً في اليوم واجرة الرجل غرشين . ويمكن لاربعة من العملة الراشدين ان يحوكوا في اليوم حصيراً مربعاً قياسه اربعة امتار

ويرسل معظم ما يصنع من الحصر في جهات منوف الى القاهرة من حيث يصدر جانب عظيم منه الى الاستانة وازمير وجزائر الارخبيل الرومي وجهات سوريا كدمشق وصور والقدس وخلافها

(٤)

انواع الزيوت وكيفية استخراجها

تستعمل الزيوت المستخرجة في مصر بعضها للاكل وبعضها للاستصباح وهم يستخرجونها من بزر الخس والقرطم والسلجم والكتان والسمسم . وينفقون منها في كل مديرية بالنسبة لما يجنون من هذه البزور

ففي اعالي الصعيد لا يستعملون غير زيت الخس وزيت القرطم وفي اواسطه يستعملون خصوصاً زيت بزر الكتان والسمسم والسلجم وفي الوجه البحري يقتصرون على زيت بزر الكتان والسمسم

ويستخرجون من اردب بزر الخس نحو ٧٠ رطلاً زيتاً . ومن اردب بزر القرطم ٥٣ رطلاً . وهذا الزيت لا يستعمل الاَّ للاستصباح بهِ . ومن اردب بزر السلجم ٧٠ رطلاً . ومن اردب بزر الكتان ٦٠ رطلاً . ومن اردب بزر السمسم قنطاراً ثمنهُ ٣٥ فرنكاً

ويستخرجون الزيت بجرش البزر اولاً ثم بعصرهِ في المعاصر المختصة لذلك بالطريقة المعروفة . وقد يبلغ ثمن المعصرة منها ١٢٦٠ فرنكاً . ولذلك فهي اكثر نفقة من جميع الآلات المستعملة في مصر لاغراض زراعية صناعية كهذه

ويوجد من هذه المعاصر في جميع مدن القطر المصري . ففي اسيوط عشر معاصر وفي منوف ١٥ معصرة . غير انهُ يختلف بعضها عن بعض في الكبر والاهمية

اما طريقة استخراج زيت السمسم فتقوم بتحميص البزر وهرسهِ حتى يصير بقوام العجين فيداس اذ ذاك بالارجل في معاصر خاصة بهِ الى ان يخرج الزيت منهُ وهو السيرج

(٥)

استخراج الخمر والخل والعرق وماء الورد

لا يعصر الخمر الاَّ في مديرية الفيوم وعصرهُ خاص بالنصارى فيهرثون العنب باليد في اناء من الفخار ثم يضعونهُ في كيس من الصوف يعصرونهُ فوق اناء آخر يشبه برميل مقطوع ثلثهُ الاعلى فينضح اليهِ العصير فيغطونهُ اسبوعاً او اسبوعين الى ان يختمر فينقلونهُ الى دن مطمور في الارض الى عنقهِ ويسدون فمهُ بتغطيتهِ بغطاء من الخشب يطينونهُ عليهِ جيداً . ورغماً عن هذا التحفظ كثيراً ما يفسد الخمر بعد عدة اشهر ويتحول الى خل

ويستخرجون الخل ايضاً من الزبيب القبرسي والرومي ويباع اللتر منهُ بغرشين وربع . ومن البلح ويباع اللتر من هذا بغرش وربع

ويستقطرون « العرقي » من البلح بالانبيق ويباع اللتر الجيد منهُ بنحو عشرين غرشاً وبما ان استعمال هذا المشروب مقصور على النصارى فقلما يستقطرونهُ في مصر . ولا يوجد لتقطيره في القاهرة اكثر من ١٠ الى ١٢ انبيقاً . اما ماء الورد فيستقطرونهُ مثل العرقي بالانبيق . واستقطارهُ خاص بمدينة الفيوم حيث يزرعون الورد بكثرة لهذه الغاية . ويستخرجون من الخمسين رطلاً من زهرهِ خمسة وعشرين رطلاً من ماء الورد

ويباع ما يستخرج منهُ في القاهرة من حيث يصدَّر جانب منهُ الى الشام ويباع الباقي في انحاء مصر

(٦)

عمل السكر

أخص الاماكن التي فيها معامل للسكر جهتا فرشوط واخميم . فيأتون بقصب السكر الى محل خاص في المعمل حيث يستخدمون النساء والاولاد لنزع ورقهِ ثم يقطعون العيدان نصفين ويهرسونها بين اسطوانتين من خشب يديرهما ثور فينحلب العصير الى اناءٍ كبير من الفخار يفرغونهُ في مرجل من النحاس قائم على موقد فيغلونهُ نحو ساعة وينزعون عنهُ الزبد وينقلونهُ الى آنية يتركونهُ فيها نحو ١٢ ساعة ثم يعيدون اغلاءهُ ويصبونهُ اخيراً في قوالب مخروطية الشكل حيث يتبلور ويصير صالحاً للتجارة

ويستخرج من قصب الفدان عادةً نحو ٢٠ قنطاراً من السكر ونحو ١٢ قنطاراً من عسل السكر ويباع قنطار السكر باثنين وثلاثين فرنكاً . وقنطار العسل او الدبس بتسعة فرنكات .

المعرض الصناعي في زحلة

لمكاتب المقطم

قدم دولة متصرف لبنان زحلة ظهر اول اغسطس فاستقبلهُ كبار موظفي الحكومة فيها واعيانها بالاكرام. واقامت البلدية زينة شائقة في المساء احتفاءً بهِ . وقدم زحلة ايضاً القنصلان الجنرالان لاميركا وانكلترا في بيروت وحضرة الوجيه اسبر افندي شقير قنصلير قنصلية انكلترا فيها وقنصل هولاندا وحضرة عزيز افندي الفيعاني ترجمان قنصلية روسيا ومكتوبجي ولايتي سورية وحلب وجمهور كبير جداً من اعيان بيروت ولبنان

فتح المعرض الساعة ٣ والدقيقة ٤٠ ولجنة المعرض مؤلفة من حضرات فارس افندي مشرق رئيساً وابرهيم افندي منذر والياس افندي مشرق وامين بك طليع وجبرائيل بك نصار وحنا افندي راشد وسمعان افندي ابي نعمه وفضل الله افندي ابي حلقه والدكتور نخله بك الاشقر ويوسف افندي ثابت اعضاء

فهذه اللجنة ابدت همة فائقة في تنظيم المعرض وعينت خطباء الحفلة فجلسوا على دكة يتصدرهم حضرة فارس افندي مشرق والى جانبهِ بعض الاعضاء والخطباء

وتصدر المجلس العام دولة متصرف لبنان وحرمهُ المصون وعطوفة والي بيروت واعضاء مجلس الادارة الكبير وسائر مأموري لبنان والولايات المجاورة وقناصل الدول وسعادة محمد

باشا العظم وقائمقامو كسروان وزحلة والمعلقة وبعض وجهاء الولايات ولبنان ومنهم حضرة ابرهيم بك يعقوب ثابت ورئيسا بلدية بيروت واعضاؤها و بعض اعضاء محاكمها وحضرة الوجيه حسن افندي بيهم ونيافة الحبرين الجليلين مطراني زحلة للروم الكاثوليك والروم الارثوذكس واكليروسهما وحضرة اسكندر افندي زين رئيس محفل زحلة والعقيلات المشهورات بفواضلهنَّ ومنهنَّ السيدة املي سرسق ووجهاء زحلة من كرام وكرائم .

وكان الى يمينهم في مكان خاص اصحاب الجرائد ومحرروها ومراسلوها وسائر الكتاب

ولما استقر بالجمهور المقام وقف حضرة فارس افندي مشرق فاثنى وشكر واستنهض الهمم لمساعدة المشروع وكلف حضرة امين بك طليع ان ينوب عنهُ بالترحيب بالجمهور فتلا قصيدة مخمسة رشيقة المعنى والمبنى استحسنها الجميع والقى حضرة اسكندر افندي معلوف باشكاتب محكمة زحلة خطبة ناب بها عن اهل زحلة فشكر لدولة المتصرف ولجنة المعرض وتطرق الى ذكر المصنوعات الوطنية ووجوب تعزيزها . وقال ان خمول الامة هو اصل لكل فساد ادبي ومادي وبارتقاء البلاد ينتشر الامن والحرية والصدق وتروج الاعمال فكان لكلامهِ وقع حسن . وعقبهُ حضرة جبرائيل افندي نصار المحامي فقابل بين العصرين الغابر والحاضر وقال اننا كنا لا ننطق الا بافكار المراقب فنردد صدى صوتهِ مسوقين مكرهين والا اتهمنا بالمروق والفوضوية والثورة وطالما كمت الافواه وحبس القلم اما الآن فلم يعد ثم رقيب الا العقل الذي هو مهبط الحرية . واستطرد الى انشاء المعرض فذكر تاريخ نشأتهِ وقال ان اول من فكر فيهِ هو الرجل الاصلاحي فارس افندي مشرق وكانت الاحوال المعاكسة لهُ محيطة بالعمل من كل جانب حتى جاء اعلان الدستور فكان كالماء للظمآن لانهُ ازال العقبة الكؤود من طريق الاصلاح . وقال عن عمران الدول ان قيام الدولة بالسيف والمحراث فالسيف لتقويم اود المعوجين ونشر الامن في البلاد والدفاع عن الوطن من كل اجنبي وخائن والمحراث لانماء ثروتها وزيادة رفاهيتها والمع الى ذكر التنافس الدولي الاقتصادي والى حرب « المقاطعة » التي قاطع العثمانيون بها البضائع النمسوية . وقال ايضاً اننا قاطعنا البضائع النمسوية لا لتحل محلها البضائع الاجنبية التي من نوعها بل لننشط صناعتنا الوطنية والا كان عملنا عبثاً على ما قيل

اذا استشفيت عن داء بداء فاقتل ما اعلّك ما شفاكا

واستشهد بالامة اليابانية ثم انتقل الى بيان فوائد المعارض وما نتج من المنافسة وقال ان اول معرض في فرنسا لم يكن احسن من معرضنا هذا ولكن معرض باريس الاخير كان من

عجائب العالم فزمان ارتقاء العثمانية هو الزمان الذي يقول فيهِ كل فرد من افراد المملكة «انا عثماني البس من مصنوعات بلادي وآكل من حاصلاتها» هذه كلمة يجب ان يكتبها كلٌ منا على لوح قلبهِ ويعمل بها

والقى حضرة عساف بك الكفوري خطبة باللغة التركية فقال ان فتح هذا المعرض الوطني في اوائل العام الثاني من دور الانقلاب العثماني سيكون فاتحة خير وفألاً حسناً ان شاء الله . وتكلم عن مظالم الحكم الماضي الى ان قال «وقد صار طالع كل منا في يدهِ الآن (ويقصد بذلك أن نجاحنا صار منوطاً بسعينا الخاص) فالواجب ان لا نلقي اتكالنا على حكومتنا بل ان نسعى جهد طاقتنا الى ان قال . قرأت في صحيفة المانية ان عصافير الغابات اخذت تقل وتفنى بسبب وفرة صيدها وتخريب الفتيان لاعشاشها فقامت الحكومة تحتاط لذلك بقوانين سنتها وعقابات فرضتها . وعمدت الى صنع اعشاش في الاشجار بقصد ترغيب العصافير في التفريخ وتكثير النسل . فاسفرت هذه الطريقة عن نجاح كبير . وأمن معها من فناء تلك الطيور التي تقتل الحشرات المضرة بالزراعة ولكن ذلك لم يرق الصحافة الالمانية ولماذا لان صنع الاعشاش للعصافير ينسيها كيف تصنع اعشاشها بنفسها . وهل يجوز حتى العصافير تعويدها الاتكال على الحكومة كما نريد ان نتعود نحن . وهنا انفسح للخطيب المجال في وجوب السعي وعدم الاتكال على الحكومة وابان ان خير سلاح للامة الآن لكي تدرك الارتقاء المروم هو العلم والتربية القويمة

ثم استراح الجميع مدة اديرت فيها المرطبات وعزفت الموسيقى فيها عشر دقائق

وانبرى حضرة الكاتب الفاضل ابرهيم افندي منذر فالقى خطبة انيقة افتتحها بقولهِ لا اقول — ايها الاعيان والوجهاء والسادة والسيدات فقد جعل الدستور الجميع اخواناً عثمانيين فاسمحوا لي ان اخاطبكم قائلاً ايها الاخوان السوريون

ثم تكلم عن مجد سورية القديم وابان اننا سلالة شعب نشيط عريق في الذكاء والشهامة والنشاط واستفز الهمم الى النهوض بالمشروعات الوطنية وقد بدأ خطبتهُ وختمها بابيات ابيات

وعقبهُ حضرة نعيم بك صوايا صاحب المدرسة الوطنية وهو خطيب مفوه فخطب باللغة الفرنسوية مظهراً ما للمحبة الوطن وللجامعة الوطنية من التأثير الفعال في ارتقاء الامم وابان المقصود من الحرية وما هي الحرية الحقيقية

ووقف حضرة الخطيب فلكس افندي فارس صاحب لسان الاتحاد ومما قالهُ «اذا لم نقرن الحرية التي قطرت من سيوف جندنا واشتريت بدماء ابطالنا بالمحبة الوطنية ونسقيها بالمناقب

الشريفة والمبادىء القويمة فكأننا جنينا على نفوسنا . فلا نريد فقط حرية القول بل الحرية الاقتصادية . ثم تطرق الى البحث في الحرب الاقتصادية الدولية فقال نحن نريد امة تعمل في الارض وترفع رأسها الى السماء لا امة تشتغل بالاوهام وتكون اذل الاذلاء

ثم حيا القوم باسم جمعية الاتحاد والترقي وقال عنها ما معناهُ . انها لم تجاهد لتعطينا حرية بالاسم بل حرية بمعناها الحقيقي حرية جدية حية . وختم الحفلة نيافة السيد الجليل المطران جرمانوس شحاده مطران الروم في زحلة بخطبة انيقة جدًّا (ستنشر في الجزء التالي)

وهذا المعرض مقام على ضفتي نهر البرذوني في ارض محيطها ١٢ كيلومترًا ويصل بين قسميهِ جسر انشأتهُ الحكومة اللبنانية . وهو مقسم الى اقسام عديدة فلكل نوع من المعروضات قسم واهم ما استوقف بصري صناعة الاقمشة الحلبية التي يحاكي بعضها الاقمشة التي ترد من اوربا ولكنهُ يفوقها متانة . وهي بادارة حضرة النساج الشهير فتح الله افندي الحداد الحلبي . يرى الناظر اليها اشكالاً من الاقمشة الحريرية مختلفة الالوان والتقاطع ومنها ما هو مقطع كالديما الفرنسوية وثمن الشقة منهُ مئتا قرش . والكتان (التيل) الابيض والمخطط والخام والصوف من نوع (الفاصونه) والشراشف واقمشة الفرش والديما ومناديل المائدة والمناشف . وكل هذه الاصناف مصنوعة في حلب

ورأيت حضرة فتح الله افندي المشار اليهِ واثوابهُ كلها من نسج يدهِ (وهي على الزي الافرنجي) . وعلمت ايضًا ان اعضاء لجنة المعرض ارتدوا اثوابًا من حياكة حلب حين افتتاح المعرض وان في حلب اليوم ٣٠٥٠ نولاً للحياكة وقد كان فيها سابقًا اكثر من عشرين الف نول واهل ولاية حلب يشترون ثلاثين مليون ذراع خام ومعدل سعر ذراع الخام الافرنجي من جميع الانواع ٢ ¼ ومعدل سعر ذراع الخام الوطني ٢ ½ فالفرق ربع القرش وهو قليل بالنسبة الى متانة الخام الوطني والى ان جميع الاجرة التي دفعت عليهِ دفعت للعمال الوطنيين ولم يصرف في البلاد الاوربية الاَّ قيمة الغزل القطني اما برمهُ وفتلهُ وحياكتهُ فيقوم بها عمال وطنيون . اما الصوف فتربح منهُ الصناعة الوطنية ربحًا عظيمًا يزيد كثيرًا على ارباح عمال الفرنجة في بلادهم . فالصوف الذي نرسلهُ الى بلادهم وتوضع عليهِ المكوس وتنفق عليهِ اجر النقل هو هو يعيدونهُ الينا باغلى الاسعار وقد يجيئوننا بهِ مقلدًا مع اننا اولى بصناعتهِ واحذق من غيرنا بهِ وهم لا يفضلوننا بصناعة المنسوجات الصوفية الاَّ باتقانها من حيث الرونق واللون والشكل على اننا متى بذلنا كل همتنا في صناعتنا الوطنية قدر العمال رويدًا رويدًا ان يزيدوا النسج اتقانًا واحكامًا ولاسيما اذا استعملوا الماكنات وآلات النسج للنسج عوضًا عن الايدي

وغني عن البيان ان عاملنا يرضى من الاجرة بنصف القدر الذي يأخذهُ العامل الاجنبي

اما الحرير فهو اربح المنسوجات لنا لان ورق التوت كثير في بلادنا ونحن نربي الدود ونحل الشرانق فتنحصر فائدتهُ في بلادنا ولا يستطيع الاجنبي بعد ذلك ان يشتري شيئًا من حريرنا ليصدرهُ الى بلادهِ

ولا يخفى ان النسيج القطني يحسب منهُ نصف سعرهِ قيمة الغزل وهذا نجلبهُ الآن من اوربا (الى ان تنمو زراعة البلاد ونصير ننسج لباسنا من قطن ارضنا وان غدًا لناظرهِ قريب) ونصفهُ الباقي اجرة معامل وربح التاجر فالاجانب ينتفعون منهُ بثمن الغزل فاذا عدلنا ربحنا في مقدارهِ من الحرير والقطن بما قيمتهُ مئتا قرش كان لنا خمسة وسبعون في المئة او ٣/٤

وهذا لا ينالهُ اكبر عامل في اعظم الممالك المتمدنة وهو باب لاثراء البلاد وتعزيز للصناعة وترويج للبضاعة واحياءٌ للزراعة · ولو كانت الحكومة والشعب ساهرين على احياء البلاد لكان موظفو الحكومة واعيان البلاد خصوصًا لا يرتدون الاَّ من نسيج الوطن فتتقدم صناعتنا تقدمًا يغنينا عن الاقمشة الاجنبية واذا لم ننهض من خمولنا ونرفع غشاوة الجهل عن عقولنا ظل مالنا يتسرب الى جيوب الاجانب

وقد أُعجبت ببضائع دمشق وهي بادارة الوجيهين راعي وخلف فان الناظر اليها يرى سجادات وبسطًا واقمشة شامية وعباءات حريرية وغبانات واواني نحاسية مفضضة وبضائع شرقية يابانية من صنعها وكلها بديعة الاشكال والالوان

ورأينا في المعرض كثيرًا من اقمشة الزوق من الطراز الاول بجمالهِ ومنها قطع قدر ثمنها من عشرين الى ثلاثين ليرة عثمانية · وهناك قطعة عليها رسم دولة متصرف لبنان يظن الناظر اليها عن بعد ان دولتهُ واقف على قدميهِ لا ينقصهُ الاَّ النطق وهي من حياكة يوسف ابي شقرا · وهناك انسجة من صنع الخواجا انطون مهنا نادرة في ظرفها

قرأت في المقطم مرة ان سيدة من كرام البلغاريين كانت مسافرة في قطار سكة الشرق ومعها موسى قبيحة المنظر كانت تعلقها في سلسلة ساعتها فلما سئلت عنها افتخرت بها قائلة انها من صنع بلادها فلما رأيت الامواس والسكاكين الجزينية الجبلية في هذا المعرض تذكرت تلك السيدة وقلت متى نفتخر بما نصنع في بلادنا

ومما عرض اطار جميل جدًّا عليهِ رسومٌ بعرق اللؤلؤ يمثل حياة السيد المسيح وقد قدر ثمنهُ بمئتي ليرة وهو من صنع بشاره الزغبي واولادهِ وفي وسط هذا الاطار رسم العشاء الرباني · وعرضت آنية عديدة من خشب الزيتون وأُخرى مطعمة بعرق اللؤلؤ وهي من صنع دمشق.

الشام · ومنها عود بديع النقش قدر ثمنهُ بثلاثين ليرة ومائدة قدر ثمنها بخمسين ليرة وهما من صنع عبده النحات

وعرض الخواجا شكري اسحق المصور الزيتي المشهور ١٦ صورة كل واحدة منها آية في جمالها وعرض الخواجا جبرائيل فارس الخوري الحفار المشهور اواني لم تقع العين على اوانٍ ابدع منها نقشاً وزخرفاً · وعرض المعلم محمد حبيب بك رسوماً بقلم الرصاص ظريفة جداً · وقد اعجب الزائرون بقبر السيد المسيح المصنوع بادارة حضرة الدكتور اسكندر بك البارودي وهو على مثال قبر المسيح الذي في القدس

اما ما عرضهُ كرائم السيدات فشيءٌ كثير فمن ذلك رسم مطرَّز على قطعة من الحرير صنعتهُ تلميذات قلبي يسوع ومريم في زحله والرسم يمثل ابرهيم وهو يذبح اسحق والملاك قد امسك يدهُ · وعرضت الآنسة انيسه حاصباني رسماً من هذا النوع ايضاً · وعرضت الآنسة ملفينه جرجس الخوري رسوماً بديعة التطريز منها رسم الملك احشويرش واستير وسليمان والعشاء الرباني وقدر ثمن هذا الرسم باربعمائة فرنك · وعرضت الآنسة اسما سيور رسوماً تدل على سلامة الذوق والدقة في الصناعة · وعرضت الآنسة لبيبه برباري اشغالاً مطرزة واشغال ابرة استوقفت الانظار وعرضت ايضاً ١٨ ورقة عليها ثمانية عشر نوعاً من الزهر البديع.

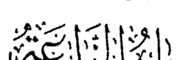
وعرضت مدام انطون الخوري اده رسم تركيا في العهد الغابر والعهد الحاضر وهو يمثل تركيا عجوزاً مقيدة بسلسلة وحولها جماجم وهيكل عظام وقربها جندي نائم والى جانبها فتاة الحرية وانور ونيازي وعرضت رسماً آخر يمثل بيع يوسف الصديق وهذا لا يقل عن ذاك اتقاناً

وعرضت الآنستان ماري رعد ونظله برباري قطعاً قد طرزتا عليها رسوماً بديعة جداً أعجب زائرو المعرض بها

وعرضت اشربة متنوعة لصيدلية الجريصاني وزيت الزيتون للخواجا عبدالله عطاالله وتبغ وتنباك ونبيذ وبطاطس وبصل من ارض الوجيه الخواجا بولاد المزارع الكبير وقد بلغ وزن رأس البطاطس اوقيتين أي نحو رطل مصري · وطلب قنصل الانكليز ستين اقة من هذا البطاطس

وعرضت آلات حديدية تدار باليد وأُخرى تدار بالبخار من محل داعوق اخوان منها ماكينات ومطابع ومكابس · وادوات مكتبية للخواجات جدعون المشهورين وماكنات كثيرة لسينجر

ومما عرض كتب قانونية وشرعية ولغوية مما أُلف حديثاً . وعرض المهندس الوطني سالم افندي الرياشي خارطة من الجفصين للبنان غاية في الدقة وحسن النظام طولها سبعة امتار ونصف وعرضها اربعة امتار ملونة بالوان تشبه الوان الارض تماماً فالناظر اليها يرى لبنان ممثلاً امام عينيهِ بوهادهِ ونجادهِ وتلالهِ الجرداء وجبالهِ الشامخة كصنين وفم الميزاب ويرى المدن والقرى وطرق العربات الموصلة اليها كالباروك والى شرقيها سهل البقاع بمروجهِ الخضراء وبعلبك وآثارها وخطوط سكة الحديد والاديرة المشهورة الى غير ذلك مما يدل على خبرة هندسية فائقة الوصف وقد قدر ثمن هذه الخارطة بمئة وعشرين ليرة عثمانية .



زراعة الزيتون

الزيتون شجر معروف لهُ نحو خمسة وثلاثين نوعاً منتشرة في اسيا واوربا وافريقية . ولا يزال منهُ نوع بري شائك صغير الثمر كبير العجم بالنسبة الى حبهِ . والبستاني من الزيتون يختلف في حجم ثمرهِ وشكلهِ فبعضهُ بيضي ويكاد يكون مستديراً كزيتون الفيوم وبعضهُ مستطيل كبعض الزيتون الرومي وبعضهُ بين بين كالزيتون السوري . ويختلف لونهُ من الاخضر القاتم الذي يكاد يكون ابيض الى البنفسجي فالاسود حسب انواعهِ ودرجات نضجهِ

والزيتون كثير في كل سواحل بحر الروم وما حولها من بلاد البرتغال غرباً الى بحر قزبين وافغانستان شرقاً . وهو وطني في سورية وسواحل اسيا الصغرى ويكثر في بلاد اليونان وجزائر الارخبيل ويفضل الارض الكلسية ويجود حيث يهب عليهِ نسيم البحر وهو يعمر طويلاً ويبلغ جذعهُ مبلغاً عظيماً جداً فقد ذكر ده كندول النباتي المشهور جذع زيتونة محيطهُ ٢٣ قدماً وعمرها نحو سبع مئة سنة . ويقال ان في ايطاليا اشجاراً من عهد الجمهورية الرومانية . ويكبر شجر الزيتون في بلاد الشام حتى يبلغ ارتفاع الشجرة منهُ عشرة امتار او اكثر ومحيط جذعها نحو مترين الا ان الذين يهتمون بزرع الزيتون في ايطاليا وفرنسا لا يدعون اغصانهُ تعلو وتتسع بل يقلمونهُ دواماً كما ترى في ضواحي مرسيليا حيث شجر الزيتون صغير مجوف الشكل نظمت اغصانهُ في شكل كاس او نصف كرة مجوفة او

كا نهُ اقداح الشمبانيا . والحكمة في ذلك ان لا يبقى من الاغصان الاَّ ما يحمل ثمراً وان تصل الشمس اليها كلها . واذا تركت الاغصان حتى تنمو من غير قيد كما في بلاد الشام لم تعد تحمل كل سنة بل صارت تحمل سنة وتطرد اخرى فيضيع نصف غلتها

ويوافق شجر الزيتون كل انواع الاسمدة ويفضلها اشدها حماوة كزبل الحمام وزبل المعزى وغائط الانسان ولاسيما في الاراضي الرملية . واما الاراضي الكلسية فتكفي فيها كناسة الشوارع الحاوية للقرون وفضلات الجلود وما اشبه

وتكثير السماد يزيد الثمر مقداراً ونموًّا ولكنهُ لا يزيد زيتهُ ولا يحسنهُ بل بالضد من ذلك لان زيت الزيتون البعلي القليل الخصب اكثر واجود من زيت الزيتون المسقاوي الشديد الخصب . ولكن الاشجار التي تسمد جيداً لا تتعرض للجفاف من قلة المطر كالاشجار التي لا تسمد والسماد يكثر الثمر كما تقدم

واكثر ما يعرف الآن عن زراعة الزيتون كان معروفًا عند القدماء ولو خامر معارفهم كثير من الاوهام الخرافية فقد جاء في كتاب الفلاحة اليونانية الذي ترجمهُ الى العربية قسطا بن لوقا البعلبكي المتوفى منذ نحو الف سنة « ان الزيتون يألف الارض السليمة من كثرة الانداء والعفن . واجود ما يختار من بقاع هذه الارض لغرسهِ البقعة الجرداء البيضاء الخوَّارة الجافة غير المتعفنة من كثرة النداوة . ولا ينبغي ان يغرس في الارض السبخية ولا في الارض الحمراء ولا في الارض المتطامنة ذات العمق التي تدوم شدَّة الحر فيها ولا تخترقها الرياح فتذهب ببخارها ولا في الارض المشققة . وقد يغرس ايضاً في الارض الرقيقة الطيبة

« ويعمد الى الارض التي يراد غرس الزيتون فيها فتحرث ليذهب عنها ما فيها من النبات ثم يحفر فيها الحفر التي يغرس فيها الزيتون بتقسيط وقسمة ليكون الغرس معتدل الصفوف في الطول والعرض . وليكن عمق كل حفرة منها ذراعين او ثلاثة وليكن بين كل حفرتين منها ثلاثون ذراعًا فان غرس الزيتون اذا كان متباعداً كان انفع لهُ . ولك ان تغرس في خلال ذلك اشجاراً صغاراً لا يبلغ طولها طول الزيتون ولا تضر بهِ . ثم تترك تلك الحفر على هيئتها سنة كاملة لكي تصيبها الرياح والحر فتجف فان ذلك حريٌّ ان يعلق بهِ الزيتون ويصلح . وينبغي ان يوقد في كل حفرة من تلك الحفر مدة شهر في كل يوم وقد يحرق فيها شيءٌ من حشيش يابس او قضبان يابسة والناس يغرسون الزيتون على صفات مختلفة

« قال قسطوس والذي اختارهُ في غرس الزيتون ان يعمد الى قضبان الزيتون الملس المستوية المتوسطة الغلظ من الشجرة المطعمة وليكن طول كل قضيب منها اربعة اذرع وارجح

ويقطع بمنشار او منجل مشحوذ الى الغاية قطعاً املس لا يضر بلحائهِ وتحفظ حدود هذه الاغصان التي كانت تليها قبل قطعها من المشرق والمغرب والجنوب والشمال وتعلم ثم تطمر بعد قطعها سبعة ايام في ارض ندية وتخرج في اليوم الثامن وتطلى اطرافها التي تجعل في الارض برماد واخثاء البقر وتغرس في اليوم الثامن حتى تواري الارض منها انصافها وتجعل حدودها في مغرسها كحدودها قبل قطعها من المشرق والمغرب والجنوب والشمال لكي لا تستنكر مغرسها ولا الرياح التي كانت تصيبها قبل قطعها ثم تحشى حفرها روثاً وتراباً يخلطان جميعاً ويقام على جانبي كل غصن منها خشبتان تركزان في الارض ويبالغ في اثباتهما ويسند غرس الزيتون اليهما بقنب يلف عليهِ لئلا تقلعهُ الريح او تميله · وينبغي لما والى غرس اصل الزيتون من الارض بعد ان تحشى حفرتهُ تراباً وروثاً ان يوطأ بالاقدام وطئاً شديداً ثم يشق بالفاس بعد ذلك مشقاً لطيفاً · وينبغي لما غرس من الزيتون في غير الربيع واوان الامطار ان يسقى في اليوم مرتين او ثلاث مرات حتى يعلق ويرسخ وينبغي ان لا يغرس شيء من غرس الزيتون الا في ارض صحيحة ليس فيها خزف ولا حجر» (نظنهُ يريد بالخزف تراب الخزف او الصلصال لانهُ يحفظ المياه ويمنع رشحها او صرفها)

ولما وصل الى تسميد الزيتون قال كل روث ما خلا عذرة الانس صالح ان يسمد بهِ الزيتون وينبغي ان لا يبالغ في تقريب السماد من اصولهِ فان ذلك مما يضرُّ بهِ ولا يسمد الا في كل عام او عامين مرَّة واحدة فان سمد في العام الواحد مرتين اضرَّ بهِ واهلكهُ وسماد الزيتون في كانون الثاني (يناير) ويجب ان تقطع فضول قضبان شجر الزيتون بعد اجتناء ثمرتها وذلك في شهر كانون الاول (دسمبر) فان ما من شجرة من شجر الزيتون تقطع فضول قضبانها الا كثر حملها وصلح حالها

واسهب في تطعيم الزيتون وكيفية اجتنائهِ وفضَّل ان يجنى قطفاً باليد قال ولذلك يتخذ لاجتنائهِ شبه الكراسي من خشب فيقوم عليها مجتنوهُ فيتناولونهُ بايديهم · وقال عن طريقة عصر الزيت. اذا احمرَّ الزيتون قطف وبسط على ثوب نقي في الشمس حتى يجف بعض الجفاف وينقى ما فيهِ من ورق وعيدان فان لم يكن الزيتون عند طحنهِ نقياً اضرَّ ذلك بزيتهِ ثم يملح بعد التنقية ويطحن برحى من ارحية الايدي طحناً رقيقاً كيلا ينكسر نواهُ فان مادة نواهُ تضرُّ بدهنهِ وتفسدهُ ثم يجعل بعد طحنهِ في زنبيل من قضبان شجر الغراب ويجمع ما يسيل منهُ من الزيت عفواً من غير عصر فاذا انقطع سيلانهُ ثقل الزنبيل بعض الثقل وجعل ما يسيل منهُ من الزيت في المرَّة الثانية على حدتهِ فاذا انقطع سيلانهُ بولغ في تثقيل الزنبيل حتى يخرج

ما بقي منهُ من الزيت · واطيب الزيت واخلصهُ ما سال في المرة الاولى ثم التي تليها وارداهُ ما سال في المرة الاخيرة فاذا فرغت من عصرهِ وجعلتهُ في اوعيتهِ اجعل في كل وعاء منهُ كف ملح وبورق يدقان جميعاً ويخلطان وتسيطهُ بعصاً من شجر الزيتون ونتركهُ حتى يصفو ويتميز عنهُ دردبهُ الى اسفل وعائهِ ثم تصفيهِ وتجعلهُ في اوعية من زجاج فانها انفع لهُ فان لم نقدر عليها فاجعلهُ في اوعية من فخار مدهونة الباطن · واعلم ان مخازن الزيت اذا كانت حارَّة ندية افسدت الزيت الذي يخزن فيها

ويلي ذلك كلام مسهب عن ترويق الزيت واصلاح ما فسد منهُ · هذا وطرق عصر الزيت واستخراجهِ كلهِ حتى من عجم الزيتون معروفة مشهورة والآلات المعدَّة لذلك لم يكن عند الاقدمين شيءٌ منها ولكن الطريقة المذكورة آنفاً لترويقهِ وتصفيتهِ حسنة ميسورة ايضاً

موسم القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن في هذا العام حتى الثالث عشر من شهر اغسطس ٦٦٧٥٨٧٧ قنطاراً والمظنون انهُ لا يزيد حتى آخر اغسطس على ٦٧٥٠٠٠٠ فيكون قد نقص عن ستة ملايين قنطار وثلاثة ارباع المليون فهو اقل من الموسم السابق بأكثر من نصف مليون قنطار واقل من الموسم الذي قبلهُ بنحو ربع مليون قنطار · وهاك مقدار المواسم الماضية الى سنة ١٨٩٦ ومساحة الارض المزروعة ومتوسط محصول الفدان فيها

السنة	مقدار الموسم بالقناطير	مساحة الارض المزروعة	متوسط محصول الفدان
١٨٩٥—١٨٩٦	٥٢٥٦١٢٨	٩٩٧٧٣٥	٥,٢٧
١٨٩٦—١٨٩٧	٥٨٧٩٤٧٩	١٠٥٠٧٤٩	٥,٥٩
١٨٩٧—١٨٩٨	٦٥٤٣٦٢٨	١١٢٨١٥٣	٥,٨٠
١٨٩٨—١٨٩٩	٥٥٨٩٣١٤	١١٢١٢٦١	٤,٩[illegible]
١٨٩٩—١٩٠٠	٦٥١٠٠٥٠	١١٥٣٣٠٥	٥,٦٤
١٩٠٠—١٩٠١	٥٤٢٧٣٣٨	١٢٣٠٣٢٠	٤,٤٢
١٩٠١—١٩٠٢	٦٣٧١٦٤٣	١٢٤٩٨٨٤	٥,١٠
١٩٠٢—١٩٠٣	٥٨٣٨٠٩٠	١٢٧٥٦٨٠	٤,٥٨
١٩٠٣—١٩٠٤	٦٥٠٨٩٤٧	١٣٣٢٥١٠	٤,٨٨

السنة	مقدار الموسم بالقناطير	مساحة الارض المزروعة	متوسط محصول الفدان
١٩٠٤ ١٩٠٥	٦٣٥١٨٧٨	١٤٣٦٧٠٨	٤,٣٩
١٩٠٥ ـ ١٩٠٦	٥٩٨٩٨٨٣	١٥٦٦٦٠١	٣,٨٠
١٩ ٦ ـ ١٩٠٧	٦٩٤٩٣٨٣	١٥٠٦٢٩٠	٤,٦١
١٩٠٧ ـ ١٩٠٨	٧٢٣٤٦٦٩	١٦٠٣٢٢٤	٤,٥١
١٩٠٨ ـ ١٩٠٩	٠٠٠٠٠٠٠	١٦٣٨٠٤٠	٠٠٠٠
١٩٠٩ ـ ١٩١٠	٠٠٠٠٠٠٠	١٤٦٦٥٣٠	٠٠٠٠

وقد قدرت مساحة الاطيان المزروعة قطناً هذا العام ١٤٦٦٥٣٠ فداناً فقط وقدرت في العام الذي قبلهُ ١٦٣٨٠٤٠ ولكننا نرجح ان تقدير العام السابق والاعوام التي قبلهُ لم يكن صحيحاً . واحوال الزراعة حتى الآن تدل على ان الموسم يكون اجود من موسم العام الماضي ومن المحقق ان الاسعار اعلى بنحو خمسين او ستين غرشاً في القنطار

دودة القطن

منشور من دولة البرنس حسين باشا كامل رئيس الجمعية الزراعية الى حضرات مندوبيها في المديريات

ورد بالتقارير التي تصلنا يومياً من حضراتكم ان الدودة ابتدأت في دورها الثالث منذ اسبوع تقريباً ويظهر ان هذا الدور ستكون وطأتهُ شديدة حيث يتضح من التقرير الذي وصلني عن احوال مزروعاتنا بتفتيش جبارس انهُ في ٤ الجاري (اغسطس) كان عدد الانفار المنوطين بجمع الاوراق المصابة باللطع ٨٢١ وجمعوا من كل فدان ١٥٠٠ ورقة مصابة باعتبار كل نفر ٣٠٩ ورقات في اليوم مع انني أؤكد انهُ في الدورين السابقين لم تتمكن البويضات من الفقس والتشرنق نظراً للعناية التي كنا نبذلها في جمع اللطع بمجرد ظهورها . فاذا كان هذا الحال في المزروعات التي لم تصل اليها اللطع طبعاً الا من الفراش المهاجر اليها من الغيطان المجاورة تكون الحالة اسوأ في المزروعات التي فقست فيها الديدان . ولا شك انكم تعلمون ان الديدان في الدور الثالث تأتي باكبر المضار لانها تتغذى على الورقة والوسواس واللوز الصغير ومما يتشرنق منها يتولد منهُ فراش دودة الدور الرابع التي تأكل البرسيم والقمح البدري

ومما يزيد الامر خطارة ان كثيرين من المزارعين لا يميلون الى تنقية الاوراق المصابة

باللطم الآن خشية مما ينتج اثناء المرور بين الخطوط من سقوط بعض الوسواس واللوز او كسر بعض الفروع . واننا نرى لهم بعض العذر في هذا التخوف ولكن فوائد جمع الاوراق المصابة وحرقها تزيد بكثير عن مضار هذا العمل خصوصاً اذا استعمل فيهِ شيءٌ من العناية والاحتياط ولذا يلزم نشر هذه الفكرة بكافة وسائل الاعلان . وتفهيم المزارعين لها وحثهم على مضاعفة الاهتمام من الآن فصاعداً

ترون من كل ما تقدم ان الحالة تستوجب بذل كل همة وعناية من كل شخص يعيش تحت سماء مصر ويهمهُ صالح قطرنا العزيز خصوصاً من كان مثلكم تلقى العلوم الزراعية واشتغل بفن الزراعة عدة سنوات ويعلم اكثر من غيرهِ ان الزراعة القطنية هي اس الثروة وفي خلاصها من الهلاك سعادة اخواننا المزارعين وتحسن حالهم ولا شك ان سكرتير الجمعية الزراعية يشغل في مديريتهِ مركزًا عالياً تقضي عليهِ تربيتهُ وذمتهُ ان يضحي راحتهُ في سبيل القيام بواجبات وظيفتهِ ومشاركة المزارعين في التألم من كل ما يمس بمصالحهم

ومن تاريخ تفشي دودة القطن اظهر مندوبو الجمعية الزراعية بالمديريات اهتماماً عظيماً يستحقون لاجلهِ شكر المزارعين واني ممنون جدًّا من التقارير التي ترد الى الجمعية منكم يومياً فانها اعظم برهان على كثرة تجولكم بالبلاد واني اود ان تداوموا على هذه الخطة وان تثابروا في المستقبل بكل همة ونشاط على تكبد مشاق المرور يوميًّا بدون انقطاع في جميع انحاء مديريتكم وارشاد المزارعين وحثهم على بذل كل همة وعناية في هذا السبيل وفي مقاومة آفة الندوة العسلية حسب المنشور الذي اصدرتهُ اخيرًا الجمعية الزراعية . ويجب عليكم تبليغ كل ما ترونهُ من الاهمال والتقصير لسعادة المدير الذي هو صاحب السلطة العليا بالمديرية واني اقرأ يومياً بمزيد السرور والارتياح التقارير التي ترسلونها يومياً لحضرة مدير عموم الفروع واني اتلقاها بفروغ صبر كل يوم فلا تؤخروا ارسالها بانتظام

واني احول نظركم لتبليغ منشورات الجمعية لعموم المزارعين وان تستعملوا في هذا السبيل جميع انواع النشر وخصوصاً عمل جمعيات بالمراكز والبلاد لتفهيم المزارعين ما تتضمنهُ هذه المنشورات وحثهم على اتباعها واعطائهم كل ما يحتاجون اليهِ من الاستعلامات

رئيس الجمعية الزراعية

الاسكندرية في ٥ اغسطس سنة ١٩٠٩

الندوة العسلية

المنشور الذي اصدرتهُ الجمعية الزراعية عن الندوة العسلية واشير اليهِ آنفاً

سبق ان الجمعية الزراعية نشرت عن هذه الآفة كل ما يهم المزارعين معرفتهُ ومنذ سنة ١٩٠٥ توزع نظارة الداخلية بناء على ارشادات الجمعية الزراعية نشرات مختصة بوصف وطرق مقاومة هذه الآفة ولكن تلبية لطلب بعض لجان المديريات نعود للخوض في هذا الموضوع فنقول :—

يصاب القطن في اواخر يوليو وشهري اغسطس وسبتمبر بمرض يعرف عند المزارعين بالندوة العسلية نسبة لافراز لزج عسلي يرونهُ على النبات ثم يعقب ذلك تغير الاوراق وبعض اللويزات الى لون اسود فتنشف وتموت وقليل من المزارعين يعرف اصل هذا المرض وسببهُ

فالندوة العسلية تتسبب عن حشرة صغيرة جدًّا توجد على ظهر اوراق القطن ويراها المزارعون ويسمونها منّ القطن وتسمى علميًّا افيس (APHIS) القطن ولونها أخضر او اصفر ليموني ولها منقار تمتص بهِ عصارة اوراق النبات التي توجد عليهِ للتغذي عليها

وللمن انواع عديدة منها منّ القطن المصري الذي يتكاثر بالتوالد الذاتي من الانثي (أي بدون تلقيح الذكر)

ويبتدئ ظهور من القطن عادة في شهر ابريل ومايو وقد يتسبب عنهُ احياناً ضرر للقطن عند وجوده بكثرة بامتصاص عصارة الاوراق فتجعد وتذبل ويمكن اذاً معرفة الاوراق المصابة بسهولة ولكن لحسن الحظ يوجد عادة في هذا الوقت من السنة اعداء للمن تتغذى عليهِ ومنها الحشرة المنقطة اللون التي تشبه الجمرة والتي تسمى في علم الحشرات كوكسينليدس COCCINELLIDES كذا يساعد ريح الخماسين على اتلافها فينجو القطن من ضررها في ذلك الوقت .

على ان القليل الذي يتبقى من المن على اشجار القطن يتوالد عليها وكذا بعض الاناث منهُ ذات الاجنحة التي تكون على الحشايش المجاورة تطير الى الاقطان فتتكاثر ايضاً حتى شهر يوليو واغسطس وسبتمبر فتكون كمية الموجود على الاقطان عظيمة

ويسبب المن الضرر للقطن على حالتين

الاولى — بامتصاص عصارة الاوراق وينشأ عن ذلك اصفرارها وسقوطها

الثانية — التي تسبب الضرر الاكثر هي ان المن لهُ في ظهرهِ بجوار ذنبهِ شبه قرنين يفرزان مادةً لزجة عسلية وتلك المادة تسقط على وجه الاوراق التي تحتها فيصير كل سطح الورقة مغطى بالعسل وعلى هذا السائل العسلي يتراكم ويعيش مرض فطري فحمي يوجد في الهواء ويصيب الاوراق بمجرد ظهور العسل عليها ويفرز مادة سوداء كالهباب تغطي سطح الاوراق فتمنع الضوء عنها وتوقف تنفسها فتميتها وعند ما تكون الاصابة شديدة تصاب ايضاً اللويزات بنفس الكيفية بان يسقط العسل عليها من الاوراق ثم يصيبها المرض الفطري فيفرز المادة السوداء التي تغطي اللويزات فتنشف وتبقى بدون تفشيح وهذا المرض يصيب جملة انواع من المزروعات مثل البطيخ والخيار والخضارات وحتى الذرة البدرية

طرق المقاومة

من عادة المن ان يصيب فقط اطراف غيطان القطن بجوار السكك والمساقي ومن النادر ان توجد بعض اشجار مصابة داخل الغيطان والسبب الذي يمكننا ان نعلل بهِ ذلك هو ان المن لا يمكنهُ ان يتكاثر في الحرارة المرتفعة فلذا يوجد باطراف الغيطان حيث تكون حرارة النباتات بها منخفضة عن الحرارة داخلها ثم ينتقل من حشائش المساقي والجسور الى اطارف الغيط

وطرق المقاومة التي يلزم ان تتخذ هي ان نبيد المن عند اول ظهورهِ قبل تكاثرهِ او افرازهِ المادة العسلية واما اذا ترك الى ما بعد افراز العسل واصابة النباتات بالمرض الفطري الفحمي فان الامل بنجاة القطن المصاب يكون قليلاً ولا بد من تقليعهِ وتوجد طريقتان لابادة المن

الاولى — طريقة رش الاقطان التي يظهر عليها المن بمحاليل مخصوصة سنذكرها وذلك بواسطة طلمبات كالتي احضرتها سابقاً نظارة الداخلية لهذا الغرض والتي تستعملها مصلحة الصحة للتطهير الصحي.

وطريقة الرش هي افيد الطرق التي بها يباد المن بشرط استعمال الطلمبات الجيدة بدقة بحيث ترش كل الاوراق بل كل الشجرة وتكرار عملية الرش واسهل المحاليل التي تستعمل مخلوط الصابون الغشيم مع الماء بنسبة عشرة ارطال من الصابون في ١٠٠٠ رطل من الماء وكذلك يمكن استعمال مخلوط من زيت الغاز ولكن الاول اسهل واقل ضرراً للنباتات

ولعدم وجود الطلمبات الآن وربما ايضاً لصعوبة استعمالها فنشير باستعمال الطريقة الثانية وهي

نزع الاوراق التي يظهر عليها المن عند اول ظهور هذه الآفة وهي اسهل وانجع الوسائل

اذا اهتم المزارع بشدة ملاحظة اول ظهور الحشرة او قلع الاشجار في حالة الاصابة الشديدة. وهذه العملية يلزم لاجرائها المهارة والعناية الزائدتان حتى لا تنتقل حينئذٍ الحشرة الى النباتات السليمة المجاورة فلا تكون هناك فائدة من العمل . والاحتياطات التي يلزم ملاحظتها هي

(١) نزع الاوراق بمجرد ظهور المن عليها مهما كان قليلاً واحراقها حالاً (ويكون الابتداء في هذا العمل من خارج الغيط المصاب متقدماً الى الداخل)

(٢) تكون تنقية الاوراق المصابة باليد بمعرفة الاولاد بكل اعتناء ويلزم عدم هز الشجرة بقدر الامكان والاوراق التي عليها الحشرة تجمع في صفائح كصفائح البترول اوجرادل او كيزان صفيح او اي وعاء آخر يكون حاضراً ثم تؤخذ للنار وتحرق ويغسل الوعاء بعد ذلك او يدلك بالرمل او التراب لكي ينظف مما يكون قد علق بجوانبهِ من الحشرات وفي نهاية العمل تعزق الارض حول الساق الجرداء (التي صار تنقية الورق عنها) وينعم ترابها وذلك لاعدام ما يكون قد وقع عليها من الحشرات اثناء التنقية

(٣) لا يجوز باي حال من الاحوال ان يسمح للاشخاص المشتغلين باعدام ندوة العسل بالدخول بين شجيرات القطن النظيفة لان نقل الحشرة بواسطة الملابس امر مؤكد ويستدعي دقة الالتفات ويلزم حتماً ابطال عادة وضع الاوراق المصابة في الجلابيات او في المقاطف لما في ذلك من خطر نقل العدوى الى شجيرات القطن السليمة ولزيادة الوقاية من نقل العدوى يصير تنفيض الجلابيات لنزع ما يكون قد علق بها من الحشرة (Aphis) بعيداً عن المزارع القطنية

(٤) في حالة الاصابة الشديدة وتقليع الاشجار يلزم حرث الارض بعد اضافة جزء من الجير المطفي وريها حالاً وبذا تقتل كل الحشرات التي تكون سقطت على الارض

والجمعية الزراعية مستعدة ان تجاوب كل من يخابرها بخصوص طلب اي استعلام او تفصيل او شرح عن هذه الآفة او اي نقطة زراعية اخرى

(ملحوظة مهمة) الندوة العسلية تضر الزراعة القطنية كثيراً وهي صعبة المقاومة متى تفشت ولكن يسهل التخلص منها اذا اهتم كل مزارع بملاحظة اطراف غيطهِ وقاومها عند اول ظهور الحشرات المسببة لها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الروائح الخبيثة

اذا شممت رائحة خبيثة في بيتك فابحث عن مصدرها حالاً وازلهُ . والغالب ان الروائح الخبيثة تنتشر من الكنيف او من المطبخ وقد كان الناس يعذرون اذا عجزوا عن منعها قبل استنباط الممص (السيفون) اما الآن فلا عذر لهم فيجب ان لا يخلو كنيف من ممص ولا يخلو مصب ماء من ممص وان ينظف الممص من وقت الى آخر مما يرسب فيهِ ويحسن ان يوضع فيهِ قليل من كلوريد الكلس . ويجب الاهتمام بصندوق الزبالة فلا تترك فيهِ فضلات الطعام واللحم من يوم الى آخر ولاسيما في فصل الصيف واذا دبَّ فيهِ الفساد مرةً صارت الفضلات تفسد سريعاً كلما وضعت فيهِ فيجب تنظيفهُ يوماً بعد يوم

ويقال ان الروائح الخبيثة تضرُّ بالصحة عدا ما فيها من الكراهة ويؤكد بعض الاطباء انها قد تكون سبباً للتيفويد والدفثيريا والتهاب الحلق . والظاهر ان الغازات التي تصعد من الكنف تحمل معها ميكروبات هذهِ الامراض اذا كانت في المبرزات فتصيب من يستنشقها اذا كان مستعدًّا لها

حفظ الفراء

انفض الفروة وامسحها بالفرشاة جيداً حتى تنظف تماماً ولفها بمنديل نظيف مع قليل من الكافور او الفلفل الاحمر واربطهُ جيداً ثم ضعهُ في كيس من الورق المتين والصق فوهتهُ حتى لا يبقى مدخل لدخول العث الى الفرو ولا الغبار ولا الهواء . ويحسن ان تفتح الكيس وترى الفروة مرةً بعد اخرى في الصيف لئلاَّ تكون قد تركت فيها شيئاً من العث عالقاً بها فيتلفها

غرفة المريض

يختار للمريض الغرفة الكثيرة النور التي تدخلها الشمس ويجب ان تنزع منها البسط

والستائر ولاسيما اذا كان المرض معدياً • واذا كان في الغرفة موقد للنار وكانت البلاد باردة او الفصل بارداً فلا بأس باشغال النار فيهِ لانها تساعد على تهوية الغرفة وتطهيرها . ويجب ابعاد السرير عن الحائط لكي يسهل على الممرضة ان تدور حولهُ وقتما تمرض المريض او تقلبهُ او تغير امتعة السرير • وتفتح الشبابيك من اعلاها فقط ما دام المريض في الغرفة الاَّ اذا كانت منحرفة كثيراً عن سريرهِ ولم يخشَ من قيامهِ في مجرى الهواء فتفتح كلها • والهواء النقي ضروري جدًّا ولكن الهواء البارد غير لازم وكثيراً ما يكون شديد الضرر فيجب ان يعلق ترمومتر في غرفة المريض ويعتنى لكي لا يهبط عن دوجة ستين او سبعين بميزان فارنهيت واذا هبط توقد النار فيها حتى يسخن هواؤُها

وعلى الممرضة ان تضع كل شيء في مكان خاص بهِ حتى تصل اليهِ حالاً وان تغير ملاءات المريض وثيابهُ يوميًّا وكلما عرق فيها وتنظف جسمهُ وشعرهُ واظافرهُ ولا تدع اقل وسخ على بدنهِ او سريرهِ او غرفتهِ

حرارة المريض

حرارة الانسان الطبيعية على الدرجة ٩٨ وعشرين بميزان فارنهيت (نحو ٣٦ و ٨ اعشار بميزان سنتغراد) وقد تزيد في حال الطبيعة ربع درجة او تنقص ربع درجة باختلاف الاشخاص فاذا هبطت الى الدرجة ٩٥ خيف من الانحطاط التام فيجب ان تقوَّى بقناني الماء السخن ونحو ذلك من وسائل التدفئة ويستدعى الطبيب واذا زادت الحرارة فبلغت ١٠٥ درجات فمن ذلك خطر ولا بدَّ من استدعاء الطبيب

ويوضع الترمومتر لقياس الحرارة اما في الفم او تحت اللسان او في الابط ووضعهُ في الابط هو الاسهل فيمسح اولاً ويوضع تحت الابط وتطوى اليد على الصدر حفظاً لهُ في مكانهِ • ولا بدَّ من انزال الزيبق كل مرة قبل وضع الترمومتر

نبض المريض

نبض السليم العادي ٧٠ الى ٧٥ ويزيد النبض في الحميات حتى لقد يتضاعف وقد يكون ضعيفاً او منقطعاً فيجب على الممرضة ان تلاحظ ذلك وتكتبهُ وتخبر الطبيب بهِ

طعام المريض

لطعام المريض شأن كبير في شفائهِ واسترجاع قوتهِ ولا بدَّ من الاعتناء لئلاَّ يطعم اكثر مما يلزم لهُ او اقل مما يلزم لهُ والغالب انهُ يطعم اكثر مما يلزم لهُ لانك لا تسمع الاَّ

يعرض اهل المريض له ليأكل اكثر فيتقوى وقد يكون في الاكثار اشد الضرر فيجب ان لا يكون مقدار الطعام اكثر مما يلزم وان يقدم للمريض في الوقت المناسب . ولا يحسن ايقاظ المريض من نومهِ ليأكل لان النوم انفع له من الأكل الا اذا امر الطبيب بذلك . واذا شفي من المرض ودخل في دور النقاهة فقد يلزم ان يوضع له قليل من اللبن والبسكت الى جانب سريرهِ ليأكل ليلاً . وقد يكون المريض نائماً او غير واعٍ على شيء ونقضي الحال اطعامه حينئذٍ فتوضع الملعقة في فمهِ قرب اسفل لسانهِ ويصب اللبن منها ويطبق فمه فيبلعه . واللبن خير من غيرهِ لانه طعام مغذ واما مرق اللحم او عصير اللحم فغير مغذٍ مثله لكنه منبه ويحسن ان يضاف الى اللبن . وعندهم فناجين خاصة باطعام المرضى وهي اصلح من الملاعق لانزال السوائل في فم المريض



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكن العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الثورة الادبية

سيدي منشئ المقتطف

قرأت في الجزء السادس من المقتطف الخطبة التي القاها امين افندي ريحاني في حفلة تهذيب الشبيبة السورية في نادي المدرسة الكلية . وقد رأيت انهُ غيَّر لهجته فيها فجأةً وحاد عن موضوعهِ واخذ يطعن على اوربا ويقدح بآدابها ويذم علومها ولم يراعِ على الاقل حاسيات الاميركيين معلمي تلك المدرسة التي خطب في ناديها لان علوم الاميركيين وآدابهم مثل علوم الاوربيين وآدابهم . وهذا شيء من كلامهِ قال ان وطننا قلب العلم (وعنى بهذا القلب سورية وفلسطين وجزيرة العرب وما بين النهرين) ولكن اوربا رأسه فالراس منشأ العلوم والفنون على ان النور المنبثق من الراس فقط هو كالنور الاصطناعي الذي يضيئون بهِ المراسح في اوربا

هو نور بارد خامد وان لم يشترك مع حرارة القلب فلا خير فيه للانسان مهما عظمت نتائجهُ في دائرة العمران . والفنون ان لم يكن الضمير اساسها والاخلاق لبابها ونفع البشر غايتها الاولى فهي افيون لا فنون تخدر الحواس وتذهب بشيء من الهموم ولكنها تقتل النفس وتفسد الجسد . وقال ان المدنية التي يدعي التكالب فيها نشاطاً والخداع براعة والقوة حقاً هي عندي شر المدنيات وهذه مدنية اوربا اليوم مدنية كهرباء وبخار مدنية تجارة وكسب واستغرار مدنية حروب وفتوحات واستعمار . ليس فيها للضمير والذمة اثر من الآثار . مدنية جذورها حب الذات والاستئثار ولبها اليأس والانتحار . وقال ان الدين يرفض بتاتاً مدنية الغرب ومع كل هذه المبالغة في الذم قال لا تقولوا اني بالغت فان كلامي من الاختبار لا من المجلات والاسفار —

لذلك عنَّ لي ان اسألهُ اولاً ما هي علوم هذا القلب أليست هي علوم عقيمة وفلسفة فارغة بل هي كما قال الدكتور شميل علوم كلام لم تنفع العمران بل اضرتهُ . وثانياً ما المنفعة التي نالها الشرق وامتدت منهُ الى الغرب فقد قال الدكتور شميل ان السراج الذي كنا نعرفهُ منذ اربعين سنة هو نفس السراج الذي كان مستعملاً منذ اربعة او خمسة آلاف سنة المكتشف في خرائب مصر ليس في الزيت الذي يضاء فقط بهِ بل في نفس شكلهِ حتى يمكن ان يقال انهُ هو الذي كان مستعملاً منذ خمسة آلاف سنة ايضاً . فما هي اذاً تلك العلوم التي لم تستطع تبديل ذلك السراج الحقير بشيء افضل منهُ كل هذه الالوف من السنين ولو لم تبدلهُ علوم الغرب حديثاً بالضوء الكهربائي ونحوهِ من الاضواء الساطعة لبقي حتى الآن والى ما شاء الله وهل صعدت من هذا القلب فكرة الاختراع على عقول مخترعي سكك الحديد وسفن البخار والتلغراف الكهربائي والتلفون ونحو ذلك من المخترعات النافعة

ثم هل من الانصاف ان ينكر حضرة الخطيب ما للمدارس والكنائس الاوربية والاميركية التي في وطننا السوري من الفضل في ترقية الناشئة وتهذيب الشبيبة علماً وادباً ودينا وهو نفسهُ لو لم يدرس في مدرسة غربية لما استطاع ان ينشئ خطبة تستحق ان تنشر في المقتطف . ايحسب ايضاً ان اعمال رؤساء هذه المدارس من قبيل المتاجرة في اسهم البورصة او هل يحسب اعمال الانكليز في مصر خالية من الذمة والدين . ولقد انتقد المقتطف ديوان رشتم عن تهمتهِ الامة الانكليزية بانها تشتري الناس بالمال وتقيد ضمائرهم فقال « ولا ندري كيف يستحل مثلهُ ان يتهم امة جليلة الشأن مثل امة الانكليز انها تشتري الناس بالمال وتقيد ضمائرهم وهي صاحبة الطول والحول والسيف والمدفع والفضل الاكبر على كل الممالك العثمانية وقد كان نائبها في هذا القطر مثال العفة والاستقامة وسمو المبادئ الدينية »

ولا اقصد ان اجرد وطننا عن كل العلوم النافعة كما جرّدهو اوربا من الدين والآداب والضمير والذمة وعدّ نشاطها تكالباً وبراعتها خداعاً وحقها قسوةً . لكن نسبة علومنا الي علوم الغرب كنسبة قارب صغير يديره ولد بمجذافه الى بارجة كبيرة تديرها اربعة آلات بخارية او كنسبة السراج المار ذكره الى قنديل كهربائي عظيم

كرنجي بنسلفانيا حنا يوسف

طيران الانسان

بلغ السماء بعلمهِ فلقد غدا	فيها يطير كما يشاء ويرغبُ
ملك البسيطة ارضها وبحارها	فبخاره فيها يجدُّ وينهبُ
حتى اذا لم يبقَ من شيءٍ سوى	هذي السماء رنا اليها المأربُ
فاذا رأيت الطير يلعب في العلا	فالمرءُ ايضاً صار فيهِ يلعبُ
فلربما لم تدرِ هل نسر ترى	في الجو ام رجل يجيءُ ويذهبُ
فكلاهما فوق الهواء معلّقٌ	ولشدة البعد الحقيقة تحجبُ
يا ايها الانسان او يا ايها	الطير الجديد عجيبة تستغربُ
قد كنت تنظر للطيور تعجباً	فانظر اليك اليوم انك اعجبُ
قرّبت بين سمائها وأديمها	وكذا بعلمك كلُّ بعدٍ يقربُ
فاذا جرى بُعد السماء عن الثرى	مثلاً فما هو بعد ذلك يُضربُ
سرّحْ عيونك في فضاءٍ واسعٍ	عالٍ دنا فيهِ اليك الكوكبُ
واعبر خضمّاً بين مملكتين لم	يعبره قبلك في الهواء مجربُ
واستقبل القوم الأولى فرحوا بما	صنعت يداك فكلهم يترقبُ
جاءوا اليك مهنئين وقد رست	تلك السفينة والسلامة تصحبُ
اهلاً بمن شاد العلوم وسادها	اهلاً بمطلب من هداه المطلبُ
ونقلد الفخر الذي منا مثله	واهنأ بما تعطي فنعم المكسبُ
عقل الفتى وسع العجائب كلها	او ما تراه دائماً يستوعبُ
لكنهُ عقلٌ يعزُّ مثيلهُ	في ارضنا فالعقل فيها مجدبُ
خصبت ولكن اجدبت في ساعةٍ	يا ليتها ايضاً كذلك تخصبُ

مراد فرج المحامي

ذكرى العام

عام تولى بما يطويهِ من عبرِ ... في صفحة الدهر ابقت اعجب الاثرِ
فيها النقيضان بينا السعد يخدمنا ... إذ استطال علينا حادث الغيرِ
وبينما العيش قد راقت مواردهُ ... إذ داهمتهُ رياح الغدْر بالكدرِ
تولدت في سما البلغار غاشية ... دهماء تعبث بالآراء والفكرِ
جدث مطامعهم فينا فكفكفها ... جيشان من أُسُد صيدٍ ومن ذُعرِ
وفيهِ هيجت الاشجان إذ نقضت ... ما ابرمت من عهود دولة المجر
ظنت بنا الجبن والإحجام فاقتحمت ... ورداً يلذُّ لها لم تعنَ بالصدر
حتى اذا ما انصرفنا عن متاجرها ... فأصبحت .وهي اشجار بلا ثمر
ضاقت بجفوتنا ذرعاً فما وجدت ... سوى التودُّد بعد الدلّ والكبر
لبَّت مطالبنا بالرغم كارهةً ... من بعد ما اعتبت اعتاب معتذر

***

وفيهِ شب لظى شعواء مهلكة ... لم يطفَ جمرتها غير الدم الهدر
توثبت من بقايا الظلم مارقة ... عن منهج الحق اعماها سنا البدر
تستروا برداء الدين ما علموا ... بأن ما اضمروهُ غير مستتر
وطالبوا بامور لا يقول بها ... عقل ولا وردت في الآي والسور
اين الشريعة مما يدأبون لهُ ... والظلم اهون ما يبغون من وطر
بدت لهم من سراب البيد بارقة ... توهموها لجهل رائد المطر
وبات سيدهم يرجو واقرب ما ... يرجوهُ من أمل اقصى من العمر
عبد الحميد اتئدْ ضاق التجلد عن ... شديد ظلمك اذ لسنا سوى بشر
مهلاً فان كان والاك القضا غلساً ... فسوف تبصر عقبى الظلم في السحر
اوكنت منتظراً في الدهر نيل منى ... فاحذر من الدهر امراً غير منتظر

***

لما رأت ما رأت ابطال امتنا ... ضجت فضجت لها الدنيا على الإثر
الله اكبر اي الاسد قد غضبت ... واستنفرت عن عرين حف بالخطر

لو كنت تدري بما هيجت من شجن ما بات قلبك وترًا غير منشطر

***

يا ليلة طال مسراها فما انكشفت الا على جحفل للحرب مبتدر
مستوفز حنق جاشت غواربهُ كالسيل ينصب من اعطاف منحدر
ساروا ورايابهم يوم الوغى عقدت من فوق هامة ذاك الكوكب العمري
خوافق في رحاب البيد قد كتبت يد القدير عليها آية الظفر
ما استلأموا الجون بل زرّوا قلوبهم على الجسوم فكان الدرع من حجر
من كل مستبسل في صدره حنق دلت عليه لحاظ العين بالشرر
تلقاهُ في غمرات الروع مبتسمًا يغشى الردي غير هيّاب ولا حذر
تخالهُ وضجيج الحرب مرتفع أخا هوى بين خفق الناي والوتر
كأنما الموت اقصى ما يؤملهُ او انهُ نال ميثاقًا من العمر

***

مذ ابصروا الملك والاخطار تكنفهُ هبوا لنصرته بالصارم الذكر
فما انثنوا دون ان قرت دعائمهُ وساد في ربعه أمن بلا حذر
وخلأوا زمرة الغدر التي مرقت مثل الهشيم ذرتهُ الريح بالمطر
جازوا عصابتهم عدلاً بما اجترمت اذ ليس ينجع فيها عفو مقتدر
واستأصلوا الظلم من اعماق مغرسه جزوا الاصول وما ابقوا على الشجر

***

وبوّأوا العرش مولى لا تليق به سوى الخلافة والتيجان والسرر
وافتهُ منقادة جرت مطارفها حتى كأنهما كانا على قدر
ماضي العزائم قد فاقت شمائلهُ ملء القلوب وملء السمع والبصر

***

في ذمة الله من فادوا بأنفسهم وذمة الغيث ما حلوهُ من حضر
وفي سبيل العلى ما سال منبجسًا على شفار المواضي من دم طهر
وليحيَ سلطاننا ولتحيَ امتنا ومجدها فوق هام الانجم الزهر

دمشق جرجي حداد

باب التقريظ والانتقاد

صحيح مسلم

قال حضرة محمد افندي الزهري الغمراوي رئيس لجنة تصحيح الكتب بدار الطباعة العربية الكبرى ان اصح كتب السنة اسناداً وارقاها ارشاداً صحيحا البخاري ومسلم وخص صحيح مسلم بمزايا انفرد بها عن البخاري وقد استعيد طبعهُ لتكثر نسخهُ ويعظم نفعهُ وعولنا في تصحيحهِ على عدة نسخ حازت من الصحة اعلى مكان واقتفينا في التبويب النسخة التي طبعت في المطبعة الاميرية. وقد تم طبعهُ حديثاً في مجلدين كبيرين وثمنهُ ٢٨ غرشاً غير اجرة البريد

دليل لبنان

وضع هذا الدليل حضرة الكاتب الاديب وديع افندي ابي فاضل وتكلم فيهِ عن تاريخ لبنان ووصف كل قضاء من اقضيتهِ ومعلم من معالمهِ. ومما ذكرهُ في تاريخهِ انهُ في سنة ١٢٩١ فتح الملك الاشرف عكاء وكانت احصن مدن الصليبيين فسلمت بعد سقوطها اكثر المدن الاخرى ورحل الصليبيون عن عثليت واخلوا قلعتها ويقال ان فرسان مار يوحنا الذين ساروا الى قبرس استصحبوا معهم فرقة من الموارنة رافقتهم بعدئذٍ الى رودس ثم الى مالطة ولذا ترى لغة المالطيين مزيجاً من العربية والايطالية. ولم يبين من قال هذا القول ولا درجتهُ من الصحة فان المعروف ان العرب استولوا على مالطة سنة ٨٧٠ للميلاد وبقيت في يدهم مئتين وعشرين سنة فصار اكثر سكانها منهم وتغلبت العربية على لغتها كما تغلبت على لغات اكثر البلدان التي دانت لهم والكلمات العربية في اللغة المالطية تبلغ الآن نحو سبعين في المئة ولكن لهجة المالطيين تشابه لهجة شمالي لبنان وقد اخبرنا شيخ جليل وعالم لغوي كبير من اهالي مالطة انهُ قضى عمرهُ في البحث عن سبب ذلك ولم يقف لهُ على سبب تاريخي لكنهُ اثبت بادلة لغوية ان ما حدث في لغة مالطة طبيعي لا بدَّ منهُ ولما اخبرناهُ ما هو شائع في لبنان من ان قوماً من اهلهِ او من اهل كسروان خاصة نزحوا الى مالطة واقاموا فيها وان لهجة المالطيين تشبه لهجة الكسروانيين او تشبه العربية التي اثرت فيها السريانية استغرب ذلك وطلب ان نبحث لهُ عن سند تاريخي يؤيدهُ

وفي هذا الدليل ٣٤٦ صفحة واكثرهُ بحرف دقيق وهو كثير الفوائد يحسن بكل من يجول في لبنان ان يقتني نسخة منهُ

التبخر في مصر والسودان

EVAPORATION IN EGYPT AND THE SUDAN.

اهدت الينا مصلحة المساحة المصرية تقريراً في هذا الموضوع وهو من الاهمية بمكان عظيم اذ يعلم منهُ مقدار ما ينقصهُ ماءُ النيل بالتبخر لعلاقة ذلك بالري ونسبة هذا التبخر الى سائر الاحداث الجوية والمدة التي عليها مدار البحث في هذا التقرير مختلفة ففي بعض الاماكن كما في اصوان ثماني سنوات وفي غيرها كما في اسنا سنة واحدة . والآلات التي استعملت لقياس التبخر مختلفة ولهذا لا تكون الدلالة واحدة وقد اخترنا الاماكن التالية وذكرنا مقدار التبخر فيها في كل شهر من شهور السنة

	العباسية	حلوان	اسكندرية	بورتسعيد	اصوان	الخرطوم	سواكن	ودمدني
يناير	١,٥	٣,٣	٢,٩	١,٨	٥,٣	٦,٢	٣,٦	٠٩,٩
فبراير	١,٩	٤,٠	٣,٠	٢,٠	٦,٦	٧,٦	٣,٥	١١,٨
مارس	٣,٩	٥,٤	٤,٧	٢,٧	٨,٣	٨,٨	٣,٥	١٣,٩
ابريل	٥,٥	٨,٩	٤,٢	٢,٩	١٠,٣	٩,٩	٣,٨	١٤,٤
مايو	٧,٣	١١,٢	٢,٧	٣,٠	١٢,٨	١٠,٢	٤,٥	١٣,٢
يونيو	٧,١	١١,٩	٢,٦	٢,٩	١٤,٧	٩,٧	٧,٤	٠٩,٧
يوليو	٦,١	١٠,٢	٣,٤	٢,٩	١٤,٠	٧,٥	٩,٤	٠٧,٣
اغسطس	٥,٨	٩,٠	٣,٦	٣,٠	١٤,٢	٥,٥	٩,٠	٠٤,٨
سبتمبر	٤,٢	٨,١	٤,٢	٢,٨	١٢,٥	٧,١	٥,٥	٠٦,٢
اكتوبر	٤,٠	٧,٦	٤,٠	٢,٦	١٠,٤	٨,٥	٣,١	٠٧,٦
نوفمبر	٢,٥	٤,٧	٤,٠	١,٥	٧,٤	٧,١	٣,٨	١٠,٢
دسمبر	١,٩	٣,١	٣,٦	١,٩	٥,٤	٦,٢	٣,٩	٠٩,٧
متوسط السنة	٤,٣	٧,٣	٣,٥	٢,٥	١٠,٢	٧,٩	٥,١	٠٩,٩

ولا يخفى ان تبخر الماء يكثر حيث يكون الهواءُ جافًا ويقل حيث يكون الهواءُ رطبًا اذا

كانت درجة الحرارة واحد في الحالين . ويظهر من ذلك ان الهواء على اجفهِ في اصوان لان التبخر فيها اشد مما في غيرها من الاماكن المذكورة في هذا الجدول وتتلوها ود مدني في السودان ثم الخرطوم ثم حلوان ثم سواكن ثم العباسية بمصر ثم الاسكندرية ثم بورت سعيد. وحلوان اجف الاماكن هواء منها الى بحر الروم . واجف منها الطور فان متوسط التبخر فيهِ في السنة ٨٫٤ مليمتر ولو لم نذكرهُ في هذا الجدول اما العباسية فرطبة بالنسبة الى غيرها واذا كانت هليوبولس مثلها فيكون هواء حلوان اجف من هوائها كثيراً

وقد استنتج المستر كيلنج واضع هذا التقرير ان التبخر من خزان اصوان اكثر مما قدرهُ السر وليم ولككس فقد حسب انهُ ٨ مليمترات في اليوم صيفاً والمتوسط على مدار السنة ٥ مليمترات في اليوم بانياً ذلك على بحيرة قارون نخطأهُ واضع هذا التقرير وبيّن ان متوسط التبخر اليومي في خزان اصوان ١٥ مليمتراً واربعة اعشار فالفرق كبير جداً بين تقديره وتقدير ولككس وبحسب تقدير ولككس يتبخر كل يوم من خزان اصوان ٢٧٠٠٠٠ متراً مكعباً من الماء وبحسب تقدير المستر كيلنج يتبخر اكثر من ثلاثة اضعاف ذلك أي يتبخر نحو ٣٠٠ مليون متر مكعب في السنة وهو مقدار كبير جداً

الاحداث الجوية سنة ١٩٠٧

METROLOGICAL REPORT FOR 1907.

ظهر التقرير العمومي للاحداث الجوية سنة ١٩٠٧ وهو شامل لاثنين وخمسين مكاناً حيث ترصد هذه الاحداث اربعة وثلاثين منها في القطر المصري والسودان وثمانية في بلدان أُخرى كازمير وقبرص . فابعدها الى الشمال ازمير وعرضها ٣٨ درجة و ٣٦ دقيقة و ١٠ ثواني وابعدها الى الجنوب منجالا وعرضها ٥ درجات و ١١ دقيقة وابعدها شرقاً سواكن وطولها ٣٧ درجة و ٢٠ دقيقة وابعدها غرباً ازمير وطولها ٢٧ درجة و ٩ دقائق . واعلى ما بلغهُ البارومتر في هذه الاماكن في بورت سعيد حيث بلغ ٧٦٦٫٩ مليمتراً واخفض ما بلغهُ في القلابات حيث وصل الى ٦٩٩٫٤ مليمتراً

واعلى ما بلغتهُ الحرارة ٤٧ درجة وعشرين وذلك في اصوان واوطأ ما بلغتهُ ١٠ درجات تحت الصفر وذلك في ازمير اما في القطر المصري والسوداني فاوطأ ما بلغتهُ خمسة اعشار الدرجة تحت الصفر وذلك في الجيزة . وهاك اعلى درجات الحرارة واوطأها ومتوسطها السنوي لاشهر الاماكن المصرية والسودانية

	اعلى درجات الحرارة	اوطا درجات الحرارة	متوسط السنة
الاسكندرية	٣٣٫٠	٥٫٣	١٩٫٢
بورت سعيد	٣٦٫٥	٠٫٠	١٩٫٥
الطور	٤٥٫٠	٥٫٠	٢١٫٢
العباسية	٤٠٫٢	٠٫٨	٢٠٫٥
الجيزة	٤٠٫٤	٠٫٥	١٩٫١
خلوان	٤٢٫١	١٫٦	١٩٫٨
المنيا	٤٢٫٦	١٫٩	٢٠٫١
اسيوط	٤١٫٠	١٫٠	٢٠٫٥
الواحة الداخلة	٤٥٫٠	٠٫٠	٢٢٫٥
اصوان	٤٧٫٢	٣٫٣	٢٤٫٢
وادي حلفا	٤٦٫٠	١٫٥	٢٣٫٨
الخرطوم	٤٥٫٣	٧٫٧	٢٨٫٢
كسلا	٤٤٫٠	٧٫٥	٢٨٫٠
القلابات	٤٢٫٠	١٠٫٠	٢٥٫٣
سواكن	٤٤٫٥	١٦٫٥	٢٨٫٠
بورت سودان	٤٥٫٥	١٤٫٥	٢٧٫٨
ود مدني	٤٤٫٥	٨٫٠	٢٧٫٤
الرصيرص	٤٣٫٥	١٠٫٥	٢٦٫٠
الدويم	٤٥٫٦	٧٫٦	٢٧٫٢
الابيض	٤٢٫٨	— ٠٫٤	٢٥٫٣

ويظهر من هذا الجدول ان مقدار الحرارة السنوي في الجيزة اقل مما هو في الاسكندرية ولكن درجة الحرارة بلغت في الصيف ٤٠ درجة في الجيزة ولم تزد في الاسكندرية على ٣٣ درجة واذا اعتبرت رطوبة الهواء مع الحرارة وكون الشعور بالحرارة يزيد بزيادة رطوبة الهواء فيكون الشعور بالحرارة على مدار السنة اقل في مصر منهُ في الاسكندرية . ومن الغريب ان ساعات شروق الشمس في الخرطوم ليست اكثر من ساعات شروق الشمس في الاسكندرية في السنة كلها

دروس الرياضة

للمدارس الثانوية

هو كتاب في علم الجبر تأليف حضرة حسن افندي صديق مدرس الرياضة في مدرسة الاقباط الكبرى جرى فيها مجرى كتب الجبر المترجمة او المؤلفة في القطر المصري من حيث شكل الحروف والعلامات والنطق بها فينطق بعلامة الجمع بكلمة زائد وبعلامة الطرح بكلمة ناقص فيقال في لفظ هذه الكمية (حـ + د) حاء زائد د وهذه الكمية (حـ — د) حاء ناقص دال ولا ندري مَن اول من وضع النطق بهتين العلامتين على هذه الصورة وهل كان عربيًّا او افرنجيًّا . فأن اول من نقل الجبر الى العربية في سورية اميركي وهو الدكتور فانديك ومع ذلك عبَّر عن هاتين العلامتين تعبيرًا معقولاً وبحسب تعبيره نقرأ الكمية الاولى حاء مع د والثانية حاء الاَّ دال . ولا ندري لماذا بالغ مؤلف هذا الكتاب في تكبير علامات الجمع والطرح والضرب والقسمة وفي تصغير الحروف والارقام فالارقام التي على الصفحة السابقة مثلاً في المقادير والحدود صغيرة يتعب استجلاؤُها عيني الطالب ولماذا تجعل ارقام الاس كبيرة مثل ارقام الكمية نفسها . وما دامت كتبنا الجبرية منقولة عن الكتب الاوربية فلماذا لا نجري مجري الاوربيين في مصطلحاتهم فالاوربيون يكتبون ٣ ص٢ ولا يكتبونها ٣ ص٢ وكذلك اذا كان الاسُّ حرفًا فانهم يكتبونهُ صغيرًا هكذا صص ولا يكتبونهُ هكذا صص كما في هذا الكتاب . ومما نستغربهُ التعبير عن الفائدة او الربا او المعدل بكلمة سعر كقوله في الصفحة ١٢٤ شخص وضع ⅓ مبلغ ليربح ربحًا بسيطًا بسعر ٥ ./ والباقي بسعر ٣ ./ اي وضع او دَيَّن ثلث ماله بفائدة او ربا او بمعدل خمسة في المئة والثلثين بفائدة او بربا او بمعدل ٣ في المئة الخ . وهذه امور عرضية نشير بالانتباه لها . ثم ان اكثر المسائل في هذا الكتاب وفي اكثر كتب الحساب والجبر التي رأيناها أحاجي والغاز قلما تفيد الطالب فائدة عملية فيجب العدول عنها الى المسائل التي تقع في الاعمال والمعاملات اليومية

النعمة

مجلة البطريركية الانطاكية الارثوذكسية وهي دينية ادبية علمية منتقاة المواضيع حسنة الانشاء وصل الينا الجزء الثاني منها فوجدنا فيهِ فصلاً عن قانون الاسفار المقدسة مؤيدًا بالادلة والشواهد التاريخية . ويليهِ فصل من كتاب المصابيح للشماس عبدالله بن الفضل

الانطاكي وعبارتهُ فصيحة تدلُّ على ان بعض خدمة الدين المسيحي كانوا يتقنون العربية ومما جاء في هذا الفصل قولهُ « صلاح الآخرة بالتقوى · كثرة التمني تفسد العقل وتضعف الدين وتطرد القناعة · كفى بالتجارب تأديباً وبتقلُّب الايام اعتباراً وبذكر الموت زاجراً عن المعاصي · للعادة على كل شيءٍ سلطان · من رغب في المكارم اجتنب المحارم · من استشعر الطمع ازرى بنفسهِ » · والفصل كلهُ على هذا النسق من الحكم وجوامع الكلم *

ويلي ذلك قصيدة موضوعها حاجات البلاد لناظمها عيسى افندي اسكندر المعلوف مدير المدارس الارثوذكسية في دمشق مطلعها

بحمد الهنا مولى الرشاد ومُوصلنا الى نهج السدادِ
نعدد جلَّ حاجات البلادِ لان حياتنا زمن الجهاد
نجرياً في ميادين اجتهاد

وقد ذكر هذهِ الحاجات واحدة واحدة كالاتحاد والاتفاق والسعي والثبات والاقتصاد والانتقاد والمدارس والجرائد والمكاتب واصلاح التربية والعلم الصحيح واحياء الصناعة والزراعة والتجارة ومما قالهُ عن العلوم

وحاجتنا هي العلم الطبيعي ليوصلنا الى النجح الرفيع
فكم للعلم من اثرٍ بديعٍ نرى منهُ كثيراً في الربوعِ
ولكن ذاك من ارض المغارب اتانا عن يد القوم الاجانب
فاين الشرق يأتي بالعجائب ويحكر المنافع والمكاسب

ومن الفوائد التي عثرنا عليها في هذا الجزء ان الارشمندريت ايليا اسطفان رئيس كنيسة السوريين في الاسكندرية عثر على نسخة يونانية خطية حديثة العهد من مناظرة القديس جريجنتيوس اسقف مدينة ظفار (مدينة حميرية قرب صنعاء) فاهداها الى المكتبة البطريركية الانطاكية وجاء في المجلة ان القديس جريجنتيوس هذا نبغ في اواسط القرن السادس للتاريخ المسيحي وكان في طغاء عدد كبير من المنتمين الى اليهودية التي ضربت اطنابها في اليمن منذ تهوُّد ذي نواس احد تبابعة حمير فنشبت مناظرات دقيقة البحث قوية الحجاج بين هذا القديس وهروان زعيم اليهود في حضرة سيد اليمن وقتئذٍ ابرهة الحبشي الذي كان قد استخلص الملك من التبابعة · ولا تزال نسخ من هذه المناظرة محفوظة في بعض المكاتب الشهيرة في اوربا وطبعت احداها باللغتين اليونانية واللاتينية سنة ١٥٨٦ ثم اعيد طبعها في باريس سنة ١٦٥٤

مناجاة الحبيب
في الغزل والنسيب

لجامعهِ الشاعر المجيد بشير افندي رمضان وهو القائل

يا من يروم مناجاة الحبيب على   طور الهوى بالنسيب العذب والغزلِ
اقرأ كتابي وخلِّ الكتب اجمعها   «في طلعةِ البدر ما يغنيك عن زحلِ»

وفي الديوان قصائد ومقاطيع لمشاهير الشعراء المتقدمين والمتأخرين كابن نباته وابن الفارض والارجاني وصفي الدين الحلي والتلمساني والمتنبي وابن سهل والبها زهير والحاجري والشريف الرضي وابي تمام وابن معتوق ومهيار الديلمي وشهاب الدين السهروردي وعنترة العبسي وابي فراس وامثالهم . وحبذا لو الحق بهِ فهرساً جمع فيهِ اسماء هؤلاء الشعراء وذكر تاريخ ولادة الشاعر ووفاتهِ ومن عاصر من الملوك او الامراء . والحاجة امس الى مجموعات مثل هذا في الوصف وفي الحكم والامثال والديوان مطبوع طبعاً حسناً في المطبعة الاهلية ببيروت ويباع في المكاتب المصرية بخمسة غروش

التقرير السنوي لدار العلوم السمثسونية

ANNUAL REPORT OF THE SMITHSONIAN INSTITUTION 1907.

يظهر من هذا التقرير ان المال الموهوب لهذه الدار بلغ في اول يوليو سنة ١٩٠٧ مبلغ ٩٨٦٩١٨ ريالاً اميركيًّا أي اكثر من مئتي الف جنيه وقد انفقت في غضون سنة نحو خمسين الف ريال في سبيل العلم ومن آثارها هذا التقرير

وفي هذا التقرير ٢٩ مقالة في مواضيع علمية مختلفة طبيعية وميكانيكية وجغرافية واثرية وفيهِ صور كثيرين من مشاهير علم الحيوان مثل راي ولينيوس وكيفيه وبلنفيل ولاتيريل وأوِن وملر واغاسز وهيكل وفن بر ولامارك وداروِن وشوان وهكسلي

الكوثر

مجلة علمية فنية سياسية لصاحبها ومحررها بشير افندي رمضان

امامنا الجزء الثاني من هذه المجلة المفيدة وهو مفتتح بفصل في الاخلاق جامع بين الامثلة الشرقية والغربية ويليهِ فصل في الاقتصاد مبني على كتب علماء الاقتصاد في هذا العصر ثم

فصل في المرأة ذكر فيهِ بعض النابغات من نساء العرب وبعدهُ فصل في الترامواي الكهربائي وفيهِ كلام عن ترامواي بيروت وشركتهِ ويلي ذلك نبذ ادبية وعلمية مفيدة . والمجلة مطبوعة في المطبعة الادبية ببيروت طبعاً حسناً جدًّا على ورق جيد



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اكسيد المنغنيس الثاني

سان ستفانو . حسين افندي سري ما معنى كلمة Manganese Dioxide وكيف تكتب اشارتها وكيف تؤَثر على كلورات البوتاسا في استحضار الاكسجين

ج . جرت العادة بان نترجمها اكسيد المنغنيس الثاني وتكتب اشارتها او عبارتها بالعربية هكذا من ا٢ وباللغات الاوربية هكذا MnO_2 وهو اكسيد المنغنيس الاسود وقد يستحضر منهُ الاكسجين بالاحماء الى درجة الحمرة فيبقى منهُ الاكسيد الاحمر فان ثلاثة اجزاء من الاكسيد الاسود اي ٣ من ا٢ = من٣ ا٤ + ا٢ واما الاكسجين المستحضر منهُ ومن كلورات البوتاسا فظاهر الامر انهُ خارج من الكلورات لا من اكسيد المنغنيس لان اكسيد المنغنيس يبقى على حالهِ ونظن ان الاكسجين يستخلص اولاً من اكسيد المنغنيس الاسود لانهُ ينحل بحرارة اقل من الحرارة التي ينحل بها الكلورات ويبقى منهُ الاكسيد الاسمر وهذا يأخذ الاكسجين من الكلورات حالاً ثم يحررهُ وهلمّ جرًّا الى ان يخرج كل الاكسجين من الكلورات ولا يبقى منهُ الاَّ الكلوريد فيكون اكسيد المنغنيس الاسود واسطةً

(٢) مياه الشرب

ومنهُ . ما هي اصلح المياه للشرب ومما تتركب

ج . كل مياه الينابيع الصافية الخالية من الرائحة والطعم صالحة للشرب وكل مياه الانهر الجارية الخالية من الميكروبات المرضية ومن الروائح الخبيثة صالحة للشرب وكل مياه الامطار صالحة للشرب . والماء مركب من الاكسجين والهيدروجين كما لا يخفى وتذوب

فيهِ مواد قليلة مما يضرُّ بهِ وقلما تكون هذه المواد ضارَّة بالصحة · واذا خالط الماءَ مواد آلية ضارَّة فالغالب ان تعرُّضها للهواءِ والنور يزيل الضرر منها والحيوانات الصغيرة التي تكون في الماء غالبًا تأكل ما فيهِ من المواد الآلية · وسنكتب مقالة مسهبة في هذا الموضوع ·

(٣) اغلى المعادن وارخصها

ومنهُ · ما هو اغلى المعادن وما هو ارخصها

ج · اغلاها الآن الراديوم وارخصها الحديد

(٤) اسلحة البارود

فراشه · شيخ العرب ابو هاشم علي قريط · من اول من اخترع اسلحة البارود وفي اي زمن كان

يظهر من بحث الباحثين في هذا الموضوع ان الصينيين عرفوا ملح البارود من قديم الزمان ومن المحتمل انهم صنعوا البارود منهُ بمزجهِ بالفحم والكبريت ولكن المرجح ان اول من فعل ذلك روم القسطنطينية في القرن السابع واستعملوا هذا المزيج في ما يسمَّى بالنار الرومانية لمقاومة المحاصرين ثم صنع بعضهم مشعلاً وضع فيهِ باروداً وكرات من نسالة القنب فاذا اشعل البارود دفع الكرات لتخويف الخيل والظاهر ان العرب عرفوا ذلك واستعملوا البارود لقذف المقذوفات في اسبانيا فقد قيل انهم حصنوا اشبيلية بالمدافع سنة ١٢٤٧ ويقال ان ابا يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني استعمل المدافع في حصار سيدي مؤمن قرب الجزائر سنة ١٢٧٣ · ثم شاع استعمال المدافع في اوربا في اوائل القرن الرابع عشر ولا يبعد ان يكون اول صانع للدفع عربيًّا او من موالي العرب ثم صنعت القربينات والبنادق في القرن الخامس عشر والسادس عشر

(٥) الاساطيل الحربية

ومنهُ · ما هي اول دولة اخترعت الاساطيل الحربية

ج · الاساطيل الحربية او السفن الحربية قديمة جدًّا استعملت في عهد المصريين القدماء واستعملها الفينيقيون واليونانيون من قديم الزمان اي منذ الف سنة او اكثر قبل المسيح

(٦) رزق الله حسون

مينابولس منيسوتا باميركا · الخواجه سليمان داود · هل لكم ان تأتوا على ترجمة الشاعر الخطير رزق الله حسون وما لهُ من المؤلفات خلا حسر اللثام واشعر الشعر والمستترات · وأي سلطان بعث اليهِ الى لندن رجلاً دسَّ لهُ السم في الطعام وهل طبع كتابهُ حسر اللثام

ج · ليس لنا الآن وصول الى ترجمتهِ ولا نعرف لهُ من الكتب خلا ما ذكرتموهُ الاَّ كتاب النفثات · وأما المستترات الذي ذكرتموهُ فلم نرهُ وقد بلغنا ان كتابهُ حسر اللثام طبع في القاهرة ولكننا لم نرَهُ ومسألة

دين الاسم له شائعة لكننا سمعناها عن لسان صديقه القس لويس صابونجي على صورة أخرى وهي انهُ دعي مع القس لويس الى وليمة في السفارة العثمانية فحذَّرهُ القس من شرب الخمور فلم يعبأ بتحذيره وشرب فتوفي تلك الليلة وكان ذلك في عهد السلطان عبد الحميد. ويروى له بيتان قالهما قبيل وفاته وهما

قد قضى الله ان اموت غريباً في بلاد دعيت قسراً اليها
وبنفسي مخبآت معانٍ نزلت آية الحجاب عليها

(٧) فائدة الاستهواء

ومنهُ. جرى بحث جدلي في مسألة الاستهواء بيني وبين ابن عمي الدكتور طنوس داود وهو من المضطلعين بفن الاستهواء فهو يصوّب استعمال التنويم بيد الخبير العليم بالطريقتين السلبية والايجابية فنفيت مقالهُ مستنداً على قول للمقتطف سبق في احد اجزائهِ. واذ وافانا العدد الاخير واطلع على المقالة الافتتاحية المجوز فيها المقتطف طريقة الاستهواء احتجَّ عليَّ فما هو الرأي الاخير المعوَّل عليهِ والذي يجب ان يكون كلاماً يحسن السكوت عليهِ

ج. كلما سنحت لنا فرصة لنبدي رأيَنا في هذا الموضوع قلنا ما قلناهُ حديثاً في جزء مارس الماضي حيث سئلنا هل كتبنا شيئاً في التنويم وكيف تكون ممارستهُ فاجبنا اننا «كتبنا فصولاً كثيرة فيهِ ولاسيما في المجلد الثاني عشر والثالث عشر والحادي والثلاثين والثاني والثلاثين ورأينا ان لا تتعلموا التنويم ولا تمارسوهُ ولو تعلّمتموهُ. واكثر الاطباء الذين يمارسونهُ دجالون ولكن بعضهم امين يستعملهُ في ما يفيد ولهُ فوائد لا تنكر». وقد اشرنا على السائل بان لا يتعلمهُ ولا يمارسهُ اذا تعلمهُ لانهُ ليس طبيباً فلا يعلم ما هي الآفات التي يصح استعمال التنويم فيها. اما استعمال التنويم لمجرَّد «الفرجة» فلا يخلو من الضرر لان الانسان الذي يتكرَّر تنويمهُ على هذه الصورة تضعف اعصابهُ بما يبذلهُ من القوة الزائدة وهو مستهوًى لاجراء الاعمال التي يطلب منهُ اجراؤُها. وابن عمكم مصيب في تصويب استعمال التنويم بيد الطبيب الخبير اذا قصر استعمالهُ على ما يفيد التنويم فيهِ

(٨) الليلة

بلومفنتين (بجنوبي افريقية) الخواجة همام قبلان. تباحث البعض في جهاتنا عن كلمة ليلة عند استعمالها مضافة الى يوم من ايام الاسبوع فقال البعض وهم الاكثرون ان قولنا ليلة الاحد تدل على الليلة التي تسبق نهار الاحد وتبتدئ السبت مساءً وقال الآخرون انها تعني الليلة التي تبتدئ الاحد مساءً فمن هم المصيبون

ج. لم نرَ في المزهر ولا في المصباح ولا في

القاموس ولا في لسان العرب ما يدلُّ دلالةً صريحة على المراد ولكن يستنتج من قول القاموس (الفيروزابادي) في معنى الليلة الليلاء انها « اشد ليالي الشهر ظلمة او ليلة ثلاثين » ان الفريق الاول مصيب وهو ما نجري عليهِ دائماً اي ان ليلة ثلاثين من الشهر القمري هي الليلة السابقة للنهار الاخير منهُ فان الليلة التي تليها يظهر فيها الهلال وهي ليست من ذلك الشهر بل من الذي بعده .

(٩) زرع الفستق

لبنان . ن . ن يشكو كل الذين يعتنون بزراعة الفستق في لبنان انهم لا يجنون منهُ الاَّ قشوراً بغير لُباب رغماً عن نمو اشجارهِ وافراعها في جنائنهم فان الثمرة تضمر في قشرتها فتصبح جوفاء فما هو السبب في ذلك هل ان حالة البلاد الطبيعية غير صالحة لاستثمار الفستق او اننا نجهل اصول زراعتهِ

ج . البلاد صالحة لزرع الفستق وهو يجود فيها ولكن من اشجارهِ ما هو ذكر ومنها ما هو أنثى كالنخل والصنوبر ولا بدَّ من تذكير الإنثى حتى تعقد ثمراً . وقد بلغنا ان حضرة سليم بك ثابت رئيس محكمة الاستئناف بلبنان زرع كثيراً من شجر الفستق وهو يجني منهُ فستقاً كاجود ما يكون فاسترشدوا بهِ . وان اجابكم انهُ لا يذكر اشجار الفستق كما يذكر النخل مثلاً فنرجح اما انهُ يوجد من اشجارهِ اشجار ذكور وهي تذكر الاناث كالصنوبر او ان الفستق يتذكر من البطم . ويقال ان الذين يزرعون شجر الفستق في حلب يبقون شجرة واحدة من الذكور بين كل خمس شجرات او ست شجرات من الاناث

(١٠) ولد غريب

ومنهُ . بلغنا ان في احدى قرى لبنان ولداً في السابعة من سنيهِ يتلو عن ظهر قلبهِ فصولاً طويلة تشبه بعض الكتب الدينية ويزعم ذووهُ انهم لم يلقنوهُ شيئاً منها ولا سمعها عمرهُ قط وقد تواترت الاشاعات عنهُ مما لم يبقِ مجالاً للتكذيب . والغريب من امر هذا الغلام انهُ لم يتعلَّم القراءة فما رأيكم فيهِ

ج . ان تواتر الاشاعات لا يثبت صحتها فقد تكون كاذبة او يكون فيها من المبالغة ما يخرج اصلها عن الغرابة ولو كانت من النادر وحبذا لو ذهبتم الى حيث هذا الغلام ورأيتموهُ وبحثتم عن صحة ما يروى عنهُ . والذين يدَّعون دعاوي مثل هذه يستنتجون منها ان نفس هذا الغلام كانت قبل حلولها فيهِ في انسان آخر وان ما يتلوهُ الآن هو من محفوظاتها لما كانت في ذلك الانسان لكن الادلة التي اقيمت على صحة هذه الدعوى قليلة وغير وجيهة ويمكن ردها كلها

ولا غرابة في شيوع الاشاعات الكاذبة فان الناس قد يفعلون ذلك على غير قصد الكذب لانهم يخطئون فهم ما يسمعونهُ ثم ينسون بعضهُ ويبدلونهُ بغيرهِ ويبالغون فيهِ

قصد اقناع غيرهم . ولو كان تواتر الاشاعات لا يبقي مجالاً للتكذيب للزمنا ان نصدق ما لا يعقل من الاوهام والخرافات

(١١) طب الخيل

ومنهُ . ما هي المؤلفات العربية في طب الخيل واين توجد

ج . ليوسف عون كتب كثيرة مترجمة عن الفرنسوية طبعت في مطبعة بولاق بمصر وهي تتكلم عن طب الخيل ولجرجس افندي طنوس عون كتاب صدق البيان في طب الحيوان وهو مطبوع في بيروت .

(١٢) الملعون

ومنهُ . ما هو الاسم الطبي للداء القتال الذي يصيب الخيل ويسمى عندنا ملعوناً وما هي اعراضهُ المميزة لهُ وما هو علاجهُ

ج . لم نرَ هذا الاسم في كتب الطب البيطري التي عندنا ونتذكر اننا شاهدنا في صبانا خيلاً وحميراً أُصيبت بما سمي الملعون وماتت بهِ والذي نتذكرهُ من الاعراض التي شاهدناها حينئذٍ يشبه ان يكون الملعون هو القولنج او الجمرة واعراض القولنج عن صدق البيان هكذا « تظهر فجأة على الحيوان امارات الكآبة والقلق ويكثر التدبيك والتلويح بذيلهِ ويبحث الارض بيدهِ ثم يربض ويتمرَّغ ويتخذ على الارض هيئات وضع مختلفة ثم ينهض وقليلاً يصاب باسر البول وقبض الامعاء ... وقد يبلغ الالم احياناً اقصى درجات الاحتمال فيهيج المصاب كالمجنون ويتكرَّش وجههُ وينتفخ بطنهُ أحياناً ثم يبرد جسمهُ ويصغر نبضهُ ويتلاشى ويموت»

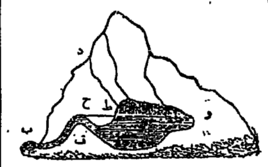
واعراض الجمرة في الخيل امارات الحزن وانحطاط القوى والمغص وتنكيس الراس وجفاف الجلد ووقوف الشعر ونوب عرق سخن وبارد واضطراب التنفس واشتداد ضربان القلب وقد يشل موَّخر الفرس وتتعاظم الاعراض قبل الموت ببرهة ومدة المرض من ١٢ ساعة الى ٣٦ ساعة . وعلاج المرضين مذكور في صدق البيان ونرجح ان الملعون هو الاول

(١٣) العين الدورية

بلومفونتين بجنوبي افريقية . الخواجه اديب ابرهيم عازار . نسمع من زمن طويل عن نبع ماء في املاك مار جرجس دير الحميري في جهات الحصن يظهر فيهِ الماء يومين في الاسبوع فيسقي املاك الدير المذكور فقط ثم ينقطع لذاتهِ وقد حاول اناس من النصيرية جر المياه الى املاكهم فلم يفلحوا لان الماء لا يخرج خارج املاك الدير فبماذا تعللون هذه الاعجوبة

ج . ان الصحيح من ذلك ان تلك العين دورية لا غير والعيون الدورية قليلة ولكنها توجد في اماكن مختلفة ولها سبب طبيعي اما سائر ما بني على هذا الامر فغير صحيح . وتعليل العين الدورية ان يكون في باطن الجبل تجويف كبير يجتمع فيهِ الماء مما يتحلب اليهِ من الجبل ويكون لهذا التجويف قناة منحنية الى اعلى

ثم الى اسفل كما ترون في هذا الشكل فيتجلب



الماء الى التجويف لكنهُ لا يخرج من القناة ف ب الا حينما يصير ارتفاع الماء على مساواة وح وحينئذٍ يبتدئ الماء ينصب من ب ويبقى ينصب الى ان يفرغ الماء كلهُ او يصير علو سطحهِ في التجويف على موازاة ف ب فينقطع جريان الماء حينئذٍ ويأخذ يتجمع في التجويف ثانية الى ان يعلو سطحهُ فيهِ ويصير الى حد وح فيعود الى الجريان من ب وهلمَّ جرًّا. ومن الينابيع الدورية ما ينقطع جريانهُ تماماً بين كل دورين كالينبوع المذكور آنفاً ومنها ما يشح ثم يغزر على التوالي لانهُ يكون موءلفاً من نبعين احدهما ينقطع والآخر لا ينقطع ومن هذا القبيل نبع نهر بيروت.

(١٤) دين الحكومة العثمانية

ومنهُ . كم مبلغ الدين الذي على الحكومة العثمانية

ج . بلغ دين الحكومة العثمانية في اواسط السنة الماضية ١٠٤٧٤٨٨٦٨ ليرة عثمانية وكان عليها لروسيا من الغرامة الحربية مبلغ ٢٤٥١٣٠٠٠ ليرة عثمانية وعلى سكة دمشق مبلغ ٢٧٣٤٩٤

(١٥) اعتبار العربية

ومنهُ . ما هو اعتبار اللغة العربية عند الدول الاوربية هل يعدونها نظير لغاتهم او يعدونها لغة اسيوية نظير لغة الهنود والصينيين

ج . يعدونها كما هي لغة سامية اسيوية ولها مقام رفيع عندهم فالانكليز يعفون دارسها من درس اللغة اليونانية او اللاتينية اذا اشترط درس لغة منها كما في علم الطب وعلماء اوربا يعترفون انها من اوسع اللغات ومن اقدرها على التعبير عن المعاني الفلسفية والعلمية ويفتخرون بمعرفتها

(١٦) ضرر البودرة

الخرطوم . رزق افندي واصف . ما هو ضرر البُدرة التي يضعها النساء على وجوههنَّ

ج . سدّ مسام الجلد لكنهُ دون ما يبالغ فيهِ

(١٧) حدوث الصواعق

ومنهُ . كيف تحدث الصواعق

ج . تتجمَّع الكهربائية الايجابية في الجو بتحوُّل البخار الى نقط ماء او بسبب آخر فتحلُّ كهربائية الارض التي تحتها الى قسميها السلبي والايجابي فتتجاذب كهربائية الجو الايجابية وكهربائية الارض السلبية وتتحدان ويحدث من اتحادهما نور وصوت وهما البرق والرعد وقد ينتج عن ذلك افعال شديدة كحرق الاخشاب وصهر المعادن وتكسير

الحجارة وما اشبه

(١٨) حرق منديل بالصاعقة

ومنهُ . قيل ان شخصاً كان ماسكاً منديلاً حريرياً امام انفهِ فنزلت عليهِ صاعقة احرقت المنديل ولم تمس الرجل بضرر فما سبب ذلك

ج . ان افعال الصوعق غريبة مختلفة ولا يمكن تعليلها تعليلاً موءكداً الاَّ اذا عرفت حالة كهربائية الاجسام التي تصاب بها وكهربائية الاجسام المجاورة لها ففي الحالة التي ذكرتموها قد يكون الجاذب لكهربائية الجو جسم آخر غير جسم ماسك المنديل وهو اشد جذباً لها والمنديل في محيط فعل المزج الكهربائي وفي نهايتهِ فانفعل بهِ ولم ينفعل بهِ جسم ماسكهِ . او يكون السبب ان جسم الانسان حسن الايصال فاوصل المجرى الكهربائي بسهولة ولم يقاومهُ واما منديل الحرير فقاوم المجرى الكهربائي فاحترق لان الحرير غير جيد الايصال للكهربائية . وهذا التعليل اوجه من الاول ولكن هل الحادثة صحيحة

(١٩) سرعة الصوت

ومنهُ . عندما نطلق بندقية او مدفعاً نرى نور الطلقة قبلما نسمع صوتها بزمن فما سبب ذلك وكم تكون المدة بينهما

ج . سببهُ ان النور اسرع من الصوت وفي المسافات القصيرة على الارض تحسب المدة التي تلزم لسير النور صفراً لان سرعتهُ نحو ١٩٢ الف ميل في الثانية من الزمان واما سرعة الصوت في الهواء فنحو ١١٢٠ قدماً في الثانية فاذا حسبتم المدة بين روءية النور وسماع الصوت بالثواني وضربتموها في ١١٢٠ وجدتم المسافة بالاقدام ولكن صوت اطلاق المدفع اسرع في اولهِ من الصوت العادي

(٢٠) وسائل ترقية المرأة

ومنهُ . ما هي اهم الوسائل التي يمكن استعمالها لترقية المرأة المصرية

ج . التعليم والتمرين ولا يكون التمرين الاَّ بالمعاشرة والمخالطة فاذا كانت عوائدنا تحتم علينا بمنع المرأة عن المعاشرة والمخالطة فالتعليم يفيدها بعض الفائدة ولكنها تبقى عاجزة عن مجاراة المرأة التي تعاشر وتخالط

(٢١) تأخر التكلم

سوا كن . ١ . ع . لي ابنة في السنة الرابعة من عمرها صحتها جيدة ولكنها لم تتكلم حتى الآن سوى النطق بكلمات لا تتجاوز عدد الاصابع فما سبب ذلك وما علاجهُ

ج . يظهر ان السبب ضعف في مركز النطق في الدماغ فمرّنوها على التكلم رويداً رويداً ولا يبعد ان تتغلب على هذا الضعف من نفسها فتصير تنطق مثل غيرها . والاَّ فمن المحتمل ان تشفى من ذلك بعملية جراحية تزيل الضغط عن الدماغ او عن مركز النطق فيهِ . وان كانت تستعمل يدها اليسرى فعلّموها استعمال اليمنى بدلاً منها وان

كانت تستعمل اليمنى فعلموها استعمال اليسرى بدلاً منها لعلَّ المبادلة بين يديها تريح جانباً من دماغها فيقوى فيهِ مركز النطق

(٣٣) اللكنة

مصر . الخواجه سيمون مني . لي ولد يبلغ من العمر ثلاث سنوات . حينما كان عمرهُ سنتين ونصف سنة كان سريع التكلم شديد الذاكرة طلق اللسان حتى كان يدهش من كان يسمعهُ يتكلم وقد اصيب منذ مدة بارتباط في لسانهِ عند التكلم فاذا اراد ان يقول اشترِ لي كرةً يقول اش اش اش اشترِ لي كرةً وهكذا في باقي الكلام واحياناً يغتاظ من ذلك فيسكت عن الكلام فما سبب ذلك وما علاجهُ

ج . ان شرح اسباب اللكنة او الثرثرة يطول لانها كثيرة. والغالب انها تشفى من نفسها من غير علاج او تحسن بالتقدُّم في السن ويحسن بكم ان تحثوا ولدكم حتى يمرن نفسهُ على لفظ الحروف التي يلكن فيها وان يصرخ بها صراخاً شديداً من صدرهِ حتى تقوى اعضاء الصوت ويصير يستطيع ان يتنفس بسهولة وهو يتلفظ بها

(٣٣) اول خط تلغرافي

كفر المبروك . عبد الحي افندي سليم . في اي سنة انشئ اول خط تلغرافي على وجه البسيطة

ج . سنة ١٨٣٧ فانهُ في تلك السنة قام مورس في اميركا وستانهل في بافاريا وهويتستون وفوبس في انكلترا وصنع كلٌّ منهم تلغرافاً مخالفاً لتلغراف غيرهِ ففضل تلغراف مورس لبساطتهِ وهو المستعمل في القطر المصري

(٣٤) الصين والطباعة

ومنهُ . احقيقي ما يقال من ان الصينيين هم المخترعون لآلة الطباعة

ج . هم اول من عمل طوابع للحروف او للكلمات (لان حروفهم كلمات) تجمع بعضها مع بعض ويطبع الورق بها بالحبر ولكن آلات الطباعة المستعملة الآن من اختراع الاوربيين وفي كل آلة منها من آيات الصناعة ما يدهش العقول

(٣٥) اول مجلس نيابي

ومنهُ . ما هو اول مجلس نيابي على وجه الارض

ج . البارلمنت الانكليزي فانهُ انشئ في اوائل القرن الثالث عشر اي منذ سبع مئة سنة

(٣٦) قوة اليونان الحربية

مصر . يوسف افندي د . كم عدد جنود اليونان البرية والبحرية

ج . عدد الجنود البرية وقت السلم نحو ٢٩ الفاً ووقت الحرب نحو ٥٠ الفاً وعدد البحارة والجنود البحرية نحو اربعة آلاف وميزانية الحربية نحو ٤٧٠ الف جنيه في السنة

باب الاخبار العلمية

جمهورية جنوبي افريقية

صار للانكليز الآن ثلاث جمهوريات او بلدان كبيرة مستقلة استقلالاً اداريا وهي استراليا في الاوقيانوس الباسيفيكي ومساحتها ٣٠٦٥١٢٠ ميلاً وعدد سكانها ٤٥٧١٧١٣ وكندا في اميركا الشمالية ومساحتها ٣٧٤٥٥٧٤ وعدد سكانها ٥١٥٣٧٨٩ ومستعمرات جنوبي افريقية ومساحتها نحو ١٢٤٨٠٠٠ وعدد سكانها نحو ٨٣٠٢٠٠٠ وقد أعطيت هذه المستعمرات في شهر يوليو الماضي حكومة واحدة جمهورية دستورية خاضعة للسلطنة البريطانية

الرجال بالعزائم

ان الملازم شكلتن الذي طبق ذكرهُ الخافقين لانهُ كاد يبلغ القطب الجنوبي وأحلَّ ارفع محل في بلاد الانكليز كان عاملاً بسيطًا وهو شاب يعمل بتكويم الفحم في اميركا الجنوبية وقد بلغت نفقات رحلتهِ الى جهة القطب نحو ٤٥ الف جنيه دفع منها ٢٥ الف جنيه من اموال زوجتهِ واصدقائهِ وبقي عليهِ ٢٠ الف جنيه ولم يطلب من الحكومة جنيهاً واحداً بل عزم ان يوفيها كلها من دخل كتبهِ ومقالاتهِ لكن الحكومة قررت اعطاءهُ هذا المبلغ عفواً

المسكرات والصحة

قال الاستاذ ليتنن في المؤتمر الدولي الذي عقد حديثًا في لندن ان كريات الدم الحمراء تضعف مقاومتها للامراض المعدية في الذين يشربون المسكرات وقال السر توماس هوبتكر ان شركات ضمانة الحياة تعلم ان عمر شاربي المسكرات اقصر من عمر غيرهم بنحو ٢٥ الى ٣٠ في المئة أي اذا كان متوسط عمر الذين لا يشربون المسكرات اربعين سنة فمتوسط عمر الذين يشربونها ثلاثون سنة الى ٢٨ سنة • وقال الاستاذ كارل غريغور وهو ثقة في امراض المجموع العصبي ان ٥ الى ١٧ في المئة من اولاد السكيرين يصابون بآفات عقلية او يصابون بالتدرُّن وأما الذين لا يشربون المسكرات فلا يصاب من اولادهم بالآفات العقلية او التدرُّن الاَّ خمسة في المئة فقط

لورد كتشنر

حالما تنتهي مدة لورد كتشنر من قيادة جيوش الهند يرقى الى رتبة مشير ويمضي الى اليابان نائباً عن ملك الانكليز وجيوشهِ لحضور الاستعراض العظيم الذي يقام فيها في شهر نوفمبر المقبل ثم يمضي الى استراليا وزيلندا الجديدة ويشير عليهما بما يراهُ مناسباً لترقية قواتهما الحربية ويعود الى بلاد الانكليز ليتولى القيادة العامة للجنود الانكليزية في البحر المتوسط وافريقية

نقل المناظر بالتلغراف

التلكسوب يقرّب رؤية الاشباح البعيدة فيرى الانسان بهِ ما لا يراهُ بعينهِ ولكن يشترط في ذلك ان النور المنعكس او الصادر من الشبح يصل الى التلسكوب والتلسكوب يجمع مقداراً كبيراً منهُ على عين الرائي فيتمكن من الشعور بهِ ولولا ذلك لكان النور الواصل الى عينهِ قليلاً جدًّا لا يكفي لرؤية الشبح . والكهربائية تنقل الحركات والاصوات من مكان الى آخر وتنقل ايضاً الخطوط ورسوم الاشباح فيمكننا ان نرسم صورة رجل في القاهرة وننقلها بالتلغراف الى الاسكندرية فترتسم هناك كما ارتسمت هنا وقد شرحنا كل ذلك في اجزاء المقتطف الماضية . ولكن الكتابة التي تنقل بالتلغراف والصورة التي تنقل بهِ على ما تقدَّم تنقل جزءًا بعد جزء اي كلما مرَّ قلم التلغراف في القاهرة على حرف ارتسم ذلك الحرف بقلم التلغراف في الاسكندرية وكذلك كلما مرَّ قلم التلغراف على جزء من الصورة في القاهرة رسم قلم التلغراف ذلك الجزء في الاسكندرية . ولكن الذي يرى الشبح لا يرى جزءًا منهُ بعد آخر بل يراهُ كلهُ دفعةً واحدة فهل في الامكان نقل الصورة كلها دفعة واحدة حتى يراها الرائي البعيد بواسطة التلغراف كما يراها من ينظر اليها عن قريب او كما يراها بالتلسكوب

وقد كتب الدكتور الفرد غرادنوتز في مجلة المعرفة الانكليزية يقول انهُ رأى آلة صنعها ارنست رومر البرليني تنقل الصور دفعة واحدة والمثال الذي رآهُ منها صغير تبلغ نفقات عملهِ ٢٥٠ جنيهاً واما الآلة الكبيرة التي تنقل بها الصور من بلاد الى اخرى فتبلغ نفقات عملها ٢٥٠ الف جنيه . والاعتماد في هذه الآلة على عنصر السلينيوم المعروف بتأثرهِ بالنور فيكون في الآلة التي ترسل الصور بطريات من السلينيوم يقع عليها النور من الصور فتتأثر بهِ وترسلهُ في مجاري كهربائية الى الآلة التي يراد ارسال الصورة اليها وهذه المجاري تؤثر في بطرياتها التي من السلينيوم تأثيراً يستحيل الى صورة كالصورة التي سببتهُ . ولولا غلاء هذه الآلة لقلنا ان استعمالها يشيع حالاً

فيضان هذا العام

جاء النيل وافياً ومبكراً جدًّا في هذا العام على غير عادتهِ في اكثر السنوات الماضية ولذلك كان الري الصيفي متوفراً والمرجح ان تكون المياه قد بلغت اعلى منسوب يمكن وصولها اليهِ في الرصيرص وخشم القربة في العشرين يوماً الاولى من الشهر الجاري حيث بلغت في الرصيرص نحو ٢١ متراً وفي خشم القربة نحو ١٥ متراً و ٦٧ سنتمتراً . وكان اعلى مقاس للنيل في الرصيرص في العام الماضي ٢٢ متراً و ٣٤ سنتمتراً بلغها في الثاني والعشرين من شهر اغسطس . وفي خشم القربة ١٥ متراً و ٧٠ سنتمتراً بلغها في الثالث والعشرين منهُ . وعليهِ فان اعلى مقاس للنيل هذا العام ينحط في الرصيرص نحو متر و ٣٤ سنتمتراً عما كان عليهِ في العام الماضي اما في خشم القربة فان الفرق بين المقاسين في السنتين لا يكاد يذكر

وينتظر ان يتجاوز مقاس النيل في حلفا نحو ثمانية امتار بين ٢٣ و ٢٤ الجاري مع ما كان عليهِ الفيضان من الانحطاط في الرصيرص هذا العام بالنسبة الى فيضان العام الماضي . ومعلوم ان مقاس النيل في حلفا بلغ اعلى منسوبهِ في العام الماضي وهو ثمانية امتار و ٥٢ سنتمتراً في التاسع من شهر سبتمبر فيكون قد جاء مبكراً فيها هذا العام نحو ١٥ يوماً عن موعدهِ في العام الماضي وقد اخذ النيل الآن في الانحطاط المتوالي فعسى ان لا يكون الانحطاط مستديماً وسريعاً حتى تتوفر المياه للزراعة الصيفية في الصيف القادم

غنى كندا بالقوة المائية

قدر المقدرون ان في بلاد كندا باميركا من القوة المائية ما يساوي ٢٥٦٠٠٠٠٠ حصان ولا يخفى ان قوة الحصان البخاري على مدار السنة اذا عمل كل يوم تبلغ نحو ٢٢ طناً من الفحم الحجري فكأن في كندا من القوة المائية ما يساوي ٥٦٣ مليون طن من الفحم الحجري اي نحو ٢٥٠ مليون جنيه في السنة

الميزانية العثمانية

ظهر من الميزانية العثمانية في باب النفقات ما يأتي وهو بالليرة العثمانية

	١٣٢٤	١٣٢٥
دائرة الصدارة	٠٠٨٥٤٣٩	٠٠٣٤٤٩٤
شورى الدولة	٠٠٨٦٩١٩	٠٠٥١٥٢٢
نظارة الداخلية	١٠٦٠٧٤٠	١٠٨٥١١٢
نظارة الخارجية	٠٢٤٧٧٢٤	٠٢١٨٣١٠
الديون العمومية	٨٧٤٢٣٣٦	٨٢٩٤٢٦٢
المجلس العمومي اي الاعيان والمبعوثان		٠٢١٥٣٤٦
الخزينة الخاصة		٠٥٢٢٥٧٠

ثم ظهرت كلها وسنذكرها في الجزء التالي

طيارة المسيو بلريو

ان الطيارة التي قطع بها المسيو بلريو Blériot من فرنسا الى انكلترا هي الحادية عشرة من الطيارات التي صنعها لهذه الغاية وقد شرع في عملها في شهر دسمبر الماضي وامتحنها اول مرة في ١٨ يناير وكانت مساحة سطحها ١٤ يرداً مربعاً فزاده حتى صار ١٧ يرداً وفيها آلة بترول تديرها قوتها ٢٢ حصاناً وثقلها ١٣٢ ليبرة فقط واعاد تجربتها مراراً فاقامت في الجو في ٤ يوليو خمسين دقيقة و ٨ ثوان وطارت في ١٣ يوليو ٢٦ ميلاً وهيكلها من خشب الآش والحور وهو مشدود باسلاك معدنية من اسلاك البيانو وثقلها ٤٥ ليبرة وطولها ٢٣ قدماً و يسهل عليها حمل ٦٦٠ ليبرة وثقل ما يتصل بها من العجلات ونحوها ٦٦ ليبرة وقد ثبت من هذه الطيارة انهُ يمكن عمل آلة تطير في الهواء وتحمل اكثر مما ينتظر حملهُ بقواعد الحساب والطيران . ولكن الطيارات لا تستطيع ان تقطع مسافات طويلة جداً لانها لا تستطيع ان تحمل كل ما يلزم لها من الوقود لقطع المسافات الطويلة لاسيما وان اكثر الآلات المعروفة اتقاناً يضيع بها اربعة اخماس القوة . واطول مدة اقامها انسان في الجو بطيارة او آلة طيران غير البالون ساعتان و ٢٧ دقيقة و ١٥ ثانية . ويقال ان المسيو بلريو قد انفق على آلات الطيران حتى الآن عشرين الف جنيه

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يجتمع مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في ونبغ بكندا في ٢٥ اغسطس برئاسة السر جوزف طمسن استاذ الطبيعيات في جامعة كامبردج

اقدم كسوفات التاريخ

في اللغة الصينية شعر يشير الى كسوف قديم وقع منذ اكثر من ٢٧٠٠ سنة وهذه ترجمتهُ

« لما اقترنت الشمس بالقمر في الشهر العاشر
في اليوم الاول من الشهر وهو سن ماو
كسفت الشمس
وذلك شؤم كبير
ثم صغر القمر وصغرت الشمس
ولذلك ستسوء حال الناس على الارض
انذار سوء من الشمس والقمر
لانهما لم يبقيا في خطتيهما
ساءت الاحكام في البلاد كلها
لان السيادة ليست في يد الصلاح
خسوف القمر امر عادي
واما كسوف الشمس فما اشأمهُ »

وقد ظهر بالحساب ان هذا الكسوف وقع في ٢٩ اغسطس سنة ٧٧٥ قبل المسيح فهو اقدم كسوف ذكرهُ التاريخ

مدد العصور الجيولوجية

اختلف الجيولوجيون والبلينتولوجيون والفلكيون والطبيعيون في تقدير الزمن الذي مرّ من حين ظهرت الاحياء على الارض الى الآن بين مئة مليون سنة ومئتي مليون سنة وهذا الزمن يقسم الى خمسة ادوار

الاول الدور الاركيوزويك اي دور الحياة الاقدم ومدتهُ ٥٢ مليون سنة

والثاني البليوزويك اي دور الحياة القديمة ومدتهُ ٣٤ مليون سنة

والثالث الميسوزويك اي دور الحياة المتوسطة ومدتهُ ١١ مليون سنة

والرابع السنوزويك اي دور الحياة المشتركة ومدتهُ ٣ ملايين سنة

والخامس الانثروبوزويك دور الحياة الانسانية وهو من مليون سنة الى مئة الف سنة

فاذا حسبنا المدة كلها من حين ظهور الاحياء الى الآن يوماً كاملاً فالدور الاول منهُ يساوي ١٢ ساعة و ٣٠ دقيقة والدور الثاني ٨ ساعات و ٧ دقائق والثالث ساعتين و ٣٨ دقيقة والرابع ٤٣ دقيقة والخامس دقيقتين . ثم اذا حللنا الدور الاخير وجدنا عصر التاريخ منهُ لا يزيد على خمس ثوانٍ والعصر المسيحي كلهُ لا يزيد على ثانيتين . وادلة هؤلاء العلماء لا تبقي مجالاً للشك في ان الاحياء وجدت على وجه هذه البسيطة منذ الوف وملايين من السنين ولو كان تحديد الزمن متعذّراً

حالة مصر المالية

يظهر من تقرير الجمارك المصرية عن شهر يوليو الماضي ان قيمة الواردات لا تزال آخذة في القلة وقيمة الصادرات لا تزال آخذة في الكثرة . فقد نقصت قيمة الواردات في شهر يوليو ١٦٩٨٢ جنيهاً عما كانت عليهِ في شهر يوليو من العام الماضي . وبلغ النقص من اول هذه السنة الى آخر يوليو ١٦٣٣٨٠٠ جنيه وزادت قيمة الصادرات في شهر يوليو ١٤٠٦٢١ جنيهاً عما كانت عليهِ في شهر يوليو من العام الماضي وبلغت الزيادة من اول هذه السنة الى آخر يوليو ١١٢٣٠٨١ جنيهاً فكأنهُ توفر مع القطر المصري من اول السنة الى آخر يوليو مليونان وثلاثة ارباع من الجنيهات بين زيادة في قيمة الصادرات واقتصاد في الواردات ولولا الزيادة الكبيرة في اثمان ما ورد من مواد الطعام الضرورية كالدقيق والقمح والذرة لكان المتوفر اكثر من ذلك كثيراً . فانهُ ورد من مواد الطعام هذه الى آخر يوليو ما ثمنهُ مليونان و ١٦١ الف جنيه وكان ثمن هذه الواردات في العام الماضي مليوناً و ٦٥٨ الف جنيه فقط وفي ما سوى ذلك نقصت قيمة الواردات كلها تقريباً . اما الصادرات فاكثر زيادتها في ثمن القطن والبصل والبيض والجلد وهي من

الحاصلات الزراعية الثابتة · والامل وطيد ان تستمر هذه الحال بزيادة قيمة الصادرات والاقتصاد في الواردات وان تزيد حاصلات القمح والذرة حتى تغني البلاد عما تستورده منهما فاذا استمرت الحال كذلك سنتين اخريين انتعشت البلاد مما اصابها في السنتين الماضيتين

تلغراف مركوني
والامبراطورية الانكليزية

من رأي السنيور مركوني انهُ يمكن ربط الامبراطورية البريطانية بتلغرافهِ على هذه الصورة يقام لهُ مركز في مالطة وهي تبعد عن انكلترا ١٦٠٠ ميل ومركز في القاهرة وهي تبعد عن مالطة ١٠٥٠ ميلاً ومركز في عدن وهي تبعد عن القاهرة ١٣٠٠ ميل ومركز في بمباي وهي تبعد عن عدن ١٦٥٠ ميلاً ومركز في كولمبو وهي تبعد عن بمباي ٦٠٠ ميل ومركز سنقافورة وهي تبعد عن كولمبو ١٥٥٠ ميلاً ومركز في برث وهي تبعد عن سنقافورة ٢١٠٠ ميل ومركز في ادليد وهي تبعد عن برث ١٢٠٠ ميل ومركز في سدني وهي تبعد عن اوليد ٧٠٠ ميل ومركز في ولنتن بزيلندا الجديدة وهي تبعد عن سدني ١٢٠٠ ميل وجملة هذه المسافات ١٢٩٥٠ ميلاً ويتفرع من سنقافورة فرع الى الصين طولهُ ١٦٠٠ ميل · ويمكن الوصل بين الهند وجنوبي افريقية من مدينة الراس الى موريتيوس ٢٢٠٠ ميل ومن موريتيوس الى جزيرة نلسن ١٤٥٠ ميلاً ومنها الى كولمبو ١٠٠٠ ميل · وتربط كندا بجميكا وهذه بغينيا البريطانية وبترست في غربي افريقية

نفقة تسجيل الاختراع

تبلغ نفقة تسجيل الاختراع عشرة بنكنوتات في بلجكا و ٥٠ ماركاً في المانيا (٢٣٩ غرشاً) ومئة فرنك في فرنسا و ٣٥ ريالاً في اميركا ومئة جنيه في انكلترا ·

الاجنة والمواد الكيماوية

وجد بالامتحان انهُ اذا اذيبت املاح المغنيسيوم في ماء البحر وكان فيهِ بيض نوع من السمك المعروف باسم فندولس هتروكليتس ولد السمك من البيض بعين واحدة ولا يعلم سبب ذلك ولا لماذا تؤثر املاح المغنيسيوم في عيون الاجنة

الجوارح والزراعة

قال الدكتور مكجلفري ان جوارح الطير كلها تفيد الزراعة باكلها الحيوانات والحشرات التي تضرُّ بها فالعقاب تأكل الارانب وقد احصي بقايا مئتي ارنب حول عش من عشاش العقبان · والبومة تأكل الجرذان والفيران ولكن الجوارح تصيد العصافير ايضاً على اختلاف انواعها وبينها ما هو مفيد للزراعة باكلهِ الحشرات فينقلب نفع الجوارح الى ضرر

فهرس الجزء الثالث من المجلد الخامس والثلاثين

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٧ رمضان سنة ١٣٢٧

الطعام الكافي

يزعم البعض ان الكلام على الطعام ليس من الكياسة في شيء بل هو من ملاهي اهل البطنة . لكن زعمهم هذا لا يضعف شأن الطعام ولا يغير الحقيقة المقررة وهي ان الطعام قوام الحياة وان مجموع اعمال الناس الجسدية واشغالهم العقلية ناتج من طعامهم . وان الاقوام الذين لا يعنون بامر طعامهم بل يكتفون بما حضر منهُ ويتبلغون بهِ تبلغاً تضعف اجسامهم وعقولهم وان الامم تتفاوت بين قوية وضعيفة وغالبة ومغلوبة وسائدة ومسودة حسب مقدار طعامها ونوعهِ فالتي تشبع من الطعام وتأكل اللحوم وما ماثلها من الاغذية غالبة سائدة والتي لا تشبع منهُ ولا تاكل كفافها من اللحوم وما ماثلها مغلوبة مسودة

بقي ان الزائد اخو الناقص من وجوه كثيرة فكما يضعف الجسم والعقل من قلة الطعام يضعفان ايضاً من كثرتهِ اذا فاقت الحد ولكن القلة شائعة اكثر من الكثرة فامم كثيرة لا تكاد تجد ما يكفيها من الطعام وافراد قليلون يأكلون فوق كفافهم لان الاقلال من الطعام يأتي الناس قسراً واما الاكثار منهُ فلا يستطيعهُ الا قليلون وهو خاضع لارادتهم . والذين يموتون جوعاً يعدون بالوف الالوف واما الذين يموتون من البطنة فقلال جداً كما سيجيء

من رأى الانكليز في بلادهم يجلس الواحد منهم على المائدة في الصباح وامامهُ السمك واللحم من الضان والبقر والخنزير والطير . والبيض والزبدة والمربيات فوق الشاي والقهوة واللبن حسب انهم غيلان فيأكل الواحد منهم في صباحهِ ما يأكلهُ غيرهُ في يومهِ ثم يتغدون ويتعصرنون ويتعشون وهم مع ذلك متمتعون بصحة لا اجود منها ونشاط لا اقوى منهُ . يبلغ الواحد منهم السبعين والثمانين وقامتهُ منتصبة ووجههُ مورَّد وعيناهُ براقتان وهم كذلك رجالاً

ونساء ومعدل اعمارهم اطول من معدّل اعمار غيرهم واذا اخذوا في اعمالهم عملوا فيها بنشاط ما فوقهُ نشاط فكثرة الطعام لا تضرُّهم على ما يظهر

كنا مرةً في الشمال الغربي من بلاد الانكليز واستأجرنا مركبةً كبيرةً للنزهة مما يجرهُ ستة افراس وتأخر السائق عن الحضور في الصباح وكان بيتهُ قريباً من الفندق الذي كنا فيهِ فناديناهُ نستعجلهُ فوجدناهُ جالساً على مائدتهِ مع زوجتهِ واولادهِ يأكلون اللحم والبيض ويشربون الشاي واللبن ثم جاء وساق المركبة في اراضٍ جبلية تعلو الطريق فيها وتسفل وازمة الافراس الستة في يدهِ وهي من الخيول الانكليزية الكبيرة كأنهُ يسوق حماراً او اتاناً ووصلنا الى فندق عند الظهر فأكل مضاعف ما يأكلهُ الرجل منا . وعند العصر اوقف المركبة امام اول مطعم وصل اليهِ وأكل ما يشبع رجلاً من الخبز والزبدة وشرب كأساً كبيراً من اللبن . وكأن لسان حالهِ يقول انظروا بماذا تغلبنا على ربع المسكونة بقوة اجسامنا وعقولنا المستمدة من كثرة طعامنا

وفي الشتاء التالي زارنا رجل من كبار العلماء وكان في الرابعة والثمانين من عمرهِ وتناول كأساً من الشاي ثم عُرضت عليهِ كأس ثانيةٌ فتبسم وقال تسألونني كيف بقيت متمتعاً بهذه الصحة وقد جاوزت الثمانين السرُّ في ذلك انني لا ارفض كأساً ثانيةً من الشاي . الكلام مزاحٌ ولكنهُ لا يخلو من حقيقة لان الرجل مثل غيرهِ من ابناء جلدتهِ يحوّل كل ما يستطيع جسمهُ تحويلهُ من الطعام الى قوة جسدية وعقلية

ولا يخفى ان البعض من العلماء في اوربا واميركا قاموا ينادون بان الاكثار من الطعام ضررٌ محض وان في الاقلال كل الفائدة وقال غيرهم ان معظم الضرر من اكل اللحوم على انواعها وان الطعام النباتي كافٍ وافٍ بالمراد . ولا شبهة عندنا ان الاكثار من الطعام حتى تعجز المعدة والامعاء عن هضمهِ مضرٌّ لانهُ يتعب الجسم ويعرضهُ للامراض ولان الطعام الذي لا يهضم لا يتغذى الجسم بهِ فيذهب سدًى فوق ما ينال الجسم منهُ من الضرر ولكن لا شبهة عندنا ايضاً ان الطعام الذي تهضمهُ المعدة والامعاء لا ضرر منهُ الّا اذا كان الجسم غير محتاج اليهِ كلهِ فيزيدهُ سمناً . ولسنا من الذين يقولون ان اللحوم ضارّة او ان الطعام النباتي كافٍ وافٍ بالمراد لاننا نأكل اللحوم ولا تضر بنا ولا تضرُّ باحد نعرفهُ

وقد اطّلعنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع للدكتور هتشنصن الاميركي وجدنا فيها حقائق كثيرة رأينا ان ننقلها افادة لقراء المقتطف وتقريراً للحقيقة قال

رأى الناس من اول امرهم ان لا بدّ لهم من الطعام ولا بدّ لهم من ان يأكلوا كل يوم

ومن المحتمل ان بعضهم صاموا اياماً فلم يأكلوا إما لانهم لم يجدوا طعاماً يأكلونهُ او لسبب آخر فضعفوا وماتوا فانقرض نسلهم وعاش من الناس الذين يأكلون كل يوم واخلفوا نسلاً مثلهم . وكلما تكرر الصيام الطويل تبعهُ الموت على ما تقدَّم فلم يبقَ من الناس الاَّ الذين يأكلون كل يوم الى الشبع

ولا بدَّ من انهُ ظهر لبعض الناس من اول الامر ان الاكثار من الطعام يتعب الجسم فاستنتجوا ان الاقلال منهُ يجلب الراحة وهي نتيجة معقولة ولكنها تناقض حقيقتين مقررتين الاولى وجود القابلية للطعام فما دامت موجودة فلوجودها معنىً لا يمكن اغفالهُ . والثانية ان الطبيعة مسرفة غير مقتصدة فتبزر الشجرة الوفاً من البزور حتى تنبت واحدة منها وتبيض السمكة الوفاً من البيض حتى يتولد منها سمكتان وما من عمل من اعمال الطبيعة خالٍ من التبذير . واسلوبها الذي جرت عليهِ حتى الآن هو انها تولّد من كل شيء اكثر مما يلزم منهُ ومتولداتها تتبارى وتتنازع البقاء فلا يبقى منها الاَّ اصلحها للبقاء . أفلا يصدق ذلك على الانسان من حيث الطعام أي انهُ ينبغي لهُ ان يأكل كثيراً وجسمهُ يختار ما هو اصلح لهُ من طعامهِ . والحياة لا تجري على قواعد الحساب والفلسفة بل فيها مجال واسع للصدفة والاتفاق اي لما يتعذَّر علينا ان نعلم ما سيكون قبل حدوثهِ ولولا ذلك لفقدت لذتها وبهجتها . ومهما حسبنا وقدَّرنا فان النتائج لا تأتي دائماً حسب حسابنا وتقديرنا لان الفواعل كثيرة ويتعذَّر علينا حصرها كلها . والغالب انهُ يحدث ما لا ينتظر حدوثهُ لا لان الحساب والتقدير غير لازمين بل لانهما غير كافيين وشأننا في ذلك شأن المسافر الذي اذا اراد ان يأخذ معهُ ما يكفيهِ من النقود وجب عليهِ ان يأخذ اكثر مما قدَّر

هذا ما قالهُ الدكتور هتشنصن في هذا الباب ولا اعتراض عليه الاَّ في ترك الامر للمعدة في اختيار الطعام من حيث نوعهُ ومقدارهُ . فاذا عرفنا بالاختبار ما هو الطعام الاصلح الذي يقبلهُ الجسم ويغتذي بهِ وعرفنا المقدار الذي يكفيهِ منهُ وجب علينا ان نعمل على مقتضى هذه المعرفة وان لا نعمل على ضدها فالذي وجد بالاختبار ان العدس يضرهُ او يتعبهُ والفول لا يضرهُ او لا يتعبهُ لا يجوز لهُ ان يقول اني آكل العدس والفول معاً ومعدتي تختار ما هو اصلح لها منهما . والذي عرف بالاختبار او بالامتحان ان الرطل من اللحم يريحهُ ويكفيهِ والرطلين يتعبانهِ ويزيدان عما يحتاج اليهِ لا يجوز لهُ ان يأكل الرطلين ويقول ان معدتهُ تعرف شغلها وانهُ لا يريد ان يقتر عليها . ولا يمكننا ان نضع قاعدة واحدة تصلح لكل الناس لان الاجسام تختلف كثيراً في حجمها وعملها وعاداتها وغرائزها وقوة اعضائها المختلفة . وكل

من ينتبه الى ما ينفعهُ وما يضرهُ من الطعام في نوعهِ ومقدارهِ يعلم حدود النفع والضرر. وتجارب العلماء في هذا الباب لا تخلو من الفائدة والارشاد . هذا ولنعد الى كلام الدكتور هنشنصن قال

الحياة تستلزم الزيادة

اقرب دليل على ذلك واوضح مثل لهُ جسم الانسان ففيهِ عينان واذنان ومنخران ورئتان وكليتان ودماغان اثنان اثنان من كل عضو تقريباً وواحد من الاثنين يقدر ان يقوم وحدهُ بالعمل المطلوب واما الآخر فردف لهُ يقوم مقامهُ اذا عجز عن عملهِ لسبب من الاسباب ولكن الاثنين يعملان معاً لكي لا يضعفا بالانقطاع عن العمل . فوجود اثنين من كل عضو توسُّع وكرم ان لم يكن اسرافاً . ولا يقف الاسراف عند هذا الحد بل ان رئة واحدة تزيد عما يلزم لحياة الجسم وثلث رئة واحدة كافٍ اذا اريد الاقتصاد التام لكن الطبيعة لم تكتفِ بثلث رئة لانها حسبت حساب العوارض الكثيرة التي تنتاب الانسان او النفقات غير المنتظرة فاذا كان انسان بثلث رئة واصابهُ شيء من ميكروب السل او ميكروب ذات الرئة لم يستطع مقاومتهُ . ولهذا السبب عينهِ لا يحسن بنا ان نكتفي باللازم اللازم من الطعام نعم ان الطعام غالٍ ولكنهُ ارخص من الدواء ومن اجرة الاطباء ولكلٍ منا كليتان مع ان نصف كلية يكفيهِ فلماذا لا تنزع كلية منهما ونوفر علينا حملها وتغذيتها . ويسهل نزع رطلين من كبد الانسان وما يبقى منها يكون كافياً لهُ ولكنهُ اذا فعل ذلك فالمرجح انهُ يموت اول ما يصيبهُ التهاب اللوزتين او النزلة الوافدة فتكون عاقبة الاقتصاد الموت الباكر . وقد يعيش الجندي شهراً او شهرين على الطعام القانوني الذي هو قدر الكفاية ولكن ماذا يصيبهُ بعد ذلك اذا تعرَّض للتيفويد او التدرُّن او الدوسنطاريا او الزكام الشديد . وقد جُرِّب هذا الطعام القانوني في تسعة من الجنود نضعفت اجسام خمسة منهم وعاد ثمانية الى الطعام العادي وجرَّب شاب الاكتفاء القانوني ثم اعترتهُ آفة فاماتتهُ مع انها لا تميت عادة من تعتريهِ ولا سبب لذلك الاَّ ما عاناهُ بالطعام جسمهُ من الجوع

وكلام الدكتور هنشنصن وجيه كلهُ لا غبار عليهِ ولكن يشترط في هذا الاكثار او الكرم ان لا يتجاوز النفع الى الضرر فلو وُلد ولد بعشر كلى لوجد الزيادة عبئاً ثقيلاً عليهِ وقضى الدكتور هنشنصن بنزع ثمانٍ منها وما احسن المثل العامي ان الزائد اخو الناقص والمقياس الحقيقي في كل ذلك هو النفع والضرر . وهذا اشار اليهِ الدكتور هنشنصن في الفصل التالي

الطعام الاصلح

ان التجارب العلمية في الطعام قد لا تخلو من فائدة ولكن الذي تهمنا معرفتهُ ليس ما هو اقل مقدار يكفينا من الطعام ولا ما هو العمل المعتدل الذي نعملهُ اذا اكتفينا بذلك المقدار بل ما هو المقدار الكافي من الطعام لجعل الجسم يعمل كل ما يطلب منهُ عملهُ من غير ان تخور قواه اي ما هو الطعام الاصلح للجسم لا ما هو الطعام الاقل او الاوفر . والاقتصاد حسن في التجارة وتدبير الاموال ولكنهُ غير حسن في الاكل بل هو فيهِ موجب لزيادة النفقات اخيراً فهو اسراف لا اقتصاد . ومن يحاول الاقتصاد في الخبز واللحم كمن يحاول الموت جوعاً هو او اولادهُ او خدمهُ . والاقتصاد في المطبخ عين التبذير ويقع ضررهُ في الغالب على الصغار او الضعاف من العائلة . والناس الذين يأكلون حسب مشيئة غيرهم لا حسب ما تشتهي انفسهم يقل اغتذاؤهم ويضعفون

معنى القابلية

ثم قال ما هي القابلية ما هي الغريزة التي نجدها فينا لطلب الطعام اذا جعنا والاكتفاء منهُ اذا شبعنا . اهي مجرد غريزة حيوانية موروثة من اسلافنا الاولين حينما كان الواحد منهم يجوع فاذا وجد طعاماً هجم عليهِ كالاسد الضاري والتهمهُ التهاماً . كلاّ بل ان الناس كانوا مضطرين دائماً للاكل ولم يكن الطعام كافياً لهم لصعوبة الحصول عليهِ فكان الذي يبادر الطعام قبل غيرهِ اذا حضر ويأكل منهُ كفافهُ قبلما يفرغ يعيش اكثر من الكسول الذي لا يجد من نفسهِ شهوة للطعام ولا يأكل منهُ كفافهُ او لا يبقى لهُ منهُ ما يكفيهِ . فعاش الاول واخلف نسلاً ومات الثاني وانقرض نسلهُ وهكذا توارث الناس القابلية للطعام وقويت فيهم . ولا بدَّ من ان البعض افرطوا في الاكل جشعاً وهؤلاء اتخموا ومرضوا وماتوا ولم يخلفوا نسلاً فبقي من نوع الانسان اصحاب القابليات المعتدلة لا الذين يفرطون ولا الذين يفرّطون . وغنيٌّ عن البيان ان الغرائز التي تبقى في النوع وتستمر فيهِ هي الغرائز النافعة لان الغرائز الضارة تهلك اصحابها فلا يخلفون نسلاً . هذا اذا لم يستعمل الانسان عقلهُ وارادتهُ لمقاومة الطبيعة وابقاء الضار او تخفيف ضررهِ

ولذلك فالقابلية غريزة نافعة تستحق ان يعمل بها ويجاب طلبها وهي لا تكون كذلك الاَّ اذا زادت عن الحد المحدود أي اذا كان مؤَداها ان يأكل الانسان فوق حاجتهِ ولو قليلاً لا ان يأكل اقل من حاجتهِ مثل كل الغرائز الطبيعية لان للزيادة علاجاً وهو خزن الزائد او طرحهُ او عدم استعمالهِ واما النقص فلا سبيل لتلافيهِ كما اذا كان دخل انسان اكثر من

نفقاتهِ فان الزيادة لا تضرهُ ولكن اذا كان دخلهُ اقل من نفقاتهِ فان آخرتهُ الافلاس والخراب. واوضح من ذلك انهُ يجب الاهتمام بالقابلية وحفظها وعدم مخالفتها الاَّ اذا ثبت ان منها ضرراً وهي خير مرشد لنا في امر الطعام

ومما يذكر بالاسف ما هو شائع الآن من ان النتائج العلمية التي نتجت من البحث العلمي في هذا الموضوع جاءت مناقضة لما تقدم لانَّ اناساً من صغار الاحلام اشاعوا في طول البلاد وعرضها ان كل الناس يأكلون اضعاف اضعاف ما يحتاجون اليهِ وان اكل اللحم من الموبقات او هو على الاقل من الغرائز الحيوانية التي يجب قمعها. لكن الاشاعة غير صحيحة والتجارب العلمية الحديثة التي اجراها العلماء الخالون من الغرض ايدت التجارب العلمية القديمة بنوع عام والتجارب التي اجراها اناس يقصدون ان يثبتوا ضرر اكل اللحم وضرر الاكثار من الطعام تخالف اختبار الناس بنوع عام ولاسيما في ثكنات الجيوش ومستشفيات المرضى ومصاح السقماء

التجارب العلمية

اما التجارب العلمية فاجراها العلماء اولاً في الكلاب صنعوا غرفة محكمة وقاسوا ما فيها من الهواء والرطوبة والحامض الكربونيك ووضعوا فيها كلباً وغذوهُ غذاء معلوماً في نوعهِ ووزنهِ وسقوهُ مقداراً معلوماً من الماء ثم قاسوا ما نفثهُ من البخار المائي وما خرج منهُ من المبرزات على انواعها واستمروا على ذلك اياماً ثم اخرجوهُ ووزنوهُ فوجدوا ان الرطوبة التي خرجت منهُ والحرارة التي اتصلت منهُ الى هواء الغرفة ومبرزاتهِ الجامدة والسائلة الخ موازنة للطعام الذي اكلهُ والماء الذي شربهُ . ولما رأَى ملك باڤاريا ذلك عرض على هؤُلاء العلماء النفقات اللازمة لاجراء هذه التجارب في الانسان فاجروها وثبت منها ان جسم الانسان اكثر الآلات اتقاناً في الموازنة بين دخلهِ وخرجهِ فلا يضيع فيهِ شيء فان الحرارة التي تصدر منهُ وهو في غرفة محكمة والرطوبة التي تخرج من بدنهِ والعمل الذي يعملهُ والحامض الكربونيك الذي ينفثهُ مجموعها يوازي مجموع الطعام الذي اكلهُ والشراب الذي شربهُ مع اعتبار ما زادهُ جسمهُ او نقص منهُ . وعليهِ فاذا اراد الانسان ان يعمل عملاً ما فعليهِ ان يأكل طعاماً فيهِ المواد الكافية لذلك العمل والاَّ اضطرَّ ان يستخدم لهُ بعض جسمهِ

وبناء على هذه التجارب وضع العالمان بتنكفر وفويت جداول الطعام المعروفة وبيَّنا ما هو اقل مقدار يكفي للمعيشة ويمنع الموت جوعاً وما هو المقدار الذي يعيش بهِ الانسان مستريحاً والمقدار الذي يكفيهِ اذا عمل عملاً معتدلاً والمقدار اللازم لهُ اذا عمل عملاً شاقًّا وهذه المقادير بين حدين الحد الاوطأ ١٥٠٠ حرة والحد الاعلى ٤٥٠٠ حرة ويراد بالحرَّة

(Calorie) المقدار من الحرارة الذي يسخن الكيلو من الماء درجة واحدة بميزان سنتغراد · وكل التجارب العلمية التي جرت بعد ذلك ايّدت النتائج المتقدمة ولم تزد عليها الاّ اموراً طفيفة ناتجة عن الزيادة في اتقان الآلات والادوات · وقد اعتمدت عليها الدول الاوربية في اطعام جنودها فجاءت وافية بالمراد

وقد يعترض على ذلك بان رجلاً مثل لويجي كورنارو عاش سنين كثيرة وهو مقتصر على القليل من الطعام لا يزيد في يومهِ على ١٢٠٠ حرّة · ولكن الرجال الذين مثلهُ نادرون والنادر لا يبنى عليهِ حكم ولقد حسب الدكتور تشتندن ان ١٦٠٠ حرة من الطعام تكفي الانسان ونشر ذلك في الطبعة الاولى من كتابهِ ثم غير هذا المقدار وجعلهُ ٢٨٠٠ حرة في الطبعة الاخيرة من غير ان يبين سبب ذلك

ما يضيع من الطعام

ويزعم الذين ينادون بوجوب تقليل الطعام ان الجانب الاكبر منهُ يذهب سدىً فيتعب الجسم للتخلص منهُ فوق ما يخسرهُ الانسان بالانفاق على ما لا حاجة لهُ بهِ · لكن التجارب العلمية لم تؤيد ذلك بل اثبتت ان ما يضيع من الطعام قليل جدًّا اذا لزم الانسان حد الاعتدال في طعامهِ وهذا الضائع بين ٥ و١٥ في المئة لا غير فلا يضيع من لحم البقر سوى ٢ في المئة اي اذا اكل الانسان لحماً فيهِ مئة غرام من الغذاء لم يخرج منها من جسمهِ ضياعاً سوى غرامين والثمانية والثمانون جراما الباقية تدخل الدم غذاءً للجسم · ويضيع من اللبن ٣ في المئة ومن الخبز ٦ في المئة

هذا ما ذكرهُ الدكتور هتشنصن ولقد احسن في تقييدهِ الطعام ضمن حد الاعتدال فاذا كانت حاجة الانسان تختلف بين ١٥٠٠ و٤٥٠٠ حرة حسب عملهِ فقد يأكل ٤٥٠٠ حرة ولا يعمل ما يستدعي ٢٥٠٠ حرة فماذا يصير بالالفين الباقيين ألا يذهبان ضياعاً · رأينا مرةً فتاة عمرها نحو ١٦ سنة كانت تأكل في يومها ما يكفي اثنين او ثلاثة ولا تشعر بالشبع ولكنها تبطل الاكل متى مُنعت عنهُ · وقد راقبناها بضعة اشهر وهي على حالٍ واحدة وكانت معتدلة القامة لا سمينة ولا نحيفة وبقيت كذلك كل المدة التي راقبناها فيها وكان عملها الخدمة ولم تكن تعمل اكثر من غيرها من الخدم ولا شبهة في ان نصف طعامها كان يذهب سدًى · وهذا شأن كثيرين من الذين يأكلون فوق ما تحتاج اليهِ ابدانهم او تستدعيهِ اعمالهم

موقى البطنة

قال الدكتور هتشنصن انهُ نظر في جدول الامراض التي يموت بها الناس في نيويورك

فوجد انها ٤٢ مرضاً او آفة ثلاثة منها فقط يمكن ردها الى كثرة الأكل وهي امراض المعدة وامراض الكبد والبول السكري وان ثلثي الذين ماتوا بهذه الامراض لم يكن لكثرة الاكل يد في موتهم مع ان كل الذين ماتوا بهذه الامراض لا يتجاوزون ثلاثة في المئة من عدد الوفيات كلها . اما الامراض التي سببها قلة الأكل او قلة التغذية او التي تشتدُّ بقلة الأكل او بقلة التغذية فهي الامراض الفتاكة حقيقةً كالسل وذات الرئة والاسهال والتيفويد والجوع وهذه الامراض اماتت ٢٥٠٠٠٠ او نحو ثلث كل الوفيات . فالامراض الناتجة عن كثرة الاكل او التي تشتد بكثرة الأكل تميت ثلاثة في المئة فقط واما الامراض الناتجة عن قلة الأكل او التي تشتد بقلة الأكل فتميت ثلاثين في المئة فلو كانت قلة الأكل تطيل الحياة وتدفع الامراض لنجت على الاقل نصف المئتين والخمسين الفاً المشار اليهم آنفاً

هذا وغنيٌّ عن البيان ان معدَّل الوفيات يكون على اكثرهِ بين الفقراء الذين لا يستطيعون ان يأكلوا الطعام الكافي المغذي وعلى اقلهِ بين الاغنياء الذين يأكلون الطعام الكافي المغذي . وارقى الامم الآن هي الامم الكثيرة الطعام . ألا ترى ان اول شيءٍ فعلتهُ اليابان حينما ارادت ان تسير في مصاف الامم الراقية انها جعلت جنودها البرية والبحرية تقتدي بالاوربيين في اكل الطعام المقوي وحثت شعبها على ذلك

المجاعات والاوبئة

من الحقائق التاريخية ان الاوبئة تتبع المجاعات وثلثا الذين يموتون جوعاً يموتون بحمي تتغلب عليهم لان الجوع اضعف اجسامهم حتى لقد جرى الاطباء على تسمية بعض الحميات كالتيفوس والتيفويد بحميات الجوع فهل حدث في وقت من الاوقات ان اصاب البلاد مرض وبائي بسبب كثرة الأكل او خصب الحاصلات ؟ كلاَّ

الطعام الجيد والكثير منهُ

الطبيعة حكيمة ولم تبذل قوتها عبثاً في ابقاء الاصلح من الناس والغرائز منذ الوف من السنين الى الآن . ولا بد للانسان من مقدار من الطعام يكفيهِ لحفظ حياتهِ وقيام اعمالهِ والقليل من النقص عن الحد المطلوب يضرُّ جداً ولكن القليل من الزيادة لا يضرُّ ولا سيما في الصغار وهم ينمون وفي الحوامل وهنَّ يغذين اجنتهنَّ . ولكن لا بد من ان يكون الطعام جيداً خالياً من الفساد ومن ميكروبات الامراض لان قولهم ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب سببهُ ما يكون في الطعام احياناً من مواد الفساد وميكروبات الامراض . اما مقدار الطعام فان كانت كثرتهُ تتعب بعض الاغنياء فقلتهُ تقتل الملايين من الفقراء

رسائل الاستانة

(٥) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

العرب والترك والارمن

ان الاتفاق والاختلاف بين رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز امر جلل يهم العثماني همًّا كبيراً لانهُ يقدم ويؤخر في مصالح الامة والدولة كثيراً . ولكن مهما عظم شأنهُ لم يبلغ في اعتبارنا شأن اتحاد العناصر العثمانية وانشقاقها اذ اتحادها اعم واعظم نفعاً من اتفاق الفتاة والعجوز وانشقاقها اوسع ضرراً واشد تأثيراً في تعطيل مصالح الامة من اختلافهما. وقد كانت مسألة هذه العناصر اعظم باعث لنا على السفر الى الاستانة ودرس المسائل العثمانية فيها . وكانت مسألة العنصر الارمني التي نجمت عن مذابح ادنه تشغل بالنا وتزيد همنا حينئذٍ خوفاً من ان يكون ولاة الامور في تركيا غافلين عنها غير مبالين بما لها من التأثير السيء في العالم المتمدن واشفاقاً من ان يصح فيهم ما كان يقولهُ كثيرون من الاجانب عنهم وهو ان الحكومة الدستورية الحالية ناهجة في تحقيق تلك الحوادث نهج الحكومة الاستبدادية الحميدية بدعوى انها تحقق قولاً وتطمس معالم الحق وتخالف العدل فعلاً . ومما كان يزيد خوفنا وحذرنا من ذلك الاخبار التي كانت الشركات البرقية تطيرها الينا عن افعال ديوان الحرب الذي كان يحقق قبل تعيين سعادة الفريق اسمعيل باشا فاضل رئيساً لهُ وارسال اثنين من افاضل المبعوثان الى ادنه . ولذلك لم نكد نلتقي باسمعيل باشا فاضل على ظهر الباخرة الرومانية في ازمير كما مرَّ بنا ذكرهُ في مقالة سابقة ونسمع من لسانهِ انهُ مسافر في الغد الى ادنه ليرئس ديوان الحرب فيهِ حتى كاشفناهُ بخوفنا وحذرنا وقلنا لهُ اننا لا نعلم ان كنتم انتم وولاة الامور متنبهين لما كان للمذابح الاخيرة من التأثير في العالم المتمدن ولما يقال عنا الآن بسببها ولما يخامر فؤاد كل عثماني حر يغار على شرف الدولة ومجدها وحسن سمعتها من الخوف والقلق لئلا تكونوا لاهين عن ذلك بشاغلكم الاخرى غير مبالين بعواقب ما يسمعهُ امثالنا العثمانيون البعيدون عنكم من الاقوال التي لا تسمعونها والتعبيرات التي لا يبلغكم خبرها

فقال ولكن العالم المتمدن يعلم اننا غير مسأولين عن تلك الحوادث وانها حدثت على غير علمنا ورضانا . قلنا نعم ان العالم المتمدن يعلم ذلك ولا يعدكم مسأولين عن حدوث ما حدث ولكنهُ يعدكم مسأولين عن اظهار الحق واجراء العدل بعد حدوث ما حدث . وكل عثماني

حر يطالبكم بان تفعلوا فعل الحكومات العادلة الدستورية في مثل هذه المهمة وان تزيلوا هذه الوصمة بقوة الحق والعدل عن جبين الدولة · فاعجبهُ كلامنا هذا وسرهُ ما سمعهُ عن غيرة العثمانيين على دولتهم الدستورية وحرصهم على حسن سمعتها في كل البلدان المتمدنة

فقال لنا اقوالاً سكَّنت قلقنا ولكن فاتنا ان نستأذنهُ في نشرها برمتها فامسكنا عن نشرها لعلمنا انهُ ضابط وموظف في حكومة وربما حظر عليهِ نشر اقوالهِ ولكن لا بأس ان نقول ان خلاصة كلامهِ كانت ان العالم المتمدن سيعلم عن قريب ان الحكومة الدستورية العثمانية ليست حكومة تطمس الحق وتميت العدل لاغراض دينية او جنسية بل انها تفعل الواجب عليها فتظهر الحق وتجري العدل بلا محاباة ولا مراعاة كاعدل حكومة متمدنة دستورية

فقلنا لهُ اننا نطلب منكم نشر كل التقارير الحاوية للتحقيقات والشهادات والاحكام حتى يطلع عليها القاصي والداني · قال ان ذلك كلهُ سيرسل الى مجلس المبعوثان وقد عاد حضرة يوسف بك كمال من المبعوثان من ادنه وكان امس هنا وسافر الى الاستانة وسيعرض تقريرهُ على مجلس المبعوثان

فلما وصلنا الى الاستانة وذهبنا الى مجلس المبعوثان كان اول خطيب رأيناهُ وقف على المنبر في جلسة ذلك اليوم يوسف بك كمال نخطب طالباً اعانة لمنكوبي تلك الولاية حتى يبتاعوا لوازم الزراعة وخطب بعدهُ آخرون فكان حضرتهُ اخطبهم كلهم بلا خلاف · وسألنا في الاستانة عن تأثير مذابح ادنه وعما سيكون من امرها فسمعنا فيها من افواه رجال من جمعية الاتحاد والترقي ورجال من المبعوثان وكلهم من المسلمين اقوالاً توافق ما سمعناهُ من فم اسمعيل باشا فاضل · وقيل لنا ان جريدة طنين كتبت في هذه الحوادث تطلب اظهار الحق واجراء العدل وانصاف الارمن كتابة لم تفقها مقالات الجرائد الارمنية نفسها · وشعرنا انهُ وان كان لا يزال في نفوس الارمن ألم وجفاء واستياء لكنهم شعروا بمجابرة اخوانهم الترك لهم اخيراً وباتوا يرجون بعد تلك المجابرة ان يقام العدل وينصف المظلوم من الظالم ولذلك وجدنا كثيرين منهم ميالين الى تناسي ما مضى وتسهيل سبيل الاتفاق والتواد في المستقبل · ومهما يكن من هذه الآمال والاميال فالذين زاروا الاستانة ايام زيارتنا لها لم يكادوا يشعرون باختلاف او انقسام بين العنصرين التركي والارمني فيها ولا لحظوا ان العثمانيين الذين يهتمون بالمسائل العمومية وامر العناصر يظهرون همهم من جهة العنصرين التركي والارمني او يبدون اقل شيء من القلق الذي يبدونهُ من جهة العنصرين التركي والرومي

ولكن قال لنا بعض الخبيرين ان الامر ليس كذلك في بلاد الاناضول وان بعض الدوائر

الوطنية والاجنبية التي بينها و بين الاناضول مواصلات ومراسلات غير مطمئنة اطمئنان اهل الاستانة من هذا القبيل

ولما وقفنا على ما وقفنا عليهِ من جهة العنصر الارمني وسمعنا ممن يوثق باقوالهم ان الحكومة الدستورية عاقدة النية على ان تظهر للعالم ترفعها عن التعصبات الدينية والتحزبات الجنسية في امر الحوادث الاناضولية جعلنا نبحث عما يهمنا اكثر مما يهمنا سواهُ وهو امر العنصر العربي الذي نُعَدُّ منهُ والذي نودُّ طبعاً ان يكون في مقدمة جميع العناصر (عثمانية كانت او غير عثمانية) رفاهة وسعادة وارتقاء ونجاحاً . ولما كان غرضنا الاول جلاء الحقائق للقراء وجب علينا انِ نعترف هنا ان امر هذا العنصر لم تنجلِ لنا حقيقتهُ في الاستانة لاننا كنا نشعر كلما ذكرنا امرهُ انهُ لا يسهل علينا معرفة الحقيقة عنهُ لاننا لا نسمع الاقوال الصريحة ولا نطلع على البواطن الجلية . وربما كان هذا الشعور قد تولد فينا من تأثر السليقة مما حولنا بلا دخل لادراكنا في ذلك . وربما كان قد تولد من سبب آخر وهو اختلاف الاقوال التي كنا نسمعها من العرب والترك مع شدة حرصنا على اكتشاف الحقيقة ومحاولتنا عدم الاقتناع بالاقوال التي نسمعها ما لم يقم عليها الشاهد والدليل . والشاهد والدليل لا يتأتيان في كل آن

وسواء كان السبب في شعورنا هذا صواباً او خطاء فهذا ما شعرنا بهِ بيناهُ بصراحة وحرية ليكون القارئ على بصيرة . وبعد هذا التبيان لا بأس بذكر طرف مما سمعناهُ من الفريقين . فابناء العرب لا يخلو بعضهم من عتب على الترك ولكن العاتبين عليهم وغير العاتبين والمؤاخذين لهم والعاذرين متفقون على القول بان الترك مرتابون في اخوانهم العرب اما العاتبون عليهم والمؤاخذون لهم فيقولون انهُ لا يحق للترك ان يرتابوا في العرب بوجهٍ من الوجوه بل يحق للعرب ان يعتبوا على الترك لانهم اظهروا ارتيابهم هذا ببعض افعالهم ولانهم لم يثبتوا لنا محافظتهم على المساواة فعلاً بيننا وبينهم كما هو مقتضى القانون الاساسي الذي هو اساس نظامنا في دولتنا والذي يجب ان نجعلهُ كذلك قولاً وفعلاً لا قولاً فقط

واما العاذرون للترك من العرب والمعتذرون عنهم فيقولون ان الترك بشر مثلنا ولا عجب إذا ارتابوا فينا بعد الذي رأوهُ منا

وبين الفريقين اخذ وعطاء وجدال كثير من هذا القبيل . فالعاذرون للترك والمعتذرون عنهم يقولون لنفرض اننا نحن في مكانهم وهم في مكاننا أفما كنا نرتاب فيهم كما ارتابوا فينا . فاولاً قام منا العابد وابو الهدى والمحمة واخوهُ والشيخ فلان والسيد فلان واتباعهم وحواشيهم في عهد عبد الحميد وفعلوا ما فعلوا في عهد الاستبداد مما اسخط الترك ورسخ ذكرهُ

في اعماق نفوسهم . وثانيًا لم يكد الحزب المحمدي يقوم في الاستانة حتى رنَّ صداهُ في دمشق الشام ولولا انتصار جيش الحرية هنا لخفنا من قومة عظيمة على الدستور في ولاية سورية وربما لم يقتصر ذلك على ولاية سورية وحدها بل ظهر ايضًا في ولايات أُخرى عربية . وثالثًا انشأ قوم من ابناء العرب صحفًا يحرضون فيها العنصر العربي على الاستقلال وقامت جرائد أُخرى في مصر تنتصر لاستبداد عبدالحميد على نظام الدستور وتقول للمسلمين العرب الذين يقرأونها ان مجد الاسلام قد زال بزوال حكم ذلك الظالم وتسعى في قطع العلاقة بينهم وبين الدولة العلية . ورابعًا يأتي قوم من العرب المنافقين الى هنا من حين الى حين ويتقربون الى ذوي الحل والعقد والكلمة النافذة في هذه الايام بتسويد وجوه العرب ابناء وطنهم وتبييض وجوههم فيقولون لهم ان فلانًا وفلانًا من اهل بلدنا كانوا من الرجعيين او ممن يروم فصل العرب عن الدولة او ممن يضمر الشر للدستور ولكننا وقفنا لهم بالمرصاد واحبطنا سعيهم وفعلنا كيت وكيت مما يردُّ كيدهم في نحورهم . او يقولون لهم ان السواد الاعظم من اهل بلادنا يبكون وينوحون على عبد الحميد ويحسبون سقوطهُ ذلة للاسلام والمسلمين ولكنا جادُّون في تنوير اذهانهم وازالة هذا الخطاء من عقولهم وقس على ذلك كثيرًا

أَفنعتب بعد هذا كلهِ على اخواننا الترك اذا ارتابوا فينا واوجسوا في نفوسهم خيفة منا

ويرد عليهم العائبون انهُ اذا كان قد قام منا بغاة في عهد عبد الحميد فقد قام من الترك قوم أكثر منهم عددًا واشد بغيًا وحسبنا ان عبدالحميد نفسهُ منهم فلا يحق لهم ان يرتابوا في امة بسبب ما جناهُ قوم يعدون على اصبع اليد الواحدة منها كما اننا نحن لا نرتاب في العنصر التركي بسبب ما جناهُ بعض افرادهِ

وانهُ ان كان قد قام في دمشق من اراد مقاومة الدستور فهؤُلاء متابعون لا بادئون وقد تابعوا الجمعية المحمدية التي انشأها الترك في الاستانة . فليس من العدل ان يرتاب اخواننا الترك فينا بسبب ذلك كما اننا لا نرتاب فيهم بسبب الذين انشأُوا الجمعية المحمدية منهم وفعلوا ما فعلوا

وان كان قد انشأ بعض منا جرائد او نشر مقالات تحرض العرب على الانفصال عن الدولة او تكرّه اليهم الحكومة الدستورية فكم من جريدة لنا تتغنى بمدح الحكومة الدستورية كل يوم وتقاوم الجريدة او الجريدتين اللتين شذتا عن سائر الجرائد العربية . وكم من مقالة تنشرها جرائدنا العربية كل يوم وتوصي فيها بالاتحاد والوئام وتقول انهُ لا تقوم لنا قائمة الاَّ بالاتحاد التام

وان كان بعض المنافقين يتقربون الى ذوي الحل والعقد بالافتراء على ابناء وطنهم ويقولون ان العرب يتحسرون على عبدالحميد ولا يخلصون للحكومة الدستورية فها جرائدنا تصدر طافحة باخبار اخلاص العرب للدولة العلية والحكومة الدستورية حتى انهم يجاهرون بحبها والتعلق بها من اقصاء الكرة الارضية ٠ افليست الاعياد التي يعيدونها والافراح والولائم التي يقيمونها طوعاً من تلقاء نفوسهم وبلا تكليف احد لهم ايام الاعياد الدستورية في كل بلادهم فيها دليلاً قاطعاً على اخلاصهم وصدق ولائهم وتكذيباً لكل من يفتري سوءًا عليهم فكيف يجوز بعد ذلك لاخواننا الترك ان يرتابوا منا او يسيئوا ظنهم فينا

بل كيف يجوز لهم ان يظهروا ارتيابهم هذا فينا بما كسر قلوبنا وحل عزائم ضباطنا فانهم ارسلوا فاحضروا الضباط العرب من فيالقهم في سورية ومكدونية وجمعوهم في الاستانة بعد ما كان ضباطنا اشد اعوانهم في اعادة الدستور اولاً وفي حفظهِ اخيراً ولهذا استاء ضباطنا وحاروا في امرهم لانهم لا يدرون سبباً لارتياب اخوانهم فيهم ٠ ونحن ايضاً مستاؤون استياءهم وشاعرون بان هذا الارتياب يضرنا ادبيًّا اذا لم نشعر الآن بانهُ يضرنا ماديًّا٠

وعلى هذا المنوال كان يطول الجدال بين الفريقين في عدة مجالس حضرناها واوردنا طرفًا فقط مما كان يقال فيها ٠ ولكننا ادركنا منها امراً ذكرناهُ آنفًا وهو اتفاق الفريقين على ارتياب الترك في امر العرب ٠ وبناء على ذلك سألنا قوماً من الترك عن امر هذا الارتياب آملين ان نصل الى ما يجلو حقيقة اسبابهِ ويزيلهُ اذا كان موجوداً ٠ وسنذكر محصل ما سمعناهُ منهم في مقالة تالية ثم ننتقل الى ما علمناهُ عن العنصرين الرومي والالباني وبالله التوفيق

ثبت ان فريد باشا ناظر الداخلية العثمانية استعفى من وظيفتهِ وان طلعت بك رئيس مجلس المبعوثان الثاني سيعين ناظراً بدلاً منهُ فتم بذلك ما كان ينتظر حينما كنا في الاستانة واشرنا اليهِ في ما مضى ٠ اما طلعت بك فلا يزال مع وفد المبعوثان في بلاد الانكليز ولكن ما سمعناهُ عنهُ من الذين يعرفونهُ حق المعرفة يقوي الامل بانهُ ينجح في نظارة الداخلية كما نجح صديقهُ وزميلهُ جاويد بك في نظارة المالية

اما اخبار الشركات البرقية عن كريت فتوهم القارئ باكثر مما ينتظر وقوعهُ في مسألتها ٠ فما لا يرتاب فيهِ رجال الاستانة ان دولة اليونان وحدها لا تحارب الدولة العلية مطلقاً لا على مسألة كريت ولا على غيرها ٠ وانهُ لا يكاد يحتمل وقوع حرب بينهما الاَّ اذا اتحدت البلغار واليونان معاً وذلك قليل الاحتمال جدًّا ولاسيما في هذه الايام التي يزداد فيها

الصفاء وتحسن العلاقات يوماً فيوماً بين الدولة العلية والبلغار

بقي ان كريت نفسها تشق عصا الطاعة وتجاهر بالعصيان وذلك كان كثير الاحتمال في عهد الحكومة الحميدية ولكنهُ بعيد الوقوع في عهد الحكومة الدستورية. وعسى انهُ لا يقع مطلقاً اولاً لخير كريت نفسها وثانياً لكي لا يشغل الحكومة العثمانية عن الاصلاحات الداخلية ولكن هب انهُ وقع فعاقبتهُ معلومة ورجال الدولة يظنون انهُ لا يحملها مشقة عظيمة. قال لنا رجال من ضباط الجيش العثماني والاتحاد والترقي ونحن في الاستانة لا تقيسوا على الماضي فلو ثار الالبانيون في ايام عبد الحميد لما قمع ثورتهم جيش جرار في شهور واعوام ولكن جاويد باشا اخمد ثورتهم بجند قليل في ايام. وهكذا ثورات كريت التي كانت تدوم الزمان الطويل في سالف الاعوام لا تدوم الاَّ اياماً امام جيشنا الحالي وقوادنا الابطال الذين لا يعرفون الاَّ النصر او الموت في ساحات القتال

ولهذا كلهِ نظن ان اهل كريت لا يستفزون الدولة الى القتال الاَّ اذا استقتلوا وعيل صبرهم على هذه الحال

(٦) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

الترك والعرب ايضاً

لما مررنا بازمير ونحن ذاهبون الي الاستانة سألنا عالماً تركياً من رجال الاتحاد والترقي مسائل كثيرة عن الدستور وانصارهِ ومقاوميهِ وثبات نظامهِ وما يخشى منهُ عليهِ. وكنا نكلمهُ بالعربية المعربة فيجيبنا بمثلها ولكنهُ لا يفهم لغتنا العامية كما لا نفهم نحن اللغة التركية فلما انتهينا من سؤالهِ ما شئنا قال لقد سألتموني عن كل ما عنَّ لكم بكل صراحة وحرية وطلبتم مني ان اجاوبكم بكل صراحة وحرية فاجبتكم كذلك عما سألتموهُ عن العلماء والفقهاء كما اجبتكم عما سألتموهُ عن الاكليروس والرؤساء الروحيين عند العثمانيين غير المسلمين. فأنا اطلب ان اسألكم الآن سؤالاً واحداً بكل صراحة وحرية وارجو ان تجيبوني عنهُ كذلك ولا تؤاخذوني بسؤالهِ كما اني لم اؤاخذكم بشيءٍ سألتموهُ لعلمي انكم طلاب حقائق وانا طالب حقيقة مثلكم

فقلنا سلوا ما بدا لكم فاننا اخوان مخلصون في خدمة الدولة والاوطان. والاخلاص يوجب علينا السؤال والجواب بتمام الحرية

قال أصحيح ان العرب السوريين يكرهون الانتماء الي الدولة العلية ويطلبون الانفصال عنها والالتحاق بمصر وجعل مصر وسورية مملكة عربية مستقلة عن السلطنة العثمانية الدستورية

فلما سمعنا هذا السؤال تبسمنا وقلنا في نفسنا لو كان الذين يلقون الاقوال على عواهنها يفكرون في عاقبة اقوالهم قبلما يفوهون بها بلا تبصر ولا روية لكان الذين يكثرون من شقشقة اللسان في مصر مثلاً يحترزون في التلفظ باقوال هي بالذات ضرب من المحال وعاقبتها الضرر على كل حال اذ صاحبنا لم يسألنا هذا السؤال الا بعد ما سمع طرفاً مما يهذي بهِ بعض صغار الاحلام في مصر مثلاً

ثم قلنا لهُ انكم طلبتم منا ان نجيبكم بالصراحة والحرية وعليهِ نقول لكم انكم لو سألتمونا هذا السؤال قبل اعلان الدستور لكنا نجيبكم اننا نحن انفسنا نود ذلك ونتمناهُ لانقطاع املنا من الخير والاصلاح في حكم عبد الحميد. اما الآن وقد اعلن الدستور فآراؤُنا واميالنا نحن وغيرنا قد تغيرت كلها تغيراً تاماً دفعة واحدة وليس منا من يسعى في ضم سورية الى مصر او من يفكر في ذلك. فما سألتمونا عنهُ غير صحيح والسوريون عموماً على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم يأبون الآن الانفصال عن الدولة العلية والالتحاق بمصر او بغيرها

فلما سمع منا هذا القول بدت عليهِ علامات الارتياح والاطمئنان وقال لنا صريحاً انهُ لا يشك في صحة جوابنا بعد الآن لا هو ولا غيرهُ من اخوانهِ. فادركنا من ذلك الحين انهُ لا بد وان يكون قد علق بنفوس الترك شيء من الريب في العرب السوريين على الاقل

ولما اتينا الاستانة وسمعنا العرب يتباحثون و يتجادلون فيها بمعنى ما اوردنا طرفاً منهُ في مقالتنا السابقة رأينا من الواجب علينا مفاتحة الترك بذلك والاطلاع على ضمائرهم وجلاء الاذهان من صدإ الريب ان كان ثم محل لذلك

على اننا طرقنا هذا الباب مراراً فلم نكن نلح على من نسألهم علامات الارتياح الى البحث في هذه المسألة او كنا نجاب اجوبة لا تشبع او لا تفي بالمطلوب الذي نريد معرفتهُ

وكان مؤدى الاجوبة بوجه الاجمال انهُ ليس هناك ارتياب في العرب وما يتحدث بهِ الناس خلافاً لذلك غير مطابق للواقع بل هو ناتج عن وهم او عن سوء فهم ونحو ذلك. فجعلنا نقول في نفسنا تارة يمكن ان يكون اخواننا ابناء العرب مخطئين في ظنهم وان يكون الوهم غالباً عليهم وتارةً يمكن ان اخواننا الترك يحسبون مجاوبتنا عن هذه الاسئلة بالصراحة والحرية مما يؤلم عواطفنا فيجتنبون ذلك ملاطفةً ومراعاةً منهم لنا. ونبني ظننا الاخير هذا على ما لحظناهُ من كلام العالم التركي في ازمير تمهيداً لسؤالهِ عن العرب السوريين

ولكننا لم نقف عن السؤال عند مثل ذلك الجواب في حديث جرى لنا مع بعضهم بل قلنا لهُ ولكن بلغنا ان ضباط الجيش استدعوا اخوانهم الضباط العرب من دمشق ومكدونية الى

الاستانة وابقوهم فيها وان ضباط العرب مستاؤون من ذلك لظنهم انهم لم يستدعوا الى الاستانة الاَّ حذراً منهم وارتياباً فيهم مع انهم من اشد الضباط العثمانيين اخلاصاً وغيرةً على الدستور والدولة

فقال إننا لم نفعل ذلك مع الضباط العرب وحدهم بل مع آخرين من الترك وغيرهم فنقلناهم من الاماكن التي كانوا فيها الى الاستانة لاسباب اقتضتها الاحوال العسكرية لا لارتياب ولا لسوء ظن • ومثل هذا النقل والتغيير كثير في الجيش ولكن يظهر ان الضباط العرب شديدو التأثر والانفعال وشديدو الميل ايضاً الى حمل ما يجري في الجيش على التمييز بين التركي والعربي فاذا جرى مثلاً امر يمس التركي والعربي على حد سوى فالتركي يقبلهُ على بساطتهِ اذ لا وجه لهُ ليحملهُ على غير ذلك واما العربي فلكونهِ غير تركي يتبادر الى ذهنهِ انهُ لا بد لذلك الامر من سبب غير السبب البسيط ويحسب ذلك السبب طبعاً التمييز بين العربي والتركي او نحو ذلك

فرأينا حينئذٍ انهُ يحتمل ان يكون كثير مما يقال عن ارتياب الترك في العرب ناتجاً عن الوهم او الخطاء في الفهم وقلنا لمن اجابنا هذا الجواب كنا نود ان يوجه اخوانكم انتباههم الى هذا الامر الجلل ويجتنبوا كل سبب يؤثر تأثيراً سيئاً في نفوس العرب • فنحن لا نجهل انهُ وان كان القانون الاساسي يوجب الحرية والمساواة والاخاء على العثمانيين كلهم فانتم الترك مميزون الآن بمقتضى طبيعة الحال • ولو ساعدتنا التقادير نحن العرب كما ساعدتكم لسبقناكم الى اعادة الدستور منذ زمان طويل • فالكل يقولون ان مدحت باشا هو ابو الدستور وواضع القانون الاساسي ولكن يجب ان تعلموا اننا نحن السوريين تلامذة مدحت باشا واننا تلقينا الدستور عنهُ رأساً ايام كان والياً على سورية وان قلوبنا اشربت حب الدستور وروحهُ مرت فينا منذ كان مدحت باشا بيننا • وان شباننا الاحرار المستنيري العقول والمثقفين بالمعارف والعلوم عقدوا للدستور الجمعيات السرية منذ اكثر من ثلاثين سنة • ولو وجدوا عوناً من الجيش كما وجدتم ولو أُيدوا ممن حولهم كما أُيدتم من قومكم لفازوا باعادة الدستور قبلما يبصر اكثركم النور • ولكن الاقدار لم تشأ لهم ما شاءتهُ لكم فتفرق شملهم وقضوا معظم سني عمرهم اما مستترين في الخفاء او مهاجرين وغرباء او مجاهدين ومناضلين في سبيل الحرية العثمانية على قدر الطاقة خارج بلادهم • فحب الدستور نما في قلوب كهولهم وانتقل الى شبانهم واحداثهم • ولكن الله سبحانهُ وتعالى ابقى فخر اعادتهِ لكم • وهم يغبطونكم على ذلك الآن ولكنهم لا يحسدونكم • ولما سمعوا بفوزكم باعلان الدستور ودك صروح الاستبداد سروا وفرحوا وحسبوا فوزكم فوزاً لهم واعجبوا برجالكم واطنبوا في مدح ابطالكم وجاهروا حالاً بانتصارهم لكم وتعلقهم بكم كانكم من جملة

آحادهم بلا فرق ولا تمييز وحسبوا اعادتكم للدستور منة عظيمة قلدتموهم اياها فهم يشكرونكم عليها طول العمر ولا ينسونها لكم ابد الدهر ولكنهم يحسبون ان معاملتكم لم تكن كمعاملتهم لكم لو اعلن الدستور على يدهم اي ان يكون العثمانيون كلهم اخواناً في الحقوق والواجبات على اختلاف عناصرهم واديانهم . وهذا هو اعتقادهم الوطيد فيكم وهذا ما يطلبونهُ ويتمسكون بهِ ولا يرجعون ابداً عنهُ . على انهم مع محافظتهم على هذا المبدإ الكلي الجوهري بكل قوتهم يراعون مقتضى الحال في اخراجهِ من القوة الى الفعل . ويرون ان الحال تقتضي الآن ما لا بد منهُ في اول الامر بطبيعة الشيء وهو ان تكون الارجحية لكم في تدبير الامور حتى لا يقع ارتباك فيها ولا يتعذر على العثمانيين بلوغ النجاح بمزاحمة بعضهم بعضاً عليها . ولهذا ترونا مع تمسكنا بمبدإ المساواة التامة نظرياً مسلمين بالرجحان الآن لكم فعلياً . ونشبه حالتنا في مملكتنا بحالة البريطانيين في مملكتهم . فالانكليز منهم لا يزال لهم الرجحان فعلاً في امور كثيرة على الاسكتلنديين والارلنديين والولش وان يكن قانونهم يقضي بالمساواة قطعياً . ولكننا ننتظر منكم المراعاة التي ينتظرها سائر البريطانيين من الانكليز . ففي كل امر ترى الانكليزي يراعي اخوانهُ البريطانيين فيقول لا احسب هذه المزية لنفسي حتى احسب ما يقابلها للاسكتلندي والارلندي وابن ويلس . ولا افعل هذا الامر لابنائي الاَّ بعد ما ابقي محلاً لعتب ابناء اسكتلندا وارلندا وويلس وقس على ذلك . وانتم يجب ان تجعلوا هذه المراعاة دائماً نصب عيونكم وتتذكروا ان اخوانكم العرب وسائر العناصر تتأثر تأثراً عظيماً وتكبر اقل اغفال منكم لهذه المراعاة نظراً الى رجحان كفتكم الآن . واما اذا لم تراعوا هذه المراعاة مع العناصر الاخرى بل اغفلتم ذلك كما كان قومكم يغفلونهُ في العهد السابق فالشقاق يسود على الامة العثمانية عوضاً عن الإتحاد والعاقبة تكون وبالاً على السلطنة

فكان محدثنا يوافق على اقوالنا هذه ويظهر رغبة العنصر التركي الخالصة في مراعاة جميع العناصر العثمانية الاخرى وازالة كل عتب او تأثير من نفوس العرب ويعد بان قومهُ لا يغفلون شيئاً من ذلك وخصوصاً بعد ما يتفرغون قليلاً مما يشغلهم من الشواغل الاخرى الكلية ويتيسر لهم الإهتمام بهذه الامور الحرية بالاهتمام

ومع اننا شعرنا باننا لم نعرف البواطن جلياً في هذه المسألة واننا لم نقف على الاجوبة التي تمكننا من معرفة حقيقتها لكن رأينا هو ان الترك والعرب متحدون وان اتحادهم اتم من اتحاد سائر العناصر العثمانية الاخرى . وان الريب الذي يمكن ان يداخل قوماً من الفريق الواحد والاستياء الذي يشعر بهِ قوم من الفريق الآخر لا يدومان طويلاً اذا تم امر ان احدهما ان

الترك يراعون حاسات العرب وخواطرهم و يظهرون جليًّا انهم يقدرونهم قدرهم في معاملتهم لهم والآخر ان العرب يكاشفون الترك جليًّا بما يسوءهم منهم و يعاتبونهم صريحًا على ما لا يرضيهم من افعالهم و يظهرون اخلاصهم الحقيقي لهم ولا يقتصرون على الشكوى بعضهم الى بعض وعدم ابلاغ الترك شكاويهم . ولازم هذين الامرين ان يزداد الفريقان تمازجًا وتعاشراً و يزول التكلف من بينهما على قدر الامكان . وذلك مرجح الوقوع كلما طالت المدة على نواب العرب في مجلس المبعوثان فان هؤلاء النواب الذين هم من خيرة ابناء العرب يصح ان يقال انهم أخذوا في المجلس هذه السنة على غرة لانهم وان كانوا يعرفون اللغة التركية فاكثرهم لم يعتد الخطابة بها ولا اعتاد الحالة التي اصبح فيها لما اتى الاستانة كما اعتادها ابناء الترك في تلك المدينة وغيرها . فتأتى عن ذلك طبعًا ان الذين ظهروا معظم الظهور في المجلس هذه السنة اكثرهم من ابناء الترك او الذين رضعوا اللغة التركية مع اللبن وعاشوا طول عمرهم مع اهلها . واما نواب العرب فاكثرهم لم يتيسر لهم بعد اظهار فضلهم ومنزلتهم من العلم والعقل ولا تيسر لهم ايضًا ان يطبعوا على نفوس الترك الصورة التي يحبون طبعها عن العرب . ولكن اذا اصاب ظننا فنوابنا الكرام قد الفوا اليوم الحالة التي كانت غريبة عليهم في اول هذا العام وهم يستعدون منذ الآن لاظهار فضل قومهم العرب الكرام في جلسة العام المقبل

فبحسن مساعيهم و بما تقدم من الملاحظات لا نخشى من وقوع شقاق سيء العاقبة بين العرب والترك بل نؤمل انهُ على توالي الايام يقوى اتحادهما حتى يصيرا قدوة لسائر العناصر العثمانية في الاتحاد والوئام

وحبذا لو صح ذلك على الترك والروم وسيأتي عليهما الكلام

(٧) العناصر العثمانية — اتحادها وانشقاقها

الروم وشأنهم الخطير

لما كان العثمانيون متفقين رأيًا على ان اعظم اسباب تأخرهم وتأخر دولتهم هو تعدد عناصرهم واختلاف اديانهم لم يكد الدستور يعلن بينهم حتى صاروا يبحثون في هل يتيسر للدستور لمّ شعثهم وجمع كلمتهم والتغلب على ما يحول دون ذلك من تعدد عناصرهم واختلاف عقائدهم . او هل يعجز عن التغلب عليهما و يفضي الامر بسببهما الى زيادة التأخر والضعف حتى تتلاشى الجامعة العثمانية و يزول كيان الامة والدولة لا سمح الله . والظاهر ان الرأي الغالب على الباحثين كان ان لا خوف من انفصال العرب عن الدولة

العثمانية مهما ارجف المرجفون ٠ فالدستور يمكن ان يؤلف بين العرب والترك ويجعلهما عضوين حيين متفقين في جسم الامة العثمانية لانهُ مهما اختلف الترك عن العرب لم يزد اختلافهما عن اختلاف اهل بعض الولايات العربية كولاية بيروت مثلاً عن اهل ولايات اخرى عربية كولاية اليمن او احدى ولايات العراق ٠ بل اننا اذا دققنا البحث وجدنا بين المتعلمين والمتهذبين والذين اكثروا من الاسفار ومعاشرة الامم من العرب والترك جامعات كثيرة تجمعهم معاً ولم نجد بينهم وبين المتأخرين من قومهم غير جامعة او جامعتين بحيث يسهل على هؤلاء الترك والعرب الاتحاد والاتفاق اكثر كثيراً مما يسهلان على العرب من اهل الولايات السابقة والمتأخرة وكذلك على الترك السابقين والمتأخرين

ويقال ايضاً بوجه الاجمال ان المسيحيين من ابناء العرب يفضلون الاتحاد مع الترك الدستوريين على الاتحاد مع اهل الولايات العربية التي لا يهمها امر الدستور ٠ ولا يختلف اثنان منهم في ان الاتفاق مع رجال مستنيري الاذهان كالاعضاء الترك في جمعية الاتحاد والترقي مثلاً احب اليهم واسهل عليهم بكثير من الاتفاق مع قبائل البادية او عرب الولايات المتأخرة ٠ وعليهِ يكون كثيرون من العرب اميل الى الاتحاد بالترك منهم الى الاتحاد بعضهم ببعض ولا يكاد يحتمل ان يتحد العرب اتحاداً عامًّا ويطلبوا الانفصال عن الدولة الاَّ اذا اضطروا الى ذلك رغماً عنهم لسبب من الاسباب التي لا يصبر عليها الناس كأن يجور الترك عليهم مثلاً ويحملوهم فوق طاقتهم ويذلوهم ويمتهنوهم ويهضموا حقوقهم التي يمنحهم الدستور اياها فحينئذٍ تجمعهم الشدائد فيتحدون للدفاع عن حياتهم وحريتهم وحقوقهم ٠ ولكن الامل وطيد انهُ لا يقع في عهد الدستور شيءٌ من هذا القبيل

وكان الرأي الغالب ايضاً ان مزايا الدستور تتغلب على ميل الارمن الى الاستقلال ٠ لانهُ متى تمتع الارمن بكثير من النعم الدستورية التي كانوا لا يذوقون لذتها في عهد الاستبداد يغلب عليهم الرضى ويضعف فيهم الميل الى الاتحاد القومي على الدولة وطلب الانفصال عنها

على ان نتيجة المذابح الاخيرة لا بد وان تضاد هذا الرأي بعض المضادة لسوء الحظ ولكن سعي الحكومة العثمانية الآن في اجراء العدل واقامة الحق وانصاف المظلوم من الظالم لا بدَّ وان يزيل معظم تأثير هذه المذابح من نفوس الارمن ٠ وحينئذٍ يصح الرأي الذي كان الناس يرونهُ بعد اعلان الدستور ويترجح ان الارمن يكونون عضواً حيًّا عاملاً في جسم الامة العثمانية ايضاً

على ان رأي معظم الباحثين كان بخلاف ذلك عن الروم ٠ والمراد بالروم اليونان

التابعون للدولة العلية تمييزاً لهم عن المستقلين المعروفين باليونان · فهؤُلاء الروم او الاروام تختلف حالهم عن احوال سواهم من العناصر العثمانية في كونهم من جنس واحد هم واليونان المستقلون اذ ليس بين العناصر العثمانية عنصر غيرهم لهُ من قومهِ شقيق مستقل ومملكة قائمة برأسها

ومما هو مشهور عن الروم واليونان ان الجامعة القومية شديدة فيهم جدًّا واميالهم الوطنية على غاية القوة وحب الاستقلال فيهم لا يقل عن حب الاستقلال في نفس كل امة مستقلة حية · فلذلك ولاختلاف حال الاروام عن احوال سواهم من العناصر العثمانية كما تقدم كان الرأي الغالب من بادىء الامر انهم سيكونون حائلاً هائلاً وسدًّا محكمًا في سبيل اتحاد العناصر العثمانية لكي لا يتكون منها في عالم الاجتماع جسم واحد هو الامة العثمانية منفصل ومستقل عن كل امة أُخرى وخاضع لراية واحدة ولنظام دستوري واحد

وزد على ما تقدم ان ضعف الدولة وانحلال ربط الامة في عهد عبد الحميد خصوصاً قوَّى اعتقاد الناس بقرب مصير الدولة الى الزوال وزين لبعض العناصر اموراً لم تكن تحلم بها لولا ذلك · فلا عجب اذا عاشت في الروم الآمال بعد ما طوتها الايام وفكر قوم منهم في استرجاع بلاد آبائهم واجدادهم واملوا ان يكون ذلك نصيبهم من تركة «الرجل العليل» بعد اقتسامها وان يظفروا بالاستقلال والانضمام الى اخوانهم واعادة مجد مملكة اليونان · كل ذلك طبيعي والنفس ميالة اليهِ وما من عنصر الاَّ ويقع فيهِ اذا حلَّ محل الاروام وجُرِب تجربتهم

ومما يسوُّنا ذكرهُ ان رأي الباحثين تحقق ومن قلة التوفيق ان الخلاف وقع بين الترك والروم قبل ان نتخلص من محنة الترك والارمن ولا حاجة بنا الى تفصيل ما وقع بينهم وشرح اسباب ذلك الخلاف والنزاع فقد اطلع القراء عليها كلها بالاسهاب في المقطم · وانما نقول اننا لما وصلنا الى الاستانة وجدنا الخواطر مضطربة فيها بسبب هذا الخلاف اضطرابًا شديداً انسي اهلها ما سواهُ من المشاغل والمشاكل وان المجادلات الشديدة التي كانت تجري حينئذٍ على بعض المسائل في مجلس المبعوثان كمسائل التعليم والجمعيات ونحوها كان الترك يحسبون ان الاروام هم الذين يضرمون نارها ويحمون اوارها وانهُ لولاهم لما عارض المعارضون تلك المعارضة فيها

وقد حادثنا رجالاً مختلفين من الترك في امر هذا الخلاف فكنا نرى منهم تألمًا شديداً منهُ وتمللاً وتذمراً من اضطرارهم الى الصبر عليهِ · لان الاعتقاد الغالب عليهم هو ان الروم يفعلون ما يفعلون تحككاً وتحرشاً بهم وتعمداً لتكدير صفوهم والقاء المشاكل في سبيلهم لكي

لا ينجحوا في اصلاح الاحوال وتدبير الامور علماً منهم انهُ اذا جرى الاصلاح وتحسنت امور الدولة خابت آمالهم من الحصول على التركة واسترجاع ميراث آبائهم واجدادهم فهم يخلقون المشاكل عمداً ويقصدون توسيع الخرق قصداً

ومما زاد الطين بلة حدوث مسألة كريت في هذه الآونة ووقوف الاروام في موقف حرج جدًّا بسببها لانهم اذا اظهروا ميلهم الى الكريتيين واليونان اسخطوا العثمانيين واذا اظهروا ميلهم الى العثمانيين اسخطوا اخوانهم في الجنس واغضبوا الذين يميلون اليهم بالطبع. فلتعدد المشاكل من جهة ولحدوث المسألة الكريتية من جهة اخرى اشتدَّ الجفاء جدًّا بين الروم والترك في الاستانة خصوصاً . ولما كان الروم عثمانيين مثلنا وكانوا بحسب نص القانون الاساسي اخواننا ومنا وفينا يجب لهم وعليهم ما يجب لنا وعلينا فكل عثماني عاقل يود تدارك هذا الخلاف بما يزيلهُ ومعالجة هذه الحالة المعتلة بحسن السياسة والحكمة. اذ العلاج الوحيد الذي يجب ان يلجأ العثمانيون اليهِ وان يتسابق عقلاؤُهم في مضمارهِ هو الحكمة وحسن السياسة للتأليف بين القلوب المتنافرة والتوفيق بين المتخالفين . واما ما سواهُ مثل قيام قوم على قوم وذبحهم بعضهم بعضاً واحراق منازل بعضهم البعض فمن الوسائط الفظيعة التي كان الناس يلجأُون اليها في عهد الجهل والتوحش والخشونة ويعاب عليهم الاعتماد على اقل شيءٍ منها في عهد العلم والتمدن والحرية

ولهذا قلنا يوماً لبعض النابغين من شبان الاتحاد والترقي لماذا لا تجتنب الحكومة ومجلس المبعوثان الآن كل مسألة لها تعلق بالاختلافات الجنسية والدينية ولماذا لا يقتصر بحثهما على المسائل العمومية التي هي اولى بالنظر والاهتمام اليوم فانهما لو فعلا ذلك لقضيا مصالح الامة واغنياها عن هذه المشاكل القومية والمذهبية

فقال واي المسائل العمومية تعنون. قلنا اننا نعني مسائل الادارة والقضاء والمالية فالبلاد العثمانية كلها بلا استثناء محتاجة الى اصلاح هذه الامور اشد الاحتياج اذ ادارة الولايات مختلة معتلة ولم تكد تختلف في عهد الدستور عما كانت عليهِ في عهد الاستبداد بل لا تزال شكوى الناس مالئة الآفاق ولولا الاحكام العرفية التي وضعت على بعض الولايات فارهبت اهالي الولايات الاخرى ولولا بعض المأمورين الاكفاء المتصفين بالحزم والشدة في حفظ الامن العام لكان اهل الولايات الآن فوضى يسودهم طغامهم ولا امان لهم على ارواحهم واعراضهم واموالهم . ثم انَّ المحاكم العثمانية لا تزال اسماً بلا مسمى والقضاء شبح بلا روح والعدل لا عين لهُ ولا اثر والاعشار آفة على الفلاح والضرائب تثقل كاهل الاهالي والخزينة

العثمانية في احتياج لا يوصف الى المال . ولو سألت العثمانيين كلهم لاجابوك على اختلاف مللهم ونحلهم ان حاجتنا الكبرى هي الى اصلاح هذه الامور الكبري وانا نطلب تقديم النظر فيها على النظر في كل ما سواها فلماذا لا نصرف همنا الآن الى اصلاح هذه الامور التي تتفق العناصر كلها فيها . ثم اننا متى اصلحناها وتبين نجاحنا فيها قويت حجتنا عند الجمهور في اصلاح ما سواها وسهل علينا ان نستميلهم الى رأينا وان نحبط مساعي الذين يقصدون معاندتنا ومشاكستنا لافساد عملنا وقضاء مآربهم

فقال ان هذا ما نحن جارون فيهِ الآن وشرح لنا بعض المشروعات التي تضعها الحكومة العثمانية الآن لاصلاح الادارة والقضاء والمالية (وربما ذكرناها في مكان آخر)

ثم قال اننا نحن لا نريد التعرض للمسائل التي تلقي الاختلافات الجنسية والمذهبية بل نسعى جهدنا في اجتنابها ولكن الاروام هم الذين يفتحونها ويضطروننا الى مناقشتهم فيها رغماً عنا كمسألة التعليم مثلاً فان المشروع الذي عرض على مجلس المبعوثان كان مما يتعلق بامر التعليم والمدارس في الحال بلا نظر الى ما يكون في الاستقبال فابى الاروام ومبعوثانهم الاَّ توسيع نطاق البحث في المسألة واكراهنا على البت في امر التعليم والمدارس في المستقبل كالبت بها في الحال . وهكذا شأنهم معنا في سائر الامور فانهم يقصدون معاندتنا واعناتنا

ولما اطال الشكوى من هذا القبيل واكثر من التألم من معاندة الاروام ونسبها الى دسائس اليونان قلنا وما الذي تقصدون ان تفعلوهُ لاصلاح هذه الحال وما هو الرأي عندكم في حل هذه العقدة . فقال الرأي عندنا ان نقابلها بمزيد الصبر وسعة الصدر ونتركهم وشأنهم ولا نقابلهم الاَّ بالطرق الدستورية والوسائط القانونية حتى يكلُّوا ويفرغ جهدهم ويكفوا عن معاندة لا تنفعهم ولا تضرنا لاننا واثقون بقوتنا فلا نخشى بأسهم اذا ارادوا ان يخرجوا مساعيهم من القوة الى الفعل ليضروا بنا وفي ما سوى ذلك فما دام الامر كلهُ كلاماً في كلام فاننا نقابلهم ايضاً بالكلام حتى يعودوا الى طلب الاتفاق والوئام

فلما رأينا هذا الاطمئنان التام من محدثنا وفهمنا ما ينويهِ الترك ومن معهم من العثمانيين من جهة الاروام احببنا ان نقف على آراء الروم ايضاً فقصدنا الفنار حيث تفضل غبطة البطريرك المسكوفي بحديث طويل معنا نلخصهُ في مقالة تالية

(٨) الروم وغبطة بطريرك الفنار

مقبرة ايوب اشهر مقبرة في الاستانة تضم رفات عدد عديد من اولاد السلاطين وعظام

الوزراء وقواد الجيوش العثمانية واكابر رجال الدولة وشيوخ الاسلام والذين كان لهم الصول والطول في زمانهم من الخصيان وفيها القبور المزخرفة والترب الفاخرة . قصدناها صبيحة يوم مع حضرة الفاضل الافوكاتو خليل بولاد فاكبرنا ما فيها من المدافن والقبور ووددنا لو تيسر لنا قضاء الوقت الكافي في تفقد اضرحتها وقراءة ما كتب عليها لان الانسان يستخلص منها تاريخًا نفيسًا عظيم القيمة حاويًا اكثر الذين نبغوا من رجال الدولة . وحبذا لو قام من ادباء الاستانة من يفعل ذلك قبل ان تذهب عوامل الاهمال والاغفال البادية آثارها على تلك المدافن والقبور بكثير مما قد نقش على تلك الاضرحة من الاسماء والالقاب والتواريخ

ومررنا اليها في طريق ضيقة تعاف النفس المسير فيها ويقلق راكب المركبة من كثرة الطقطقة في مسيره على بلاطها . وبينما نحن نلوم الدليل لانهُ سار بنا في هذه الطريق ولم يوافقنا على المسير في قرن الذهب كما كان مرادنا كان من جملة ما اعتذر بهِ الينا اننا قربنا من بطريركية الفنار وهي مكان تاريخي شهير يقصد السياح رؤْيتهُ من الاقطار . فقبلنا عذرهُ حينئذٍ وقلنا سر بنا اذًا الى بطريركية الفنار حتى اذا دنونا منها زالت الصورة العظيمة الفخيمة التي كانت مرسومة لبطريركية الفنار في الخيال وارتسمت على ذهننا صورة بيت كبير ليس فيهِ شيءٌ من آثار الهندسة او النقش والنحت او الزينة والزخرفة وانما عظمتهُ ومهابتهُ قائمتان بكونهِ بناءً قديمًا ومعهدًا عظيمًا بل اعظم معهد نصراني في الشرق كلهِ . فشعرنا حين رؤْيتهِ بمثل ما شعرنا حين رأَينا الباب العالي ودخلنا منهُ الى الدواوين التي في ساحتهِ او كما شعرنا حين دخلنا مدينة اكسفورد ونظرنا مدارسها وكنائسها لاول مرة ورأَينا ان قدميتها هي سرُّ عظمة مبانيها ومهابتها

ثم سأَلنا عن غبطة بطريرك الفنار واعربنا عن رغبتنا في التشرف بمقابلتهِ فقيل لنا انهُ يقضي الصيف في مكان على البسفور وضُرب لنا ميعاد يقابلنا فيهِ اذا اتينا الفنار فشكرنا وانصرفنا

وفي يوم الخميس (٢٩ يوليو) خرجنا من مشيخة الاسلام الجليلة حيث تشرفنا بمقابلة سماحتلو شيخ الاسلام ومحادثتهِ وقصدنا الفنار فاصعدونا حالاً الى قاعة قد جلس غبطة بطريرك الفنار في صدرها وعلقت على جدرانها صور من تقدمهُ من البطاركة فاحسن غبطتهُ ملتقانا . ولما وجد اننا لا نتكلم بالتركية ولا باليونانية اجلس ترجمانهُ يترجم بيننا لان غبطتهُ يفهم الفرنسوية ولكنهُ لا يحسن التكلم بها فشرحنا لهُ غرضنا من تلك المقابلة ولم نخفِ عن غبطتهِ ان المقطم فتح ابوابهُ لشكوى اخوانهِ من المنتمين الى طائفة الروم الارثوذكس في القدس الشريف وفلسطين وانهُ انتصر لهم ايضًا انتصارًا عظيمًا وايدهم تأْييدًا شديدًا لاعتقادهِ انهم مظلومون وان الواجب عليهِ اغاثتهم لدفع الظلم عنهم

فلما علم غرضنا (وظهر لنا انهُ لم يكن يجهل امر المقطم قبل تشرفنا بمقابلتهِ) شدد عزائمنا في القيام بخدمتنا حسبما نقضي بهِ ذمتنا وحسبما يقتضيهِ شرف الصحافة صناعتنا . وكل ذلك بعبارات منتقاة ومعانٍ سامية كان لها احسن وقع في نفسنا . ثم تنفس الصعداء وقال اننا نُتَّهم في هذه الايام بمقاومة الدستور وعداوتهِ ولا ادري بأيّ وجه حق تجوز علينا هذه التهمة لاننا في الاصل من امة قد غرس حب الدستور في طبيعتها فصار يجري في دمائها ويتوارثهُ الابناء عن الآباء بالفطرة وزد على ذلك اننا ابناء كنيسة قد اشتهرت على مر الايام والاعوام بانها دستورية النظام وليس دستورية فقط بل دستورية ديمقراطية ايضاً . فكيف يمكن ان نكره الدستور او ان نعاديهُ حتى نتهم باننا اعداؤُهُ والمقاومون لهُ . ألا إن الذين يتهموننا بمقاومة الدستور وبالانتصار للاستبداد ويتباهون بانهم اعوان الدستور وحماتهُ هم في الواقع ابعد الناس عن جادة الدستور واقلهم عملاً بمقتضاه واشدهم استبداداً . لانهم يريدون ان نقول في كل شيء قولهم وان نرى رأيهم وان لا نجري الاَّ على هواهم ومرادهم . واذا تمتعنا عن ذلك او ابيناهُ لم يحاولوا ان يقنعونا بهِ بالبرهان والدليل او ان يحملونا على قبولهِ باظهار وجوه الفضل والصواب فيهِ بل قاموا يتوعدوننا ويتهددوننا ويجبروننا على مجاراتهم في آرائهم واهوائهم والجري على مشيئتهم ورغبتهم بالضرب والقتل والسجن والتعذيب واقبح وسائط لاستبداد . فلا ادري كيف يحسبون بعد هذا انهم انصار الدستور ويدعون اننا اعوان الاستبداد

لا احد ينكر انهُ يحق لكل حكومة ان تحافظ على كيانها وتدافع عن نفسها وتقمع كل فتنة او ثورة عليها ولم اكن قطُّ لاعترض انا او غيري على سعي الحكومة العثمانية في قمع كل ثورة تبدو من الارروام واحباط سعي كل من يكيد منهم لها او يتآمر عليها . وانما اقول انهُ يجب اولاً اثبات حصول الثورة او وقوع المكيدة والمؤَامرة . وبعبارة أُخرى انهُ اذا شاع حدوث ثورة او مكيدة يجب قبل كل شيء التحقيق الدقيق لمعرفة ما اذا كان حدوث الثورة او المؤَامرة صحيحاً او غير صحيح واذا كان صحيحاً فلمعرفة الداخلين فيها من المتهمين ومحاكمتهم ومعاقبتهم حسب نص القوانين ولمعرفة الذين لا دخل لهم فيها من المتهمين وتبرئتهم وعدم معاقبتهم

هذا الذي نطلبهُ من الحكومة العثمانية باعتبار كونها دستورية ذات نظامات ومحاكم وقوانين وهو واجب على كل حكومة دستورية واذا حادت عنهُ ولم تراعهِ لم يجز لها ان تدعي انها دستورية

فالذي حصل فعلاً في امر الذين اتهموا بالثورات او المؤامرات من الاروام العثمانيين لم يكن كذلك بل رأينا العساكر ترسل عليهم بمجرد شيوع خبر التهمة وتعمل سلاحها فيهم وتدير ايديها بالسلب والنهب في منازلهم وتستحلّ ما لا يحلّ وتستبيح ما لا يباح في معاملتهم قبل ان يجري تحقيق او تثبت تهمة او يعرف المذنب من البريء . فهذه الافعال ليست افعالاً دستورية بل هي افعال قلت لذوي الشان عنها انها وحشية بربرية لان كل ما تفعلهُ الحكومة الى حد التحقيق جائز لها ولا يجوز لاحد انكارهُ عليها • واما في ما وراء ذلك فلا يجوز لها ان تخطو خطوة ولا تفوه بحكم ولا تمد يداً الى احد الاّ بعد التحقيق ومعرفة البريء من الاثيم

واطال غبطتهُ بهذا المعنى • فقلنا وأي الروم تعنون غبطتكم أروم ايفالي في ولاية ايدين قال اني اعني هؤلاء وغيرهم في كل البلاد فان الاخبار التي تأتينا من كل جهة تدل على ان الناس يعاملون هذه المعاملة فيها . ثم امر الترجمان ان يعطينا صورة من الشكاوي والتقارير المرفوعة الى بطريركية الفنار • وقد تصفحناها فاذا هي حاوية اخبار ما اصاب الاروام من ضرب العساكر لهم وسجنهم وتهديد الرعاع بقتلهم ونهب منازلهم في ايفالي وما جاورها وكذلك اخبار الذين حكم عليهم ديوان الحرب بالسجن والعقاب لامور لا تعد جرائم ولا يعاقب الناس عليها في بلاد دستورية

وورد في تقرير منها ان عزيز بك القومندان العسكري الذي اتى ايفالي في ٦ يونيو الماضي قال لمطرانها انكم انتم ايها المطارنة ورجال الاكليروس عموماً تطمعون بالجامعة اليونانية وتعللون النفس بها وتحرضون الاهالي عليها بتعليمكم لهم مع ان الواجب عليكم هو ان تقتصروا على اتمام واجباتكم الدينية وان تزيلوا الحاجز الذي تقيمونهُ بيننا وبينكم فضعوا عقولكم في رؤوسكم واعلموا اننا اعدمنا خمس مئة نفس من الصفناء المتعصبين مثلكم في الاستانة فاحترز لنفسك مني • وكرر الوعيد ست مرات فتنصل المطران مما يتهم بهِ واحتج على ذلك الكلام • لكن عزيز بك لم يحفل بكلامهِ وقال انكم تظنون ان اوربا تدخل في مسألتكم وانكم تخرجون فائزين - نعم اننا نخسر ولكننا لا نترك لكم قبل ذلك اثراً ينظر • فارجعوا عن تعصبكم وكفوا عن بث البغض في صدور بني جنسكم للعناصر الاخرى والاّ فعلت كيت وكيت مما لا فائدة من ذكرهِ ولا غرض في ايرادهِ وانما ذكرنا ما تقدم ليعلم القارىء مقدار التأثير الذي تؤثرهُ تلك الشكاوي في من ترفع اليهِ

وقال غبطتهُ ايضاً حدثت مسألة كريت هذه الايام وما منا من يقول انهُ يجب علينا ان

نرضى بفصل جزءٍ من املاك السلطنة عنها والحاقهِ بغيرها ولا يهون ذلك على احد من العثمانيين لكنا لزمنا السكوت في هذه المسألة علماً منا ان امرها قد خرج من ايدينا وبات في ايدي الدول من زمان طويل وانهُ لا يجري فيها غير ما يقر عليهِ قرار الدول مهما اكثرنا من القول والوعيد والابراق الارعاد . واما رجال الاتحاد والترقي فلم يشاؤوا ان يفعلوا فعلنا بل قالوا واعترضوا كثيراً واحتجوا طويلاً . وماذا كانت النتيجة من ذلك كلهِ أغيّر قرار الدول ام رد الى الدولة شيئاً كان قد تقرر اخذهُ منها وفصلهُ عنها . فلا فائدة اذاً من صياحهم كما انهُ لا ضرر من سكوتنا ولكنهم لا يقفون عند هذا الحد بل يتخذون سكوتنا دليلاً على اننا نكرهُ الدولة ونبغض الدستور ونطلب ان تؤخذ املاك الدولة العثمانية منها وتعطى لغيرها . وليس في هذا الاستدلال وجه حق ولا انصاف

اننا لا نكره الاتفاق ولا نقاوم الدستور . ولكن رجال الاتحاد والترقي يرمون الى غرض لا يمكننا ان نوافقهم عليهِ ولن نرضى ان نجاريهم فيهِ . فهم يقصدون ان يغلّبوا قوميتهم على قوميتنا وان يبتلع العنصر التركي سائر العناصر العثمانية حتى لا تكون الامة العثمانية مؤلفة من عناصر مختلفة ومتحدة معاً في جسم واحد لها حقوق واحدة وعليها واجبات واحدة بل تكون الامة العثمانية كلها امة تركية يبتلع العنصر التركي سائر العناصر ويهضمها حتى تصير منهُ ولا يبقى لها وجود الاَّ فيهِ . فلهذا يريدون ان يغلبوا لغتهم على لغاتنا حتى لا يبقى شان لسوى لغتهم وان يغلبوا كل شيء خاص بهم على ما لسواهم حتى لا يبقى في السلطنة العثمانية غير الامة التركية . ونحن الروم قد حافظنا على جنسيتنا ولغتنا وعاداتنا وخصائصنا وديانتنا كل هذه القرون ولن نوافق الترك كل دهرنا على ان نضيع ما حافظنا عليهِ ولن نصير منهم وان لا يبقى لنا كيان ولا وجود الاَّ فيهم

فقلنا حينئذٍ لسنا نظن يا سيدنا ان رجال الاتحاد والترقي يرتكبون هذا الخطاء بل لا بد ان يكونوا ادرى من غيرهم بان ما لم يفعلهُ الترك في اول حكمهم لا يمكنهم فعلهُ الآن بعد ان قوي امر العناصر كل هذا الزمان على اننا لو فرضنا انهم ارتكبوا ذلك الخطاء وقصدوا تغليب قوميتهم على قومية سواهم الآن نعدم نجاحهم مؤكد ولا خوف منهم من هذا القبيل لاننا اذا انعمنا النظر في طبائع العنصر التركي وخصائصهِ والقوى التي امتاز بها نجد انهُ لا يستطيع ذلك التغلب على العناصر الاخرى وابتلاعها وجعلها كلها منهُ وفيهِ ولاسيما في هذا العصر التي انتشر فيهِ العلم بين افراد كل عنصر

فلم يوافقنا غبطتهُ على قولنا هذا وقال ان هذا ما يقصدونهُ وانهم يستطيعون تغليب قوميتهم

على قومية سواهم اذا تركوا وشأنهم . وان هذا ما حدا بهم الى ترك المسائل الكبرى العمومية واصلاح ما تفتقر البلاد كلها الى أصلاحهِ وفتح المسائل الطائفية التي يقصدون بها سلبنا امتيازاتنا التي نتمتع بها منذ اول حكمهم والتعرض لنا في مدارسنا وتعليم ابنائنا . فقلنا ولكنهم هم يشكون من ان فتح هذه المسائل الطائفية كان من قبلكم ويتألمون لانهم يحسبون انكم تقصدون بها معارضتهم لكي تمنعوهم من الاصلاح وتسدوا امامهم سبل النجاح

فقال غبطتهُ اي مصلحة لنا نحن في جر البلية على انفسنا وكيف يعقل اننا نتحرش بهم لكي يتعرضوا لنا في مدارسنا وشؤوننا وينازعونا في امتيازاتنا . انما هم قصدوا ذلك وهم ساعون فيهِ وفي فصل قومنا عن كنيستهم وفي ابعاد قومنا عن بطريركهم ولكن هذا امر لا يتم لهم في عام وعامين بل لا بد لهُ من زمان طويل

فقلنا وما الذي تقصدون غبطتكم اذاً ان تفعلوهُ والحالة هذه . قال ان نحافظ على الحال الحاضرة بكل واسطة شرعية دستورية نستطيعها وان نقاوم بمثل تلك الوسائط كل سعي في ابتلاع عنصرنا وتلاشي قوميتنا

فقلنا وهل تظنون انكم تنجحون في سعيكم ومن يؤيدكم فيهِ

قال ان املنا وطيد بالنجاح ويؤيدنا فيهِ كثيرون من رجال الدولة العلية نفسها

فقلنا أمن رجال تركيا العجوز ام من رجال تركيا الفتاة . قال من الفريقين ثم انتقلنا الى بحث آخر

ولما انصرفنا جعلنا نقلب في نفسنا اقوالهُ والاقوال التي سمعناها من بعض رجال تركيا الفتاة فرأينا ان كل فريق يتهم الآخر بانهُ هو الذي يسعى في فتح المسائل الطائفية التي تؤدي الى الشقاق والخلاف الآن وان كل فريق يقول انهُ يسعى في دفع تعدي الفريق الآخر بالوسائط الشرعية والطرق الدستورية . فقلنا أليس ذلك دليلاً على ان الوهم والخطأ في الفهم هما اللذان وسعا شقة الخلاف بين الفريقين . وهل كان هذا الخلاف يدوم ويتعاظم لو قام محبو الصلح والسلام ووفقوا بينهما وجمعوا القلوب بربط المحبة والصفاء

لما اعلن الدستور ذهب العثمانيون الى بطريركية الفنار وقبلوا يد غبطة البطريرك وقالوا لهُ اقوالاً ادت الى تقبيلهِ لهم في جباههم وقولهِ لهم اقوالاً ما سمع العثمانيون الذ واطيب منها طول زمانهم ونسي الفريقان احقادهم . فلو دامت ربط الاخلاص هذه بدوام الانتباه وحسن السياسة أَمَا كانت تقينا شر هذه الاختلافات والعداوات وتوطد الدستور على اركان السلام والوئام

هذا ولا يخفي عن القراء الكرام ان ما رأيناهُ من تعاظم الجفاء واتساع شقة الخلاف بين الفريقين واعتماد كل منهما على الوقوف بالمرصاد للفريق الآخر ساءنا كثيراً ودلنا على ان الاصلاح الذي يتمناهُ العثمانيون سيكون سبيلهُ شاقًا جدًّا وزمانهُ طويلاً

(٩) الالبانيون والاسرائيليون

يقدر عدد السكان في تركيا اوربا اي في ولايات الاستانة وادرنة وسلانيك وموناستر وقوصوه واشقودره (بالبانيا) ويانيا ومتصرفية شاتلجه بنحو ستة ملايين وربع مليون نفس . ويقول الذين يوثق بقولهم ان ٧٠ في المئة من اولئك السكان ترك وروم والبان (اونوُد) وان هذه العناصر الثلثة متساوية في العدد هناك وعليهِ يكون عدد الالبان قريبًا من مليون ونصف كعدد الترك او عدد اليونان في ولايات اوربا . والذي يعلم ما اتصف بهِ العنصر الالباني من الشجاعة والاقدام يقدرهُ قدرهُ من العناصر المؤلفة للامة العثمانية لاسيما وان هذا العنصر وان يكن قديم عهد بين العناصر العثمانية لا يزال في عهد السذاجة الفطرية ولم يبلغ من النشوء والارتقاء شأواً يذكر في قواهُ العقلية والادبية

وقد سمعنا بعض الباحثين يقولون ان هذا العنصر لا بد وأن يرتقي ارتقاء عظيمًا في كل جهة تتجه اليها قواهُ وهم ينتظرون ان يكون لهُ شأن خطير بين العناصر العثمانية وغيرها من الامم المجاورة

ومن غريب ما أخبرنا عنهُ ونحن في الاستانة انهُ وان كان تعدد الاديان والمذاهب قد تطرق اليهِ كما تطرق الى سواهُ فاصبح فيهِ المسلمون والمسيحيون واصبح المسيحيون ارثوذكسًا وكاثوليكًا لكن الاختلاف في الاديان والمذاهب لم يفرق بين طوائفهِ قدر ما فرق بين طوائف العناصر الاخرى بل ان صلة القربى وجامعة النسب لا تزالان غالبتين عندهم على جامعة الدين ولاسيما في الجهات الوسطى والشمالية من بلادهم . فترى المسلم يقول هذا ابن عمي ولو كان ابن عمهِ مسيحيًا والمسيحي يقول كذلك . وترى المسيحي يتزوج بالمسلمة كما يتزوج المسلم بالمسيحية . وهذا مخالف لما كنا نقرأهُ عنهم في تاريخهم فقد ورد في التاريخ ان الارنؤوط كانوا كلهم مسيحيين وظلوا كذلك حتى مات آخر بطل من رؤَسائهم واسمهُ اسكندر بك سنة ١٤٦٧ وبعد ذلك اخضعهم الترك واسلم كثيرون منهم وقام هؤُلاء المسلمون الى الذين لم يسلموا من عشائرهم وعاملوهم بالشدة والقسوة وفتكوا بهم بلا شفقة وتأصلت العداوات بينهم من ذلك الحين

ولكن يظهر ان معاهدة برلين لمت شعثهم وجمعت بين المسلمين والمسيحيين (المردة) في الشمال ثم بينهم وبين سائر الارنؤوط في الثورات المتعددة التي ثاروها لمنع اهل الجبل الاسود واليونان من اخذ ما تقرر في معاهدة برلين ان يأخذوا من بلاد الالبان .

والظاهر ان اكثر ما كان من الاختلاف بينهم بسبب اختلاف رؤساء عشائرهم زال الآن وانهم وجهوا عنايتهم الى الاتحاد والالتئام في عهد الدستور . ولكن لم يتيسر لنا ونحن في الاستانة ان نقابل منهم من يكشف لنا حقيقة الحال عندهم ويوضح آراءهم او اميالهم من جهة النهضة الدستورية الحالية . وانما لحظنا من خلال الاقوال التي كنا نسمعها ان للجماعات من الالبانيين كلمة نافذة في ما يجري الآن في الدولة . وان لهم في جمعية الاتحاد والترقي مراعاة واعتباراً . وانهُ بعد ما اخمد جاويد باشا الثورة التي ابتدأت في اماكن من بلادهم يؤمل ان يخلدوا الى السكون وان يستمالوا بحسن السياسة وكف الظلم عنهم الى مجاراة سائر العناصر العثمانية في الاصلاح والارتقاء . ولكن الذين يناط بهم اصلاح الامور لا يمكنهم ان يغمضوا الاجفان عن مراقبةُ احوالهم واميالهم لان مثلهم على ما يظهر مثل الواقف على المحور فيمكن ان يميل الى الدولة اذا مال المحور الى تلك الجهة كما يمكن ان يميل عنها اذا مال الى الجهة الاخرى . وهذا ما يقتضي ان يحسب حسابهُ في الحل والعقد والنقض والابرام حتى يكون كل ذلك بمقدار ولا يخرج الارنؤوط عن حد الرضى والاتفاق

بقي علينا ذكر عنصر آخر من العناصر العثمانية التي لابدَّ من ان يحسب لهُ شأن في النهضة الدستورية وهو العنصر الاسرائيلي ويقدر ان عددهُ يبلغ نحو نصف مليون نفس في تركيا اوربا وتركيا اسيا . لكن يهود الاستانة فاقوا سواهم يوم الاحتفال بعيد الدستور بموكبهم ومظاهر سرورهم بالدستور وقد اخبرنا انهُ لما زحف جيش الحرية على الاستانة للدفاع عن الدستور كان بين المتطوعين من اهل مكدونية عدد غير قليل من الاسرائيليين فقاتلوا هم واخوانهم المتطوعون المسيحيون قتال الابطال في الدفاع عن الدستور كما شهد لهم باخوانهم المتطوعين المسلمين وقد كان بين المندوبين لابلاغ عبدالحميد خبر خلعهِ اسرائيلي من اعضاء مجلس المبعوثان . ويقال ان للاسرائيليين كلمة في جمعية الاتحاد والترقي بسلانيك وان جماعة اسرائيليي الاصل يسمون بالدنمه بيدهم اهم تجارة سلانيك وانهُ قام من هؤلاء الدنمة اشهر الماليين العثمانيين في عهد الدستور

ومهما يكن من هذه الاقوال فالظاهر ان رجال الدولة الحالية يثقون بصدق ولاء الاسرائيليين العثمانيين للدستور وانهُ سيكون للاسرائيليين شأن في عهد الدستور غير الشأن

الذي كان لهم في ايام الظلم والاستبداد . ولذلك لا يبعد ان تكثر مهاجرة اخوانهم الغرباء الى البلاد العثمانية واستعمارهم الاراضي البائرة الآن كقفار العراق وغيرها من الجهات التي ليست آهلة بالسكان —

فالبيان الذي ذكر في هذه المقالة والمقالات السابقة اولاً عن رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز وثانياً عن العناصر العثمانية وآرائها واحوالها واميالها يجلو للقارئ بعض ما يعترض في سبيل الاصلاح . وبعض ما يساعد ايضاً على النجاح . وكان الواجب لاستيفاء الكلام على العناصر العثمانية ان نذكر الدروز والاكراد ايضاً . ولكن الدروز يتمشى عليهم اجمالاً ما قلناهُ عن العرب لانهم يعدُّون منهم في ما نحن بصددهِ وكذلك الكرد يمكن ان يعدوا في عداد الترك او العرب حسب موقع بلادهم . وسنبدي رأينا الخصوصي في الحالة في مقالة تالية ثم نختم مقالاتنا عن زيارة الاستانة بنظرة عمومية في الاستانة واهلها وضواحيها والله المستعان

العنكبوت

حقيقة في فكاهة

دخلتُ غابة باسقة الاشجار ملتفة الانجم يجري فيها نهر متعرج . فلما وصلت اليهِ شاهدت على احدى ضفتيهِ عنكبوتاً سمراء اللون جالسة على حجر تنظف وجهها بيديها كما يفعل الذباب وهي نحيفة خائرة القوى . فرأيت ان افضل ما افتتح بهِ الحديث معها السؤَال عن صحتها فقلت لها اراكِ منحرفة المزاج. فما يؤْلمكِ

فقالت اني مريضة وخائفة وقلقة

فقلت ما الخبر ولم يخطر ببالي قط ان عنكبوتاً مثلكِ تمرض وتخاف وقد خصصتِ بقوة لم يخص بها سواكِ

فقالت وهذه احدى البليتين فان الناس يظنون الظنون و يستنتجون النتائج من مقدمات فاسدة لا تنتج شيئاً ومع ذلك فاني اظن ان قصتي تفتح عينيك فترى الامور على حقيقتها . أتعلم اننا نحن معشر العناكب من اكثر المخلوقات اجتهاداً واوسعهم حيلةً فنحن اول من طار في الهواء بغير جناح . نعم ان الخفافيش تطير ولا جناح لها ولكن بين قوائمها وظهرها اغشية

رقيقة كالاجنحة ومثلها السناجيب الطيارة اما نحن العناكب فليس لنا اجنحة ولا اغشية ومع ذلك تمكنّا من ركوب الهواء ولم يشاركنا في ذلك الاّ الانسان لكننا سبقناه بقرون كثيرة – قل لي متى استطاع قومك الطيران

نقلت سنة ١٧٠٩

فقالت هكذا ظننت اما نحن فقد ركبنا الهواء قبل عصر العمران واليك شرح قصتي — حدث منذ سنتين ان امي كانت جالسة في قعر بيتها فاتاها الطلق وجعلت تبيض بيضها واحدة بعد الاخرى وظلت تبيض الى ان بلغ عدد ما باضتهُ ذلك اليوم ثلثمئة بيضة وخافت ان تتفرق البيوض فلا يعود لها سبيل اليها فجعلت تغزل الخيوط من مغازلها وهي ست انابيب في ذنبها تفرز الخيوط الحريرية الدقيقة التي تسمونها نسيج العنكبوت وتضربون بها المثل في الوهن لدقتها وهي لو جُمعت بعضها مع بعض لصارت امتن من اسلاك الحديد فافرزت كثيراً من هذه الخيوط ولفت بيضها بها وكرّرت لفهُ حتى صارت البيوض كلها كرة كبيرة تحيط بها خيوط صفراء كالزغب الواهي او كريش النعام . ولما تمّ لها ذلك حملت هذه الكرة بين فكيها وخرجت من بيتها قاصدة ان تصعد بها الى مكان عالٍ لا يصل اليهِ ماء النهر اذا فاض في الشتاء . وبعد تعب كثير وجهد عنيف وصلت الى مكانٍ عالٍ ووضعت بيوضها في ثقب غائر بين الصخور ثم عادت الى بيتها على ضفة النهر . ولو رآنا احد انا واخواتي في ذلك اليوم والايام التالية لظننا بزوراً دقيقة اجتمع عليها زغب الحرير ومع ذلك لم نخلُ دقيقةً من الخطر ففي ذات يوم زارنا طائر قبيح المخبر ولو لم يكن قبيح المنظر مبرقش بالزرقة والصفرة لكي يخفي شراسة اخلاقهِ وجعل يفتش بين الشقوق والنخاريب ويستخرج الديدان والحشرات منها ويأكلها ولحسن حظنا كانت امنا قد اخفتنا في نقرة عميقة فلم يهتدِ الينا . ومرّ بنا فصل الشتاء ونحن بيضٌ ثم خرجنا من بيوضنا في الربيع ولم نخرج منها ديداناً بل خرجنا عناكب دفعةً واحدة وهذا امر يستحق الاعتبار فان الفراش والنحل والخنافس تخرج كلها ديداناً صغيرة ثم تصير زيزاناً قبل ان تبلغ درجة الكمال اما نحن فممتازات عليها كلها لاننا نخرج من البيض عناكب كاملة كما يخرج اصدقاؤُنا الجنادب . خرجنا من بيوضنا ولكننا كنا صغاراً كرؤُوس الدبابيس ولما خرجنا لم نستطع ان نرى الاشياء واضحة لاننا كنا محاطات باغشية رقيقة صيانةً لنا كما تصان الجواهر في اكياسها . ولقد كنتُ اول ـــ من مزّق كيسهُ وخرج منهُ فلما انجلت عيناي ذهلت عن نفسي بما رأيتهُ حولي من اتساع الوادي الذي كنا فيهِ وكبر كل ما حولي بالنسبة اليّ فكنت ارى النبتة الصغيرة فاحسبها شجرة كبيرة لكنني شغلت عن ذلك حالاً

بما رأيتهُ حولي من كثرة اخواتي اللواتي خرجنَ من بيوضهنَّ مثلي وبينما انا انظر اليهنَّ سمعت صوتاً يخاطبنا بلهجة الآمر الناهي فالتفتُّ واذا المتكلم عنكبوت كبيرة جالسة في باب بيتها وهي امنا فاصغينا اليها فقصت علينا خبر ما اصابها من العناء بسببنا اما انا فلم يذهلني خبرها قدر ما اذهلني شيءٌ رأيتهُ تحتها وهو كأنهُ عنكبوت ميتة فلما اتمت حديثها قلت لها ما هذا الذي اراهُ تحت اقدامكِ يا اماه

فقالت هذا ابوك ياولدي

فقلت ولكنني اراهُ ميتاً لاحراك بهِ

فتبسمت وقالت نعم هو ميت فقد انقضت ايام الافراح ولم يعد لي بهِ ارب فقتلتهُ ومصصت دمهُ ولم يبقَ منهُ الاّ جلدهُ وساجعلهُ فراشاً لي وهو فراشٌ وثير في ليلة ندية مثل هذه

فقلت لها هل اتزوج متى كبرت وآكل زوجي

فقالت لا لانك انت ذكر يا ولدي وستأكلك زوجتك كما أكلتُ انا اباك . ولا تدنُ مني الآن لاني احياناً آكل اولادي ايضاً

هذا اول نبإٍ سمعتهُ في حياتي فما اتعس هذه الحياة هل نتصور حياةً اتعس منها

فقت لهُ بعد ان عرفت انهُ ذكر الآن عرفت لماذا انت خائف كاسف البال ولكن لك اسوة بنا فكم من رجل منا اكلتهُ زوجتهُ

فقال ألا تريد ان تسمع تتمة قصتي

فقلت بلى هاتِ ما عندك

فقال حالما انبأتنا امي انها تأكل اولادها اطلقت ارجلي للريح وهربت من وجهها نازلاً نحو النهر حتى وصلت الى مائهِ فوجدت انني استطيع ان امشي على الماء كما امشي على اليابسة فسررت بذلك جداً

فقلت لهُ هذا امر لم اكن اعلمهُ

فقال انك لا تعلم مقدار ما نستطيعهُ اذا اضطررنا اليهِ . نعم ليس كل العناكب تستطيع ذلك ولكن بعضها يستطيعهُ وانا منهم ومن انسبائنا نوع يغوص في الماء ويسكن في فقاعة من الهواء ونوع يثب على الارض مثل القنقر ولا غرابة في مشينا على الماء فان بيننا وبين السراطين نسباً ولو كان بعيداً

فقلت لهُ اصبت فانك تشبه السرطان في شكلك

فقال نعم ولكن السرطان لا يكتفي بثماني ارجل مثلنا بل لهُ عشر ارجل ولماذا تقطع عليَّ الحديث دعني اتم قصتي . لما رأيت انني امشي على وجه الماء بادرت الى اقرب قصباء واخذت انسج بيتًا لنفسي لكي اجعلهُ مصيدةً للذبان وقبل ان اتممتهُ مشيت على قصبة فوجدت عليها حشرات صغيرة خضراء اللون خالية من الاجنحة فقبضت على واحدة منها والتهمتها فلستبطتها فجعلت التهم الواحدة بعد الاخرى حتى انتفخ بطني وشعرت كأنهُ كاد ينشق

فقلت لهُ كيف كنت تلتهمها أكنت تبلعها بلعًا

فقال كلاَّ بل كنت اشق ظهرها من بين كتفيها وامتص دمها فلا ابقي في جسمها شيئًا غير جلدها . ولما شبعت عديتَ الى بناء بيتي فاتممتهُ وجلست فيهِ اترقَّب وقوع الذباب فوقع فيهِ ذباب كثير فاكلت وسمنت جدًّا حتى كنت اضطر ان اخلع جلدي مرارًا لانهُ لم يعد يسعني وكثيرًا ما كانت تنقطع يد او رجل مني وقت خلعهِ

فقلت كيف ذلك اوَلم يكن قطعها مؤلمًا حتى تتكلم عنهُ بدم بارد

فقال بلى كنت اتألم نوعًا ولكن نحن العناكب لا نتألم مثلكم ولا مثل الديدان فاذا انقطعت رجل من ارجل الدودة ماتت حتمًا واما نحن العناكب فاذا قطعت رجل من ارجلنا نبتت لنا رجل اخرى بدلاً منها وقد قطعت اثنتان من ارجلي فنبت لي غيرهما . ولا داعي للاطالة في تاريخ حياتي عند ذلك النهر فادعهُ واقص عليك قصة غيَّرت مجرى اموري . كنت ذات يوم جالسًا في بيتي اتردد على بابهِ داخلاً خارجًا لعلي أُلفت اليَّ ذبابةً كبيرة واقفة على قصبة امامي وبينما انا انظر اليها واتأمل جناحيها اذا بالجناحين سقطا عن بدنها بغتةً واذا بتلك الذبابة قد صارت بعد وقوع جناحيها نملة كبيرة كاقبح ما يكون من النمل

فقلت لهُ الاَ تعلم ان ملكات النمل يرمين اجنحتهنَّ بعد زواجهنَّ

فقال كلاَّ لم اكن اعلم ذلك فوقفت مدهوشًا وقبل ان افيق من دهشتي جعلت النملة تناجي نفسها وتقول هلا هلا لقد كان الواجب عليَّ ان اعرف ان جناحيَّ يسقطان اليوم فلا ابقى هنا فوق الماء ولولا هذا القصب وامكان المشي عليهِ الى البر لقضي عليَّ . ما هذا امامي هذه عنكبوت اذاً آخذها معي الى قريتي وآكلها على مهلي

وانت تعلم ما حاق بي حينئذٍ فرميت بنفسي من بيتي الى الماء واخذت اسبح بكل جهدي ولم ابعد الاَّ خطىً قليلة حتى رأيت حركةً عنيفة في الماء فالتفت واذا انا بخنفسة كبيرة من خنافس الماء وقد رفعت ذبانتيها وجدَّت في اثري سباحةً . ونظرتُ امامي اريد الهرب واذا انا بدودة كبيرة من الدود الذي يتكون منهُ زنبور التنين وعيناها كمصباحين متقدين فسدَّت في

وجهي مسالك الماء واليابسة ولم يبقَ امامي الأ الهواء فوثبت الى ورقة من ورق زنبق الماء ولجأت الى سليقة اسلافي وافرزت من مغازلي الستة التي في ذنبي ستة خيوط حريرية دقيقة فاتحدت معاً وطارت في الهواء خيطاً واحداً برّاقاً كالبلور فتشبثت بهِ وطرت بمجاري الرياح التي كانت تمددها حرارة الشمس وتوسل بها صعداً ثم عبث بي النسيم فحملني الى حرجة من الصنوبر وسار بي فوقها وفوق السهول المجاورة لها ورأيت في طريقي كثيرات من اخواتي راكبات بالوناتها وسائرات بين الارض والسماء ولكني رأيت طيوراً صغيرة من النوع المعروف بالسنونو تنقضُّ عليها وتخطفها فقلت ويلاهُ حتى في الهواء لا نسلم من الاعداء ومن اراد السلامة لم يجدها ولو اتخذ لها نفقاً في الارض او سلماً في السماء . فاطلت خيطي وجعلت اهبط رويداً رويداً الى ان وقعت على بعض الهشيم ولم أكد اصل اليهِ حتى رأيت زنبوراً كالتنين واقفاً في انتظاري . ونحن العناكب لانخاف من الزنابير اذا كنا في بيوتنا بل نحتال عليها وننسج حولها خيوطنا حتى نمنعها من الحركة ثم نمص دمها وهي كبيرة كثيرة الغذاء فنقتات بها اياماً واما اذا رأتنا خارج بيوتنا فانها تنتقم منا فيهجم الزنبور على العنكبوت ويقبض عليها بفكيهِ ويحملها الى بيتهِ ويأكلها دفعةً واحدة ولا مأرب لي بذلك ولم تخنِ الحيلة فقطعت خيطي وارتميت في الهشيم كقطعة من الحجر فوصلت الى اسفلهِ وقد شلَّ الخوف اعصابي .

وابرقت السماء وارعدت تلك الليلة وسقط بَرَد كبير وقمت في الصباح واذا الريح تهب باردةً والسماء مغطاة بالسحب فصغرت نفسي فيَّ وشعرت بوحدة ووحشة فصعدت على رأس الشجيرة التي كنت فيها وافرزت الخيوط من مغازلي وصعدت بها الى الجو فساقتني الرياح ورمتني على ضفة النهر في المكان الذي قضيت فيهِ زهرة صباي . واعتدل الهواء حينئذٍ وكنت قد بلغت اشدي فتاقت نفسي الى زوجة تكون معي

فقلت مالكِ وللزوجة وانت تعلم عاقبة امرك معها

فقال ما العمل والحب قهّار فتزوجت وقضينا شهر العسل والآن حُمَّ القضاء

قال ذلك وهو ينظر يمنةً ويسرةً كالمستجير . وبينما هو كذلك واعضاؤُهُ ترتجف خوفاً وانا انظر اليهِ مدهوشاً خرجت عنكبوت كبيرة من الغار ووثبت عليهِ فحاول دفعها عنهُ ولكنها امسكت بهِ وخطفت انفاسهُ وفي اقل من خمس دقائق تركتهُ جلداً خاوياً . انتهى عن الانكليزية بتصرُّف

معجم الحيوان

(تابع ما قبله)

الزُّمَّج . العجز Aquila chrysætus. E. Golden eagle
F. Aigle doré, aigle fauve

نوعٌ من العقبان يعرف عند الافرنج بالعقاب الذهبية وكان العرب والعجم يصيدون بهِ كما جاء في كثير من مؤلفاتهم ففي المخصَّص عن ابن دريد « الزُّمَّج ذكر العقبان وقيل هو جنسٌ من الطير يصاد بهِ » وعن صاحب العين « الزُّمَّج طائر دون العقاب في قِمَّتهِ حمرة غالبة للقمة تسميهِ العجم دو برادران » (اي الاخوان) .وفي حياة الحيوان « الزُّمَّج مثال خُرَّد طائر معروف يصيد بهِ الملوك الطير واهل البزدرة يعدُّونهُ من خفاف الجوارح وذلك معروف في عينهِ وحركتهِ . . . والمحمود من خلقهِ ان يكون لونهُ احمر وهو أحد نوعي العقاب . . . قال ابو حاتم [1] انهُ ذكر العقاب وقال الليث الزمج طائر دون العقاب حمرتهُ غالبة تسميهِ العجم دو برادران وترجمتهُ اذا عجز عن صيدهِ اعانهُ اخوهُ على اخذهِ » . ولا يخفى ان جوارح الطير اناثها اكبر من ذكورها واقوى منها جناحاً وكان اهل البزدرة يفضلون الاناث على الذكور من البزاة والصقور والشواهين لكنهم كانوا يصيدون بذكور العقبان لان اناثها قوية جداً وصعبة المراس . قال السيد محمد المنكلي [2] « من استعمل العقاب بغير معرفة خشي عليهِ من العطب فانهُ مع الرجل الواحد الذي ليس معهُ رفيق عدو قوي . حدثني ناصر الدين الكردي ان شخصاً من الغواة الصيادين كان معهُ عقاب فرماهُ على طريدة ففاتته وكان صاحبهُ اذ ذاك فارساً فطار العقاب وانقضَّ على صاحبهِ فالقاهُ عن فرسهِ » . ولذلك قال بعضهم ان الزمج طائرٌ دون العقاب والبعض الآخر انهُ ذكر العقاب وكلا القولين قريبٌ من الصواب

(١) لابي حاتم كتابٌ في الطير لم اقف عليهِ ويظهر من الاقوال المأخوذة عنهُ في كتب اللغة انهُ من التآليف النفيسة وقد اخبرني الاستاذ الشيخ طاهر المغربي ان في الاستانة نسخة مخطوطة منهُ فعسى ان احمد بك زكي يأتي بنسخةٍ من هذا الكتاب مع غيرهِ من الكتب التي شرع في استنساخها هناك

(٢) كتاب انس الملا بوحش الفلا للسيد محمد المنكلي كتبهُ في ما يظن في القرن العاشر من التاريخ المسيحي وهو مطبوع طبعاً سقيماً في باريس وفيهِ اغلاط كثيرة اكثرها تحريف عن الاصل وتوجد نسخة مخطوطة منهُ في الكتبخانة الخديوية . والكتاب يبحث في الصيد والبزدرة ولم ارَ بحثاً في هذا الموضوع في المؤلفات العربية سوى في هذا الكتاب وكتاب الاعتبار لمؤيد الدولة اسامة المعروف بابن منقذ كتبهُ في القرن الثاني عشر المسيحي

اما العجز فقد جاء عنهُ في المخصص انهُ « طائر يضرب الى الصفرة يشبه صوتهُ نباح الكلب الصغير يأخذ السخلة فيطير بها من عظمهِ ويحتمل الصبي الذي بلغ سبع سنين ونحوها ويصيد القِرَدَة والوبار ويأخذ غثرة الطير قال ابو حاتم اظنهُ الزمجة »

Circætus gallicus. E. Short-toed eagle
F. Aigle-busard, circaète.

﴿ الصرّارة ﴾

نوعٌ من الجوارح يأكل الحيات ويعرف في الشام بابي صوي · قال ابو حاتم « الصرّارة عقاب عظيمة كدراء تضرب الى التوشيم ولا تصيد غير الحيات » (المخصص) · فوصف الصرّارة ينطبق على هذا النوع من العقبان وهو كثير في الشام ولعلها سميت بذلك من الصرّ أي التصويت وهو سبب تسميتها بابي صوي ايضاً عند عامة اهل الشام

Serpentarius Secretarius. E. Secretary bird
F. Secrétaire, serpentaire

﴿ الكاتب ﴾

نوعٌ من الجوارح يأكل الافاعي ويوجد في اواسط افريقية وجنوبها ويعرف في السودان بالحبيب وفي الحبشة بفرس الشيطان · اما تسميتهُ بالكاتب فعن المقتطف (مجلد ١٨ صفحة ٤٥٦) وهو تعريب الاسم الافرنجي · وقد سمي هذا الطائر في دائرة المعارف بابي صوي والحقيقة ان ابا صوي هو الطائر المذكور آنفاً فالكاتب لا يوجد في الشام بل في افريقية فقط

ومن المحتمل ان الكاتب كان معروفاً عند العرب ولعلهُ الشاهمرك او الشامرك او الشاهمرج (معرب شاه مرغ بالفارسية أي ملك الطير) · وزعموا انهُ يأكل الحيات (كتاب الحيوان للجاحظ ١ : ١٤ و ٤ : ٥٥ و ٦ : ١٢٤) · وقد جاء في الدميري ان الشامرك الفتى من الدجاج · وسماهُ الافرنج بالكاتب لان ريش قنبرتهِ يشبه ريشة الكاتب اذا وضعها فوق اذنهِ

Haliaëtus albicilla. E. Sea-eagle.
F. Aigle de mer, orfraie, pygargue.

﴿ عقاب البحر · الشَّميطة ﴾

نوعٌ من العقبان البحرية وهي بيضاء الذنب وأكلها السمك

ولم اقف على اسم عربي لهذا الطائر لا في كتب اللغة ولا في غيرها من المؤلفات العربية. فعقاب البحر تعريب الاسم اليوناني والشميطة هي الاسم الذي يعرف بهِ هذا الطائر في بعض انحاء القطر المصري واظنها في الاصل العقاب الشميطة او الشميطة الذنب واللفظة فصيحة

في محيط المحيط « طائرٌ شميط الذنابى أي اشعلها » والشعل البياض وهذا الوصف يصدق على العقاب البحرية كما يفهم من اسمها الآخر اليوناني Pygargos

قلت ان هذا الطائر يعرف بالشميطة عند بعض المصريين وقد اخذت ذلك عن كتاب طيور مصر والشام لسافيني حيث قال ما تعريبهُ « ويسمى هذا الطائر الشميطة عند المصريين المقيمين على شواطئ بحيرة المنزلة وبحيرة البرلُّس ويطلق هذا الاسم ايضاً على كاسر العظام في بعض الاماكن الاخرى (1) »

ولعل هذه العقاب تسمى العجزاء عند العرب في محيط المحيط « العجزاء من العقبان القصيرة الذنب والتي في ذنبها ريشة بيضاء والشديدة دابرة الكف » وفي المخصص « العقاب العجزاء اذا كان في ذنبها ريشة بيضاء او ريشتان وقيل هي الشديدة الدابرة » واللفظة قريبة المعنى من pygargos اليونانية أي الابيض العجز ومنها pygargue بالفرنسوية

بعد ما نشرت مقالتي عن كاسر العظام في مقتطف يوليو من هذه السنة وقفت على مقالة للاب انستاس الكرملي في هذا الموضوع تقريباً (مجلة المشرق ٣ : ٧٣٢) وهي كغيرها من مقالات الاب انستاس حافلة بالفوائد العلمية والمباحث الدقيقة لكني اخالفهُ في ترجمة كاسر العظام والمكلفة فهما Gypaetus وليس Haliaetus كما يتضح مما يأتي

اولاً — لا خلاف في ان كاسر العظام هو المسمى Phene عند اليونان و Ossifraga عند الرومان وقد اجمع المحققون من علماء الافرنج على انهما الطائر المعروف عند العلماء في يومنا باسم Gypaetus barbatus (راجع لفظة Phene في المعجمات الفرنسوية و Ossifrage في معجمات الكتاب المقدس) وقد ذكر سافيني في كتاب طيور مصر والشام اسماء هذا الطائر من زمن هوميروس الى ايامهِ واوصلهُ البحث الى انهُ الطائر المعروف باسم Gypaetus barbatus عند العلماء وكاسر العظام عند العرب . ولا انكر ان كثيرين من الافرنج اطلقوا لفظة Ossifraga على عقاب البحر ايضاً لكنهُ خطأ وقد اشار الاب انستاس الى ذلك . اما اشتقاق لفظة Orfraie الفرنسوية من Ossifraga فلا نقدر ان نتخذهُ دليلاً على انهما طائر واحد فلفظة Osprey الانكليزية مشتقة منها ايضاً لكنها تطلق على طائر آخر لا هو هذا ولا هو ذاك بل المسمى Pandion haliaetus عند العلماء و Balbuzard عند الفرنسويين

(1) Description de l'Egypte, tome XXIII

ثانياً — ورد ذكر العقبان في التاريخ الطبيعي لبلينوس الروماني وقال عن عقاب البحر وكاسر العظام ما تعريبهُ «بقي عقاب البحر Haliæetus وهي حادة البصر ترفوف في السماء حتى اذا رأت سمكةً في الماء لنقضت عليها وشقّت الماء بصدرها واخذتها» . ثم بعدهُ ما تعريبهُ «وذكر بعضهم نوعاً آخر من العقبان يعرف بذي اللحية وهو كاسر العظام التوسكاني» (الكتاب العاشر الفقرة الثالثة) . فتجد انهُ لقب كاسر العظام بذي اللحية وهو يعرف بهذا الاسم ايضاً عند العلماء لان لهُ ما يشبه اللحية ويسميهِ عرب السودان ابا ذقن كما ذكرت في مقالتي السابقة .

ثالثاً — قال الاب انستاس ما نصهُ «ومن اسمائهِ كاسر العظام وكذلك معنى اسمهِ الثاني عند الفرس اي أُستخوان وعند اللاتين اي Ossifraga وعند اليونان اي Ostokopos وانما دعي بهذا الاسم لانهُ من بعد ان يأكل لحم الحيوانات يحلّق بالعظام في الجو ثم يرمي بها على الصخر فتتكسر فينتقيها اي يستخرج مخها» فهذا القول كلهُ صحيح لكن الطائر الذي تنطبق عليهِ هذه الصفة هو المسمى Gypætus وليس Haliætus او Orfraie كما تجد في اكثر كتب الحيوان الحديثة . وسآتي بشاهدين فقط واشير الى غيرها للمراجعة ففي بعض الكتب الحديثة ما تعريبهُ «وهو (اي Gypaète barbu) يصيد الحيوانات الحية في بعض الاحيان وفي غيرها يأكل لحوم الحيوانات الميتة ولهُ ميل شديد الى العظام يلقيها على الصخور فتنكسر فيأكل مخها [1]» وفي غيرهِ «ولهُ (اي Lammergeier) ميل الى العظام فيلقيها من حالق على الصخور فتنكسر ويقال انهُ يفعل ذلك ايضاً بالسلاحف في بلاد الجزائر . ويعرف في اسبانيا بكاسر العظام ويرجح انهُ كاسر العظام المذكور في الكتاب المقدس [2]» . (راجع ايضاً حيوانات فلسطين ونباتاتها للقانون ترسترام ولفظة Ossifrage في موسوعات الكتاب المقدس)

اما الطائر الآخر فلا يمكن ان يفعل ذلك لانهُ يأكل الاسماك وهي لا مخ في عظامها

﴿ البَازِي والباز والبَازِي ﴾ Falco. E Falcon. F. Faucon جنسٌ من الجوارح يصاد بهِ وهو انواعٌ كثيرة . واللفظة فارسية يقابلها ما يشبهها في غيرها من اللغات

(1) Les Animaux Vivants du Monde, II, 86
(2) The Royal Natural History, IV. 253

مثل باك بالمصرية والقبطية و buteo بالرومية و buse بالفرنسوية و buzzard بالانكليزية لكن الالفاظ الثلاثة الاخيرة ليست ترجمة البازي بل تطلق على طائرٍ آخر من الجوارح سيأتي ذكرهُ

ومما يحسن الاشارة اليهِ هنا البازيار والبازدار fauconnier والبزدرة fauconnerie وهي الفاظ اخذها العرب عن الفرس

الصَّقْر Falco sacer. E. Saker falcon F. Sacre وفيها لغات · نوعٌ من الصقور يصاد بهِ · ولا يخفى ان الصقر في اللغة كل طائرٍ يصاد بهِ من البزاة والشواهين وما اشبهها وهو Accipiter عند الرومان و Épervier عند الفرنسويين و Hawk عند الانكليز الآن اهل البزدرة وبعض مؤلفي العرب خصوا الصقر باحد انواع البزاة · قال الدميري «والصقر احد انواع الجوارح الاربعة وهي الصقر والشاهين والعقاب والبازي» · والسيد محمد المنكلي افرد بابًا خاصًّا للصقور وبابًا آخر للبزاة والشواهين وفضلاً عن ذلك فان اهل مصر والشام في يومنا يطلقون هذه اللفظة على طائرٍ بعينهِ وهو المذكور آنفًا

اما اصل هذه اللفظة ففيهِ خلاف فقد جاء في الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادّي شير ان «الصقر معرَّب عن الفارسي چَرْغ بتقديم العين وجعلها قافًا او عن التركي جافر وهما بمعنى» وفي الفروق للاب هنري لامنس اليسوعي انها من Sacer باللاتينية (صفحة ١٦١)

الشُنْقار · الشُنْغار · الشُنْقُور · السُنْقُر · السُنْقُور (تترية)

Hierofalco. E. Gerfalcon. F. Gerfaut

طائر من الجوارح وهو اعظم من الصقر واجمل منهُ صورةً ويوجد في البلاد الشمالية

ويظهر من وصفهم لهُ وقولهم انهُ يؤْتى بهِ من الصين والبلاد الشمالية انهُ الطائر المعروف عند العلماء باسم Hierofalco ففي حياة الحيوان الكبرى ما نصهُ «السقر (صوابها السنقر) قال القزويني انهُ من الجوارح في حجم الشاهين الاَّ ان رجليهِ غليظتان جدًّا ولا يعيش الاَّ في البلاد الباردة ويوجد في بلاد الترك كثيرًا · وفي عجائب المخلوقات للقزويني (طبع غوتنجن ٤١٦) «سنقر طائر من جوارح الطير في حجم الشاهين الاَّ ان رجليهِ غليظتان جدًّا قالوا انهُ يكون ببلاد الترك ولا يعيش الاَّ في البلاد الباردة» · فتجد ان الدميري قرأ اللفظة خطأً وكتبها السقر وهي السقر ايضًا في عجائب المخلوقات طبع مصر (سنة ١٣١٩) وصوابها السنقر

كما هي في طبعة غوتنجن وكما يتضح من ورودها في محلها حسب ترتيب الحروف الهجائية · اما في الدميري فهي خطأ في الاصل وليس في النسخ وهي ليست السقر لغة في الصقر فهذه ذكرها الدميري في محلها في باب الصقر

وقد ورد ذكر السنقر في كتاب انس الملا المذكور آنفًا (صفحة ٩٨ لكن اللفظة مكتوبة الشقر خطأ في النسخة المطبوعة في باريس) قال «وثمنهُ الف دينار الى خمسمائة دينار وذلك لانهُ قليل الخروج من بلاد الكرج لقلتهِ عندهم ولا يخرج الاَّ على سبيل الهدية للملوك»

وفي الالفاظ الفارسية المعربة للسيد ادّي شير ما نصهُ «الشنقار معرَّب شُنْغُر وهو طائر من جنس الصقر يصيد ويعمر زمناً طويلاً وهو لا يوجد الاَّ في نواحي الصين ومقبول كثيراً عند الملوك وهم يهدونهُ بعضهم بعضاً (البرهان القاطع)»

ووصف السنقر في كتب الافرنج يطابق وصفهِ في كتب العرب والفرس ففي بعض موءلفاتهم ما تعريبهُ «والسناقر Gerfalcons لاسيما البيض منها مرغوبٌ فيها عند البزادرة وكانوا يشترونها باثمانٍ غالية ····· وهي وان تكن اعظم من البزاة واقوى لكنها ابرد منها طبعاً و يرجح انهم كانوا يتنافسون بها لجمالها وعظم خلقها» (١)

وقد بحث كاترمير (2) في اصل هذه الالفاظ وترجمها Gerfaut وقال انها تترية مغولية وهي شُنقون بلغة المانشو وذكر انهم كانوا يلقبون بعض المماليك في مصر بالسنقور منهم قره سنقور وآق سنقور أي السنقور الاسود والسنقور الابيض

وفي اكثر المعجمات تجد لفظة Gerfaut او Gerfalcon مترجمة بالشاهين وهو خطأ ظاهر فالشاهين كثير الوجود في الهند وفارس والشام ومصر واما الآخر فلا يوجد الاَّ في البلاد الشمالية · وسيأتي ذكر الشواهين والبزاة على انواعها في العدد القادم ان شاء الله

الدكتور امين المعلوف

(1) The Royal Natural History IV, 179.
(2) Histoire des Memlukes, I, 90.

مستقبل الهيئة الاجتماعية

ان من يقرأ علم الاجتماع و يشرف على مبادئهِ العامة لا ندحة لهُ من التشوُّف الى معرفة مستقبل العمران البشري ٠ والانسان خلق نزوعاً الى استطلاع الخفايا واستكشاف الخبايا فلا يقنع بما يقف عليهِ من حوادث الادوار الخالية بل يريد ان يعلم شيئاً عن مصير الانسان واذا وجد رأياً لفيلسوف من الفلاسفة عما يتعلق بالمستقبل اعتصم بذلك الرأي ولو كان واهناً وربما حسبهُ حقاً راهناً ٠ قال سبنسر في هذا الصدد « اني لا اميل الى الرجم بالغيب والتكهن بمصير المجتمع الانساني على اني قد ارى نقصاً في علم الاجتماع اذا كان يمكننا من الحكم على الحوادث الماضية فقط ولا نستطيع ان نعلم بواسطتهِ شيئاً عن الحوادث المستقبلة ٠ وربما ارتاب الاكثرون في نفع هذا العلم اذا كانت آراؤُهُ مقصورة على الزمان الغابر او لم يكن اتخاذهُ قبساً يستضاء بهِ في البحث عن حالات المستقبل المظلمة ٠ على ان العوامل التي تعمل في الهيئة الاجتماعية كثيرة وبينها مباينة عظيمة ٠ ناهيك انهُ يظهر حيناً بعد حين عوامل جديدة لم تكن منتظرة ٠ وهذا التباين يعترض دون التنبوء عما يطرأ على المجتمع الانساني في المستقبل ٠ ثم ان تقدم العلم الطبيعي قد اثر كثيراً في النشوء الاجتماعي وسوف يظهر تأثيرهُ ايضاً في المستقبل ٠ وكلما تقدمت العلوم الطبيعية تقدم الصناعات البشرية وهذا التقدم يأول الى تغيير كبير في الهيئة الاجتماعية وعدا ذلك فان انتشار العلم الصحيح بين البشر قد غير شيئاً كثيراً من افكارهم واعتقاداتهم بالمادة والقوة التي تفعل في المادة وهذا التغيير لا بد ان يفضي الى التأثير في الاديان فيرتخي الوازع الديني الذي يعد الآن اساس الالتزام الادبي وقبل ان يحل محلهُ نظام ادبي مؤسس على حقائق علمية صرفة لا مناص من حدوث هدنة تضعف فيها الآداب لضعف الوازع الديني ٠ ومن الغريب اننا بينما نرى فئة كبيرة من البشر ترتقي في عقائدها وافكارها الدينية وهي الفئة المنورة التي تلجأُ الى الاجتهاد فانا نشاهد فئة اخرى ترجع القهقرى وتحافظ على مآخذها الدينية فيعظم بينها نفوذ الرؤساء الروحيين ٠ وقد تتعذر معرفة النتائج التي تنجم عن هذا الاختلاف ٠ وفوق ذلك فان هنالك تفاوتاً في اساليب التربية التي تتربى بها طبائع الانسان في العصر الحاضر فمن الناس من تتربى فيهم غرائز حب القتال وسفك الدماء فينشأُون على ما كان شبيه الناس في عصور الهمجية يوم كانوا يغزون بعضهم بعضاً ومنهم من يعنون بتربية العواطف السامية في الانسان ومثل هؤُلاء بعثات الخير وجماعات كثيرة تتمحض لنفع الناس

وترقية اخلاقهم وهكذا فانك ترى حرباً ادبية بين البشر لا تعلم عقباها ولا يدرك مصيرها

ان المؤثرات التي تؤثر في حالة الانسان الاجتماعية تتكيف بتكيف عيشته فان عاش منفرداً عن سائر البشر فيفعل كل شيء تسوقهُ اليهِ سليقتهُ ولا يؤثر فيهِ سوى محيطهِ الطبيعي وفي هذه الحالة يكون هو المسيطر الوحيد على نفسهِ واما اذا خالط الناس فيصبح عرضة لعوامل اخري فيضطر احياناً ان يفعل افعالاً لا يهوى فعلها او يتحاشى عن امور يرغب فيها ويحدث هذا فيما اذا عاش بين جماعة معادية لجماعة اخرى فيكون هو مكرهاً ايضاً ان يعادي تلك الجماعة واذا اوعز رئيس جماعتهِ الى افرادها ان يقوموا ويحملوا على الاعداء او يغزوهم فلا مناص لهُ من مشاركتهم في حملتهم وغزوتهم واذا لم يصدع بامر الرئيس فيعاقب بان يبعد او يعذب او يطرد طرداً من بين تلك الجماعة . وكلما كانت الكراهية شديدة بين القومين قويت شوكة الرئيس فيضطرُّ الافراد ان يخضعوا لزعيمهم خضوعاً مطلقاً لان المناوأة الدائمة بين القبيلتين تقتضي التضامن والاتحاد حتى تتمكن الواحدة من مصادمة الاخرى والتخلص من غوائل شرّها وبالعكس فانهُ اذا كانت القبيلة عائشة بسلام وطمأنينة وليس لها اعداء فان الفرد في هذه الحالة يكون مستقلاً بنفسهِ اكثر منهُ في الحالة السابقة ولا يكرهُ الافراد على الاستسلام لمشيئة زعمائهم الاَّ في حوادث نادرة

والحالة التي يجب ان ينظر اليها في مستقبل النشوء الاجتماعي هي خضوع الفرد للغير واستقلالهُ عنهُ او معرفة الحد الذي يقف عندهُ خضوعهُ لغيرهِ ويبتدئ استقلالهُ بنفسهِ وعند ما نتوخى الكلام على مستقبل الاجتماع البشري يجب اول كل شيء ان نعرف هل الدلائل الحاضرة تدل على ان استقلال الفرد بنفسهِ سوف يزيد او انهُ سوف ينقص فاذا امتدت صولة القوة الحاكمة المسيطرة على الفرد يضعف استقلالهُ ويصبح في قبضة الغير سواء كان هذا الغير ملكاً واحداً او حكومة مؤلفة من بضعة اشخاص او جمهورية مؤلفة من رئيس وبعض الاعيان او غير ذلك

خذ مثال ذلك المانيا فقد شرعت هذه الدولة في تنظيم قوتها الجندية منذ نشأتها ولا تزال في ازدياد فهي تضرب الضرائب الفاحشة على رعاياها حتى تقدر ان تقوم بنفقات الاسلحة وتعنى بتربية ابنائها على حب القتال وتعظم هيبة حكومتها يوماً فيوماً وبذلك يتداعى استقلال الفرد ويتوسع بطش القوة الحاكمة والذي يجري في المانيا يجري تقريباً في كل بلد من البلدان

واغرب من كل ذلك هو ان الحكومات الجمهورية التي يذهب الناس الى انها محكومة

من الشعب فيها من الاستبداد وحب الاثرة ما لا يعثر عليهِ في الحكومات الملكية المطلقة ومن الغلط ان تقول ان البلد الدستوري يحكم نفسهُ بنفسهِ او ان الافراد يشتركون في ادارة امورهم وتسيير شؤونهم في حين نرى ان رئيس الامة في اميركا لهُ صولة اكثر من ملك انكلترا والصحيح ان احتكار السيطرة موجود في كل دولة فقد يكون ذلك في شخص واحد او يكون في بضعة اشخاص وكل ذلك يدل على ان استقلال الانسان بنفسهِ سوف يضعف في المستقبل فيصبح في حالة يكون فيها تحت سلطة القوة العمومية لا يقدر ان يفعل الاَّ ما يساق اليهِ ويكون مكرهاً على التفادي مما ينهى عنهُ . وقد قال الشارعون في هذا العصر « ان الهيئة الاجتماعية ترتقي ارتقاء عظيماً اذا اصبحت القيادة في ايادي القليلين العاقلين فهؤلاء يقرون على اجراء النافع للسواد الاعظم وهؤلاء يخضعون لقرارات اولئك ويستسلمون الى مشيئتهم لانهم اعلم بحاجتهم وادرى بمطالبهم »

ومن المؤكد ان القوة العمومية تبذل كل وسعها في سبيل اضعاف الفرد فمن الوسائل التي تتخذها الآن لاضعافهِ نظام العسكرية القهري فانها تحتم على كل فرد ان ينتظم في سلك العسكرية وهذا من شأنهِ ان يقلل من حرية الفرد واستقلالهِ بنفسهِ وفي الامة الحربية يكون الخضوع الاعمى عامًّا بين جميع المقاتلة او العساكر فان كل فرد من الهيئة مضطر ان يخضع لمن هو اعلى منهُ رتبة والامة كلها تخضع للجيش لانها مجبورة ان تقدم لهُ ما يحتاج اليهِ حتى يذود عن حوزتها ويدرأ عنها مطامع الامم الحربية والدول القوية . والخضوع واجب بين جميع افراد الحكومة الملكية لان كل موظف يخضع لمن هو اعلى منهُ

والخضوع صفة لازمة لازبة بين افراد الامة كلهم . واذا تقلص ظل الحرب فينشأ في الفرد ميل عظيم الى حب الاستقلال واستخدام مواهبهِ وقواهُ في سبيل منفعتهِ الخاصة ويجعل دأبهُ مقاومة النظام العسكري القهري

وعلى الجملة فانهُ كلما عظمت حرية الفرد ضعف ذلك النظام واصبح المرء ملك نفسهِ ومتولي امرهِ . وما اعظم الفرق بين الحالتين ففي الحالة الاولى تكون الطاعة العمياء والاخلاص للقوة العمومية من اعظم الفضائل والعصيان نقيصة لا تغتفر فالتاريخ لا يزال كلما ذكر نلسون يثني عليهِ ويطريهِ لانهُ اهلك نفسهُ في خدمة القوة العمومية او انهُ اطاعها طاعة متناهية . ويندد بالرجال الذين خانوا دولتهم وفضحوا امرها او كشفوا اسرارها . وكثيراً ما كان الملوك يعذبون القائد الخائن في القرون الاولى اشد العذاب فقد قيل ان قورش الفارسي كان يأتي بالخائن ويثقب جسمهُ ثقوباً متعددة ثم يذيب الرصاص ويسكبهُ في تلك الثقوب وبعد ذلك

يربط اطرافهُ الاربعة الى افراس لا تزال تتجاذبهُ حتى تقطع اوصالهُ · ومعاقبة الخائنين لا تزال شديدة حتى في هذا العصر على انهُ اذا ارتقت الهيئة الاجتماعية يبتدئ الفرد يدرك معنى الاستقلال الحقيقي ويصير يحسب الخضوع المطلق لارادة الغير من اسوإ السيئات والتمسك بالحرية الشخصية والاستقلال من افضل الحسنات

ومن اعظم الادلة على تضاؤل قوة الفرد ازاء القوة العمومية انتشار التعليم الاكراهي بين الامم الراقية فان الحكومة هي التي تسيطر على ابناء الامة وتربيهم كيف شاءت واذا تجرأ الوالدون على مقاومة القوانين العمومية فانهم يعاقبون اشد العقاب ثم ان القوة العمومية تتداخل في شؤون الافراد الخصوصية فتقول للفرد مثلاً انت لست حرًّا ان تنفق مواردك كلها كما تريد بل ينبغي لك ان تعطي شيئاً منها للحكومة لتتمكن بهِ من نفعك او نفع غيرك وان الفرد الذي يقال لهُ هذا القول او يعامل هذه المعاملة ليس خليقاً ان يدعى حرًّا او مستقلاً · وكلما عظم امر القوة العمومية واشتدت صولتها يتداعى استقلال الفرد وتوهن حريتهُ الشخصية

ومن المعلوم ان الحوادث الاجتماعية شأن غيرها من حوادث الكون يزداد تأثيرها ويشتد فعلها اذا لم تلقَ مقاومة ومصادرة من الخارج فاذا لم يعترض القوة العمومية مناوئ فلا ريب انها تكون في المستقبل قوة هائلة وتكون قوة الافراد ازاءها ضعيفة واهنة لا يؤبه لها · على انهُ لا يظهر من القرائن الحاضرة ان الافراد سوف يتعاونون ويتحدون لمقاومة القوة العمومية واذا كان ثمة اتحاد او تظاهر فهو ضعيف جدًّا ولن يؤثر في مصير الهيئة الاجتماعية واذا تأتى عنهُ بعض النتائج فلا تكون ذات شأن عظيم وكلما كثرت المشروعات التي تتولى شؤونها الحكومة وانتقلت الاعمال من ايادي الافراد والشركات الى ايادي الهيئة الحاكمة ضعفت قوة الفرد امام قوة الحكومة وصار العمال والصناع وسائر الافراد في قبضة الحكومة لا يستطيعون ان يفعلوا شيئاً من تلقاء انفسهم وربما اصبحوا غير قادرين على تحصيل معاشهم الاَّ اذا اندمجوا في سلك الاستخدام العمومي لان الاعمال الاستقلالية تكون عندئذٍ قد قضي عليها فتنشأ حكومة مستبدة بمقاليد الشؤون الاجتماعية تحتم على الفرد ان يفعل فقط ما يؤمر بهِ ويتجافى عما لا يراد على عملهِ

واذا وصلت الهيئة الاجتماعية الى هذه الحالة واصبحت القوة الحاكمة تتصرف بامور الفرد كيف تشاء فقد الفرد حريتهُ التي يتمتع بها الآن بعض التمتع وقضي على كل الاعمال الحرة التي يديرها الفرد في هذا الزمان وما ذلك الاَّ لان الانسان غير حقيق بهذه الحرية التي يستولي عليها ولانهُ غير قادر على المحافظة عليها بالطرق اللازمة

وقد قلنا ان الحرب قائمة على الدوام بين القوة العمومية وبين الفرد فالاولى تنزع الى احتكار جميع الاعمال العمومية واذا لم يتحد الافراد معاً ويقفوا في وجهها لكي يدافعوا عن استقلالهم في اعمالهم فمن المرجح فوزها في المنتهى والحال الحاضرة تدل على ان المنافسة والاحقاد سائدة على الافراد فكل واحد منهم يعمل لمايظن منهُ خيراً لهُ ولا يهمهُ خير الغير والشركات ايضاً تنافس وتباغض بعضها بعضاً وكل واحدة منهن تنصب الاحابيل لايقاع الاخرى بها على انهن يغفلن عن ان هذه المناوأة تضعف شأنهن وتعوقهن عن مصادرة القوة العمومية التي سوف تكون الخطر الاكبر على استقلال الفرد في المستقبل . وفوق ذلك فان الشركة التي تضع نصب عينها مقاومة الشركات الاخرى قلَّ ان تنجح او تبلغ مأربها واذا كانت هذه حالة الافراد من الاضغان والمقاومات فلا يخلق لهم حرية في اعمالهم واحرِ بهم ان يصبحوا تحت امرة حكومة مستبدة تسترقهم وتستعبدهم وتنشئ لهم نظاماً يعملون بموجبهِ فاذا ظهر ضعفهُ تنشئ نظاماً آخر بشرط ان تبقى لها السيطرة المطلقة على اعمال الافراد

وربما زعم البعض ان هذا القول مبالغ فيهِ لانهُ يرى ان معظم الامم سائر الى الحرية وخصوصاً في هذه الاوقات وان استبداد الحكومات يقل رويداً رويداً على ان من اعمل فكرتهُ يرى ان الامة اذا حصلت على حرية القول والفعل فتنتهي بذلك الى حدّ معلوم ثم يطرأ عليها ردٌّ فعل فتبدأ ترجع القهقرى وهذا الانفعال او ردّ الفعل لا بدَّ منهُ في كل حال وقد بلغت حرية الفرد مبلغاً عظيماً في القرن المنصرم وخصوصاً في انكلترا فاطلقت لكل فرد من افراد الامة واصبح الرجل يقدر ان يفعل مهما شاء على انها لما افضت الى درجة معينة ابتدأت نقطة الانقلاب وجعلت الحرية تقل فنشأت شرائع جديدة قصد منها الرجوع الى الاصل او اعادة هيبة الحكومة الى ما كانت عليهِ في دور الاستبداد

قال الاستاذ هكسلي في هذا الصدد « اذا تغلبت القوة العمومية على الافراد واستحوذت على جميع اعمالهم فانهُ يحدث واحد من امرين فاما يقوم الافراد قومة واحدة في وجه الحكومة وتكون ثورتهم هذه ثورة اجتماعية صرفة يتوخون منها ارجاع حقوقهم المغصوبة وحريتهم المسلوبة فيسقطون الدولة الحاكمة ويحصل عقيب ذلك رد فعل يفضي الى تسلط القوة العسكرية فتتولى شؤُون الامة وتحكم في امرها بالاستبداد المتناهي واما يثور الافراد وينجحون في ثورتهم ولا تنجح الاَّ الامة التي ما زال ينبض في عروقها دم الانفة وعزة النفس وينشئون حكومة دستورية بكل ما في الكلمة من المعنى اي انها تكون في يد الشعب وتضع قبلة ابصارها منفعة الافراد وهذا اعظم مستقبل يرجى للامم الحية في زمن بعيد جداً »

ثم ان البشر ينشدون الكمال في جميع ادوار العمران وكلما نشأت هيئة اجتماعية مغايرة للارتقاء الحقيقي فيقوم صنف من الناس يجعلون دأبهم مقاومة تلك الهيئة على قدر الطاقة ولم يخلُ الاجتماع البشري من امثال هؤلاء الاصناف في جميع ادوارهِ ولا بدّ من ظهور هذه الفئة في المستقبل كما ظهرت في الماضي فتتعهد اصلاح الفساد الذي سوف يطرأ على العمران والمرجح انها تنجح على تمادي الزمان في ايجاد هيئة اجتماعية موافقة للرقي كل الموافقة وعندئذٍ ينظر كثيراً في ارجاع حرية الافراد واستقلالهم واذا كان ناموس النشوء قد فعل في الادوار المنصرمة واوصل الحياة الى حالتها الحاضرة وساعد الاحياء على مصادرة الطوارىء الطبيعية التي كثيراً ما طرأت عليهم فهو سوف يفعل ايضاً في المستقبل ويهتدي بهِ البشر الى تكييف طبائعهم واعمالهم طبقاً لما تقتضيهِ منهم احوال الهيئة الاجتماعية المنتظرة فيجمعون كلمتهم ويلمون شعثهم حتى يتمكنوا من الدفاع عن حقوقهم والذب عن حياضهم

وهنا لا بد من ايراد كلمة عن النشوء وما يراد منهُ من الوجهة الطبيعية . ان النشوء لا يعني الترقي بل هو ظهور احد الاحياء بصورة قوية اصلح من غيرها لمقاومة العوامل الطبيعية فيكون هذا الحي اقدر من سائر الاحياء على الحياة ويترقى بانحطاطها وامتصاصها وكلما قوي تضعف ولا تلبث طويلاً حتى تنقرض طبقاً لناموس « بقاء الاصلح » ثم ان النشوء الحيوي ينطبق على النشوء الاجتماعي فكلما نشأ شعب من الشعوب وعظم امرهُ فلا بد من تدني شعب آخر . والجماعة التي تترقى تضعف غيرها فيأتي افراد الجماعة المترقية ويستقرون في اقليم مناسب لصحتهم ويطردون اهل ذلك الاقليم الى اقليم سيء فتضعف بنية هؤلاء وينشأ منهم جماعات ضعيفة سقيمة . وفضلاً عن ذلك فانهُ تحدث منافسات كثيرة بين الامم القوية وهذه المنافسات تفضي الى تفوُّق بعضها على بعض وانحطاط عدد منها فالمتفوقة تنحصر في البقاع الخصيبة الطيبة والمنحطة تهيم الى الاصقاع الباردة القاحلة وتبتدئ الشعوب المتفوقة بالتآلف والتضامن فلا يمضي زمن حتى ترى الامم الراقية متجمعة وهذا التجمع او الائتلاف ينفع العمران كثيراً

والمرجح انهُ سوف تتألف بين الامم العليا محالفة عامة تؤلف بينهنَّ ويكون من انفع افعالها انها تقضي على الحروب التي تحسب اعظم مضرة للتمدن الحاضر وقد التفتت الدول الى ذلك في هذا العصر فعقدت المؤتمرات الدولية وقصدت ان تحسم بها كل خلاف او نزاع يقوم بينهنَّ . على ان الزمن الذي تنقضي فيهِ الحروب لم يحن بعدُ ولا شك ان الحروب من اعظم المعار التي تصيب الحضارة العصرية وهي تهيج في النفوس طبائع الهمجية وترجع البشر الى حالتهم الوحشية الاولى

ثم انهُ اذا تشكلت هذه المحالفة العمومية بين الامم ترقت الهيئة الاجتماعية ترقياً محسوساً وقطعت خطوات واسعة في سبيل التقدم الحقيقي وحصل التلاؤُم بين نظام المجتمع وبين احوال الافراد او بين مطالب الفرد الخصوصية وحاجاتهِ وبين المحيط ولا تعود قوانين الاجتماع تغاير منافع الاشخاص · واذا قصد الفرد ان يحيا حياة سعيدة في الوقت الحاضر وجب عليهِ ان يكيف مطالبهُ واحوالهُ طبقاً لنظام الهيئة الاجتماعية الحالية على ان ما فيها من الاختلافات وتشعب الاغراض والغايات والمنافسات الكثيرة يمنعهُ من الملاءمة بين نظامها وبين مطالبهِ الخاصة غير انهُ اذا شاعت تلك المحالفة فلا تبقى تلك العوائق ويصبح الفرد في حالة يرتاح فيها الى انظمة المجتمع ويسهل عليهِ الانقياد لها والعيشة طبقاً لمطالبها لانها لا تتقاضاهُ الاَّ ما يسهل عليهِ اجراؤُهُ ولا تتداخل في حريتهِ الشخصية الاَّ اذا حدثتهُ نفسهُ بالافتراء على الغير والائتلاف المومأ اليهِ يعلّم الفرد انهُ عضو من اعضاء المجتمع الانساني وينبغي لهُ ان يتعاون مع سائر الاعضاء حتى تتم سعادة الجميع · واذا ادرك الافراد هذا الادراك ماتت من قلوبهم الغرائز الوحشية التي تحدو بالمرءِ الى الاعتداء على غيرهِ وترقت العواطف السامية التي تبعث الانسان على خدمة المصلحة العامة وزالت ايضاً جميع العقبات التي يضعها الآن ذوو المآرب الذاتية في سبيل سعادة الافراد فيبرز عندئذٍ الرجل الحقيقي الى ميدان الحياة وهو الذي يخدم اوطارهُ ويخدم ايضاً اوطار الهيئة الاجتماعية ولا يجد تناقضاً بين المنفعة الخاصة وبين المنفعة العامة لانهُ بخدمة غيرهِ يخدم نفسهُ ويخدم غيرهُ · ونرى ما يشبهُ ذلك في اعضاء الجسم الانساني · ومن الناس من تنحوا عن سائر البشر والقوا عن كواهلهم اعباء المطالب الاجتماعية الحاضرة فارتقت اخلاقهم ارتقاء مبيناً وعاشوا عيشة كاملة على حد ما تقدم وهذا نفس ما يرجى حدوثهُ في المستقبل عند ما يحصل تآلف الامم الذي اشرنا اليهِ فتسعى عندئذٍ في انشاء المجالس التحكيمية التي بدئ بمثلها في الوقت الحاضر وتعقد قيادتها لاصحاب الاخلاق العالية الذين يعرفون بالنزاهة والصدق وتكون تلك الذريعة من اعظم الذرائع الموصلة الى السعادة الغالية المنشودة

دمشق خليل يعقوب الخوري

حمى البول الاسود

BLACKWATER FEVER.

قلَّ من بحث من اطباء الشرق في هذا المرض الخبيث مع كثرة انتشارهِ في كثيرٍ من البلاد الحارة وبالاخص في اواسط افريقية فانهُ منتشرٌ في بعض بلدان السودان مثل بحر الغزال والرضيرص وقد شاهدت المصابين بهِ هناك واصبت بهِ ونجوت منهُ فرأيت ان اوافي قراء المقتطف بما يأتي كطبيب ومجرّب

ثبت بعد البحث والتحقيق انهُ ليس لهذا المرض مكروب مختص بهِ ولا هو مرض قائم بنفسهِ مثل الكوليرا والحمى التيفوئيدية بل هو نوعٌ من انواع الحمى الملارية الخبيثة وما يسبب هذه يسبب ذاك اي ان مكروب الملارية كاف لان يسبب الحمى السوداء او حمى البول الاسود فان كل من سكن في بلادٍ موبوءة بالحمى الملارية وبقي فيها مدة تزيد عن السنة وأُصيب في خلالها بالملاريا مراراً عديدة اصبح معرَّضاً للاصابة بالحمى السوداء ففي بحر الغزال قلَّ ان أُصيب بها القادمون اليهِ حديثاً بل ان اكثر من أُصيب بها كان قد اقام مدة لا تنقص عن السنة وكان قد أُصيب مراراً كثيرة بالحمى الملارية

واول من ذكر هذه الحمى وبحث في اسبابها واعراضها الاطباء الافرنسيون المقيمون في مقاطعة نوسبي Nossibé الواقعة على شاطئ مدغسكر الشمالي الشرقي ثم ظهر بعد ذلك انها منتشرة ايضاً في اواسط افريقية مثل اوغندا ومستعمرة الكنغو الحرة ومستعمرة الكنغو الافرنسية وفي مديرتي بحر الغزال وسنار من اعمال السودان كما مرَّ ثم اتضح انها تعمّ اكثر البلدان الحارة مثل اميركا الجنوبية والهند الغربية وجنوبي الصين وأسام وتوجد في بعض مقاطعات الهند الانكليزية وفي غيرها ايضاً من البلدان الحارة وقد شوهد بعض الاصابات بها في بلاد اليونان وبلاد ايطاليا وسردينا وفي فلسطين وقد عالجت مريضاً مصاباً بها في العريش كان قادماً من يافا

والاصابة بهذا المرض كالاصابة بالحمى الملارية من حيث انهُ يعاود من أُصيب بهِ فقد ذكر الدكتور مانسون خمس حوادث شاهدها في بريطانيا العظمى في اناس سكنوا المناطق الحارة وأُصيبوا بالملارية ومنهم من كان قد اصيب بالحمى السوداء قبل عودتهِ الى وطنهِ ثم اصيب بها ثانية ومنهم من بقي ثلاثة اشهر فقط في اواسط افريقية ثم أُصيب بها بعد رجوعهِ الى وطنهِ

واعرف ضابطاً انكليزياً كان قد اصيب بها وهو في شرقي افريقية ثم عاودته وقفت عليه بعد وصولهِ الى الوصيرص بزمن ليس بطويل وآخر كان قد اصيب بالملاريا وهو في جنوبي السودان ثم عاد الى بلادهِ استشفاء منها فاصابتهُ الحمى السوداء في مرسيليا وهو على طريقهِ وقفت عليهِ هناك . ويندر ان يصاب بها اناس ممن اتوا البلاد الموبوءة بالملاريا في اول سنة من اقامتهم فيها . وقد ظهر من التقارير التي وضعتها حكومة الكنغو الحرة عن هذه الحمى ان اكثر الاصابات حصلت في السنة الثالثة من اقامة موظفيها في تلك البلاد غير انهُ قد شوهد قليل من الحوادث في من اقام ثلاثة اشهر فقط في تلك الاصقاع . ويظهر ان هذه الحمى تصيب غالباً من انهكتهُ الحمى الملارية وتشبع جسمهُ من مكروبها . ومعظم من يصاب بها البيض واما الزنوج اهالي تلك البلاد فيندر ان يصابوا بها مع انهم معرضون للحمى الملارية ويصابون بها كثيراً . وقد ذكر ايلسمون وآيلس وغيرهما من الاطباء الذين خصصوا اوقاتهم لدرس هذه العلة بعض اصابات في الزنوج ومات بها كثير من العمال الصينيين المشتغلين في سكة حديد الكنغو

الاسباب . ليس لهذا المرض مكروب خاص كما تقدم بل هو نوعٌ من الحمى الملارية الخبيثة فيصح القول بان مكروب الملارية (البلازموديم ملاريا) هو المسبب لهُ

الاعراض . قلما تختلف اعراض الحادثة الواحدة عن الاعراض الاخرى بل ان معظم الحوادث متشابهة ولو تفاوتت في الشدة والنتيجة . وقد لا يشعر الواحد بمجيئها اذ ليس لها علامات سابقة مميزة بل قد تفاجئهُ على حين غفلة وهو يحسب انهُ سيصاب بدورٍ اعتيادي . واول ما يشعر بهِ المريض قشعريرة شديدة قد تدوم ساعةً من الزمن ثم تعقبها حرارة ترتفع الى ١٠٥ او ١٠٦ بميزان فهرنهيت ويصاب المريض باوجاع شديدة في الظهر والكبد والمثانة ويشعر بميل غريب وارتياح شديد الى افراز البول وما اشدَّ خوفهُ ودهشتهُ اذ يرى ان بولهُ صار ذا لون اسود قاتم ويصاب بقيءٍ اصفر شديد وباسهال مفرط ثم يصفر بياض عينيهِ وبشرتهُ اصفراراً شديداً وبعد بضع ساعات من ارتفاع الحرارة تهبط الى الدرجة الطبيعية ويتغير لون البول من اسودٍ قاتم الى احمر فاتح وربما عاد الى لونهِ الطبيعي وفي اليوم الثاني تعود الحمى وجميع الاعراض بشدتها الاولى وربما كانت اشد من الاول ويبقى العليل بين هبوط وارتفاع في الحرارة الى ان تنهك قواهُ ويضعف كثيراً وفي الاحوال الخفيفة ينقطع افراز الدم من البول في اليوم الثالث وتهبط الحرارة وينقطع القيء ويدخل العليل في دور النقاهة الى ان يشفى تماماً وهو النادر واما في الحوادث الثقيلة فتبقى الحرارة مرتفعة ويستمر البول على اللون الاسود وتشتد الاعراض فيفقد العليل صوابهُ الى ان يقضي نحبهُ في نحو

اليوم الرابع من ظهور الاعراض المذكورة · وجميع الحوادث الثقيلة التي لا تقف الاعراض فيها في اليوم الثالث تنتهي على الغالب بالموت للاسباب الآتية

(١) اما ان تبقى الحمى مرتفعة جدًّا فيصاب المريض بالتهابات دماغية واحتقان في شرايين المخ

(٢) قد يبقى النزف الدموي فيموت المريض بالاغماء كما لو اصابهُ نزف دموي

(٣) قد يصاب المريض بالتهاب كلوي حادّ فيتسمم دمهُ

وقد ذكر الدكتور مانسون حادثة قضى فيها العليل نحبهُ بعد ثلاثة اسابيع من تاريخ هبوط الحمى وزوال الاعراض من التهاب بالكبد وقيء دموي وشهقة مستمرة

حالة البول · اذا فحص البول وجد حامضاً (أي غير قلوي) واذا ترك في وعاء رسب منهُ راسبٌ ذو لون قاتم تعلوهُ طبقة سائل خمري اللون واذا فحص الراسب بالمكرسكوب وجد فيهِ كثير من قشور الهيالين والهيموغلوبين غير ان وجود كريات الدم في البول نادر جدًّا وهذا ما يفرق الحمى السوداء عن النزف البولي

ومن الغريب ان اكثر الذين اصيبوا بالحمى السوداء وسلموا منها يشفون من حمى الملاريا ايضاً فكأَن الدم الذي افرز حمل معهُ ميكروبات الملاريا فنقى الجسم منها

المعالجة · في اول اكتشاف هذا المرض كان اكثر الاطباء يعالجونهُ باملاح الكينا بمقادير كبيرة لغاية ١٢٠ قمحة في اليوم اعتقاداً منهم ان الكينا الدواء الوحيد الفعال ضد الملاريا ثم اتضح من التجارب العديدة التي اجراها كوخ وبلنس ان الكينا تزيد شدة الاعراض وقد زادوا على ذلك ان كثرة استعمال الكينا تعرض الجسم للحمى السوداء وذلك لان الكينا تجعل الهيموغلوبين غير ثابت في كريات الدم الحمراء فيسهل خروجهُ منها ومن المعلوم ان الدم الموجود في بول المصابين بالحمى السوداء هو الهيموغلوبين وليس الكريات الحمراء فكأَن الكينا تساعد الداء عوضاً ان تكون هي الدواء · وعليهِ فاول ما يجب عملهُ في معالجة هذا المرض هو ابطال الكينا حالاً وعدم استعمالها في مدتهِ

الكالومل · قد جرب الكالومل بجرع كبيرة من ٢٠ — ٣٠ قمحة فاتى ببعض الفائدة ولكنهُ قد سبب التهابات في المعدة

الحامض التنيك · يعطى منهُ ١٥ قمحة مخففاً بماء كثير كل ساعتين جرعة على اربع مرات وتعاد الجرعة في اليوم الثالث والسادس

سليسلات الصودا · قد جربت كثيراً في افريقية فاتت بفوائد حسنة · وافضل علاج

لهذا الداء الذي استعمل كثيراً فجاء بفوائد اكيدة هو

بي كربونات الصودا نصف جرام
سايل سليماني $\frac{1}{1000}$ ١٠ جرام } جرعة كل ثلاث ساعات
ماء كلورفوم ٣٠ جرام

ولا يستصوب اعطاء العليل منبهات مثل الكنياك لانهُ يضر بهِ كثيراً في الكلينين واما الغذاء فيكون الحليب مضافاً اليهِ قليل من ماء الصودا ويجوز استعمال الشاي ايضاً

الوقاية . ننصح لجميع الذين يذهبون الى البلاد الموبوءة بالحمى الملارية ان يأخذوا احد املاح الكينا مثل كبريتات الكينا عشر قمحات في صباح ومساء اليوم الاول والخامس عشر من كل شهر وهذه الطريقة تفضل كثيراً على اخذ هذا الدواء بجرع صغيرة في كل يوم باستمرار وعند ظهور اول دلائل الحمى السوداء يجب ابطال اخذ الكينا حالاً وان يشرب المريض ماء الشعير فاتراً وان لا يتناول غذاء مخففاً بالصودا وان يجتنب التعرض للهواء الرطب ويحسن وضع اللبخ الحارة فوق المثانة والكبد وفي أي حال من الاحوال لا يجوز استعمال مخففات الحرارة مثل الانتبرين والفناستين والانتيفرين لان استعمالها لا يخلو من الضرر العظيم

الدكتور نسيب تبشراني

اللغة العربية والتعريب

فرغ الناس من مدح اللغة العربية فلا حاجة بي الى وصفها بما هو دون قدرها . وانما اريد ان اجمل في هذه السطور بعض ما ينبغي الانتباه اليهِ من حاجتها الى مزيد العناية . ولا يتم ذلك باجتهاد رجل او رجلين بل بانقطاع جماعة من علمائها الى الاشتغال بها . فليس يكفي اللغة ان يتهافت الناس على تأليف كتب النحو والصرف وفنون البلاغة وهي كثيرة مأخوذة بعضها من بعض وقصارى الهمة الآن ان يشترك اولئك الفضلاء في وضع قاموس يكون كثير الكلمات قليل الشرح كافي البيان مع زيادة ما ينقصها من المفردات التي ليست موجودة فيها مع شدة الحاجة الى استعمالها ويمكن ان يكون ذلك اما بقبول الكلمات الاجنبية الدالة عليها واما باستعراب كلمات من الفارسية تفيد مفادها . وكما كانت اللغات الاورية تستعير من اللغة اللاتينية واليونانية كانت اللغة العربية ايضاً تستعير من اللغة الفارسية . فهي للعربية اقرب وبها امثل

فان اللغة العربية في حاضرها ليست بكافية لحاجات المتكلمين بها · وامراء الكلام من شعراء وكتاب يعانون الصعب في تأليف كلامهم · يتبين ذلك في كتبهم وقصائدهم من صرف فيها بعض التأمل · وما هذا بذنب اللغة ولا ذنب الكاتبين بها وانما يؤخذ بجريرته من اهملوا امرها ولم يصلحوا شأنها من ائمة اللغة · واذكر ان صاحب السماحة السيد توفيق البكري كان الف مجمعاً لغوياً من نحو خمسين عالماً وكان ذلك في سنة ١٨٩١ على ما اظن · فوضع هذا المجمع بعض كلمات لم تتجاوز العشرين مثل (البطاقة) لورقة الزيارة و (المدرة) للمحامي . فانتقد ما اختاره بعض الناس ولم يسمع بعد ذا شيء عن هذا المجمع

اجل يمكن للشعراء والكتاب ان يضعوا كلمات الاشياء التي لا تعريب لها ولكن هذا يفتح للناس باب التصرف باللغة فيذهب كل فيها مذهباً ومتى عمّ الاجتهاد لم يؤمن الخطأ · وهل يرضى كل الناس بكلمة رضيها احدهم كلاّ بل يظل مكان النقص كما كان

رأيت قصصاً ترجمها الى العربية صديقي المرحوم الشيخ نجيب الحداد · فاذا هي لا تشبه شيئاً ولا يصح ان يقال في مثلها ما يقال في كتب البلغاء · وما كان ذلك عجزاً من الاديب المرحوم ولا جهلاً · ومثله لا يتهم في ادبهِ ولا يطعن على فضلهِ · ولو قيل لي في ترجمة واحدة من تلك القصص لجاء ما اكتبهُ دون ما جرى بهِ قلم صديقي النجيب · وما ذاك الاّ لوقوف اللغة العربية عند ما كانت عليهِ من منذ الف وخمسمائة عام · وانما وضع اللغات واضعوها لتكفي بحاجاتهم · وحاجات السلف لم تتعدَّ ما ابتذل من الاشياء . ولو كانت هذه البواخر واسلاك البرق والتليفونات وغيرها موجودة في ايامهم لوضعوا لها كلمات تدل عليها

ورجال القلم في هذا الزمان على مذهبين احدهما تقليد القدماء في كلامهم واخذ الجمل منهم كما قالوا · ومثلهم كثير ممن نسمع منهم ما يقولون مثل : سارت بذكرهِ الركبان وعقدت عليهِ الخناصر وشب عن الطوق وما اشبه ذلك · والمذهب الثاني جعل الكتابة العربية مثل الكتابة الافرنكية وهذا رأي سديد لولا ما يعيبهُ من الافراط · واذا كان رجال المذهب الاولِ مخطئين في الاستمرار على ما تقادم عهدهُ فرجال المذهب الثاني مخطئون في تركيب الكلام وصوغهِ — ثم الفريق الاول يحول دون ترقي اللغة ويشوه محاسنها بانتقاء ما سمع من كلماتها مبالغة منهُ في التشبه باهل البدو من الجاهلية وغيرها · والفريق الثاني اتفق على الفاظ يركب منها كلامهُ وكلما رأى كلمة لا يعرفها قال هذه لغوية (يريد عويصة) وقال ينبغي ان تكون كتاباتنا كلها عصرية · والحق ضائع بين رجال المذهبين

القشرة الرقيقة التي تحيط ببياض البيضة مما يلي قشرها الخارجي يقال لها غرقئ والفرنساويون يقولون (Zeste) . فاذا دعت الحاجة الى ذكر الغرقىء عابها الناس ولكن ما الحيلة وليس هنالك لفظ آخر يدل دلالتهُ . واستعمال هذه الالفاظ ليس كاستعمال ما لا ضرورة اليه مثل الحيزبون والدردبيس والعلطبيس كما ذكرهُ الصفي الحلي في ابياته المعروفة

اشعر الشعراء واكتب الكتاب في هذا الزمان عاجز عن وصف غرفة نوم او ثياب رجل . فاذا هو رضي بالسرير والغطاء والكرسي والمرآة فما يقول في غيرها . افلا يوجد شيء آخر في غرف النوم؟ ما هي (الجاكته) وما هو (البنطلون) وهل ثم شاعر تطاوعهُ نفسهُ الى ذكرها كذلك في شعرهِ؟ ما ظننت ذلك قط . وهل في الناس صاحب يجرأ على ان يقول « فلانة تختال في فستانها الازرق وبرنيطتها او قبعتها السوداء والى جانبها صديقتها فلانة لابسة ثوبًا تايورًا » ؟ كلاَّ ثم كلاَّ . هذا اشبه شيء بهذيان المحموم

الفرنساويون وضعوا كلمات لاجزاء النافذة مثل Dormant, Traverse de haut, Petit bois, Crémone, Battant Meneau, Battant de noix, كما يجدهُ القارئ في قاموس لاروس . فما يقال لهذه الاشياء باللغة العربية وهل يمكن الاستغناء عنها واهمالها والغدر باللغة العربية ام اخذ هذه الكلمات كما هي

ان لغة (الاسبرانتو) ولم يمضِ على وضعها ربع قرن يتكلم بها الآن خمسمائة الف انسان . وطبع بها الفا كتاب وينتشر بها اليوم نحو الثمانين من جريدة ومجلة وغيرهما . واللغة العربية وهي سيدة اللغات تكاد تدرس حتى في اوطانها . والذي نفع تلك هو سهولة تعلمها والذي اضرَّ بهذه هو صعوبة تعلمها . واللغة العربية لغتان متباينتان احداها يتكلم بها العامة والاخرى تكتب بها الكتب . وتوحيدها من اصعب الامور . على ان الصعب يمسى ذلولاً وينقاد الى المراس اذا عولج بالصبر والثبات . ولو تفضل اساتذتنا اصحاب المقتطف بوضع كلمات مما تحتاجها اللغة وادخلوها بعد ذلك في قاموس لكنا لهم من الشاكرين . ولقد سررت بالكلمات التي استخرجها حضرة الفاضل الدكتور معلوف من اسماء الطيور فاذا حذا غيرهُ حذوهُ في استخراج مثلها في الملابس والاثاث وما كان من هذا القبيل وأُلف بعد ذا قاموس يحوي هذه المستخرجات كانت الفائدة عظيمة

ولي الدين يكن

تصديق الغرائب

ألّف احد الاساتذة الاميركيين كتاباً في موضوع علمي شرقي وبعث بهِ الينا لننتقدهُ لهُ فرأيناهُ يذكر في اوائلهِ ان الشرقيين اميل من غيرهم الى تصديق الغرائب عن غير ان يبحثوا عن عللها ومن غير ان يعرضوها على ميزان العقل والنقد فكتبنا اليهِ نقول اننا اذا قابلنا بين معارفنا من الشرقيين والغربيين الذين تساوت وسائطهم العلمية لم نجد الشرقيين اميل الى تصديق الغرائب من الغربيين وذكرنا لهُ امثلة المرسلين الذين يصدقون كل ما يروى لهم ولو ناقضهُ العقل او الاختبار وامثلة العلماء الذين يصدقون بمناجاة الارواح وانتقال الافكار ودلالة اسارير الكف وما شاكل مما لم يقم دليل على صحتهِ . فاجابنا جواباً مسهباً ومما قالهُ فيهِ ان الحوادث التي تنسب الى مناجاة الارواح وافعالها قد بحثت فيها جمعية المباحث النفيسة بحثاً علمياً مدققاً واحتاطت لكل ما يمكن وقوعهُ من الغش فثبتت لها صحة كثير منها مثل افعال اسابيا بلادينو وهي لا تعلل الا بفرض من فرضين اما وجود الارواح وفعلها واما تأثير العقل في المادة وفعلهِ بها فعلاً مادياً

نقول وليس العبرة بالتعليل بل بصدق الحادثة التي يراد تعليلها وهو مثل قول احد ملوك الانكليز للجمعية العلمية الملكية لماذا اذا وضعنا اناء فيهِ ماء في ميزان وكان وزنهُ ووزن مائهِ كذا ارطالاً ثم وضعنا سمكة في الماء ولم يُرَق منهُ شيء بقي وزنهُ على حالهِ اي ان السمكة لا تزيد وزنهُ . فان هذه الحادثة اذا صحت لم يمكن تعليلها بنواميس المادة المعروفة ولكنها غير صحيحة واذا كان وزن السمكة رطلاً فوزن الاناء والماء يزيد رطلاً تماماً بوضع السمكة فيهِ . وما ينسب الى اسابيا بلادينو يحتمل ان يكون غير صحيح وان يكون العلماء الذين قالوا بصحتهِ مغشوشين اي مصابين بما يسمَّى بالاستهواء الذاتي ويحتمل ان تكون طرق الخداع خفية فلم يستطيعوا اكتشافها لانهُ قلما يوجد منهم او من غيرهم من يستطيع ان يكتشف كل حيل المشعوذين

كنا قبيل كتابة هذه السطور نتكلم في موضوعها مع احد آحاد العلماء فقال قولوا ما شئتم في حيل المشعوذين اما افعال المنومين فلا يمكن تعليلها بناموس طبيعي ولا ردها الى الحيل وانا لا استطيع ان اكذب مشاعري فقد رأيت بعيني المنوّم ينوّم امرأة ويضعها على كرسيين رأسها على كرسي ورجليها على كرسي آخر ثم ينتزع الكرسيين من تحتها ويبقيها معلقة في الهواء فضحكنا وقلنا لهُ هذه حيلة عملها وقد نشرنا تفصيلها في المقتطف غير مرَّة فلم يصدق انهُ يمكن ان توجد حيلة تجعل جسم المرأة يقف في الهواء فقلنا ليس الامر كذلك بل ان

المشعوذ اخرج من الحائط الذي وراء الكرسيين قضيباً افقياً من الحديد له عارضة من الحديد ايضاً ومدّه تحت ظهر المرأة فحملها عليهِ ورفع الكرسيين من تحتها وهي لم تكن نائمة بل كانت متناومة . فوجد ان هذا التفسير معقولاً

وكان احد المشعوذين يطلب ان تربط ذراعاه معاً وراء ظهرهِ ويجعل اثنين من الاقوياء يمسكان طرفي الحبل ثم يفك يديهِ من غير مساعدة احد ويعيدهما الى رباطهما كذلك وقد حار العلماء الاوربيون والاميركيون في ذلك وحاولوا تعليله بفروض تشريحية كتمدد العضلات وقوة المخل وما اشبه مع انهُ محض حيلة ولا شأن للعلم فيهِ وقد قلنا ذلك مرة في جمهور من الاصدقاء فلم يصدقوا فطلب كاتب هذه السطور منهم ان يربطوا يديهِ معاً وراء ظهرهِ فربطوها وشدوا الرباط جهدهم فاخرج يديهِ منهُ الواحدة بعد الاخرى ثم ردهما اليهِ واراهم الحيلة التي استخدمها لذلك فرأوها من ابسط ما يكون

ثم ان العلماء الذين شاهدوا اعمال اسابيا بلادينو ودافعوا عنها جهدهم مثل الاستاذ لمبروزو وقالوا انها تفعلها بقوة روحية هؤلاء العلماء انفسهم يقولون انها تمزج اعمالها الصحيحة بالحيل والخزعبلات وفسروا ذلك بان رغبتها الشديدة في نجاح اعمالها تدفعها احياناً الى استعمال الحيلة اذا رأت ان الروح لم تلبها كما تريد . ويظهر لنا ان العمل الذي يكتشفون الحيلة فيهِ يقولون انهُ حيلة والعمل الذي لا يستطيعون ان يكتشفوا ما فيهِ من التحيل يقولون انهُ صحيح لا خداع فيهِ

اذا وقف الكيماوي في نادي الخطابة او نادي التعليم يظهر غرائب الاعمال الكيماوية كحرق الماس في الاكسجين واشعال الفصفور تحت الماء لم يجنح لادهاش سامعيهِ وناظريهِ الى شيء من الحيل والشعوذة . واذا لجأ الى الحيل فذلك شبهة كبيرة على قصر معارفهِ الكيماوية وفساد دعاويهِ فيها وهذا شأن مناجي الارواح فانهم اذا كانوا يناجون الارواح حقيقة وكانت الارواح خاضعة لهم فما تعملهُ وحدهُ كافٍ لاثبات دعواهم فلماذا يلجأون الى الحيلة والخداع وما ادرانا ان ما لم نكتشف خداعهم فيهِ ليس خداعاً مثل الذي كشفناهُ . وزد على ذلك فان الحق يعصم اصحابهُ عن الخداع ولا يعقل ان يكون انسان على حق ودليلهُ فيهِ واضح مقنع وهو يلجأ الى الحيل والاخاديع

هذا ودعاوي المدعين مناجاة الارواح وحلول ارواح الموتى فيهم كثيرة عند الاوربيين والاميركيين تنشرها مجلاتهم كما تنشر المكتشفات العلمية . نشر الدكتور جمس هسلب في مجلة جمعية المباحث النفسية الاميركية ان رجلاً اسمهُ المستر طمسن تعلم مبادئ فن

التصوير الاولى وفي اواخر سنة ١٩٠٥ بدت منهُ رغبة شديدة في الرسم والتصوير وجعل يقول ان جفورد يريدهُ ان يصوّر . وجفورد هذا مصوّر التقى طمسن بهِ عرضاً في الريف وكان طمسن يصطاد وجفورد يصور الاراضي . ثم التقى بهِ ثانية في نيويورك وأراهُ بعض الحلى ولم يكن بينهم صداقة ولا معرفة تامة . ومات جفورد قبلما ظهرت هذه الرغبة في طمسن بستة اشهر ولم يكن يعرف شيئاً عن موتهِ حتى ذهب يوماً الى بيت جفورد ليرى صورهُ فسمع صوتاً يناديهِ ويقول لهُ اترى ماذا فعلتُ افلا تقدر ان تأخذ صورتي هذه وتتمها . ولم يكن طمسن من الذين يعتقدون بمناجاة الارواح فظن انهُ كان يحدس حدساً لكنهُ مسك قلم التصوير بيدهِ واتمّ الصورة ثم صوّر صوراً أُخرى من الصور التي رسمها جفورد قبل موتهِ ولم يتمها فظنّ انهُ اصيب بدخل في عقلهِ ومضى الى الدكتور هسلب فرأى هذا ان مسألتهُ تستحق البحث وجمعهُ مع وسيط فظهر له ان روح المصوّر جفورد كانت ترشدهُ لتتميم صورهِ

هذا ما ذكرتهُ مجلة جمعية المباحث النفسية التي يقول صديقنا انها تبحث في ما يعرض عليها بحثاً علميًّا مدققاً وعندنا ان الريب في صدق طمسن هذا اقرب الى المعقول من دعواهُ لاسيما وان مهارة المصور في التصوير ليست متوقفة على روحهِ والاَّ لصار كل مصور مصوّراً في يوم او اسبوع ولكنها متوقفة على تمرُّن اعصابهِ وعضلات يدهِ فلو اصيبت يمين المصور بآفة لم تقم يسراهُ مقامها مع ان روحهُ تبقى على حالها

وكتب المستر اوستن في مجلة العقل يعلّم الناس كيف يتناجون عن بعد او يتناقلون الافكار فقال

(١) انظر مليًّا في الموضوع الذي تريد نقل الافكار فيهِ

(٢) اختر واحداً من اقاربك او معارفك الذين تميل اليهم او واحداً من الذين يشتغلون بذلك الموضوع او يهتمون بهِ مثلك

(٣) اختر الساعة الثانية صباحاً (اي بعد نصف الليل بساعتين) لانها خير الاوقات لما تريد ويكون الشخص الذي اخترتهُ نائماً في الغالب والنوم يوقف الشعور ولكنهُ لا يمنع ما تريدهُ

(٤) تصور ان الشخص الذي اخترتهُ قريب منك وخاطبهُ بما تريد فكريًّا كأنهُ واقف امامك فتنتقل الافكار منك اليهِ ولا بأس بأن تذكر اسمهُ حينئذٍ كأنك تخاطبهُ وجهاً لوجه لكي يزيد انطباع افكارك في ذهنهِ

(٥) اجتهد في نقل افكارك الى من تريد نقلها اليهِ وهو نائم او مصاب بغيبوبة لانهُ يكون اقبل حينئذٍ للتأثر بها منهُ لو كان مستيقظاً

(٦) كرر ذلك مثنى وثلاث ورباع

(٧) كلم من تريد نقل افكارك اليهِ بسلطة كمن يأمره امراً لأن العقول يتسلط بعضها على بعض والعقل الذي يصل اليهِ التأثير يتطلب سلطة العقل الذي يؤثر فيهِ

(٨) اجمع كل قوى عقلك ونفسك في الافكار التي تحاول ارسالها وانت ترسلها ولا تفكر الأ فيها كأنك تريد ان تنقل نفسك الى نفسهِ

وقرأنا لغيرهِ ارشادات اخرى في هذا الموضوع قال فيها ان نقل الافكار لا يكون بالكلام بل بالتصوُّر فاذا اردت من شخص ان ينهض ويكتب لك كتاباً فلا تقل لهُ قم واكتب كتاباً لان نفسهُ لا تفهم كلمة قم وكلمة اكتب بل تصوَّرْ فعل النهوض من السرير وفعل مسك القلم والكتابة واسناد الفعلين اليهِ اي انقل الصور الذهنية الى عقلهِ لا الكلمات الدالة عليها فان كانت هذه الامور صحيحة لم يبقَ شيء من خرافات الاقدمين الأ وهو محتمل الصحة

السلطة للمال

كانت السلطة للقوَّة البدنية فاختصَّ بها الاقوياء الذين يقهرون غيرهم في الحروب وتوارثها اعقابهم وقبائلهم فقام منهم الملوك بالانتخاب او بالارث . ولما كان عملهم الامارة وهي غير منتجة أي لا دخل لها لا من الارض ولا من عمل الغير تقاضوا نفقاتهم من الغنائم او من ابتزاز الاموال من الاغنياء فكانوا يغزون غيرهم من القبائل لاغتنام اموالهم ويصادرون الاغنياء من ابناء قبيلتهم ويبتزُّون ما عندهم فوق ما يضربونهُ على عامة الشعب من الضرائب وجروا على ذلك الى عهد قريب . فقد بقي ابتزاز اموال الاغنياء شائعاً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا حتى كان اغنياؤُهُ يضطرون ان يخفوا اموالهم ويتظاهروا بالفقر اما الاطيان التي لا يمكن اخفاؤُها فكانت تؤْخذ منهم بثمن او بلا ثمن واذا ابوها فبالعدَّة والكرباج كما هو معلوم . وما بقي جارياً في هذا القطر الى اواخر عهد اسمعيل باشا كان جارياً في كل البلدان في المسكونة كلها ولا يزال جارياً في بعضها الى الآن

ولقد نهض الشعب من وقت الى آخر لاسترداد السلطة المغصوبة منهُ فكان يفلح تارة ويفشل اخرى وكان يتفق ان يتسلط عليهِ رجال أُشربوا حب العدل فيعدلون فيهِ ولا يتقاضونهُ غير ما يكفي لاقامة العدل وحفظ سياج المملكة كما فعل بعض الملوك والخلفاء ولكن نعلهم هذا كان بمجرَّد ارادتهم لا بحق خوَّلهُ الشعب واحتفظ بهِ . ودامت الحال على هذا

المنوال الى ان قويت سلطة الشعب وتمَّ الاتفاق على اعادة السلطة له في اكثر الممالك الاوربية فتمتع الاغنياء بغناهم ولم يعد اهل الامارة يستطيعون ان يبتزُّوا الاموال منهم بل أُجبروا على الاكتفاء بما فُرض لهم على الشعب اي بما فرَضهُ لهم نوَّاب الامة مما يلزم لنفقاتهم لا يزاد غرشاً فعاش الاغنياء ناعمي البال آمنين من مصادرة الاموال

والغنى ينمو وقلما يستطيع الغنيُّ ان ينفق كل ريع امواله فتزيد وتتراكم سنة بعد اخرى ومن ثم قام في الممالك الدستورية الاغنياء الكبار مثل بيت رتشيلد وبيت استور وبيت ڤندربلت وكارنجي وركفلر وغيرهم من الذين فاقوا بغناهم الملوك والامراء· ولم يكتف هؤُلاء الاغنياء بالاحتفاظ باموالهم بل صارت لهم السلطة السياسية ايضاً في البلدان التي هم فيها حتى جعلوا جيوشها واساطيلها رهن امرهم وطوع اشارتهم تدافع عن اموالهم بدمائها· وهذا معنى ما يقوله الآن ساسة انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا «مصالحنا» اي متاجر اغنياء بلادهم واموالهم المدانة للامم الاخرى · فمصالح فرنسا في مصر هي البنك العقاري الذي اكثر اسهمه وسنداته في يد الفرنسويين وبنك الكريدي ليونه الذي اكثر امواله منهم وجانب كبير من دين الحكومة المصرية الذي يخص اناساً من الفرنسويين والمتاجر التي ترد كل سنة من فرنسا وتباع في هذا القطر · وقس على ذلك مصالح المانيا وايطاليا والنمسا وبلجكا· ومن هذا القبيل مصالح انكلترا ايضاً ويزاد عليها حصتها الكبيرة من ترعة السويس وكون هذه الترعة طريقاً الى املاكها ومصالحها في الهند

واذا بحثتَ عن اصحاب هذه المصالح الحقيقيين من انكليز وفرنسويين والمانيين ونمسويين وبلجيكيين وايطاليين وجدتهم الاغنياء اصحاب البنوك والمعامل والمصانع الذين لا يتجاوز عددهم الالوف او المئات واما جمهور الشعب من الفلاحين والعمال الذين يُعدُّون بعشرات الملايين فلا يملكون شيئاً من هذه المصالح وغنى مصر وغيرها من البلدان الشرقية لا يكسبهم رغيفاً فوق الرغيف الذي ياكلونهُ وفقرها لا يخسرهم غرشاً· وقس عليهم الجنود البرية والبحرية الذين يدافعون عن مصالح بلدانهم بدمائهم مسوقين الى الحروب كالانعام فانهُ ليس لهم سهم من تلك المصالح وانما هي مصالح الاغنياء وهم خَدَم مسيرون في هذا التيار-تيار خدمة الوطن ومصالحه

وقد تقدَّم لنا في مقالة سابقة ان للانكليز ٢٧٠٠ مليون من الجنيهات مثمَّرة (موظفة) في غير الجزائر البريطانية فمنها ١١٧٠ مليون جنيه في اميركا وكندا و ٥٣٥ مليون جنيه في افريقية و ٤٥١ مليون جنيه في اسيا و٣٤٧ مليون جنيه في استراليا و٢٠٥ ملايين جنيه في ممالك اوربا و١٥٠ مليون جنيه في اميركا الجنوبية· ولسائر ممالك اوربا اموال مثمَّرة في كل البلدان

ويقدَّر مجموعها كلها بنحو ستة آلاف مليون جنيه . وهذه الأموال تزيد كل سنة زيادة فاحشة فقد ذكرنا في جزء اغسطس الماضي انهُ يفضل مع الانكليز كل سنة نحو مئة مليون جنيه وهي فضلة دخلهم على نفقاتهم واحصى بعضهم ما يفضل عند غيرهم من الامم فوجد انهُ يفضل كل سنة عند اهالي الولايات المتحدة ١٢٠ مليون جنيه وعند الفرنسويين ٨٠ مليون جنيه وعند الالمانيين ٦٠ مليون جنيه وعند البلجيكيين والهولنديين والسويسريين ٥٠ مليون جنيه وعند النمسويين ٣٢ مليون جنيه وعند الروسيين ٣٢ مليون جنيه ايضاً وعند الايطاليين ١٢ مليون جنيه وعند الاسبانيين والبرتغاليين ١٢ مليون جنيه وعند الاسوجيين والنروجيين ثمانية ملايين جنيه والجملة نحو ٥٠٠ مليون جنيه

هذه الاموال الطائلة تفضل كل سنة عمَّا ينفقهُ الاوربيون واهالي الولايات المتحدة فيوسعون بها الاعمال في بلدانهم المختلفة ويثمرونها في اسيا وافريقية . واذا تذكرنا ما قالهُ الحكيم وهو ان المديون عبد للدائن فهم يستعبدون باموالهم سكان اسيا وافريقية بتدينهم اياها المئة باربعة الى ستة او سبعة في السنة ويتقاضون ريعها منهم وهو لا يقل عن ثلثمئة مليون جنيه

ولكن الذي يجول في البلدان الاوربية لا يرى جمهور الاهالي على ثروة طائلة بل بالضد من ذلك يراهم فقراء يعيشون من يدهم الى فمهم كما يقول المثل الانكليزي واذا ابطلوا العمل بسبب المرض او المطر تضوروا جوعاً وقد يموتون جوعاً بالفعل فجمهور الاهالي او تسعة وتسعون في المئة منهم لا ينالهم شيءٌ من هذه الثروة فهي خاصة بالاغنياء وهم خدام لهم يخدمونهم بقوى اجسامهم وعقولهم كما تخدمهم الامم المديونة لهم

تدفع الحكومة العثمانية لاصحاب الديون من الاوربيين اكثر من ثمانية ملايين من الليرات كل سنة ولا يزيد دخل شعبها كلهِ على ثمانين مليون ليرة فاكثر من عشر دخلهم يذهب الى نفر قليل من اصحاب ديونها عدا ما يكسبونهُ من متاجرهم مع تركيا . وتدفع الحكومة المصرية وشعبها لاصحاب الديون المصرية من الاوربيين ستة ملايين من الجنيهات او اكثر وقد لا يزيد دخل القطر المصري كلهِ على خمسين مليوناً من الجنيهات فهو يدفع اثني عشر في المئة من هذا الدخل للدائنين . وقس على ذلك سائر البلدان المديونة لهم . واذا تأخرت بلاد عن دفع دينها او اذا ظُنَّ في بلاد انها تستطيع ان تستدين من اموال هؤُلاء الاغنياء وهي لا تستدين منها او انها تستطيع ان تشتري من بضائعهم وهي لا تشتري استخدموا كل ما لديهم من الوسائل لجعلها تدفع ربى دينها على آخر بارة ولجعلها تستدين منهم وتشتري من بضائعهم وهذا سبب تعرضهم لشؤُون البلدان المختلفة في اسيا وافريقية واتباعهم سياسة

الباب المفتوح واهتمامهم بالمقاطعة التجارية وعدها حرباً عدائية

وجملة القول ان السلطة الفعلية انتقلت او اخذت تنتقل من اصحاب الامارة الى اصحاب الاموال . وصار اهتمام اصحاب الامارة بالسلطة على مقدار نفعهم منها لانهم هم ايضاً صاروا شركاء مع التجار في المتاجر والاسهم والسندات . فهل خسر الشعب بما تمَّ حتى الآن من انتقال السلطة الى اصحاب الاموال وهل تزيد خسارتهُ اذا تمَّ هذا الانتقال كما ينتظر . والجواب كلاَّ لان نسبة الشعب الى اصحاب الامارة كانت نسبة العبد الذليل الى سيده العاتي واما نسبتهُ الى اصحاب الاموال فنسبة الخادم القوي الى سيده الضعيف فتراهُ يعتصب على اصحاب الاموال من وقت الى آخر فيضطر هؤلاء ان يراضوهُ ويرفعوا اجورهُ . ولم يكن احد من عامة الشعب يطمع بالامارة اما الغنى فسبيلهُ مفتوح امام كل مجتهد مقتصد ولذلك قد ترى الواحد الآن يولد وهو من افقر الفقراء ويموت وهو من اغنى الاغنياء . وقلما كان اصحاب الامارة يهتمون بتوزيع سلطتهم على شعبهم اما الاغنياء فكثيراً ما ينفقون الاموال على الاعمال العمومية النافعة لجمهور الشعب واذا كان اولاد الملك لا يصلحون لان يخلفوهُ لم يستطيعوا ان يوزعوا سلطتهُ على شعبهِ واما اولاد الاغنياء فاذا لم يستطيعوا الاحتفاظ باموال ابيهم يذروها ويبددوها فتتوزَّع على الجمهور ثانية . واموال الاغنياء عملت كل الاعمال العظيمة المؤسسة على الاختراعات الحديثة التي بها قلَّت المشاق وزادت الراحة . والخلاصة ان هذا الانتقال ليس بضائر اذا نظرنا اليهِ في الام امة امة اي ان ابناء الامة الواحدة لا يضرُّون بانتقال السلطة من امرائهم الى اغنيائهم بل يستفيدون ولكن ما يصدق على ابناء الامة الواحدة بالنسبة الى امرائها واغنيائها لا يصدق عليهم بالنسبة الى اغنياء غيرها من الامم فلتتدبر ذلك الامم الشرقية لئلاَّ تضيع البقية الباقية لها من العزة والحرية باستعبادها لملوكها ولاغنياء الامم الاخرى

اما الامم التي وضع على عنقها نير الدَّين واستحكمت حلقاتهُ كالامة المصرية فسبيلها الوحيد لاسترجاع حريتها الاجتهاد والاقتصاد . الاجتهاد حتى تكثر موارد دخلها وتزيد وذلك باتقان الزراعة والصناعة وكل الاعمال المنتجة وهذا الباب واسع جدًّا لانهُ اذا استطاع زيد ان يستغل من فدانهِ ثمانية قناطير من القطن وثمانية ارادب من القمح و ١٥ اردباً من الذرة وجب ان يستطيع ذلك كل احد لان ارض مصر تكاد تكون واحدة في معدنها . والاقتصاد في النفقات ولاسيما اقتصاد الاغنياء الذين يبذرون اموالهم على ما لا يفيد احداً . فاذا زادت ثروة البلاد وتخلصت من ديونها سهل عليها نيل كل حرية

فلسفة شوبنهور [1]

شوبنهور زعيم فلسفة التشاؤم ومن كبار فلاسفة الالمان في القرن التاسع عشر ولد سنة ١٧٨٨ وقضى صباهُ في المانيا وفرنسا وانجلتره تبعاً لرأي والدهِ في التربية . فنشأ من ذلك حرَّ الفكر لم تقيّد عقلهُ قيود المدارس التي تضر الكثير وتنفع القليل . وكان غرض والدهِ ان يعدَّهُ للتجارة ولكنهُ لم يحقق هذا الغرض اذ مات منتحراً نتيجة افلاس مالي . اما امهُ وكانت كاتبة بارعة في الفنون فلحظت تشوُّقهُ الى العلوم فأدخلتهُ في احدى الجامعات فنبغ فيها وبدت بوادي فلسفتهِ من ذلك الوقت . فكان على شدة شهواتهِ كابحاً لها كما تشهد بذلك مذكراتهُ التي قال فيها احد مترجميهِ انها غير خليقة بالظهور امام الجمهور . ولما ترك الجامعة كانت افكارهُ قد اختمرت فألف كتابهُ المشهور : العالم ارادة وتصوُّر

ولكن قضي عليهِ ان يموت قبل ان يتنبه العلماء لاقوالهِ على شدة الحاحهِ بعلو فلسفتهِ وقدرها . اما الآن فيعد في مصاف العلماء الذين قدموا الفلسفة واسفروا عن الطبيعة الخفايا الكثيرة . وقد عاش عزباً الى ان مات في سنة ١٨٦٠

١ الحقيقي والتصوري

قال شوبنهور عن كتابهِ انهُ ليس نظاماً فلسفياً بل تصوُّر يمكن تطبيقهُ على كل اعمالنا . وهذا التصوُّر ينحصر في القول بان كل الاشياء التي حولنا — كل هذا العالم الذي نشعر بهِ او نراهُ هو خيال ولا نعرف حقيقتهُ . مثال ذلك هذا الكتاب فنحن لا ندرك حقيقة الكتاب بل ندرك ما تدلنا عليهِ حواسنا عنهُ . فعلمنا عن الكتاب تصوري خيالي لا حقيقة . فلو زادت فينا قوة الشم مثلاً الى درجتها في الكلب لتغير ما نعرفهُ عن الكتاب

فنحن اذن نعرف ظاهر الشيء او هيئتهُ اما ذاتيتهُ او حقيقتهُ فلا نعرفها لان حواسنا تدلنا فقط على ظواهر الاشياء . فاذا اردنا ان نفهم كنه الطبيعة او سرها وجب ان نعتمد على شيء آخر غير حواسنا

ولكن علومنا ومعارفنا كلها مبنية على ادراك الحواس . اذن فعلومنا خطأ ونحن نعرف ظواهر الاشياء لا حقيقتها

ولكننا نرى في الطبيعةِ نواميس ثابتة تدل على قوة كامنة فيها كالجاذبية مثلاً . ويقول شوبنهور ان الجاذبية هي مظهر من مظاهر القوة العالمية التي يسميها بالارادة

---

(1) The World as Will and Idea by Schopenhauer

فالارادة هي الحقيقة الوحيدة التي نعرفها . ونحن نعرفها من أنفسنا اولاً فهي تعبّر عن نفسها فينا بالشهوات والغرائز وتعبر عن نفسها في العالم بكل المظاهر التي تظهر امامنا . فحركة السيارات وجري الرياح والانهار وقتال الوحوش والحياة نفسها — كل هذه تعتبر من مظاهر القوة او الارادة العالمية . فالارادة حقيقية فينا بمعنى أنها غير مبنية على الحواس التي تنقل لنا صور الاشياء او هيئتها وهي اس الحركة والعمل فينا وفي الطبيعة

٢ فلسفة التشاؤم

ولكن ما هي نتيجة هذا التصوُّر ؟ لنبحث أولاً عن حقيقة الارادة

اذا اردنا ان نأكل عنينا بذلك اننا في حاجة الى الاكل . واذا لم نكفِ هذه الحاجة شعرنا بألم الجوع

فالارادة دليل حاجة في جسمنا . وهذه الحاجة دليل ألم يهدأ بالاكل فالارادة ألم

ولكن السعادة المعروفة اليوم هي ان تهدأ نفوسنا أي ان لا تتنافر طبيعتنا مع ما هو حولنا . وبعبارة أُخرى ارضاء ارادتنا

ولكن ارادتنا ألم فهل ارضاء الألم سعادة ؟

اذا اردت ان اسديك فضلاً فلا ينبغي ان اكتفي بايفاء ما عليَّ لك من الدين . ولكن هذه هي السعادة . فالطبيعة اذا أرضت شهواتنا او ارادتنا سمينا أنفسنا سعداء بمعنى انها اذ اوفت دينها ولم تزد عليهِ شيئاً اغتبطنا وفرحنا بما نحن فيهِ من السعادة

هذه هي فلسفة التشاؤم . أي ان السعادة من الاوهام الفارغة التي نجري وراءها ولا نصل اليها . والانسان عبد لارادتهِ وبالنتيجة هو اناني فاذا سعد فببؤس غيرهِ وقيمة الجنيه الذي في جيبه تزيد بقدر احتياج غيرهِ اليهِ

وقد انكر ان الله يجازي الانسان في الحياة الثانية وقال ان الانسان مقضي عليهِ بالشقاء في هذه الدنيا ودواؤهُ الوحيد ان يتخلص من حياتهِ ويخلص غيرهُ بالتبتل وعدم ولادة الاولاد

وقد فعل بما قال بل وزاد فعاش عزباً طول حياتهِ واشتد كرههُ للنساء لانهنَّ سبب تخليد نوع الانسان الى حد ان ضرب واحدة منهنَّ وغرم بدفع اعانة شهرية لها الى ان مات

هذه هي خلاصة الخلاصة لما ارتآهُ في الكتاب المشار اليهِ واهم اعتراض على هذه الفلسفة أولاً ان السعادة ليست غرض الانسان — اذا أُريد بالسعادة اطمئنان النفس الى ما حولها . وثانياً ان الانانية التي هي اس اعمالنا حتى في تضحية انفسنا فضيلة يجب ان تمدح وتقوى على أساليب معقولة

لندن سلامه موسى

الميزانية العثمانية

خلاصة اجمالية لميزانية سنة ١٣٢٥ المالية العثمانية التي انتهى مجلس المبعوثان من المناقشة فيها في ١٣ اغسطس الماضي

المصروفات	غرش
الديون العمومية	٨٢٩ ٤٢٦ ٢٠٢
الخزينة الخاصة	٥٢ ٢٥٧ ٠٢٧
المجلس العمومي (الاعيان والمبعوثان)	٢١ ٥٣٤ ٦٤٠
الصدارة	٣ ٤٤٩ ٤١٧
شورى الدولة	٥ ١٥٢ ٢٢٧
الداخلية	٨ ٥١١ ٢٩٢
الامن العام	٤٠ ٣٦٣ ٠١٠
الخارجية	٢١ ٨٣١ ٠٢٥
المالية	٢٧٢ ٣٢٣ ٤٨٢
ديوان المحاسبات	٠١ ٦٢٨ ٤٠٠
الرسومات (الجمارك)	٥١ ٤٨٣ ٨٧٦
البوستة والتلغراف	٦٩ ٢٨٩ ٩٥٣
الحربية	٨٢٨ ٠٥٤ ٢٦٣
الطوبخانة	٤٣ ١٤٥ ١٤٨
الجندرمة	١٨٠ ٠٧١ ٤٦٢
البحرية	١٢٢ ٨٨٤ ٠٨٦
العلمية (المشيخة)	٤٨ ٥٤٣ ٣٧٧
العدلية والمذاهب	٦٥ ١٩١ ٧٢٠
المعارف	٦٦ ٠٥٢ ٧٥١
الخراج والمعادن والزراعة	٣٣ ٤٢٦ ٢٩٦
التجارة والنافعة (التجارة والاشغال)	١٠٦ ٤١٢ ٣٥٥
السكة الحديدية الحجازية	٦٩ ٣٢٥ ١٢٤

الدفتر الخاقاني (قاداسترو)	١١ ٣٨٢ ٠٠٠
الصحة	١ ٠٩٢ ٠٨٠
المجموع —	٣ ٠٥٢ ٨٣١ ١٧٢

الايرادات

ضريبة الاملاك والعقار	٢٤٣ ٥٧٦ ٤٠٠
ضريبة التمتع	٤٧ ٢١٧ ٥٠٠
البدل النقدي	١٢٨ ٩٦١ ٢٠٠
التكاليف الشخصية في الطرق والمعابر	٢٨ ٣٤٤ ٤٠٠
رسوم الاغنام والجمال والجواميس	١٦٦ ٩٣٤ ٩٠٠
الاعشار	٥٣٨ ٣١٠ ٢٠٠
الرسوم التي توءخذ من الغابات الخصوصية	١٢ ٦٨٦ ١٠٠
رسوم المعادن	٥ ٥٥٥ ٨٠٠
اثمان تذاكر الضرائب	٥ ٦٦٠ ١٠٠
حاصلات الاملاك الاميرية المحولة من الخزينة الخاصة ...	٦٢ ٠٣٣ ٣٠٠
حصة اعانة المنافع والمعارف	٧٧ ١٢٣ ٠٠٠
رسوم التمغة	٤٢ ٥١٦ ٠٠٠
الخرج	٣٧ ٠١٢ ٨٠٠
القيديات	٢٦ ٨٨٥ ٨٠٠
رسوم المسكرات وبيع التنباك	٢٨ ٥٢٤ ٣٠٠
رسوم الكمرك	٣٩٤ ٦٢٤ ٤٠٠
رسوم البحرية	١٦ ١٥٥ ٤٠٠
رسوم صحة الحيوانات	١ ٩٣٢ ٨٠٠
الصيد البري والبحري	١٣ ٥٢٤ ١٠٠
الملح	١١٦ ٤٨١ ٨٠٠
المأخوذ من الريجي مع حصة الديون العمومية والخزينة ...	٩٥ ٠٩٧ ٣٠
ريجي التنباك	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
البارود	٧ ٢٦٣ ٤٠٠

المسكوكات	١ ١٠١ ٣٠٠
البوستة والتلغراف	٧٩ ٢٥٨ ٩٠٠
حاصلات تشغيل السكة الحديدية الحجازية	٧ ٦٠٠ ٠٠٠
معمل الهواء الغازي بطوله بنجه	٥ ٧٢٠ ٦٠٠
حاصلات مكتب الصنائع	٩٢٠ ٠٠٠
واردات كباري الخليج	٥ ٩٣٦ ٥٠٠
حاصلات المعادن	١٢ ٤١٣ ٤٠٠
الايرادات من بيع الاملاك المعجلة والايجار	٨ ٦٢٦ ٠٠٠
اثمان الاشياء التي تباع	٢ ٤٣٧ ١٠٠
حاصلات الحراج الاميرية	١٥ ٤٨٥ ٠٠٠
ويركومصروزيلع وقبرس واينه روز وسيسام	٨٧ ١٣١ ٦٠٠
الواردات المتحصلة من معاملات الخزينة	٨ ٩٤٦ ٧٠٠
تمتعات بنوك الزراعة	٧ ٧٠٩ ٨٠٠
حاصلات المكتب الطبي	٣٠٧ ٧٠٠
براءات الاختراع	١٩٣ ١٠٠
الجزاء النقدي (الغرامات)	١ ٧٢٥ ٧٠٠
حصة الخزينة من حاصلات الشركات ذات الامتيازات ...	١ ١٩٣ ٥٠٠
من السكك الحديدية	١٧ ٣٢ ٤٠٠
من القومبانيات ذات الامتياز مقابل التفتيش	١ ٧٦٨ ٠٠٠
اعانات السكة الحديدية الحجازية	٢٤ ٠٥٤ ٠٠٠
التجهيزات العسكرية	٥٨ ٦٣٤ ٣
الحاصلات المتفرقة	٣٩ ٠٠١ ٦٠٠
المجموع	٢ ٥٠٧ ٨٩٦ ٢٠٠

هذا ويتعذر علينا ان نبدي اقل رأي في هذه الميزانية لان ليس لدينا شيء من تفاصيلها ولكننا كنا نود أن نذكر منها لمذا بلغت فوائد الديون العمومية ثمانية ملايين من الليرات ولو اضيف اليها الدين الذي يدفع ويركومصر فائدة له وكم هي الفائدة الحقيقة وكم هي مبالغ

الاستهلاك . وكيف تكفي ثمانية ملايين من الليرات لجيش عامل يبلغ نحو نصف مليون الى غير ذلك مما لا بدَّ من الوقوف عليهِ عند نشر الميزانية المفصَّلة

الاعيان والمبعوثان

جلسة الختام في هذا العام

التأم مجلس المبعوثان يوم السبت ٢١ اغسطس وقرأ الرئيس خطبة الوداع وهذا تعريبها

أيها الزملاء المحترمون

اليوم يختم اجتماع مجلس المبعوثان لعامهِ الاول وكنت اود ان اذكر مجملاً للاعمال التي قمنا بها فيهِ لو وجدت المجال ذا سعة . كان رجاؤُنا في بادىء الامر اننا نستطيع اتمام الاعمال التي ناطت الامة بنا البحث فيها وتقريرها في الاربعة الاشهر التي ضربت موعداً لاجتماع المجلس ولكن تواكل الحكومة وتوانيها في ارسال البيانات والنظامات التي سنتها الينا أعاقنا فلم تتمَّ اعمالنا طبق المرام . ثم اخذت تلك النظامات ترد على المجلس تباعاً فجعل ينظر فيها بعزيمة صادقة ونية صافية واذا شبح الاستبداد مثل امام عيوننا والفساد وراءهُ يرخي القائمون بهِ ستار الدين عليهِ . اولئك جعلوا شعارهم « طلب الشريعة » ليتمكنوا بهِ من خداع الجنود حماة الدستور اولئك الذين راموا اهانة الشريعة السمحاء ومحو صولة الامة ودك صروح آمالها . اولئك السفلة الذين اتخذوا الحرية التي نلناها بعد جهاد شديد سلاحاً يقضون بهِ لباناتهم فقابلوا النعمة بالنقمة والاحسان بالكفران

ولكن الجيش العثماني الباسل المملوء حمية وغيرة وطنية . ذلك الجيش الذي يضرب بسيف الامة ليذود عن حوضها ويذبَّ عن حريتها طعن برهف الحق تلك الفئة الباغية التي لا خلاق لها فانشق عمود الفجر وأجفل الليل متعثراً بثوب الخيبة والفشل . وعاد المجلس الذي التأم اياماً في سان ستفانوا للدفاع عن حقوق الامة الى هذا المكان الذي نحن فيهِ الآن عاقداً العزم على ان يدك صرح الاستبداد الى الحضيض فلا يبقى لهُ عيناً ولا اثراً

بدأ المجلس حينئذٍ يعلي كلمة الامة ويرفع قدرها ومكانتها ويوافق على النظامات التي تسعدها وتنفع الحكومة والبلاد . اما الذين يقولون ان المجلس لم يأتِ عملاً مذكوراً فاني احول انظارهم الى مجمل اعمالهِ ليبصروا خطاءهم

فقد عرضت الحكومة على مجلسنا ثلاثة وسبعين نظاماً فصادق على ثلاثة وخمسين نظاماً

منها بعد مناقشات عنيفة طال الاخذ والرد فيها ولا تزال النظامات الباقية منها معروضة على رجال القومسيونات يبحثون فيها ويدققون • ورفع حضرات النواب ٦٦٨ تقريراً قبل منها ١٥٨ تقريراً ارسلت الى النظارات لترى رأيها فيها واهملت التقارير الاخرى .

ورفع الى المجلس عشرة آلاف اقتراح قبل منها ٤٥٠٠ اقتراح ورفض ٥٢٠٠ اقتراح منها وما بقي منها لا يزال معروضاً على بساط البحث . واذا علم ما تقتضيه هذه الاقتراحات من الوقت للمناقشة فيها والمناقشة في بعضها اكثر من مرة بسبب تعديل مجلس الاعيان لهُ ثبت جلياً ان اعضاء المجلس الكرام لم يقضوا الشهور التي اجتمعوا فيها عبثاً ولا ذهبت اتعابهم سدًى ولا كانوا مشدودي الايدي • فالحق والواجب يقضيان بشكر المبعوثان ولاسيما رجال القومسيونات لما بذلوهُ من الهمة وذللوهُ من الصعاب

لما فتح مجلس المبعوثان لم يكن فيهِ شيءٌ معدًّا ولكن المساعي التي بذلها زملائي المحترمون وقلم الادارة والمراسلات والمختزلون وقلم الاوراق والجنود المحافظون على المجلس سهلت كل امر عسير • وقد افردنا غرفاً للقومسيونات من الغرف الخاصة بنظارتي العدلية والاوقاف • ولما كانت هذه الغرف وغرف المجلس لا تكفي للاعمال فكرنا في ضم بنائي نظارتي الاوقاف والعدلية الى بناء المجلس ولكن الصدر الاعظم ابلغنا ان نظارة العدلية لا تستطيع اخلاء بنائها الآن فطلبنا من جلالة السلطان الاعظم مكاناً فانعم علينا بسراي جراغان ليجتمع فيها مجلس المبعوثان

فهذا الانعام وعناية جلالة السلطان رئيس السلطتين التنفيذية والتشريعية بمجلسنا يثبت لنا ميل جلالتهِ الاكيد الى الدستور والى اعلاء مجد الوطن • فيحق لنا الافتخار بسلطان دستوري كجلالتهِ (تصفيق) • ويجب علينا ان نشكر للحكومة الحاضرة ما بذلتهُ من الهمة لانجاز القوانين وعرضها على مجلس النواب • وان نثق بان الحكومة التي قوامها رجال جد وعمل ذوو مقدرة وكفاءة ستدار دفة الاصلاح فيها بكل دقة ومهارة

مواطنيَّ الكرام

عملت واياكم يداً واحدة تسعة اشهر ولما كان المرء لا يتعلم الواجب عليهِ في المدرسة بل في ساعات العمل اقول انني كنت غير مجرب للامور فاذا كنت قد هفوت في امر فهفوتي رمية من غير رامٍ • واعتقادي ان الهفوة التي يرتكبها المرء بنية حسنة يجب ان لا تكدر احداً • وقد كان من حسنات مجلسنا اننا تعارفنا وسيكون لهذا التعارف فضل في اتفاقنا ووئامنا في العام المقبل اننا نفترق اليوم على امل التقاء بعد ثلاثة اشهر • فالواجب علينا ان نسعى

فيها جهدنا لنشد ربط السلام بين ابناء الامة ونشرب افئدتهم حب الدستور · فادعوا لحضراتكم بالنجاح واستودعكم الله (تصفيق شديد طويل)

ثم علا الصدر الاعظم منبر الخطابة وقرأ الخطبة التالية

علمتم من الخطبة التي سمعتموها الآن ان مجلس النواب الذي اتمَّ اعمالهُ في ٧ يونيو سنة ١٢٩٣ لم يوافق الاَّ على ثمانية عشر مشروعاً فواحد منها فقط ينفع البلاد وهو مشروع المجالس البلدية · اما المشروعات الاخرى فلم تكن الاَّ كتب شكر وامتنان اما مجلسكم هذا (اي مجلس المبعوثان) فقد وافق بالرغم عما لقيهُ في سبيلهِ من الصعاب على ثلاثة وخمسين مشروعاً كلها تؤيد الدستور وترقي البلاد وستبذل الحكومة جهدها في تنفيذها ومن نظامات تحتاج البلاد اليها لعرضها على حضراتكم في اجتماعاتكم في السنة القادمة والحق يقال انكم ساعدتمونا في اجتماعاتكم الماضية مساعدة نافعة نشكركم عليها اجزل شكر

واخرج حسين حلمي باشا الخط الهمايوني من محفظة حرير احمر وتلاهُ وهذا تعريبهُ

لما كان اجتماع مجلس النواب في سنتهِ الاولى قد انتهى في ٨ اغسطس سنة ١٣٢٥ طبقاً للمادة ٤٣ من القانون الاساسي فقد تقرر ان يكون اجتماعهُ في السنة القادمة بارادة الله في اول شهر نوفمبر وقد اصدرنا الارادة باطالة مدة المجلس منذ اليوم وكلفنا الصدر الاعظم ان يقرأ ارادتنا في المجلس و يبلغ اعضاءهُ الكرام رضاءنا السلطاني عن الهمة الحقة الوطنية التي ابدوها

الامضاء محمد رشاد

حسين حلمي

وقرأ طلعت بك ناظر الداخلية الخط الهمايوني في مجلس الاعيان ثم تلا سعيد باشا الخطبة التالية قال

انهُ وان كان هذا العام هو العام الاول لتنفيذ القانون الاساسي كما يستفاد من اقوال الحكومة التنفيذية فقد صادق المجلس على عدة نظامات فيها فوائد كبيرة اذا نفذت فعلاً واذا شئتم فانا نرجو من حضرة الناظر ان يكون ترجماناً في الاعراب عن عواطفنا الخالصة لجلالة السلطان الاعظم وامتناننا العظيم من الاصلاح الذي جرى ومن العناية التي يظهرها جلالتهُ لمجلس الاعيان (نوافق نوافق) واشكر هيئة الحكومة باسم مجلس الاعيان لانها تقدر خدمة الهيئة التشريعية حق قدرها · فقد انتهت مدة اجتماع مجلسي الاعيان والمبعوثان عملاً بتلك الارادة التي سمعتموها وطبقاً للقانون الاساسي · انتهى

وكان هذا ختام اجتماعات المجلسين في هذا العام



الحاصلات المصرية

جادت المزروعات هذا العام في القطر المصري شتاء وصيفاً فاعتدل الهواء في الشتاء وكان الري وافياً فلم يشكُ أحد من محصول القمح والفول بل كان الكلُّ شاكرين ولم يهبط سعر القمح لانهُ مهما زاد فهو لا يكفي حاجة البلاد فيبقى ثمنهُ مناسباً لثمن ما يرد منهُ من الخارج والقمح غال في اوربا فبقي سعر الاردب من القمح المصري من ١٢٠ غرشاً الى ١٥٠ غرشاً وهو سعر غالٍ . أما التبن — ومقطوعيتهُ محصورة في البلاد ولا يحتمل ان يشتريهُ الفلاحون من الخارج ولو قلَّ عما تحتاج اليهِ بهائمهم — فهبط سعر الحمل منهُ من مئة غرش الى نحو ثلاثين غرشاً . وهبط سعر الفول ايضاً من ١٥٠ غرشاً الى ما بين ١١٠ و١٢٨ وسعر الشعير من ١٠٠ غرش الى ٨٠ غرشاً

وجاء الفيضان باكراً ووافياً والهواء معتدلاً فجادت زراعة القطن وزراعة الذرة . وقد أصيب القطن بالدودة وأصيبت معهُ الذرة اما القطن فإصابتهُ غير عامة ويقدر نقصهُ بسبب الدودة بنحو ٥٠ في المئة ولكن الذي لم يصب زاد نموهُ ولوزهُ عن المعتاد وتقدر الزيادة بنحو عشرين في المئة عن العام الماضي وقد عُلمت مساحة الاطيان المزروعة قطناً هذا العام بما يمكن من التدقيق فاذا هي أقل كثيراً من المساحة في العام الماضي لكن ارباب الزراعة يرجون ان المساحة واحدة ان لم تكن هذا العام أوسع من العام الماضي فاذا ثبت ذلك فموسم هذا العام يكون اكبر من موسم العام الماضي بنحو خمسة في المئة على الاقل فيبلغ سبعة ملايين قنطار لان موسم العام الماضي بلغ نحو ستة ملايين وثلثي المليون من القناطير

وسعر القطن الآن جيد جداً فقد بلغ سعر القنطار الى حين كتابة هذه السطور اكثر من ١٨ ريالاً وسعر اردب البزرة اكثر من ثمانين غرشاً وكثيرون قطعوا سعر اقطانهم من الآن باربع مئة وعشرة غروش القنطار . فاذا بلغ الموسم سبعة ملايين قنطار وكان متوسط سعره للفلاح ٤١٠ غروش بلغ مجموع ثمنهِ ٢٨ مليوناً و ٧٠٠ الف جنيه هذا عدا ما يضاف اليهِ حين بيعهِ للخارج من اجرة الحلج والحزم والرزم والشحن وربح السمسار والتاجر فيفوق

الثمن الذي يأخذهُ القطر المصري من اهالي اوربا واميركا الذين يشترونهُ ٣١ مليون من الجنيهات

ونمو الذرة جيد جدًّا لاسيما وان اكثرها مبكر والذي اكلتهُ الدودة أُعيد زرعهُ الاَّ ما كان منهُ مبكراً جدًّا وضربتهُ الدودة بعد ان بلغ اشدَّهُ من النمو · ولعلَّ ضرب الدودة لهُ هذا العام يمنع الناس من التبكير الكثير في زرعهِ في الاعوام المقبلة · والمرجح ان موسم الذرة هذا العام يكون اكبر من موسم الذرة في العام الماضي بنحو عشرين في المئة اذا سلم من الآفات الجوية

اصلاح الاطيان بالمصارف

لا شبهة في ان توفر الري الصيفي في القطر المصري يتلف الاطيان ان لم يُتلافَ هذا التلف بالمصارف فلما كانت الارض تزرع زراعة واحدة نيلية فقط كان حر الصيف وجفافهُ يجففان التربة فتستعد للزراعة الشتوية في العام التالي اما وقد شاعت الزراعة الصيفية فلم تعد الاطيان تجف صيفًا بل صارت رطوبتها تزيد فتتراكم العفونة والحموضة في طبقتها السفلى التي تنتشر فيها جذور المزروعات

وتختلف طبيعة الاطيان بين المتراخي الاجزاء الذي يمكن صرفهُ وتجفيفهُ على عشرات من الاقصاب وبين المتماسك الاجزاء الذي لا يصرف جيدًا الاَّ على اربع قصبات اوخمس والغالب ان الاخير يكون اجود من الاول اذا أُحسن صرفهُ بجعل المصارف قريبة بعضها من بعض فتشق في الارض طولاً من اعلاها الى اسفلها ويجعل البعد بين المصرف والمصرف اربع قصبات او خمسًا على الاكثر ولا عبرة بطول المصرف مهما كان ولكن العبرة بعرض القطعة التي بين كل مصرفين فاضيقها اسهلها صرفًا واقربها اصلاحًا حتى لقد تصلح الارض في سنة واحدة مهما كانت كثيرة الملوحة واذا وضع حطب القطن في هذه المصارف وردمت بقيت تصرف من اسفلها واعيد سطحها الى الزراعة فتجود المزروعات فيها اكثر مما تجود في غيرها فلا يخسر الغيط شيئًا من مساحتهِ

ولا بد من تعميق المصارف الى آخر ما يمكن بالنسبة الى المصرف العمومي الذي تصب فيهِ ويجب تسليكها من وقت الى آخر مما يتجمع فيها من الاتربة والحشائش التي تمنع جريان الماء فيها · ويجب ان يزيد الاهتمام بالصرف على الاهتمام بالري

واذا كانت الارض لا تصرف بالراحة لانخفاضها عن المصرف العمومي فهي طبعًا مما

يروى بالراحة فيجب ان تحفر لها مصارف كما تقدَّم تصب في مصرف عمومي لها وتوضع عليهِ طلمبا رافعة ترفع الماء منهُ وتصبه في المصرف العام والانفاق على الطلمبا الرافعة هنا للصرف كالانفاق على الطلمبا الرافعة في الاطيان التي لا تروى بالراحة ويجب ان لا يكون الاهتمام بها اقل من الاهتمام بطلمبا الري

صلاحية مياه الصرف

يظن البعض ان مياه الصرف كلها غير صالحة للارواء وهذا غير صحيح فاذا كانت الارض كثيرة الاملاح المضرَّة بالزراعة فالمياه التي تصرف منها غير صالحة لارواء غيرها وهذا نادر جدًّا في الوجه القبلي من القطر المصري وغير كثير الاَّ في الجهات السفلى من الوجه البحري . واذا كانت الارض خالية من الاملاح التي تضرُّ بالزراعة فالمياه التي تصرف منها تكون اجود من مياه النيل واجود من المياه التي تروى بها عادة لانها تكون حاوية لكثير من المواد التي تغذي المزروعات وقد ذابت فيها من الارض التي صرفت منها

ورب معترض يقول ان كانت هذه المياه صالحة للري وللزراعة فلماذا صرفت من الارض والجواب انها تصرف منها لسببين الاول انهُ حين صرفها يتخلل الهواء التربة بدل الماء الذي يخرج منها والهواء يساعد على حل المواد الترابية وجعلها غذاء لجذور النبات والثاني ان الجذور قد تتعفن بوجود الماء حولها أي يتولد فيها وعليها مولدات العفن فتتلف ولكن هذا لا يمنع ان يكون الماء صالحًا جدًّا لارواء الارض الجافة

وليس من الحكمة اجراء مياه المصارف كلها الى بحر الروم قبل فحصها فحصًا كيماويًا ووجودها حاوية املاحًا تضرُّ بالزراعة لان اضاعتها من غير موجب خسارة كبيرة على القطر وهو في اشد الحاجة الى الاكثار من ماء الري والى تغذية المزروعات . وقولنا هذا لا ينفي وجوب الصرف فالصرف لازم على كل حال ولكن مياه الصرف قد تكون ضارَّة بالزراعة فيجب صبها في مصرف عمومي تجري بهِ الى بحر الروم وقد تكون مفيدة لها فيجب الاحتفاظ بكل نقطة منها

ومن الامثلة التي تؤيد ما تقدم ان اراضي الفيوم المنحدرة نحو بحيرة قارون يصرف بعضها في بعض وتختلط مياه الصرف من عاليها بمياه الري التي يروى بها واطئها ومع ذلك فالاطيان السفلى القريبة من البحيرة تأتي بمحصولات من القمح والذرة والفول والبرسيم والقطن كاجود الاطيان المصرية . فلو كانت مياه الصرف كلها ضارَّة على حدّ سوى للزم ان

تكون تلك الاطيان بوراً لا تنبت شيئاً . وقد تجمع فيها بعض الاملاح من ركود الماء فيها وتبخرهِ منها من غير صرفهِ فتضر ولكن يكون ضررها من قلة الصرف لا من ان الماء الذي اتاها كان حاوياً مقداراً غير عادي من الاملاح فاضرَّ بها . وهذا لا ينفي ان تكثر الاملاح في بعض الاطيان العالية من آهالها فتصير المياه التي تصرف فيها كثيرة الاملاح وتضرُّ بالاطيان التي تنصرف اليها

العلف والمواشي

ان غلاء العلف في العام الماضي من الفول والتبن والشعير اضرَّ بمواشي القطر ضرراً كبيراً فلم نرَ في سنة من السنين المواشي نحيفة عجفاء كما رأيناها هذا العام حتى ثيران الوسايا الكبيرة نراها نحيفة لا تستطيع ان تعمل ما كانت تعملهُ قبلاً من الاعمال الشاقة في الحرث والتقصيب ومن المقرر ان الجسم النحيف الضعيف لا يكون شديد المقاومة للامراض الوبائية كالاجسام الممتلئة قوةً ونشاطاً ولذلك لا يزال الطاعون البقري يفتك بمواشي القطر مع ما اتخذ من الوسائل لاستئصالهِ . وما دامت الاطيان قليلة واثمانها غالية وكذلك اثمان الحاصلات فلا نرى مندوحة لاهالي القطر عن الاكثار من استخدام الآلات البخارية بدل المواشي لان علف المواشي صار غالياً جدًّا واذا لم تعلف جيداً ضعفت وتعرَّضت للامراض ولم تعد قادرة على القيام بخدمة الزراعة . وهذه المسألة من اهم المسائل الزراعية في القطر المصري

المواشي المجرية

لما كثر فتك طاعون المواشي في القطر المصري جابت الجمعية الزراعية الخديوية ثيراناً من بلدان مختلفة وفي جملتها ثيران مجرية بيضاء اللون طويلة القرون وقد اشترينا البعض منها على سبيل التجربة واقمناها على التقصيب مع الثيران البلدية التي من اجود الانواع ومضى عليها الآن بضع سنوات وهي تعمل مع المواشي البلدية وقد اكد لنا مفتش زراعتنا انها تفوق الثيران البلدية نشاطاً وهمة وصبراً على التعب الشديد وانهُ اذا رأى قطعة ارض صعبة الحرث او صعبة التقصيب ارسل اليها هذه الثيران فحرثتها او قصبتها حسب المراد وهو لو ارسل اليها الثيران البلدية لعجزت عنها او لتعبت فيها تعباً شديداً . والظاهر ان اقليم القطر المصري لا يضرها لانها تأكل مثل غيرها ولا تزال على نشاطها ونحن نشغلها في مديرية الغربية قرب قلين فعسى الذين اشتروا من هذه الثيران ايضاً ان يذكروا ما رأوهُ من امرها

حياة البزور

للبزور او البذار او التقاوي حياة محدودة ولا عبرة بما قالهُ البعض من ان حبوب القمح التي وجدت في ايدي المومياء المصرية زرعت فنبتت فان هذا القول وجد غير صحيح والذين زرعوا البزور لم يدققوا فنبت في الارض بزور اخرى غيرها لان حبوب مانبت دلت على انها من قمح غير القمح المصري القديم· ولا يزال كثير من البزور المصرية التي وجدت في المدافن القديمة معروضاً في دار الآثار المصرية وهي كلها سوداء كالفحم ولا اثر فيها للحياة

والغالب ان البزور التي تزرع في الجنائن تعيش او تبقى صالحة للزرع من سنتين الى تسع سنوات كما ترى في ما يلي

بزور البصل والذرة تبقى صالحة للزرع سنتين

بزور الهليون والجزر واللوبياء والفاصوليا تبقى صالحة للزرع اربع سنوات

بزور الخرشوف والكرنب والقرنبيط والخيار والخس والبطيخ واليقطين والفجل والاسبانخ والكومى والطماطم واللفت تبقى صالحة للزرع خمس سنوات

بزور الفول تبقى صالحة للزرع ست سنوات ·

بزور الكرفس والباذنجان تبقى صالحة للزرع سبع سنوات

بزور الهندباء (الشكوريا) تبقى صالحة للزرع تسع سنوات

وتختلف هذه المدة ايضاً باختلاف الاقليم والحر والرطوبة · والظاهر ان جدة البذار وقدمهُ يؤثران في محصولهِ او ثمرهِ فاذا كانت بزور البطيخ جديدة ابنة سنة فقط كبر نبات البطيخ وقلَّ ثمرهُ واما اذا كان عمرها اربع سنوات او خمساً كان ثمرها اكثر كثيراً

واذا جفت اثمار الكستنا والجوز ونحوها لم تعد تفرخ · والنباتات البرية التي تبذر في ارض من نفسها وتفرخ من غير زرع اذا جمعت بزورها في الخريف ثم زرعتها في الربيع جادت اكثر مما تجود البزور التي تقع في الارض وتبقى فيها كل فصل الشتاء ثم تنبت في الربيع

ويجب ان يكون المكان الذي يحفظ فيهِ البزار او التقاوي جافاً مطلقاً للهواء ولا يحسن ان تحفظ التقاوي في اوعية ضابطة تمنع تخلل الهواء لها · وقد يحفظ الناس التقاوي في آنية من الصفيح منعاً لوصول السوس اليها · ولكن السوس يضر بها غالباً قبل وضعها في تلك

الآنية فلا يكون وضعها فيها وافياً لها . والطرق التي افادت في حفظ البزور من السوس انما تفيد بقتل بيوض السوس وديدانه الصغيرة قبلما تكبر وتنخر البزور لا بمنع اماتها عن وضع بيضها على البزور لان الامات تضع بيضها على البزور وهي في الحقل او في الجرن (البيدر)

قلنا ان البطيخ النابت من بزور جديدة يكون قليل الثمر لا كالبطيخ النابت من بزور قديمة فما ادرانا ان هذا الحكم لا يتمشى على القطن فهل جربت الجمعية الزراعية الخديوية زرع القطن من تقاوي عمرها سنتان وثلاث سنوات واربع سنوات وقابلت بينها وبين القطن المزروع من التقاوي الجديدة في الجودة وعود اللوز ومقدار المحصول

هذه مسألة من اهم المسائل الزراعية وقس على ذلك كل المزروعات فان الاسلوب الجاري فيها كلها عدم تعتيق البزور بل اخذ تقاوي هذا العام من محصول العام الماضي

مررنا بالامس في غيط مزروع قطناً وقطنهُ متوسط الجودة ولكن ما وقع منهُ قرب المراوي وقرب نزول المياه الى المصارف بعد الري جيد جداً وكذا القطن الذي في اطراف الغيط وهذا كلهُ مما يمكن تعليلهُ بالري والصرف وتخلل الهواء للتربة ولكن في وسط الغيط اختلاف في نمو القطن لا يعلل بذلك فترى هنا شجرة اجود من غيرها جداً وهناك شجرة اضعف من غيرها وهذا الاختلاف غير ناتج عن اختلاف في جودة الارض بل عن اختلاف في التقاوي نفسها او عن اختلاف في زرع البزور فان البزرة قد تكون ضعيفة من اصلها وقد تكون قوية من اصلها وما يصدق على القطن يصدق على كل المزروعات فيجب ان تجرَّب التجارب التي توصل الى معرفة اجود التقاوي لاختيارها

توزيع الاطيان في القطر المصري

كان عدد الملاك في القطر المصري سنة ١٨٦٦ لا يزيد على ٧٦٧٢٦٠ نفساً اما الآن فعددهم ١٠٠٨٨ ٣ نفساً فالزيادة في عدد الملاك كبيرة جداً في هذه السنوات القليلة تدل على اهتمام الوطنيين بامتلاك الاطيان وعلى توفر المال لدى صغارهم حتى صاروا من اصحاب الاطيان فقد كان عدد الوطنيين الذين يملك الواحد منهم ٥ افدنة فاقل ٦٠٨٣٧٣ نفساً فصار عددهم ٨٠ ١١٦١ فكان عددهم يتضاعف في ١٢ سنة اما غير الوطنيين الذين من هذا النوع فكان عددهم ١ ٢٧ فصار ٢٧٦٥ اي زاد ٦٤ نفساً لا غير وزاد ايضاً عدد كبار المالكين الذين يملك الواحد منهم ٥٠ فداناً فاكثر فكان ١٠٣٨٩ وكانوا يملكون ١٦٦٦٤٤٧ فصاروا ١٠٩٣١ وهم يملكون الآن ٦٤ ١٨٠ اي زاد ما يملكونهُ ١٣٣٦١٧ فداناً . وعدد الملاك بين هذين

الحدين نقص ونقص ايضاً ما يملكونهُ ولكن المجموع كلهُ بقي زائداً زيادة كبيرة كما تقدم وعدد الأفدنة التي يملكونها زاد ٣٣٤٨٣٥ فداناً

اهم مزروعات القطر

. اهم مزروعات القطر المصري الآن القطن والذرة والرز والقمح والفول والشعير والقصب والبرسيم فالقطن يشغل نحو ٢٢ في المئة من الاطيان والذرة نحو ٢٤ في المئة والرز نحو ٣ في المئة والقمح نحو ١٥ في المئة والفول نحو سبعة في المئة والشعير نحو ٦ في المئة والقصب نحو نصف في المئة والبرسيم نحو ٢٢ في المئة

المديريات والارض المزروعة

	مساحة الارض المزروعة	القابلة للزراعة
اسيوط	٤٠٥٤٧٠	٦٩٧٨
اصوان	٠٥٦٩١٦	١٧٩٠٩
البحيرة	٦٥٢٣٣١	١١٦٣٧٢
بني سويف	٢٢٢٥١٣	٨٩١٠
جرجا	٣٠٤٨٦٣	٨٦٠٧
الجيزة	١٦٩٥١٥	٤٧٠٧١
الدقهلية	٤٩٠٥٢٥	١٠٦٧٧٧
السويس	١٤٨٧	٤٦٨٥٨
الشرقية	٥٤٤٣٦٨	٨٢٦٣٤
الغربية	٩٥٧٨٠٣	٥٥٨٤٣٦
الفيوم	٣٠٦٦٣٤	٤٠٠٥٧
القليوبية	١٨٢٣٢٣	٢٣٦٠٠
قنا	٣٠٦٨١٥	٤١٣٠٠
المنوفية	٣٤٥٧٩٠	٣٦٤٣
المنيا	٣٧٩١٥٩	١٢١٨٩

نخل القطر المصري

المديرية	عدد النخل	عدد الملاك
البحيرة	٢١٠٤٨٠٤٠	١٠٣٤٥
الدقهلية	١٣٤٤٤١	١٥١٣٠
الغربية	٣٤٩٠١١	١٨٠٤١
المنوفية	٠٣٧٦٤٢	٠٩٤٤٩
القليوبية	١٩٨٠١٩	١٤٦٤٦
الشرقية	٨١٦٦٤٠	٨٨٦٠٨
اسيوط	٧٣٠٠٣٨	٧٧٥٥٧
اصوان	٧٠٥٩٦١	٦١٣٣٣
بني سويف	١٨٧١٢٥	٢٧٦٨٠
الفيوم	٤٣٧٧٥٦	٣٨٢٩٦
جرجا	٥٦٦٧١٦	٦٢٣٣٣
الجيزة	٤٣٥٦٠٣	٣٠٩٢٣
المنيا	٤٨٨٠٢٣	٥٣٩٧٨
قنا	٦٢٣٨٥٧	٦٥١٢٦
العريش	٤٦٤٢٩	٢١٠٠
السويس	٣٩٤٧	١٥٤
المجموع	٥٩٦٦٠٠١	٥٧٥٦٨٤

باب الزراعة

الصناعة المصرية منذ مئة عام

(٧)

صناعة التفريخ

هذه الصناعة قديمة العهد في الديار المصرية ولها معامل في جهات عديدة منها اخصها في الوجه البحري

ويبنون هذه المعامل بوجه عام من الطوب المجفف بالشمس على شكل مستطيل قائم الزوايا يقيمون على كل من جوانبه صفًا من الغرف ذات طبقتين يعترض بين كل غرفة وأخرى حائط من الطوب في نصفه الاعلى نافذة كبيرة يمر فيها العامل من غرفة الى أخرى تباعًا . وجميع سطوح الطبقتين العليا والسفلى مقببة وفي وسط كل منها فتحة فتستخدم الفتحة العليا لاجل خروج الدخان ودخول الهواء والسفلى للاتصال بين الطبقة السفلى والطبقة العليا

ويرصفون البيض في ارض الطبقة السفلى بعضه الى بعض في رصيفين احدهما فوق الآخر فيضعون في كل غرفة نحو خمسة آلاف بيضة ويحمون الطبقة العليا بايقاد الزبل والتبن الناعم ممزوجًا بالتراب الناعم

ويكون هناك ثلاثة انفار فيقيمون النار بعد ذلك نهارًا وليلاً ويتعهدون البيض بالتقليب يتفقدونه من حين الى آخر لعزل الايثقاف [1] عند اول تفريخ البيض الذي يبدأ في اليوم الحادي والعشرين من هذه الحضانة الصناعية

وفي كل هذه المدة يجب ان تكون الحرارة معتدلة فتماثل ما أمكن حرارة الرقاد [2]

ويستفرخون البيض في الشتاء دفعتين او ثلاث دفعات متوالية فيستعملون نحو مئتي الف بيضة سنويًا في كل معمل يفرخ ثلاثة ارباعها فقط . ولكن ارباب المعامل لا يهمهم ذلك لانهم لا يشترون البيض غالبًا بل يرد اليهم من الفلاحين فيردون لهم اربعة فراريج

(١) النقف الفرخ حين يخرج من البيضة

(٢) الدجاجة القاعدة على بيضها وهي الراقدة بلغة مصر

(كتاكيت) مقابل كل ست عشرة بيضة . ويباع البيض كل مئة منهُ بنحو غرشين والفراريج كل ١٠٠ تقف بعشرين غرشاً اي بعشرة اضعاف ثمن البيض

(٨)

صيد الطيور والاسماك

يشغل صيد الطيور البحرية عدداً عديداً من سكان القرى المجاورة لبحر الروم وللبحيرات التي في شمالي الدلتا فيصطادون البط وسائر الطيور المائية . واهم الطيور التي يصيدونها في سبتمبر واكتوبر السمان . فينصبون لصيدهِ اشراكاً على الشواطيء البحرية ترتفع نحو متر او متر ونصف عن الارض متجهةً اتجاهاً عمودياً . فيصل السمان الى الشاطيء منهوكاً من التعب في اجتيازهِ البحر من البلاد الاوربية فيسفُّ[1] في طيرانهِ ويعلق في الشباك التي تعترض في طريقهِ فيصطادون منهُ سنوياً كميات لا يحيط بها العد

اما صيد السمك فعام في جميع الجهات ولهُ محلات خاصة على ضفاف بحيرتي البرلس والمنزلة أهمها قرية بلطيم في جوار بحيرة البرلس ويليها عدد من القرى على شاطيء هذه البحيرة وجميع اهلها صيادو سمك . وفضلاً عن صيد الاسماك فان عدداً عظيماً منهم يشتغل بتقديد بيض سمك البحر المالح وعملهِ بطارخ

ويستولي احد رؤساء البكوات على عوائد صيد السمك من هذه البحيرة فيبلغ دخلهُ من ذلك سنوياً نحو ١٠٥٠٠ فرنك (اي اربع مئة جنيه مصري تقريباً) . ويبلغ عدد الصيادين فيها نحو ٤٠٠

واهم مكانين للصيد على شواطيء بحيرة المنزلة قريتا المطرية فان لاهاليهما نحو مائة وخمسين قارباً وذلك نصف مجموع قوارب الصيد في هذه البحيرة

وما يصطادهُ اهالي المطرية من السمك يرسل بعضهُ الى المنصورة ونواحيها والبعض الآخر وهو الاكبر الى دمياط حيث يقددونهُ ويبيعونهُ في القاهرة وبلاد الشام

الصناعة السورية

انتهينا في هذا الجزء من تلخيص الفصول التي كتبها المسيو جرار عن الصناعة المصرية في عهد الحملة الفرنسوية اي منذ مئة عام . ويظهر منها ان الصناعة المصرية كانت حينئذٍ

(١) سفَّ الطائر مرَّ على وجه الارض

اوسع منها الآن من وجوه كثيرة فلم تزد الاَّ صناعة نقش النحاس وصناعات الورش التي ادخلها الاوربيون لتصليح الآلات البخارية ونحوها وعمل المركبات · والسبب الاكبر لقلة رواج الصناعة في هذا القطر عدم وجود قوة رخيصة فيهِ لادارة الآلات والادوات فليس فيهِ فحم حجري ولا فيهِ قوة مائية اي ماء متحدر لادارة الآلات · فلما رخصت مصنوعات الاوربيين بما اخترعوهُ من الآلات الكثيرة وباستخدام القوتين الطبيعيتين الفحم الحجري والماء الجاري لم تعد المصنوعات الوطنية تستطيع ان تناظر المصنوعات الاوربية فخسر الصناع وابطلوا الصناعة او لم يتقدموا فيها بحسب تقدُّم البلاد

ويظهر لنا مما كتبهُ فولنه وغيرهُ من السياح عن الصناعة السورية في ذلك الحين ومما رأيناهُ نحن منذ خمسين عاماً ان الصناعة السورية كانت كالصناعة المصرية تغني السوريين عن المصنوعات الاجنبية فلم يكونوا يجلبون من مواد اللبس الاَّ الطرابيش المغربية والجوخ الافرنجي اما المنسوجات الاخرى من القطن والصوف والحرير فكانت تنسج كلها في البلاد من غزل رجالها ونسائها وكذلك الاحذية كانت تصنع كلها في البلاد من جلود تدبغ فيها والامتعة الخشبية كانت تصنع في البلاد من اشجارها فكانت البيوت تسقف بالواح وجسور وعروق (رفائد) من جنوب البلاد وصورها وكذا الصناديق والخزائن والمسارج والمقاعد والسكملات فانها كلها كانت تصنع في البلاد من خشب البلاد · والفرش واللحف والوسائد والملاءات كانت تصنع كلها من انسجة البلاد وكان يؤْتى بالحصر من مصر ولكن الاكياب والبلس والبسط كانت تصنع في البلاد وآنية الخزف على انواعها من خوابي وقدور وصحاف ومسرج وجرار واباريق كانت تصنع في البلاد مدهونة وغير مدهونة . وكل الادوات الحديدية كانت تصنع في البلاد من حديد البلاد فان اهالي لبنان كانوا يسبكون الحديد في شعرة بعلبك وغيرها ويصنعون ادواتهم منهُ من الامخال الكبيرة الى المسامير الصغيرة ومن السيوف الى السكاكين · ويقال انهم كانوا يجدون الفضة في جبال صور وصيداء ولعل الفضة التي كانوا يجدونها ليست معدنية بل من النقود القديمة اما النحاس فكانوا يجلبونهُ من الخارج صفائح كما يجلب الآن ويصنعون منهُ كل الآنية النحاسية وكانوا يصنعون شيئاً من الزجاج يقوم بحاجاتهم · ولو انقطعت البضائع الخارجية عن سورية في ذلك الحين لما افتقر السكان اليها

ثم ضعفت الصناعة السورية برخص المصنوعات الاوربية حتى كادت تتلاشى ولكن سورية ليست مثل مصر من حيث القوة فان فيها فحماً حجرياً صالحاً للوقود وهو قريب من

مناجم الحديد وحديدها من اجود ما يكون وفيها قوة مائية كثيرة ويمكن زيادتها ايضاً باقامة الخزانات في سفوح الجبال اي فيها اهم لوازم الصناعة فلا شيء يمنع ان تصير مثل سويسرا او بلجكا او فرنسا او انكلترا من هذا القبيل فيصير اكثر اعتماد اهلها في معيشتهم على الصناعة مع الزراعة كما كانوا منذ مئة عام ويتقدمون عما كانوا عليهِ حينئذٍ على نسبة تقدُّم الامم الراقية في هذا العصر

ولم يكن هذا القول ممكناً منذ سنتين لانهُ كان يسهل على معمل اوربي ان يبرطل وزيراً او والياً فيتلف اكبر معمل سوري اما الآن فلم يعد ذلك في حيز الامكان بل صار من المحتمل ان يقاطع الوطنيون البضائع الاوربية ايضاً فتزيد المصنوعات الوطنية رواجاً وقد زيدت رسوم الكمرك على البضائع الاوربية الى الحد الذي يقال لهُ حماية

لكن المعامل تحتاج الى اموال طائلة لانشائها والبلاد فقيرة منهوكة فلا بدَّ لها من زمن لاسترجاع قوتها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

في اي سن يصح الزواج

آراء سيدات متعلمات

اشتهرت فتاة انكليزية اسمها ماي ساتن بطول باعها في تدبيج المقالات العمرانية والاجتماعية وحدة ذهنها في ذلك . وقد اجتمع بهذه الفتاة منذ ايام يسيرة مكاتب جريدة الدالي مايل وسألها لماذا لم تتزوج الى الآن فاجابتهُ : « لانني لم ابلغ الخامسة والعشرين من العمر وارى ان زواج الفتاة قبل هذه السن خطأ وتسرُّع مضرٌّ لانها تكون غير ناضجة في اميالها وذوقها جاهلة نفسها وواجبات الزوجية وانما يعوزها ادراك ذلك كلهِ قبل الزواج لتستطيع حسن القيام بما يفرضهُ عليها بيتها والمجتمع الانساني . والفرد منا في عصرنا الحاضر لا مناص لهُ من التفكير في علائقهِ بالجماعة غير مقتصر على الاهتمام بامر نفسهِ ولو كنا كاسلافنا الاقدمين نقطن الغابات

والحواج لصح لنا الزواج ونحن صغار في السادسة عشرة او الثامنة عشرة من العمر »

ولما وصل هذا الجواب الى جريدة الدالي مايل فتحت للسيدات باب المناقشة في موضوعهِ فكتبت اليها المؤلفة الروائية السيدة ستاترما يأتي معارضة رأي الكاتبة الاولى قالت « ان الناس كلهم مندوبون للزواج من قبل الطبيعة فاذا لم يتزوج الواحد منهم كان مخطئاً او عاجزاً ولما كان الزواج محتوماً علينا كان الاسراع فيهِ خيراً من تأخيرهِ واضاعة الوقت سدًى »

وكتبت سيدة اخرى ما يأتي :

« التأخر في الزواج اضمن لهناء المعيشة البيتية من الاسراع فيهِ وان كان الزواج الباكر حسناً في ظاهرهِ عذباً موقعهُ من النفس في اول الامر فلهُ مقابل ذلك مخاطر لا تخفى فقد تحب الفتاة وهي في الثامنة عشرة رجلاً فاذا بلغت الخامسة والعشرين انقلب حبها احتقاراً . وبناء على ذلك ارى للفتاة ان لا تقدم على الزواج الا وهي في الثلاثين اذ تكون قد عرفت شؤون الحياة والدنيا كما هي لا كما يصورهُ لها الوهم فلا يفوتها ان زوجها مثل غيرهِ رجل لا ملاك وان لهُ حسنات وسيئات وان الطبيعة البشرية بعيدة عن الكمال

« واما الرجل فارى ان يكون اكبر من زوجتهِ بخمس سنوات فيقدم على الزواج وهو في الخامسة والثلاثين »

وكتبت اخرى وهي عزباء :

« ارى الزواج الباكر خيراً من المتأخر لان الرجل كلما تقدم في السن تمكنت من نفسهِ عادة النقد بطول الاختبار فلا ينظر الى زوجتهِ بالعين التي تتمناها واما الفتيان الذين هم في عنفوان الصبا فلا تكون لهم خصلة النقد والتمحيص هذه بل ينظرون الى الامور من وجوهها المشرقة المنيرة و يغتفرون معائب الزوجة وربما حسبوا عيوبها محاسن فيتبادل الزوجان الحب الشديد ويكونان تبسماً في فم الحياة »

هذا ما قالتهُ هذه الفتاة الانكليزية واحسن ردٍّ عليهِ واوجزهُ قول الشاعر العربي :

وان قليلَ الحب بالعقل صالحٌ وان كثيرَ الحب بالجهل فاسدُ

وكتبت مؤلفة كتاب « الزواج الحديث » ما يأتي :

« لا ينكر ان اقتران الفتيان والفتيات الذين في ريعان الشباب كأن يكون الزوج في العشرين والزوجة في الثامنة عشرة من اجمل المظاهر وادعاها الى انشراح صدر الناظر ولكنهُ مظهر خادع وجمال غرَّار لاننا اذا التفتنا رأينا معظم الذين يتزوجون في هذا السن بعيدين عن الهناء والرغد في معيشتهم لا يعرفون كيف يدبرون شؤونهم ولا كيف يتفاهمون ولا اي

الاصدقاء والصديقات يجب ان يختاروا لمعاشرتهم وكيف لا يكونون كذلك والفتاة تتقلب اميالها ثلاث مرات او اربعًا بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين وتتقلب اميال الشاب اكثر منها في المدة المذكورة

« ثم ان الشاب الغض الصبي يكون طائشًا خفيفًا معجزًا مكبًّا على الملاهي والملذات شديد الحب لنفسهِ بعيدًا عن نير الزواج وانما يعتاد احتمالهُ تدريجًا على تقدمهِ في السن

« ولا أرى للفتاة تقييد نفسها بالزواج الأ بعد ان تختبر شيئًا من احوال الحياة وشؤُون الرجال ولعلَّ اصلح سن لزواجها سن الخامسة والعشرين ولزواج الرجل سن الثلاثين

« وكيفما كان الحال فاني احذر الشبان والشابات من الاندفاع في تيار اول حب يتسلط على افئدتهم فلا يطيعوهُ طاعة عمياء ساعين الى التزوج بمن يحبون لانهُ قلما يكون الحب الاول الأ عن طيش واغترار فلا يصح التعويل عليهِ »

وكتبت سيدات أُخرى انكليزيات رأيًا من احسن ما جاء في هذا الباب ومحصلهُ ان العمر لا يصح حسبانهُ مقياسًا ثابتًا بل يجب اعتماد المدارك مقياسًا فقد تكون ابنة الثانية عشرة انضج نفسًا واصح ادراكًا وارصن طبعًا من ابنة الثامنة والعشرين . وما يقال في الفتيات من هذا القبيل يقال في الشبان ايضًا ادوار مرقص

اعتناء المرأة بمنظرها

كتبت جريدة ولدن النسائية النصائح التالية للنساء اللواتي جزن سن الشباب ودخلنَ سنِ الكهولة قالت مخاطبة المرأة التي من هذا القبيل

ان كانت مشاغل البيت وهموم الحياة قد جعلتكِ تهملين منظركِ فسلمتِ للاقدار ولم تعودي تهتمين كيف تظهرين للذين يرونكِ فاعلمي ان المرأة تسرُّ دائمًا بان لا تظهر عليها امارات الكبر والاهمال لا في قامتها ولا في وجهها ولا في ثيابها . واعتناء المرأة بنفسها ليس من قبيل التباهي والعجب الباطل كلا بل هي مضطرة اليهِ لكي تسر زوجها واولادها فانهم يحبون ان يروها على احسن ما تكون وهذا لا يكلفها من الاهتمام الأ دقائق قليلة كل يوم

فعليكِ ان تغتسلي يوميًّا اذا استطعت ذلك وان تكثري من استعمال الفرشاة لشعركِ وان تستريحي بعد الغداء ولو ربع ساعة تستلقي فيها على ظهركِ واغمضي عينكِ ونزهي افكاركِ عن كل المشاغل والهموم ولو لم تنامي

واخرجي الى الهواء النقي كل يوم فان الهواء والشمس لازمان لصحة الاجسام وانتعاش

الابدان لزومهما للازهار والرياحين واذا كنت تكثرين المشي في البيت فلا داعي للمشي الكثير خارجاً لان زيادة تعب الجسم لا تفيد ولكن اذا كنتِ قليلة المشي في البيت فعوضي عنهُ بالمشي خارجاً في نور الشمس والهواء المطلق

واذا ظهرت الغضون حول منخريكِ وعينيكِ فافضل الطرق لازالتها فرك الجلد هناك بمادَّة مغذية مثل قشدة اللبن فركاً لطيفاً بالتأني

والاكثار من شرب الماء نافع لانهُ ينظف الامعاء والجسم . ونظافة باطن الجسم ضرورية كنظافة ظاهرهِ

والرياضة الجسدية ضرورية لقليلات الاشغال البيتية ولكن المرأة التي تتحرك كثيراً في بيتها لا حاجة بها الى الرياضة بل هي محتاجة الى الراحة

واذا خفت من ان تسمني كثيراً فلا اسهل من مقاومة السمن بتقليل الاكل ولاسيما المآكل الدهنية والنشوية والسكرية وتكثير الرياضة . وامضغي طعامكِ جيداً

اعمال النساء

رأينا بالامس رجلاً وقف امام دكان بقال وطني فاشترى منهُ عنباً وتفاحاً وكان في الدكان رجل فوزن لهُ ما اشتراهُ ووضعهُ في سلَّة وغطاهُ واراد المشتري ان يدفع اليهِ الثمن فاشار لهُ الى امرأة جالسة امام باب الدكان ليدفع الثمن اليها وهي وطنية ايضاً فاستلمت منهُ الثمن وردت لهُ ما بقي لهُ لانهُ سلمها ريالاً والثمن اقل من ذلك وهذا المنظر نادر في بلادنا لان النساء قلما يتعاطين الاعمال واذا تعاطينها لا تكون الرئاسة لهنَّ فيها. ولكنهُ غير نادر في اوربا وقد زاد شيوعاً في هذه الايام وهو الذي قوَّى الامرأة الاوربية ووسع مداركها ولعلَّ نساء الفلاحين واهالي البنادر اللواتي يتعاطين الاعمال اقرب الى رجالهنَّ في مداركهنَّ. من نساء المدن اللواتي لا يتعاطين عملاً بل يكتفين باللبس والزينة

وقد تعدَّدت اعمال النساء في اوربا فهنَّ يتعاطين الاعمال الحسابية ومسك الدفاتر في الدكاكين والمخازن والمعامل والمحلات التجارية وتجليد الكتب والرسم والتصوير والتطبيب والصيدلة وخياطة الثياب ونظم الازهار وتزيين البيوت وزرع الجنائن وحفظ الكتب وتمريض المرضى والتصوير الشمسي وعمل البرانيط والتعليم عدا الاعمال الكثيرة التي يعملها النساء عندنا كغسل الثياب وطبخ الطعام والغزل والنسج ولا يكتفين بعمل هذه الاعمال في بيوتهنَّ بل يعملنها للغير لاجل التعيش

فهل الاصلح للامة كلها ان يحصل نساؤها معيشتهنَّ بعملهنَّ كالرجال او الاصلح لها ان ينقطع نساؤها لتدبير بيوتهنَّ وتربية اولادهنَّ . هذه مسألة من المسائل التي كثر فيها الاخذ والعطاء ولا يزال مجال القول فيها واسعاً

لزوم ايام البطالة

ما يجب عملهُ فيها وما هي منافعها

لا شيَّ اشرح للصدر وابهج للنفس من الراحة بعد العناء . فالراحة من لوازم الحياة . لا جرم ان لكل عمل قسطاً من العطلة ولكل حركة نصيباً من السكون . فالآلات الميكانيكية التي لا يفتر عن تشغيلها اقرب الى التلف من امثالها التي تراح ولو يوماً في الاسبوع

هذا شأن بني الانسان فان الراحة لازمة لهم بعدما يجهدون العقل او الجسم في اشغالهم واعمالهم اليومية والاَّ ما استطاعوا القيام باعمال عظيمة الشأن فاطلب الراحة بعد العمل الطويل الشاق كلما وجدت اليها سبيلاً . لانك اذا واصلت جهادك عراك الوهن والكسل ولم تقوَ على اتمام عمل

ان الفتيات اللواتي يرغبنَ في ان يكنَّ صحيحات الاجسام والعقول محترمات في الهيئة الاجتماعية نافعات لبني البشر طويلات الاعمار المسرَّة تملأ صدورهنَّ تلزمهنَّ الراحة والنزهة بل يجب عليهنَّ ان يتعلمن كيف يوفرن قواهن ويحافظن عليها ايام البطالة . فاذا كانت الغاية التي نتوخاها من الراحة ان نعود الى اعمالنا بهمة ماضية وجأش رابط كان علينا ان نفكر في ما يجب عملهُ في اثنائها وفي ما لا يجب . فما يجب هو ان نأكل في اوقات لا نتعداها بين الغياض والرياض حيث يخطر النسيم اذا كان ذلك ممكناً ونستحم ولكن لا نمكث في الماء الاَّ قليلاً ونرتدي ملابس غاية في البساطة ولكنها ملائمة للذوق السليم . وليكن طعامنا ناضجاً ومغذياً ولنستنشق الهواء النقي جهد طاقتنا ولننم في حجرة قليلة الاثاث بعدما نفتح كواها او كوة واحدة على الاقل وما لا يجب علينا هو ما يخالف هذا

ولربَّ معترض قال انني نأيت عن بياني وتعديتهُ الى علم حفظ الصحة . نعم ان الصحة هي الخل الوفي الذي يرتبط بسعادتنا فلنوثق عرى صداقتنا معهُ ولاسيما ايام الصبوة والاَّ كانت حياتنا عذاباً وآلاماً وبئس الحصاد

روت كاتبة يشار اليها بالبنان لما كتبتهُ في التربية والاخلاق انها اذا لم تعنَ بصحتها ولو بضعة ايام صارت هدفاً لسهام التجارب لان النفس من متممات الجسم فاذا كان الجسم عليلاً

كانت النفس مكتئبة ذليلة . فالنفس سر او جوهر من جواهر الحياة اللوم يتعبها والهم يقبضها ألا يكفينا ان الحياة اتعاب وآلام فلماذا نزيد الطين بلة

***

الصحة اعظم اركان السعادة فلنحافظ على ما نملكه منها ونحرص عليهِ حرص البخيل على درهمهِ . ولكن حكماء بعيدي النظر فلا نقضي ليالي الراحة في المراقص والملاهي ولا نمشي مسافة تنهك قوتنا ولا نلعب العاباً رياضية مدة طويلة والشمس في سمت الرأس . فما نحتاج اليهِ ايام البطالة هو استنشاق ما في وسعنا من الهواء النقي وتناول الطعام الخفيف المغذي وترويض اجسامنا ترويضاً كافياً لان يسرع الدورة الدموية فيها ويوهج وجوهنا . ولتكن العابنا سارة مبهجة وصديقاتنا وفيات يشاركننا في السراء والضراء ولنطالع كتباً نافعة ولا نقتل الاوقات بقراءة القصص والروايات التي تفسد اخلاقنا وتشوه آدابنا . ان فعلنا ذلك شعرنا بانشراح في صدورنا وتجديد في قوانا العقلية والجسدية فاذا عدنا الى مزاولة اعمالنا اليومية لم يعترنا ملال ولا اصابنا كلال

***

خير الصديقات في ايام البطالة صديقة طاب حديثها فكان فكاهة جنية تفرج الكرب وتسري الحزن فتحول البكاء الى ضحك والكآبة الى مسرة . يظن البعض وبعض الظن اثم ان هذه الصفات غير محمودة في البنات ألا انهم لفي ضلال . اذ اجمل خصال تزين الفتاة ثلاث رقة حديث وصفاء قلب وصدق ولاء فالاولى تبعدها عن الاغتياب والثانية تجعلها كالبلور نقاوة وصفاء في اقوالها وافكارها والثالثة تكثر لها من الصديقات . هذه خصال اذا مزجت معاً كان طبع الفتاة سبيكة من ذهب وكل فتاة تستطيع التخلق بها

اذا دخلتن المجتمعات فاغتنمن الفرصة لتكن مخلوقات « مخلوقات » مبهجات يطفح السرور عليكن وليكن هذا السرور خلقاً فيكن لا تستطعن خلعهُ وابدالهُ كما تخلعن الملابس وتبدلن الازياء

قالت عالمة اميركية محترمة الرأي من العلماء . يجب علينا ان نربي فينا ميلاً الى الهزل والمجون وان ندرك تماماً ان النكات اللطيفة خير ما يجب علينا التذرع بهِ ولكن في موضعهِ . على ان العقبة الكؤود التي تحول دون الكثيرات منا هي انهن طبعن على التعمق في الافكار والميل الشديد الى الرزانة حتى انهُ ليعسر شرح صدورهن . فقد يسرني ويضحكني ما تراهُ جارتي تافهاً لا مبهج فيهِ . ومع ذلك فالتي تكون مفطورة على المجون كثيراً ما تستطيع ان تؤثر في

أشد الناس رصانة . فما اسعد البيت الذي يضمُّ فتاة او فتاتين تفكهان سائر الذين فيهِ برقة حديثهما وفكاهتهِ

تقول فتاة وما الذي افعلهُ لأكون لطيفة المحضر حسنة المعشر فاوصيها بما يلي

اذا سمعت فكاهة او نكتة مستطرفة فعيها وقصيها على آخرين باسلوب يبهجهم . واذا خرجت لزيارة او نزهة فكوني آذانًا واعية وعيونًا ناظرة . راقبي الحوادث واحكيها لاهل بيتك ولا تأخذ منك الخيلاء والصلف فتكوني محبة لذاتك تكتمي الامور الحسنة في صدرك وتبخلي بها على غيرك

***

ذكرت ما تيسر لي مما يجب عملهُ في ايام البطالة لانهُ سهل المأخذ قريب التناول

اذا لم يستطع احد السفر من قارة الى قارة او من بلاد الى بلاد لم يصعب عليهِ ان يؤم الخمائل الغناء او ساحل البحر في بلادهِ . ففي كل بلاد مناظر طبيعية يبسم لنا وجهها ونسمع خرير مائها ونستنشق بليل هوائها . هذه الطبيعة لها ملابس ترتديها وحلى مبهجة تظهر فيها ولما كان بحثنا في صغائر الامور يوصلنا الى كبائرها وجب علينا ان ندرس صغائر عجائب الطبيعة التي نراها في كل مكان وزمان . والا لم تفتح لنا صدرها ولا اطلعنا على اسرارها . فاقصدي ايتها الفتاة تلك المناظر كانك احدى بنات الطبيعة تحنين اليها حنين الابنة الى امها . ولا تكتفي بالذهاب والاياب على شاطئ البحر مثلاً . او بالشخوص الى الجبال والوديان وانت جامدة لا تفكرين في شيء . فليس هذا كل القصد من النزهة الحقيقية . نعم انك تنتفعين بنقاوة الهواء واشعة الشمس ولكن ينقصك امرٌ مهمٌ جدًّا . ينقصك ان تقرإي اسرار الطبيعة فهي لا تحادثك وانت مصغية الى انغام توقع على ذوات الاوتار او الى جلبة قوم اشتد بينهم الحجاج واللجاج . وانما تحادثك متى كنت منعزلة منفردة فتبوح لك باسرارها ولا تكتم عنك مخبآتها

***

ان لون ثوبك ونقوشهُ التي ترينها بمنظار مكبر وانت على شاطئ البحر لا تعد شيئًا مذكوراً في جانب الوان ماء البحر الذي لا تدركين لهُ آخراً فهل خطر في بالك ان تضعي لتلك الالوان اسماء او تري لها نظائر واشباهاً . فبماذا شبهتها أبالفضة ام بالجمشت ام بالوان القمري ام بالزمرد ام بالورد ام بالزيتون ام باللازورد . كل هذه الالوان تتلاعب على وجه ذلك الماء وتمتزج بعضها ببعض فتملأ الصدر مسرّة وانشراحًا هل تأملت امواج البحر في يوم عاصف وهي مقبلة الى الشاطئ متسابقة متسارعة حتى اذا وصلت اليهِ تكسرت على

الصخور المحاذية للشاطىء وقبلما تتناثر ترتفع هالة من الزبد يروق العين منظرها · أرأيت هذه الامواج المرغية وجداً المزبدة حقداً تثب على الصخور كأنها افراس البحر والزبد الابيض يطوق عنقها · انك اذا انعمت النظر في ذلك طويلاً مرات عديدة ادركت فوراً لماذا كان اليونان القدماء يسمون ذلك الزبد خليلي نبتون إله البحر

∴

اذا ولعت بالطبيعة لم تبقَ همتك فاترة وانية لانك ترين نفسك في اضطرار الى الوقوف على اسرارها فلا تنظرين اليها حينئذٍ نظراً عادياً بل تنشدين مع شاعرنا العربي

فقل لمن يدعي بالعلم فلسفةً علمت شيئاً وغابت عنك اشياء

تلك المناظر تنسيك ضوضاء المدن ومتاعب الحياة فما اجمل وانفع التمتع بها في ايام البطالة

∴

اذا قصدت البحر لتسيري على شاطئهِ وتشاهدي قاصديهِ فقط فانت لم تعرفيهِ ولا سرحت ناظريك على سطحهِ الفسيح ولا اصغيت الى انغامهِ المختلفة الحانها فهو عروس الطبيعة بلا منازع بل هو اجمل من كليوباترا · تمرُّ بهِ الاجيال والاحقاب ولا نقوى على تشويههِ او تغيير الوان مائهِ او تنويع هيئاتهِ وصفاتهِ · ومهما ترددت عليهِ لا تستطيعين ان تدركي النزر اليسير جداً من اسرارهِ ولكنك مع ذلك تنشرحين صدراً وتقرين عيناً وتطيبين نفساً

∴

اذا لم يكن في وسعك قضاء ايام البطالة في السواحل البحرية فان الطبيعة تنتظرك فوق الجبال والتلال وفي المهاد وعلى الانهار وتحت باسق الاشجار

ففي كل حين تنقل حواسك الخمس الى العقل والنفس اموراً تبهجها · الصباح يسرك بنضارة النبات واريج الازهار ويريك الندى ثابها كأنهُ درر متناثرة · في تلك الفترة ترسل الشمس اشعتها الذهبية الى الارض فتنعشك كأنها اكسير الحياة · والظهر ينيلك امنيتك من نعم الارض وخيراتها · والعصر يعيد اليك قوتك بلطف هوائهِ ثم تميل الشمس الى المغيب فتقصد الطيور اوكارها اسراباً اسراباً مغردة تغريداً منعشاً فتشعرين حينئذٍ ان هذه الدنيا دار سعادة وصفاء وان ايام البطالة احلاها واهناها

∴

استقبلي الصباح فوق الجبال واطيلي تأملك في المروج الخضراء والاشجار الغيناء تري بساط سندس برقشتهُ يد الطبيعة بالوان لا تحصى ولا تحصر · ولا يستطيع ملك مهما بلغ

ترفه وعظم شأنه وضخم سلطانه ان يكون له في قصره مثيل لما فاتت على قنن الجبال ابهج منه في قصره خاطراً واسعد حالاً

سيري في الغابات ومشي نظرك في اشجارها الكثيفة الملتفة على اشكال مخروطية كأنها اعمدة هياكل فتشعري بالتعبد والخشوع فهل هذا الشعور وراثة عن اجدادنا القدماء او هو امر فطري فينا يجعلنا نميل الى العبادة والسجود حيث نكون في اماكن تشبه الهياكل على ان هذا يرفع نفسونا ولا شك الى خالق هذه الطبيعة ومبدعها العظيم

***

كلما توغلت في الحقول والحراج ادركت السر الذي جعل القدماء يدخلون على قصصهم الخرافية اخبار آلهة الماء واقعال الجن والغيلان وهذا من اسرار الطبيعة . ان في اصغر النباتات او الازهار اسراراً وقد امتازت الطبيعة بامر هو انك كلما حدقت النظر اليها وانعمت الفكر فيها او نظرت اليها بالمنظار ظهر لك الاحكام والاتقان فيها

لا اقصد بما تقدم ان اضطرك الى درس علم النبات وانما اريد ان احضك على فحص الازهار والنباتات التي ترينها ايام البطالة وتسألي البعض عنها فلا تبقي جاهلة امرها

هكذا يجب ان تقضي ايام البطالة حيث الطبيعة تبسم والسعادة تدرك

عربتها عن اللغة الانكليزية

اسما جبرائيل منصور

باب التقريظ والانتقاد

امة الملايو

هو بحث علمي في امة شرقية اسلامية وضعهُ حضرة صالح افندي جودت احد موظفي نظارة الحقانية واهداهُ الى الامير تنكو منصور نجل السلطان عبدالحميد حليم شاه راجا قدح وقدح هذه احدى ولايات ملقا التابعة لمملكة سيام . فالذي يقرأ لقب صاحبها يظنها من الممالك الكبيرة ولكن يقال في هذا الكتاب ان عدد سكانها ٧٢ الف نفس اي عشر اهل القاهرة فهي مثل قسم من اقسام عاصمتنا في عدد السكان او مثل مركز من مراكز المديريات

المصرية ومساحتها كلها لا تزيد على ٢٠ الف كيلومتر وسكان عاصمتها عشرة آلاف نفس فهي مثل اصغر بندر من بنادر القطر المصري

لكن الكتاب ليس مقصوراً على تلك البلاد بل يتكلم على امة الملايو او الجنس الملقي الذي يسكنها ويسكن غيرها من البلاد المجاورة لها وهو جنس معدود بين اجناس البشر . وقد اسهب المؤلف في الكلام عن هذا الجنس فذكر تاريخهُ ووصف لغتهُ وقال ان بعضهم يكتبها بالحروف العربية ومن الغريب ان ليس فيها لا فاء ولا قاف ولا كاف ولا لام وهم ينطقون بالراء غيناً وعيناً . ويكتبون اعدادهم بارقام عربية . وقال ان ملوك قدح يدَّعون انهم من نسل احد قواد الاسكندر المكدوني

والكلام على امة الملايو بالذات مختصر لا يتجاوز عشرين صفحة وهو مشحون بالنوادر والحوادث التاريخية ومما قالهُ في وصفهم انهم قصار القامة قلما تتجاوز قامة الرجل منهم متراً وستين سنتيمتراً وهم اقوياء البنية اصابعهم طويلة دقيقة وارجلهم ثقيلة في السير قوية عليهِ وجماجمهم كروية منبطحة من الخلف وشعور رؤوسهم غزيرة الا ان الشعر يقلُّ في اجسامهم ولحاهم ولون بشرتهم بين السمرة والصفرة ووجههم مربع وعيونهم افقية عادةً الا في بعض قبائلهم فانها قريبة الشبه بالمنغول اذ ترى فتحات عيونهم مرفوعة نحو الاصداغ بانحراف ووجناتهم نامية العظام بارزتها وانوفهم قصيرة ولكن فتحاتها واسعة وفمهم واسع ايضاً وشفاههم غليظة واسنانهم ذات جمال بديع لولا انهم يسودونها لان سواد الاسنان جمالها عندهم وثديُ نسائهم صغيرة وليس لقوامهنَّ جمال قوام الهنديات . وملابس رجالهم عادة سروال قصير ومحرمة تدعى في لغتهم سارنغ تستر نصفهم الاسفل وعمامة او قبعة من القش ويلبسون احياناً في اقدامهم احذية

« ونساؤهم يلبسن في خصورهن سارنغ (تكون من الحرير الملون عند ذوات الثروة وهي اشبه بالجزء السفلي من الحبرة) ثم يضعن مثلها على رؤوسهن فتسترها الى الجبهة . ويرفعن المئزر على ذراعيهن الى محاذاة الوجنتين ويمسكن طرفيهِ بيديهن فيشددنهُ بحيث تستر حافتهُ وجههن فلا ترى منهُ الا العينين فهن في ذلك المئزر اشبه ببعض قرويات مصر ونساء الملايو يتحلين عادة بكثير من الحلى كالخواتم والاساور والاقراط والقلائد الخ

« ومن عادة الملايو نساء ورجالاً مضغ التنبل واسمهُ « سيره » بلغتهم (وهو نبات يشبه شجرهُ شجر الفلفل وتمضغ اوراقهُ ولها مفعول صحي قابض) ويمضغون ايضاً جوز الارك

« يننغ » (وهو تمر النخل الهندي) لتسود اسنانهم ثم هم يطلون اسنانهم زيادة على ذلك بطلاء اسود لماع

« اما منازلهم فهي عادة من الخشب مربعة الشكل ومقامة على اوتاد من غاب البمبو بحيث تصير مرتفعة عن الارض فتقيم تحتها ماشيتهم وهم يسكنون فيها ومنازلهم مكسوة بسعف النخل « اتب » ويصعد اليها بسلم واذا اوقدوا النار اوقدوها خارج المسكن خشية الحريق والفقراء منهم يقيمون في زوارق صغيرة فوق الماء ويستظلون فيها بحصير يقيهم الشمس او المطر . وتجد قراهم محاطة بسياج او سور من الطين وفي وسطها ميدان للاجتماع

« ومن ملاهيهم المراهنة بلعب الورق والزهر والشطرنج ومضاربة الديكة ثم الصيد والمقارعة بالسلاح

« ومن اسلحتهم السيف « كليونغ » والخنجر « كريس » والمقلاع والسهام المسمومة والسباطانة (وهي انبوبة طويلة توضع بها كلل صغيرة من الطين الجاف او غيره وينفخ فيها فتصيب الطيور الصغيرة في الصيد) وقد شاع عندهم الآن استعمال البندقية فابطلوا استعمال تلك الاسلحة القديمة . وكان قرصانهم مراكب « براو » مسلحة بمدافع طويلة طالما ازعجت ذلك الارخبيل بغزواتهم حتى ارسل الله لها الهولنديين فكسروا من شكيمتها

« وامة الملايو ذات صفات غريزية فاضلة فلرجالها ذكاء متوقد وحماس غريب وهم عزيزو النفس يترفعون عن الذل اولو شجاعة قد تقودهم الى حتفهم ولكنهم مع ذلك كثيرو الحذر في المعاملات وقد زعم بعضهم ان الملايو قساة القلوب خونة ولكن معاشرهم لا يلبث ان يعترف بما لهم من كرم الاخلاق وحسن المعاشرة والصدق في القول وحفظ العهود ولهم في هاتين الصفتين الاخيرتين شهرة صادقة

« والملايو قوم معروفون بالملاحة والتجارة ومنهم يتخذ الاوربيون رجال بحريتهم في تلك الاقطار . وقد قال عنهم بعض عارفيهم « ان الملايو من الامم التي تعيش متكلة على غيرها وترزق من خدمة الامم الاخرى دون ان تسعى الى ترقية نفسها بذاتها »

« والملايو يحتقرون الزراعة ولذلك يعهدون بزراعة حقولهم الى العبيد . والعبد عندهم اما اسير حرب او سجين دين

« ومن زراعاتهم الشائعة الارز والبطاطة والبن والقصب وهم يتغذون منها ومن السمك ولا يأكلون اللحوم عادة الا في المواسم والاحتفالات

« وللملايو استعداد فطري للصناعة ومن اشهر صنائعهم الحياكة والدباغة والتجارة وعمل الاسلحة والصياغة ·

« وهم قبائل متعددة يخضع بعضها لدول اجنبية وبعضها لامراء وطنيين · والنظامات السياسية لاماراتهم المستقلة نظامات ارستوقراطية أي ان الامر فيها للامراء لا للامة فهي استبدادية · وعادة تكون تحت امر الحاكم عندهم (ويدعونهُ راجا او ماها راجا او جندى)

« ولم تزل عند الملايو عوائد حفظوها عن آبائهم او من خالطهم من الاجانب كالهنود والعرب وقد احترمت الممالك المستعمرة هذه العوائد ومنها امكان افتداء القتيل بالمال بدل اعدام القاتل · وحق من اهين في دعوة خصمهِ الى البراز · والرجل منهم يشتري المرأة ولهُ عليها حق مطلق · والفقير غير القادر على ثمنها يشتغل الى أجل مسمى عند اهل العروس ويكون عملهُ لديهم مهرها · ويقدم اولاد الاخت عندهم في الميراث عن اولاد الاب ·

« وقد كانت الديانة الشائعة بين الملايو هي الوثنية حتى القرن الثالث عشر فقدم اليها تجار من مسلمي الفرس نقلوا اليها آداب العرب وديانتهم · وكان قدوم هؤلاء التجار في البدء الى ملقا فاعتنق اهلها الاسلام · ومن المحقق في التاريخ ان هؤلاء التجار انتقلوا الى سومترة حيث كانوا بها في عصر ماركو بولو الرحالة الشهير · وقد زاد نفوذهم في تلك الجزيرة في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر للميلاد حتى حملوا حكام تلك البلاد على اعتناق الديانة الاسلامية . واخذ الاسلام من ذلك الحين ينتشر بينهم ويؤلف بين قلوبهم بالحسنى والمعروف »

وقد رجح المؤلف ان اصل الملايو من اواسط جزيرة سومترة وحبذا لو ذكر الادلة التي ترجح ذلك ·

ووصف املاك هولندا في تلك الجهات لان سكانها من امة الملايو · وقال « ان السائح اليوم في المستعمرات الهولندية ببلاد الملايو يندهش من حسن نظامها ويفتتن بجمال مزروعاتها ولكن يحزن لحالة اهلها · يسير مثلاً في حقول القصب (قصب السكر) فيجد امماً تفلح ارضاً لا تملكها وترويها بعرق جبينها لتنتج منها رزقاً وخيراً لغيرها قد يربو على عشرات الملايين من الفرنكات في العام · يجد امماً قد انطمست بصيرتها فهي تظن ان الارض ليست لها وان من الواجب عليها ان تشقى لغيرها امماً عدمت العز فظنت المذلة من واجباتها الاجتماعية ورأت الترفع عنها امراً فريًّا · ويقول لنا الاوربيّون بعد ذلك انهم يطاردون الرق في العالم · وما تلك الحالة الاَّ نتيجة الجهل الذي ابقت هولندا تلك الامم عليهِ ولم تشأ ان تكشف عنهم

ظلماتهِ فكانت سياستها في ذلك سياسة استبدادية ظالمة سياسة استعباد وحب ذات وعدم احترام لجنس الانسان »

وامبهب المؤلف في هذا الموضوع على هذا النسق ولا بدَّ من انهُ ناقل لانهُ لم يقل انهُ طاف في تلك البلاد واطلع على احوال اهلها وقد يكون ما قالهُ صحيحاً كلهُ او دون الصحيح ولكن ترى هل كانت حال اولئك الناس اصلح قبلما اخضعتهم هولندا وهل حال اليمانيين والحجازيين في اليمن والحجاز وسلطانهم امير المؤمنين اصلح من حال الملايو في جاوى . وهل حال السكان في العراق وبر الاناضول وبلاد ايران والمغرب الاقصى اصلح من حال الملايو الخاضعين لهولاندا . وهل كان حال السكان في القطر المصري منذ اربعين سنة اصلح من حال الملايو الآن . وهل حال السكان في قدح وهي غير خاضعة لهولاندا اصلح من حال السكان في جاوى . وهل والي اليمن او والي الحجاز احسن فيهما من راجا ولاية من ولايات جاوى او غيرها من املاك هولندا »

هذا ومن المحقق ان الحكومة الهولندية انفقت على تعليم الوطنيين في جاوى ومدورا سنة ١٩٠٦ نحو ١٩٠ الف جنيه وكان عندها للوطنيين ٣٢٣ مدرسة فيها ٧٤٩٨٤ تلميذاً من اولادهم عدا ٤٤٦ مدرسة اهلية لهم فيها ٥٠٣٤٤ تلميذاً وعدا المدارس الخاصة باولاد الرؤساء الوطنيين وعدا المدارس العالية وهي خمسة لتخريج المعلمين وفيها ٣٠٠ تلميذ . وقد امبهب المؤلف في ذكر جزائر فيلبين ولم يمدح الاميركيين بكلمة على ما فعلوهُ فيها من افعال الكرام وما انفقوهُ فيها من الاموال الطائلة فان اميركا تنفق على التعليم وحدهُ في جزائر فيلبين ٥٥٠ الف جنيه في السنة فلماذا لم تستحق كلمة مدح وهذا لا يمنع حث الاوربيين وغيرهم من امم اوربا على الرفق بغيرهم من الامم الخاضعة لهم ومعاملتهم كاخوة لهم في البشرية كما انهُ لا يمنع وجوب السعي في ترقية الامم الشرقية حتى تنال كل حقوقها الطبيعية

وقد اسهبنا في انتقاد هذا الكتاب لزيادة الاعتناء بهِ ولاننا نود من كتابنا الكرام ان ينصفوا غيرهم لان مَن لم يُنصِف لم يُنصَف

شرح نهج البلاغة

أهدت الينا مطبعة دار الكتب العربية الكبرى المجلد الاول من شرح نهج البلاغة لابي حامد عبدالحميد بن هبة الله المدايني المعروف بابن ابي الحديد وهو كتاب حافل بالفوائد العلمية والتاريخية والادبية وفي المجلد الذي صدر منهُ خمس مئة صفحة كبيرة مطبوعة بحرف

دقيق خلا المتن فانهُ مطبوع بحرف كبير ومضبوط بالشكل الكامل · ومما يعاب بهِ طبعهُ ان الشرح متماسك كلهُ لا فاصل فيهِ يرتاح النظر اليهِ الاَّ حيث يدخل المتن وحيث يرد شاهد شعري وكثيراً ما تجد اربع صفحات او خمس صفحات ولا فاصل فيها مع ان في الصفحة منها ٣٥ سطراً طويلاً وحبذا لو اختار طابعو لكتاب الفصل في الصفحة الواحدة حيث يحتمل الكلام ذلك تسهيلاً للمطالعة وحبذا ايضاً لو الحقوا الكتاب كلهُ اخيراً بفهرس على حروف المعجم يستدل بهِ على موضع كل حادثة او فائدة او نكتة مذكورة في الكتاب كما يفعل الافرنج حينما يطبعون الكتب العربية · وقد وصفهُ طابعوهُ بما يأتي

« ان علم التاريخ خصوصاً تاريخ الصدر الاول من الخلفاء اهم شيء عند المحققين اذ بهِ تعرف فلسفة التاريخ الموصلة الى معرفة ما يؤدي الى سقوط الدول وقيامها ومحاسن السياسة ورديئها ولم نقف على كتاب جامع لتلك الاوصاف يتتبع مجاري الحقائق من غير اعتساف ككتاب فيلسوف زمانهِ هبة الله المشهور بابن ابي الحديد الذي شرح بهِ نهج البلاغة للشريف الرضي من كلام امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجههُ ومع هذا فقد جمع طرفاً واسعاً من الادب المتين من شعر المولدين والعرب والحكم ودقائق اللغة والكلام والفلسفة فيجد الاديب فيهِ بغيتهُ والمتكلم والفيلسوف فيهِ نهمتهُ مع مشرب عذب وخطب ومقالات في سائر المواضيع الانشائية والسياسية فلا غرو ان جاء الكتاب عشرين جزءاً كلها غرر وحوى من المحاسن ما لا يمكن حصرهُ الا بالنظر وقد عزت نسخهُ بل كادت تكون في حكم المفقود فرأينا من الخدم الادبية والآداب الانسانية طبعهُ لتعميم نفعهِ فاستحضرنا جملة نسخ لتصحيحهِ وبذلنا غاية الوسع في تحسينهِ وتنقيحهِ وضبطنا كلام امير المؤمنين بالشكل لتسهل قراءتهُ وتصفو مرآتهُ وجعلناهُ في اربعة مجلدات كل مجلد يشتمل على خمسة اجزاء وقد نجز منهُ المجلد الاول المشتمل على ربع الكتاب فنقدمهُ للفوائد نعلن العموم ان كل من اراد ان يقتنيهُ فليطلبهُ من دار الكتب العربية الكبرى بشارع خان جعفر جوار سيدنا الحسين « لمصطفى البابي الحلبي واخوتهِ) ويدفع ٧٠ قرشاً صاغاً ويستلم ربع الكتاب ورق بدون تجليد ويأخذ وصلاً بالباقي لحين تمام طبعهِ ومن كان خارج القاهرة فليرسل ٧٦ قرشاً صاغاً فيرسل اليهِ الجزء مجلداً بالبريد وفي خارج القطر واحداً وعشرين فرنكاً »



(١) مذهب دارون عند العرب

طرابلس الشام . محمد افندي صالح غنوم . بينما كنت اطالع في كتاب نظام العالم للشيخ الطنطاوي الجوهري وقع نظري على كلمات بخصوص دارون صفحة ٣٩ قال فيها « ان ما قالهُ دارون هو جزء مما قالهُ العرب فانهُ نظر في ظاهر الطبيعة وصور الحيوان واشكالهِ وقال بما قال وظن اشتقاق بعضها من بعض ومن العجيب ان بحثهُ اقتصر على رابطة القرد بالانسان اما بحث العرب فانهُ اوسع دائرة واقوى مدركاً لانهم لم يروا القرد كافياً في الارتباط لاختصاصهِ بالصورة والتقليد واشركوا معهُ ذات الصوت الجميل كالبلابل وغيرها . وقال ان بحثهم تناول كل موجود من جماد ومعدن ونبات وحيوان وانسان اما دارون فقد حصر بحثهُ في قوس من الدائرة المسماة عندهم دائرة الوجود فهل هذا صحيح نرجو من حضرتكم الجواب عليهِ

ج . كلاَّ غير صحيح والظاهر ان قائلهُ لم يقرأ كتاباً من كتب دارون ولو قرأ فصلاً واحداً من كتبهِ لما قال شيئاً من ذلك ولا نظن ان العرب قالوا شيئاً في هذا الموضوع لم نطلع عليهِ او زادوا شيئاً عما قالهُ فلاسفة اليونان والرومان قبلهم

واذا اردتم ان تعرفوا الفرق بين ما فعلهُ هؤُلاء كلهم وما فعلهُ دارون فقابلوا بين رجل رأى خريطة الولايات المتحدة الاميركية منذ ثلاثين او اربعين سنة وسكك الحديد آخذة في الانتشار فيها فقال في نفسهِ ان هذه السكك لا بد من ان تمر فوق الانهر فلا بدَّ للانهر من جسور (كباري) حديدية كبيرة متينة لحمل القطرات الكبيرة . فاذا أخذت مناجم الحديد التي قربها مناجم فحم لاجل سبك الحديد وصنعت معامل كبيرة لعمل جسور الحديد فاني اربح من ذلك ربحاً طائلاً وتصير اموالي تقدَّر بالملايين . وبين كارنجي الذي قادهُ اشتغالهُ في سكة الحديد الى هذا الفكر عينهِ فسعى في تحقيقهِ بكل جهدهِ وواظب على السعي سنين كثيرة فربح الاموال الطائلة حتى صارت ثروتهُ تقدر بخمسين مليوناً من الليرات الانكليزية ودخلهُ اليومي باكثر من ثمانية الاف ليرة انكليزية وصاحبكم المفكر الاول ليس عندهُ عشاء ليلة

أَوَلم تقرأُوا ما قالهُ العلامة ولس الذي يعدُّ قسيماً لدارون في المذهب الداروني وقد بحث في هذا الموضوع والف فيهِ مجلدات

كثيرة بانياً ما كتبهُ على بحثهِ الطويل في اماكن شتى وبلدان مختلفة فانهُ قضى اربع سنوات في اميركا الجنوبية يبحث في حيواناتها ونباتاتها وثماني سنوات في جزائر ملقا يبحث في حيواناتها ونباتاتها وقادهُ بحثهُ الطويل الى الحكم بان انواع المخلوقات متولدة كلها بعضها من بعض بواسطة الانتخاب الطبيعي وهذان الامران أي تولد انواع الحيوانات والنباتات بعضها من بعض وحدوث هذا التولد بواسطة الانتخاب الطبيعي هما النتيجتان اللتان وصل اليهما داروِن بعد ابحاث طويلة وتجارب كثيرة استغرقت عشرين سنة وشغلاً مستمرًّا فيها لكن ولس قال عن نفسهِ ان نسبة نصيبهِ من هذا الاكتشاف او الاستنتاج الى نصيب داروِن كنسبة اسبوع الى عشرين سنة فما قولكم في مَن يقول قولاً او يرتإِي رأياً ولا يؤيدهُ بدليل نظري ولا عملي ثم ندعي انهُ سبق العالمين العاملين الذين يقضون العمر في البحث والتحقيق والامتحان الى ان يصلوا الى النتيجة العلمية

(٢) تاريخ الدولة العثمانية

ومنهُ لماذا لم تكملوا تاريخ الدولة العثمانية

ج . لما شرعنا في كتابة هذه الخلاصة من تاريخ الدولة العثمانية لم يخطر لنا اننا نجد فيهِ اشياء يجب الاغضاء عنها فوقفنا وقفة الحيرة بين الامانة للتاريخ والتأدُّب في ذكر الاموات ولاسيما اذا كانوا عنوان عز الدولة ولم نجد بين الكتب التي وصلت اليها يدنا ما ينفي ذلك وبينما نحن في هذه الحيرة علمنا ان الحكومة عزمت على تأليف تاريخ مدقق للدولة العثمانية فقلنا لا بدَّ من انها تستطيع جمع ما لا نستطيع جمعهُ من المواد والتحقيقات اللازمة لهذا التاريخ ورأينا ان من الحكمة انتظار تاريخها لعلنا نجد فيه ما يوضح الحقائق فيكون اعتمادنا عليهِ ايضاً

(٣) دودة القطن وتاريخها

فراشة بالشرقية . شيخ العرب ابو هاشم علي قريط . ما رأيكم في دودة القطن واسباب نزولها هل هو ناشئٌ عن تأثير جوي او عوارض ارضية ومنذ كم سنة ظهرت هذه الآفة المضرة في الوجه البحري وكيف انتقلت الى الوجه القبلي

ج . ان دودة القطن وكل الديدان تتولد من الفراش كل نوع منها يتولد من الفراش الخاص بهِ . والفراش ذكر وأنثى فيتزاوج وتبيض فراشةُ دود القطن على ورق القطن وبيضها صغير جدًّا كحبوب الرمل ويخرج الدود الصغير من البيض ويكون اسود اللون عند اول خروجهِ ويتغذى من الورق ويكبر رويداً رويداً الى ان يصير طول الدودة منهُ خمسة سنتمترات فيغور في الارض ويصير زيزاً والزيز يصير فراشاً فيطير ويتزاوج ويبيض ويدور الدور على ما تقدم وفي انتهاءِ موسم القطن يشتو الزيز

ويبقى مختفياً الى حين نمو القطن في العام التالي وقد يظهر في زمن البرسيم ويأكلهُ والذي يبقى منهُ من سنة الى أخرى قليل جدًّا لانهُ تعتريهِ امراض وآفات تهلكهُ ولكن البقية الباقية تولد الدود ثانية بكثرة اذا ناسبتها الاحوال الجوية

ونظن ان هذا الدود قديم في القطر المصري وكان يأكل غير القطن من المزروعات ولما انتشرت زراعة القطن فضلهُ على غيره لانهُ يكون نامياً في الوقت الذي يسهل فيهِ نمو الحشرات ونقلهُ نقلبات الهواء ويظن البعض انهُ قبل الاهتمام بالري الصيفي كان البرسيم يقطع ثلاث مرات فقط ويبس ولكن لما توفر الري الصيفي صار البرسيم يروى ايضاً فتبقى الزيَّة منهُ عائشة الى زمن نمو القطن فيعيش الدود عليها ويتناسل الى ان يكبر القطن ويصير غذاء لهُ . وقد كثر ظهور دودة القطن اول مرة سنة ١٨٧٩ اي منذ ثلاثين سنة وكان ذلك على اثر فيضان ١٨٧٨ الذي كان عالياً جدًّا وبقيت مياههُ عالية الى الصيف التالي فروت البرسيم وابقت دودهُ حيًّا الى ان كبر نبات القطن فانتقل اليهِ

اما الانتقال من الوجه البحري الى الوجه القبلي فسهل لانهُ يتمُّ تدريجاً من البلاد الواحدة االى التي تجاورها . والرياح تحمل الفراش وتنقلهُ مسافات طويلة

(٤) فعل انعكف

طرابلس الشام . مرشد افندي الياس ابو كرم . لقد اكثر الشيخ ناصيف اليازجي في مقاماتهِ من استعمال كلمة انعكف . ويظهر من مراجعة القاموس وغيرهِ من كتب اللغة ان وزن انفعل لا يجيء من مادة عكف فكيف فرط منهُ ذلك

ج . لا نتذكر اننا رأينا هذه اللفظة في مقامات اليازجي واذا وردت فيها بمعنى عكف اللازم فيكون ورودها تجوُّزاً او تكون مستعملة مطاوعة لعكف المتعدي ويا حبذا لو ارشدتمونا الى المقامات او الصفحات التي وردت فيها هذه اللفظة

(٥) العقاب والنفس والصلاة

بغداد . هارتيون افندي موراديان . هل يمكن اثبات العقاب الابدي ووجود النفس وضرورية الصلاة من العلم الطبيعي المنتشر في عصرنا هذا

ج . كلاَّ كما لا يمكننا ان نثبت منهُ ان اسم كان مرفوع واسم انَّ منصوب لانهُ لا ارتباط بين ما ذكرتم ومواضيع العلم الطبيعي فلا يمكن الاثبات بهِ ولا يمكن النفي ولكن لو قلتم انهُ يراد بالصلاة ان يغير الله مجرى الطبيعة فهل ذلك ممكن حسب مفاد العلوم الطبيعية او غير ممكن لاجبنا ان الذين يعترضون على فائدة الصلاة يقولون ان ذلك غير ممكن لان الله وضع للكون نواميس لا

يتعداها ولا يحيد عنها . ويسهل دفع هذا القول بانهُ اذا كان امامك كتاب على مائدة فهو يبقى عليها ابداً لان ناموس الجاذبية يقتضي ذلك ولكن يسهل عليك ان تقول لابنك ارفع هذا الكتاب عن المائدة فيرفعهُ اي يستعمل قوة تبطل قوة الجاذبية او تغير فعلها فاذا كان الولد يستطيع ذلك فلماذا لا تستطيع القوة الخالقة التي هي مصدر كل القوى ان تبطل قوةً او تغيرها اذا شاءت ذلك . بقي هل يستمع الله وهل يستجيب والجواب ان ذلك خارج من مدار العلم الطبيعي فلا يقدر ان يثبتهُ ولا يقدر ان ينفيهُ ولكن ما لا يبحث فيهِ العلم تبحث فيهِ الفلسفة

(٦) العلم والشر

ومنهُ . اذا كان العلم ينقص الشر فهل يغنينا عن الدين

ج . ما هو العلم الذي تريدونهُ وما هو الشر وأي دين تعنون هل تعنون اليهودية او المسيحية او الاسلامية او البوذية او البرهمية او ماذا . وربما وجدتم ما تريدونهُ في ما يأتي : — اذا اريد بالخير ما ينفع الناس من الافعال التي يفعلونها وبالشر ما يضر الناس من الافعال التي يفعلونها فناموس بقاء الاصلح يقضي بزوال ما يضرُّ الناس رويداً رويداً وبقاء ما ينفعهم لانهُ اذا فرضنا وجود قبيلتين متماثلتين في جزيرتين متماثلتين وقام في القبيلة الواحدة اناس يسعون الى ضرر غيرهم من ابناء قبيلتهم وقام في القبيلة الثانية اناس يسعون الى نفع غيرهم من ابناء قبيلتهم ضعفت القبيلة الأولى وقويت الثانية واذا استمرَّ ذلك تلاشت القبيلة الاولى وتلاشى الشر معها وتكاثرت الثانية وتكاثر الخير معها . ولا يمكث في الارض الاَّ ما ينفع الناس ولذلك يستنتج الاكثرون ان مصير الناس الى الصلاح وهذا امر لازم عن ناموس بقاء الاصلح . ولكن لا شبهة في ان الاديان التي تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر تفيد جدًّا في الوصول الى هذه الغاية

(٧) تأخر الاطفال عن التكلم

بني سويف . كامل افندي فهمي . ما السبب في ان بعض الاطفال لا يتكلمون الاَّ بعد مرور ثلاث سنوات او اربع من ميلادهم ثم ينطقون بكل صعوبة وربما يكون نطقهم غير فصيح

ج . الغالب ان ذلك يكون وراثيا وسببهُ ضعف في مركز النطق في الدماغ

(٨) علاج التأخر في التكلم

ومنهُ . ما هي الطريقة او الادوية الواجب استعمالها حتى يسهل على هؤلاء الاطفال التكلم عند بلوغهم السن المناسب

ج . تمرينهم على التكلم بالتكلم معهم دائمًا فانهم يصيرون يحاولون تقليد من يكلمهم

وذلك بمثابة تمرين مركز النطق فيقوى لان الانتباه اليهِ يوجه اليهِ الدم فتزيد تغذيتهُ ويقوى ويحسن ان يوضعوا مع اطفال يتكلمون جيداً فيحاولوا الاقتداء بهم

(٩) فوائد العقيق

خدا وندكار. نديم افندي رئيس المحكمة الابتدائية . ورد في الاحاديث النبوية ان للعقيق خواص مفيدة وهذا ما لا ريب فيهِ ولكن هل العقيق الاحمر اكثر فائدة من غيرهِ

ج . لم نجد هذا الحديث في صحيح البخاري ولا في صحيح مسلم ولا في مصابيح البغوي وقد يكون موجوداً فيها ولم نعثر عليهِ وسألنا عنهُ بعض حفاظ الحديث فقالوا انهم لا يتذكرونهُ وقال واحد منهم لعلهُ من الاحاديث الموضوعة . اما الباحثون في فوائد الجمادات فلم يذكروا للعقيق فائدة غير التحلي بهِ لجمال لونهِ واستعمالهِ فصوصاً للخواتم . واذا اردتم بالفائدة الفائدة الطبية فعلماء الطب لا يسلمون بفائدة شيء لا يؤَثر في الجسم تأثيراً فعلياً كأَنْ يبردهُ كالماء البارد او يسخنهُ كالماء الحار او ينفطهُ كالحراريق او يدر اللعاب او يفرز الصفراء او يقتل الميكروبات التي في الدم او في المعدة والامعاء او نحو ذلك من الانفعال العلاجية . ولا نرى للعقيق فعلاً من هذه الافعال فلا ندري كيف تكون منهُ فائدة دوائية او يكون منهُ ضرر

(١٠) سكان البلاد العثمانية

مصر . امين افندي احمد . كم عدد سكان البلاد العثمانية وما هي نسبة الاتراك الى غيرهم من الاجناس

ج . يتكرر علينا هذا السؤَال ولا يوجد احصاء عند الدولة حديث يمكن الاعتماد عليهِ ولا بدَّ من انها تهتم باحصاء شعبها قريباً . ويرجح الآن ان عدد السكان في املاكها باوربا سبعة ملايين وفي املاكها باسيا ١٧ مليوناً وفي طرابلس الغرب مليون والجملة ٢٥ مليوناً واذا اضيف القطر المصري فعدد السكان نحو ٣٧ مليوناً وعدد الاتراك في اوربا نحو مليونين وفي اسيا نحو سبعة ملايين والباقون روم وعرب وارمن واكراد وغيرهم من العناصر المختلفة التي تتألف منها السلطنة العثمانية

(١١) المسلمون والمسيحيون في تركيا

ومنهُ . كم عدد المسلمين . وكم عدد المسيحيين في البلاد العثمانية

ج . عدد المسلمين في البلاد العثمانية عدا القطر المصري ١٥ مليوناً وعدد المسيحيين نحو ١٠ ملايين واما في القطر المصري فعدد المسلمين الآن اكثر من عشرة ملايين



الخيل الانكليزية قبل عهد التاريخ

بينما كان الناقبون ينقبون في مكان يسمَّى « بيشوبس ستورتفورد » ببلاد الانكليز عثروا على هيكل فرس في طبقة من التراب على عمق ست اقدام من سطح الارض واستنتج الدكتور ارفنج بعد امعان النظر فيهِ انهُ هيكل فرس من الخيل البرية التي كانت في بلاد الانكليز في عصر البرونز اي قبل عصر التاريخ . على ان الزمان الذي تكوَّنت فيهِ طبقة التراب التي وجد الهيكل فيها غير معلوم وما من دليل يدل العلماء عليهِ . وتبين من النظر في جمجمة هذه الفرس واسنانها وقوائمها انها كانت تختلف عن كل ما اكتشف من بقايا الخيل البرية التي كانت تعيش في بلاد الانكليز في آخر مدة من مدد الدور الرباعي (المسمَّاة عند الجيولوجيين بالبليستوشين) وانها تشبه صنفاً من الخيل كان يعيش في عصر البرونز لكنها اكبر منهُ جثةً .

هذا والمتفق عليهِ عند العلماء ان الخيل لم تدجن في بلاد الانكليز الا في اواخر عصر البرونز او اوائل عصر الحديد وان الخيل الانكليزية كانت صغيرة الجثة لا يركبها الناس لصغرها وظلت كذلك حتى دخل قيصر بلاد الانكليز . ولكن اكتشاف هيكل الفرس الذي نحن بصددهِ يدل على خلاف ذلك فاذا ثبت ان هذا الفرس كان يعيش في عصر البرونز فلا بد من تغيير الرأي المتفق عليهِ والتسليم بوجود خيل كبيرة الجثة في بلاد الانكليز قبل عهد التاريخ

الارتفاع بالبلون

روت جريدة التيمس ان الملازم مينا والسنيور بياشنزا ركبا البلون البتروس في ١٢ اغسطس (آب) الماضي وصعدا فيهِ من مدينة تورين حتى بلغا ارتفاع ٣٨٧١٥ قدماً اي ٧ ٣/٤ الميل وهناك فتح احدهما مصراع البلون فجعل يهبط بهما . واعظم ارتفاع بلغهُ الناس بالبلون قبل ذلك كان ٣٥٥٠٠ قدم فقط في ٣١ يوليو ١٩٠١ وهو اقل من هذا الارتفاع باكثر من ٣٢٠٠ قدم . وذلك يدل على الاعالي التي يمكن الناس ان يبلغوها بتحسين وسائط التنفس

زلزلة في اليابان

ورد على روتر من توكيو عاصمة اليابان ان اهالي اواسط اليابان شعروا بزلزلة شديدة في ٢٩ اغسطس (آب) وانها دمرت كثيراً من مدينة ناجويا من مدائن اليابان التجارية . ومما يستحق الذكر ان الزلزلة دمرت هذه المدينة كلها تقريباً سنة ١٨٩١

ماذا يجري في المريخ

يهتم الفلكيون اهتماماً عظيماً برصد المريخ في هذه الايام وقد اذاع مرصد كيال ان بعضهم كان يرصد المريخ في ١٢ اغسطس الساعة ٢ بعد الظهر فرأى نقطة لامعة تنفصل عن الثلوج القطبية التي فيهِ وتغطي ارضاً منهُ في درجة ٣٢٠ من الطول . وروى راصد آخر انهُ رأى قطعاً مظلماً في الثلوج التي حول القطب الجنوبي من المريخ يومي ٢٠ و٢٣ يونيو (حزيران) على درجة ١٩٠ من الطول وان هذا القطع ينتهي بنقطة مستديرة اشدّ منهُ سواداً . وكان الاستاذ لويل قد رأى شقاً في المريخ على درجة ٣٥٠ من الطول في المريخ ثم رأى غيره هذا الشق في ٤ يوليو (تموز) بنظارة كاسرة قطرها ٢٧ سنتمتراً وظهر لهُ انهُ ممتد على طول الثلج كلهِ وفي ذلك اليوم شاهدوا نقطة لامعة على حافة الثلج المظلمة على درجة ٣٠ من الطول في ذلك السيار

اكتشاف القطب الشمالي

فاجأتنا الشركات التلغرافية في اوائل سبتمبر (ايلول) باخبار الوصول الى القطب الشمالي . واول من وصل اليهِ رجل اسمهُ كوك يظهر انهُ اميركي وقد قصدهُ في سنة ١٩٠٨ . ووفق على قولهِ توفيقاً لم يوفقهُ رحالة قبلهُ فتيسر لهُ ما لم يتيسر لغيرهِ فقد ارسل تلغرافاً الى جريدة النيويورك هرالد يقول فيهِ انهُ وصل الى القطب الشمالي بعدما قاسى ما لا يوصف من عذاب الجوع والبرد واكتشف براً تعيش فيهِ الوحوش الكبيرة التي يصطادها الاسكيمو وبراً آخر كثير الصخور والوعور . قال ومن حسن توفيقي اني وجدت صيادي الاسكيمو مجتمعين لصيد الدب ومعهم لحوم كثيرة ومئات من الكلاب القوية الشديدة على بعد ٧٠٠ ميل من القطب فقط فتيسر لي بذلك ان استعين بهؤلاء الرجال المجربين وان اتأهب من هناك لرحلتي الى القطب وقد ساعدوني مساعدة لا تثمن باعدادهم الرسوم التي اتبعها وبحثهم عن السبل التي اشير انا ومن معي منهم فيها فاستصحبت معي ١١ رجلاً و١٠٣ كلاب و١١ مركبة من المركبات التي تجرها تلك الكلاب على الجمد وسرنا من هناك في ١١ فبراير (شباط) ١٩٠٨ . وخالفت من تقدمني فسافرت في الليل القطبي عوضاً عن

ان اسافر في النهار القطبي فلقيت من المشقات ما لا يوصف ولكني وجدت اخيرًا الطرق التي تسير وحوش الصيد فيها فسهل ذلك علينا المسير وفي ١٨ مارس (اذار) اي بعد مسيرة شهر من الزمان برحنا جزيرة هربرت وسرنا في البحر المتجمد الشمالي فوجدنا الضباب يغشاهُ على الدوام . ولما صرنا في آخر مرحلة من مسيرنا لم يكن معي غير اثنين من الاسكيمو و ٢٦ كلبًا وكنا نسير سيرًا طويلاً ونصبر على الشدائد لان ما نراهُ من التقدم كان يشدد عزائمنا . فكنا نستريح في اكواخ من الجليد ونقتات باللحم المقدد والشحم والدهن ونشرب الشاي السخن . وما زلنا نسير في ضباب مظلم حتى استضاء يسيرًا في ٣٠ مارس (اذار) فالتفتنا واذا الى القرب منا برٌّ جديد فقصدناهُ على بحر من الجليد لا اثر للحياة فيهِ ولما تجاوزنا درجة ٨٦ من العرض الشمالي وجدنا حقولاً واسعة من الجليد ولما صرنا بين الدرجة ٨٧ والدرجة ٨٨ رأينا علامات تدل على قرب البر منا وكنا في مئة الميل الاخيرة نرى البر كل يوم ثم تبين لنا ان ذلك كان كلهُ سرابًا نحسبهُ برًّا وهو ليس ببر

ثم وصف اقترابهُ من القطب فقال : لم يكن معي حينئذٍ الاَّ اثنان من الاسكيمو و ٢٦ كلبًا وكنت ارصد الارصاد الفلكية كل يوم فوجدت في ٢١ ابريل (نيسان) انهُ لم يبق بيننا وبين القطب الاَّ ١٤ ثانية فقطعنا هذه المسافة القصيرة ووصلنا الى القطب حيث اقمنا يومين وكنا نجد الشمس دائمًا في الظهيرة هناك لالتقاء جميع الهواجر في نقطة واحدة ولا نجد شرقًا ولا غربًا ولا شمالاً بل كل شيء يظهر في الجنوب فقط . وكانت الابرة المغنطيسية في الحك تشير الى القطب المغنطيسي دائمًا فكان عندنا اعظم فائدة

وفي ٢٣ ابريل (نيسان) غادر كوك ومن معهُ القطب الشمالي وقفلوا راجعين فقاسوا ما قاسوا من المشقات والاهوال وقلَّ معهم الزاد وحال الثلج والجمد دون مسيرهم في شهر سبتمبر (ايلول) فاضطروا ان يقضوا اشهرًا في كهوف تحت الارض حتى شرقت الشمس سنة ١٩٠٩ فعادوا الى جرينلندا

وقد تلقى قوم هذا الخبر بالارتياب لانهُ يلزم عن بعض ما ورد فيهِ ان كوك قطع مسافة ٤٨٣ ميلاً في ٣٥ يومًا وذلك يفوق ما فعلهُ كل من تقدمهُ كثيرًا وايضًا لان كوك لم يستصحب معهُ رجالاً من اهل العلم الذين نعول على قولهم غير اننا نكتب ذلك في اوائل سبتمبر واهل الدنمرك يستعدون لملاقاتهِ والاحتفال بهِ وارسلوا نسافة لاستقبالهِ ولا بد من نشر التفاصيل وانجلاء الحقيقة قريبًا

عدد النجوم

يتفق الفلكيون تقريباً في تقدير عدد النجوم الى حد ويختلفون بعد ذلك كثيراً ففلكيو مرصد جرونتكن يقدرون عدد النجوم التي من القدر الاول الى القدر العاشر ونصف بنحو ٦٩٧٥٥١ نجماً وفلكيو مرصد هارفرد باميركا يقدرون عدد هذه الاقدار بنحو ٦٠٤٠٠٠ نجم ولكن الاولين يقدرون عدد النجوم الى القدر الثالث عشر ونصف بنحو ١٤٥٨٢ نجماً والاخرين يقدرونها بنحو ٦٧٦١٠٠٠ فقط . والاولين يقدرون عددها الى القدر الخامس عشر ونصف بثمانية وتسعين مليوناً والاخرين يقدرون عددها الى القدر الخامس عشر بنحو ١٨ مليوناً

ويظهر من صور النجوم التي يصدرها مرصد كرينيج بانكلترا ان تقدير المرصد الاميركي اقرب الى الصواب والله اعلم

البوارج الهوائية والحروب المقبلة

يظهر ان قوماً حولوا وجوههم منذ اليوم عن البوارج البحرية وجعلوا ينظرون الى البوارج الهوائية ويقولون ان الحرب اذا شبت نارها في الازمان المقبلة فشبوبها يكون في الهواء لا على اليابسة ولا على الماء فقد انشأ بعض الكتاب الالمان مقالة في احدى المجلات الاميركية قالوا فيها ان قوة البلون زبلين وثباته قد ثبتا الآن للعيان بالتجربة والامتحان ولا بد انهما يؤيدان بزيادة العناية والاتقان الى سرعة تفوق سرعة البوارج في البحر مرتين او ثلاثاً . ومع ذلك لا تبلغ قوة الآلات التي تحرك هذه البلونات اثنين في المئة من قوة آلات البوارج البحرية

وكذلك نفقة صنعها ومدة صنعها لا تبلغان ١٥ في المئة من نفقة صنع بواخر من الطبقة الاولى ومن مدة صنعها

وعليه جاء الزمان الذي فيه اكتشفنا عدة جديدة للحرب والقتال وهي عبارة عن بارجة هوائية تساوي في الكبر البوارج البحرية وتصير اكبر منها على تمادي الزمان . وهي تجري في الهواء على ارتفاع ميل عن سطح الارض وتقطع في الحرب من ٦٠ الى ٦٥ ميلاً في الساعة

وتصب على الارض ناراً آكلة لا تخطئ مرماها وتكون مع ذلك بمأمن من شر عدوها لان البندقية العسكرية لا تؤدي رصاصها الى أبعد من ١٦٥٠ يرداً عن سطح الارض ولم تخترع بعد مدافع تؤدي قنابلها في العلو اكثر من ١٢٠٠ يرد . وهب انهم اخترعوا لذلك مدافع خصوصية فالبوارج الهوائية تتقي شرها بسرعة حركاتها وخفة دورانها كالطير في الهواء . فلا خوف عليها من عدوها الذي يقاتلها عن سطح الارض ولكن الخوف كله عليه لانه لا ينجو من نارها اذا سلحت بمدافع سريعة الاطلاق وقنابل وخصوصاً البنادق التي تطلق بالآلات فان كل بندقية

منها تصبُّ ٤٠٠ رصاصة في الدقيقة كما يصب الانسان الماء من الانبوب فنارها الحامية تأكل كل المشاة والفرسان الذين يبعدون الى حد ميلين عنها. ثم ان المدفعية الذين يكونون فيها يرون كل شبح على الارض بوضوح وجلاء لا يعلمها الاَّ من ركب البلون ورأى الاشباح على وجه الارض

فالبوارج الهوائية تبطل اذاً الحروب البرية والبحرية المصطلح عليها الآن. وتبطل ايضاً نظام المدفعية والفرسان (الطوبجية والبيادة) اذ لا يكاد احد يرتاب اليوم في ان الناس يتصلون بعد سنين غير كثيرة الى صنع بارجة هوائية طولها مساوٍ لطول الباخرة موريتانيا اي ٧٩٠ قدماً. فهذه البارجة تكون حمولتها ١٢٥ طنًّا وتستطيع الذهاب من المانيا الى كل جهة من جهات اوربا والرجوع اليها توًّا من غير ان تنزل الى البر ويكون مسيرها بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة وتبقى ثلاثة ارباع تلك المدة على ارتفاع ١٦٥٠ يرداً بمأمن من رصاص الاعداء واذا أُحسن تدبير وقودها تيسر لها البقاء في الهواء اسبوعاً او اسبوعين من غير ان تنزل الى الارض لتأخذ وقوداً غيره وتيسر لها ايضاً ان تنقل معها ٢٠ طنًّا على الاقل من الاسلحة والذخائر

وزد على ما تقدَّم رخص هذه البوارج الهوائية فان المانيا تنفق الآن اكثر من ٤٠ مليون جنيه في السنة على جيش عدده ٦٠٠ الف رجل تحت الخدمة و ١٢٠٠٠٠٠ رجل احتياطي. فلو صنعت اسطولاً هوائيًّا عدد بوارجه ٥٠٠ بارجة لما انفقت عليهِ اكثر من ٣ ملايين جنيه في السنة ولامكنها ان تضيف اليهِ كل سنة ١٠٠ بارجة جديدة بخمسة ملايين جنيه

وحينئذٍ تتغير الحرب من حال الى حال فالحرب كانت كل هذا الزمان قتالاً بين امتين مسلحتين او اكثر ولكنها تصير بعد صنع البوارج الهوائية قتالاً بين عدد وآلات يديرها بعض الرجال الخبيرين المجربين. ولا يخفى ان البوارج البحرية قللت عدد الرجال الذين ينزلون الى ساحة القتال اما البوارج الهوائية فتجعل عددهم اقلَّ من ان يذكر بالنسبة الى عدد امتهم وعليهِ يبطل النظام الحربي المعهود عندنا ويصير اعتماد الامم على قوة عقولها لا على قوة ذكورها فالسابق منها في صنع الآلات وفي الغنى هو الفائق في القوة والفائز في ساحات القتال

قالوا ولهذا بات الانكليز في قلق شديد لان تعويلهم في قوتهم هو على البوارج البحرية فالبوارج الهوائية تفتح عليهم باباً لم يكونوا يحلمون بهِ ولا حيلة لهم في سدهِ لانها غير مستعدة لذلك اقلَّ استعداد ولان معرفتها بادارة المراكب الهوائية لا تكاد تذكر كما ثبت بالتجربة في هذه الايام

فهرس الجزء الرابع من المجلد الخامس والثلاثين

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الخامس والثلاثين

١ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٨ شوال سنة ١٣٢٧

الدكتور جورج بوست

منذ اثنتين واربعين سنة اجتمع ثلاثة من الاطباء في دار صغيرة بمدينة بيروت اميركيّان وارمني تلميذ لاحدهما وهم الدكتور كرنيليوس فان ديك والدكتور يوحنا ورتبات والدكتور جورج بوست . انتدبتهم لجنة المدرسة الكلية السورية الانجيلية لعمل جليل عمَّ نفعهُ البلاد العربية بل البلاد العثمانية كلها وهو انشاء مدرسة طبية ضمن المدرسة الكلية

كان الدكتور فان ديك كهلاً قصير القامة نحيف الجسم خفيف اللحية وكان السوريون قد عرفوا منهُ عالمًا عاملاً نشر بينهم كتبًا علمية في الجغرافية والجبر والهندسة وكان يعرف العربية مثل اربابها ويتكلمها بلهجة صحيحة كاحد ابنائها واذا حدَّثك استشهد بالاشعار والامثال وجوامع الكلم كأنهُ حفظ فن المحاضرة على اربابهِ

وكان الدكتور ورتبات كهلاً قصير القامة كث اللحية ليس بالنحيف ولا بالسمين ولم تكن لهُ مؤَلفات عربية معروفة ولكن كان لهُ مؤَلفات انكليزية . وكان يتكلم الانكليزية ويكتبها مثل البارعين من ابنائها اما العربية فكانت لغتهُ التي رضعها مع اللبن واخذ قواعدها عن علمائها

وكان الدكتور بوست شابًّا في مقتبل العمر متوسط القامة برَّاق العينين اسود الشعر يتكلَّم العربية بلهجة طرابلسية فانهُ تعلمها في طرابلس الشام

اجتمع هؤُلاء الثلاثة واقتسموا العلوم الطبية كلها لقلَّة عدد التلامذة في السنين الأُول فاستقلَّ الدكتور فان ديك بتعليم الكيمياء والباثولوجية والتشخيص الطبيعي والدكتور ورتبات بتعليم التشريح والفسيولوجيا والدكتور بوست بتعليم النبات والمواد الطبية والجراحة . وقرنوا كلهم التعليم العلمي بالتعليم العملي في كل العلوم التي علَّموها اي انهم كانوا يفرضون على التلامذة العمل بما يتعلمونهُ

اين هؤُلاء الاساتذة الآن اركان المدرسة الطبية ومؤَسسوها . ذهبوا في طريق كل حي

بعد ان طببوا وعلَّموا والَّفوا وخدموا البلدان العربية اكبر خدمة تذكر في تاريخ ارتقائها العلمي
كان الدكتور بوست اصغرهم سنًّا واعلاهم همةً واكثرهم اشتغالاً لا يكلُّ ولا يملُّ . لازم التدريس والتطبيب والتأليف والبحث عن النباتات في كل الاقطار العربية الى ان انتهت السنة المدرسية الماضية فاستعفى من التدريس ومدَّ يدهُ حين استعفائهِ وقال لاخوانهِ الاساتذة انظروا الى هذه اليد فقد قبضتْ على آلات الجراحة السنين الطوال ولم تكلَّ ولا ضعفت ولا ارتجفت ومرادي ان اطرح هذه الآلات منها الآن بارادتي قبلما تضعف فاضطر ان القيها منها رغماً عني . وكأَنَّ ميكروب الامراض الذي بقي زمانًا طويلاً ينفي وجودهُ ولم يلمّ بهِ الاَّ بعد ان زالت كل شبهة فيهِ حمل عليهِ حينئذٍ اذ رآهُ اعزل فارداهُ

عرفناهُ في مدرسة عبيه الاميركية سنة ١٨٦٥ قبيل انشاء المدرسة الكلية وكان يدرس معنا الصرف والنحو في فرقة واحدة ويبحث ويدقق كابناء اللغة . وخطب وهو هناك خطبة عملية في الهضم شرح فيها هذا العمل الطبيعي اوضح شرح مبينًا اعضاءهُ برسوم رسمها على لوح اسود بالطباشير الملوَّن وكان هذا الطباشير شائعًا حينئذٍ ولم يكتفِ بذلك بل قبض على كلب وبنَّجهُ واماتهُ ثم شقَّهُ وارانا وضع اعضاء الهضم فيهِ وشكلها . ثم لما أُنشئت المدرسة الطبية وانتدب لتدريس النبات والتشريح والمواد الطبية كما تقدم الَّف كتبهُ المشهورة في هذه العلوم الثلاثة باللغة العربية . وكانت طريقتهُ في التعليم مثل طريقة رصيفيهِ الدكتور ڤان ديك والدكتور ورتبات وهي قرن العلم بالعمل فكان على تلامذة النبات مثلاً ان يشرحوا الازهار والاثمار ويجمعوا امثلة كثيرة من النباتات المختلفة ويجففوها ويحفظوها ويعينوا انواعها وفصائلها. وعلى تلامذة المواد الطبية ان يتمرنوا على تمييزها بصفاتها الظاهرة وخواصها الكيماوية . والعمل الاكبر كان في علم الجراحة فانهُ كان يفرض على تلامذتهِ عمل كل الاعمال الجراحية في المستشفى الذي كان تابعاً للمدرسة الكلية ولذلك امتاز تلامذة هذه المدرسة بانهم اشتغلوا بكل فروع الطب كأَنهم اختصاصيون في كل فرع منها فلا ينتدب واحد منهم لعملية جراحية ويحجم عنها مهما كانت كما لا يحجم عن معالجة اي مرض كان من الامراض الباطنة ومن امراض النساء والاطفال

ولا شبهة في ان الدكتور بوست بلغ غاية ما يطلب في التعليم الآن حيث قرن العلم بالعمل وبلغ ايضاً غايةً اخرى وهي البحث في العلم والاكتشاف فيهِ لتوسيع نطاقهِ . وكان اكثر اشتغالهِ من هذا القبيل في البحث عن نباتات سورية وفلسطين وشبه جزيرة سينا ولهُ في ذلك كتاب كبير جليل حتى لو لم يكن لهُ غيرهُ ولو لم يشتغل بغير علم النبات لعدَّ من العلماء الذين وسَّعوا

نطاق العلم بجمع المواد اللازمة لهُ. اما المشاق التي تجشمها في سبيل هذا العلم والاسفار التي سافرها والايام والسنين التي قضاها في جمع النباتات وتجفيفها وتبويبها فما يملأ شرحهُ مجلداً كبيراً

وكان لهُ في المدرسة الكلية معرض للمواد الطبية ومعرض للمستحضرات الجراحية وما استخرجهُ من الحصى والاورام والعظام وما اشبه ومعرض لامثلة الحيوانات والنباتات ومعرض اكبر من هذه كلها للنباتات التي جمعها هو وتلامذتهُ ورتبها وبوبها. وكان يقضي في هذا المعرض اكثر اوقات الفراغ وقلما كان يخرج منهُ قبل الساعة الحادية عشرة او الثانية عشرة ليلاً. اجتهاد علَّم تلامذة المدرسة الكلية الاجتهاد وهمة عالية قلما رأى ابناء سورية مثلها

وكان من اكثر الاطباء والجراحين اشتغالاً بالطب والجراحة. كان يعالج المرضى ويعمل العمليات الجراحية في بيتهِ وفي المستشفى وبيوت المرضى في بيروت ولبنان وسائر المدن السورية حتى كنا نعجب كيف يجد وقتاً للاكل والنوم والتدريس

واهتمَّ بغير ذلك من الاشغال العلمية فجمع فهرساً للكتاب المقدس بمساعدة بعض التلامذة ووضع قاموساً تفسيرياً للكتاب المقدس وانشأ مجلة الطبيب بالاشتراك مع الدكتور لويس ثم استقلَّ بها ثم عهد بتحريرها لغيرهِ

وبنى بيتاً جميلاً في بيروت قرب المدرسة الكلية وانشأ حولهُ حديقة غناء جمع فيها انواعاً شتى من الاشجار والانجم والازهار والرياحين. وبيتاً آخر في عاليه يشرف على وادٍ عميق وغرس حولهُ كثيراً من الاشجار الجبلية واخيراً اهتم بانشاء بناء كبير في المدرسة الكلية جعلهُ دوراً للمعارض العلمية وهو من اجمل ابنية المدرسة واوسعها وكان مع ذلك كلهِ يجد وقتاً للخطب العلمية والمواعظ الدينية ولمسامرة الاصدقاء

وقد عيب عليهِ حرصهُ الشديد او تدقيقهُ في تقاضي اجرة عملهِ. وقد كان كذلك عن طبع لا عن جشع فانهُ كان مع هذا الحرص كريماً اذا رأى داعياً للكرم. نُدبنا مرةً لجمع مبلغ من المال لجمعية خيرية فقصدناهُ ونحن نقدم رجلاً ونؤخر أُخرى. ولما اخبرناهُ بغرضنا اعطانا اكثر مما اعطانا غيرهُ من المشهورين بكرمهم ولم يشأْ ان يذكر اسمهُ بل قال قولوا من صديق. واختلف مرة مع صديق لهُ على عشر بارات ثم استدعاهُ ذلك الصديق لتجبير يد حماتهِ فجبرها وعادها مراراً كثيرة الى ان شفيت ولم يشأْ ان يأخذ اجرةً

توفي الى رحمة ربهِ في الثامن والعشرين من شهر سبتمبر الماضي وهو في الحادية والسبعين من عمرهِ وسيبقى ذكرهُ خالداً في نفوس زوجتهِ واولادهِ وتلامذتهِ وكل الذين انتفعوا بعلومهِ وكتبهِ واستفادوا من الاقتداء بهِ في همتهِ واجتهادهِ

الطبيعيات وارتقاؤُها

من خطبة السير جوزف طمسن رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

انعقد المجمع البريطاني في هذه السنة في مدينة ونيبغ من اعمال كندا وحضرهُ نحو ١٥٠٠ عالم من خيرة العلماء الانكليز والاميركان فخطب رئيسهُ السير جوزف طمسن خطبة الرئاسة فآثرنا تلخيصها للقراء لما فيها من الفوائد الجمة

استهلَّ الخطيب كلامهُ بذكر تاريخ الاجتماعات السالفة واثنى على اهالي كندا ورؤساء المجمع السابقين وغيرهم من العلماء الذين كانت لهم اليد الطولى في تقدم العلم الحديث ثم تخلص الى انتقاد طريقة التعليم في بعض المدارس الجامعة في بلاد الانكليز وفضَّل عليها الطريقة المتبعة في مدارس كندا وكان معظم انتقادهِ على اعطاء الجوائز الكثيرة في المدارس الانكليزية فقال ان جامعة كمبردج وحدها تمنح من الجوائز سنويًّا ما قيمتهُ ٣٥٠٠٠ جنيه ومثلها اكسفرد فتنصرف بذلك قوى الطلبة النابغين الى فرعٍ واحدٍ من العلوم طمعًا في اكتساب جائزة ويهملون غيرهُ من الفروع. ويراد بالجوائز هنا ما يعطى من الاموال للنابغين لكي ينفقوا منها في تعليمهم. ثم قال انهُ لا يخفى ان الفروع العلمية لا ينفصل بعضها عن بعض فكلما تقدم العلم تقاربت فروعهُ وزادت العلائق بينها كالطبيعيات فانها لا تنفصل عن الرياضات فلا يحسن اتقان بعضها واهمال البعض الآخر. وشدَّد النكير على اهمال العلوم الرياضية في بعض المدارس. ثم اثنى على الطريقة المتبعة عند بعض الطلبة وهي انتقالهم من كلية الى أخرى في بلادٍ غير بلادهم وقال انها خير الوسائل لازالة النفور بين شعبٍ وآخر ولتسهيل ذلك يجب على كل مدرسة ان تعترف بشهادات غيرها من المدارس حتى لا يكون عدم اعترافها عثرةً في سبيل انتقال الطلبة. الى ان قال ما خلاصتهُ

جرت العادة ان رئيس المجمع يقدّم خطبةً موضوعها الاكتشافات الحديثة في العلم الذي يختص بهِ فسأتبع خطوات غيري من الرؤساء السابقين واتلو على مسامعكم شيئًا عن ارتقاء علم الطبيعيات في السنوات الاخيرة فاقول

منذ آخر اجتماعٍ لنا في كندا اي سنة ١٨٩٧ حدثت امور ذات شأنٍ في العلوم الطبيعية واكتشفت خواص جديدة للمادة والكهربائية. وفي هذه الفترة التي مضت احسن مثالٍ لما قد ينتج من التقدم في العلم بسبب اكتشافٍ واحد كاكتشاف اشعة رنتجن مثلاً. فاكتشاف كهذا اشبه شيء باكتشاف الذهب في بلادٍ قليلة السكان فيسرع المهاجرون اليها

في بادىء الامر لاستخراج الذهب منها ثم يجدون ان في البلاد خيرات كثيرة قد تكون افضل من الذهب فيستثمرونها . وهكذا كان الامر في اكتشاف اشعة رنتجن . وقد وجدنا بها ان في الغازات ذرات مكهربة بعضها سلباً و بعضها ايجاباً . وظهر لنا مظهر جديد من مظاهر الكهربائية وتركيب المادة . فعلمنا منها ان الكهربائية مؤلفة من دقائق كالمادة فكما ان الهدروجين مؤلف من ذرات تسمى دقائق فكذلك الكهربائية مؤلفة من دقائق عديدة لكل واحدة منها مقدار معلوم ومحدود اي ان الملء الكهربائي مؤلف من املاء كثيرة

قال هلمهلتز سنة ١٨٨٠ ان الادلة على كون الكهربائية مؤلفة من دقائق اقوى من الادلة على ان المادة مؤلفة من دقائق . وقد زادت هذه الادلة ثبوتاً ووضوحاً في هذه الايام اذ يمكننا ان نقيس مقدار الملء الواحد فنجده هو هو ولو كان من مصادر مختلفة . وصرنا نستطيع ان نقدر كمية الدقائق في اي عنصر من العناصر بقياس ما فيهِ من الاملاء الكهربائية

وللاساليب الكهربائية فائدة عظيمة جدًّا في درس خواص المادة والسبب في ذلك انهُ اذا كهربنا دقيقةً من الدقائق نقدر ان نتحقق وجودها . اما اذا كانت خالية من الكهربائية فتخفى علينا ما لم تكن مجموعة مع غيرها من الدقائق الكثيرة . و يتضح هذا الامر بطريقة حسابية بسيطة فان الغاز المسمى نيونًا يوجد منهُ مقدارٌ قليل في الهواء واقلُّ كمية منهُ امكن اظهارها بواسطة السبكتروسكوب هي الكمية الموجودة في جزء من عشرين من السنتيمتر المكعب من الهواء . والنيون جزءٌ من مئة الف جزء من الهواء فالنيون الموجود في الجزء من العشرين جزءًا من السنتيمتر المكعب من الهواء لا يزيد جرمهُ على جزء من مليوني جزء من السنتيمتر المكعب وهذه الكمية قليلة جدًّا ولكن فيها عشرة ملايين مليون دقيقة من هذا الغاز . فاذا قابلنا ذلك بعدد البشر في المسكونة وهو الف وخمسمائة مليون وجدنا ان اقل كمية يمكن اظهارها من النيون يزيد عدد دقائقها على عدد سكان الارض سبعة آلاف ضعف . اي انهُ لو اردنا ان نثبت وجود الانسان على هذه الارض بالطريقة المستعملة لاثبات وجود النيون بالسبكتروسكوب لوجدنا الارض خالية من السكان . ولكن طريقة الكهربائية ادق من السبكتروسكوب لاظهار الدقائق الخفية فانهُ يمكننا اظهار ثلاث دقائق او اربع منها في السنتيمتر المكعب . و يقال انهُ يمكن اظهار الدقيقة الواحدة المكهربة من الهاليوم ولو كان غير مكهربٍ للزم ان يكون عدد الدقائق مليون مليون دقيقة في السنتيمتر المكعب قبل ان يُشعر بوجودهِ . وقد تقدمنا كثيراً في معرفة ماهية الكهربائية ولاسيما السلبية فعرفنا انها مؤلفة من وحدات كلها من نوع واحد وان هذه الوحدات صغيرة جدًّا وهي اصغر بكثير من اصغر

الجواهر الفردة فان الواحدة منها يبلغ حجمها ١/١١٠٠ جزء من جوهر الهيدروجين ونصف قطرها يبلغ جزءًا من مئة مليون مليون من السنتيمتر . فالفرق بين الوحدة الكهربائية والجوهر الفرد كالفرق بين ذرة من الغبار وهذه الغرفة التي نحن فيها . وهذه الوحدات تتحرك بسرعة شديدة قد تبلغ احيانًا سرعة النور

قلت اننا تقدمنا كثيرًا في معرفة الكهربائية السلبية فما هو مبلغ ما نعرفهُ عن الكهربائية الايجابية وهل هي مؤلفة من دقائق كالسلبية وهل هذه الدقائق مؤلفة من وحداتٍ وكل وحدةٍ من هذه الوحدات فيها من الكهربائية نفس الكمية التي في الوحدات السلبية وهل هذه الوحدات الايجابية مساوية للوحدات السلبية في الحجم والخواص الطبيعية او هي مخالفة لها . اننا نعلم بالاختبار ان الوحدات السلبية هي واحدة ولو اخرجناها من مواد مختلفة فهل هذا شأن الوحدات الايجابية ايضًا وهل نقدر ان نخرج من الاكسجين وحدة ايجابية كما نخرج من الهيدروجين وحدة سلبية

اما رأيي فهو اننا نقدر على ذلك ولو كانت حقيقة الكهربائية الايجابية لم تنجلِ لنا حتى الآن كحقيقة الكهربائية السلبية . واذا عرفنا حجم الوحدات الايجابية والسلبية امكننا ان نعرف في المستقبل ماهية الدقائق الكهربائية وربما قدرنا على فهم ماهية المادة وعلاقتها بالكهربائية . ويمكننا ان نفرض ايضًا ان المادة ليست سوى اجتماع وحداتٍ من الكهربائية السلبية والايجابية وان القوى التي تمسك الجواهر الفردة والدقائق بعضها ببعض والخواص التي تتميز بها المواد ليست سوى قوى كهربائية ناتجة عن الوحدات الايجابية والسلبية وتجمع هذه الوحدات على اشكال مختلفة في الجواهر الفردة

ولما كانت القوة التي في الملء الكهربائي تزيد بصغر دقائق الجسم لانها تكون على سطح الدقائق فالقوة التي في الدقائق الكهربائية السلبية اعظم من القوة التي في الدقائق الكهربائية الايجابية . وفي الجرام من الهيدروجين ستمائة الف مليون مليون مليون جوهر فاذا فرضنا ان في كل جوهر دقيقة من الكهربائية . ففي الجرام كلهِ من القوة ما في خمسة اطنان من الفحم الحجري اذا أُحرقت . وعليهِ ففي المادة قوة عظيمة جدًّا ولكنها مرتبطة بدقائقها ارتباطًا لا ينفك فاذا انفك جانب منها نسف الارض نسفًا

ومباحثنا هذه متعلقة كلها بالمادة المؤلفة منها الارض والشمس والنجوم . وهذه الاجرام ليست سوى جزء صغير من العالم وجزر صغيرة في المحيط الاعظم الاثيري وهو المادة التي تملأُ العالم بأسرهِ

فالاثير ليس من اوهام الفلاسفة وتخيلاتهم بل وجوده امر ضروري لا غنى لنا عنهُ

كالهواء الذي نتنفسهُ · ولا يغرب عن بالنا ان معيشتنا على هذه الارض متوقفة على ما نستمدهُ من الشمس وهذا يصل الينا بواسطة الاثير · فالشمس مصدر الليل والنهار والربيع والحصاد وهي ايضاً مصدر القوى المخزونة في الفحم الحجري والطعام وكل ما يعوَّل عليهِ لعمل الاعمال على وجه الارض · ونقدر ان نتصور مقدار القوة التي تأتينا من الشمس متى عرفنا ان الحرارة التي تقع على الفدان المربع متى كان الجوُّ صحواً والشمس مشرقةً تعادل قوة ٧٠٠٠ حصان ولا يستبعد ان المهندسين يتمكنون في المستقبل من ايجاد طريقة لاستخدام هذه القوة متى لاسيما قل الفحم الحجري ووجدت مجاري الماء عاجزة عن القيام بما يطلب منها ويحتمل ان حركة الاشغال تنتقل اذ ذاك الى صحراء افريقية حيث يسهل جمع الحرارة التي تقع على الارض

وهذه القوة التي تأتينا من الشمس لا بد ان تمرَّ بهذا الفضاء الواسع ولا بد من مادة في هذا الفضاء تخزن تلك القوة وترسل الينا الحرارة والنور بسرعتهما المعروفة · فدرس هذه المادة المسماة بالاثير من اهم ما يجب على علماء الطبيعة

من الآراء المعوَّل عليها الآن ان القوى التي تأتينا من الشمس تصل الينا بتموجات كهربائية وسط الاثير اي ان هذه القوى مصدرها الكهربائية والاثير نفسهُ هو مصدر هذه القوى الكهربائية والمغنطيسية · ولكن ما هي خواصُّ هذا الاثير وهل هو كثيف او لطيف وهل لهُ قوام وهل هو متحرك او ساكن · هذه مسائل تخطر على بال كلٍّ منا

ولنذكر الآن الحقائق المعروفة عن الاثير · اذا وقع النور على جسمٍ ما وامتصهُ ذلك الجسم اندفع الى الجهة التي يسير فيها النور · ومن القواعد الطبيعية انهُ اذا اكتسب جسم حركة ما فلا بد من ان جسماً آخر فقد تلك الحركة التي اكتسبها الاول اي ان الحركة في العالم واحدة لا تنقص ولا تزيد · فالجسم الذي يقع عليهِ النور ويدفعهُ الى الامام يكتسب مقداراً من الحركة او الزخم · ولا بد من ان تموجات النور نفسها تفقد هذه الحركة عينها ويستنتج من ذلك ان لهذه التموجات حركة خسرت جزءاً منها ووجود الحركة او الزخم يستلزم وجود جسمٍ متحرك فالاثير الذي يسير فيهِ النور يسير جزءٌ منهُ مع النور · وقد اظهرت التجارب ان هذا الجزء المندفع مع النور قليلٌ جدًّا بالنسبة الى الاثير الذي يمرُّ فيهِ النور ففي كل كيلومتر مكعب من الاثير الساكن الذي فيهِ نور مثل كثافة نور الشمس على سطح الارض جزءٌ من خمسين مليون جزءٍ من الميلغرام من الاثير المتحرك

اذا ارسلنا مجرىً كهربائيًّا في الاثير اندفع مع هذا المجرى جزءٌ منهُ وتجمَّع حولــــ

الوحدات السلبية و يعلم بالتجارب ان هذا الاثير المجتمع على الوحدات السلبية كثيف جدًّا تزيد كثافتهُ على كثافة الرصاص الفي مليون مرة . لكن لا يعلم هل كثافة الاثير تبلغ هذا المقدار في اماكن اخرى فاذا كان الاثير قابلاً للضغط تكون هذه الكثافة حول الوحدات نتيجة الضغط اما اذا لم يكن قابلاً لذلك فتكون كثافتهُ واحدة اينما كان . اما هذه الكثافة العظيمة فيظهر لنا لاول وهلة انها مما يعسر تصديقهُ اذ يصعب علينا ان نتصوَّر انفسنا مغمورين بمادة اشد كثافة من الرصاص بما لا يقدر لكن يجب ان لا ننسى ان المادة اكثرها خروق ويمكن ان نشبهها بقفص الطيور فالاثير الذي يصيب اسلاك القفص جزء صغير جدًّا بالنسبة الى حجم القفص . فاذا فعلنا ذلك لا نجد صعوبة في فهمنا كيف تحرك المادة في الاثير مهما عظمت كثافتهُ وما علينا سوى توسيع المسافة التي بين اسلاك القفص كلما زادت الكثافة

ولنبحث الآن في مقدار الاثير الذي تحملهُ المواد وتدفعهُ معها وما قد ينتج عن ذلك من التأثير . فقد وجد ان المقدار الذي يرافق الاجسام يكون بنسبة القوة الموجودة في تلك الاجسام . ولكن هل يزيد وزن الجسم بسبب الاثير المتصل بهِ . تلك مسألة يجب البحث فيها فاذا كان الاثير غير خاضع لناموس الجاذبية فلا يزيد بهِ وزن الاجسام واذا كان خاضعاً لهُ فانهُ لا ينتظر ان يزيد شيء في هذا الوزن لان كمية الاثير المرافقة للاجسام تكون سابحة في بحر من الاثير . ولكن اذا كان الامر كذلك اي ان هذا الاثير لا يزيد في ثقل الاجسام فان الجسم الحائز على مبلغ عظيم من القوة الكامنة اي على مقدار عظيم من الاثير يكون بعضهُ خالياً من الوزن او لا تأثير لهُ في وزن الجسم . فيكون هذا الجسم المفروض اقل وزناً من جسم آخر مثلهُ في الحجم واضعف منهُ في القوة الكامنة فيهِ اي ان كميتين من المادة الواحدة متماثلتين في الحجم قد تكونان مختلفتي الوزن . وهذا مخالف لنظام الثقل المعروف عند علماء الطبيعة من زمن نيوتن اي ان الاجسام المتساوية في الحجم يكون ثقلها واحداً مهما اختلفت انواعها . لكنهُ في زمن نيوتن لم تكن الاجسام التي لها خواص الراديوم معروفة فهذه الاجسام يصدر منها على الدوام مقدارٌ من الحرارة وعلى الغالب تنقص بسبب ذلك قوتها . وقد جرَّبت بعض التجارب لارى هل يختلف وزن الراديوم عن غيرهِ اذا تساوى حجماها فلم اصل الى نتيجة ثابتة لان مقدار الراديوم كان قليلاً جدًّا والنتيجة التي وصلت اليها هي ان الفرق ما بين الراديوم وغيرهِ من المواد في نسبة الحجم الى الوزن ليس اكثر من واحدٍ في الالفين . ونحن الآن نعمل هذه التجارب باكسيد الاورانيوم لانهُ يظن ان فيهِ نفس القوة الكامنة التي في الراديوم فمعهُ كمية كبيرة من الاثير لكن النتيجة لم تعلم بعد

الدول البحرية ونفقاتها

الدول البحرية الكبرى سبع بريطانيا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة وروسيا وايطاليا واليابان وكل دولة منها تنفق في السنة مبالغ وافرة على سفنها البحرية والبحارة والجنود الذين فيها وعلى بناء السفن الجديدة · وتنفق ايضاً على حماية سواحلها وتعطي المعاشات لرجالها الذين اتموا خدمتهم واحيلوا على المعاش وعلى السفن التجارية التي تحوَّل الى سفن حربية اذا اقتضت الحال ذلك · وقد نشرت نظارة البحرية الانكليزية نفقات هذه الدول عن عشر سنوات من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٠٩ ما عدا اليابان فان نفقاتها لم تحسب الآ بعد سنة ١٩٠٦ والنفقات كلها بالجنيهات الانكليزية

نفقات بريطانيا

السنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	محمولها
١٩٠٠	٢٩ ٩٩٨ ٥٢٩	٠٩ ٧٨٨ ١٤٦	١٥٧ ٧٨٥
١٩٠١	٣٠ ٩٨١ ٣١٥	١٠ ٢٤٠ ٢٥٦	١٣٩ ٩٤٠
١٩ ٢	٣١ ٠٠٣ ٩٧٧	١٠ ٤٣٦ ٥٢٠	٠٨٩ ٤٦٥
١٩٠٣	٣٥ ٧٠٩ ٤٧٧	١١ ٤٧٣ ٠٣٠	١٥٥ ٢٢٥
١٩٠٤	٣٦ ٨٥٩ ٦٨١	١٣ ٥٠٨ ١٧٦	٠٨٥ ٨٨٠
١٩٠٥	٣٣ ١٥١ ٨٤١	١١ ٢٩١ ٠٠٢	١١٦ ٥٧٠
١٩٠٦	٣١ ٤٧٢ ٠٨٧	١٠ ٨٥٩ ٥٠٠	٠٨٣ ٢٦٠
١٩٠٧	٣١ ٢٥١ ١٥٦	٠٩ ٢٢٧ ٠٠٠	١١٩ ٩٣٧
١٩٠٨	٣٢ ٣١٩ ٥٠٠	٠٨ ٦٦٠ ٢٠٢	٠٧٣ ٧٥١
١٩٠٩	٣٥ ١٤٢ ٧٠٠	١٠ ٢٥٦ ١٩٤	٠٨٧ ٣٩٥
والجملة	٣٢٧ ٨٩٠ ٢٦٣	١٠٥ ٩٢٠ ٠٢٦	١٠٨٩ ٢٠٨

وما قيل عن سنة ١٩٠٩ هنا وفي ما يلي هو بحسب التقدير لا بحسب الحقيقة لان السنة لم تنتهِ حتى الآن ويضاف الى هذه النفقات ما استدانتهُ الحكومة الانكليزية وانفقتهُ فوق نفقاتها الحربية وهو عشرون مليون جنيه فصارت جملة النفقات الانكليزية في عشر سنوات ٣٤٧ ٨١٠ ٢٦٣ اي نحو ٣٥٠ مليون جنيه . ثم ان السنة المالية الانكليزية تبتدئ في اول ابريل وتنتهي في آخر مارس

نفقات فرنسا

سنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	محمولها
١٩٠٠	١٤ ٩٥٥ ٣٨٧	٤ ٧١٨ ٥٦٦	٣٩ ٩٧٦
١٩٠١	١٣ ٨٠٢ ٢٦٦	٤ ٩٩٠ ٩٨٧	٤٢ ٤٨٧
١٩٠٢	١٢ ١٨٤ ٦٨٣	٥ ٣٨٩ ٣٨٣	٤٥ ٩٥٦
١٩ ٣	١٢ ٢٩٢ ٢٢٧	٥ ٧٢٢ ٧٦٠	٣١ ١٤٢
١٩٠٤	١٢ ٣٨٢ ٤٣٣	٥ ٦٣٦ ٧٣٢	٤٥٣١٨
١٩٠٥	١٢٦٦٧٨٥٦	٥٧٣٩ ٢٣٠	٣١ ٣٨١
١٩٠٦	١٢ ٢٤٥ ٧٤٠	٥ ٧٠٢ ٢٦٧	١٩ ٣٣٨
١٩٠٧	١٢ ٤٨٦٧٩٣	٥ ١٣٢ ٤٩٤	٣٣ ٦٠٢
١٩٠٨	١٢ ٧٩٧ ٣٠٨	٥ ٣١٥٧٩٠	٢١٢٠٥
١٩٠٩	١٣ ٣٥٣ ٨٢٥	٥ ٧٦٠ ١٧٦	٠٠٠ ٠
والمجموع	١٢٩ ١٦٨ ٥١٨	٥٤ ١٠٨ ٣٨٥	٣١٠ ٤٠٥

ويظهر من ذلك ان نفقات فرنسا على بناء السفن الحربية أكثر من ثلث نفقات بريطانيا على بنائها ولكن ما بنتهُ فرنسا اقل من ثلث ما بنتهُ بريطانيا . والسنة الفرنسوية المالية تبتدئ وتنتهي كالسنة الميلادية

نفقات المانيا

سنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	محمولها
١٩٠٠	٠٧ ٦٤٨ ٧٨١	٣ ٤٠١ ٩٠٧	٣٥ ٨٤٠
١٩٠١	٠٩ ٥٣٠ ٣٣٣	٤ ٩٢١ ٠٣٦	٦٢ ٦٤٠
١٩٠٢	١٠ ٠٤٤ ٠٣١	٥ ٠٣٩ ٧٢٥	٣٠ ١١٩
١٩٠٣	١٠ ٤٠١ ١٧٤	٤ ٩٢٩ ١١٠	٦٤ ٣٤٠
١٩٠٤	١٠ ١٠٢ ٧٤٠	٤ ٦٤٤ ٨٦٢	٤٤ ٠٧٢
١٩٠٥	١١ ٣٠١ ٣٧٠	٤ ٩٦٨ ٧٣٨	٤٥ ٧٢٩
١٩٠٦	١٢ ٠٠٥ ٨٧١	٥ ٣٤٢ ٤٦٦	٥٣ ١٨٠
١٩٠٧	١٤ ٢٢٧ ٠٠٦	٦ ٢٨٥ ٢٢٥	٣٣ ٩٨٥
١٩٠٨	١٦ ٥٩٦ ٥٦١	٨ ٣٦٦ ٤٣٨	١٠٤ ٩٧١
١٩٠٩	١٩ ٥٣٨ ١٨٨	١٠ ٧٥١ ٤٦٨	٠٠٠ ٠٠٠
والمجموع	١٢١ ٣٩٦ ٠٥٥	٥٨ ٦٥٠ ٩٧٥	٤٧٤ ٨٧٦

فقد كانت نفقات المانيا نحو ثلث نفقات انكلترا لكنها تضاعفت منذ سنة ١٩٠١ . وتبتدئ سنتها المالية في في اول ابريل وتنتهي في آخر مارس

نفقات الولايات المتحدة الاميركية

السنة	مجموع النفقات البحرية	نفقات بناء السفن الحربية	محمولها
١٩٠٠	١٣ ٣٨٥ ٥٧٤	٤ ٣٤٤ ١٢٧	٣٠ ٥٧٦
١٩٠١	١٦٠١٣٤٣٨	٥ ٢١٩ ٣٥٧	٣٨ ٥٧٤
١٩٠٢	١٦٢٠٣٩١٦	٤ ٧٠١ ١٢١	٣٧٤٤٥
١٩٠٣	١٦ ٨٢٤ ٥٨	٥ ٣٢٧ ٣٦٧	٨٤ ٢٠٦
١٩٠٤	٢٠ ١٨٠ ٣١٠	٦ ٥٣٩ ٩٩٠	١٦١ ١٥٠
١٩٠٥	٢٤ ٤٤٤ ٩٤٨	١١ ٣٧٤ ٨٧٦	٧٤ ٠٠٠
١٩٠٦	٢١ ٣٥٨ ١٩٩	٨ ٦٠٠ ٧٧٩	٣٧ ٢٨٣
١٩ ٧	٢١ ٢٦٠ ٧٣٢	٦ ٧٨٣ ٧٠٥	٢٠ ٦٣٣
١٩٠٨	٢٦٤٣٨٤٣٤	٧ ٨٠٠ ٢٩٩	٠٠ ٠٠٠
١٩ ٩	٢٨ ٧٧٨ ٧٧٧	١٠٠٧٥١٠١	٠٠ ٠٠٠
المجموع	٢٠٤ ٨٨٧ ٣٨٦	٧٠ ٧٠٦ ٧١٧	٥٥٣ ٢٠٨

فالولايات المتحدة تتلو بريطانيا في النفقات البحرية وفي مقدار ما بنتهُ من السفن الحربية وتبتدئ سنتها المالية في اول يوليو وتنتهي في آخر يونيو

وقد بلغت نفقات روسيا البحرية هذه السنوات العشر ١٦٧٥٣٣٦٤ جنيهاً وما انفق منها على بناء السفن الحربية بلغ ٣٣٤٩٥٣٧١ جنيهاً ومحمول السفن التي بنتها ٣٥٢٧٠٠ طن

وبلغت نفقات ايطاليا البحرية كلها ٥٣ ٥٤١ ٢٥٠ جنيهاً وعلى بناء السفن الحربية ١٤٣٣٧٦٥٩ جنيهاً ومحمول تلك السفن ١٣٣٠٠ طن

وبلغت نفقات اليابان في الاربع السنوات الاخيرة ٢٧٤٩٨٢٤٠ جنيهاً وعلى بناء السفن فقط ٩٤٤٨١٩٢ جنيهاً

ويظهر من بحث لورد برامي ان عدد الرجال في السفن الانكليزية الحربية ١٢٨٠٠٠ وفي السفن الفرنسوية ٥٧٠٠٠ وفي السفن الاميركية ٥٦٠٠٠ وفي السفن الالمانية ٥١٠٠٠ وينفق الانكليز عشرة ملايين ونصف مليون كل سنة على اجور رجال البحرية وعلى اكلهم وشربهم وينفق الالمانيون لهذه الغاية مليوناً وثلاثة ارباع المليون فقط

وعند الانكليز ٦٤ من البوارج الكبيرة وعند الاميركيين ٣١ وكذا عند الالمانيين وعند الفرنسويين ٢٤ . وعند الانكليز ٤٩ من الطرادات التي من الدرجة الاولى وعند فرنسا ١٥ وعند الولايات المتحدة ١٥ ايضاً وعند المانيا ١٢ . وعند انكلترا ٣٠ من الطرادات التي من الدرجة الثانية وعند فرنسا ١٣ وعند المانيا ٦

وواضح من ذلك ان قوة بريطانيا البحرية اكثر من قوة اكبر دولتين من الدول البحرية وانها تنفق على قوتها البحرية اكثر من اكبر دولتين من تلك الدول . ولا نرى سبباً لصخب بعض رجالها وطلبهم المزيد من بناء السفن الحربية الكبيرة الأ انهم يطلبون تشغيل معاملهم وزيادة كسبها من مال الامة لان البارجة الكبيرة التي يبلغ ثمنها مليونين من الجنيهات يعمل في بنائها الوف من العمال فيكتسبون معيشتهم ويكسب اصحاب المعمل ربا رأس مالهم واذا لم تبنَ حاقت الخسارة بهم جميعاً . اما الخوف من ان المانيا او غير المانيا تستطيع ان تتغلب على انكلترا بحراً فمن الاوهام التي ينفيها اقل بحث في قوة الدولتين

ولقد كانت دولتنا العثمانية منذ مئة سنة في المقام الاول بين الدول البحرية ثم انحطت رويداً رويداً حتى لم تعد دولة بحرية ولاسيما في عهد السلطان المخلوع . مع ان سواحلها ومدنها على البحار الثلاثة الكبيرة بحر الروم والبحر الاسود والبحر الاحمر وهي لا تستطيع ان تصير من الدول البحرية الاولى لان ذلك يقتضي نفقات باهظة تعجز عنها ميزانيتها ولا تستدعيها حال تجارتها ولكنها تستطيع ان تصير مثل النمسا مثلاً ويمكن البلوغ الى ذلك اولاً بانفاق عشرة ملايين من الجنيهات تستدينها وتشتري بها بوارج وطرادات وسفناً أُخرى من الطراز الاول . وثانياً بربط اربعة ملايين من الليرات في ميزانيتها نصفها للنفقات البحرية والنصف الآخر لبناء السفن الجديدة بدل المليون والربع التي ربطتها في ميزانية هذه السنة فان ايطاليا تربط الآن في ميزانيتها نحو سبعة ملايين من الجنيهات تنفق منها مليونين او اكثر على بناء السفن الحربية والباقي لسائر النفقات البحرية واليابان تربط ثمانية ملايين من الجنيهات تنفق منها نحو ثلاثة ملايين على بناء السفن الحربية والباقي لسائر النفقات البحرية . ولكن يشترط اولاً توسيع الترسانات (دور الصنعة) العثمانية وتجهيزها باحدث الآلات والادوات اللازمة لبناء السفن الحربية الصغيرة والكبيرة ايضاً حتى تستطيع الدولة ان تبني سفنها في بلادها كما تفعل ايطاليا واليابان فلا تخرج الاموال التي تنفقها من بلادها بل تبقى فيها وتردُّ الى شعبها وان تكون مؤونة بحارتها وجنودها البحرية وملابسهم وسائر لوازمهم من بلادها فانها اذا فعلت ذلك فالنفقات التي تنفقها على بحريتها لا تذهب

الى غيرها ولا تخرج من البلاد بل تبقى فيها فيسهل تحملها مهما كانت باهظة فان انكلترا على كثرة نفقاتها البحرية التي تبلغ نحو اربعين مليونًا من الجنيهات في السنة لا تخسر منها شيئًا بل تعود الى شعبها على صور مختلفة ولهذا تنفق الحكومة الانكليزية مئة وستين مليونًا من الجنيهات كل سنة ولا تخسر بلادها شيئًا يذكر منها لان الاموال التي تنفقها تبقى في البلاد الانكليزية تخرج من صناديق المولين الى صناديق الحكومة ثم تعود الى صناديق المولين ولا يضيع منها شيء ويصيب كل نفس من الامة الانكليزية اربعة جنيهات في السنة من الضرائب التي تتقاضاها الحكومة الانكليزية ويصيب كل نفس من الامة المصرية اقل من جنيه واحد ومع ذلك يخسر المصري اكثر مما يخسر الانكليزي لان الجنيه الذي يدفعهُ المصري يخرج ثلثهُ من بلادهِ ربا دين الحكومة المصرية واما الاربعة الجنيهات التي تصيب الانكليزي في بلادهِ فلا يخرج منها شيء مع ان ربا دين الحكومة الانكليزية ٢٨ مليونًا من الجنيهات لان هذا الدين للامة الانكليزية فيبقى رباهُ لها

والخلاصة انهُ لا بدَّ من بناء السفن الحربية في البلاد العثمانية نفسها اذا اردنا تقوية بحريتنا من غير خسارة كبيرة على بلادنا

الوصول الى جوف الارض

للفلكي كميل فلامريون الفرنسوي اقتراحات غريبة يرسلها إرسالاً ويعززها بالادلة العلمية ويبذل جهدهُ في تحقيقها . وكأنهُ يذهل عن ان النظريّ شيء والعمليّ آخر وما كل ما يظهر امكانهُ نظراً يتيسر اتمامهُ عملاً . ومن مقترحاتهِ الحديثة حفر بئر يبلغ عمقها ثلاثة اميال او اربعة لاكتشاف ما في الارض الى هذا العمق من المعادن والمتحجرات وللوصول الى حرارة كافية لادارة الآلات وقد قال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ان سكان الارض لم يعرفوا حتى الآن احوال هذه الكرة التي يسكنونها فقد رادوا سطحها وساروا فيها برًّا وبحراً حتى لم يكد يبقى منها بقعة الاً وطئتها اقدامهم او سارت فيها سفنهم . وقد عرفوا بواسطة قواعد علم الفلك شكل الارض وحجمها وثقلها واما باطنها فلا يزالون يجهلون تركيبهُ جهلاً تامًّا . وكل الاسراب التي حفروها انما خرقوا بها بعض الغضون التي على وجه الارض . واعمق الآبار التي احتفروها انما وصلوا بها الى ما عمقهُ ميل وربع

ميل وعمق الارض الى مركزها اربعة آلاف ميل فما اسرابهم وآبارهم سوى خموش طفيفة في وجه الارض

ولقد خطر لي منذ عهد طويل ان احفر بئراً لاجل البحث العلمي تصل الى اعمق ما يمكن الوصول اليهِ بواسطة الوسائل العلمية والصناعية الحديثة . ثم عنَّ لي هذا الخاطر وزادت رغبتي في تحقيقهِ على اثر الزلازل الحديثة واختلاف علماء الجيولوجيا في ما هو عليهِ باطن الارض . فانهُ لا يعلم حتى الآن هل باطن الارض سائل او جامد . وقد بحث العلماء في هذه المسألة بحثاً دقيقاً من قديم الزمان ولم يهتدوا الى حلها حلاً مقنعاً حتى الآن

ولقد كان المرجح الى عهد قريب ان اكثر الارض سائل من شدَّة الحرارة والجامد منها قشرة رقيقة بالنسبة الى سائرها وكان دليلهم على ذلك ارتفاع حرارتها بالتعمق فيها وخروج النيران من البراكين وانبثاق المعادن المصهورة منها . وقد استدلوا من ذلك على ان الجامد من الارض لا يزيد سمكهُ على خمسين او ستين ميلاً وما تحتهُ في حالة الذوبان من شدَّة الحرارة

ولكن علماء الجيولوجيا المعاصرين لا يرون صحة هذا الاستنتاج لانهم يقولون انهُ لو كان باطن الارض مصهوراً اي ذائباً من الحرارة لفعل بهِ جذب القمر فعلاً ذريعاً ورفعهُ مرتين كل يوم كما يرفع ماء البحر بالمد فيشق قشرة الارض وينبثق منها ويحرق كل ما عليها فلا تبقى صالحة لسكن الانسان ولا الحيوان . وان سرعة انتقال امواج الزلازل في قشرة الارض وضعف هذه الامواج يدلان على ان سطحها ليس سريع الانفعال كما لو كان باطنها مملوءًا بمواد مصهورة

واحدث الآراء التي ارتآها العلماء ان باطن الارض صلب كالفولاذ ومرن مثلهُ . الاَّ ان ذلك رأي قد يكون صحيحاً وقد يكون غير صحيح لانهُ لم تقم الادلة القاطعة على اثباتهِ حتى الآن . ولا فيهِ ما يستدلُّ منهُ على احوال باطن الارض تحت اقدامنا فكل ما فيها مجهول لدينا ولا سبيل لنا الى معرفتهِ الاَّ باختراق قشرتها

والامر الذي نعلمهُ عن ثقة من هذا القبيل ان الحرارة تزيد بالتعمق في الارض ومقدار زيادتها درجة بميزان سنتغراد لكل اربعين متراً ولكن هذه الزيادة في الحرارة ليست واحدة في كل مكان ففي بعض الاماكن يلزم التعمق ستين متراً لترتفع الحرارة درجة وفي غيرها يلزم التعمق سبعين متراً الى مئة متر او اكثر وقرب البراكين ترتفع الحرارة درجة كلما تعمقنا ١٦ متراً او ١٢ متراً . الاَّ ان هذا الاختلاف لا ينفي كون الحرارة تزيد بالتعمق في الارض في كل مكان فهو امرٌ مضطرد

فما هو سبب هذه الحرارة الارضية . لقد كان المظنون انها بقية من الحرارة القديمة التي

كانت تشمل الارض عند انفصالها عن الشمس او عن السديم الذي تكوَّن منهُ النظام الشمسي وانها تستمر على زيادتها الى ان تصل الى مركز كرة الارض وتكون درجتها هناك مئتي الف من درجات سنتغراد فتصهر كل الحجارة وكل المعادن التي في باطن الارض لانها كلها تصهر قرب الدرجة ٣٠٠٠ فقط فكيف بها والحرارة مئتا الف درجة . وهذا هو اساس ما اعتقده العلماء قديمًا من ان باطن الارض مصهور بالحرارة المركزية ولكن يحتمل ان تكون الحرارة في صخور الارض فقط اي في قشرتها ويكون سببها وجود عنصر الراديوم فيها او نحوهُ من العناصر التي تشعُّ الحرارة . ولا يمكن القطع في هذه المسأَلة الاَّ اذا بلغنا هذه الصخور ورأينا ما فيها وذلك بحفر بئر عميقة جدًّا وامتحان طبقات الارض التي تحفر هذه البئر فيها

ثم ان هذه البئر تكون مصدراً لحرارة دائمة لا تنفد يمكن استعمالها في المعامل الصناعية بدل الوقود . فانهُ يظهر بالحساب المدقق اننا نصل الى حرارة تغلي الماء على عمق ميلين وهذه هي الفائدة الاولى من حفر هذه البئر . والفائدة الثانية معرفة ما نجهلهُ الآن من باطن الارض . ومَن يدري ما نراهُ فيها من الغرائب الجيولوجية والبلينثولوجية وما نجدهُ من معادن الحديد والنحاس والذهب والفضة والبلاتين والراديوم ومن العناصر التي لا نعرفها الآن ومن متحجرات الازمنة الجيولوجية الاولى

ولا بد من ان هذه البئر توصلنا الى ينابيع حارة كما وجد الذين حفروا سرب سمبلتن فانهم وجدوا ينابيع تبلغ حرارة مائها الدرجة ٤٨ بميزان سنتغراد . وتوصلنا ايضًا الى انهار جارية تحت الارض وشلالات تنصبُّ منها يمكن استخدام قوة انصبابها لتحريك الآلات . وبحيرات كبيرة وقد يكون فيها سمك حيٌّ وحيوانات فصفورية تنير اعماق الارض كالحيوانات الفصفورية التي في قاع البحر وكهوف فيها حيوانات غريبة الاشكال مما يعيش تحت الضغط الشديد . فيسير علم الجيولوجيا في خطة علم الفلك من حيث اكتشافاتهُ العجيبة ولا يبقى دونهُ بمراحل كما هو الآن لان الانسان الذي اخضع كواكب السماء للتلسكوب وقاس ابعادها واقدارها ووزنها وحلَّلها واخترق الابعاد التي تقاس بملايين الاميال لا يزال يجهل ما تحت قدميهِ ولا يبعد عنهُ سوى اميال قليلة

اما هذهِ البئر فيجب ان يكون عمقها ميلين او ثلاثة او اربعة . ويجب ان يكون قطرها مئتي متر الى ثلثمئة متر وان تبطن من الداخل ببطانة متينة من صفائح الحديد ويلقى التراب الذي يحفر منها في البحر . ولا يحسن حفرها قرب البحر لئلاَّ يرشح ماؤُهُ اليها ويفضل حفرها في سهل فسيح وافضل البلدان لذلك بلجكا وهولاندا ورومانيا وروسيا واذا نقل ترابها

بسكك الحديد الى البحر تكونت منهُ بلاد غير صغيرة

قلتُ ان الحرارة تزيد درجة لكل ثلاثين او اربعين متراً من العمق وعليهِ نصل الى حرارة الماء الغالي على عمق ميلين ولا بدَّ من ان نتعمق في الارض اكثر من ذلك اذا اردنا ان نبحث في قشرة الارض بحثاً دقيقاً ولكن ما هما الميلان وما هي الاربعة الاميال بالنسبة الى الارض كلها

ولا بدَّ من ان تعترض حفر هذهِ البئر عوارض كثيرة ولكن لا يتعذَّر التغلب عليها بعد ان بلغت الوسائل العلمية والميكانيكية ما بلغتهُ

اما الاموال اللازمة للانفاق على هذا العمل فيسهل جمعها بالاكتتاب وقد تبرَّع احد الكرماء بالارض اللازمة لحفر البئر وتبرع آخر بجانب كبير من الحديد اللازم لتبطينها وهو مما يستعمل لتصفيح المدرعات . واهتم بعضهم بعمل اكتتاب في اميركا لهذا المشروع . ولكنني ارى انهُ يمكن حفر هذهِ البئر من غير نفقة وذلك باناطة حفرها بالجنود فان الجنود يقضون جانباً كبيراً من وقتهم من غير عمل فعلى مَ لا يقضونهُ في عمل نافع مثل هذا فاذا اقيموا على هذا العمل وقسموا فرقاً بعضها للحفر وبعضها لنقل الاتربة وبعضها لادارة الآلات اللازمة لذلك وتناوبوا الاعمال نجوا من السآمة . ولماذا لا تستخدم الجيوش في الاعمال التي تنفع الناس كما تستخدم في الاعمال التي تضرهم

وهذا الرأي ليس جديداً بكليتهِ فقد ارتأى البعض خرق الارض كلها من الجهة الواحدة الى الاخرى وجرت مناظرة في هذا الموضوع بين موبرتوي وفولتر وخرق الارض كلها من المستحيلات ولو تمَّ نزل فيهِ الانسان من الطرف الواحد الى الطرف الآخر ثم عاد الى حيث كان بقوة الجذب لاغير ولا يقتضي سفرهُ هذا ذهاباً واياباً سوى ٨٤ دقيقة اما حفر بئر عمقها ثلاثة اميال او اربعة ففي حيز الامكان وفوائدهُ كثيرة

انتهى كلام فلامريون والذين حفروا الاسراب الطويلة تحت الجبال الشامخة وهم يحفرون الآن ترعة بناما قد لا يعجزون عن حفر هذه البئر ولكن الاسراب والترع منها فائدة مالية كبيرة فينفق عليها الماليون اموالهم قصد الربح المالي اما بئر فلامريون ففائدتها الكبرى علمية وقد تكون منها فائدة مالية وقد لا تكون ولذلك لا يقدم على الانفاق عليها الا محبو تقدُّم العلوم الذين ينفقون على المدارس والمكاتب او محبو الغرائب مثل الذين انفقوا على اكتشاف القطبين ومع ذلك نرى ان في حفر هذه البئر من المصاعب الطبيعية ما تعجز عنهُ الوسائل الصناعية المعروفة ولاسيما اذا اصابت ماء متصلاً بوجه الارض كما يرجح فان ضغط الماء يبلغ حينئذٍ ستة آلاف طن على كل متر مربع من بطانة البئر

المريخ وما يعلم من امرهِ

في اعالي عاليه وصوفر على ربى لبنان لا اصفى من اديم السماء ولا ابهج من مجالي كواكبها · القمر فتيٌّ يدنو من الكمال والمريخ يرقبهُ من الشرق والزهرة ترصدهُ من الغرب وهو بين الاثنين كفريدة بين درتين او كهل بين ضرتين تراهُ عين العامة فتحسبهُ اكبر منهما وابهى وترقبهُ عين الخاصة فتعلم انهُ دونهما حجماً وبهاء « والذنب للطرف لا للنجم في الصغر »

والمريخ من الكواكب التي اتجهت اليهِ الانظار في هذه الايام ونحن نكتب هذه السطور في ربى لبنان لانهُ بلغ اقرب بعدهِ عن الارض في الرابع والعشرين من سبتمبر وقد شوهدت فيهِ خطوط حسبها البعض ترعاً صناعية واستنتجوا منها انهُ مسكون بمخلوقات عاقلة حفرت تلك الترع فاغتنموا الآن فرصة اقترابهِ من الارض ووجهوا اليهِ آلات الرصد وسنرى ما يكتشفونهُ او يحققونهُ ونلحقهُ بهذه المقالة اذا وصلنا القاهرة قبل طبعها والاَّ نشرناهُ في باب الاخبار العلمية

والمقالة مبنية على مقالتين نُشرتا في الجزء الاخير من مجلة الكسموبولتن الاميركية الاولى للسر روبرت بول الفلكي الانكليزي استاذ علم الفلك في جامعة كمبردج والثانية للاستاذ وليم بكرنج الفلكي الاميركي استاذ علم الفلك في كلية هارڤرد وهما تتضمنان زبدة ما عُلم حتى الآن من امر المريخ وخلاصة ما بُني عليهِ من النتائج والظنون

مقالة السر روبرت بول

لنلتفت اولاً الى الامور التي يشبه فيها المريخ الارض اذا أُريد النظر اليهِ كدار للاحياء · فالمريخ ليس كبيراً كالارض ولا كالزهرة ولكنهُ اكبر كثيراً من النجيمات واكبر جدًّا من القمر · وهو من حيث جرمهُ ليس فيهِ ما يمنع كونهُ داراً للاحياء بل ان صغر الكوكب يزيد صلاحيتهُ لاقامة الاحياء التي لها حركات مستقلة · فثقل الاجسام على سطح المريخ اقل من ثقلها على سطح الارض فتكون حركاتها عليهِ اسهل من حركاتها على الارض حتى اذا ارادت الطيران مثلاً لم تجد فيهِ من الصعوبة ما تجدهُ فوق سطح الارض

والشمس تشرق على المريخ كما تشرق على الارض وترسل اليهِ نورها وحرارتها كما ترسلها الينا ولكنهُ ابعد من ارضنا عنها فلا يصل الى سكانهِ منهما مقدار ما يصل الينا ولكن ذلك لا يستلزم ان تكون حرارة هوائهِ قليلة جدًّا لان الحرارة لا تتوقف على القرب والبعد من

الشمس فقط . انظر الى الارض فان شدة الحرارة عند خط الاستواء وشدة البرد عند القطبين ليستا ناتجتين عن قرب خط الاستواء من الشمس و بعد القطبين عنها . وقنن الجبال العالية يغطيها الثلج الدائم و بطون الاودية تحتها شديدة الحر مع ان قنن الجبال اقرب الى الشمس من بطون الاودية . ولذلك لا يصح الحكم على ان هواء المريخ ابرد من هواء الارض لان المريخ ابعد عن الشمس من الارض بل قد يكون الامر على الضد من ذلك . و يظهر مما رُئي في المريخ بالتلسكوب ان الحرارة على سطحهِ اشد من الحرارة على سطح الارض بنوع عام

وقد عُلم من عهد السر وليم هرشل الفلكي الشهير انهُ اذا جاء فصل الشتاء في المريخ تكون على كلٍ من قطبيهِ بقعة بيضاء كبيرة ثم تضيق رويداً رويداً بمجيء فصل الصيف ان لم تزل تماماً . و يظهر بقياس التمثيل بين المريخ والارض ان فيهِ ماء وهذا الماء يجمد و يصير ثلجاً وجليداً عند القطبين في فصل الشتاء ثم يعود ماء في فصل الصيف . ولا اقول ان علماء الفلك مجمعون على ان تينك البقعتين ثلج وجليد كما يظهران لعين الرائي فان بعضهم ينفي ذلك و بعضهم زاد تطرُّفاً وظن انهما غاز الحامض الكربونيك وقد جمد من شدة البرد . اما انا فلا أرى موجباً لهذا الفرض الغريب لاسيما وان ليس لهُ مثيل في الارض وان فرض وجود الماء كافٍ لتعليل ما يرى على سطح المريخ

فاذا حسبنا ان تينك البقعتين ناتجتان من تجمد الماء بالبرد كما يذهب الاستاذ لول واكثر الذين رصدوا المريخ وجدنا ان فيهِ شيئين من الزم لوازم الحياة المعروفة وهما الماء والحرارة بل ان اقليم المريخ اقل برداً من اقاليم الارض الباردة لان ثلج قطبيهِ لا يستمرُّ على مدار السنة كما يستمر الثلج على قطبي الارض ولو كان ابعد من الارض عن الشمس

و بين المريخ والارض اختلاف من وجه آخر وهو ان ليس فيهِ بحور واسعة كبحور الارض كما يستدل من ارصادهِ الكثيرة فسطحهُ برٌّ لا بحر فيهِ . وقد ظنَّ قبلاً ان البقع التي ترى على سطحهِ بحور واسعة وان البقع المحمرة برور ولكن ثبت الآن او كاد يثبت ان ليس الامر كذلك فالجانب المسود من سطحهِ والجانب المحمرُّ كلاهما برٌّ لا بحر فيهِ والماء انما يوجد حول القطبين حينما يذوب ثلجهما في فصل الربيع . وقد ابان الاستاذ لول ان هذا الماء ينتشر على سطح المريخ ثم يغيض سريعاً

ومن المشابهات بين المريخ والارض ان النهار والليل يتعاقبان فيهِ كما يتعاقبان فيها و يومهُ اربع وعشرون ساعة ونصف ساعة اي انهُ يتم دورتهُ على محورهِ في هذه المدة . فالفرق قليل جدًّا بينهُ و بين الارض من هذا القبيل

بقي امر آخر يجب الالتفات اليهِ اذا أُريد البحث عن وجود الاحياء في المريخ وهو ان وجود الاحياء على الارض مرتبط بنوع هوائها وكثافتهِ فهل للمريخ هواء يحيط بهِ كما يحيط الهواء الارض . والمرجح ان للمريخ هواء ولكن هواءهُ لطيف جدًّا بالنسبة الى هواء الارض فاذا راقب الارض مراقب من القمر رأى الغيوم الكثيفة تحيط بها وقد لا تنجلي لهُ جبالها ووهادها وبحورها وبرورها لكثرة ما يراهُ حولها من الغيوم اما المريخ ففي جوهِ شيءٌ من الغيوم لكنها قليلة لا تذكر في جنب غيوم الارض

ولا نعلم تركيب هواء المريخ فقد يكون مؤَلفًا من النيتروجين والاكسجين مثل هواء الارض ولكن قد لا يكون فيهِ شيءٌ منهما بل هناك ادلة تدلُّ على انهُ مؤَلف من غاز اثقل من الاكسجين فان دقائق الغاز سريعة الحركة فاذا لم تكن جاذبية السيار الذي هي فيهِ شديدة افلتت منهُ وابعدت عنهُ. والمرجح ان جاذبية المريخ ليست كافية لحفظ الاكسجين في جوهِ . ويظهر باديء بدءٍ ان انتفاء الاكسجين من جو المريخ ينفي وجود الاحياء فيهِ لكن قد لا يكون الامر كذلك فان الاحياء الارضية وجدت الاكسجين في جو الارض فاستخدمتهُ بالانتخاب الطبيعي لانهُ اصلح من غيرهِ لتوليد القوة باتحادهِ مع الكربون وبذلك تعلل دورة الدم في جسم الحيوان . ويتضح هذا من النظر الى شجر الصنوبر فانهُ يزرع في الجبال الصخرية حيث يقل وجود التربة الكافية لنموهِ لكن جذورهُ تتشبث بالصخر حيث تجد شقًّا فيهِ لتتناول ما تجدهُ من الغذاء وتنتشر عليهِ حتى تعلق بهِ من كل ناحية وتقوى على مقاومة الرياح والعواصف . وهذا كلهُ من اوضح الامثلة على ان الحي يوفق نفسهُ للاحوال التي يوجد فيها ويستخدمها لنفعهِ ولذلك لا يمكننا الحكم بان الاكسجين لازم للحياة لزومًا لا انفكاك عنهُ حتى يتعذر وجود الاحياء بدونهِ ولو كانت من الانواع العليا

هذه زبدة ما يعلم من امر المريخ مما يتعلق بالموضوع الذي نحن فيهِ ويظهر منهُ انهُ ليس في المريخ ما يجعل وجود الاحياء فيهِ محالاً او بعيد الاحتمال جدًّا . ولكن اذا وجدت الاحياء هناك فضعف الجاذبية على سطح المريخ يقضي بان تكون تلك الاحياء كبيرة الحجم بالنسبة الى ما يقابلها على سطح الارض . وعلى الارض حيوانات مختلفة الاقدار جدًّا فمنها ما هو في غاية الكبر كالفيل والحوت ومنها ما هو في غاية الصغر حتى ان الالف منهُ تسبح في خرب ابرة . واذا كبر جرم السيار صغرت الحيوانات التي تسكنهُ واذا صغر كبرت ولو ظهر ذلك مخالفًا لما ينتظر . فاذا انتقل انسان الى عالم كبير جرمهُ مثل جرم الشمس وكان ذلك العالم معدًّا لمعيشة الاحياء لم يستطع ذلك الانسان ان يعيش فيهِ لان ثقلهُ يزيد ستة وعشرين ضعفًا بزيادة

الجاذبية نحو مركز ذلك العالم فلا يقوى على حمل نفسهِ واذا انتقل الى عالم صغير جدًّا خفَّ ثقلهُ كثيراً فزادت قوتهُ على مقاومة اثقال الاجسام لان اثقالها تكون قليلة · فالحيوانات الكبيرة تصلح لسكن الاجرام الصغيرة والحيوانات الصغيرة لسكن الاجرام الكبيرة

هذا من حيث وجود الاحياء على سطح المريخ ولكن ان قيل هل تلك الاحياء عاقلة او غير عاقلة قلنا ان ذلك ليس مما يمكن اثباتهُ او نفيهُ بالتلسكوب لانهُ مهما قرب المريخ منا يبقى بعيداً عنا ٣٥ الف الف ميل والتلسكوب يقرّب الابعاد حقيقة ولكنهُ مهما قرَّبها لا يقرّبها الى اكثر من جزء من الف جزء من بعدها فاذا نظرنا المريخ بهِ وهو على اقرب بعدهِ عنا رأيناهُ على ٣٥ الف ميل على الاقل اي اننا لا نستطيع ان نرى جسماً باقوى تلسكوب اوضح مما نراهُ بعيوننا اذا كان بعدهُ عنا ٣٥ الف ميل · فلو رُفعت الولايات المتحدة الاميركية فوق اوربا وجعل بعدها عنها عشرة اضعاف ما هو الآن فماذا يراهُ الناس منها بعيونهم · لا يرون شيئًا من مدنها ومبانيها الفخيمة ولا من انهارها الكبيرة · وقد يرون اكبر بحيراتها كنقطة صغيرة وقد يرون تغيراً في حراجها الواسعة حينما يسقط ورقها ولكن سكان البلاد واعمالهم لا يظهر منها شيءٌ · وهذا شأننا في نظرنا الى المريخ باقوى نظاراتنا فلا سبيل لنا لنعرف هل هو مسكون او غير مسكون

وعندي انهُ اذا قايسنا بين الارض والمريخ ترجح لنا ان الاحياء العاقلة غير موجودة فيهِ فان الاحياء العاقلة وجدت على الارض منذ عشرات الالوف من السنين ولكن سبقتها عشرات الملايين من السنين والارض مسكونة باحياء غير عاقلة فمرَّت عشرات الملايين من السنين قبلما وصلنا الى الاحياء العاقلة · والمدة التي وجدت فيها الاحياء في الارض قصيرة جدًّا بالنسبة الى الدهور المتطاولة التي مرَّت على الارض قبلما وجد فيها حيٌّ · فالمدة التي وجدت فيها الاحياء العاقلة في هذهِ الارض ليست سوى نقطة في اوقيانوس الزمان · ولا يبعد ان يكون تاريخ المريخ مثل تاريخ الارض فيمر على الاطوار التي مرَّت عليها الارض ونتولد فيهِ احياء عاقلة كما تولدت فيها ولكن يبعد من التصديق ان تجتمع فيهِ وفي الارض احوال واحدة في وقت واحد وهذهِ الاحوال لم تصر في الارض الأ في برهة من تاريخها نسبتها الى تاريخها كلهِ كنسبة نقطة الى بحر

ولكن اذا سئلتُ عن رأيي في وجود الاحياء في المريخ مهما كان نوعها اجبت اني اعتقد انهُ لا يخلو من المخلوقات الحية ودليلي على ذلك قانون المرجحات فان الاحياء موجودة على الارض في كل مكان وفي كل الاحوال فلا يبعد ان تكون موجودة في المريخ ايضاً

مقالة الاستاذ وليم بكرنج

قد يعسر الفصل بين المعلوم والمستنتج ولكن اذ حدَّدنا المعلوم من امر المريخ بما اتفق علماء الفلك على التسليم بهِ والمستنتج بما يرجحون احتمالهُ فرأيي في المريخ يمكن تلخيصهُ في ما يأتي

المعلومات الفلكية المحققة هي ان بعد المريخ عن الشمس يساوي بعد الارض ونصف بعدها . وسنة المريخ تساوي ١٦٨٧ يوماً من ايامنا ودائرتهُ كثيرة الاهليجية وقطرهُ اكثر قليلاً من ٤٢٠٠ ميل وحجمهُ تسع حجم الارض والجاذبية على سطحهِ خمسا الجاذبية على سطح الارض ولهذا الامر الاخير شأن كبير في معرفة مقدار ما فيهِ من الماء والهواء وبالتالي صلاحيتهِ لسكن الاحياء . وميل خطهِ الاستوائي على دائرتهِ مثل ميل الارض ولذلك ففصولهُ مثل فصول الارض ولكنها طويلة فكل فصل منها مضاعف فصل الارض . ويومهُ ٢٤ ساعة و٣٧ دقيقة

ويسلم اكثر علماء الفلك بالامور التالية وهي ان على كلٍّ من قطبي المريخ بقعة بيضاء تتسع شتاء وتضيق صيفاً وهي من الجليد وحينما تذوب تحيط بها منطقة من الماء تضرب الى السواد في لونها ثم تزول ولا ماء فيهِ غير ذلك وذوبان الجليد يدل على ان الحرارة تكون حينئذٍ ٣٢ درجة بميزان فارنهيت [1] . وهذا يدلُّ على شدَّة التبخر نهاراً باشتداد الحر وعلى سرعة رسوب الندى والصقيع ليلاً باشتداد البرد ولذلك فاقليم المريخ غير صالح لنا من قبيل الحر والبرد ولو في الانحاء الاستوائية منهُ لشدة برد الليل فيهِ . وهواؤُهُ الطف من هواء الارض فوق اعلى جبالها ولذلك لا يصلح لان تتنفسهُ احياء مثل الحيوانات الارضية . وقد شوهدت الغيوم في جوّهِ وعرفت جهتها وقيست سرعتها و يندر ظهورها الا في الصباح والمساء

وعلى سطح المريخ اماكن قاتمة تسمى بحوراً وترعاً وبحيرات او واحات واماكن فاتحة وهي الصحاري والقفار وبقع بيضاء . والفلكيون الذين يحاولون تعليل ما يرون يقولون انهُ نباتات في اطوار مختلفة من النمو وعندي ان البقع البيضاء نباتات مزهرة وهي تظهر صيفاً قرب خط الاستواء

هذه خلاصة ما يعلم من امر المريخ . والمسألة التي يهتم بها الناس الآن هي هل هذه الترع صناعية . ولا دليل ينفي كونها صناعية ولكن القول بانها صناعية لا يزال من باب الظن فقط فما هو السبيل للبت في هذا الامر . ان الذين شاهدوا ترع المريخ رأوا ان شكلها يدل

(١) (المقتطف) لا يصح ذلك الاَّ اذا كان الضغط هناك مثل الضغط على سطح الارض عند البحر

على انها صناعية فانها مستقيمة في الغالب ويكاد عرضها يكون واحداً على طولها ويكاد لونها يكون واحداً وذلك كلهُ مما يحمل على الاعتقاد بانها صناعية . ولكن توجد ترع على القمر تظهر مستقيمة وصناعية مثل ترع المريخ ولو كانت اصغر منها وهي تظهر وتختفي حسب الفصول كترع المريخ . ومعلوم ان ترع القمر لا يمكن ان تكون صناعية . وقد شوهدت ترع مثلها في جزائر هواي وسببها نمو النبات حول شقوق في الارض يصعد منها بخار الماء فيحتمل ان تكون ترع المريخ شقوقاً فيهِ حدثت بقوة بركانية انتهى

وقد قدم العالم ولدمار كمفرت مقدمة لمقالتي السر روبرت بول والاستاذ بكرنج قال فيها انهُ يستحيل علينا ان نرى سكان المريخ ولكن لا يتعذر علينا ان نتصور حالهم بعين الخيال . فالمريخ عالم في حالة الاحتضار واذا كان مسكوناً فسكانهُ مهتمون بامر واحد فيهِ حياتهم وهو تأجيل اجلهم على قدر الامكان فان ماءهم كاد ينفد لانهُ صار الآن محصوراً في ناحيتي القطبين كما اشار السر روبرت بول والاستاذ بكرنج وهو يرسب هناك شتاء طبقة رقيقة من الثلج والصقيع ثم يذوب حالما يدنو الصيف . ولا بد من ان يكون سكان المريخ قد نفوا من بينهم كل الضغائن والمناقشات السياسية والجنسية واتحدوا معاً على امر واحد وهو استنباط الوسائل لجر هذا الماء من ناحيتي القطبين الى سهول المنطقة الحارة والمنطقتين المعتدلتين حتى تروى بهِ فتخرج لهم ما يقوتهم من الزرع اي ان اعمال الري شغلهم الشاغل . وعند الاستاذ لول ان ما يرى على سطح المريخ من الخطوط والنقط يدل على اعمال الري هذه . فالخطوط ترع يختلف طولها من ٢٥ ميلاً الى ٣٠٠٠ ميل والنقط واحات يصب فيها الماء عند ملتقاها وقد رأى حتى الآن ٤٣٧ من الترع و١٨٦ من الواحات وان كان في المريخ مدن فهي في هذه الواحات . والترع تظهر في فصل الربيع فتبتدئ من عند القطبين وتمتد رويداً رويداً نحو خط الاستواء ثم تقصر رويداً رويداً عند اقتراب فصل الشتاء

ومن رأي الاستاذ بكرنج اننا لا نرى الترع نفسها لانها ادق من ان ترى على بعد المريخ الشاسع ولكننا نرى الارض التي ينمو فيها الزرع على جانبي كل ترعة منها . ومن رأي الاستاذ لول ان هذه الترع صناعية ولكن جمهور الفلكيين على انها طبيعية حدثت بفعل طبيعي

ثم افاض كمفرت في وصف سكان المريخ وما يجب ان يكونوا عليهِ من القامة والقوة . وفرض وجود العقلاء في المريخ مبني على فرض ان الترع المشار اليها صناعية فاذا ثبت ان في القمر خطوطاً مثل ترع المريخ وان في الارض خطوطاً طبيعية تشبهها انتفى حسبانها صناعية فانتفى ايضاً ما بني عليهِ وهو وجود العقلاء في المريخ . ولا ندري كيف يوجب الاستاذ لول

كون هذه التربع صناعية بناء على استقامتها وانتظامها وهو يرى سطوح البلورات وزواياها على غاية الانتظام ولا يد للصناعة فيها وكذلك ترى تولد الخطوط والزوايا المنتظمة في ما يجمد من المواد السائلة والمصهورة

والبحث في المريخ وفي اكثر المواضيع الفلكية لا يأتي احداً بفائدة ما ولكن الاشتغال بهِ يلذ العقل و ينعش النفس ولا يحيا الانسان بالخبز وحده

مستقبل الطيران

ابنا في مقالة أخرى في هذا الجزء ان دول اوربا تنفق النفقات الباهظة على اساطيلها . نعم ان الاموال التى تنفقها تبقى في بلادها فهي ليست اموالاً ضائعة يكتسبها الغير ولكن الاساطيل لا تنتج شيئاً بل تتلف بمرور الزمن وتقتضي نفقات طائلة لحفظها فوق نفقات بحارتها وجنودها فلو استخدمت الاموال التي تنفق على بنائها وحفظها في احياء الارض الموات او في اصلاح الزراعة والصناعة لزادت بها راحة الناس ورفاهتهم فهي من هذا القبيل خسارة كبيرة يخسرها نوع الانسان

وقد ظهرت الآن في افق المخترعات الحديثة آلة قديمة الاستنباط حديثة الاستعمال يظن البعض انها ستكون ضربة قاضية على السفن الحربية فتفقد مالها من الشأن وتنجو الامم من نفقات بنائها وحفظها . وهذه الآلة هي الطيارة في اشكالها الحديثة اي ذات السطح الواحد وذات السطحين وذات الثلاثة السطوح او ذات الجناح وذات الجناحين وذات الاجنحة الثلاثة فقد روي عن ملك ايطاليا انهُ قال منذ سنتين « لماذا ننفق مليونين من الجنيهات على بناء بارجة والدلائل كلها تدلُّ على ان طيارة واحدة لا يزيد ثمنها على ثمن الاوتوموبيل تجعلها قطعاً من الحديد لا قيمة لها الاَّ كالحديد القديم »

فاذا حققت الايام ما قالهُ هذا الملك فتكون الطيارة اكبر منقذ لدول الارض بل لشعوبها من عبء النفقات الطائلة التي تنفق على بناء السفن الحربية . والظاهر ان هذا هو رأي جماعة كبيرة من رجال السياسة ولذلك تراهم يرقبون حركات الطيران بعين ساهرة ويحرصون لئلا تستأثر دولة من الدول باختراع جديد في هذا الباب فيكون لها بهِ الفوز على غيرها . و يعتقد بعضهم انهُ لا تمرُّ سنتان او ثلاث منذ الآن حتى تصير آلات الطيران كالاوتوموبيلات عدداً واستعمالاً

واذا بلغت آلة الطيران هذا المبلغ حتى تتلف البارجة الكبيرة وتصيرها قطعاً من الحديد بما تلقيهِ عليها من المواد الجهنمية فلا يبعد ان تصير وسيلةً للتخريب والتدمير . قال بعض الضباط في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية « لا شبهة عندي انهُ قد يمكن محق قوة جيش وقوة اسطول في برهة وجيزة من الزمن بواسطة ست من آلات الطيران وهذا ليس من متولدات الخيال بل هو حقيقة راهنة »

ويحتمل ان خوف الردى يمنع من الردى فتلجأُ الدول كلها الى التآخي وتغضي عن احقادها القديمة لئلا يفني بعضها بعضاً . لكن ذلك بعيد الوقوع ما دام في الارض اناس يكتسبون باثارة الحروب وعمل ادواتها وهم اصحاب ثروة طائلة يستخدمون بها من يشاؤُون لما يشاؤُون

لكن الآت الطيران لا تصل الى ما اشرنا اليهِ من النفع او الضرر الاَّ اذا صارت تطير وافقتها الرياح او ضادتها وصارت تستطيع ان تحمل بضعة رجال وبضعة قناطير من المواد المهلكة . وهي في حالها الحاضرة لم تصل الى هذا الحد فهل تصل اليهِ في القريب من الزمان ؟

حادث المستر سند محرر مجلة المجلات الانكليزية المسيو مرجيوس ده بولوتوف الروسي في هذا الموضوع وقال ان المسيو مرجيوس هذا واخاهُ جورجيوس من امراء الروس ولاولهما آراء سديدة في الطيران تحققت كلها على حداثة سنهِ وسيصير من اشهر الذين ركبوا الهواء وحققوا امر الطيران . وقد رسم آلة منذ ثلاث سنوات لو صُنعت لكان الفوز لها لا لآلة ريط الاميركية فانهُ حالما اطلع على رسم آلة ريط قال انها جامعة ما يلزم للطيران مع ان جمهور الناس كان يهزأُ بها وانبأ بما سيكون لها من النجاح . وهو اول من اشار بقطع المسافة بين فرنسا وانكلترا ولو لم يتأخر الصناع في عمل طيارتهِ لقطع بها تلك المسافة قبل غيرهِ على الراجح وقد قال لي حينئذٍ ان لاثام سيخفق لخلل في آلتهِ واما بلريو فسيفلح . وقال لي منذ سنة ان آلة لبودي افضل من آلة كلمنت فحققت التجارب قولهُ ولكن ليس لنبي كرامة في وطنهِ فان اللجنة الروسية التي جاءَت باريس لاختيار آلة من آلات الطيران لم تعمل بقولهِ بل اختارت آلة كلمنت . ولما رأَيت منهُ ذلك قصدتهُ بعد تجارب رمس وحادثتهُ المحادثة التالية فسأَلتهُ اولاً عمَّا يراهُ في تلك التجارب

فقال ان آلة ريط الاميركية التي أُصلحت فازت على غيرها كما كان ينتظر وقد فاق البعض في السرعة والبعض في المدة والبعض في الارتفاع لكثرة التجارب التي جربوها ولكن لم نرَ شيئًا جديداً لا في الطيارات نفسها ولا في الآلات التي تحركها

فقلت لهُ اذاً كان ما جرى من قبيل الاعلان لا غير

فقال لقد كان كذلك تقريباً فان كل الطيارات التي أُطيرت في رمس أُطيرت قبل الآن وكلها لعبٌ متقنة التركيب لا اكثر ولا اقل . ولا تبلغ هذه الطيارات ما ينتظر لها الاَّ اذا صارت تطير ولو في ريح شديدة

فقلت لهُ ما هي الطيارة المنتظرة او ماذا تظن انهُ يشترط في الطيارة حتى تفي بالمراد

فقال ان الطيارة المنتظرة التي تفي بالمراد يجب اولاً ان يكون فيها آلة قوتها مئة حصان على الاقل وقد ابنتُ ذلك منذ سنتين فهزأ الناس بي حينئذٍ اما الآن فصار همهم كلهُ مصروفاً الى تقوية هذه الآلة . ويجب ثانياً ان تكون في شكلها مثل التربيد . وثالثاً ان يكون فيها ثلاثة سطوح او اجنحة حتى يقل اضطرابها ويسهل عليها الانزلاق في الهواء . ورابعاً ان يوضع بترولها حيث لا يخشى من انفجاره وان يكفيها ست ساعات على الاقل ولو كانت سرعتها خمسين ميلاً في الساعة ورابعاً ان تستطيع حمل اربعة رجال او ما يوازيهم ثقلاً

فقلت لهُ وما رأيك في طيارة المستقبل وما يرجى منها من النفع والضر

فقال اننا الآن في معرض الظن وقد ينقض المستقبل كل ظنوننا ومع ذلك فاني انتظر ان يزيد نجاح الطيارات فوق البحر على نجاحها فوق البر . ويظهر لي ان طيارة المستقبل ستكون مركبة هوائية ومائية معاً اي انها تطير في الهواء وتسبح في الماء ويكون ثقلها خمسة اطنان وتحركها آلة بخارية من نوع التربين قوتها ١٢٠٠ حصان فتزلق على وجه الماء وترتفع في الهواء ويجب ان تقطع ستين ميلاً في الساعة

فقلت لهُ وهل في الامكان رفع خمسة اطنان وجعلها تسبح في الهواء

فقال نعم وفي الامكان رفع عشرين طناً وتكون القوة اللازمة لرفعها اقل من اربعة اضعاف القوة اللازمة لرفع خمسة اطنان . والعبرة كلها بالقوة التي يمكننا استخدامها فاذا صنعنا آلة ترفع خمسة اطنان امكننا ان نصنع بعدها آلة ترفع خمسين طناً فتكون قوتها سبعة آلاف حصان ولا بدَّ من الاجنحة في الحالين

فقلت لقد قال اديصن ان البريد سينقل في المستقبل بطيارات تسير بهِ مئة ميل في الساعة فهل تظن ان ذلك ممكن

فقال بل هو مؤكد ولا ارى لماذا نقيد السرعة بمئة ميل في الساعة . ولكن طيارات مثل هذه تكون خالية من الاجنحة

فقلت كيف نطير اذاً اذا كانت خالية من الاجنحة

فقال اظن انها تكون في شكل التربيد (او السيكار الافرنجي) ويكون فيها آلة بخارية قوية جدًّا فتدير رفاصها بقوة فائقة ويقيم سائقها والذين معهُ في قلبها . وليس في علم الهندسة الآلية ما يضع حدًّا لثقل الطيارة ولا لسرعتها ولكن لا بدَّ من ان يزيد اتقان آلاتنا البخارية عمَّا هي عليهِ الآن

فقلت اظن الزلق اسرع من الطيران

فقال نعم ولكن مجال الزلق محدود فاذا طرتَ طيرانًا يعليك في الجو لزمك ان تسير ١٥ ميلاً حتى تعلو ميلين وحينئذٍ تستطيع ان تزلق بآلتك ١٥ ميلاً من غير ان تحرق شيئًا من البترول وذلك بقوة الجاذبية الارضية او قوة الثقل واذا اسرعت في نزولك قلَّ ميل النزول وزادت مسافتهُ

فقلت لهُ اين هي آلة الطيران التي عزمتَ ان تهديها الى القيصر

فقال هي الآن في شالون وسآتي بها الى انكلترا قريبًا وسترى ما يكون من امرها

انتهى الحديث الذي نشرهُ المستر ستد . وفي كلام المسيو بولوتوف عبارة حرية بالنظر وهي قولهُ « ان ليس في علم الهندسة الآلية ما يضع حدًّا لثقل الطيارة ولا لسرعتها » فاننا نرى ان هذا الحكم يصح اذا لم يلتفت الى متانة المواد التي تصنع منها الطيارة ولكن اذا اعتبرت متانة المواد فلكل شيء حد ولا نرى ان الاخشاب والمعادن المعروفة تكفي متانتها لاحتمال القوة المطلوبة اذا كانت الآلة صغيرة خفيفة كما يجب ان تكون ليتيسر طيرانها ويظهر لنا ان هذا سيكون اكبر عائق في سبيل آلات الطيران

اما الذين فازوا في سباق رمس ونالوا الجوائز فهم المسيو فارمن وقد نال الجائزة الكبرى وهي الفا جنيه لاجل طول مسافة الطيران فانهُ طار ١١٢ ميلاً ونال جائزة الركاب وهي ٤٠٠ جنيه لانهُ حمل الركاب في طيارتهِ وهي جارية اسرع مجرى . ونال المستر لاثام الجائزة الثانية لانهُ طار مسافة ٩٦ ميلاً ونصف ميل والجائزة الاولى للعلو وهي ٤٠٠ جنيه لانهُ علا بطيارتهِ ٥٠٠ قدم . ونال المستر كرتس الاميركي جوائز السرعة وهي تساوي ٢٣٠٠ جنيه لانهُ طار ١٢ ميلاً ونصف ميل في ١٥ دقيقة و٥٠ ثانية ثم ١٨ ميلاً و¾ الميل في ٢٦ دقيقة و٤٠ ثانية وتلاهُ المسيو بلريو فانهُ طار ١٢ ميلاً ونصف ميل في ١٥ دقيقة و٥٦ ثانية

رسائل الاستانة

(١٠) ما علينا وما لنا

لما اطلعنا ونحن في الاستانة على ما اطلعنا عليهِ مما ذكرنا طرفًا منهُ في مقالاتنا السابقة اعملنا النظر في مقارنتهِ ومقابلتهِ لنستخرج ما يوافقنا ومالا يوافقنا فيهِ ونبني رأينا عليهِ

فنصبنا ميزان العقل والحكم ووضعنا في الكفة الواحدة من كفتيهِ

(١) المصاعب والمتاعب التي لا بد ان تنجم عن الاختلاف في الاميال والآراء والافكار بين العثمانيين من رجال تركيا الفتاة ورجال تركيا العجوز

(٢) الاخطار والمشاكل والمصاعب التي لا بد منها بسبب اختلاف العناصر والاديان

(٣) الاخطار والمصاعب التي لا بد منها لكون النهضة الدستورية الحالية لم تقم في الحقيقة الاَّ باتحاد ضباط الجيش ولا تدوم الاَّ اذا دام اتحاد ضباط الجيش . فاساس كيانها وضمان دوامها هو اتحاد الجيش على حفظها

(٤) القصور والتقصير اللذين لا بد منهما لكون السواد الاعظم من الامة العثمانية يجهل الدستور ومزاياهُ وهو غير مستعد لهُ الاستعداد الكافي ولكون معظم مأموري الحكومة قد ربوا وشبوا على النظام الاستبدادي في الاحكام ولم يألفوا النظام الدستوري . ولكون الرجال الدستور بين الاكفاء قلالاً في السلطنة حتى كان اكثر الذين يحدثوننا في الاستانة يشكون من قلة الرجال

(٥) عواقب الخلل المائل الذي استحوذ على اعمال الدولة في بلادها كلها حتى صيَّر بلادها مثلاً في التأخر وسوء المآل

(٦) المصاعب والمتاعب التي لا بدَّ منها بسبب قلة المال وفقر الحال وقلة الاشغال . والمشقات والاثقال التي لا بد من تحملها في اصلاح بلاد واسعة الارجاء ممتدة الاطراف مفتقرة الى الاصلاح كل الافتقار في كل ولاية ومتصرفية وقضاء وناحية

ووضعنا في الكفة الثانية من كفتي الميزان الاسباب والعوامل الحافظة والمؤيدة للدستور والساعية في ادامة هذه النهضة الدستورية واجراء الاصلاح المأمول وهي

(١) جلالة السلطان محمد الخامس بشهادة الثقات الذين عرفوا جلالتهُ وعاشروهُ واطلعوا على نياتهِ ورغباتهِ في حالات شتى من حالاتهِ . وحسبنا ان نذكر ثقة منهم حتى يحكم

القراء بقوة ملاحظتهِ ودقة مراقبتهِ وصحة حكمهِ وهو سمو الخديوي المعظم عباس باشا الثاني فقد اكد لنا سموهُ صحة كل ما شاع وذاع عن تمسك جلالتهِ بالدستور وتباهيهِ بان يلقب بالسلطان الدستوري واخلاصهِ في تأييد كل انصار الدستور وشد ازر كل السابقين في اصلاح سلطنتهِ وتحسين حال دولتهِ . وشهد سموهُ مع ذلك ان جلالتهُ شديد الورع والتقى كثير التدين والتعبد عن اعتقاد ثابت وايمان صحيح يغار على دين الاسلام غيرة صادقة خالصة من كل شبه ريب كما يغار على الدستور ويحب الخير لامتهِ وتبعتهِ حبًّا صحيحًا اكيداً ويود الحسنى لكل الناس . وقد ادرك الناس حسن صفاتهِ هذه فتعلقوا بهِ وجعل حبهم لهُ يزداد يومًا فيومًا . وقد شهدنا نحن ايضًا ما يؤيد ذلك حين وضع جلالتهُ حجر الزاوية في مدفن شهداء الحرية من الجنود العثمانية يوم الاحتفال بعيد الدستور في ٢٣ يوليو الماضي فقد كنا في وسط الجماهير التي تنظر الى جلالتهِ وتهتف لهُ وهو يمر بعساكرهِ فما كنا نسمع من افواههم الاَّ العبارات الدالة على حبهم لهُ وتملقهم بهِ لحسن مناقبهِ بخلاف العبارات التي كانوا يفوهون بها مقرونة باللعنات في كلامهم عن عبدالحميد اخيهِ . وكذلك في حفلة السلاملك يوم الجمعة في ٣٠ يوليو فقد كنا واقفين مع وجيه من اصدقائنا في الحديقة الفاصلة بين سراي دولمه بغجه حيث يقيم جلالتهُ والجامع الذي يصلي فيهِ ننتظر خروجهُ في موكبهِ من السراي الى الجامع وقد اخبرنا صديقنا ان حفلة السلاملك اصبحت في عهد جلالتهِ على غاية من البساطة الدالة على حسن الذوق وبغض الفخفخة بخلاف ما كانت عليهِ من الابهة الزائدة والفخفخة الباطلة والعظمة المتجاوزة حد كل ذي ذوق مهذب في زمان عبدالحميد . فلما خرج جلالتهُ ومرَّ بموكبهِ من امامنا رفع يدهُ الى جبينهِ ليحيي الجمهور وقد اطلق لحيتهُ فزادت منظرهُ جلالاً وكمالاً فلم نشعر الاَّ ورجل عجوز بجبة خضراء قد هجم على المركبة المذهبة التي كان يسوقها حوذي بثياب حمراء مقصبة ويجرها جوادان كريمان والقى فيها ورقة كانت بيدهِ فاراد جلالتهُ ان يتلقفها ففاتت من يدهِ وسقطت عندقدميهِ في المركبة فأكب عليها مستعجلاً كمن يحاول ان يقبض على طائر قبل ان يفرَّ من بين يديهِ ثم رفعها وطواها وسلمها الى رمزي بك ياورهِ لكي يعطيهُ اياها بعد رجوعهِ من الجامع

فابتهجت نفسنا بهذه الغيرة الفطرية التي بدت من جلالتهِ على مصلحة رجل فقير من رعيتهِ وبهذا الاهتمام الذي ظهر من جلالتهِ طبعًا بلا تصنع ولا تكلف . والتفتنا الى الرجل الذي القى العريضة في المركبة فاذا اربعة من رجال البوليس قد احدقوا بهِ واخذوهُ الى جانب وجعلوا يسألونهُ عن اسمهِ وبلدهِ وصناعتهِ الخ فعلمنا انهُ رجل من الاناضول وسمعنا

واحداً من رجال البوليس يلومه قائلاً لماذا فعلت هذه الفعلة فازعجتنا وسط الحفلة ولماذا لم تعطني عريضتك فكنت اقدمها عنك . فنظر اليهِ الرجل مغضباً وقال وما لك ولي . انا قدمت عريضة الى سلطاني وسلطاني قبل عريضتي مني فما دخلك بينهُ وبيني . فلم نتمالك عن الضحك وانصرفنا ونحن نقول ما دام هذا اعتقاد العوام في السلطان فلا ريب في انهم يحبونهُ ويكرمونهُ ويطيعونهُ كما يطيع الابناء آباءهم

وقد قال لنا الجناب العالي ايضاً ان جلالة السلطان يدهش الذين حولهُ والذين يعاشرونهُ ويسمعونهُ بمقدار ما احاط بهِ علماً في هذه السنة من الشؤون السياسية واحوال السلطنة العمومية بعد ما قضى ثلاثاً وثلاثين سنة من عمرهِ مقتصراً في علمهِ على اخص المسائل الخصوصية ومضطراً الى عدم السؤال عن مسألة من المسائل العمومية . واشار الى جوابين اجابهما جلالتهُ في موقف حرج من المواقف الدقيقة السياسية فادهش بهما سموهُ وفخامة الصدر الاعظم معاً لما تضمناهُ من حسن التخلص من بعض المسائل الوعرة الدقيقة

هذا ولا يخفى ان كلمة جلالتهِ تزداد نفوذاً يوماً فيوماً وان منزلتهُ تعلو في النفوس عاماً فعاماً كما هو شأن الملوك والسلاطين كلما طال زمان ملكهم . فحبهُ الخالص للدستور وغيرتهُ الخالصة على تأييدهِ وشد ازر انصارهِ من التوفيقات العظيمة التي وفقت بها الامة العثمانية ومن الاسباب التي تقوي الرجاء في النجاح واجراء الاصلاح

(٢) سماحة شيخ الاسلام وغيرهُ من اكابر العلماء والائمة فان ميلهم الى الدستور واضح كميل جلالتهِ . ورغبتهم في تأييد انصارهِ ومساعدتهم لهم على الاصلاح واضحتان اليوم وضوح الصباح . قال لنا سماحة شيخ الاسلام لما تشرفنا بمحادثتهِ في المشيخة الاسلامية يوم الخميس في ٣٠ يوليو الماضي . اني واثق بان الاستبداد قد زال وعودتهُ محال لان الملة كلها تريد الدستور وتكره الاستبداد والعلماء لا يريدون الا ان تكون امور الدولة شورى والطبقة العليا كالطبقتين الوسطى والسفلى تريد الدستور وتطلب الاصلاح والتقدم والترقي . وذلك ليس بشفاهها فقط بل من صميم افئدتها ايضاً فرغبة الجميع خالصة في اصلاح امورنا وحسن النية موجودة عند الجميع الآن

وهذه الاقوال وغيرها مما سمعناهُ من فم سماحتهِ يمكن لاهل مصر ان يسألوا سماحتهُ عنها ويسمعوها من شفتيهِ متى مر بهذا القطر فاننا لما اظهرنا لسماحتهِ ما للمشيخة الاسلامية الجليلة من علو المقام والاكرام في نفوس علماء مصر وعامتها قال انهُ يرجو ان يحج قريباً فيمر بمصر في عودتهِ من الحجاز ويتعرف بمصر وعلمائها . وكان يعبر عن مرادهِ باللغة العربية الفصحى كما

فعل سائر الذين اجتمعنا بهم من علماء الاستانة وازمير فانهم يفهمون اللغة العربية المعربة و يعبرون عن مرادهم بها ولكنهم لا يفهمون اللغة العامية

والمعاني التي سمعناها من فم شيخ الاسلام في حديث دام نحو نصف ساعة سمعناها بمزيد الشرح والاسهاب من العالم الفاضل مصطفى افندي فوزي مشاور الحقوق في نظارة المالية ومعلم المجلة الشرعية في مكتب النواب الشرعيين في الاستانة . وقد وافق حضرتهُ حضرة جلال الدين افندي معلم مكتب الصنائع ومكتب حديقة المعارف بازمير على ان جمهور العلماء يؤيد الدستور ظاهراً و باطناً و يطلب الاصلاح و يرغب في التقدم والنجاح وان العلماء ساعون في ذلك ضمن الدائرة المختصة بهم وعلى قدر طاقتهم وكل يوم يمرُّ يزيدون مجاهرةً بذلك و ينفون كل ريب من نفوس العامة في كون الدستور اصلح لهم وكون الاصلاح واجباً لسعادتهم ورفاهتهم

(٣) القوات العسكرية فقد قدمنا انها هي اساس هذه النهضة الدستورية وان اتحادها هو الشرط الذي لا غنى عنهُ لدوامها ولبلوغ النجاح بها . ومن حسن التوفيق ان هذه القوات العسكرية كلها على اختلاف درجاتها وطبقاتها اصبحت بحيث تعد شرفها ومجدها وفخر كل كبير وصغير من رجالها قائمة بحفظ الدستور و بالنجاح في الاصلاح وترقية شأن الدولة والامة فاصبح اكبر مطمع لها واعظم شيء تطمح اليهِ ابصارها حفظ الدستور وشرف السلطنة واصلاح احوال الدولة والامة . فهذا الافتخار بكون رجال الجيش هم معيدي الدستور وحماتهُ و بانهم ركن الاصلاح في السلطنة يغلب حب الافتخار بالرئاسة الشخصية والاطماع الذاتية فيحفظ الاتحاد بين ضباط الجيش و يقي من انقسامهم وانشقاقهم سعياً وراء الغايات الخصوصية وقضاء للمآرب الذاتية كما يستدل عليهِ الانسان من اقوال الضباط انفسهم . وحسبنا ان نورد هنا طرفاً من اقوال محمود شوكت باشا كبيرهم في حديث جرى لنا معهُ بالسرعسكرية صباح الخميس في ٢٩ يوليو . قال ان العود الى الاستبداد محال وكلنا نحن رجال الجيش متفقون على ان نفدي الدستور بدمائنا ونحسب ان وجودهُ ودوامهُ ونقدم بلادنا في زمانهِ اعظم فخر لنا . ونحن باذلون الآن جهدنا حتى لا نترك سبيلاً الى حدوث ما يكدر الصفاء او يقف في طريق الاصلاح . نعم اننا اطلنا مدة الاحكام العرفية الى شهر مارس القادم كما قلتم ولكن اي بلاد لم تطل مدة الاحكام العرفية فيها اعواماً بعد الحرب او الانقلاب ففرنسا ابقت الاحكام العرفية عدة سنين بعد حربها مع المانيا ونحن ننتظر ان تحصل عندنا التنسيقات قريباً فيخرج بها الوف من الخدمة وكذلك ان تنزل درجات كثيرين من اكابر الضباط والموظفين فلا

يستغني عن الاحكام العرفية في مثل تلك الاحوال وان كانت احكامنا العرفية غير ثقيلة الوطأة على الاهالي الآن

فقلنا نعم ولكن التجار يقولون انها توثر في التجارة وتوقف حركة الاشغال قال الامل ان تدور الحركة وتروج الاشغال قريباً فالناس يريدون حدوث كل امر حسن سريعاً ولكن لا بد من الصبر فكل شيء يجيء في ميعادهِ . وكان يتكلم باللغة العربية واللهجة البغدادية بلكنة تركية

(٤) مجلس المبعوثان فانهُ سبب قوي من اسباب الرجاء في مستقبل الزمان . وانما قلنا في مستقبل الزمان حتى لا نخالف اهل الاستانة في ما يقولونهُ عنهُ الآن . فان كثيرين من رجال الدولة والموظفين من العثمانيين والاجانب يحسبون ان مجلس المبعوثان لم يحقق آمالهم ولا يفي بالغرض المطلوب منهُ . اما نحن فنعتقد انهم يظلمونهُ بحكمهم هذا عليهِ وانهم يطلبون منهُ ما لا يجوز ان يطلب من مجلس فضلاً عن انسان . فليس من العدل ولا العقل ان يطلب من مجلس عقد اول مرة في العمر ما يطلب من مجلس مرت عليهِ القرون كمجلس انكلترا او فرنسا مثلاً او ان ينتظر من اعضائهِ الذين لم يرقَ اكثرهم منبراً للخطابة الا فيهِ ان يضارعوا النواب الذين اشتهروا في العالم بالبلاغة في الخطابة . بل الواجب ان يحفظ ما فعلهُ المجلس في هذا العام ويقارن بما يفعلهُ في العام المقبل ويحكم عليهِ بما تدلُّ عليهِ تلك المقارنة . فنحن املنا قوي ان مجلس المبعوثان يحقق الآمال ويكون اعظم عامل من عوامل الرجاء في التقدم والارتقاء واصلاح الاحوال . وقد بان بعض فضلهِ في اعمالهِ وفي اعمال وفده الذين عززوا مقام الدولة عند الانكليز وتركوا لمجلسهم ذكراً عطراً بينهم

واملنا اقوى في ان نواب العرب يحققون آمال قومهم من كل وجه في العام المقبل فاننا بعد ما اجتمعنا بجماعة من اكابرهم واصدقائنا الافاضل مثل عطوفة شفيق بك العظم مبعوث دمشق وحضرات العالم الفاضل الشيخ عبد الحميد الزهراوي مبعوث حمص ورضى بك الصلح مبعوث بيروت والحسيني بك مبعوث القدس الشريف وغيرهم واطلعنا على ما ينوونهُ لخدمة اهل بلادهم علاوة على ما فعلوهُ في هذا العام ايقنا انهم هم واخوانهم الذين كانوا غائبين عن الاستانة مع الوفد يكونون اعظم حماة الدستور واعوان رجال الاصلاح في البلدان العربية

(٥) جمعية الاتحاد والترقي فانها الآن روح النهضة الدستورية والمحرك الاول لآلة الاصلاح العمومية . وقد كثر انتقاد الناقدين لهذه الجمعية وقام لها خصوم كثيرون ولكننا نعتقد ان خصومها يوافقون انصارها على ان الافعال العمومية التي فعلتها من يوم اعلان الدستور

الى هذا اليوم تدل بوجه الاجمال على ان رجالها ذوو حزم واقدام وثبات وحسن سياسة ورغبة خالصة في حفظ الدستور وخير الدولة والامة . ولا نقصد بهذا الكلام ان نعارض خصومها وانما نقصد ان نذكر ما يستنتجهُ الانسان من اعمال النظر في قراراتها واعمالها بوجه الاجمال . فقد يمكن ان تكون اخطأَت في معاملة بعض الافراد او خالفت خطتها العمومية في بعض الامور الجزئية . كل هذا ممكن وسبحان من تنزه عن الغلط وتفرد بالكمال ولكن ما رأيناهُ منها بوجه الاجمال يربي في النفوس حسن الثقة بها وبمقاصدها وبمقدرة رجالها وبشرف غايتها . فان كانت هذه الجمعية غير الجيش او لم يكن جزءًا من الجيش الجزءَ الاهم منها فهي ليست دونهُ شأناً واعتباراً من وجوه كثيرة

(٦) حسن النية والرغبة الخالصة في حفظ الدستور والاصلاح عند اكابر رجال الدولة الحاليين وعند ذوي الشأن في السلطنة وعند جمهور الخاصة من العقلاء والمتعلمين والمتهذبين المجردين عن المآرب الخصوصية في الامة العثمانية . فمما لا ريب فيهِ عندنا ان هؤُلاء العثمانيين يريدون الدستور ويطلبون الاصلاح ويرغبون فيهِ رغبة خالصة ونية حسنة خالية من كل ما يضر الدولة

(١١) النتيجة

اذا احسنا اعتبار ما علينا وما لنا مما وزناهُ بميزان العقل والاعتبار في مقالتنا الماضية استنتجنا ان الحالة التي نحن فيها الآن لا تزال حالة تجربة واختبار فيمكن ان تنتهي باجراء الاصلاح المطلوب وبلوغ النجاح المروم كما هو المأمول ويمكن ان تنتهي بالفشل والاخفاق وخيبة المساعي والآمال لا سمح الله . وقد سألنا حضرة احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان في آخر اجتماع اجتمعنا بهِ في ذلك المجلس عما وجدنا بزيارتنا للاستانة فاجبناهُ بنحو ما استنتجناهُ آنفاً فظن ان استنتاجنا لا بد ان يكون من تأثير كلام الاجانب معنا قائلاً ان كثيرين منهم يقولون ان العثمانيين والمبعوثان باقون في حيز التجربة والامتحان حتى الآن والحال ان زمان التجربة والامتحان قد مضى وان الاصلاح اضحى امراً مقرراً والنجاح حقيقة ثابتة جلية كالصبح للعيان

ولعلنا ان ما استنتجناهُ انما استنتجناهُ مما رأيناهُ وما سمعناهُ من العثمانيين قبل الاجانب اذ كان اكثر كلامنا مع العثمانيين والقليل منهُ مع الاوربيين اتخذنا قول احمد رضا بك هذا حجة على صحة استنتاجنا لأننا لم نكن نعلم انهُ مطابق لاستنتاج الاجانب قبلما سمعنا ذلك

منهُ وعذرناهُ على اقتناعهِ بان زمان التجربة والامتحان قد مضى وانقضى وان الاصلاح والنجاح اصبحا امرين ثابتين اكيدين لعلمنا انهُ في وسط الحركة الاصلاحية وفي مركز النهضة الدستورية . فلا يكاد يرى او يسمع الاَّ ما كان موافقاً لهما وما يشعر بان الناس عموماً معترفون بحدوثهما ومتحققون حصولهما فلذلك يحسب كما يحسب كثيرون من رجال تركيا الفتاة ان الحالة طبق المرام وانهُ ليس في الامكان اصلح مما هو كائن . مع ان رجال تركيا العجوز مثلاً يرون ان الحالة مؤدية الى الاضمحلال وانهُ ليس في الامكان اسوأ مما هو كائن كما ذكرنا في احدى مقالاتنا السابقة . ولكننا نظن ان من ينعم النظر عن الجانبين ويتبع جادة الاعتدال بين القولين يوافقنا على اننا لا نزال في حالة التجربة والامتحان

واستنتجنا ايضاً من زيارتنا للاستانة ان اصلاح السلطنة العثمانية اعسر اصلاح في العالم وان النجاح فيهِ يقتضي ان يكون المصلحون مستكملين الصفات التي اتصف بها اعظم المصلحين في العالم وان يكونوا من ابرع من قام على وجه الكرة الارضية في السياسة الخارجية والادارة والسياسة الداخلية . وقد كنا نعلم ذلك قبل زيارتنا للاستانة ولكننا بعد ما زرناها ورأينا ما رأينا وسمعنا ما سمعنا تجلى لنا هذا الامر بصورة واضحة جلية يرى الانسان فيها كل مصاعبهِ ومتاعبهِ واخطارهِ ومشقاتهِ . وثبت لنا ان هذا الاصلاح الكبير الشاق العسير لا يتم في عام او عشرة اعوام بل لا بد لبلوغهِ الغاية المطلوبة من الكمال من زمان طويل تتوالى عليهِ الاعقاب . لانهُ ان كان اصلاح الديار المصرية قد استغرق ربع قرن حتى بلغ هذه الغاية التي لا تزال بعيدة عن الكمال المطلوب بعداً كبيراً ومصر ليست في المساحة الا ولاية من ولايات تركيا الكبيرة ولا نظير لها بينها في سرعة المواصلة وجودة التربة وسهولة المراس وسلاسة القياد وقد جرى الاصلاح فيها بارشادٍ وسعيٍ وجدٍ من اقدر دولة استعمارية واخبر امة في الاصلاح بين الامم الاجنبية . فما بالك بالسلطنة العثمانية وهي جامعة لكل المصاعب والمشاق التي يمكن ان تحول في سبيل الاصلاح واهل البدو فيها يبلغون جانباً عظيماً من اهل الحضر وقد باتت مساحة متسعة منها براري وقفاراً

فهل يستطيع العثمانيون هذا الاصلاح وهل يبلغون المطلوب فيهِ . هذه مسألة نهتدي الى الجواب عنها من اختبار غيرنا من الامم . قال الناس بعد الاختبار لا مستحيل على اهل الثبات والجد والاقدام . وقال بونابرت وانعم بهِ من قائل المحال كلمة واجبة الحذف من قواميس البشر . فلماذا يستحيل علينا ما لم يستحل على سوانا اللهمَّ اذا سرنا اليهِ في طريقهِ ووطنا النفس على ان لا نرجع عنهُ الا بعد بلوغهِ

اما الطريق اليهِ فمفتوحة الآن امامنا وليس من يعترض مسيرنا فيها · فقد ابنا ان الذين يقدمون و يؤَخرون في الدولة من جلالة السلطان فنازلاً راغبون في الاصلاح رغبة حقيقية و يريدون النجاح باخلاص وحسن نية · فليس فيهم من يعارض في الاصلاح او يصدُّ عن النجاح · واما العزم على بلوغ النجاح وعدم الرجوع عنهُ فالذي ظهر لنا كما ظهر لسوانا ان رجال الجيش ورجال الاتحاد والترقي عازمون على ذلك عزماً اكيداً وما رأَيناهُ من افعالهم في السنة الماضية يقوي املنا في انهم يسيرون اليهِ في طريقهِ ولا يحيدون عنها في المستقبل · لانهُ يصعب علينا ان نصدق ان قوماً دلت افعالهم على عقلهم وذكائهم وعلى رغبتهم في لم شعث الامة العثمانية والجمع بين عناصرها يرتكبون اليوم او غداً خطاء يفسد كل ما يصلحونهُ ويخرب كل ما يبنونهُ · وذلك بان يسعوا في تغليب قوميتهم على قومية سواهم وفي جعل الامة امة تركية لا امة عثمانية · لاننا لا نقدر ان نتصور انهم يجهلون اليوم ما يعلمهُ اقل الناس علماً وهو ان السعي في تغليب قوميتهم هذه سعي في قلب سنَّة طبيعية عجز اقدر الناس عن قلبها في هذا العصر — عصر النور والعلم والحرية · وانهم اذا سعوا فيهِ اضاعوا سعيهم سدًى من جهة واقاموا قيامة العناصر كلها عليهم من جهة أُخرى فكانوا كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ اذ اصدق اصدقائهم ينقلب يومئذٍ عليهم ويقاومهم مقاومة الدّ اعدائهم ولا لوم عليهِ في ذلك ولا تثريب بل اللوم كلهُ يكون عليهم

ولهذا نعتقد ان رجال الاصلاح يجعلون اجتناب هذا المأزق نصب عيونهم من اول امرهم ولا يقتصرون على اجتنابهِ بل يسعون ايضاً في اظهار حسن نيتهم من جهة كل عنصر من عناصر امتهم بان يشركوا نخبة رجالهِ معهم ليس في المشورة والرأي فقط بل في السياسة وتدبير الامور ايضاً كلما سنحت لهم الفرصة ووافقت الاحوال وبذلك يتلافون مصاعب اختلاف العناصر على قدر الامكان

هذا ومهما كان الخطر والضرر في تعدد العناصر واختلاف العقائد فاجتنابهما واجراءِ الاصلاح معهما ممكنان بالسياسة وحسن التدبير · ولنأخذ لذلك مسأَلة العنصر الرومي مثلاً فقد ابنا في ما مضى انها اشد مسائل العناصر خطراً واصعبها علاجاً ولكننا نرى مع ذلك ان تدبيرها على وجه يؤْمن بهِ شرها ليس من المحال · فالروم بشر وهم يقدمون المصلحة على سواها من الاعتبارات كسائر البشر · فمتى رأَوا اننا اصلحنا الاحوال ونظمنا الامور واجرينا العدل وروجنا الاشغال وفتحنا الابواب لكسب المال واعلينا مجد الدولة وجعلنا رعيتها محترمة مكرمة حيث حلت كما هو شأن الدول المصلحة القوية ادركوا الفرق العظيم بين حالهم وحال

اخوانهم اليونان التابعين للحكومة اليونانية ففضلوا الانتماء الينا على الانتماء اليهم وتعلقوا بنا دون سوانا . واذا طردناهم من النافذة عنا عادوا من الباب الينا لعلمهم ان انتماءهم الينا انفع لهم بكثير من انتمائهم الى الحكومة اليونانية وان ما يجدونهُ من رغد العيش والعز والنعيم في جاه الدولة العلية اشهى بكثير من الجامعة اليونانية . وقد ذكرنا رأينا هذا امام رجل من اشهر انصار الاتحاد والترقي في الاستانة فخالفنا فيهِ وقال ان الروم لا يرضيهم غير الانتماء الى حكومة اليونان على كل حال واستشهد على ذلك باهل كريت واصرارهم على الانتماء الى اليونان مع ان الدولة العلية اباحت لهم ملء الاستقلال في امورهم الداخلية وانما طلبت منهم الاعتراف بالسيادة العثمانية . ولكننا نرى انهُ لا يردُ بكريت على رأينا لعدم مشابهة حالتها للحالة العثمانية التي فرضنا انها تُرغب الروم في الانتماء الينا بعد اصلاح امورنا . فكريت ولو استقلت في شؤونها الداخلية لم تصر حالها افضل من حالة اليونان حتى تنسيها الجامعة اليونانية . وانما يصح الاستشهاد بها متى بلغت حالة تضارع الحالة التي فرضنا ان الروم يبلغونها بعد تقدم الاصلاح عندنا . واستشهدنا نحن على صحة رأينا بالمصريين في عهد المحتلين . فالمحتلون ينتمون الى امة اجنبية عن المصريين جنساً ولغةً وديناً واخلاقاً وعادات وقد حاربت المصريين واحتلت بلادهم بعد محاربتهم واستلمت زمام امورهم . فاتفقت الاحوال كلها على ايقاد نار البغض في صدور المصريين للمحتلين وعلى توسيع شقة النفور بينهم ومع ذلك نسي جمهور المصريين ذلك كلهُ وهان عليهم احتلال المحتلين لبلادهم لما اصطلحت احوالهم وارتقت امورهم وشعروا بنعم الاصلاح الذي تمَّ بمعونة المحتلين وارشادهم . واصبحوا يعدون المحتلين من المحسنين لا من المسيئين . فتغلب الانكليز بالاصلاح الذي اجروهُ في مصر على اسباب النفور والجفاء والحقد والبغض التي كانت تبعد المصريين عنهم . ونحن نتغلب بالاصلاح ايضاً على كل ميل في الاروام الى الجامعة اليونانية وهذا التغلب أيسر من تغلب الانكليز على اميال المصريين لاسباب لا تخفى على اللبيب

وكذلك يتقى ما في اختلاف الاديان من المشقات والعقبات في سبيل الاصلاح ومن الخطر والضرر على النجاح باجراء العدل والمساواة والجري على مقتضى الدستور قولاً وفعلاً . وقد اظهر المصلحون العثمانيون رغبتهم في ذلك وعزمهم عليهِ والامل ان لا يحيدوا عنهُ مهما اضطروا الى تعديل خطتهم الاصلية مراعاة لاوهام العوام . فالظاهر ان عدم استعداد السواد الاعظم من الامة العثمانية لقبول المزايا الدستورية دلَّ المصلحين على صعوبة تنفيذ كل شرط من شروط الدستور دفعة واحدة . فقد اظهر التحقيق في حوادث ادنه ان اعظم سبب هاج

الترك على الارمن واستفزهم الى قتلهم هو انهُ بعد ما أُعلن الدستور جعل جهلاء الارمن يتباهون بمساواتهم لاعاظم من في بلادهم ويسيرون مرحَّوهم يشمخون بانوفهم ويرفسون الارض بارجلهم ويتحدثون بالاستقلال ٠ ومضى الزمان الذي كانوا فيهِ يذلون لغيرهم ونحو ذلك من الاقوال والافعال التي كان الترك يحسبونها تحدّيًا لهم او تعييراً واهانة فيغضبون منها ويسخطون على الارمن بسببها حتى تعاظمت الاحقاد بين الفريقين وجرى ما جرى مما دلَّ على انهما لم يدركا روح الدستور ولذلك حوَّلا نعمة المساواة الى ضد المقصود منها فجنيا الشر منها عوضًا عن ان يجنيا الخير

ونقل الينا ونحن في الاستانة انهُ لما قامت الجمعية المحمدية واثارت احقاد العامة على رجال الاتحاد والترقي بدعوى انهم يريدون ابطال الشريعة المحمدية والديانة الاسلامية نصب الثائرون يومئذٍ اول مشنقة لاخت احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان وكانوا قاصدين ان يشنقوها في مقدمة الذين يشنقونهم من المصلحين لو ظفروا بها بحجة انها تحرض المسلمات على مخالفة الشريعة وعلى سلوك سبيل يحرمهُ الاسلام ٠ فرأَت بعد ذلك انهُ ليس من الحكمة مهاجمة اوهام العامة كلها دفعة واحدة وقيل لنا انها عدلت خطتها الآن وعدلت عن كثير مما كانت تعلّمهُ وتجاهر بهِ قبل تلك الحادثة

فمداراة اوهام العوام تؤَخر تنفيذ الدستور ولكنهُ مهما أُخر فتنفيذهُ اوجب واجب والاَّ فلا امل في اصلاح ولا نجاح

فاذا استمر المصلحون على الخطة الحميدة التي ابتدأوا بها من حسن النية والرغبة الحقيقية في الاصلاح واعتصموا بحسن السياسة في اتقاء اخطار تعدد الاجناس واختلاف الاديان حق لنا ان نعلل النفس ببلوغ النجاح على شرط ان يستوفوا امرين لم نشتهر بهما نحن الشرقيين لسوء الحظ احدهما الدأب والثبات فقد جرت عادتنا في اعمالنا ان نكد ونجد بهمة فائقة وعزيمة ماضية في بادىء الامر ثم لا يمضي علينا زمن حتى نمل ونضجر ونصغر منا تلك الهمة وتضعف تلك العزيمة ونهمل الامر الذي شرعنا فيهِ او نتركهُ ناقصًا بخلاف الامم الراقية فان رجالهم يثبتون على ما يشرعون بهِ ويدأبون عليهِ مهما لقوا في سبيلهِ من المشقات والعقبات حتى يتموهُ ولو بعد الاعوام الطويلة ٠ والآخر اننا لا نحسن التعاون على الاعمال ولا تنظيم الامور التي يشترك كثيرون في عملها بل اعتدنا ان نعمل اعمالنا منفردين بعضنا عن بعض ولم نعتد ان نتحد جماعات ونعملها معًا ولذلك ترى افرادنا ناجحين في اعمالهم واشغالهم يضارعون افراد اسمى الامم الاخرى في ذلك ولكنهم اذا اتحدوا وارادوا التعاون على الاعمال وتنظيم الامور اخفقوا

لانهم يزاحمون بعضهم بعضاً ويعترض بعضهم في سبيل بعض فيخرب قوم ما يبنيه الآخرون وينقض البعض ما يبرمهُ البعض الآخر . ولهذا تجد اعمال الجماعات منا واداراتنا ومشروعاتنا العمومية متأخرة او مختلة بخلاف ما يشاهد عند غيرنا من الامم الراقية . والاصلاح المطلوب يقتضي استيفاء هذين الشرطين اي الثبات والدأب والاتحاد والتعاون تمام الاستيفاء . ولهذا نؤمل ان يمتاز بهما المصلحون العثمانيون على سائر الشرقيين حتى يفلحوا في الاصلاح

ومما يقوي الامل بنجاحهم في الاصلاح انهم ادركوا الحاجة في تدارك هذا القصور الى الاستعانة بالخبيرين من الاجانب . فجاويد بك ناظر المالية يستعين بمستشار فرنسوي وهما يضعان الآن مشروعاً لاصلاح امر الاعشار وغيرها من الامور المالية . ونجم الدين افندي ناظر العدلية يستعين بالكونت استروروجو على اصلاح العدلية والمحاكم وقد أنبئنا انهما هيئا مشروعاً لتعيين قضاة صلح يجولون في البلاد ويفصلون في الدعاوي . واخبرنا الكونت استروروجو الذي يجيد عدة لغات ويعد من اللغويين المستشرقين انهُ يهيئ الآن عدة مشروعات للاصلاح القضائي مطابقة لمجلة الاحكام الشرعية . وسيستعينون بالجنرال فندر جولتز باشا الالماني لتنظيم العسكرية . وعينوا الاميرال غمبل الانكليزي لتنظيم البحرية وكروفرد الانكليزي للجمارك العثمانية وعينوا اخيراً رجلاً بلجيكيًا لتنظيم البوستة والتلغرافات العثمانية وهلمّ جرًّا . وقد اخبرناهم اننا كنا نفضل ان الاستعانة بالاجانب تقتصر على ما لا يتيسر لاصلاحهِ خبيرون من العثمانيين . وفي ما بقي يستعينون اولاً بالعثمانيين ولاسيما العثمانيين الذين شبوا على الاصلاحات المالية والقضائية والادارية واشتهروا في اصلاح البوستات والتلغرافات والجمارك ونحوها في البلدان المنظمة كالديار المصرية . فكانوا يعتذرون عن عدم فعلهم ذلك اعذاراً اوجهها ان القصد من الاستعانة بالاجانب مزدوج فهو الاصلاح والتنظيم من جهة واكتساب ميل الامم الاجنبية وثقتها من جهة اخرى لما في ذلك من الفائدة للعثمانيين وخصوصاً من دخول الاموال الاجنبية الى السلطنة ومن عمل الاجانب الاعمال العظيمة النافعة فيها . على انهُ مهما كان هذا العذر وجيهاً فظاهرٌ انهُ ليس عذراً مقنعاً ولا يقبل عند اصحابهِ في احوال اخرى مطلقاً . ومن سوء الحظ اننا وجدنا رجال الاصلاح في الاستانة قليلي العلم باحوال العثمانيين خارج تركيا اوربا وبعض الاناضول وغير ملمين بما يمكن ان تجنيهُ السلطنة من النفع من مساعي المقتدرين من هؤلاء العثمانيين لو استعانت بهم . وما ذلك الا لانهُ لم يكن لهم اتصال بهم في الماضي ولقلة اتصالهم بهم الآن فلذلك كنا نطلب منهم في كل مكان ان يرسلوا رجالاً منهم يتعهدون احوال العثمانيين ويتعرفون برجالهم ويعرفون المنزلة

التي وصلوا اليها من العلم والحضارة والثروة سواء كانوا في بلادهم او في البلدان التي هاجروا اليها . فانهم يكتشفون بذلك اموراً كثيرة تساعدهم في اصلاحهم وتعينهم عند احتياجهم الى المعونة

على انهُ مهما سعت الهيئة الحاكمة في الاصلاح وجدَّت وكدَّت واحسنت الرغبة والنية فسعيها يكون قاصراً لا يفي بالمرام ان لم تكن الهيئة المحكومة اعظم عون لها ونصير . فاذا شئنا ان يبلغ المصلحون منا النجاح المروم من الاصلاح وجب ان نساعدهم في اعمالهم بكل امكاننا وان نصبر عليهم ونحتمل معهم ونشعر بالاثقال العظيمة الملقاة على عاتقهم ونكون دائماً اقرب الى التماس العذر لهم والدفاع عنهم وتشديد عزائمهم باقوالنا وافعالنا منا الى لومهم واعناتهم وقلة الصبر عليهم واظهار ما يضعف عزائمهم . فالواجب على الامة ان لا تنسى مطلقاً ان الاصلاح العثماني اعسر امر في العالم وان القائمين بهِ هم افراد قليلون من ابنائها فاذا لم يجدوا منها كل ما يهوّن عليهم مشقة عملهم ويشدد عزيمتهم ويزيد رغبتهم في خدمتهم خارت عزائمهم وقلت رغبتهم وضاع الاصلاح علينا . ولهذا نرى ايضاً انهُ يجب على الكتَّاب وارباب الاقلام منا ان يسيروا على غاية الحكمة في لومهم ونقدهم فيحفظوهما الى الوقت الذي يجب فيهِ اللوم حرصاً على المصلحة العمومية ويجب فيهِ النقد اصلاحاً لخطاء يضرُّ بالجمهور . ولا يلجأوا اليهما في غير هاتين الحالتين حذراً من ان ينقلبا بالشر على الامة عوضاً عن الخير . اذ من اسباب تأخرنا نحن الشرقيين ان العاملين النافعين منا يكونون دائماً قليلين واما الناقدون واللائمون فيكونون كثاراً لا يحصون

والخلاصة ان الامل في الاصلاح والنجاح قوي اذا ظلت الاحوال الداخلية والخارجية موافقة لها ولكنهما يقتضيان زماناً اطول مما يظنهُ اكثر العثمانيين . اما نحن فغاية ما نؤمل ان نراهُ في حياتنا هو اصلاح في الامن العام وفي العدل في الاحكام وفي الحرية والامور المالية والاحوال العمومية . واما الزمان الذي فيهِ ينتشر العلم بين طبقات الامة و يبلغ الاصلاح الغاية التي عندها ينفذ الدستور كلهُ فعلاً فتتساوى النحل والملل العثمانية في كل مزاياهُ وفي تدبير امورها وتزول من بينها الحواجز والفواصل الحائلة الآن دون اتحادها و يصير العثماني يشبه نفسهُ بابناء كل امة دستورية في التمتع بالنعم الدستورية — فهذا الزمان لا نصل اليهِ في حياتنا وربما لم يرهُ ابناؤنا بل يكون من نصيب احفادنا او نصيب اولادهم بعدهم . ولا غرابة في ذلك ولا مبالغة فما افسدتهُ الدهور لا يصلح في زمان قصير وحياة الامة لا يطول في جنبها تعاقب اعقاب قليلة . انتهى

فارس نمر

معجم الحيوان

(تابع ما قبلهُ)

﴿ الشَاهين(١) (فارسية) ﴾ Falco peregrinus. E Peregrine F. Pèlerin ou faucon commun

طائرٌ من الجوارح بين الصقر والحرّ طويل الجناحين لون رأسهِ وظهرهِ وذنبهِ اسود ضارب الى الزرقة اما صدرهُ فابيض مائل الى التوشيم والتنقيط

و يصعب كثيراً معرفة الشاهين من وصفهِ في الدميري والقزويني وكتب اللغة واحسن وصف لهُ وجدتهُ في كتاب انس الملا للسيد محمد المنكلي قال «الشاهين قصير الساقين قصير الفخذين .... اذا كان فرخاً تكون خطوط صدرهِ عريضة كبيرة · قصير الرقبة بغلظ عريض الهامة غائر العينين محدَّب الظهر قصير الذنب .... اخضر الكفين طويل الاصابع زائد سواد الخدَّين طويل الجناحين» · وهي صفة الطائر المسمى F. peregrinus عند علماء الحيوان

وقال سافيني في كتاب طيور مصر والشام ان الشاهين المذكور في المؤلفات العربية هو هذا الطائر وذكر ان فورسكال سماهُ الشاهين ايضاً . وهو الشاهين في كتاب طيور شمال افريقية الشرقي لفون هو غان(٢) . وهؤُلاء الثلاثة من الثقات المعوَّل عليهم في هذه المباحث · وقد سألت جماعة من المصريين لقيتهم في حديقة الجيزة عن الشاهين فاروني هذا الطائر وقالوا انهُ يسمَّى عندهم صقر شاهين فالصقر عند المصريين كل طائر يصيد ما خلا النسر والعقاب اي كما هو في كتب اللغة و يميزون الصقور بعضها عن بعض بقولهم صقر باز وصقر شاهين وصقر الجراد وصقر الغزال الخ · وهذا الاخير هو المعروف بالصقر عند بزادرة الافرنج والعرب كما ذكرت في الجزء الماضي من المقتطف

وذكر ترستِرام طائراً آخر احمر اللون سماهُ الشاهين وهو المسمى B. ferox عند علماء الحيوان لكن وصفهُ مخالف لوصف الشاهين في المؤلفات العربية ولعلهُ السوذنيق · وقد فسروهُ بالشاهين قال الراجز

قد اغتدي والليل ذو بريقِ بملجم أحمر سوْذَنيقِ
أجدل او شَرْقٍ من الشُّروقِ

(١) ان بعضهم يكتب الشاهين علماً لرجل بالجيم الفارسية اي جاهين ولا سيما في مصر وهو خطأ باللفظة فارسية ويكتبها الفرس دائماً بالشين لا بالجيم

(2) Henglin, Ornithologie Nordost Africa's

والاقوال متناقضة كثيراً في السوذنيق لذلك ضربت صفحاً عنها (انظر المخصّص والمعرّب للجواليقي والالفاظ الفارسية المعرّبة)

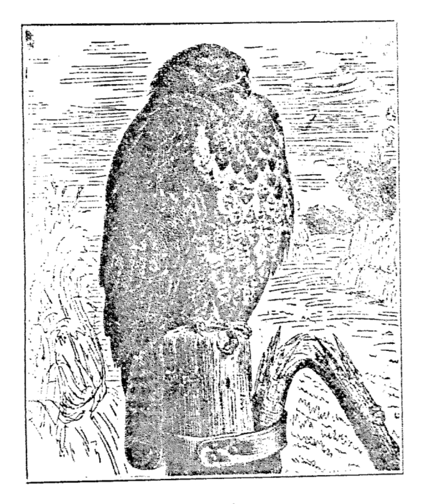
اما الشاهين في الهند وبلاد الفرس [1] فهو الطائر المعروف عند العلماء باسم F. peregrinator ويسميهِ الانكليز Royal falcon ويظهر لي ان الشاهين في الاصل هو هذا الطائر اي كما سماهُ بزادرة الفرس ثم اطلق العرب هذه اللفظة على الطائر الذي نحن بصددهِ وذلك لشدة المشابهة بينهما

﴿ الحُرُّ ﴾ Falco lanarius E. Lanner. F. Lanier طائر من الجوارح اصغر من الصقر والشاهين طويل الجناحين اصقع أي لهُ بياضٌ في وسط رأسهِ اسفع الظهر أي سوادهُ مشرب حمرة اغبر البطن · ولعلهُ سمي بالحرّ لانهُ من عتاق الطير او ان اللفظة مصرية الاصل وهي هُرْ او حُرْ بالمصرية القديمة وتطلق على احد انواع الجوارح من الطير ومنها هُر او هُرر او هُورُس احد آلهة المصريين القدماء وكانوا يصوّرونهُ برأسٍ كرأس الصقر كما يُرى على كثير من آثارهم

واللفظة مستعملة في يومنا عند عرب الشام وافريقية ويطلقها بعضهم على الشاهين الذي مرّ وصفهُ والبعض الآخر على هذا الطائر وهو اقرب الى الصواب لان وصفهُ ينطبق على ما جاء عنهُ في كتب اللغة فالحرُّ في لسان العرب « الصقر وقيل هو طائرٌ نحوهُ وليس بهِ أنمر اصقع قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل انهُ يضرب الى الخضرة وهو يصيد » · وفي المخصص لابن سيده « الحرّ نحو الصقر اغبر أسفع (وفي حياة الحيوان عن ابن سيده انمر اصقع) قصير الذنب عظيم المنكبين والرأس وقيل الحرّ من الصقور شبه البازي يضرب الى الخضرة اصفر الرجلين والمنقار صائد · وقيل بل الحرّ الصقر والبازي » · (انظر حيوان فلسطين ونباتها للقانون ترسترام والحرّ في معجم دوزي ووصف هذا الطائر في كتاب طيور مصر لشلي ([2])

﴿ الباشَق (معرب باشه بالفارسية) · العَلَّام · الطَوْط · الحُمَيْمِق · ابو الآخذ العقصي ﴾ Accipiter nisus E. Musket or sparrow-hawk. F. Épervier commun ويعرف هذا الطائر بالباشق في مصر والشام ويسمّى باشه في الهند وبلاد فارس ولا خلاف في صحة استعمال هذه اللفظة وترجمتها

(1) The Royal Natural History, IV, 182 & 184
(2) The Birds of Egypt, by G. E. Shelly, 188.



العُقيب
La buse



الشاهين
Le pèlerin

الصقر
Le sacre



السنقر الابيض (آق سنقر)
Le gerfaut blanc

اما العقصي المذكور في كتاب حياة الحيوان فهو ذكر الباشق وظنهُ الدميري طائراً آخر قال « واما العقصي فهو اصغر الجوارح نفساً واضعفها حيلةً واشدها ذعراً وايبسها مزاجاً يصيد العصفور في بعض الاحايين وربما هرب منهُ وهو يشبه الباشق في الشكل الا انهُ اصغر منهُ » . وفي كتاب انس الملا للسيد محمد المنكلي ما نصهُ « وذكر الباشق العقصي » ومؤلف هذا الكتاب كان من البزادرة المولعين بالصيد ويعول عليهِ في هذه الامور اكثر من الدميري

❖ اللُّوَيْحِق . ابو لاحِق ❖ Astur palumbarius. E. Goshawk. F. Autour

طائر من الجوارح اغبر الظهر ابيض الحاجبين والصدر مائل الى التوشيم . وهو احد انواع البزاة والبازي المذكور في الدميري وغيرهِ من المؤلفات العربية . قال سافيني ما تعريبهُ « ويعرف هذا الطائر باللويحق وابي لاحق عند عرب البادية » . وفي المخصص « اللُّويحق طائر اغبر يصيد الوبر واليعاقيب » (اي الحجلى) . وفي محيط المحيط « اللُّويحق طائر يصيد اليعاقيب وابو لاحق البازي »

❖ اليُؤْيُؤ . الجلَم . ابو رياح ❖ Falco æsalon. E Merlin F. Emerillon.

طائر من الجوارح يشبه الباشق واصغر منهُ قليلاً ويعرف في مصر بالجرادية وصقر الجراد

واليؤيؤ في حياة الحيوان « طائر كنيتهُ ابو رياح وهو الجلم وهو من جوارح الطير يشبه الباشق » . وفي باب الصقر « اليؤيؤ ويسميهِ اهل مصر والشام الجَلَم لخفة جناحيهِ وسرعتهما ولان الجلم هو الذي يجز بهِ وهو المقص . وهو طائر صغير قصير الذنب . قال الناشئ في وصفهِ

ويؤيؤٍ مهذَّبٍ رشيقِ كأنَّ عينيهِ لدى التحقيقِ
فصَّان مخروطان من عقيق »

وقد عوَّلت في تحقيق امر هذا الطائر على ما ذكرهُ سافيني في كتاب طيور مصر والشام

❖ العُوَيْسق ❖ F. tinnunculus. E. Windhover or kestrel. F. Cresserelle

طائر من الجوارح في حجم الباشق او اصغر منهُ قليلاً احمر اللون منقَّط بسواد . وهو كثيرٌ في مصر ويسمونهُ صقر الجراد كاليؤيؤ

ولم يرد ذكر العويسق في كتب اللغة ولا في معجم دوزي بل ذكرهُ الامير اسامة ابن منقذ في كتاب الاعتبار صفحة ١٦٢ ولم يصفهُ بل قال انهُ من الجوارح وسماهُ العوسق .

وجاء في تذكرة داود الانطاكي في الباب الرابع فصل البزدرة ما نصهُ « الباشق وهو اخف الطير واسرعها نهوضاً والانثى منهُ تسمى العويسقة او هي صغارهُ »

والعُوَيْسِق يعرف في جبل لبنان بهذا الاسم وهو الطائر المسمّى عند علماء الحيوان F. tinnunculus وقد اريتهُ الى صديق يعرف العويسق فقال انهُ هو بعينهِ . واظن ان كلمة العويسق في كتاب الاعتبار خطأ في النسخ وصوابها العويسق وكذلك في تذكرة داود الانطاكي فانها وردت الفويسقة في النسخ المطبوعة التي وقفت عليها وصوابها العويسقة كما هي في النسخة المخطوطة المحفوظة في المكتبة الخديوية وكما ينطقون بها في جبل لبنان

❖ اللُّزَيْق ❖ Falco vespertinus. E. Red-legged falcon طائرٌ من الجوارح اصغر من الباشق احمر المنسر والرجلين جفون عينيهِ حمر

ولم يذكر اللزيق بهذا المعنى في كتب اللغة وذكرهُ اسامة ابن منقذ[1] في كتاب الاعتبار المذكور آنفاً في صفحة ١٦٣ قال « فجاء جارح مثل العوسق احمر المنسر والرجلين جفون عينيهِ حمر فقالوا هذا اللزيق » . وهو وصفٌ في غاية الدقة ينطبق تماماً على الطائر المعروف عند العلماء باسم F. vespertinus (انظر وصفهُ في طيور مصر لشلي صفحة ١٩٣)

❖ السُّبَر . السُّبَرَة ❖ Circus. E. Harrier. F. Busard طائرٌ من الجوارح اعظم من الباشق واصغر من الصقر طويل الجناحين والساقين والذنب وهو انواعٌ كثيرة مختلفة الالوان

وقد وصفهُ السيد محمد المنكلي قال « السُّبر نوعٌ من البازي الاّ انهُ طويل الجناح جداً وهو اطول نفساً من البازي سريع النهوض من الارض خلف الطريدة في المحل الصعب فيخفى عن صاحبهِ اذا لم يكن لهُ الجلجل وهو اجود ما يكون على السمان والدراج والحجل على انواعهِ . وذكورهُ اطير من الاناث ولعل الذكر يكون قدر الانثى » . وهذا الوصف ينطبق على الطيور المسماة Harriers بالانكليزية كما يتضح لدى المراجعة[2] . وفي لسان العرب « السبرة طائر تصغيرهُ سبيرة وفي المحكم السبر طائر دون الصقر »

---

(١) الامير اسامة ابن منقذ من امراء الشام تقلد ولاية بيروت عدة سنوات في اواسط القرن الثاني عشر المسيحي وكان ابوهُ كثير الولع بالصيد يقتني الفهود والكلاب والبزاة فهو ثقة يعوَّل عليهِ في هذه الامور

(2) The Royal Natural Hist. IV, 212. The Birds of Egypt by Shelley, 181.

﴿ الكُوهي (معرّبة) ﴾ Elanus cœruleus. E. Black-winged hawk

طائرٌ من الجوارح في حجم الباشق اسود الظهر ابيض البطن احمر العينين

ولم ترد هذه اللفظة في كتب اللغة ولعلها فارسية بمعنى الجبلي وقد وردت في تاريخ ابن اياس صفحة ١٠٣ حيث قال « عشرة كواهي برسم الصيد » . وذكر الكوهي في تذكرة داود الانطاكي في الكلام عن البزدرة في الباب الرابع لكنهُ لم يصفهُ وفي كتاب انس الملا صفحة ٩٨ حيث قال « وواحد الكواهي كوهي وهكذا يسمى في سائر الكتب وكل البلاد الأ في الشام ومصر فانهم يؤنثون مفردها فيقولون كوهية وهو غلط وعيب عند اهل العراق والاعاجم » . وورد ذكر الكوهية في كتاب طيور مصر والشام لساڤيني وكتاب طيور شمال افريقية الشرقي لفون هوغلن واطلق كلاهما اللفظة على هذا الطائر

﴿ اليَوءُصى ﴾ Falco babylonicus طائر من الجوارح في حجم الحرّ وشبيه بهِ

قال ابن سيده « اليَوءُصى طائر كالباشق الأ انهُ اطول جناحًا واخبث صيداً » وقال الدميري « اليوءُصى طائر بالعراق اطول جناحًا من الباشق واخبث صيداً وهو الحرّ » . واظنهُ هذا الطائر . (انظر وصفهُ في كتاب طيور مصر لشلي صفحة ١٨٩)

﴿ البَيْدَق (فارسية) السَّقَاوَة ﴾ Falco subbuteo. E. Hobby F. Hobereau

طائر من الجوارح في حجم الباشق

قال الدميري « واما البيدق فلا يصيد الأ العصافير وهو قليل الغناء قريب الطبع من المقصي » . اما السقاوة فذكرها داود الانطاكي والسيد محمد المنكلي واظنها هذا الطائر

﴿ المُرْزَة . العُقَيب ﴾ Buteo. E. Buzzard. F. Buse طائرٌ من سباع الطير يصيد الارانب والجرذان وفيهِ جبنٌ وفتور

وجاء في المخصّص انّ « المرزة طائر يشبه العقاب لا ينفع ولا يضرّ وقيل بل المرزة الحدأة التي تصيد الجرذان . وعقّيب الجرذان تصيد الارانب والجرذان بغثاء اللون اعظم واغلظ من الحدأة قلما تفضلت على الحدأة » . واظن العقيب هو النوع المسمى Buteo lagopus

﴿ الحِدَأة ﴾ Milvus. E. Kite. F. Milan طائرٌ من سباع الطير لكنهُ ليس من عتاقها وهو هذا الطائر الكثير الوجود في القاهرة وغيرها من مدن مصر ويعرف عند العامة بالحِدَاية

واللفظة متشابهة في كثير من اللغات فهي خات بالفارسية ودايه بالعبرانية و Kite بالانكليزية الخ

﴿ القَرِيْع الكَشّاف ﴾ Pandion haliaëtus. E. Osprey. F. Balbuzard طائر من الجوارح يألف المياه ويأكل السمك

ولم اقف على اسم عربي لهذا الطائر في المؤلفات العربية والاسمان اللذان ذكرتهما اخذتهما عن سافيني وفون هوغلن . ولعل العقاب النسارية التي ذكرها ابن سيده هي هذا الطائر ومن اسمائهِ التي ذكرها فون هوغان وسافيني المنصور (المنسور) والناسوري

﴿ الزُرّق ﴾ E. Tiercel or Tarsel. F. Tiercelet ذكر البازي في كل جنسٍ من اجناسهِ

وفي محيط المحيط « الزرّق طائر صياد بين البازي والباشق وقيل هو البازي الابيض . وقيل احسن الوان الباري الاسود الظهر الابيض الصدر الاحمر العينين »

وفي حياة الحيوان « الزرّق طائر يصاد بهِ بين البازي والباشق قالهُ ابن سيده وقال الفرّاء هو البازي الابيض وهو صنف من البازي لطيف الاّ انهُ احرّ وأيبس مزاجاً ولذلك هو اشد جناحاً واسرع طيراناً واقوى اقداماً وفيهِ ختل وخبث وخير الوانهِ الاسود الظهر الابيض الصدر الاحمر العين قال الحسن بن هانئ في طريدتهِ يصفهُ

قد اغتدي بسفرةٍ معلّقه فيها الذي يريدهُ من مرفقه

مبكراً بزرّق او زرّقه وصفتهُ بصفةٍ مصدّقه

كأن عينيه لحسن الحدقه نرجسةٌ ثابتةٌ في ورقه

ذو منسرٍ مختضبٍ بعلقه كم وزّةٍ صدنا بهِ ولقلقه

سلاحهُ في لحمها مفرّقه »

وفي كتاب انس الملا للسيد محمد المنكلي ما نصهُ « والزرّق ذكر البازي في كل جنسٍ من اجناس البزاة »

وفي حياة الحيوان في باب الصاد « قال الجاحظ قال اياس بن معاوية الصئبان ذكور القمل وهو من الشيء الذي يكون ذكورهُ اصغر من اناثهِ كالزراريق والبزاة فالبزاة هي الاناث والزراريق الذكور وليس فيهِ ذكر شيء من الصواب » (انظر ايضاً كتاب الحيوان للجاحظ ٥ : ١١٢) . ولا ادري ماذا يريد الجاحظ بقولهِ « وليس فيهِ ذكر شيء من

الصواب » فان كان مراده ان الصئبان ليست ذكور القمل فهو مصيب · اما في ما سوى ذلك فالصواب في جانب ابن معاوية لان ذكور القمل والبزاة اصغر من اناثها

وفي تذكرة داود الانطاكي « البازي معتدل المزاج سهل الانقياد والانثى منهُ تسمى زرّقه »

وقال سافيني في كتاب طيور مصر والشام ان الكوهي هو الزرّق ولعل الذي حملهُ على ذلك قول الدميري انهُ اسود الظهر احمر العين لكنني ارجّح قول محمد المنكلي واياس ابن معاوية · ثم ان الكوهي في حجم الباشق او اصغر منهُ ولا يقوى على صيد الاوز والقلق كما ذكر ابو نواس في ابياتهِ · اما قول الدميري انهُ احمر العين فمخالف لوصف ابي نواس فانهُ شبه عينهُ بالنرجس وهو اصفر · وقولهُ « مبكرًا بزرّقٍ او زرّقه » يريد بالزرّقه البازي الانثى كما جاء في تذكرة داود

اما الكونج فاظنهُ ذكر الصقر Sacret · قال الدميري « الصنف الثاني من الصقور الكونج ونسبتهُ من الصقور كنسبة الزرّق الى البازي الا انهُ احرّ منهُ ولذلك هو اخف منهُ جناحاً واقل بخراً ويصيد اشياء من صيد الماء ويعجز عن الغزال الصغير » · وفي معجم فولرس الكونج باللغة الهندية طائرٌ ولم يصفهُ

هذا ما امكنني تحقيقهُ من اسماء الجوارح من الطير وبعضها لم اتأكد من صحة تطبيقهِ على الاسماء المعروفة عند علماء الحيوان · ويصعب كثيراً تمييز الجوارح بعضها من بعض فذكورها في غالب الاحيان اصغر من اناثها وتختلف عنها في اللون والشكل وتتغير كثيراً كلما تقدمت في العمر ولم تكن هذه الامور معروفة عند كثيرين من اللغويين والمؤلفين فاختلفوا في وصف الجوارح · هذا فضلاً عن ان الطائر الواحد كانت تختلف اسماؤهُ باختلاف القبائل والامكنة وشاعت اسماء اعجمية لبعضها وجهل الاسم العربي كالشاهين مثلاً فهو معروف عند العرب ولم يذكروا لهُ اسماً عربياً في ما اعلم وسماهُ ابن سيده ملاعب ظلهِ وملاعب ظلهِ طائر آخر يعرف بالقرلّى وسيأتي ذكرهُ

بقيت اسماء كثيرة من الجوارح لم اهتدِ الى تحقيقها منها الشرق واظنهُ السبر Circus والشمّر والطرفيل والنيفق وغيرها

الدكتور امين المعلوف

سورية ولبنان

(١) نظرة عامة

لما تبلج فجر الحرية وانهزم ليل الاستبداد تاقت نفسي الى رؤية البلاد التي ولدت فيها وشببت وتغذى جسمي من خيرات ارضها وعقلي من علوم مدارسها قبل ان الجأتني يد الاستبداد الى هجرانها . لكن الدستور الذي اطلق الحرية للعثمانيين وفتح السجون للمسجونين قيَّد الصحافيين بمراقبة مجاري الاحوال وحملهم اعباء ثقيلة في تقصي الاخبار وبسط الاماني والآمال فتضاعف اشتغالهم وتعذَّر عليَّ التفرغ للراحة وزيارة مسقط رأسي قبل اواخر هذا الصيف . وقد ودَّ البعض ان يقفوا على ما رأيتهُ فيهِ بعد هذا الهجران الطويل فكتبت السطور التالية موجزاً المقال على قدر الامكان

مما يعرف بالبداهة ان الانسان لا ينتبه لسير الافعال المتصلة ولاسيما اذا كانت بطيئة فينمو ابنهُ يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى ولا ينتبهُ لنموهِ . يراهُ طفلاً ثم شاباً فلا يستغرب ذلك لان نموهُ بطيء متصل . ولكنهُ اذا فارقهُ طفلاً ثم عاد اليهِ بعد عشرين سنة ووجدهُ رجلاً رأى الفرق كبيراً ولو كان عادياً واذا فارق شيئاً ثم عاد اليهِ فرآهُ قد نما نمواً غير عادي فهناك الدهشة الكبرى وهذا عين ما جرى لي فاني برحت سورية في اوائل سنة ١٨٨٥ ثم عدت اليها للاصطياف سنة ١٨٨٧ ولم تعد عيني تكتحل بمرآها الاَّ الآن . وقد شاهدت جانباً كبيراً منها في صباي منذ نحو خمسين سنة ثم شاهدتهُ منذ خمس وعشرين سنة وكان ذلك آخر عهدي بهِ فلما رأيتهُ الآن بلغت دهشتي اقصاها لانني رأيتهُ قد نما في الخمس والعشرين سنة الاخيرة اضعاف ما نما في التي قبلها لاسيما وان احوال الحكومة العثمانية كانت قد ساءت في هذه السنين الاخيرة واستحكمت حلقات الضيق على الاهلين حتى اضطرَّ كثيرون منهم الى المهاجرة فقصدوا الديار المصرية وانتشروا في اميركا الشمالية والجنوبية وبلغوا استراليا وجزائر البحر وحلك ليل الاستبداد وجرى من الفظائع في البلاد ما لم يجر في عهد نيرون وصودر الناس في املاكهم واموالهم وكُمَّت الافواه عن الشكوى وراجت سوق الجاسوسية واتخذها الاشرار وسيلة للايقاع بالابرياء وضربت الرشوة اطنابها في البلاد فهضمت الحقوق واستحلت المحرمات . وكانت اخبار ذلك تصل الينا من افواه الثقات فلا نشك في صحتها وفي ان البلاد انحطت عما كانت عليهِ لما فارقناها وحتى الآن لم نقابل احداً يؤْخذ بقولهِ من رجال لبنان ومدن

الساحل الاَّ سمعناهُ يشكو من سوء الحال الماضية والحاضرة ايضاً

ولم نكن نجهل ان الشكوى قد لا تكون دليلاً على عظم البلوى بل على زيادة الشعور الناتجة عن تحسن الحال . ولكن الاخبار التي كانت تروى عن الحالة الماضية وما جاهرت بهِ الجرائد العثمانية بعد اعلان الدستور وما يجاهر بهِ رجال الحكومة انفسهم الآن كل ذلك ادلة قاطعة على ان احوال الحكومة كانت في الدرجة القصوى من الاختلال والفساد

ولم نكن نجهل ايضاً ان اموال المهاجرة افادت سورية عموماً ولبنان خصوصاً فزاد عمرانهُ وبنيت فيهِ البيوت الفخيمة وغلت اسعار املاكهِ . وان سكة الحجاز افاضت الاموال على دمشق وما يجاورها فان اخبار ذلك كانت ترد علينا من افواه الثقات ولكن الذين كانوا يصفون لنا حال البلاد لم يكونوا يصورونها كما رأيناها لانهم كانوا يرون البلاد ترتقي ارتقاء مندرجاً فلا تتسنى لهم المقابلة بين حالها الماضية وحالها الحاضرة ولان غواشي الظلم التي كانت مخيمة على البلاد امتزجت بكل ما يدعو الى البهجة والحبور فكدرت الصفاء وازالت الرواء. وحتى الآن لا تزال الشكوى عامة من كل شيء حتى من جمعية الاتحاد والترقي التي لها الفضل الأكبر في انقاذ البلاد ومن الدستور الذي هو اكبر نعمة انعم بها الله عليها ومن المهاجرة التي لها اليد الطولى في ارتقائها

وفي الربيع الماضي زار لبنان معتمد الدولة البريطانية في القطر المصري مستشفياً من انحراف الم بصحتهِ ونزل في فندق ببرمانا قضى فيهِ اياماً ثم عاد الى القطر المصري مدهوشاً مما رآهُ من آثار الحضارة ومعالم العمران معجباً بما شاهدهُ من جمال البلاد الطبيعي والصناعي لا يكاد يجد الفاظاً للتعبير عن ذلك .وقد يظن لاول وهلة انهُ توقع ان يرى الجبل صخوراً قاحلة وسكانهُ همجاً مثل عامة سكان الجبال فلما رأى ما هو ارقى من ذلك ولو قليلاً اعجب بهِ ودعاهُ حب المجاملة الى وصف لبنان امام ابنائهِ وصفاً يفوق الحقيقة ومدح سورية مدحاً لا تستحقهُ . ولكن الذي يعرف طباع الانكليز يعلم انهم لا يميلون الى المجاملة ولا يطنبون في مدح ما لا يستحق المدح فتاقت نفسي الى رؤية البلاد باسرع ما يمكن وبادرت الى تدبير اشغالي حتى تمكنت من زيارتها الآن

قمت من القاهرة وطني الثاني في السادس من سبتمبر (ايلول)) وركبت باخرة نمسوية مما يمخر بين مصر والشام فوجدتها من انظف البواخر واوفاها خدمة ولقد فضلتها على غيرها مع طول شقة السفر فيها لانها تقف في يافا وحيفا فيتسنى لي ان اراها واقابل بين حاضرهما وماضيهما فوجدتهما قد نمتا نمواً عجيباً منذ خمس وعشرين سنة الى الآن لكن هذا النمو

اقتصر على ما يتعلق بالسكان ولم يتناول ما يناط فعله بالحكومة فبنيت البيوت الفخيمة وانشئت الاسواق الكبيرة واتسع نطاق التجارة وزادت الواردات والصادرات حتى غصت بها الجمارك وبدت على الناس دلائل الثروة والرفاهة. وقد زرت عكاء مدة قيام السفينة في حيفا فلم اجد فيها مباني جديدة لان مبانيها القديمة تملأُ ما بين اسوارها ولكنني وجدت فيها من دلائل الرفاهة معملاً للثلج يدار باحدث الآلات البخارية آلة الانثراسيت. واتفق ان وصل الى يافا حافظ بك السعيد مبعوثها وسعيد بك الحسيني مبعوث القدس يوم وصولي اليها فلم ارَ من السكان اهتماماً باستقبالها لكني رأيت وجهاء المدينة يفدون للتسليم عليهما ومذاكرتهما في مصالح البلاد دلالة على ان زمان البهرجة قد مضى وجاء زمان التعقل والتروي. ولقيت في يافا وحيفا جماعة من الوجهاء والفضلاء منهم عمر افندي البيطار وجرجي بك دباس ويوسف افندي عرقتنجي وعبد اللطيف افندي العمري وعلي بك رضا واسكندر افندي فيعاني وانطون افندي متى. وكان حديثهم متجهاً كلهُ الى حال البلاد الادارية والاقتصادية كانتقاء المأمورين وتوسيع الجمارك وانشاء المرافئ واصلاح الشوارع وما اشبه. ولأهل حيفا اهتمام شديد بانشاء مرفإٍ لمدينتهم وقد حادثت ربان السفينة في امرهِ وحسبت نفقاتهِ بناء على ما اعلمنيهِ من طول اللسان الممتد تحت البحر من جبل الكرمل وعنقهِ فلم اجد انها تزيد على مئة الف جنيه الى مئة وعشرين الفاً فاذا انشئ تحوَّل جانب كبير من تجارة سورية الى حيفا وعسى ان لا تستأثر النزالة الالمانية التي هناك بالجانب الاكبر من تلك التجارة. وقد اتسعت تجارة يافا الآن وتبلغ قيمة صادراتها نحو ٦٥٠ الف جنيه وقيمة وارداتها نحو ٤٥٠ الف جنيه ويصدر منها كل سنة نحو مليون صندوق من البرتقال. اما بيروت فمبانيها وامورها التجارية والصناعية تقتضي رسالة مسهبة فارجئها الى فرصة أُخرى

ويقال بنوع عام عن مدن الساحل التي رأيتها يافا وحيفا وعكاء وبيروت ان كل ما يناط فيها بالاهلين قد تقدم تقدماً عظيماً منذ خمس وعشرين سنة الى الآن لا يفوقهُ تقدم مدينة مصرية في هذه المدة عدا القاهرة والاسكندرية. واما ما يناط بالحكومة فبقي على حالهِ او انحطَّ عما كان عليهِ كأن الاهلين تقدموا رغماً عن الحكومة والحكومة تأخرت رغماً عن الاهلين. ولم ارَ للحكومة الحميدية اثراً يذكر في هذه المدن سوى برج ساعة في يافا وبرج ساعة في حيفا وداراً حسنة للحكومة فيها. واما التنظيم فلا اثر لهُ وطرق المركبات امست احافير ومزالق وحدائق النزهة لا وجود لها الا في بيروت ولا مصارف لمياه الامطار ولا مماشي للشوارع ولا غرابة في ذلك لان الذين اساءوا سياسة الرعية وافسدوا امورها لا ينتظر

منهم ان يحسنوا مظاهرها ويصلحوا مرافقها ولا انا ممن يفتش عن سيئة في زمان كلهُ سيئآت فقد مضى ذلك الزمان بعجرهِ وبجرهِ وعلى رجال الحكومة الدستورية الآن ان يجاروا الرعية ويسبقوها في ميدان العمران

وصلت بيروت عند الفجر ونظرت اليها نظرةً عامة ولم اقف فيها بل ذهبت الى الحدث مسقط رأسي لازور مدفن والدي فرأيت انها نمت منذ خمس وعشرين سنة الى الآن اكثر مما نمت في كل سنيها الغابرة مع انها كانت مقرًّا للامراء الشهابيين وزادت دهشتي لما رأيت ان الذين كنت اعرفهم ولا شيءَ لهم من الثروة قد تاجروا واثروا او هاجروا ورجعوا باموال وافرة وانشأ بعضهم بيوتًا تجارية في باريس ونيويورك وقد بنوا كلهم البيوت الكبيرة وانشأوا المخازن الواسعة لخزن بضائع سكة الحديد

ثم صعدت الى ظهور الشوير حيث تقضي عائلتي فصل الصيف واخترت طريقًا سرت فيهِ اولاً منذ نحو خمسين سنة وثانياً منذ نحو ثلاثين سنة وكان في المرتين على غاية الوعورة يسير فيهِ البغل والفرس متعثراً ويقف مرةً بعد اخرى يستنشق الهواء ولو نطق لاستنزل النقم على الانسان الذي كلفهُ ذلك العناء . وكانت الطريق مجمعًا للحجارة التي يجمعها اصحاب الحقول من حقولهم ويطرحونها فيهِ او مسيلاً لمياه الامطار وكانت بيوت القرى من الساحل الى الشوير صغيرة مثل سائر بيوت لبنان ما عدا مساكن الامراء اللمعيين في برمانا وبعض البيوت في بيت مري وبعبدات وما عدا اديرة الرهبان على رأس كل صومعة . وكانت جوانب الآكام جرداء اكثرها وهي من اصلح الاراضي لزرع الصنوبر فما اعظم الفرق بين ما رأيتهُ حينئذٍ وما رأيتهُ الآن . صعدت بمركبة يجرها جوادان لا يكادان يشعران بالتعب لسهولة الطريق مع تمعجها الكثير وقد طالت لكثرة عطفاتها وكأَنها طالت وتلوَّت لتمتع الراكب باختلاف المناظر شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا فمن قنن الآكام الى بطون الاودية قرًى ومزارع بنيت فيها البيوت الفخيمة بناءً محكمًا وسقفت بالقرميد ولبعضها واجهات على اعمدة من الرخام والارض حولها نضرة بما فيها من التوت والكرم وجوانب الآكام مغطاة كلها بحراج الصنوبر زمرد وزبرجد والوان العقيق والبيوت بينها صناديق من الفضة متوجة باليواقيت

ولقد جلت في ايطاليا وسويسرا وفرنسا وانكلترا وشاهدت مجالي الغنى والمجد والعمران ومحط ثروة الهند الشرقية والهند الغربية ولكنني لم ار هناك ما هو ادل على الغنى في القرى والمساكن مما رأيت في قرى لبنان . واتفق ان امطرت السماء في اليوم السابق مطراً غزيراً غسل وجه

الارض وجرف ما سنتهُ حوافر الخيل وعجل المركبات من الطرق فتجلت الطبيعة بابهى مجاليها

وظلت المركبة تسير بي الهوينا الى ان بلغت ظهور الشوير وهناك لم اكد اصدق عيني فاني رأيت هذه الظهور آخر مرة منذ نحو ثلاثين سنة وكانت قفراً اجرد لا شجر فيهِ ولا نبات ولا ما يدل على وجود الانسان الأ خان حقير يستريح فيهِ المكارون اما الآن فحراج وكروم وبيوت فخيمة كاكبر بيوت المدن وفندقان كبيران وقهاوي ودكاكين . والمصطافون من مدن الساحل والديار المصرية جلوس في القهاوي او مشاة في الطرق للنزهة او وقوف في شرفات المنازل وبعد قليل اطللت على الشوير نفسها تلك القرية القديمة التي نزلت اليها في صباي على درج متخرب كثير العثرات اما الآن فيوصل اليها بطريقين من طرق المركبات المنبسطة وقد زادت عمارتها مع انها كانت من القرى الممتازة بجودة مبانيها لان البناء صناعة اهلها ولكن شتان بين مبانيها القديمة وبين المباني التي انشئت فيها منذ ثلاثين سنة الى الآن ثم التفت شرقاً وغرباً من الخنشارة الى بكفيا فاذا على كل ما فيها من البيوت والكنائس والاديرة دلائل التجدد والسعة والثروة

وان قلمي ليعجز عن وصف ما رأيتهُ بعد ذلك في بكفيا وبرمانا وبيت مري وعاليه وسوق الغرب وعاريا وبحمدون وصوفر وحمانا وزحلة مدينة لبنان الكبرى . دخلت بيتاً من بيوت عاريا منذ ثلاثين سنة وهو لوجيه من اكبر وجهاء لبنان وكان اكبر بيوت عاريا واكثرها اتقاناً لانهُ بني على نسق البيوت الصغيرة في بيروت . ثم دخلتهُ الآن فوجدت ان صاحبهُ قد زادهُ بناء واتقاناً فصار اكثر من ضعفي ما كان لكن القرية التي لم يكن فيها بيت يضاهيهِ وهو في حالهِ الاولى صار فيها الآن بيوت اكبر منهُ واجمل وهو في حالهِ الحاضرة . ودخلت داراً في بكفيا منذ ثلاثين سنة كانت اكبر دورها بل اكبر قصورها وطالما أُضيف فيها امراء اوربا واولاد ملوكها ودخلتها الآن وقد زادها صاحبها بناء واتقاناً ولكنني رأيت في بكفيا دوراً كثيرة اكبر منها وافخم وقد تأنق صاحب دار منها فجعل درجها من المرمر . ويقال ان شمالي لبنان الذي لم ارهُ حتى الآن اكثر عمارة من الجهات التي رأيتها وكل ذلك جديد فيهِ لم يكن منذ ثلاثين سنة . ولم يكتفِ السكان ببناء المباني وغرس الكروم والحراج بل استخدموا كل وسائل العمران الجديدة فترى حقولهم مسيجة بالاسلاك المعدنية ذات الرؤُوس وبيوتهم موقّاة من الصواعق بقضبان الصاعقة وعلى صهاريجهم الطلمبات لرفع الماء منها . وقد مررت قبل كتابة هذه السطور في قرية حمانا فرأيت نجاراً يدير مناشيرهُ ومخارطهُ بآلة بخارية ومغربلاً يغربل قمحهُ بآلة اميركية

فمن اين هذه الثروة وما هو مصدر هذا الارتقاء . أمن خيرات لبنان ام من مساعي حكومتهِ ام من عدل الولايتين المجاورتين لهُ . كلا لا شيء من ذلك بل من المهاجرة التي اغدقت عليهِ ينابيع الثروة وعلمت ابناءهُ الاقتداء بالامم المتمدنة . ولقد هاجر اللبنانيون تجارًا ولو ببضائع زرية ليس لها كبير قيمة ولا هي من بضائع كبار التجار فركبوا البحار كما كان يفعل اسلافهم الفينيقيون وضربوا في ولايات اميركا الشمالية والجنوبية ووصلوا الى استراليا والترنسفال واقاموا في عواصم اليابان واكتسبوا من الامم التي اتجروا في بلادها وعادوا بالاموال الوافرة فبنوا البيوت وابتاعوا الاملاك وكرروا السفر ولا يزال هذا شأنهم الى الآن فاستفادوا وافادوا مدن الساحل المجاورة لهم . والذين لم يهاجروا شاركوا المهاجرين في الكسب لانهم عاملوهم او باعوهم بعض املاكهم باغلى الاسعار حتى ان ما يساوي مئة جنيه من مزارع التوت وكروم العنب بيع بثلاثمئة جنيه او باربع مئة فتوزعت بذلك الاموال المكتسبة من المهاجرة على سكان الجبل وما يجاورهُ وهذا شأن كل القرى السورية التي هاجر سكانها للمتاجرة . وسأعود الى تفصيل هذا الاجمال في الفصول التالية واصف ايضًا ما لقيتهُ من كرام السوريين عمومًا واللبنانيين خصوصًا من الحفاوة التي لا استحق عشر معشارها تحدثًا بفضل اصحابها . ثم استطرد الى سياسة البلاد الحاضرة ورأي اصحابها فيها

(٢) الزراعة والصناعة والتجارة والامارة والضيافة

لا مندوحة للكاتب العربي عن الرجوع الى تقسيم المعايش كما جرى عليهِ حكماء العرب الى زراعة وصناعة وتجارة وامارة . ويضاف الى ذلك باب خامس وهو الاكتساب من الزوار والسياح والمصطافين وقد اطلقت عليهِ اسم الضيافة ولو كانت الضيافة اصلاً لاكتساب الاسم لا المال

الزراعة — وجدت الزراعة قد اتسع نطاقها في جهات سورية ولبنان خلافًا لما ينتج عن مهاجرة السكان وفساد الاحكام وربما لم تتسع كما يجب لان خمسًا وعشرين سنة من سني الرخاء يزيد السكان فيها اربعين او خمسين في المئة فيجب ان يزيد سكان سورية ولبنان فيها سبع مئة الف نفس وعدد المهاجرين الآن ليس اكثر من مئتي الف فيبقى نحو خمس مئة الف نفس زادوا في البلاد منذ خمس وعشرين سنة الى الآن ولا يظهر لنا ان الزراعة زادت على هذه النسبة ولو كانت زيادتها كبيرة

واكثر الزيادة في غرس الجنائن والبساتين والتوت والكرم وفي زرع الاحراش في لبنان

ولاسيما في المتن من مديرياتهِ فان جوانب اكامهِ اكتست باشجار الصنوبر . ولو بذلت العناية لزرع الحراج في كل لبنان من جنبيهِ الغربية والشرقية وفي كل الجبال السورية ومنعت المعزى من رعيها واستئصال الحراج الطبيعية لكان من ذلك مورد ثروة كبيرة جدًّا ولزاد بالحراج مقدار المطر ولغزرت الينابيع ولو لم يزد لان جذور الاشجار تقي التراب من جرف المطر لهُ والتراب يمتص الكثير من ماء المطر فيغور في الارض ويجري مع ينابيعها بدلاً من ان ينحدر عنها ويجري مع مياه الغدران

ولكل الدول المتمدنة اعتناء عظيم بتحريش بلادها وحفظ حراجها وقد رأينا الناس في سويسرا لا يقطعون من اشجار حراجهم الا عددًا معلومًا كل سنة واشجارًا معينة جارين في ذلك على نظام معلوم حتى يزيد عدد الاشجار في الحراج ولا ينقص . ونتذكر ان فرنقو باشا متصرف لبنان الثاني ووالد دولتلو يوسف باشا فرنقو المتصرف الحالي وزع بزور الصنوبر على ضياع كثيرة ورغب الاهلين في زرعها وهي الآن باسقة الاشجار تردد آيات الثناء عليهِ . ولو حذا حذوهُ كل المتصرفين والولاة لكانت جبال سورية الآن مثل جبال سويسرا في كثرة حراجها وغياضها

قال لنا امير من امراء لبنان انهُ جرب التحريش فوجد نفقاتهِ كبيرة جدًّا تزيد عما ينتظر منهُ من النفع . وقد اصاب لانهُ من الذين لا يعملون بايديهم ولا يراقبون املاكهم بانفسهم فلا عجب اذا كلفهُ زرع الحراج نفقات كثيرة اما الفلاحون والملاك الذين يراقبون املاكهم بانفسهم ويقتصدون في نفقاتهم ولا تذهب اموالهم اجوراً لخدمهم فلا يكلفهم زرع الحراج ما يكلف غيرهم

ويظهر لنا انهُ لا بد لحكومة سورية وحكومة لبنان من ان تجريا مجرى الحكومة المصرية في ضرب الضرائب على الاراضي البور التي يمكن ان تزرع حراجًا او زراعة اخرى اجباراً لاصحابها على زرعها واستثمارها . وليس من العدل ولا من الحكمة ان يكون لزيد مئة دنم او مئة فدان من الارض البور التي تحميها الحكومة من اعتداء الاخرين عليها وتزيد لهُ قيمتها بما تفعلهُ لترقية البلاد بنوع عام وهو لا يدفع شيئًا للحكومة عن هذه الحماية وهذه الترقية بل يترك ما في ارضهِ من الخيرات الطبيعية يضيع سدًى من غير ان ينتفع بهِ احد . فاذا ضربت الضرائب على الاراضي البور اضطر اصحابها ان يزرعوها او ان يبيعوها لمن يزرعها فتحصل الفائدة المطلوبة من استثمارها

ويسهل منع المعزى من الاضرار بالحراج بل من استئصالها وذلك بضرب الضرائب

الثقيلة عليها فاذا ضربت الحكومة ريالاً او ريالين على كل رأس من المعزى اضطر اصحابهُ ان يذبحوهُ فتنجو البلاد من آفة لا اضرَّ منها عليها

ولم ارَ تقدماً يذكر في اتقان الزراعة فلا يزال الزيتون يحمل سنة و يبطل الحمل اخرى مع ان اهالي ايطاليا وفرنسا يعالجونهُ حتى يحمل كل سنة . ولا تزل الكروم في لبنان قليلة الحمل مع ان الجزويت اتوا بدوالي تحمل اكثر منها كثيراً وقد رأينا الكروم في سويسرا وايطاليا وحملها يزيد على حمل كروم لبنان ورأينا في الكرم الواحد من لبنان دوالي كثيرة الحمل جدًّا مع ان اكثر دوالي الكروم قليل الحمل فلو اعتني بالزراعة الاعتناء الواجب لاكثر اربابها من زرع ما يكثر حملهُ لا غير

اما زراعة التوت والليمون وسائر اشجار الفاكهة في مدن الساحل وغوطة دمشق فنظن انها بلغت حد الاتقان لانهُ ليس افخر من برتقال يافا ومشمش صيدا وتفاح الزبدانة وعنب دمشق ودراقنها (خوخيا) وكمثراها

•*•

الصناعة — لقيت الصناعة السورية من مزاحمة البضائع الاوربية ما اضعفها وكاد يقضي عليها فبطلت صناعة الفخار الاَّ الجرار والاباريق وضعفت صناعة الصابون وقلت انوال الحياكة بعد ان كانت منتشرة في كل المدن والقرى ولكن البقية الباقية من الصناعة السورية ليست مما يستخف بهِ فكل المصنوعات الخشبية تصنع الآن في البلاد السورية و يصدر من مصنوعات دمشق المطعمة مقدار ليس بالقليل يرسل الى اوربا واميركا والقطر المصري . وقد استحضر السوريون احدث الآلات والادوات لاتقان اعمال النجارة وتسهيلها حتى اننا رأينا نجاراً في قرية حمانا من قرى لبنان يستعمل آلة بخارية لادارة مخارطهِ ومناشيرهِ . ولاهالي دمشق والزوق وبكفيا تجارة واسعة بمنسوجاتهم الحريرية والصوفية والقطنية فترسل الى اوربا واميركا والقطر المصري والحجاز وبر الاناضول وقس على ذلك المصنوعات الصوفية على انواعها . وقد شاعت الآن صناعة جديدة — صناعة حبك الدانتلات على انواعها وهي خاصة بالنساء . ففي بيروت معمل فيهِ الف بنت يعملن بهذه الصناعة ويشاركهن في ذلك كثيرات من بنات لبنان. وقد شاهدت بنات الجبل لابسات افخر الملابس كبنات المدن فقيل لي انهنَّ يلبسن كذلك من عمل ايديهنَّ فان الابنة منهنَّ تكتسب في يومها من بشلكين الى خمسة بشالك من صناعة الحبك وعمل النول . وترسل هذه المصنوعات الى اميركا حيث يروّج اللبنانيون سوقها فيكون كل ربحيا لهم وقد رأيت مخازن دمشق مملوءة بالمنسوجات الدمشقية قلدوا بها الكشمير في

كل اشكالهِ · ونهض الدماشقة الآن يتباهون بلبس المنسوجات الوطنية ولكنهم يجلبون الغزل من اوربا فلو انشئ في البلاد معمل يغزل القطن المصري او قطناً سورياً طويل الشعر كالقطن المصري ونسجت المنسوجات منهُ وعرف الناس مزيتهُ من حيث متانتهُ ولمعانهِ لدفعوا ثمنهُ مضاعف ما يدفعون ثمن ما ينسج من غزل اوربي وكانوا هم الرابحين · اما اتقان الدماشقة لصناعة الخشب المخروط والمطعم ولصناعة البلاط المنزل فسأعود اليهِ في الكلام عن مباني دمشق

***

التجارة — السوريون بنوع عام تجار ابناء تجار ورثوا الميل الى التجارة من اسلافهم الفينيقيين الذين كانوا يأخذون مصنوعات صور وصيداء وارواد من الخز والصوف والكتان والجلود والارجوان ويسيرون بها بحراً الى سواحل اوربا وافريقية والهند ويتاجرون بها ويجلبون بدلاً منها الذهب والفضة والنحاس والقصدير والعاج والابنوس · ومن اسلافهم العرب الذين كانت قوافلهم حلقة الاتصال بين الشرق والغرب

والمهاجرة التي شاعت منذ ثلاثين سنة الى الآن انما هي ضرب من المتاجرة فان الذين يهاجرون يذهبون الى اوربا واميركا وافريقية واستراليا وجزائر البحر بمصنوعات بلادهم ويتجرون بها ويعودون بالاموال التي كسبوها منها· وقد توطن بعض المهاجرين في البلاد التي هاجروا اليها كما فعل اسلافهم الفينيقيون الذين عمروا قرطاجنة وكانوا اكبر انداد الرومانيين نعم ان مفهوم التجارة في هذا العصر اسمى من ان يتناول بيع السلع الصغيرة بالتفاريق كالمسابح والدمالج وما اشبه مما يبيعهُ بعض المهاجرين ولكن معنى التجارة الاصلي بيع البضاعة مهما كان نوعها وهذا ما يفعلهُ المهاجرون · ولبعضهم بيوت تجارية كبيرة تتعاطى التجارة باوسع معانيها وتقدر البضائع التي في مخازن بعضهم بمئات الالوف من الليرات وترى بيوت السوريين التجارية منتشرة في اكبر عواصم الدنيا مثل لندن وباريس ونيويورك والاستانة ولفربول ومنشستر والاسكندرية وريوجنايرو ويوكوهاما وهي تتاجر بكل البضائع الشرقية والغربية ولا شبهة في ان فساد الحكومة الماضي الجأ الوفًا الى المهاجرة ولم يكونوا ليهاجروا لولا ذلك ولكن هذه المهاجرة لم تضر بهم ولا ببلادهم بل استفادوا هم واستفادت البلاد ايضاً وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم · ولا نشير على الحكومة الحاضرة ان تقف في سبيل المهاجرة بوجه من الوجوه · وان كان ستون في المئة من المهاجرين قد عادوا الى بلادهم في العصر الماضي مع فساد احكامها فاذا صلحت الاحكام عاد تسعون في المئة من المهاجرين وصارت مهاجرتهم اسفاراً تجارية لا غير

وللبلاد ربح آخر من المهاجرة لا ينال بدونها وهو ان المهاجرين يعودون واسعي الاختبار عارفين باساليب العمران الجديدة ولا بد من ان يفيدوا بلادهم بها كما يشاهد الآن عياناً . نعم ان بعضهم يعودون بالامراض والاسقام ولكنهم قلال بالنسبة الى غيرهم وليس في الدنيا خير محض لا يمازجهُ شيء من الشر

ولم اجد سبيلاً للوقوف على ما زاد في ربح البلاد من الزراعة والصناعة والتجارة منذ خمس وعشرين سنة الى الآن ولكنني وقفت على دليلين قاطعين على زيادة السعة او زيادة الاموال في البلاد . الاول ارتفاع اجور العمال . فالبناء الذي كانت اجرتهُ نصف ريال منذ ثلاثين سنة صارت اجرتهُ الآن ريالاً ونصفاً . والمئة التي كانت تستدان بخمسة عشر منذ ثلاثين سنة صارت تستدان الآن بستة الى تسعة في السنة . وقد بلغني عن بعض المهاجرين الذين رجعوا من اميركا انهم لما لم يجدوا من يستدين منهم اموالهم بفائدة اودعوها بعض الصيارفة واعطوهُ اجرة ايداعها

⁂

الامارة — اريد بالامارة خدمة الحكومة والتوظف في وظائفها وهي مورد عذب كثير الزحام كان كذلك في العهد الماضي لا طمعاً بالراتب لانهُ لا يشبع من جوع بل طمعاً بما يكتسب من مال الرشوة . فاذا بطلت الرشوة تماماً لم يعد فيها مطمع ولو تضاعف الراتب . وخدمة الحكومة على ما لها من الشأن الكبير ليست من المعايش الكبيرة لان رجال الحكومة من اعلاهم الى ادناهم لا يزيدون على واحد او اثنين في الالف من عدد السكان . ولم اكن لاهتم بهذا الموضوع وانا اتكلم عن المعايش بنوع عام لولا اني رأيت في لبنان امراً لا يصح السكوت عنهُ وهو ان طلاب الوظائف فيهِ يقلقون راحتهُ ويحبطون مساعي متصرفهِ في اصلاحهِ فالمتصرف يشكو منهم والموظفون يشكون منهم ولم اكلم وجيهاً من وجهاء الجبل الا رأيتهُ يشكو منهم . وقد ذكروا لي اموراً في حد الغرابة فيخسر الواحد من طلاب الوظائف مئات والوفاً من الليرات للحصول على وظيفة لا ليكتسب من راتبها بل ليقهر خصومهُ او ليزيد نفوذهُ في بلدهِ واذا لم يفلح في نيل الوظيفة عربس الحكومة في اعمالها بما يلقيهِ في طريقها من المشاكل والعثرات

واری ان دواء هذا الداء سهل جدًّا وهو ان تجري حكومة لبنان مجرى الحكومة المصرية فلا تعزل موظفاً ابداً الا اذا ارتكب ذنباً يوجب عزلهُ بعد محاكمتهِ فيثبت الموظفون الحاليون في وظائفهم من قائمقامين ومديرين وقضاة وكتاب وما اشبه ولا يبقى لاحد مطمع

فيها وتزول المضار الناتجة عن تطلب الوظائف

وينتظر اهالي الولايتين سورية وبيروت من الحكومة الدستورية ان تمهد الوظائف لابنائهما الأكفاء لانهم اعرف بالبلاد من غيرهم وهذا لا ينفي توظيف الاتراك في الولايتين كما لا ينفي توظيف ابنائهما في ولايات اخرى . وما الوظيفة في الحكومة سوى عمل يقتضي ان ينتدب لهُ اقدر العمال عليهِ فيجب ان تكون الكفاءة الشرط الاول الذي يشترط في مأمور الحكومة . ولا يخفى ان معرفة اللغة العربية من اهم لوازم الكفاءة في هاتين الولايتين فاذا تساوت بقية الاوصاف وجب ان يفضل ابن البلاد على غيرهِ لخدمة بلادهِ

⁂

الضيافة — بلاد الشام كلها اي ولاية سورية وولاية بيروت ومتصرفية لبنان ومتصرفية القدس اكثر البلدان العثمانية مقصداً للسياح والزوار لان فيها بيت المقدس قبلة المسيحيين ومحط آمال الاسرائيليين وفيها دمشق الفيحاء باب الكعبة واقدم مدن الدنيا وفيها جبل لبنان الذي لا يفوقهُ جبل في جودة مائهِ وطيب هوائهِ واعتدال الحر والبرد فيهِ وقد صارت ولايتا سورية وبيروت الآن طريق الحج الى مكة المكرمة فلا عجب ان قصدها الزوار والسياح والمصطافون من كل اقطار المسكونة ولاسيما اذا ضرب الامن اطنابهُ فيهما وبذلت العناية التامة في اراحة الواردين اليهما. اما الربح الذي تنالهُ البلاد منهم فاكثر مما يظن فان اهالي سويسرا مثلاً يربحون من زوار بلادهم ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات كل سنة والمجلس البلدي بباريس يربح من زوارها كل سنة سبعة ملايين من الجنيهات وميزانيتهُ كلها اربعة عشر مليوناً

وقد رأينا من اهتمام اللبنانيين بالمصطافين ما يذكر لهم بالشكر فانهم انشأوا الفنادق الكبيرة واتقنوها ولاسيما في صوفر وزحلة وعاليه وسوق الغرب وبمكين وبحمدون وعين زحلتا وظهور الشوير . وكل قرى الجبل الكبيرة الغزيرة الماء تصلح للاصطياف اذا بنيت فيها الفنادق المتقنة وربطت مع بيروت بالبوسطة والتلغراف . وطرق المركبات منتشرة الآن في كل انحاء الجبل ومتصلة بكل قراهُ الكبيرة ولكن يعوزها كلها « المونسات » والاصلاح المستمر . وحبذا لو وسعت كلها حتى يسير عليها الاتوموبيل بسهولة . ولا بد من رشها كلها في القرى وحولها حيث يكثر السير عليها فيكثر الغبار فيها

ومن العبث ترك الامور العمومية كاصلاح الطرق ورشها للاهالي انفسهم لانهم قلما يجمعون على شيء واذا اجمعوا عليهِ اليوم نقضوهُ غداً فيحسن بحكومة لبنان ان تنشئ ادارة مخصوصة تتولى امر الطرق والمنافع العمومية وترصد عليها ريع الاراضي المشاع او تضرب

ضرائب جديدة على الاملاك التي تنتفع من اصلاح الطرق على نسبة انتفاعها منها

هذا كلام مجمل عن معايش السكان ولا يسعني المقام الآن لزيادة الاسهاب . وقد سألت دولة والي سورية عن نسبة بلاد الشام الى غيرها من ولايات السلطنة العثمانية التي رآها فقال ان ما رآهُ منها حتى الآن يجعلها من ارقى الولايات العثمانية ولا يفوقها الأ ولاية سلانيك وانهُ اذا استتب الامن والعدل فيها فاقت كل الولايات العثمانية

(٣) الطرق والمصايف وبيوت السكان

رأيت التغيير كبيراً في سورية ولبنان كما تقدم في رسالتي السابقتين واكبرهُ في الطرق والمصايف وبيوت السكان وها انا شارح ذلك بشيء من الاسهاب

***

الطرق — لما اتيت حيفا وسمعت صوت القاطرات فيها ورأيت سكتها الحديدية قلت هنا مبدأ تغيير كبير ستنال منهُ البلاد الثروة الطائلة والنفع العميم . لان كسب الناس بعضهُ من استثمار الارض واستعمال القوى الطبيعية وبعضهُ من الاقتصاد في قوتهم وقوة دوابهم ومواشيهم باستخدام البخار للعمل والنقل . ولم ترجح كفة اوربا علينا في الزراعة والصناعة والتجارة الأ منذ اعتمدت على البخار في اعمالها

وقد اقيم في حيفا نصب جميل تذكاراً لفتح هذه السكة وهو من الرخام يمثل دقة الصناعة ولو لم يمثل فخامتها . وقد ظهرت فوائد السكة بارتفاع اثمان الاراضي وكثرة البضائع المشحونة الى حيفا ومنها . ولا بد من انشاء مرفإ لهذه المدينة ورصيف كبير لتفريغ البضائع لان رصيفها الحالي لا يليق بقرية صغيرة . وانشاء المرفإ لها لا يقتضي نفقة كبيرة . وقد يظن لاول وهلة انهُ يضر بمرفإ بيروت وببيروت نفسها ولكنني لا ارى الامر كذلك لان خيرات البلاد كثيرة وهي قابلة النمو الى حد يفوق التصديق فينال كل من المرفأين حظاً وافراً منها وهب انهُ اضر فالتنازع يقع بين المدن كما يقع بين افراد الانسان والحيوان ولا عذر للمقصر فيهِ

وستشمل فوائد هذه السكة كل البلاد التي تمرّ فيها وتصل اليها ولاسيما بلاد حوران حيث تزيد غلة القمح على طعام السكان . وكان نقلهُ الى السواحل البحرية يتعذر في غالب الاحيان لغلاء اجرتهِ . وقد شرعت دمشق تجني فوائدها بنقل فواكهها وبقولها الى الاماكن القاصية عدا مصنوعاتها المختلفة

ولما وصلت الى بيروت ورأيت السكة الحديدية الصاعدة الي دمشق والسكة الذاهبة الى المعاملتين وازدحامهما بالركاب والبضائع زالت من نفسي غصة كنت اشعر بها كلما رأيت قطرات سكة الحديد تنساب في البلدان الاوربية سهولها وجبالها والبلاد السورية خالية منها

والقطر بين بيروت ودمشق يسير الهوينا لشدة الميل لكن الراكب لا يمل لكثرة ما يراهُ من المناظر البهجة على الجانبين بين آكام توشحت بالحراج والكروم ووهاد تغطت بالحدائق والبساتين وبين هذه وتلك بيوت القرى واكثرها جديد ابيض الجدران احمر السطوح تدل على رفاهة السكان ورخاء المعيشة . وكلما وصل الى محطة والمحطات كثيرة رأى كثيرين في انتظار القادمين او توديع الذاهبين وهم رجال ونساء بوجوه طليقة وثياب نظيفة

وقد تساهلت سكة الحديد للمصطافين في الاجور حتى صار بعضهم يستسهل قضاء الصيف في عاليه او بحمدون وما يجاورها وينزل الى بيروت ويصعد منها كل يوم . روي عن الاستاذ الحوراني انهُ سئل اين نقضي فصل الصيف الآن فقال في « التران » (القطر) لانهُ يصعد وينزل كل يوم

ورأى المصطافون ان يجعلوا السفر نزهة حتى لا يملوا فتراهم في القطر يأكلون النقل ويشربون القليل من العرق او نحوهِ على جاري عاداتهم قبل العشاء ولم اسمعهم يتحدثون باشغالهم ومتاجرهم كأنهم ترفعوا عن هموم الحياة ومشاغلها لكن لا يندر ان يحدثوك عن احوال الحكومة وما هي سائرة اليهِ

ومتى اجتازت السكة صوفر ووصلت الى ظهر البيدر صارت الارض قاحلة على الجانبين لشدة البرد هناك شتاء وتراكم الثلوج ولكنك لا تلبث ان تطل على سهل البقاع وهو مزروعًا وغير مزروع من اجمل بقاع الدنيا لاختلاف الوان ارضهِ ومزروعاتهِ لاسيما وان جانبًا كبيرًا منهُ بساتين من شجر التوت وجنائن من الفاكهة يحيط بها شجر الحور كالسوار بالمعصم . ولهذا الشجر ريع كبير لانهُ لا يشغل الاَّ مساحة ضيقة من الارض وقد يبلغ ثمن الشجرة منهُ مئة غرش او مئتي غرش اذا بلغ عمرها عشرين سنة الى ثلاثين ويسع الفدان الوفًا من اشجارهِ ومتى زرع مرة لا يعاد زرعهُ ثانية لان خراعيب الشجرة المقطوعة تقوم مقامها . ولا بد من ان يكثر السكان من زرعهِ في كل الاماكن التي يكثر ماؤها متى تيسرت لهم وسائل نقل خشبهِ ورخصت

ويتساب القطر في البقاع يسرع تارة ويبطئ أخرى على غير انتظام . لكن الراكب

لا يمل لانهُ يرى اكام لبنان الشرقي والغربي تتغير امامهُ دواماً وهي متساندة بعضها فوق بعض كالقباب وقد اختلفت الوانها فازرت بقوس السحاب . والسند الغربي منها كثير القرى والدساكر والكروم والبساتين واما الشرقي فيكاد يكون قاحلاً لكن محلهُ زادهُ مهابة . ثم تبتدئ البساتين على جانبي الخط قرب محطة رياق حيث يلتقي خط دمشق بخط حلب وبعلبك وتستمر الى ان يدخل الخط منفرجاً في الجبل الشرقي تجري فيهِ المياه فتحيي ما زرع فيهِ من شجر ونجم . والماء حياة الحيوان والنبات ولا ادل على ذلك من هذا الوادي الذي يكاد يكون شقاً بين صخرين شاهقين يرتد عنهما الطرف كليلاً فان السيول جرفت اليهِ ما استقر فيهِ من التراب وانبثقت الينابيع من جوف الجبل فسقت ما زرعهُ الانسان من شجر ونبات فزكا زكاء عجيباً

والوادي ضيق جداً كثير التعرج لكنهُ غض الشجر ملتفهُ تترقرق المياه فيهِ كالصهباء وتنساب كبطون الحيات . ثم ينفرج عند الزبداني عن جنائن كجنائن الخلد وفراديس جمعت انخر ما ولدتهُ يد الانسان من ثمار الارض . ترى العنب والتفاح والاجاص (الكمثرى) فتظنها ثمرات صناعية لا طبيعية لجمال الوانها وانتساق اشكالها . وتجد من النكهة والفكاهة في رائحتها وطعمها ما لا تجدهُ في غيرها . والاولاد يبيعون سلالها للركاب وهم بثياب نظيفة ووجوه صبيحة فلا يخطر ببالك ان تغسل شيئاً تشتريهِ منهم . وقد تشتري سلة بغرش فتجد فيها اقة او اكثر من العنب الفاخر

ومن هناك تصير الينابيع تجري الى جهة دمشق الى ان تدخل غوطتها المشهورة هي وسكة الحديد وهنا يقف القلم عن الوصف عجزاً

ولا أدري لمن الفضل الاكبر في خصب هذه الغوطة أللصناعة ام للطبيعة خمسون الف فدان كانها بستان واحد من ملتف الشجر من كل انواع الفاكهة التفاح والمشمش والدراقن (الخوخ) والسفرجل والكمثرى والكرز ومن الاشجار المثمرة وغير المثمرة كالزيتون والجوز والحور والدردار وكروم العنب المختلفة الاشكال والانهر تجري في اعاليها واسافلها متدفقة متزاحمة على ارتفاعات مختلفة و بعضها شديد التحدر جداً فيرغي و يزبد كالبحر الخضم حتى ان الماء الذي حُوّلت قوتهُ الى كهربائية لانارة دمشق واجراء الترامواي فيها يبلغ ارتفاعهُ مئة قدم مع انهُ لم يحجز الا مسافة قصيرة جداً . وكأن وقوع هذه الغوطة بين جبال شاهقة نقية الهواء وريها من ينابيع صافية خالية من كل شائبة زادا في نماء اشجارها وزكاء اثمارها

••

والخط بين بيروت والمعاملتين لا تقل مناظرهُ جمالاً عن مناظر الخط بين بيروت ودمشق فمن الجهة الواحدة ترى البحر يرغي و يزبد هائجًا مائجًا او يتجعد و يتنفس هاجعًا خاشعًا وهو في الغالب ازرق كاللازورد شفاف كالبلور انبسطت الجنائن والبساتين على ساحلهِ حتى لثمت صفحة خدهِ ومن الجهة المقابلة ربى لبنان بحراجها ووعورها وبيوتها وقصورها مخاريط متساندة متلاصقة عرّت صخورها الامطار وخدّدت جوانبها السيول ولكن بقي فيها من التربة ما يكفي لنمو الصنوبر والسنديان والملول والتين والكرم والزيتون

ويمر الخط في طريق ملوك بابل واشور في سكة الفراعنة والبطالسة والقياصرة الى ايام بونابرت ملوك لم تزل آثارهم على صفحات تلك الصخور الشواهق شاهدة على سعي الناس في طلب الكسب ولو بتحمل اشد المشاق وقتل الالوف من العباد . وقد استتب لابناء هذا العصر ما عجز عنهُ اولئك الملوك العظام مع شديد بطشهم وواسع ملكهم وكثرة من ساقوا من الجنود والاسرى لان هؤُلاء قطعوا الصخر ومهدوا طريقًا على شاطىء البحر فسارت فيهِ المركبات والقطرات واما اولئك فاضطروا ان يسيروا بخيلهم ومركباتهم فوق الصخور والعراقيب

وقد انعمت نظري في بيوت السكان من نهر بيروت الى اسكلة جونيه ومن ساحل البحر الى اعلى ما يصل اليهِ البصر لاستدل منها على مبلغ ثروتهم ورفاهتهم لان ذلك اصدق دليل على نجاحهم وصلاح حالهم . وغني عن البيان ان اكثر هذه البيوت جديد لم يكن شيء منهُ منذ ثلاثين سنة واتفق اني لقيت حينئذٍ سيدة اميركية ربيت في الشام ووقفت نفسها على خدمة ابنائهِ وهي الدكتورة ماري ادي فسألتها عن معيشة السكان في بيوتهم فاكدت لي انها صالحة جدًّا وقد ترقت كثيراً عما كانت عليهِ منذ عشرين سنة او ثلاثين. ولما اشرف القطر بنا على جونيه لم اصدق اني ارى امامي القرية الصغيرة التي رأيتها منذ ثلاثين سنة فانها اصبحت مدينة كبيرة ببيوت فخيمة تضاهي بيوت المدن الاوربية.وقد بنت تلك السيدة مستشفى للمسلولين الى شمالها لطيب هوائها وبنت لهم مستشفى آخر في الشبانية بوادي حمانا الذي تغزل في وصفهِ لامرتين الشاعر الفرنسوي . والمسلولون يقيمون هناك في فصل الصيف وهنا في فصل الشتاء فيشفون في المصحين بطيب الهواء وجودة الغذاء

هذه هي الطرق الحديدية التي رأيتها ولا بأس بها ولا بمركباتها ولا بما يراهُ الركاب من المعاملة . بل ان معاملة الركاب فيها احسن من معاملتهم في القطر المصري فاذا كان مع راكب صندوق كبير يتعذر دخولهُ في مركبة الركاب وضعوهُ في مركبة الامتعة من غير اجرة . ولم ارَ شيئًا من الخلل الا في عيد الفطر اذ ازدحمت المركبات بالركاب ازدحامًا يفوق الحد والى

بعضهم ان يدفع الاجرة المطلوبة منهُ ففض الكوميسارية الطرف تجنباً للنزاع . ثم ان احد الركاب اغتنم فرصة دخول القطر في نفق مظلم فاطلق مسدسهُ مراراً من النافذة فاقلق الركاب ولكن قبض عليهِ قبل ان هرب . واتفق اني دعيت للعشاء مع دولة والي بيروت عشية ذلك اليوم فقال في حديث طويل انهُ منع اطلاق البارود في رمضان فقلت لهُ ولكنهم اطلقوهُ في القطر فقال نعم ولكننا قبضنا على الذي اطلقهُ حالاً وسيعاقب عقاباً صارماً . فدل بذلك على تيقظهِ التام

* * *

اما طرق المركبات فالتي رأيتها منها في المدن في يافا وحيفا وبيروت ودمشق اكثرها لا يصلح ان يكون في مزرعة صغيرة نعم ان في يافا شارعاً جديداً طريقهُ جيد وكذلك في دمشق طريق جديد خارج المدينة ولكن الطرق الداخلية كلها وطرق بيروت الا القليل منها كثيرة الحفر والحجارة خالية من الماشي الجانبية . ومن الغريب انك ترى في دمشق اسواقاً واسعة مسقوفة بقناطر من الحديد مثل احسن اسواق المدن الاوربية الكبرى ولكن ارضها تراب غير مستو ولا مماشي فيها فيختلط المارة بالبغال والجمال والمركبات على انواعها . والحوادث قليلة ولكن هذا الاختلاط يعيق الناس والدواب عن السير ويضيع الوقت سدى . وقد سألت اولياء الامر في بيروت ولبنان ودمشق وحيفا ويافا لماذا لا يصلحون الشوارع ويرصفونها فشكوا كلهم شكوى واحدة وهي قلة المال لدى المجالس البلدية

ومن الغريب ان الرجل الذي ينفق خمسة آلاف جنيه على بناء بيت يبخل بخمسة جنيهات في السنة على اصلاح الطريق الموصل اليهِ بل قد يحتال حتى يأخذ شبراً من الطريق . هذه حال لا ترضي بوجه من الوجوه ويجب ان يقدم توسيع الشوارع على بناء البيوت وان يقدم اصلاحها على اصلاح المساكن . والظاهر ان الناس عرفوا كيف يعيشون ويحسنون معيشتهم افراداً مستقلين ولكنهم لم يعرفوا حتى الآن كيف يعيشون جماعات فكل بيت جديد على حدتهِ حسن البناء والاثاث والرياش ولكن مجموع البيوت غير منتظم والمنافع العمومية التي يشترك الجمهور فيها مهملة كل الاهمال لان الحكومة لا تهتم بها الاهتمام الواجب ولا المجالس البلدية تقوم بما يجب عليها . ولعل الحال تتغير قريباً فان الولاة الثلاثة الذين حادثتهم في هذا الموضوع والي بيروت ووالي سورية ومتصرف لبنان رأيتهم مهتمين باصلاح الحال

وطرق لبنان احسن من طرق المدن ولكنها تفتقر كلها الى المؤنسات والى الاصلاح المستمر . ولا بد من توسيع اكواعها لكي تصلح لسير الاوتوموبيل عليها فاذا صارت كلها

صالحة لسيره لم تبقَ قرية من قرى لبنان الاَّ صارت صالحة للاصطياف · نعم ان الاموال اللازمة لاصلاح الطرق كثيرة ولكن الفائدة التي يجنيها الجبل من اصلاحها تربو على ما ينفق اضعافاً مضاعفة

وفي لبنان طريق قديم للمركبات وهو طريق الدجنس بين بيروت ودمشق وقد ردتهُ شركة الدجنس الى الحكومة العثمانية فوهبهُ السلطان عبدالحميد لنظارة الحربية كأَن الجيش العثماني لا يحق لهُ ان يمر في لبنان الاَّ على هذا الطريق · ولا غرابة في ما عملهُ عبدالحميد لان اعمال المجانين لا قيد لها ولكن الغرابة في ان الحكومة الدستورية لم ترَ حتى الآن فساد هذه الهبة وضررها بحقوق السلطنة

وقد ارادت متصرفية لبنان ان تصلح هذا الطريق وتضع رسمًا طفيفًا على ما يمرّ عليهِ من الدواب والمركبات لكي تنفق منهُ على اصلاحهِ فابت عليها نظارة الحربية ذلك · فان كان المراد الاعتراض على وضع الرسم فالاعتراض حسن ويحسن بلبنان ان يصلح هذا الطريق ويبقيهُ حرًّا كما هو الآن والنفقات التي تنفق على ترميمهِ واصلاحهِ لا تضيع لان نفعهُ كبير جدًّا للجبل كلهِ · وان كان المراد ان يباح للبنان ترميم الطريق واصلاحهُ ثم يمنع ابناؤُهُ من السير عليهِ من غير ان يدفعوا رسمًا للحكومة العثمانية فذلك اجحاف مضر بمصلحة لبنان · وخير من هذا وذاك ان تلغي الحكومة الدستورية ما فعلهُ عبدالحميد لانهُ مناقض لسلطتها على لبنان ومضر بمصلحة سكانهِ وهو جزء لا يتجزأُ من املاكها فتترك الطريق لهُ ليصلحهُ وينتفع بهِ

وقد انشئت طرق لبنان كلها باموال يدفعها سكانهُ المكلفون فيدفع العامل الفقير منهم الذي لا يملك شروى نقير كما يدفع الغني صاحب الاملاك الواسعة والثروة الطائلة مع ان الثاني يستفيد من انشاء الطرق واصلاحها اضعاف اضعاف ما يستفيدهُ الاول · واهالي بيروت الذين لهم املاك واسعة جدًّا في لبنان لا يدفعون غرشًا واحداً لانشاء هذه الطرق واصلاحها وقس عليهم رهبان الاديرة مخالفين بذلك القاعدة القائلة مَن لهُ الغنم عليهِ الغرم · ولا بد من تغيير هذه الحال عاجلاً او آجلاً · واصحاب الاملاك الذين يعارضون حكومة لبنان في وضع ضرائب خصوصية على املاكهم لاجل الطرق يضرون انفسهم ويضرون الجبل كلهُ لان الطرق تضاعف قيمة الاملاك واما الضرائب فلا تكون الاجزءا طفيفًا منها

المصايف — كل قرى لبنان الجبلية تصلح للاصطياف وكذلك قرى الجبال المجاورة ليافا وحيفا وعكاء وصور وصيداء وطرابلس واللاذقية ودمشق ولكني لم ارَ الاَّ مصايف

لبنان وهي اشهرها ولعلها افضلها لجودة مائها وبرد هوائها وسهولة الوصول اليها . وقد بنيت في بعضها الفنادق (اللوكندات) الكبيرة كفندق صوفر الذي يعدُّ من الطبقة الاولى بفخامة بنائهِ وحسن روائهِ وفنادق عاليه وبمكين وسوق الغرب وبحمدون وعين زحلتا وظهور الشوير وزحلة وبعلبك ودمشق . وكلها مثل فنادق القاهرة التي من الدرجة الثانية في فرشها وطعامها ونظافتها واستتباب وسائل الراحة فيها لكن الخدم اللبنانيين لم يبلغوا مبلغ الخدم الاوربيين في تنظيم المائدة وتنظيف غرف النوم ولا منظرهم يرضي الناظر مثل منظر الخدم الاوربيين ولاسيما الندل الذين يخدمون على المائدة فان الخادم يجب ان يكون نظيفاً في لبسهِ لبقًا في حركاتهِ . والاجرة التي تأخذها الفنادق وهي ثمانية فرنكات في اليوم ليست قليلة بالنسبة الى رخص البلاد فان الفنادق التي تأخذ ثمانية فرنكات في سويسرا اكثر منها اتقاناً واكثر اساليب لتسلية المصطافين

اما الطعام فجيد وهو كثير يزيد على الحاجة وكذلك الفاكهة فانها في فنادق لبنان اكثر منها في فنادق اوربا فترى على المائدة صحاف التين والعنب والكمثرى والتفاح والبطيخ صباحاً وظهراً ومساء حتى لو اراد احد ان يعيش على الفاكهة وحدها كما يفعل المتحمسون في وصفها علاجاً لكل الامراض لرأى ما يكفيهِ منها

والغالب ان يكون الفطور من لبن وشاي او لبن وقهوة وجبن ومربى وعسل وبيض مسلوق او مقلوّ . والغداء من مقبلات ولونين من اللحم ولون من السمك او الطير والعشاء من شوربا ولونين من السمك او الطير ولا يقدم الشاي بين الغداء والعشاء

ولا بدَّ من زيادة الاعتناء بالنظافة والخدمة ومن إلباس الخدم كلهم ثياباً نظيفة جدًّا ولو وقت الخدمة على المائدة

ولا بد ايضاً من رش الطرق التي في المصيف والقريبة منهُ مرتين او ثلاثاً في النهار حتى لا يثور منها شيء من الغبار فيستسهل المصطافون المشي فيها دواماً وتؤْخذ نفقات الرش من اصحاب الفنادق ومن اصحاب البيوت لانهم كلهم يستفيدون منهُ سواء اجروا بيوتهم او لم يؤَجروها

ولا بد ايضاً من انشاء الحدائق والمتنزهات العمومية وساحات الالعاب الرياضية فان في كل مصيف ومشتى من مصايف اوربا ومشاتيها حدائق ومتنزهات وساحات ووسائل مختلفة لتسلية النزلاء وترغيبهم في اطالة اقامتهم كما ترى في بريطن وايستبرن ولندن وجنيف وغيرها من المدن الاوربية

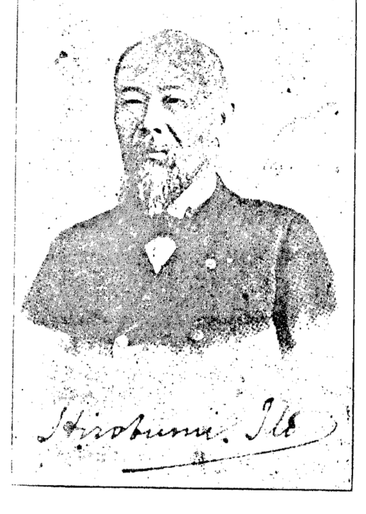
ولا يستهان بالمصايف والمشاتي فان بلداناً كثيرة تعيش منها وتعتمد عليها كأكبر وسيلة لمعيشة سكانها . وليس في القطر المصري مصيف لسكانهِ غير رمل الاسكندرية ورأس البر وهما لا يغنيان عن الاصطياف في بلاد جبلية طيبة الهواء كربى لبنان . ويذهب الآن مئات والوف من سكان هذا القطر الى اوربا لتغيير الهواء فيها فاذا وجدوا وسائل الراحة والرفاهة في لبنان كما يجدونها في اوربا فضلوهُ عليها من كل وجه لاسيما وان القطرين مشتركان في اللغة والمشرب

ومدن الساحل كلها صالحة لان تكون مشتىً لاهالي دمشق ولبنان وللاوربيين الذين يشتون في جنوبي ايطاليا وفرنسا لاسيما وان كثيرين منهم يفدون الى القدس الشريف في الربيع للزيارة فاذا وجدوا في يافا وحيفا وصور وصيداء وبيروت وطرابلس فنادق منتزهات ووسائل للتسلية اقاموا فيها اياماً واشهراً كما يقيم بعضهم الآن في فنادق القطر المصري

ولا ما يمنع بيروت عن ان تكون مقصداً للسياح من كل الاقطار اذا توفرت لهم فيها وسائل الراحة والنزهة واصلحت طرقها التي فيها والتي في ضواحيها حتى يتيسر لهم الخروج للنزهة يوماً بعد يوم. وهذه الاماني لا تحقق في القريب العاجل ولكن ما رأيتهُ من تقدم البلاد السريع في خمسة وعشرين عاماً يوطد الآمال ببلوغ المراد بعد زمن غير طويل

ولا يقتصر الاصطياف على النزول في الفنادق بل يتناول استئجار البيوت المفروشة وغير المفروشة . وطالما سألني سراة المصريين هل نجد في لبنان بيوتاً معدة لنزولنا فيها وجامعة اسباب الراحة فكنت احار في الجواب لاني لم اكن واقفاً على الحقيقة اما الآن فاقول ان البيوت المعدة لذلك موجودة ولكنها لا تفي بالمراد تماماً كالبيوت المعدة لنزول المصطافين والمشتين في اوربا ولاسيما في البلاد الانكليزية حيث تجد البيت الواحد شققاً مختلفة وفي كل شقة غرف منامة وغرفة جلوس وغرفة طعام وللبيت كلهِ مطبخ مشترك او مطابخ مختلفة وحديقة يتنزه المصطافون فيها وفي كل شقة كل ما يلزم لها من الاثاث والرياش . فهل يفعل اهالي لبنان وبيروت مثل ذلك في القريب العاجل ترغيباً للمصطافين والمشتين . اظنهم يفعلون وهم الرابحون لان هذا المورد ليس مما يستخف بهِ

وتختلف اجور البيوت المعدة للاصطياف مدة فصل الصيف من نحو عشرة آلاف غرش الى نحو الفي غرش حسب كبر البيت وصغرهِ وكونهِ مفروشاً او غير مفروش وحسب القرية التي هو فيها . والغالب ان تبلغ اجرة البيت نحو ثلاثة او اربعة في المئة من ثمنهِ فتكاد تكون مثل ريع الاملاك في لبنان



البرنس ايتو وزير اليابان

بيوت السكان — تأنق سكان لبنان وبيروت في بناء بيوتهم وزخرفتها. اما اهالي بيروت فقد جروا في هذا المضمار منذ اربعين سنة او خمسين ولم تزل البيوت التي بنيت حينئذٍ مثل بيوت مرسق وبسترس والجدي وبيهم وحماده والعريس من افخم مباني بيروت وافخرها. ثم كثر ما بني على نسقها ولا يزال البناء مستمرًّا. والغالب ان يكون البيت الواحد طبقتين او ثلاثًا وفي كل طبقة دار فسيحة طولها عشرة امتار الى خمسة عشر مترًا او اكثر وعرضها خمسة امتار الى ستة او سبعة وحولها غرف كثيرة بعضها كبير للجلوس والاستقبال والطعام وبعضها صغير للمنامة. ودائرة المطبخ والخدم متصلة بالبيت ولكنها تكاد تكون منفصلة عنهُ وهي في الغالب الى الجانب الجنوبي الشرقي. وللدار واجهة بثلاث قناطر على شمعتين من الرخام. وقد بنيت البيوت الجديدة في لبنان على هذا النسق بين كبيرة وصغيرة. وزيد اتقان بعضها كما في زحلة وبكفيا فبنيت جوانب الابواب والشبابيك واعتابها بالحجر النحيت وزخرف بعضها بنقوش حسنة وسقفت كلها بالقرميد دفعًا للوكف ولتجمع الثلج. وقد كانت سطوح البيوت قبلاً مستوية فيضطر اصحابها ان يحلوها مرارًا في الشتاء او يحدلوها اذا كانت ترابًا ويجرفوا الثلج عنها اذا كانت في الجبال فكفوا الآن مؤُونة ذلك كلهِ. ولكنك ترى بيتًا انفق صاحبهُ نفقات طائلة على بنائهِ وزخرفتهِ وصنع لهُ طنفًا تحت القرميد من الحجر النحيت ثم تركهُ من غير حمام ومن غير مستراح او بنى فيهِ مستراحًا ولكنهُ لم يضع فيهِ آلة ذات ممصٍ وحوضًا للماء. فهذه الشوائب يجب تداركها حالاً ولاسيما في البيوت المعدة للتأجير

واكبر نقص في لبنان من هذا القبيل ان ليس فيهِ ادارة هندسية صحية لتنظيم المباني والشوارع فكل احد يبني على هواهُ وعلى الصورة التي يختارها والغالب انهُ يزحم الطريق على ضيقها حتى يتعذر توسيعها في المستقبل. ولكن انشاء ادارة تنظيم فيهِ متعذر الآن فلم يبقَ الا ان يرى اللبنانيون انفسهم ان تنظيم مبانيهم الزم لرونقها ورواثها من نحت حجارها وطلي جدرانها

ويظهر ان اكثر الذين بنوا البيوت الكبيرة في لبنان غير قادرين على المعيشة فيها من حيث احوالهم المالية وانهم بنوها لا عن حاجة اليها بل لمجرد التباهي بها. فلا يندر ان يبني الواحد منهم بيتًا بكل ما معهُ من النقود او يشرع في بناء بيت ثم يجد ان نقودهُ لا تكفي لاتمامهِ فيهاجر ثانية ليأتي بما يتمهُ بهِ وبعضهم استدان واتم البيت الذي شرع في بنائهِ وهذا خطأ مبين لان الدين يأكل البيت لا محالة. اما الذين بنوا البيوت بكل ما جمعوهُ في المهاجرة من

النقود فلا سبيل الى لومهم لانهم لم يجدوا وسيلة أُخرى « يوظفون » فيها اموالهم بعد ان غلت اسعار الاملاك (الارزاق) غلوًّا فاحشًا ولم يعد ريعها يزيد على واحد او اثنين في المئة من ثمنها

واكثر الذين حادثتهم وحادثوني في هذا الموضوع من وجهاء بيروت ولبنان مجمع على ان اللبنانيين اخطأُوا في بناء هذه البيوت . اما انا فلا ارى رأيهم لان البيت الكبير الجميل يرفع شأن صاحبهِ ويزيد عزة نفسهِ فيزيد همةً واقدامًا واستسهالاً للصعاب ويصير يفضل المهاجرة والمتاجرة على العمل بيديهِ في الحقل والكرم والبستان ثم ان البيت الكبير المتقن يقتضي ان تجاد لوازم المعيشة فيهِ من فرش واثاث وكل ذلك مما يذكي الهمة ويدعو الى السعي والاولاد الذين يربون في بيت كبير حسن الهندام يشبون على طلب المعالي والترفع عن الاعمال الشاقة القليلة الكسب

اخبرتني سيدة اميركية لقيتها في دمشق وهي من اوسع السيدات علمًا انها بحثت عن احوال المهاجرين السوريين في اميركا بحثًا مدققًا واطلعت على مباحث الحكومة الاميركية عنهم فوجدت ان المهاجر الايطالي او الروسي يكتفي بالعمل الشاق عاملاً في بناء البيوت ومد السكك باجرة محدودة لا تكاد تكفيهِ طعامًا وشرابًا سواء اجتهد او لم يجتهد . واما المهاجر السوري فيترفع عن ذلك ويشارك التجار في البيع والشراء والغالب انهُ يحمل بضاعتهُ ويجول بها من مكان الى آخر فيكون كسبهُ على قدر اجتهادهِ ومهارتهِ واقتصادهِ لاسيما وانهُ لا يشرب المسكرات مثل سائر المهاجرين

وواضح من ذلك انهُ لو ذهب الفلاح السوري الى اميركا وخدم هناك اجيراً عند فلاح او فاعلاً عند بناء لما استطاع ان يوفر من اجرتهِ شيئًا يذكر ولسهل عليهِ ان يعود الى عمل الحقل كما كان قبل ذهابهِ ولكنهُ لو فعل ذلك لما رأَيت شيئًا من هذا الارتقاء الذي يرى الآن اما وقد ترك المعول والمحراث وراءهُ ودخل المخزن او حمل « الكشة » واعتمد على مهارتهِ في البيع والشراء وتجوالهِ للكسب في اماكن مختلفة ولم يتقيد باجرة محدودة بل راقب الفرص واغتنمها وربح اكثر مما يربح المهاجر الروسي والايطالي وعاد بمال وافر فكبرت نفسهُ وناظر امراء بلادهِ واعيانها في دورهم بعد ان ابتاع اكثر املاكهم

هذا وقد كان لبناء البيوت الكبيرة في لبنان فائدة كبيرة لمدينة بيروت وتجارها لان اللبنانيين جلبوا اكثر مواد البناء من بيروت . والقطاعون الذين قطعوا الحجارة والبناؤُون الذين بنوها والمورقون الذين ورقوها والنجارون الذين صنعوا منجورها والمكارون الذين نقلوا

موادها كل هؤلاء انفقوا اجورهم على بضائع اشتروها من بيروت ونحوها من مدن الساحل فالمهاجرة التي عمرت لبنان زادت عمارة بيروت وسائر المدن الساحلية

وقد كنت اعجب كيف تيسر لاهالي بيروت ودمشق وما يتبعهما ان يسيروا في سبيل الارتقاء في العشر السنوات الاخيرة مع اشتداد الظلم والقهر في سائر الولايات العثمانية الى ان اجتمعت اخيراً بدولتلو ناظم باشا والي بيروت فأكد لي انهُ حمى الاحرار وجرى على موجب الحكومة الدستورية كل مدة ولايتهِ على سورية وبيروت وكان الجواسيس يفلحون احياناً في الوشاية بزيد او عمرو فتأتي الاوامر من الاستانة مشددة فيغضي عنها ما استطاع الى الاغضاء سبيلاً . وسمعت من كثيرين من العارفين بهِ ما يؤيد ذلك وحسبهُ فخراً انهُ بقي هذا الزمن في الديار السورية ولم يرتشِ بغرش ولو اراد لجمع مئات الالوف من الليرات كما فعل غيرهُ من الولاة . والوالي الذي لا يرتشي لا يصادر الناس في اموالهم ولا يقف في سبيل تقدمهم ولذلك تيسر لاهالي هاتين الولايتين ان يسيروا شوطاً طويلاً في سبيل الارتقاء

الاستاذ لمبروزو

هو الدكتور قيصر لمبروزو ولد في مدينة ڤيرونا في الثامن عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٣٥ ويتصل نسبهُ بأسرة اسرائيلية نبغ كثيرٌ من افرادها فكان بين اسلافهِ عددٌ من المؤلفين والاحبار والمحامين والاطباء وجدهُ لامهِ شاعر يدعى داود لاوي كانت لهُ يدٌ في ثورة ايطاليا التي آل امرها الى الاستقلال

ظهرت على صاحب الترجمة دلائل النجابة منذ حداثتهِ فرأى كثرة الآثار في بلادهِ ومال الى درس تاريخها فقرأ مؤلفات ليڤيوس وطاشيتس وغيرهما وألف مقالة في عظمة رومية وانحطاطها وذلك قبل ان يبلغ الثانية عشرة من العمر . وبعد ذلك بسنة عثر على كتاب في درس الآثار لرجل يدعى بولس مرزولو وهو على جانبٍ عظيمٍ من العلم الأ انهُ لم يكن قد نال الشهرة التي يقتضيها علمهُ فكتب لمبروزو مقالة نقد فيها الكتاب واظهر محاسنهُ ونشر المقالة في احدى الصحف اليومية فسرَّ المؤلف بها وطلب ان يراهُ فلما التقى بهِ استغرب حداثة سنهِ فاستحكمت الصداقة بين الاثنين من ذلك الحين ودامت زمناً طويلاً

وترك لمبروزو الدروس المتبعة في المدارس العالية واخذ يتعلَّم اللغات الشرقية بارشاد

صديقهِ مرزولو فانقن العبرانية والكلدانية والمصرية القديمة والصينية واخذ يسعى الى اكتشاف طريقةٍ يردّ بها هذه اللغات الى اصل واحد . لكن مرزولو رأى ان درس اللغات الشرقية لا يقوم بمعاش صديقهِ فاشار عليهِ بدرس الطب ففعل وتخرَّج فيهِ في مدينة بادوى ثم سافر الى فينَّا وباريس للتوسُّع في المعارف . وكان لهُ ميلٌ شديد الى البحث في الامراض العصبية والعقلية فكتب مقالتين في هذه الامراض وهو تلميذ . ثم لما نشبت الحرب بين النمسا وايطاليا سنة ١٨٥٩ انتظم في الجيش الايطالي طبيبًا متطوّعًا وبقي ست سنوات في الخدمة ألَّف في اثنائها مقالةً في البترا اكسبتهُ شهرةً واسعة ونال بها جائزة علمية وهي الجائزة العلمية الوحيدة التي نالها مدة حياتهِ . واغتنم فرصة وجودهِ بين العساكر فدرس اخلاقهم واشكالهم المختلفة وفحص منهم لا اقل من ٤٠٠٠ رجل فحصل بذلك على خبرة واسعة كانت لهُ بها فائدة عظيمة في المباحث التي ألَّف فيها . ثم انتقل مع فرقتهِ الى مدينة پاڤيا حيث تمكن من مداومة البحث في الامراض العقلية في بيمارستانها . الاَّ ان روُساءهُ العسكريين لم ترق لهم هذه الامور فضيَّقوا عليهِ فاعتزل الخدمة واخذ يلقي خطبًا على بعض الطلبة في الجامعة وبعد سنة من الزمان عُيّن استاذًا للامراض العقلية براتب زهيد . وفي هذه الاثناء القى خطبةً في « النوابغ والجنون » فاكتسب بها شهرة عظيمة وعرف بعدها انهُ من العلماء المفكرين

ولم تقف شهرتهُ عند هذا الحدّ بل وفّق الى اكتشاف عظيم الاهمية لفوائدهِ العلمية والاجتماعية الاَّ انهُ سبب لهُ كرهًا شديدًا عند كثيرين من مواطنيهِ وهو انهُ رأى ان كثيرين من المرضى في البيمارستان مصابون بداءٍ يسمَّى البلاغرا تظهر اعراضهُ في الجلد اولاً ثم في الجهاز العصبي وهو كثير في ايطاليا ومصر . فوجد ان سبب هذا الداء اكل الذرة الصفراء المتعفنة واستخرج من هذه الذرة سمًّا لقح بهِ بعض الحيوانات فاصابها داء البلاغرا . فاشار على الحكومة ان تمنع بيع الذرة المتعفنة فقامت عليهِ قيامة اصحاب الاملاك في لمبارديا حيث تزرع الذرة وقال عنهُ احد الاطباء في اجتماع عقد لهذه الغاية انهُ مهووس وان تجاربهُ وامتحاناتهِ لا اساس لها الاَّ مخيلتهُ فطلب لمبروزو تشكيل لجنة علمية وجرَّب تجاربهُ امامها فكذبهُ الاعضاء وقالوا انهُ دس الاستركنين في العصير الذي استخرجهُ من الذرة وطلبوا طردهُ من الجامعة . فانبرى للدفاع عنهُ صديق يدعى الفرد موري وعرض المسألة على برتلو الكيماوي الفرنسوي المشهور فامتحن برتلو المادة السامَّة المستخرجة من الذرة وقال انها تشبه الاستركنين كثيرًا لكنها تختلف عنهُ في امورٍ كثيرة فثبت بذلك اكتشاف لمبروزو . وبقي لمبروزو يجاهد عدة سنوات على المنابر وصفحات الجرائد وهو يطلب من الحكومة تحسين احوال

الفلاحين فقاومهُ خصومهُ مقاومة عنيفة جعلت مركزهُ حرجاً في الجامعة فاستقال منها وجعل استاذاً للامراض العقلية في تورينو حيث كانت تقيم اسرة امرأتهِ

وبقي في تورينو مدةً يبحث في اسباب الجرائم واسَّس متحفاً صار فيما بعد داراً لمباحثهِ في هذا العلم . وهو اوَّل من طبَّق علم تحقيق الشخصية على الجرائم وكان عندهُ مجموعة من الجماجم فريدة في بابها منها جمجمة احد مشاهير القتلة فبحث فيها بحثاً مدققاً و بنى على ذلك رأيهُ في الجرائم وهو ان الميل اليها رجوعٌ الى اصلٍ قديم . ووجد ان بعض المميزات في اعصاب المجرمين وتركيب اجسامهم توجد في بعض الشعوب من البشر وفي القرود ايضاً ووجد ان اكثر المجرمين مصابون بامراض عقلية ونشر آراءهُ هذه في كتابٍ سماهُ « الرجل الجاني »[1] وطبعهُ سنة ١٨٨٩ . وكانت ارآؤُهُ في النوابغ من الناس تشبه آراءهُ في المجرمين وزعم ان النبوغ نوعٌ من الصرع الخفيف ونشر ذلك في كتاب سماهُ « الرجل النابغة [2] » ونقل هذا الكتاب الى لغات كثيرة

ولهُ آراء غريبة في الجرائم السياسية الكبيرة التي تلطخ بها التاريخ فقال ان الامراض العقلية وبائية كغيرها فالاضطهادات التي كانت تقع على الاسرائيليين ابناء جلدتهِ كانت من هذا القبيل

واشتغل في اخريات ايامهِ في مناجاة الارواح وكان رأيهُ فيها انها صادرة عن احوالٍ عقلية خارقة العادة . وكان من منشئي مجلة الامراض العقلية

ومن تلامذتهِ واتباعهِ صهراهُ زوجا ابنتيهِ وهما الاستاذ فريرو والسنيور كرارا واز يكو فرّي والبارون رونكوروني وباتريزي وزبوليو وغيرهم . ولابنتيهِ شهرة في عالم الادب وقد كتبنا ترجمة حياتهِ حينما احتفل بمضي ثلاثين سنة من تعيينهِ استاذاً في تورينو

توفي بمرض القلب في التاسع عشر من اكتوبر الحالي (تشرين الاول) فيكون عمرهُ اربعاً وسبعين سنة . وكانت لهُ شهرة واسعة بين العلماء فنقلت كتبهُ الى لغاتٍ كثيرة وجمع من بيعها ثروة طائلة

(1) L'Uomo Delinquente.
(2) L'Uomo di genio.

البرنس أيتو الياباني

نقل الينا البرق ان احد الكوريين الناقمين على اليابان اغتال البرنس ايتو الياباني لان الكوريين يحسبون انهُ هو العلة في استيلاء اليابان على بلادهم وقد نشرنا ترجمتهُ في مقتطف يناير سنة ١٩٠٣ وقلنا فيها حينئذٍ ما نصهُ

هو زعيم الامة اليابانية سواء كان في المنصب او خارجاً عنهُ . ومن حين ألفت الوزارة الاولى الدستورية في اليابان وهو الرئيس لها فعلاً ان لم يكن اسماً لانهُ اذا اريد تأليف وزارة جديدة ليس هو رئيساً لها فاول شيء يفعلهُ الوزير المكلف بتأليفها انهُ يزورهُ ويستشيرهُ في الذين يختارهم لوزارتهِ . واهالي اليابان كبيرهم وصغيرهم يثقون بهِ ثقة تامة ولو تحاملت عليهِ الجرائد الصغيرة من وقت الى آخر وطعنت عليهِ حتى يقال انها لا تهاب شأن العظماء

والامبراطور يثق بهِ كما تثق بهِ الامة ويعدهُ صديقاً حميماً لهُ وهذا يزيدهُ رفعةً في عين الامة لانها تنظر الى امبراطورها نظر العابد الى المعبود فلا تستطيع الاَّ استحسان ما يستحسنهُ

وحاول المستر ستد تشبيه المركيز ايتو بيسمارك وبنابوليون الاول ثم قال انهُ لم يقم في اوربا رجل يشبههُ تماماً بل هو منقطع النظير كما ان ارتقاء اليابان السريع منقطع النظير فانها نشأت من لا شيء تقريباً وفي ثلاثين سنة قبضت على ميزان القوة في الشرق الاقصى وللمركيز ايتو الفضل الاول واليد الطولى في هذا النشوء والارتقاء وما من احد بلغ الستين فقط من عمرهِ وهو يستطيع ان ينظر الى ماضي بلادهِ ويرى فيها الفرق الذي يراهُ هذا الوزير الآن

وهو بعيد عن الدعوى تكلمهُ في شؤُون بلادهِ فلا تسمع منهُ كلمة عجب . اتى انكلترا اول مرة سنة ١٨٦٣ في سفينة شراعية لطلب العلم وعمرهُ اثنتان وعشرون سنة . ولما عاد الى بلادهِ ظهرت نجابتهُ في المذاكرات مع السفراء فولي عملاً متصلاً بربا أُعطي للاجانب ثم جعل وكيلاً لناظر المالية سنة ١٨٧٠ فذهب الى اميركا ليدرس الشؤُون المالية فيها وبعد ثلاث سنوات جعل ناظراً لنظارة الاشغال العمومية وعمرهُ اثنتان وثلاثون سنة وسنة ١٨٨٥ عهد اليهِ في تأليف وزارة جديدة وبقي رئيساً للنظار ثلاث سنوات واعيد الى رئاسة النظارة سنة ١٨٩٢ فادار رحى الحرب الصينية اليابانية وبقيت وزارتهُ الى سنة ١٨٩٦ ورقي حينئذٍ الى رتبة مركيز ودعي لتأليف الوزارة ايضاً سنة ١٨٩٨ و ١٩٠٠

وقد اوفدهُ الامبراطور الى اوربا واميركا مراراً في مهام السلطنة ولاسيا سنة ١٨٨٢

حين اوفدهُ ليبحث في تأليف دستور يوافق بلاد اليابان ثم اوفدهُ اخيراً لعقد المعاهدة الانكليزية اليابانية وهي المرة الخامسة التي زار فيها اوربا في مهمة سياسية

اما انشاؤهُ الدستور الذي قلب بهِ حكومة اليابان من الحكم الاستبدادي المطلق الى الدستوري المقيد فلم يكن بالامر السهل وقد قال عنهُ ما ترجمتهُ

« لقد كلفني هذا العمل عناء كثيراً فانهُ لم يكن في اليابان دستور استرشد بهِ الى معرفة الامور التي لا بدَّ منها . ولما اقررت على ما ظننتهُ لازماً للبلاد كنت في ريب من إمكان العمل بهِ وكان لا بدَّ من احكام قواعدهِ حتى تكون ثابتة لا تتغير وذلك يستلزم النظر في عواقبها قبل الاقرار عليها وكان لا بدَّ من الاحتفاظ بكل حقوق الامبراطور المقدمة . وقد قمت بالعمل الذي طلب مني ويسرني ان الدستور الذي وضعتهُ لبلادي لم تدعُ الحاجة الى تغيير شيءٍ منهُ حتى الآن »

وصرف همهُ الى اصلاح الحربية والبحرية فتمكن من قهر الصين وهو الذي جعل في اليابان عمارة بحرية تضاهي عمارات الدول الاوربية

وسنة ١٩٠٠ انشأ حزباً سماهُ المجتمع السياسي الدستوري وقال في المنشور الذي نشرهُ على اعضائهِ ما ترجمتهُ « اذا كان قصد الحزب السياسي ان يكون مرشداً لبلادهِ كما هو الواجب على كل الاحزاب السياسية وجب عليهِ اولاً ان ينظم نفسهُ تنظيماً تامًّا وان يخلص الخدمة لبلادهِ وان يتجنب الخطأ الفاحش وهو اعطاء الوظائف لغير الأكفاء لكونهم من حزبهِ»

هذا من حيث كونهُ زعيماً سياسيًّا اما من حيث كونهُ رجلاً في هيئة اليابان الاجتماعية فقد زارهُ المسترسند في مصيفهِ قرب توكيو فقابلهُ في القسم الاوربي منهُ لان منازل الكبراء في اليابان فيها قسمان قسم اوربي وقسم ياباني وجلس معهُ في غرفة تطلُّ على جبل فوجياما وهناك نظارتان يرى بهما الحجاج وهم صاعدون على ذلك الجبل ومائدة عليها كثير من الجرائد والمجلاَّت الانكليزية لانهُ كثير المطالعة . فتكلم عما تمَّ في اليابان من التقدم السريع وقال ان كل ما اقتبسناهُ من الاوربيين صبغناهُ بالصبغة اليابانية قبل اقتباسهِ وكذا فعلنا بكل ما اقتبسناهُ قبلهُ كمذهب بوذه ومذهب كنفوشيوس هذا كان شأننا في الماضي وسيبقى كذلك . ولام المرسلين الذين اتَّهموا اهالي اليابان بفساد الآداب وقال انهُ مسرور لانهُ ليس في بلادهِ ديانة ظاهرة بل فيها قواعد ادبية توجب على المرء ان يكون عادلاً مستقيماً فهي في غنًى عمَّا في بعض الاديان من الاوهام والخرافات

قال المسترسند دُعينا للطعام فخرجنا الى حديقة غناء تعتني زوجة المركيز بما فيها من

الازهار ونقضي اكثر وقتها فيها وسرنا الى ان بلغنا القسم الياباني من بيته ودخلنا غرفة المائدة فاذا الطعام كلهُ اوربي من آخر ما يكون والغرفة نفسها مزدانة ابدع زينة وفيها كثير من الازهار التي رتبتها زوجته· ودار الكلام بعد الطعام على الصين فقال ان لا بدَّ لها من امبراطور حازم والاً مزَّقتها الفوضى سنين كثيرة الى ان يقوم فيها زعيم قادر على لمّ شعثها وانقاذها من الدمار· ومن رأيهِ انهُ لا يمكن اصلاح الجنود الصينية ما دام قوادها من الصينيين

وزار عواصم اوربا بعد ذلك ولقي الحفاوة والاكرام من ملوكها ولاسيما من قيصر روسيا وامبراطور المانيا وملك ايطاليا ووصل الى لندن في اواخر ديسمبر سنة ١٩٠٢ وعلى اثر زيارتهِ عُقدت المحالفة بين انكلترا واليابان

وارسلتهُ اليابان الى سئول عاصمة كوريا مدة الحرب بينها وبين روسيا لكي يفض ما بينها وبين كوريا من المشاكل ثم انابتهُ عنها في بلاط امبراطور كوريا كجنرال مقيم وعهدت اليهِ بتدبير امور البلاد فلا يجري امر هامٌ في حكومتها الا بمصادقتهِ وفقاً للمعاهدة التي امضيت بينها وبين كوريا في ٢٥ يوليو سنة ١٩٠٧



موسم القطن الهندي

قدرت الحكومة الهندية موسم القطن الهندي في شهر مارس الماضي ٣٦٤٣٠٠٠ بالة وفي كل بالة ٤٠٠ ليبرة لكن الموسم بلغ ٤٦٣٠٠٠٠ بالة فزاد ٩٨٧٠٠٠ عمَّا قدّر بهِ اي نحو اربعة آلاف قنطار مصري· وقد بلغ محصول المواسم الخمسة الماضية ما نراهُ في هذا الجدول وكل موسم منها ينتهي ٣٠ يونيو

٣٠ يونيو سنة ١٩٠٤ بلغ الموسم	٤٤٦٦٠٠٠
« « ١٩٠٥ « «	٤٠٢٣٠٠٠
« « ١٩٠٦ « «	٤٧٥٢٠٠٠
« « ١٩٠٧ « «	٥١٦٢٠٠٠
« « ١٩٠٨ « «	٤٤٠١٠٠٠
« « ١٩٠٩ « «	٤٦٣٠٠٠٠

وكان تقدير الحكومة دائماً دون الحقيقة بنحو ٢٥ في المئة . كأن المزارعين الذين تعتمد على اقوالهم يقدرون الموسم باقل مما هو رغبة في زيادة اسعاره

وقد تضاعف محصول القطن في بلاد الهند منذ ٣٥ سنة الى الآن فكان اولاً نحو مليونين وربع مليون بالة فصار الآن اربعة ملايين ونصف مليون بالة او اكثر .

ومما يستحق ان يقع موقع الاعتبار في القطر المصري ان اكثر من نصف القطن الهندي يغزل وينسج في بلاد الهند نفسها وما بقي منهُ يرسل اكثرهُ الى قارة اوربا والى الشرق الاقصى ولا يرسل منهُ الى البلاد الانكليزية الاجانب صغير جداً نحو سبعين او ثمانين الف بالة

محصول القطن الاميركي

بلغ موسم القطن الاميركي الذي انتهى في ٣١ اغسطس ١٣٫٨٠٠٫٠٠٠ بالة فهو اكبر موسم استغل من اميركا حتى الآن . وكانت حالتهُ في اول سبتمبر سنة ١٩٠٨ حسب تقدير مكتب الزراعة الاميركي ٧٦٫١ وكانت حالة موسم هذا العام ٦٣٫٧ ولذلك يقدَّر نقص موسم هذا العام عن موسم العام الماضي مليوني بالة او اكثر من كل موسم القطر المصري . وهذا هو سبب الارتفاع الكبير في سعر القطن

القطن المصري

اما موسم القطن المصري فلا يعلم مقدارهُ حتى الآن ولكن لا شبهة في ان الدودة والندوة اضرَّتا بهِ في جهات كثيرة ولولا ذلك لزاد على سبعة ملايين من القناطير اما الآن فالمبالغون في جودتهِ لا يقولون انهُ يزيد على ستة ملايين وثلاثة ارباع المليون ويقول غيرهم انهُ لا يبلغ ستة ملايين . وهب انهُ بلغ ستة ملايين قنطار فقط فالاسعار الحاضرة توصل ثمن المحصول الى نحو ثلاثين مليون جنيه اي ان القطر المصري سيأخذ ثمن ما يصدر منهُ من موسم هذا العام مع اجرة حلجهِ وشحنهِ وربح السمسار والتاجر الخ نحو ثلاثين مليوناً من الجنيهات او اكثر يوفي بها ثمن الواردات وفائدة دين الحكومة والاهالي

زراعة القمح في مصر

بلغ ثمن ما ورد من القمح الى القطر المصري في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة ٤١ الف جنيه وما ورد من الذرة ١١٠ آلاف جنيه وما ورد من الشعير ٩٨ الف جنيه وما

ورد من الطحين مليونًا و ٣٤٣ الف جنيه والجملة نحو مليون وستماية الف جنيه وهو مقدار كبير جدًّا يزيد على ايجار مئتي الف فدان من اجود الاطيان . افلا يمكن ان يعتنى بزراعة القمح في القطر المصري حتى يكفى مؤُونة جلب الطحين من الخارج . وهل من ذلك زيادة في الربح لهُ او هو خسارة لا يندب اليها . فلا يخفى ان اطيان القطر التي يمكن زرعها وريها الآن تزرع كلها فاذا اردنا ان نزرع مئتي الف فدان أُخرى قمحًا وجب ان نهمل زرعًا آخر مما تزرع بهِ تلك الاطيان الآن فهل الاربح للقطر المصري ان يكثر من زرع القمح او الاربح لهُ ان يكثر من زرع القطن او نحو ذلك من المزروعات التي تزرع الآن . ولقد حاول البعض ان يصلحوا قمح القطر المصري بزرع القمح الصلب فيهِ اي القمح الاصفر الشفاف وهو يقابل القمح السلموني في الشام والقمح الصعيدي الموافي في القطر المصري او القمح الهندي الذي شاعت زراعتهُ حديثًا في بعض جهات القطر

والمزارعون في القطر المصري يهتمون اولاً بكثرة المحصول وثانيًا بكثرة تبنهِ ليكون علفًا للمواشي ولا بدَّ من ان يكون القمح مما لا يضربهُ العفن فان القمح المصري موقيٌّ من هذه الآفة ولكن القمح الاجنبي غير موقيٍّ منها

وتوجد انواع كثيرة من القمح معروفة بغزارة محصولها وكثرة تبنها وامتناعها على العفن ولكن قد لا يصلح لها اقليم القطر المصري . وقد ظهر من التجارب المختلفة ان القمح الهندي والقمح الجزائري اصلح من غيرهما لاقليم مصر وفيهما الخواص المشار اليها آنفًا

والقمح المصري ثلاثة انواع وليس فيها نوع فيهِ الصفات التي تؤَهلهُ لان يصير من الانواع البالغة في الجودة فالنوع الذي سنابلهُ محشوكة الحب لا يصلح للتصدير لان حبوبهُ غير منتظمة في جرمها والانواع التي سنابلها غير محشوكة الحب قمحها لين وهو لا يصلح للتصدير الى اوربا حيث تطلب الانواع التي قمحها صلب

اما القمح الهندي الذي زرع في القطر المصري فاجود من القمح المصري وقد أُدخل الى هذا القطر من عهد غير بعيد في اواخر القرن الماضي فاتسعت زراعتهُ ولكنهُ لم يبقَ على جودتهِ الاولى بتوالي زرعهِ في هذا القطر ولا بدَّ من اصلاح هذا الامر قبلما يصير القطر المصري قادراً على اصدار القمح . وثقل الاردب من القمح الهندي ٣٥٠ رطلاً ومن القمح المصري ٣٢٩ رطلاً فقط

ولا يعلم تمامًا مقدار محصول القطر من القمح ولكن يعلم ان مساحة الارض التي تزرع قمحًا في الوجه القبلي والوجه البحري تبلغ نحو مليون وربع من الافدنة فاذا حسبنا متوسط

غلة الفدان اربعة ارادب ونصف اردب فالمحصول كلهُ نحو خمسة ملايين ونصف مليون اردب ثمنها حسب الاسعار الحاضرة نحو ثمانية ملايين جنيه عدا ثمن تبنها

وزراعة القمح ليست دون زراعة القطن لان الفدان الذي يبلغ محصولهُ ثلاثة قناطير من القطن يبلغ محصولهُ خمسة ارادب من القمح على الاقل ثمنها بالاسعار الحاضرة مع ثمن تبنها نحو الف غرش والقمح ليس معرَّضاً للآفات كالقطن ولا يقتضي زرعهُ وخدمتهُ نفقات كثيرة مثلهُ . واذا امكن زرع القمح الجيد الذي يطلب في اسواق اوربا حتى لا يكسد في القطر اذا زاد عن المقطوعية المحلية ففي تعميم زرعهِ فائدة كبيرة للقطر لانهُ لا ينتظر ان يهبط ثمنهُ كثيراً مهما جادت المواسم في الدنيا . وزد على ذلك انهُ اذا اجيدت زراعة القمح بلغ محصول الفدان عشرة ارادب كما في قمح فنلند الذي يزرع في انكلترا. والقطر المصري من اصلح البلدان لزرع القمح فلا مانع يمنع ان تصير غلة الفدان فيهِ عشرة ارادب فاكثر

حقائق عن القطن

قدَّر محل اليزون الاحصائي المقطوعية التي لا بدَّ منها من القطن الاميركي بنحو ١٢٦٦٥٠٠٠ بالة ومن القطن المصري بنحو ٩٥٠٠٠٠ بالة وقد قدَّر المقطوعية من الموسم الماضي من القطن الاميركي ١٢٤٣٨٠٠٠ بالة فكانت ١٢٨٧٦٠٠٠ وقدَّرها من الموسم الذي قبلهُ ١٢٥٠٠٠٠٠ فكانت ١٢١٢٧٠٠٠ ولذلك فتقديرهُ يقرب من الحقيقة فيزيد عليها او ينقص عنها اقل من نصف مليون بالة

والظاهر ان المقطوعية من القطن المصري تزيد الآن عمَّا كانت عليهِ في العام الماضي والذي قبلهُ فقد اخذت معامل انكلترا منهُ حتى الخامس والعشرين من اكتوبر ٣١٠٠٠ بالة واخذت في العام الماضي الى هذا التاريخ ٢٤٠٠٠ بالة وفي الذي قبلهُ ٣٠٠٠٠ بالة . ونقص المخزون من القطن المصري هذا العام عما كان عليهِ في العام الماضي وما قبلهُ فبلغ هذا العام ٤٩٠٠٠ بالة وكان في العام الماضي ١٥٤٠٠٠ بالة وفي الذي قبلهُ ١٨١٠٠٠ بالة وقد بلغت اسعار الكنترات حتى كتابة هذه السطور في ١ نوفمبر ٢٢ ريالاً ونصف لينابر و ٢٠ ¼ لنوفمبر من الموسم المقبل دلالةً على ان تجار القطن يحسبون ان قلة الموسم الاميركي هذا العام سترفع سعر القطن في العام المقبل ايضاً



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستختار على المطوّلة

حرية الارادة

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اني اشكركم على ما اجبتموني بهِ عن سؤَالي واستأذنكم في ابداء ملاحظة صغيرة فاقول

لقد حررتم الانسان من وجوه وقيدتموهُ من وجوه ولا استطيع ان افهم كيف يكون الانسان حرًّا ومقيداً معاً في وقت واحد . فاذا كانت الصفات التي ورثها من اسلافهِ راسخة فيهِ لا يستطيع تغييرها وهي نفسها قد رسخت فيهم لاسباب طبيعية فكيف يستطيع ان يمنع رسوخ صفات أُخرى فيهِ وهو ليس حرًّا في مجيئهِ الى هذا العالم ولا في ذهابهِ منهُ وهو خلاصة والديهِ واسلافهِ يولد كما شاءت الطبيعة فربما ولد كسيحاً لا قوة لهُ او جباراً عظيم القوة او ابله او فيلسوفاً او مؤْمناً او كافراً فهل يلام اذا ولد مقعداً او ابله وهل يشكر اذا ولد جبّاراً او فيلسوفاً فالمقعد لا قوة لهُ على القيام والابله لا قوة لهُ على الفهم . وقد يوجد البطل في عصر لا يستطيع فيهِ السيادة و يوجد مَن هو اقل منهُ بأساً في عصر آخر فيسود ويحكم العباد . والانسان نتاج الطبيعة في كل حال من احوالهِ حتى في ادق اعمالهِ فاذا قلنا انهُ حرٌّ في ان يعمل هذا العمل او ذاك ويبني هذا او ذاك ويتكلم الصدق او الكذب وجب علينا ان نبين كيف استمدَّ تلك القوة فاذا كانت الموهبة والقوة والارادة وجدت كلها فيهِ بقوة طبيعية فهو اذاً آلة في يد الطبيعة وليس حرًّا البتة . واذا كان يأكل هذا الشيء او ذاك يمرض ومرضهُ جزاء عملهِ فاين الحرية لمن ينال القصاص واذا كان مرض الانسان وموتهُ جزاء تجاوزهِ السنن الطبيعية فما هو ذنب الاشجار في اعتلالها وموتها هل اعتلالها وموتها جزاء تجاوزها السنن

الطبيعية او ذلك سنة طبيعية . وقد رسخ في الاذهان ان الانسان حرٌّ يفعل كما يشاءُ لكني لا اظن ان احداً يستطيع ان يبرهن ذلك

شحاده خليل مالك

[المقتطف] اذا ابدلتم كلمة « جزاء » بكلمة « نتيجة » لم تبقَ صعوبة في تطبيق كل ما ذكرتموهُ على القاعدة التي ذكرناها وهي ان صفات الانسان وافعالهُ واميالهُ بعضها راسخ فيهِ يتعذَّر عليهِ تغييرهُ وبعضها غير راسخ حتى الآن فيسهل عليهِ تغييرهُ اي يسهل عليهِ العمل بهِ او عدم العمل بهِ . والاحياء كلها تحت سلطة قوتين طبيعيتين قوة تميل بها الى التغيير المستمر وقوة تقاوم قوة التغيير وتميل بها الى الاحتفاظ بحالتها الحاضرة واستمرارها بالوراثة . فاذا احدث في الحي تغيرٌ ما وأَدى فيهِ صفة جديدة حتى اذا لم يحدث لهُ ما يغير هذه الصفة بل حدث ما يبقيها فيهِ ودام ذلك سنة بعد اخرى وقرناً بعد آخر فان تلك الصفة تثبت فيهِ ويصير تغييرها صعباً او متعذراً مع انهُ كان في اول الامر سهلاً ميسوراً . وفي الانسان صفات كثيرة من هذا القبيل موروثة من اسلافهِ وراسخة فيهِ فيتعذَّر عليهِ تغييرها وفيهِ صفات اخرى موروثة ايضاً ولكنها غير راسخة إما لانها غير قديمة او لانهُ حدثت اسباب اضعفتها فلا يتعذَّر عليهِ مقاومتها بارادتهِ ولا تظهر هذه المقاومة الاَّ في الانسان من كل انواع الحيوان

ولقد قلتم انكم لا تفهمون كيف يكون الانسان حرًّا ومقيداً في وقت واحد . لكن ذلك سهل الفهم لان ليس المراد ان الانسان حرٌّ ومقيد في الشيء الواحد في وقت واحد بل هو حرٌّ في اشياء ومقيد في اشياء اخرى كما يكون مثلاً غنيًّا في عقلهِ وفقيراً في مالهِ . ورسوخ الصفة لا يأْتي دفعةً واحدةً فان للصفة كمًّا كما لكل شيءٍ يزيد وينقص فاذا فرضنا انها مؤَلفة من الف جزءٍ من الاجزاء فيرسخ جزءٌ منها في زيد وينتقل الى ابنهِ ويزيد فيهِ جزءٌ آخر وينتقل الجزءان الى ابن ابنهِ ويزيد فيهِ جزءٌ ثالث وهلمَّ جرًّا الى ان تستكمل الصفة قوتها . ومقاومة الصفة كلها صعب ولكن مقاومة جزءٍ واحد منها او اجزاءٍ قليلة منها اقل منهُ صعوبة فالميل الى اكل اللحم موجود في الانسان ولكنهُ ليس راسخاً فيهِ رسوخ الميل الى شرب الماء ولذلك تراهُ يستطيع ان يمتنع عن اكل اللحم دواماً ولو بصعوبة ولكنهُ لا يستطيع ان يمتنع عن شرب الماء دواماً . والظاهر انكم حسبتم اننا نريد بالمسؤُلية المسؤُلية الادبية الدينية فنحن لم نرد ذلك بل اردنا النتيجة المترتبة على العمل وكون الانسان هو المسبب لها اذا كان العمل مما يستطيع ان يعملهُ ويستطيع ان لا يعملهُ وعليهِ لا يكون مرض مَن يأْكل طعاماً ضارًّا قصاصاً ادبيًّا لهُ بل نتيجة مترتبة على عملهِ او على طاعتهِ للدافع الطبيعي الذي دفعهُ الى اكل الطعام الضار

مركز المرأة

« المرأة من حيث مرتبتها في الوجود مدعوة الى عمل مختص بها خارج عن دائرة اعمال الرجل »		تولستوي

« المرأة للدار والرجل للمعامل وميادين القتال »		رسكن

قرأت ما جاء في مقتطف اكتوبر تحت عنوان « اعمال النساء » وسؤالهُ في الاخر « فهل الاصلح للامة كلها ان يحصل نساؤُها معيشتهنَّ بعملهنَّ كالرجال او الاصلح لها ان ينقطع نساؤُها لتدبير بيوتهنَّ وتربية اولادهنَّ » ولما اراهُ في بعض فتياتنا المصريات من الميل الى الخروج عن الحد المرسوم لهنَّ طبيعياً رأيتُ ان اقول هذه الكلمة البسيطة

قبل ان اخط حرفاً في جوهرهذه القضية اسلم تسليماً كلياً مع القائلين بان للمرأة ما للرجل من كل الحقوق ولها ان تشغل ما يشغلهُ من الوظائف والقيام بالاعمال على صنوفها واسلم معهم بان للمرأة ما للرجل من قوة العقل والادراك الى آخر ما يطلبون من هذا القبيل فضلاً عن ذلك اطلب من الذين يبحثون في هذه القضية بحثاً فسيولوجياً — ابسيكولوجياً . ان يسلموا معنا ولو مناً وكرماً منهم بما نقدم وليحصروا البحث في نقطة النقط وهي نقطة النظام الاجتماعي

من المسلم بهِ عقلاً ونقلاً ان من انقطع لشيء احسنهُ ومن شغل نفسهُ بوظيفتين رئيستين لم يحسنهما . ولكل من المرأة والرجل وظيفة طبيعية رئيسية واحدة واذا ترك احدهما وظيفتهُ الطبيعية اخلَّ بها لخروجهِ عن حد النظام المرسوم لهُ واختل نظام الاجتماع وفقاً لذلك بلا جدال وقد يؤُول امرهُ الى الفناء

ولنا في الطبيعة من نظام الفلك ودورة الكواكب والاجرام كما لنا في فصول السنة الاربعة كما لنا في النبات والحيوان نظام حكيم اوجدتهُ الحكمة الفائقة درساً لنا ومثالاً لتعليمنا قوة عمل النظام في حياة الكون

لكل انسان الحرية في ان يعطي المرأة ما شاء من الوظائف ولكن وظيفتها « ام » « وزوجة » ولا يجب ان تكون غير ذلك اذا كنت تصلح لغيرهِ كما يقضي بذلك حكم تكوينها الطبيعي اولاً وحكم نظام الاجتماع ثانياً . وبرهان ذلك اولاً ان المرأة اذا ضمت الى وظيفتها وظيفة الرجل مع العلم ان وظيفتها عظيمة وشاقة ووظيفتهُ كذلك فكأنها وضعت فوق عنقها نيراً فوق نيرها ولا ادري كيف ان امرأة ترهق نفسها باعمال الرجل تستطيع احتمال الحمل وآلام الوضع ولا كيف تحسن تربية اولادها وتدبير منزلها حين قيامها بعمل الرجل

ثانياً . ان كل امرأة تشغل مركزاً من مراكز الرجل فهي قد اخلتهُ منهُ وبالتعبير الصريح طردته منهُ ومتى تعدد ذلك اصبح الرجال خلواً من الاعمال واذا قوي تيار ذلك الامر انعكست الاية واصبح الرجل ذنباً والمرأة رأساً واصبحت هي التي تسعى في مجاهل الارض لاعالتهِ بعد ان كان ذلك من امره كما هي الحال في مصر بين رعاع المصريين اذ تشتغل المرأة ولو فيما يندي الجبين خجلاً وتعول الرجل وهو جالس مع رفاقهِ في المحاشش

واثباتاً لما تقدم اذكر عبارة قرأتها في احدى الجرائد الانكليزية محصلها

« قبض البوليس على رجل كان يحاول خطف رغيف ولما مثل امام القضاء قال : يقولون ان الله يساعد من يساعد نفسهُ وانا ما طرقت باباً الاَّ وجدتهُ مغلقاً في وجهي فقد ذهبت الى مصلحة التلغرافات لعلّي اجد عملاً اشتغل بهِ فوجدت كل الاشغال بيد النساء . طرقت السكك الحديدية فما وجدت سوى يد المرأة قابضة على زمام اغلب الاعمال . ذهبت الى المحال التجارية فوجدت النساء بايديهنَّ معظم الاعمال والمحال تموج بهنَّ جيئة ورواحاً وهكذا كلما طرقت باباً وجدت المرأة من خلفهِ فلم استطع الاَّ ان اخطف رغيفاً اسد بهِ جوعي فقيل لهُ : ولكن قبل ان تساعد نفسك بخطف الرغيف يجب ان تقضي في السجن ستة اشهر . ثم سيق الى السجن »

واظن مثل هذا الامر غير محتاج الى تفسير وشرح بل هو ناطق بان المرأة اذا خرجت عن الحد المرسوم لها فقد عرضت الاجتماع للتقوُّض والفناء . وعلى ذلك اقول ان الاصلح للعالم وليس للامة فقط ان ينقطع النساء لتدبير بيوتهنَّ وتربية اولادهنَّ فتكون الامرأة امرأة بالمعنى الصحيح

اكتفي بما تقدم ومن شاء ان يناقشني فليبرهن اولاً كيف تستطيع المرأة ان تكون اماً وزوجة وهي تقضي نهارها وليلها خارج منزلها وكيف تحسن تدبير منزلها وتربية اولادها وهي تشتغل بعمل آخر

كامل جرجس

مساحة البلاد العربية

سيديَّ منشئي المقتطف المحترمين

رأيتُ في الجزء السادس من المجلَّد الرابع والثلاثين من المقتطف كلاماً للباحث العثماني في مساحة الولايات العربية وعدد سكانها فانتظرتُ ان ارى حضرتهُ يذكر بين البلاد العربية

جزءًا كبيراً من ولايتي ديار بكر وبدليس وهو الجزء من الولايتين الذي يتكلم سكانهُ باللغة العربية وعددهم نحو ثلاث مئة الف نفس على اقل التقدير ولكن حضرتهُ لم يذكر ذلك ولعلهُ لم يبلغهُ ان في هاتين الولايتين من يتكلمون بالعربية ولا عجب في ذلك فان وسائط معرفتنا ببلادنا قليلة· فأستأذن حضرتهُ في زيادة الجزء المشار اليهِ من الولايتين المذكورتين على البلاد العربية التي ذكرها وفي ضم ثلاث مئة الف نفس على عدد المتكلمين بالعربية في بلادنا العثمانية

عمانوئيل قرياقس

مديات (ما بين النهرين) اناويس

سياحة الخوري الياس الموصلي

سيدي منشئ المقتطف

اجابة لسؤالكم عن حجم كتاب سياحة الياس بن حنا الموصلي الكلداني اخبركم انهُ ثمانية عقد وربع في ست وربع وفي كل صحيفة ثمانية عشر سطراً وعدد الصفحات المكتوبة مئة وتسعة وثلاثون ولو طبع بحرف المقتطف وحجمهِ لبلغ ستين او خمساً وستين صفحة

وتبتدئ الديباجة بقول المؤلف : « الحمد لله الذي خالق البرايا بحكمتهِ ... » وفي آخر الكتاب هذه العبارة : « قد تكمل هذا الكتاب بعون الله الوهاب في بورط صانتا ماريا التي هي مقابلة لمدينة كادس على يد الحقير الكواليرالكواليراندراوس بن مقدمي عبدالله الكلداني في اول يوم شهر آذار المبارك سنة الف وستمائة تسعة وتسعين في اول نساختهُ · ونساختهِ الثانية في كانون الاول من سنة ١٧٥١ والحمد لله دائماً » ثم : « دفع شماس كوركيس لشماس حنا عشرين بغدادية ثمن نسخ هذا الكتاب »

ويقول صاحب كاتالوج المكتبة ان هذه النسخة منقولة عن نسخة في الشرق ولكنهُ لم يذكر البلد

لندن سلامه موسى

[المقتطف] وجاءنا من حضرة الكتبي المشهور جرجي افندي غرزوزي ان الكتاب المشار اليهِ طبع في بيروت وبعث الينا بنسخة منهُ وعليها حواشي للاب انطون رباط

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نوابغ نساء العصر

فلورنس نيتنغايل

نشرنا ترجمة هذه السيدة الفاضلة في المجلد الثالث والثلاثين والصفحة ٣٣٤ من المقتطف وقلنا هناك ان ملك الانكليز منحها نشان الاستحقاق الذي لم يمنحهُ الاَّ للاربعة والعشرين الذين هم اعظم رجال مملكتهِ مثل لورد كلفن الطبيعي الشهير والسر وليم هيجنس الفلكي الشهير ولورد كرومر ولورد كتشنر . والظاهر انهُ لم يكن في الحسبان انهُ يعطيهِ لامرأَة لكن فلورنس نيتنغايل استحقتهُ باعمالها المبرورة كما استحقت ان تمنح حرية مدينة لندن ولم تمنح هذه الحرية لامرأَة قبلها الاَّ للبارونة بردت كوتس التي اشتهرت بصداقتها الكثيرة . وقد بلغت فلورنس نيتنغايل التاسعة والثمانين في شهر مايو الماضي

البارونة غربنبرج

يقال ان نساء فنلندا التابعة لروسيا بارينَ الرجال في كل الاعمال فتراهنَّ في المخازن والدكاكين والبنوك والمدارس والمكاتب . ويحقُّ لهنَّ ان يكنَّ نائبات في مجلس النواب وقد كان في مجلس نواب فنلندا ٢٥ من النساء ومنهنَّ البارونة غربنبرج وهي طويلة القامة صبيحة الوجه شائبة الشعر قوية العارضة في الخطابة ابوها البارون غربنبرج عضو في مجلس الشيوخ في فنلندا . ساحت في انكلترا والولايات المتحدة للبحث عن الاحوال الاجتماعية والماشية واشتركت في تأسيس جمعية النساء الدولية في مدينة وشنطون سنة ١٨٨٨ ولما عادت الى وطنها رأَست جمعية اعطاء النساء حقوق الانتخاب ولا تزال رئيسة لها الى الآن وانشأَت مجلة في هذا الموضوع ولم تزل تكتب وتخطب حتى اعطي نساء بلادها حق الانتخاب لمجلس النواب فينتخِبنَ ويُنتخَبنَ

كرستل مكملن

خطيبة اسكتلندية مشهورة دافعت عن حقوق النساء في شهر نوفمبر الماضي في مجلس الاعيان وكان مجتمعاً كمجلس استئناف أعلى وبقيت تخطب ثلاث ساعات ونصف ساعة وهي تسرد الدليل تلو الدليل والحجَّة بعد الحجَّة ووزير الحقانية يصغي الى اقوالها ولم يعترضها مرةً واحدة ولا هي تلعثمت في كلمة واحدة وكان موضوع دفاعها ان لنائلات الدبلوما من جامعات اسكتلندا حق الانتخاب مثل نائلي تلك الدبلوما

الدكتورة غرت اندرسن

هي اول سيدة انكليزية انتخبت لرئاسة مجلس بلدي في مدينة من مدن الانكليز وكان انتخابها لهذه الرئاسة في شهر نوفمبر الماضي · كان ابوها من قبلها رئيساً للمجلس البلدي في تلك المدينة وتلاهُ اخوها في الرئاسة ثم تلاهُ زوجها · ولكن رئيس المجلس البلدي في بلاد الانكليز يقضي بين الناس اما هي فلم تعطَ حق القضاء حتى الآن لانهُ مختص بالرجال · وهي اول دكتورة اجيز لها تعاطي صناعة الطب في البلاد الانكليزية وبقيت سنين عديدة تمارس التطبيب في لندن ولا طبيبة فيها غيرها

الدكتورة انا شو

هي لاهوتية اميركية وتلقَّب بفم الفضة الاميركية لبلاغة مواعظها · درست علم اللاهوت في جامعة بوستن ونالت منها الدبلوما وسيمت للخدمة الدينية في كنيسة المثودست وهي الآن رئيسة جمعية المطالبات بحقوق الانتخاب

اللباقة والجمال

كتبت احدى السيدات في جريدة المرأة تقول « رأيت فتاة من بنات عمي فوجدتها كاسفة البال حمراء الانف مستسلمةً لليأس لا ثيابها لابقة ولا شعرها منتظم ولا وجهها بشوش فقلت لها علامَ لا تصلحين شأنك فاجابت كيف اصلحهُ وهل في يدي تغيير خلقتي فقلت لها اعملي بما اقولهُ لكِ وانا الكفيلة باصلاح شأنكِ فقالت لي افعلي ما تشائين وانا طوع امركِ · فحللت شعرها وكانت تجمعهُ وتعقصهُ فوق نقرتها ثم رفعتهُ الى اعلى رأسها وجمعتهُ وازلتهُ على

وجهها ثم رفعتهُ وعقصتهُ حتى بقي جانب منهُ مكللاً وجهها فتحسن منظره كثيراً ومنعتها عن الأكل الثقيل في المساء وعن اكل الحلوى على انواعها وجعلتها تقتصر على اللبن والخبز الاسمر الجيد والسمك والخضر والفواكه وتكثر من شرب الماء بين طعام وطعام وكانت مصابة بسوء هضم فشفيت منهُ وزال احمرار انفها وزالت الكآبة من وجهها. والزمتها بالخروج من البيت كل يوم ولو ساعة من الزمان وجعلتها تفتح شباكاً في غرفتها ليلاً وهي نائمة وتعمل جانباً من اعمال البيت كالكنس وترتيب الاسرَّة وتمرّن عضلاتها ببعض التمارين الرياضية واشرت عليها بابتياع الثياب التي تناسب شكلها وقامتها. فصارت كأنها شخص آخر منتصبة القامة بشوشة الوجه طلقة المحيا وصار يسهل عليها ان تتكلم مع الذين يكلمونها وتباسطهم في الكلام ولم يمضِ عليها بضعة اشهر حتى ملأت عيني شاب من درجتها فخطبها وتزوج بها

الرياضة للنساء

يراد بالرياضة ما يسمَّى بالجمنستيك وهو حركات منتظمة لتقوية عضلات الجسم وتمرينها على الاعمال الشاقة ولو لم تبقَ بها القامة جميلة معتدلة وهذا ليس ما يطلب في رياضة النساء وانما يطلب في رياضتهنَّ جودة الصحة واعتدال القامة والقوام ولا تجود الصحة الا اذا تنقى الدم بالتنفس الصحي وتقوت العضلات التي تساعد على هذا التنفس فان المرء قد يروّض جسمهُ كثيراً ولا تكون رياضتهُ مما يحسن صحتهُ وقوامهُ. فالفتاة التي تريد ان تستفيد من الرياضة لا يطلب منها ان تحرك حركات عنيفة تقوي يديها ورجليها بل يطلب منها ان تقوي عضلات صدرها حتى يجود تنفسها وتنتصب قامتها ويعتدل قوامها

الالعاب الرياضية

قلما يعتني الشرقيون بالرياضة البدنية لاسيما في المدن الكبيرة وهي ضرورية جدًّا للذين لا يتعاطون اعمالاً بدنية وهم كثيرون في مدينة مثل مصر القاهرة. فمنهم موظفو الحكومة وارباب الاقلام والتجار وخلافهم وقلما تجد بين هؤلاء من يقضي اوقات الفراغ في الرياضة البدنية فاذا انصرف الواحد منهم من اشغالهِ ذهب الى القهوة او غيرها من محلات اللهو بينما نرى كثيرين من الاجانب يصرفون زمناً معيناً من اوقات الفراغ عندهم في الرياضة البدنية. وقد سرَّنا ان بعض الشبان من اعيان المصريين اخذوا يهتمون بالرياضة البدنية وقد نال احدهم منذ نحو اسبوعين الجائزة الاولى في صيد الحمام. فاتقان الصيد والسباحة

وركوب الخيل ولعب السيف وما اشبه من الامور المستحبة في الرجال وبعضها يستحب في النساء ايضاً هذا فضلاً عن فائدتها صحياً وادبياً فانها تمنع الشبان عن بعض الملاهي المنكرة التي لا تجلب لهم سوى الاضرار المادية والادبية

والالعاب الرياضية متيسرة لجميع الطبقات من الناس . والغني في حاجة اليها اكثر من غيره . وهي كثيرة جداً نذكر بعضها لفائدة القراء

الكرة والصولجان — وهي التي يسميها الانكليز بولو ويلعبونها في الجزيرة وقد اخذها الافرنج عن العرب وهؤلاء اخذوها عن الفرس . وكانت شائعة كثيراً في العراق والشام ومصر يلعبها الخلفاء والامراء . فميدان الظاهر في القاهرة كان مرسحاً للعب الكرة قبل ان بني فيه الجامع المعروف . والكرة والصولجان من الالعاب الرياضية المفيدة جداً ولا شيء يعلم الانسان اتقان الفروسية مثلها لكنها من الالعاب العنيفة التي لا يصلح لها الا الاشداء وهي لا تخلو من خطر في بعض الاحيان

التنس — من الالعاب اللطيفة الشائعة كثيراً يلعبها الرجال والنساء وفي مصر القاهرة اندية خصوصية لها

التزلج — من الالعاب الجديدة في القاهرة وفيها مرسحان او ثلاثة للتزلج واحد في الجزيرة وواحد في شارع سليمان باشا والدخول مباح لكل شخص مقابل مبلغ يسير يدفعهُ

الصيد — للصيد فائدة كبيرة فهو رياضة للبدن والنظر والسمع وخفة الحركة . ولا اكثر من الصيد في مصر ولاسيما صيد الطيور كالاوز والبط والقمري والاطرغل (الترغل) والسماني (الفري) والحمام . وفي صحراء مصر الغزال والرئم والوعل اي المعز الجبلي والاروية اي الضأن الجبلي والضبع والثعلب والذئب . ولبعض امراء مصر واعيانها ولع بالصيد لكنهم قليلون بالنسبة الى الاجانب

السباحة — من الرياضة المفيدة جداً لاسيما في البحر الملح . والسباحة في النيل والترع خطرة كما يعلم من كثرة حوادث الغرق . وذكرت الجرائد من نحو سنتين ان شركة تفكر في بناء حوض للسباحة في الجزيرة فعسى ان يتحقق ذلك

ركوب الخيل — لا نرى من يركب الخيل في مصر بقصد الرياضة الا الاجانب وعدد قليل جداً من الوطنيين . وركوب الخيل من انواع الرياضة المستحبة كثيراً

ومن انواع الرياضة السير على الاقدام ولعب كرة القدم والجماز (الجمناستيك) والكِيل والبلياردو وكل ذلك افضل كثيراً من الجلوس حول طاولة البوكر

باب التقريظ والانتقاد

معجم الطالب

طالما شعرنا وشعر كل كاتب بحاجة ماسة الى قاموس عربي غزير المادة نزيه الالفاظ قريب المأخذ رخيص الثمن يكفي طالب اللغة ويغني المتعمق فيها عن المطولات لا تخجل فتاة من البحث فيهِ ولا يأنف والد من وضعهِ في يد ابنهِ وابنتهِ. وقد التقينا هذا الصيف في قرية الشوير بصديق قديم تجمعنا بهِ محبة العلم وهو الاستاذ العالم العامل جرجس افندي همّام واذا في يدهِ كتاب يهديهِ الينا وهو نسخة من المعجم المطلوب والضالة المنشودة. كتاب صغير الحجم غزير المادة فيهِ نحو الف وثلثماية صفحة من الورق الرقيق تجمع اكثر من ثلاثين الف كلمة مطبوعة بحرف دقيق واضح ومفسرة تفسيراً صحيحاً جامعاً فلا يستغني عنهُ كاتب ولا طالب علم. فشكرناهُ على هذه الهدية النفيسة لاسيما وانها كانت فاتحة ما رأيناهُ من دلائل الارتقاء الادبي في ديار الشام. وهاك بعض الامثلة نقلناها عنهُ عرضاً اشهاراً لكيفية ذكرهِ الالفاظ وتفسيرها

(العذير) بفتح فكسر العاذر وقول العرب عذيرك من فلان اي هات من يعذرك منهُ فيلومهُ ولا يلومك ج عذُر

(الاعذار) مصدر اعذر . وطعام الختان خاصةً وقيل طعام يتخذ لسرور حادث

(المعذرة) بفتح الاول وتثليث الذال بمعنى العذر ج معاذر

(عذق ـَـِ عذقاً) النخلةَ قطع سعفها والشاة وسمها بصوفة ليعرفها وفلاناً بشرٍ رماهُ ووسمهُ بهِ

(الغَبَس) بفتحتين بياض فيهِ غبرة ومن الليل ظلامهُ المختلط بضوء النهار

(الاغبس) ما لونهُ الغبسة . وذئب اغبس اذا كان لونهُ كذلك. وهي غبساء من ذئاب غُبْس

(غبش ـَـ غبشاً) واغبش الليل خالط ظلمتهُ بياض في آخر الليل

(الاغبش) ما لونهُ الغبشة ج اغباش وليلة غبشاء من ليالٍ غبش

(فال ـِـ فيولةً) رأي فلان ضعف ولم يصب

(الفائل) اسم فاعل وهو فائل الراي ضعيفهُ

(الفيل) بالكسر حيوان لبون عظيم الجثة له خرطوم طويل يقوم مقام اليد في الانسان . وداء الفيل يحدث منهُ غلظ في الساق تتخلله عجر نائتة . واصحاب الفيل جنود ابرهة الاشرم الحبشي

وكل كلمات هذا القاموس مفسرة على هذا النسق من الايضاح والاختصار فنحث رؤساء المدارس واساتذتها وتلامذتها على اقتنائهِ والانتفاع بهِ

الارض والسماء

دروس الحياة الانسانية

لقينا في سياحتنا هذا الصيف اديبًا طالما اتحف المقتطف بمقالاتهِ الحسان وهو الشاعر المطبوع والكاتب البليغ امين افندي ظاهر خيرالله فاهدى الينا نسختين من كتابين الفهما حديثًا الاول موضوعهُ الارض والسماء وهو اشعار ادبية اخلاقية نظمها على اسلوب الياذة هوميروس كبير شعراء اليونان بدأها بموشح وصف فيهِ دار الارباب وڤينيس (اي الزهرة) توغر صدر زفس (المشتري) على البشر ومنزوًا تسأل لهم المزيد من رحمتهِ وهو يعلن استقلالهُ بالتدبير فقال

ارسلِ الفكرَ رائداً للخفايا لا تغرَّنك الامورُ الظواهرْ

كم رأينا مُنىً تقودُ منايا وعدوًّا في ثوبِ خلٍ مناصرْ

هذه الدارُ دارُ إفكٍ ومكرِ

وولاء بادٍ وضامر غدرِ

فنقأذْ دوماً صفيحةَ فكرِ

وانقُدِ القولَ حين يعرضُ نقدا فاصلاً بين خالصٍ وزيوفِ

دور

واذا رُمتَ ان تُصيبَ المرامي فتجرَّدْ عن عالمِ الاملاء

تابعاً قولَ سادةِ الإفهامِ كلُّ سرٍ في الارض ضمنَ السماء

من وراء المنظورِ ما لا يُنظَرْ

وَهوَ اقوى ممَّا نراهُ وأقدَرْ

عَرَضٌ ما نرى وما غابَ جوهرْ

فلإدراكِ جوهرٍ كن مُجِدّا وتوقَّلْ متنَ السحابِ اللطيفِ

دور

إملإِ القلبَ خشية ووَجيبا تلكمُ الدارُ موطنُ الاربابِ
وتلفتْ ترَ اجتماعًا مهيبًا ترَ زَفسًا قد حلَّ في المحرابِ
بازغ النورِ اذهلَ الأَفكارا
سلبَ الروعَ أَغمضَ الأَبصارا
كلُّ هذا الوجود منهُ استنارا
ذاك نورٌ من وجه زفس تبدّى فجلا طُرَّةَ الظلامِ الكثيفِ

دور

كان زفسٌ من فوق عرشٍ منيرِ وفنيسٌ كذا منرفا أمامهْ
وعلى الجانبين كلُّ قديرٍ محكمٍ حجّةً عزيزٍ كرامهْ
وفنيسٌ قالت اري الاملاءَ
قد تعالت اعناقُهم خُيلاءَ
ملأُوا ارضهم ورادوا السماءَ
فتخطوا ما سنهُ زفسُ حدًّا وأَرَونا اذى العدوِّ المخيفِ

دور

ربما وطأُوا متونَ السحائبْ وعلوا يطلُبونَ هذي الديارا
كغزاةٍ مستنصرين القواضبْ والانابيبَ كي تذوقَ البوارا
ومنرفا قالت ضلالُ ابنِ حوّا
ملأَ الارضَ كلها والجوّا
فلنبدْ كلَّ ما تمثَّل دَجْوا
ليروا مسلك الفضيلةِ قصدا ويهيموا بكلِّ قصدٍ شريفِ

دور

زَفسُ صيِّرْ أَروُضهم دار خُلدِ وأُنشر الفضلَ بينهم والعفافا
مدنيًا منهمُ مناهلَ رُشدِ فيحبوا الوئام والانصافا
فنراهم مثل الملائك طهرا
يحسنون الاعمال سرًّا وجهرا
حسبوا زاهرَ الشمائل دُرًّا

وأنتقوا جوهرَ الكرامة عقدا ففدا الليثُ منهمُ كالخروفِ

والكتاب كلهُ على هذا النسق وقد ضمنهُ اساليب مختلفة من الشعر وعلّق عليهِ حواشي شرح فيها ما غمض من الفاظهِ ومعاني اياتهِ وما فيها من النكات البيانية . وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة ذهب فيها الى ان بدء الشعر كان لمخاطبة الخالق استغفاراً عن الذنوب واستمداداً للنعم واعترافًا بالآلاء ثم استطرد الى الشؤُون التي دعت شعراء العرب الى نظم اشعارهم كارشاد البنين وتدوين العظات والوصف والغزل والنسيب وما اشبه وذكر امثلة لذلك كلهِ من بليغ اشعار العرب

والكتاب الثاني دروس في الحياة الاجتماعية وهو قصص ادبية وصف بها حياة عائلة في مدينة نيو يورك وتأثير الوالدين في اولادهما . والكتاب نظمًا ونثراً كمقامات الحريري والهمذاني لولا خلو نثرهِ من السجع لكنهُ قصة واحدة مثل قصة العائلة السويسرية او مثل كتاب جان جاك روسو

ومؤَلف هذين الكتابين شاعر مطبوع لم نرَ شاعراً اسرع منهُ خاطراً اقترح عليهِ بعضهم امامنا وزنًا وقافيةً فنظم عليهما بيتين من غير تردد فاخذنا القلم لنكتبهما فنظم خمسة ابيات وكان في النظم اسرع منا في الكتابة وجعل القافية المقترحة ختامًا للابيات وضمنها اسمهُ فقال

تكسى من المدح البهي مطارفًا نظم الامين امين خير اللهِ

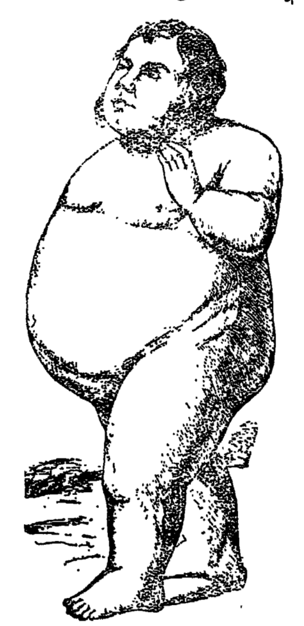
تاريخ الانسان الطبيعي

عرَّب هذا الكتاب عن اللغة الفرنسوية حضرة الكاتب المجتهد الياس افندي الغضبان « وذيَّل اكثر مواضيعهِ بالآراء والحوادث العلمية التي خطرت لهُ او عثر عليها في اشهر مؤلفات علماء العرب »

ويبتدئ الكتاب بفصل عن تكوُّن الارض بانفصالها عن الشمس وجمودها باشعاع الحرارة منها وظهور الاحياء عليها ويذهب المؤلف الى ان النبات ظهر اولاً وشمل الارض قبلما ظهر الحيوان عليها وهو قول قديم لا يعوَّل عليهِ الآن . ثم يتدرَّج الى الكلام على الافعال الجيولوجية التي غيرت وجهها والى نشوء الانسان فيها والمشابهة بينهُ وبين القرود . وانتقل من المعلومات الجيولوجية والبلينتولوجية الى الاخبار التاريخية والمنقولات السابقة لعهد التاريخ ثم تدرَّج الى الكلام على اجناس الناس المعروفة الآن الزنجي والاصفر والابيض

وفروعها المختلفة واستطرد الى ما يتعلَّق بذلك من المعلومات الطبيعية كالوراثة وتولُّد الشواذ والجبابرة والاقزام والسمن المفرط والهزال المفرط وما اشبه وذكر امثلة كثيرة لما تقدم واوضحها بالصور والرسوم من ذلك قولهُ عن السمن المفرط او الربالة كما سمَّاها

« ان اغلظ جسمٍ بشري شوهد على وجه المعمور كان مما لا يقبل الريب جسم الرجل



الانكليزي من ولاية غال المسمى او بكانس . ذلك انهم لما رغبوا في زنتهِ واذ لم يتهيأ لهم ميزان متين ليزنوهُ فيهِ رأوا اذ ذاك ان يضعوهُ فوق ارجوحةٍ ذات عجل وبها توصلوا الى تقدير ثقلهِ وقد بلغت زنتهُ ٩٩٠ ليبرة !!!

« هذا وانهم قد تجولوا بهذا الهولة الانكليزي في مدينة لوندرا محمولاً على مركبةٍ من

مركبات البضاعة تقطرها اربعة ثيرانٍ من اشد الثيران . ومما يحكى ان او بكانس لما اراد يوماً من الايام ان يقوم من مقعدهِ متنقلاً فقد اضاع موازنة ذاتهِ وسقط فوق خنزيرةٍ كانت ترضع سبعة عشر خنوصاً فشدخها وهرس بضعة من صغارها . ثم اقتضى الامر ان يكلفوا ستة اشخاص اشداء ليقوموا برفعهِ واعادتهِ الى مقعدهِ . وقد لاقوا بذلك مشقةً قوية وعناءً جسيماً . ولما قضى نحبهُ اقتضى لعمل تابوتهِ عشرون لوحاً من الخشب . وبعد ان اضجعوهُ فيهِ حملوهُ على مركبةٍ يجرها رأسان من اشد الخيل . ثمَّ انهم كسوا خمسة عشر غلاماً فقيراً بالجوخ المستخرج من سترتهِ (ريدنجوت) (اكذوبة) »

ويتضح من ذلك وممَّا نقلناهُ في بعض اجزاء المقتطف الماضية عن هذا الكتاب انهُ جامع بين الفكاهة والقضايا العلمية . وقضاياهُ العلمية تتناول مباحث كثيرة جيولوجية وبليئنتولوجية وبيولوجية وفسيولوجية ولو لم يكن المؤلف ثقةً في علم منها . وقد طبع طبعاً حسناً جدًّا على ورق جيد في نحو خمس مئة صفحة



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) سكان سورية

بلوفنتين بجنوبي افريقية . الخواجه ابرهيم عازار . هل يعدُّ سكان سورية من الشعوب الاوربية حسب نظام لبنان المصادق عليهِ من الدول سنة ١٨٦٠

ج . ان نظام لبنان لا يتعرَّض لهذا الموضوع ولكن لا شبهة في ان كثيرين من سكان اوربا الآن وكثيرين من سكان سورية هم من اصل واحد فاليهود الذين لهم السيادة الآن في اوربا في انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا لان منهم الوزراء والعلماء ورؤساء المجالس البلدية هم من جنس اليهود سكان سورية ومن جنس كثيرين من المسيحيين والمسلمين الذين اصلهم يهود وتنصروا

او اسلموا . وقد سكن سورية كثيرون من اليونان والرومان والصليبيين وقتما تغلبت هذه الاقوام عليها واختلط نسلهم بنسل سكانها الاصليين فاذا زعم رجال الحكومة عندكم انهُ لا يحق للسوريين ما يحق للاوربيين فزعمهم فاسد علمًا ويجب على الحكومة العثمانية ان تؤيد كون شعبها مثل الاوربيين في كل الحقوق واذا لم تستطع ذلك بالمخابرات السياسية ولا بالقوة الحربية فالشعب العثماني يعرف كيف يؤيدهُ بمقاطعة البضائع الاوربية لان هذه الحرب المالية صارت امضى من القلم ومن السيف

(٢) اول من قال بالجوهر الفرد

مديات (ما بين النهرين) . القس عمانوئيل قرياقس اناويس . من هو اول من قال بالجوهر الفرد ومن هو اول من نفاهُ وما رأي العلماء الآن فيهِ

ج . قال بهِ اولاً ليوسبُّوس الذي نشأ في بداءة القرن السادس قبل المسيح ثم فصَّلهُ ديموقريطس الذي نشأ في اواسط القرن الخامس قبل المسيح وقد ورد تفصيل ذلك في شعر نظمهُ لوقريطيوس الذي نشأ في القرن الاول المسيحي حيث قال ما مفادهُ ان الاستقراء يدل على ان التحليل اسرع فعلاً من التركيب فكان الواجب ان لا يبقى شيء مركبًا لو كان كل شيء قابلاً للتحليل فبقاء المركبات يدل على ان فيها اجزاء لا تقبل الانحلال وهي الجواهر الفردة . والظاهر ان اول من نفى الجوهر الفرد انكساغوراس الذي ولد سنة ٥٠٠ قبل المسيح وقال ان جواهر الهيولى تتجزأ الى ما لا نهاية لهُ

اما الآن فالمظنون ان الجوهر الفرد الكيماوي الذي لا يتجزأ كيماويًّا بل ينتقل من مركَّب الى مركب آخر صحيحًا مؤلَّف من وحدات كهربائية صغيرة جدًّا وقد اتضح ان الجوهر من الهيدروجين مؤلف من نحو ١٧٠٠ من هذه الوحدات . راجعوا خطبة رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني في اول هذا الجزء

(٣) نقود اسلامية مصورة

ومنهُ . المشهور ان المسلمين لا يرسمون صوراً على نقودهم وعندي نقود اسلامية قديمة فيها صور الملوك الذين ضربوها فأية دولة من دول الاسلام كانت تجيز ضرب النقود ذات الصور

ج . راجعوا ما كتبناهُ في المجلد الرابع من المقتطف والصفحة ٢٣٠ وما بعدها عن النقود العربية تجدوا هناك ان من اقدم النقود العربية ذات الصور درهمًا على وجههِ الواحد صورة فارس متقنة الصنعة وعلى دائرهِ « لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليهِ الناصر لدين الله امير المؤمنين » وعلى وجههِ الثاني « السلطان القاهر ابو الفتح سليمان بن قلج ارسلان ناصر امير المؤمنين » . وعلى دائرهِ « ارسلهُ بالهدى ودين الحق ليظهرهُ

على الدين كلهِ ضرب بمدينة قيصرية سنة سبع وتسعين وخمسماية » فهو من ضرب سليمان الثاني من السلاجقة ·ووجد فلس على وجههِ الواحد صورة رأسين متواجهين وحولهما بالخط العربي نجم الدين ملك ديار بكر وعلى الوجه الثاني صورة العذراء تتوج الامبراطور يوحنا الثاني وحولها بالخط العربي« ابو المظفر البي بن ترتماش بن ايل غازي بن ارتق » وهو من ارانقة ماردين · ويقال ان بعض نقود الامويين رومي وعليهِ صور رومية وكتابات عربية لكننا لم نرَ شيئًا من ذلك

(٤) ازالة صداء النقود

ومنهُ عندي نقود نحاسية قديمة قد علاها الصدأ فما هو احسن مركب كيماوي يزال بهِ صدأها بدون ان تتضرَّر كتابتها ونقوشها

ج · نحن ننقعها في زيت الزيتون فيسهل نزع الصدإ عنها

(٥) المدارس الاجنبية والتعليم الاجباري

سان باولو بالبرازيل · الخواجه يعقوب صقر · هل تقدر الحكومة العثمانية ان تضع يدها على المدارس الاجنبية وتجعل التعليم اجباريًّا

ج · لا يبعد انها تقدر ان تضع المراقبة الشديدة على المدارس الاجنبية اذا لجأَت الى القوة ولكن لا فائدة لها من ذلك بل قد تبطل تلك المدارس وهي من الزم اللوازم لترقية بلادها اما جعل التعليم اجباريًّا فلم يحن وقتهُ لانهُ ليس في المملكة العثمانية معلمون كافون لتعليم كل الاولاد ولان تعميم التعليم يقتضي مليوني ليرة في السنة على الاقل

(٦) المحاكم واللغة التركية

ومنهُ · هل تقدر الحكومة العثمانية ان تجعل لغة المحاكم في سورية باللغة التركية وتهمل اللغة العربية واذا فرض وقدرت على ذلك واهملت اللغة العربية فهل يعود ذلك عليها بالنفع

ج · لا شبهة ان توحيد اللغة في البلاد العثمانية انفع لها من استعمال لغات مختلفة ولكن توحيد اللغة الآن ضرب من المحال ولا يعقل ان الحكومة العثمانية تقدم عليهِ · وجعل التركية لغة المحاكم لا يوجب توحيد اللغة وهو ليس من المستحيلات لذاتهِ ولا هو مضيع لحقوق المتخاصمين اذا وجد في البلاد محامون يحسنون التركية مع العربية فالمحاكم المختلطة في مصر تستعمل اللغة الفرنسوية وابناء البلاد الذين ترفع دعاويهم اليها لا يحسبون انهم يغبنون لان المرافعة فيها تكون بالفرنسوية ولكن ليس في البلاد العثمانية العربية الآن محامون يحسنون التركية فلا سبيل للمرافعة بها

(٧) الطب والحقوق والعقل

ومنهُ · ايهما ادعى الى توسيع العقل علم الطب او علم الحقوق

ج · اذا اريد بتوسيع العقل زيادة

المعلومات فعلوم الطب وما تبنى عليهِ من العلوم الطبيعية اكثر معلومات من علم الفقه واذا اريد استنباط الاقيسة والبراعة في انتاج النتائج من المقدمات فعلم الحقوق ادعى الى ذلك

(٨) الفضة الجلاتينية

قنا . محمد افندي نور . ما هو الدواء الجديد المسمَّى Argent colloïdal وهو يستعمل كثيرًا في هذه الايام وما هو تركيبهُ وكيف يستحضر

ج . الدواء الذي تشيرون اليهِ ويسمَّى Collargol ايضًا ليس سوى نوع من الفضة المستحضرة بطريقة خصوصية ويوجد منهُ صنفان يستحضر احدها بطريقة كيماوية ويسمى Argent colloïdal chimique اي الفضة الجلاتينية الكيماوية . ويستحضر بفعل كبريتات الحديد بنترات الفضة مع وجود حامض الليمون معهما . وهو حبيبات سوداء ذات لمعان معدني تذوب في الماء . والنوع الثاني يسمى Argent Colloïdal électrique اي الفضة الجلاتينية الكهربائية و يستحضر بامرار قوس كهربائي بين صفيحتين من الفضة منغمستين في الماء المقطَّر . وهو سائل ضارب الى الاحمرار يحتوي اللتر منهُ على ٢٥ سنتغرامًا من الفضة اي انهُ بنسبة ١ الى ٤٠٠٠ وهو انقى من الصنف الكيماوي وافضل منهُ للاستعمال وهو يستعمل حقنًا تحت الجلد في الامراض العفنة

(٩) الموت واسبابهُ

القاهرة . اسكندر افندي تادرس . متى حلَّ الاجل هل يجب ان تصيب الجسم علَّة توقف حركة القلب ليموت الانسان او قد تقف حركتهُ بدون علة بمجرَّد المشيئة الربانية

ج . ان العلم الطبيعي لا يبحث الاَّ عن العلل الثانوية او المباشرة وبموجبهِ لا بد من سبب طبيعي للموت ولكن الفلسفة التي تبحث عما وراء الطبيعة تقول ان وراء العلل الطبيعة علة اخرى وهي علة العلل فتستخدم العلل الطبيعية لاحداث ما يحدث في الارض

(١٠) السن والزواج

اميركا الشمالية . ا . ن . هل من ضرر اذا تزوج شاب عمرهُ ٢٢ سنةً بفتاة عمرها ٢٤ سنة . واذا تزوجت فتاة عمرها ما بين ٢٥ و ٣٠ سنة فهل يلحق بها ضرر او شيء آخر يؤثر في حياتها الزوجية

ج . لا مانع من زواج شاب بفتاة اكبر منهُ بسنتين لكن الاصلح ان يكون الرجل اكبر من امرأتهِ ببضع سنوات . اما اذا تزوجت فتاة وعمرها يزيد على ٢٥ سنة فقد يؤثر ذلك في الولادة اذ تكون مفاصل العظام التي يتألف منها الحوض اكثر تماسكًا بعضها ببعض فتتعسَّر الولادة بسبب ذلك . ولا تاثير على حالتها الزوجية في ما سوى ذلك

(١١) لبس الصوف

اسبريتو سانتو (البرازيل) . الخواجه

خليل حنا سلمون . ما رأيكم في لبس قمصان الصوف وهل هي افضل من قمصان القطن وهل تشيرون بترك الصوف على من اعتاد لبسهُ

ج لا ضرر من لبس قمصان الصوف وهي في اكثر الاحيان افضل من لبس قمصان القطن . اما من اعتاد لبس الصوف فلا نشير عليهِ بتركهِ لان ذلك قد يؤْذيهِ كثيراً

(١٢) دواء الدودة الوحيدة

ومنهُ . ماهو افضل دواء للدودة الوحيدة

ج . افضل دواء لها زيت السرخس الذكر المستحضر حديثًا ويجب على من يريد اخذهُ ان يصوم مدة كافية قبل ذلك . ومن الادوية الفعالة ايضًا الحشيشة الحبشية المعروفة بالكوسو ولا بد من استشارة الطبيب قبل اخذهما

(١٣) الروماتزم

ومنهُ . ما هي الاعراض التي تظهر في بداءة المرض العصبي (روماتزم) وما هي اسباب هذا المرض وهل هو وراثي او اكتسابي وما هي الوسائط الواقية منهُ

ج . لا يصح تسمية الروماتزم بالمرض العصبي اذ ان الامراض العصبية شيء آخر لكن اكثر الناس يستعملون هذين الاسمين لمرض واحد . ولفظة الروماتزم مبهمة ايضًا والغالب انكم تريدون بها المفصلي واهم اعراضهِ الم مع ورمٍ والتهابٍ في المفاصل ولا بد من مشاورة الطبيب لوصف العلاج اذ يلزم فحص القلب والكليتين وغيرها من الاعضاء قبل ذلك

(١٤) الادوية والمسهلات

ومنهُ . ما رأيكم في تعاطي الادوية والمسهلات على انواعها وهل تضعف الجسم كما يقول البعض . وما هو احسن دواء او واسطة لمنع الامساك

ج . ان الاكثار من تعاطي الادوية بدون موجب لذلك مضرٌّ جدًّا . فبعض الامراض تستوجب المعالجة واخذ الادوية عدة سنين وبعضها يكون الوقاية فيهِ افضل كثيراً من اخذ الادوية . اما المسهلات اللطيفة فلا بأس بأخذها من وقتٍ الى آخر لاسيما في البلاد الحارة ويفضل حينئذٍ اخذ المسهلات التي تحرك الكبد . ونعرف اناسًا لم يأخذوا دواء في عمرهم قط وهم على تمام الصحة . اما الادوية التي تمنع الامساك فكثيرة جدًّا وافضلها ما كان فيهِ شيء من التمر الهندي او الرواند او خلاصة الكسكارا ميجرادا . ومن الوسائط المستعملة لمنع الامساك اكل الفواكه والبقول والرياضة ومسح البطن بالماء البارد ودلكهُ والحقن الباردة

(١٥) فقد الشم

طنطا . حبيب افندي فهمي . عندنا سيدة أُصيبت من زمنٍ قريب بزكام شديد وشفيت منهُ تمامًا وعلى اثر ذلك فقدت حاسة الشم وقد عالجها بعض الاطباء ولم تشفَ

فالرجاء افادتنا عن سبب ذلك وعن علاجهِ

ج · يرجح ان فقد الشم في الحادثة التي تشيرون اليها ناتج عن تأثير الالتهاب على اطراف عصب الشم وهذه الحالة تزول مع الوقت في غالب الاحيان وتعالج بنضح الانف بالمحلول الآتي

كربونات الصودا	١٠ قمحات
بورق	٨ قمحات
لسترين	درهم واحد
ماء	اوقية طبية

اما اذا كان غشاء الانف متضخماً وفي الانف زوائد يجب عرض المريضة على طبيب اختصاصي لازالة ذلك بعملية جراحية

(١٦) منابع النيل

كفر المبروك · عبدالحي افندي سليم · هل وصل الناس الى جبال القمر التى يقال ان النيل يخرج منها

ج · نعم وصلوا اليها الآن وقد وصل اليها العرب واليونان قبلهم

(١٧) بلاد الهند

ومنهُ · هل في الهند بلاد ليست تحت سيطرة الانكليز او الفرنسويين او غيرهم من الشعوب الاوربية وان كانت توجد بلاد كهذه فما هي القاب حكامها

ج · لا يوجد في الهند بلاد ليست تحت سيطرة الاوربيين فبعضها ولايات خاضعة تمام الخضوع للانكليز وبعضها امارات لها نوع من الاستقلال لكنها كلها تحت حماية بريطانيا العظمى وقليل منها تابع لفرنسا

(١٨) عدد المسلمين وعدد المسيحيين في الهند

ومنهُ · كم عدد المسلمين وكم عدد المسيحيين في الهند

ج · المسلمون في الهند نحو ٦٢٫٥٠٠٫٠٠٠ والمسيحيون ٢٫٩٢٣٫٢٤١ وذلك حسب تعداد سنة ١٩٠١

(١٩) دواء لتنقية الدم

ومنهُ · ما هو افضل دواء لتنقية الدم

ج · الدم نقيٌ من طبعهِ ما لم يكن الانسان مصاباً باحد الامراض التي تدخل جراثيمها في الدم فالدواء اذ ذاك يتوقف على ماهية المرض · فاذا كان الداء ملاريا مثلاً فالكينا تنقيهِ واذا كان المرض المعروف بالزهري فاحسن شيء لتنقيتهِ الزئبق ومركبات اليود وكل ذلك يكون برأي الطبيب المعالج اما الادوية التي يعلنون عنها في الجرائد انها منقية للدم فلا يمكن الحكم بفائدتها قبل معرفة تركيبها

(٢٠) بلاد التبت

ومنهُ · نرجو ان تذكروا لنا شيئاً عن التبت وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وهل هي مستقلة ادارياً وخارجياً او تابعة للصين وما هو اعتقاد اهلها

ج · التبت بلاد جبلية شديدة البرد واقعة بين كشمير في شمال الهند وبلاد الصين

مساحتها ٤٦٣,٢٠٠ ميل مربع ويقدر عدد سكانها بين ثلاثة وستة ملايين نفس وعاصمتها لاسا حيث يقيم اللاما الاعظم وهو حاكم البلاد الديني والسياسي. والبلاد خاضعة للصين لكنها مستقلة ادارياً ويدين اهلها بالبوذية

(٣١) دواء البواسير

القدس الشريف. م. ج. ن. قرأت في جريدتكم المقطم اعلاناً عن دواء يسمى Elisir de Virginie Nyrdahl وذكرتم ان هذا الدواء يشفي البواسير بدون عملية فهل ذلك صحيح واين يباع هذا الدواء وما هي طريقة استعماله

ج. الاعلانات التي ترونها في الجرائد هي بلسان اصحابها والجرائد ليست مسؤولة عنها ولا نقدر ان نحكم هل هذا الدواء نافع او غير نافع ويقول اصحابهُ انهُ يحتوي على الهماميلس والفلفل الاحمر البراز يلي وكلاهما يستعملان للبواسير كما جاء في الكتب الطبية

ويباع هذا الدواء في جميع مخازن الادوية والصيدليات في مصر ولعلكم تجدونهُ في القدس الشريف ايضاً وثمن الزجاجة اربعة فرنكات ونصف وطريقة الاستعمال مكتوبة عليها

(٣٢) السكك الحديدية في البلاد العثمانية

لبنان. ن. خ. المرجوان تكتبوا لنا مقالة مسهبة عن السكك الحديدية في البلاد العثمانية وتاريخ نشأتها والشركات القائمة بها

ج. تجدون مقالة مسهبة عن السكك الحديدية في البلاد العثمانية في المجلد السابع والعشرين من المقتطف صفحة ٩٩٦ وكلاماً مسهباً عن سكة حديد الحجاز في المجلد الثالث والثلاثين صفحة ٨٠٩

(٣٣) ارز لبنان

البترون بلبنان. انطون افندي الشلفون. زرت في هذه الاثناء ارز لبنان بجوار بشري فقيل لي ان بعض اشجارهِ قائم هناك قبل زمن الطوفان فهل ذلك صحيح وهل من نصوص تاريخية تؤيد ذلك

ج. كلاَّ

(٣٤) عنوان كتاب

دمنهور. محمود افندي حلمي. اطلعت على كتاب باللغة الانكليزية عنوانهُ From the earth to the moon and round it اي من الارض الى القمر وحولهُ تأليف جول فرن فهل القصة المذكورة فيهِ صحيحة

ج. كلاَّ بل هي تصورية مثل كل قصص جول فرن

(٣٥) غروب الشمس

بني سويف. اذا كان الغروب بالساعة الافرنكية على ٥ فلماذا لا يكون دائماً على هذا الوقت لان الزمن من الغروب الى الغروب ٢٤ ساعة.

ج. اذا غربت الشمس الساعة الخامسة

بالحساب الافرنجي فيكون المراد ان المدة من نصف النهار الى الغروب ٥ ساعات ويكون طول النهار حينئذٍ من شروق الشمس الى غروبها ١٠ ساعات . ومعلوم ان النهار يطول صيفاً ويقصر شتاء فلا يبقى غروب الشمس على ساعة واحدة

(٢٦) لماذا تعوم الابرة على وجه الماء

ومنهُ . اذا وضعت ابرة فوق ورقة ووضعت الورقة فوق الماء داخل اناء ونزعت الورقة بلطف من تحت الابرة بقيت الابرة عائمة على وجه الماء مع ان الابرة حديد وهو اثقل من الماء كثيراً فكيف تطفو على وجههِ

ج . اذا دققتم النظر في الابرة وهي عائمة على وجه الماء وجدتم سطح الماء مجوَّفاً تحتها فان جاذبية الملاصقة بين دقائق الماء اشد مما هي بين الماء وحديد الابرة ولذلك تتكوَّف دقائق الماء على بعضها وتبتعد عن الابرة وزد على ذلك انهُ يحيط بالابرة طبقة من الهواء لاصقة بها فتدفع الماء عنها فكأن الهواء الذي يملأ هذا التجويف حول الابرة قد اضيف اليها فصارت بهِ اخف من الماء . ولكن اذا نظفتم الابرة بسائل ما يزيل الهواء عن سطحها ويجعل الماء يلصق بها فانها تغرق في الماء حالاً لانهُ لا يعود يندفع عنها ولا تعود هي تدفعهُ

(٢٧) شرب الماء

ومنهُ . من المعلوم ان ثلاثة ارباع اللحم ماء فلماذا نحتاج الى شرب الماء وقت اكل اللحم

ج . الماء الذي في اللحم لا يكفي للاستغناء عن شربهِ ولكن اذا اقتصر الانسان على اكل اللحم والفاكهة امكنهُ ان يستغني بهما عن شرب الماء اما وهو يأكل خبزاً ومواد أخرى جافة فلا غنى لهُ عن الماء

(٢٨) دوران الارض

ومنهُ كيف يستدل على ان الارض تدور حول الشمس

ج . ان جرم الشمس وبعدها عن الارض يُعلمان بالقياس والحساب الرياضي الذي لا شبهة فيهِ ويظهر منهما ان حجم الشمس يزيد على حجم الارض نحو ١٣٠٠٠٠٠ ضعف وان متوسط بعدها عن الارض نحو ٩٣ مليون ميل فقولنا ان الشمس تدور حول الارض كل اربع وعشرين ساعة هو بمثابة قولنا ان جسماً حجمهُ اكبر من حجم الكرة الارضية مليون مرة وثلثمئة الف مرة يدور حول الكرة الارضية بسرعة اربع مئة الف ميل كل دقيقة من الزمان . وليس ذلك فقط ولكن فرض دوران الشمس حول الارض يقتضي ان تكون النجوم كلها دائرة حول الارض وكل نجم منها اكبر من الشمس مراراً كثيرة وابعد منها عن الارض بما لا يقدَّر . فاذا فرضنا ان القطر المصري كلهُ يدور حول نملة فذلك اقرب الى التصديق من فرض ثبوت الارض ودوران الشمس والنجوم كلها حولها . وهناك ادلة أُخرى على

دوران الارض حول الشمس ترونها في كتب الفلك وفي بعض اجزاء المقتطف الماضية

(٣٩) حرارة القمر

ومنهُ · لماذا لا نشعر بحرارة من اشعة القمر مع ان اشعة الشمس منعكسة عن القمر

ج · ان اشعة الشمس فيها اشعة نور واشعة حرارة فاذا انعكست عن جسم صقيل كالمرآة انعكست اشعة النور واكثر اشعة الحرارة ولكنها اذا انعكست عن جسم غير صقيل بل كثير الجبال والوهاد كسطح القمر لم تنعكس اشعة الحرارة مع اشعة النور لان الجسم غير الصقيل يمتص اكثر اشعة الحرارة ولذلك فالنور الواصل الينا من القمر قليل الحرارة جدًّا يشعر بحرارتهِ ببعض الآلات

باب الاخبار العلمية

اكتشاف القطب الشمالي

ذكرنا في الجزء الماضي آخر ما وصل الينا من اخبار اكتشاف القطب الشمالي ونزيد على ذلك الآن ان الكبتن بيري احد روَّاد الاصقاع الشمالية ارسل تلغرافًا من لبرادور فحواهُ انهُ وصل الى القطب الشمالي في شهر ابريل من هذه السنة اي بعد وصول الدكتور كوك اليهِ بسنة · ثم لما بلغهُ ان الدكتور كوك سبقهُ الى اكتشاف القطب ارسل تلغرافًا آخر يكذّب فيهِ دعوى كوك وينكر عليهِ الوصول الى القطب · فاشتد النزاع بين الرجلين وانصارها من ذلك الحين ولا تزال نار الجدال محتدمة بين الطرفين الى الآن · الاَّ ان الدكتور كوك اظهر من اللين وكرم الاخلاق شيئًا كثيرًا فانطلقت الالسنة بمدحهِ واشتد ساعد انصارهِ

وفي اثناء ذلك كان الدكتور كوك قد وصل الى كوبنهاغن عاصمة الدنمارك فاستقبلهُ وليُّ عهدها وعلماؤُها واعيانها وجمعٌ غفير من اهاليها ومعهم سفير الولايات المتحدة ومكاتبو الجرائد فأُولمت لهُ الولائم واحتفل بهِ احتفالاً شائقًا · ودعاهُ الملك اليهِ وانعم عليهِ بمدالية الجمعية الجغرافية الدنماركية ومنحتهُ جامعة كوبنهاغن لقب دكتور · ثم سافر الى وطنهِ اميركا ووصل الى نيويورك في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر الماضي فاستقبلهُ مواطنوهُ استقبالاً يليق بشأنهِ

اما الكبتن بيري فوصل الى مدينة سدني في اسكوسيا الجديدة في اليوم نفسهِ فاستقبلهُ

انصارهُ ومريدوهُ وقامت الحرب القلمية بينهم وبين انصار كوك كما ذكرنا وادَّعى انصار بيري ان كوك لم يبلغ قمة جبل مكنلي في سنة ١٩٠٦ كما زعم وجاؤُوا برجل كان مرافقاً لهُ عند ما صعد في الجبل المذكور فشهد بما ايد دعواهم فطلب كوك ارسال بعثةٍ الى قمة الجبل حيث يمكنها ان تجد الاوراق التي طمرها

ولنأْتِ الآن على شيءٍ من تاريخ هذين الرجلين بيري وكوك ثم نصف رحلتهما الى القطب الشمالي بوجه الاختصار فنقول

ولد الدكتور كوك في ولاية نيويورك سنة ١٨٦٥ من والدين المانيين رحلا الى الولايات المتحدة في اواسط القرن الماضي . وتلقب اسرتهُ في المانيا بكوخ الى هذا اليوم وتوفي والدهُ وهو صغير السن فاعتنت والدتهُ بتعليمهِ فدخل المدرسة الابتدائية في بروكلن ثم درس الطب في جامعة نيويورك ونال شهادتها سنة ١٨٩٠ . وقرأ سنة ١٨٩١ في الجرائد ان بيري يؤَلف بعثةً لارتياد الاصقاع الشمالية وان هذه البعثة يلزم لها طبيب فرافقها من سنة ١٨٩١ الى سنة ١٨٩٢ وذهب بعدها في بعثة أُخرى بلجيكية نحو القطب الجنوبي من سنة ١٨٩٧ الى ١٨٩٩ ثم عاد الى نيويورك وتزوج وفي سنة ١٩٠٣ نزعت بهِ نفسهُ الى السفر مرَّة أُخرى فالف بعثةً غايتها الوصول الى قمة جبل مكنلي في الاسكا وهو اعظم جبال اميركا الشمالية ارتفاعاً يبلغ علوهُ عن سطح البحر ٢٠٣٩٠ قدماً . وبعد ان بقي هناك ثلاثة اشهر رجع ولم ينل بغيتهُ فعاد الى ذلك سنة ١٩٠٦ وبعد مشاق كثيرة وصل الى قمة الجبل

وكان لهُ صديق من اغنياء نيويورك يدعى برادلي فاتفق الاثنان على ان يذهبا الى الاصقاع الشمالية بقصد الصيد حتى اذا وجد كوك سبيلاً الى الوصول الى القطب الشمالي فعل ذلك فسافرا في شهر يوليو سنة ١٩٠٧ ومعهما كل ما يمكن ان يحتاج اليهِ كوك في سيرهِ الى القطب ولم يبخل عليهِ صديقهُ برادلي بشيء فكان معهُ ما يكفي من الكرونومترات والترمومترات والبارومترات وما اشبه وكل ذلك من احسن صنع . واخذ معهُ من لوازم السفر ما خفَّ حملهُ وزادت الحاجة اليهِ فكان معهُ خيمة من الحرير وقارب من النسيج وكانت آنيتهُ كلها من معدن الالومينيوم . واخذ معهُ من المآكل مقداراً من اللحم المسحوق في علبٍ من الصفيح لكنهُ لم يأْخذ معهُ شيئاً من الخضر ولا المشروبات الروحية ولا الملح فالاسكيمو لا يأْكلون الخضر ومع ذلك لا يصابون بالاسقربوط . ولم يكن معهُ من الصابون الا قطعة واحدة

فلما وصل الى محطة اناتوك وجد الاسكيمو مجتمعين هناك يصيدون الدباب فانتقى من بينهم اقدر الرجال واقوى الكلاب و بقي طول

مدة الليل القطبي يستعد للسير الى القطب والليل هناك يبتدئ في سبتمبر وينتهي في اوائل مارس. فكان نحو ٢٥٠ رجلاً وامرأة من الاسكيمو يجمعون فراء الحيوانات ويخيطونها اثواباً . واللبس الكامل في الشتاء هناك جوربان من فراء الارانب وحذاءان من جلد البيدستر وثوب من فراء الدباب وجبة من فراء الثعالب الزرق وقبعة من الفرو لها هدبان يكتنفان الوجه . واطال الدكتور كوك شعر رأسهِ وحفا شاربيهِ ولحيتهُ كما يفعل الاسكيمو فان ذلك يقيهم من الصقيع

وفي اوائل يناير سنة ١٩٠٨ نقل امتعتهُ الى ارض السمير بعد ان عبر مضيق سمث وبقي في السمير الى ١٩ فبراير وكان الركب مؤلفاً منهُ ومن عشرة رجال من الاسكيمو ومعهم ١١ مزلقة و١٠٣ كلاب . وكان الصيد كثيراً في البلاد التي قطعوها بين ١٩ فبراير و ١٨ مارس

وكان يترك في طريقهِ من اعيام التعب من الرجال والكلاب فلم يبقَ معهُ في آخر المدة سوى اثنين من الاسكيمو الاشداء وهما شابان في مقتبل العمر

ووصف سيرهُ وانتقالهُ فقال . كنا نسير كل يومٍ الى ان يأخذنا التعب ثم تنزل ونبني بيتاً من الثلج نتقي بهِ البرد ثم نعمل الشاي ويأكل كل واحد منا نصف ليبرة من اللحم المسحوق وقطعة من البقسماط ونطعم كل كلب ليبرة من اللحم المسحوق وندخل في أكياس النوم وننام ثم نستيقظ ونجدُّ في السير الى ان ينهكنا التعب فننزل ونبني بيتاً ونأكل وننام وهكذا كان كل يومٍ مثل الذي قبلهُ

وكانت الرياح شديدة جدًّا في غالب الاحيان والحرارة بين ٤٠ و ٤٥ درجة تحت الصفر من بمقياس فارنهيت . ولما بلغنا الدرجة ٨٤ والدقيقة ٤٧ من العرض والدرجة ٩٦ والدقيقة ٣٦ من الطول رأينا ارضاً عن يسارنا ارتفاعها نحو الف قدم ولم نتمكن من ارتيادها ولم نعلم مساحتها وهل هي جزيرة او جزء من برٍّ واسع . فاجتزناها وسرنا وكان سيرنا صعباً جدًّا في هذه المدة ولم نكن نقطع اكثر من عشرة اميال في اليوم وذلك في العشرة الايام الاولى من شهر ابريل

وفي الحادي والعشرين من ابريل اخذت مقاس العرض فوجدتهُ ٨٩ درجة و٥٩ ثانية و ٤٦ دقيقة اي ان القطب الشمالي كان على مرأًى منا ولم يكن بيننا وبينهُ سوى ١٤ ثانية قطعناها سريعاً ولما تحققت اننا بلغنا القطب اخبرت رفيقيَّ بذلك فرقصا طرباً ثم رفعنا العلم الاميركي وكان الوقت ظهراً فكان الواحد منا ينتقل بخطوةٍ واحدة من النصف الواحد من الارض الى النصف الآخر ومن نصف النهار الى نصف الليل

وبقي الدكتور كوك ورفيقاهُ يومين

في القطب وعادوا منهُ في ٢٣ ابريل . وكان الرجوع شاقًّا جدًّا فلما وصلوا الى مضيق جونس عبروهُ في قارب النسيج الذي كان معهم وكان طعامهم قدنفد فاخذوا يصيدون ثيران المسك بالشراك ويقتاتون بلحومها

اما الكبتن بيري فهو رحالة مشهور كان سابقًا من الضباط المهندسين في بحرية الولايات المتحدة ثم استقال من الخدمة رغبةً منهُ في استطلاع الجهات المجهولة من الاصقاع الشمالية . فكانت رحلتهُ الاولى الى غرينلاندة سنة ١٨٨٦ وفي رحلتهِ الثانية سنة ١٨٩١ الى ١٨٩٢ اثبت ان غرينلاندة جزيرة وان لا اتصال لها ببرٍ آخر فاكتسب بذلك شهرة عظيمة . ثم رحل الى غرينلاندة مرة اخرى سنة ١٨٩٣ وعاد منها سنة ١٨٩٥ بعد ان قاسى اهوالاً شديدة وهلك اكثر الذين كانوا معهُ وسافر اليها ايضًا في سنتي ١٨٩٦ و ١٨٩٧ وعاد ومعهُ ثلاثة احجار نيزكية احدها اكبر ما وجد حتى الآن

اما رحلتهُ القطبية الاولى فكانت سنة ١٨٩٩ وعاد منها سنة ١٩٠٠ بعد ان وصل الى الدرجة ٨٤ والدقيقة ١٧ من العرض الشمالي . وفي رحلتهِ سنة ١٩٠٥ الى ١٩٠٦ وصل الى الدرجة ٨٧ والدقيقة ٦ اي فات ما وصل اليهِ الرحالة ننسن والدوق دابروزي . ولا يرتاب احدٌ انهُ في رحلتهِ هذه الاخيرة بلغ القطب الشمالي فهو مشهور باستقامتهِ فلو بقي بينهُ وبين القطب بضعة اميال فقط لما انكر ذلك . والادلة تزداد من يوم الى آخر على ان كوك صادقٌ ايضًا في روايتهِ فقد قابل بعضهم الرجلين اللذين كانا معهُ وشهدا امامهُ بما يؤيد رواية كوك . واكثر الذين رأوا كوك وحادثوهُ من العلماء وغيرهم يشهدون بصحة كلامهِ

خرائب شوشن القصر

كشف رجال البعثة الفرنسوية آثاراً جديدة ذات اهمية في قرية السوس في العراق وهي المسماة شوشن القصر في الاسفار المقدسة وكانت عاصمة مملكة عيلام . فوجدوا في المكان المعروف بالقلعة بقايا ثلاث مدن خربة الواحدة فوق الاخرى ويرجع تاريخ هذه المدن الى ٤٠٠٠ سنة ق . م . ووجد تحت ذلك آثارٌ يستدلُّ منها ان المكان كان مأهولاً قبل زمن التاريخ . وكشفوا ايضًا عن ثلاثة اعمدة من الحجر الاسود كانت شريعة حمورابي مكتوبةً عليها . وعلم من هذه الآثار ان البابليين استولوا على تلك المدينة نحو ٢٨٠٠ سنة قبل التاريخ المسيحي وعاد العيلاميون واستقلوا بها الى ان كانت سنة ٦٤٩ قبل المسيح حين فتحها اشور بانيبال واحرقها

الزائدة الدودية

يعتقد اكثر الاطباء ان الزائدة الدودية من الاعضاء الاثرية في الانسان وان لا فائدة

لهُ منها ويزعم غيرهم انها ليست كذلك بل لها وظيفة معروفة فهي غدة ليمفاوية عاملة · ويقول الدكتور شبلي ان التهاب الزائدة الدودية سببهُ في غالب الاحيان دخول الديدان المعوية اليها من الامعاء وان كثرة امراضها في هذه السنين ناتجة عن عدم تعاطي الادوية التي تطرد الديدان وذلك من وقت الى آخر كما كان يفعل اسلافنا

جوائز علمية

منحت كلية باريس الطبية الدكتور هفكن جائزة قدرها ١٦٠ جنيهاً مكافأةً لهُ على ما كتبهُ عن التطعيم بمادة الكوليرا

وعينت المدرسة الطبية الاهلية في المكسيك جائزة الف جنيه لمن يكتشف سبباً لحمى التيفوس او مصلاً شافياً لها وجائزة خمسمائة جنيه لمن كانت ابحاثهُ اعظم مساعد لذلك · ويجوز لجميع الاطباء من كل الامم ان يتباروا في هذا المضمار على شرط ان تكون مقالاتهم باللغة الاسبانية · ويبقى الباب مفتوحاً الى آخر فبراير سنة ١٩١١

عيد اختراع البواخر

احتفل الاميركيون في الولايات المتحدة بمرور مائة سنة كل اختراع البواخر فصنعوا باخرة على مثال الباخرة كليرمنت وهي اول باخرة انزلها فولتن في نهر هدصن

درعٌ تقي من الرصاص

اخترع احد الالمان درعاً تقي من الرصاص وقد اخذت الحكومة الالمانية تساومهُ لتشتري الاختراع منهُ

مدفع جديد

اخذت الدوائر الحربية تهتم بامر الوقاية من المراكب الهوائية وقد صنعوا في المانيا مدفعاً يستعمل في ساحة القتال كغيره من المدافع ثم اذا شاؤُا اوقفوهُ عمودياً او اداروهُ الى أي جهة ارادوا وصوبوهُ الى المراكب الهوائية

مذنب هالي

ورد في اخبار روتر ان مذنب هالي شوهد في كمبردج يوم الخميس في ٢١ اكتوبر

القمح البري

لا يخفى ان زراعة القمح قديمة جدًّا في كل انحاء المسكونة فقد كانت معروفة عند قدماء الصينيين والمصريين والاشوريين وغيرهم ولكنَّ القمح البري لا يزال مجهولاً · وقد وجد احدهم منذ خمسين سنة عشبة في راشيا احدى قرى جبل الشيخ قال الاستاذ كورنيك في ذلك الحين انها القمح البري عينهُ ولم تزل هذه العشبة في معرض ڤينا النباتي واطلق عليها اسم Triticum dicoccoides وخالفهُ كثيرون من العلماء في رأيهِ وقالوا انها ليست

سوي قمح وقعت حبوبهُ في البرية فآل امرهُ الى الانحطاط

وقد وجد الآن ما يؤيد كلام كورنيك فان المسيو آرونسن من سكان حيفا عثر على كثير من هذا القمح البري في اماكن عديدة من فلسطين حيث التربة قليلة مثل خان جب يوسف وقرية يعونة والجهة الشرقية من جبل كنعان وبين مجدل شمس وعرنة في جبل الشيخ

ولهذا الاكتشاف اهمية من وجهين فان صح ان هذا النبات هو اصل القمح المعروف فزراعة القمح لم تنشأ في بلادٍ كثيرة التربة كالعراق او مصر بل في بلاد صخرية قليلة التربة مثل جبال فلسطين حيث وجد القمح البري والشعير البري ٠ واذا كان في استطاعة القدماء ان يحسنوا القمح ويبلغوهُ الى الدرجة التي بلغها ففي إمكاننا ان نزيدهُ تحسيناً بالوسائل العلمية الحديثة

الشفق القطبي الجنوبي

ظهر الشفق القطبي في استراليا في الخامس والعشرين من سبتمبر الماضي وكان اجمل شفق قطبي نظر هناك منذ خمسين سنة الى الآن واثرت مغنطيسية الافق حينئذٍ في الآلات المغنطيسية وفي اسلاك التلغراف حتى صارت تعمل من غير بطريات وبقيت كذلك نصف ساعة من الزمان والظاهر ان قوة المجرى الكهربائي كانت ١٥٠ فولطاً ٠ وآخر مرة ظهر الشفق القطبي هناك بهذا الجلاء كان منذ خمسين سنة تماماً

زلزلة بلوخستان

دلَّ مقياس الزلازل في بلاد الانكليز في ٢٢ اكتوبر الماضي على حدوث زلزلة كبيرة في مكان يبعد عنهُ نحو ٣٧٥٠ ميلاً وورد تلغراف في اليوم التالي من الهند ان زلزلة عنيفة حدثت في بلاد بلوخستان

هبات علمية اميركية

وهب المستر سلوان واخوهُ جامعة يايل ٩٥٠٠٠ جنيه لبناء معمل للعلوم الطبيعية ووهب المستر تشارلس برات الدار العلمية في بروكلين المنسوبة الى ابيهِ ٣٥٠٠٠٠ جنيه ووهب اثنان جامعة كولمبيا ٤٧٢٠٠ جنيه

بخار الماء في كلف الشمس

ذهب فريق من الفلكيين الى وجود بخار الماء في كلف الشمس واقاموا على ذلك ادلة لا محل لذكرها هنا لكن الفلكي متشل نشر مقالة في هذه الايام ابان فيها ان الادلة التي استدلوا بها على ذلك من السبكترسكوب ليست قاطعة وانها يمكن ان تدلَّ على وجود بخار الماء في الكلف كما يمكن ان تدل على عدم وجودهِ ٠ وعليهِ فهذه المسألة باقية في معرض البحث ولم يبت الرأي فيها حتى الآن

فهرس الجزء الخامس من المجلد الخامس والثلاثين

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الخامس والثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٩ — الموافق ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٧

مذنب هلي

اين الرواية بل اين النجوم وما · صاغوهُ من زخرف فيها ومن كذبِ
تخرُّصاً واحاديثاً ملفَّقةً · ليست بنبع اذا عُدَّت ولا غربِ
عجائباً زعموا الايام مجفلةً · عنهنَّ في صفر الاصفار او رجبِ
وخوَّفوا الناس من دهياء مظلمة · لما بدا الكوكب الغربي ذو الذنبِ

أيدري قرَّاء هذه الابيات من ايمَّة العربية وادبائها ان ابا تمام الطائي ناظمها عني بالكوكب الغربي ذي الذنب مذنَّب هلي بعينهِ الذي انبأتنا الاخبار البرقية انهُ ظهر الآن في السماء . نعم ظهر ولكنهُ لا يزال بعيداً عنا جدًّا لا يرى الَّا بالتلسكوب وهو مقترب من الارض وسرعتهُ فائقة فسيدنو حتى يرى بالعين في اوائل الربيع المقبل . وقد انبأ علماء الفلك بقدومهِ منذ سنين كثيرة وكانوا يرقبون ظهورهُ في هذا الخريف فظهر كما انبأوا لدقة الحساب الفلكي

اما قولنا ان النجم الذي اشار اليهِ ابو تمام في قصيدتهِ انما هو مذنب هلي فمبني على ان ابا تمام انشأ قصيدتهُ هذه في مدح الخليفة المعتصم على اثر فتح عمورية سنة ٢٢٣ للهجرة ويظهر بالحساب ان مذنب هلي يتم دورتهُ في نحو ٧٦ سنة فيدنو من الارض ويرى كل ٧٦ سنة واذا تقهقرنا بالحساب الى الوراء وجدنا انهُ ظهر سنة ٨٣٧ مسيحية اي سنة ٢٢٢ هجرية . وقد ذكر مؤرخو العرب انهُ ظهر نجم ذو ذنب حينئذٍ ارتاع لهُ الناس قال ابن الاثير في حوادث سنة ٢٢٢ « وفي هذه السنة ظهر عن يسار القبلة كوكب فبقي يرى نحواً من اربعين ليلة ولهُ شبه الذنب وكان اول ما طلع نحو المغرب ثم رُئي بعد ذلك نحو المشرق وكان طويلاً جدًّا فهال الناس ذلك وعظم عليهم . ذكرهُ ابن ابي اسامة في تاريخهِ وهو من الثقات الاثبات »

ثم ذكر فتح عمورية في حوادث السنة التالية اي سنة ٢٢٣ هجرية فلا شبهة اذاً في ان

النجم ذا الذنب الذي ذكرهُ ابو تمام انما هو مذنب هلي بعينهِ وانهُ ظهر قبيل فتح قلعة عمورية الذي قال فيهِ ابو تمام

فتح تفتح ابواب السماء لهُ　　وتبرز الارض في اثوابها القشبِ
يا يوم وقعة عمورية انصرفت　　عنك المنى حفلاً معسولة الحلبِ

اول من رصد هذا النجم وعرف سيرهُ والفلك الذي يسير فيهِ المستر ادمند هلي Halley الانكليزي الذي قال فيهِ لالند الفلكي الفرنسوي الشهير انهُ اعظم فلكي انكليزي نشأ في عصرهِ

ولد هلي سنة ١٦٥٦ وعكف على العلوم الرياضية والفلكية ورصد الافلاك بما استطاع اقتناءهُ من آلات الرصد واراد ان يحقق مواقع النجوم الجنوبية فرأى ان يرصدها من جزيرة القديسة هيلانة التي نفي اليها بونابرت بعدئذٍ وكان ابوهُ على شيء من الثروة فاعطاهُ ما يلزم لنفقاتهِ فذهب الى تلك الجزيرة ورصد النجوم الجنوبية ووضع لها زيجاً طبع سنة ١٦٧٩ ووجد ان بعضها تغيَّر في اشراقهِ عمَّا كان في الازياج السابقة

وكان الناس يجهلون حينئذٍ امر النجوم ذوات الاذناب ويتخوَّفون منها كما كانوا يتخوفون في زمن ابي تمام وقبلهُ وكان الفيلسوف اسحق نيوتن قد اكتشف ناموس الجاذبية وحقق أن الكواكب السيارة خاضعة لهُ وظنّ ان ذوات الاذناب جارية مجراها. والظاهر ان هلي ظن ذلك ايضاً وكان صديقاً لنيوتن فذاكرهُ في هذا الموضوع فاشار عليهِ نيوتن ان يرصد ذوات الاذناب وينظر في رصود غيرهِ لها ثم يبني حكمهُ على ما يراهُ

واتفق ان ظهر مذنب كبير في السماء سنة ١٦٨٠ فادهش الناس بسيرهِ وبهائهِ وحركتهِ فانهُ دنا من الشمس بسرعة فائقة حتى غاب عن البصر ثم ظهر ثانيةً وامتدَّ منهُ ذنب طويل جدًّا ثم تنقَّل في السماء الى ان غاب عن الابصار في اوائل السنة التالية. ورآهُ هلي وهو ذاهب الى باريس والتقى هناك بالفلكي كاسيني ورصداهُ كلاهما ورصدهُ نيوتن بنظارتهِ واستنتج ان ذوات الاذناب اجسام مثل السيَّارات في مادتها وحركتها وان اذنابها بخار لطيف تسببهُ حرارة الشمس حينما تدنو المذنبات منها وحسب فلك هذا المذنب بناء على ما قاسهُ من حركتهِ

وفي الخامس عشر من اغسطس سنة ١٦٨٢ ظهر المذنب الذي نحن في صددهِ الآن وهو مذنب هلي فرصدهُ فلمستيد فلكي المرصد الملكي في جرينوج ورصدهُ هلي ايضاً وظهر لهُ ذنب في السادس والعشرين من الشهر طال ١٢ درجة ورآهُ حينئذٍ فلكيو باريس وجعل

ذنبهُ يطول باقترابهِ من الشمس ونتأَت منهُ ذؤَابة اتجهت نحو الشمس وكأَنها لقيت فيها ما صدها فعادت الى المذنب

ورصد هلي هذا المذنب كما تقدَّم وجمع ارصاد غيرهِ من الفلكيين لكي يستدل بها على الفلك الذي يسير فيهِ حول الشمس اي على شكل فلكهِ ومقدارهِ وسرعة سيرهِ فيهِ حتى يعرف الزمن الذي يلزم لاتمام دورتهِ في فلكهِ وعودهِ الى المكان الذي رُئي فيهِ حينئذٍ . واشار عليهِ نيوتن ان يبحث في التواريخ القديمة عن اوقات ظهور ذوات الاذناب واوصافها ليرى فيها مذنباً يماثل هذا المذنب في شكلهِ ووضعهِ وحركتهِ فوجد ان المذنب الذي ظهر سنة ١٥٣١ والمذنب الذي ظهر سنة ١٦٠٧ يماثلان هذا المذنب من كل الوجوه فحكم ان الثلاثة مذنب واحد وان هذا المذنب يتم دورتهُ في نحو ٧٦ سنة وقدم نتيجة بحثهِ الى الجمعية الملكية سنة ١٧٠٤ في رسالة انبأَ فيها برجوع هذه المذنب سنة ١٧٥٨ وكان عمرهُ حينما انبأَ بذلك خمسين سنة فلم يكن ينتظر ان يرى ذلك المذنب ثانيةً فاوصى علماء الفلك ان يرصدوهُ بعدهُ وكرَّر عليهم هذه الوصية قبل وفاتهِ

ولما دنا الوقت لظهور هذا المذنب جعل علماء الفلك يعيدون الحساب ويدققون فيهِ . وحساب سير المذنبات من اصعب ما يكون لاسيما اذا أُريد التدقيق في معرفة تأْثير السيَّارات في سيرها لكن كان بين علماء الفلك حينئذٍ رجلان من اكبر علماء الرياضيات وهما كلرو ولالند فأَتما حسابهما في اوائل نوفمبر سنة ١٧٥٨ وفي الرابع عشر من ذلك الشهر قدَّم كلرو رسالة في هذا الموضوع الى اكادمية العلوم بباريس بيَّن فيها ان جذب المشتري سيوَخر رجوع المذنب الى نقطة الراس اي الى اقرب بعدهِ عنا ٥١٨ يوماً ويجذب زُحل سيوَخرهُ مئة يوم ولذلك لا ينتظر وصولهُ الى نقطة الراس قبل ١٣ ابريل سنة ١٧٥٩ وقال ان مشاغلهُ الكثيرة جعلتهُ يهمل فواعل اخرى طفيفة قد تغير ميعاد وصولهِ الى نقطة الراس شهراً من الزمان

فظهر المذنب كما انبأَ ووصل الى نقطة الراس في ١٢ مارس سنة ١٧٥٩ اي قبل الميعاد بشهر

ومن الغريب ان اول من رأَى المذنب في ظهورهِ هذا فلاَّح سكسوني كان يرصد الافلاك بنظارة طولها ثماني اقدام وكان ماهراً في صناعة الرصد فرأَى نقطة بيضاء في قبة السماء لم يرَها قبلاً فظنَّ انها الضالة المنشودة وجعل يرصدها ليلة بعد ليلة وهي تزيد كبراً وجلاء الى ان تحقق انها مذنب هلي نفسهُ . ولما بلغ علماء الفلك ان فلاحاً رأَى المذنب قبلهم اخذ الغيظ من بعضهم فتهكموا عليهِ اولاً ونفوا صحة قولهِ ثم اضطروا ان يسلموا بهِ

وظهر ذلك المذنب واضحاً في البلدان الجنوبية فرصدهُ الاب كردو في بونديشري ببلاد

الهند وقال انهُ كان في ٣٠ ابريل مثل نجم كبير يحيط بهِ شيء كالضباب ولهُ ذنب طولهُ ٣٠ درجة ورصدهُ المسيو له نو في جزيرة بوربون وقال ان طول ذنبهِ كان ٣ درجات في ٢٩ مارس فبلغ ٤٧ درجة في ٥ مايو ثم رُصد في لسبون وباريس وطولوز

ولما ثبت ان هذا المذنب دوري اي انهُ يعود في زمن معلوم اهتمَّ العلماء بمعرفة تاريخهِ وكان هلي قد حقَّق ازمنة ظهورهِ الماضية الى سنة ١٤٥٦ فحقق المستر رسل هند ازمنة ظهورهِ السابقة وبيَّن ان المذنب الذي ظهر سنة ٨٣٧ مسيحية هو مذنب هلي نفسهُ وهو الذي قلنا ان ابا تمام اشار اليهِ في قصيدتهِ التي مدح بها الخليفة المعتصم . ولقد كان تأثير ظهورهِ في اوربا حينئذٍ اشد من تأثير ظهورهِ في اسيا فان لويس الاول ملك فرنسا ابن شارلمان جزع منهُ جزعاً شديداً واستدعى منجميهِ وطلب منهم ان يخبروهُ عما ينبئ بهِ . قال رئيس المنجمين في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ظهر في السماء نجم يتبعهُ الشؤم دائماً ولما بلغ الامبراطور خبرهُ قلق اشد القلق ولم يهدأ لهُ روع حتى جمع بعض العلماء وانا معهم ولما دخلت سألني بلهفة قائلاً ما معنى هذا النجم وبماذا ينبئ فقلت لهُ امهلني ريثما ارقبهُ واستدلُّ من النجوم على معناهُ ووعدتهُ بان آتيهُ بالجواب من الغد . فادرك ان ذلك محاولة مني لكي اتبصَّر ولا اقول لهُ شيئاً يغيظهُ وقال لي اصعد على سطح القصر الآن وعد حالاً واخبرني بما رأيت فاني لم ارَ هذا النجم البارحة وانت لم تدلني عليهِ وانا اعلم انهُ مذنَّب فاخبرني عما ينذرني بهِ . ثم قال وهنا امر آخر اراك تخفيهِ عني وهو ان هذا النجم يدل على موت ملك وقيام آخر

ولما رأى المنجمون الحاضرون حكمة الملك الفائقة لم يسعهم الأ ان يعترفوا بان النجم المشار اليهِ نذير من الله ينذر باقتراب ايام السوء لكثرة معاصي الشعب . فبادر الملك الى اصلاح سيرتهِ وبناء الكنائس وانشاء الاديرة في كل ممالكهِ تسكيناً لغضب الله

وقد بحث المهندس ديونيس دي سجور في كل الاخبار الواردة في التواريخ عن ظهور هذا المذنب حينئذٍ ولاسيما في الاخبار الصينية فثبت لهُ انهُ مذنب هلي نفسهُ وانهُ بلغ نقطة الراس في ٢٨ فبراير سنة ٨٣٧ وانهُ اقترب من الارض في شهر مارس حتى بقي بينهُ وبينها مليونا ميل فقط وان ذنبهُ طال حتى فاق في طولهِ نصف قبة السماء

ولما ظهر هذا المذنب سنة ١٠٦٦ للميلاد اتفق ان ظهورهُ كان لما فتح وليم الظافر انكلترا فعلَّق الانكليز بهِ ما حلَّ بهم من المحن وقالوا ان حجمهُ كان مثل حجم البدر وان ذنبهُ كان كذنب التنين او كالسيف المسلول وانهُ خرج من فيهِ خطان طويلان من اشعة النور وصل

احدهما الى فرنسا والآخر انقسم سبعة اقسام انتشرت فوق ارلندا

وقد ذكر ابن الاثير ظهور هذا المذنب في حوادث سنة ٤٥٨ هجرية الموافقة لسنة ١٠٦٦ مسيحية قال « في العشر الاولى من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة طويلة بناحية المشرق عرضها نحو ثلاث اذرع وهي ممتدة الى وسط السماء وبقي الى السابع والعشرين من الشهر. وغاب ثم ظهر ايضاً آخر الشهر المذكور عند غروب الشمس كوكب قد استدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا . ولما اظلم الليل صار له ذنب نحو الجنوب وبقي عشرة ايام ثم اضمحل» . ومعنى قوله « غاب » انه دنا من الشمس حتى لم يعد يُرى ولما ابعد عنها قليلاً رئي ثانية

وكان لظهور هذا المذنب سنة ١٤٥٦ ميلادية الموافقة لسنة ٨٦٠ هجرية شأن كبير شرقاً وغرباً لان ظهوره كان بُعَيد فتح القسطنطينية وايغال السلطان محمد الفاتح في اوربا وقد ذكره ابن اياس في حوادث سنة ٨٦٠ فقال وفي اثناء هذا الشهر (جمادى الاولى) ظهر في السماء نجم بذنب طويل جداً وكان يظهر من جهة الشرق ودام يطلع نحواً من شهرين وكان من نوادر الكواكب فتُكلم في ما يدل عليه من الامر وزاد الكلام بسببه . ثم اختفى واقام مدة طويلة نحواً من ثلاث سنين حتى وقع بمصر الطاعون والحريق . قال صاحب مرآة الزمان ان اول ما ظهر نجم الذنب عند ما قتلَ قايبل اخاه هابيل وظهر عند وقوع الطوفان وعند وقود نار ابرهيم الخليل وعند هلاك قوم عاد وثمود وعند هلاك فرعون وعند قتل الامام عثمان بن عفان وعند قتل الامام علي وعند قتل جماعة كثيرة من الخلفاء وفي الغالب يحدث عند ظهور نجم الذنب حادث عظيم وقد جُرّب ذلك وصحّ من فناء وقتل وفتن وخسف وزلازل وغير ذلك» . انتهى ما ذكره ابن اياس في تاريخه ويظهر منه ان اهل الشرق كانوا يخافون من ظهور النجم ذي الذنب مثل اهل الغرب وينسبون اليه كل ما يصيبهم من الرزايا

اما كتّاب الغرب فقالوا انه ظهر في ٢٩ مايو وسار في السماء نحو القمر وكان ذنبه شبيهاً بالسيف العثماني وبلغ نقطة الراس في التاسع من شهر يونيو ثم ارتد راجعاً . وزعم بعضهم انه كسف القمر فعلاً لشدة ضيائه . ولكن اتفق ان القمر كسف حينئذٍ كسوفاً عادياً فحسبوا ان المذنب كسفه . وكانت غرة جمادى الاولى في ٧ ابريل تلك السنة والظاهر ان ابن اياس اراد جمادى الثانية

وكتب المؤرخ بلاتينا حينئذٍ في كتابه الذي طبع في البندقية سنة ١٤٧٩ يقول . ظهر

بنجم ناري شعري اياماً فقال اهل الحساب انهُ سيتلو ظهورهُ وباء وقحط ومصائب شديدة فامر (البابا) كالكستوس بالابتهالات لدفع غضب الله . . . وامر ان يستجلب رضا الله بالتوسل المستمر . . .

وظهر هذا المذنب آخر مرة سنة ١٨٣٤ وبلغ معظم بهائهِ في السنة التالية كما حسب علماء الفلك وقد حسب الكونت ده بونتكولان سنة ١٨٦٤ انهُ سيبلغ نقطة الراس في ظهورهِ الاخير هذا في الرابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٩١٠ لكن وقع في حسابهِ بعض الخطإ. ورجَّح المستر كروملين ان المذنب يبلغ نقطة الراس في ١٦ ابريل المقبل ويمر حول الشمس بسرعة ١٨٠٠ ميل في الدقيقة ويصير على ١٢ مليون ميل من الارض. واذا اتفق انهُ جذب الارض حينئذٍ جذبةً عنيفة اراح سكانها من هذا الجهاد الشديد وهذا الطمع الاشعبي وعلَّم اهالي اوربا واهالي اسيا ان الناس كلهم شرَع ليس في اصلهم شرف يفاخرون بهِ غير الطين والماء. ولكن هذا الاتفاق بعيد الحدوث جدًّا لا يقع في دورة من مليون دورة فلا وجه للتخوُّف منهُ. ولا يبعد ان تشيع الاوهام والتخرصات على اثر ظهور هذا المذنب كما شاعت في عهد ابي تمام لاسيما وان بعض الجرائد الاوربية ستتخذ ظهورهُ فرصةً لاشاعة الاخبار المدهشة والاراجيف المقلقة. فعسى ان لا تترجم جرائدنا عنها شيئًا من هذا القبيل لان كل ما يقلق البال يؤَثر في الصحة ومجرى الاعمال. وحسب الجمهور ان يعلم ان هذه المذنبات نفسها اجسام صغيرة جدًّا في الغالب كالنيازك وان اصطدامها بالارض بعيد الوقوع جدًّا وان اذنابها التي تلاقي الارض احياناً كثيرة لكبرها واتساعها غازات لطيفة لا تؤَثر في الارض اقل تأثير

ويظهر من حساب الاستاذ ملوسفتش ان هذا المذنب يبلغ نقطة الراس في التاسع عشر من ابريل المقبل ومن حساب الاب سرل مدير مرصد بركلندس انهُ يبلغ نقطة الراس في ١٨,٦٣ من ابريل اي انهُ يبلغ اقل بعدهِ عن الارض في التاسع عشر من ابريل ويكون بعدهُ حينئذٍ عن الارض نحو ١٣ مليون ميل ورجح ان ذنبهُ يغمر الارض في الثامن عشر من شهر مايو. وسيرى في اول العام الجديد في برج الحوت كنجم من نجوم المساء ويعود الى الظهور بين نجوم المساء في شهر مارس وفي شهر مايو ومن المحتمل انهُ يقرب من الشمس حتى يرى وقت كسوفها في الثامن من شهر مايو المقبل

اما الكلام على المذنبات عموماً وما يراه العلماء في سبب وجودها وحقيقة اذنابها فترى فيهِ مقالة مسهبة في جزء يوليو من هذه السنة

سر الوجود

ما هي الحياة اين كان الاحياء قبلما ولدوا والى اين يمضون بعدما يموتون . وما هي الحكمة في هذا الخلق . لماذا يولد مئة طفل فلا يبلغ العشرين ثلاثون منهم ولا يبلغ الخمسين عشرة ولماذا تبيض السمكة مليون بيضة فلا يبلغ الأ اثنان من اولادها اشدهما وتثمر الشجرة الوفاً من الاثمار قبلما يتفق لاحدى بزورها ان تنبت وتخلف نسلاً . وعلى مَ تظهر الازهار والرياحين في الغابات والادغال حيث لا تراها عين انسان ولا يتمتع بها ذوق حيوان

يجيبك العالم الطبيعي بسلسلة من العلل والمعلولات مفادها ان كل حلقة من حلقات الوجود متصلة بغيرها وان الغرض منها ترقية الاحياء بنوع عام . يقول لك ان قوى الطبيعة وميكروباتها تجتمع على عناصر الجماد فتحلها وتركبها وتجعلها غذاء للنبات فينمو بها ويصير غذاء للحيوان . وكلما سقطت ورقة او نبتت شجرة اقبلت عليها الميكروبات فحللتها واعادتها الى التراب غذاء لما يخلفها . وكلما مات حيوان انحلَّ جسمهُ وعاد الى الارض والهواء غذاء للنبات وان لم يمت اكلهُ غيرهُ من الحيوان غذاء لهُ . وانواع النبات والحيوان ترتقي جيلاً بعد جيل وقرناً بعد آخر حسب النواميس الطبيعية القاضية ببقاء الاصلح للبقاء . والانسان غير مستثنًى من ذلك بل تجري عليهِ نواميس الطبيعة كما تجري على غيرهِ يولد معرَّضاً للآفات الطبيعية فتغلب عليهِ او يغلب عليها ويموت من غير نسل او يخلف نسلاً ونتوالى الاعقاب والاحقاب والارتقاء مستمرٌّ وما الفرد سوى دقيقة في جسم هذا الوجود يقوم بهِ جزءٌ من اجزاء هذا الرقي . هذه خلاصة اقوال العلماء الطبيعيين فهل كشفتِ الغطاء عن سر الوجود وازاحت الستار عن معنى الحياة

وقف كاتب هذه السطور عند هذا الحد واطلق للخيال العنان فلم يرَ امامهُ الأ ظلاماً دامساً فارتدَّ على نفسهِ وهو يقول

عفت اليراع سآمةً وفرارا	من بادراتٍ تلجم الافكارا
وخرجت في ليل كأَن نجومهُ	احقاق فصفور اصابت نارا
جبتُ الجزيرة لا ارى لي مؤنساً	والنيل حولي لا يزيل اوارا
حتى بدا نور الصباح فشمتهُ	نور الهدى فاتيتهُ محضارا
وطلبت عن هذا الوجود وسرهِ	كشفاً يزيح عن الوجود ستارا
فاجابني سرُّ الوجود صحيفة	طويت فقلتُ أَنشر امنت عثارا
فنشتُّ عن سر الوجود وقصدهِ	وسألتُ عنهُ النطس والاحبارا

طالعتُ ما كتبوا فما من مقنع وكتبت ما قالوا فلستُ أُمارى
اسماك هذا النيل لا تحصى وفي تاريخها قد جازت الادهارا
عاشت وماتت بين حبٍّ او قلىً تحنو وتقسو لا هوًى لا ثارا
حربًا وسلمًا واعتداءً واحتكا مًا لا ترى منها لها انصارا
وطوائف الاحياء يعيي وصفها قسُّ البيان وعدُّها المقدارا
من مثل مكروب حقير لا يرى او مثل تمساح طوى الانهارا
والنيل قلْ ما شئت في تعظيمهِ نهر جرى كي يدرك الابحارا
لو الف نيل جُمّعت ما ماثلت — من اوقيانوس واحد معشارا
بحر خضمٌّ والخلائق ملئهُ تبغي البقا والى الفنا نتبارى
كانت كذلك في العصور الغابرات المبقيات على الصفا آثارا
منها توأدت الصخور وطالما قلب غدا صخرًا وماءٌ غارًا
والطيرُ في انواعها وضروبها سامت ذكاءً تحلُّقًا ومطارا
اسرابها تغدو وتقطع رُحَّلًا خوف الردى والى الردى نتجارى
ونبات هذي الارض من ارز الى زوفا يبيد وان يعش اعصارا
فعلى مَ هذا الخلق ان كان الفناءُ مصيرهُ والناس فيهِ توارى

فاجابني رِكز خفيٌّ قائلًا اسمعْ وقلْ قولي « امنتَ عثارا »
هذي الخلائق كلهنّ دقائقٌ والكون من مجموعها قد صارا
والفرد فيها ليس من مجموعها الاّ هباءً او قذًى منهارا
ورقيُّ هذا الكون يستدعي — اندثار دقائق ونفايةً وبوارا
هذهِ تعاليم الفلاسفة الاولى جعلوا دجى الليل البهيم نهارا

انموت في سبل الرقيّ ضحيةً ونصير من اجل الرقيّ غبارا
نورَ الخلائق مصدر النور الذي يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تنر عقل ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك نفارا
فاهدِ ايا نور البصائر معشرًا تخذوا الحقيقة خلةً وشعارا
انضوا عوامل عقلهم فتثلمت واستوقفوا المبغى فزاد فرارا
ظلَمٌ ونور العقل قصّر عن هدًى وبغير نورك لا نشيم منارا

سورية ولبنان

(٤) الهيئة المحكومة والهيئة الحاكمة

الهيئة المحكومة — لم تكد قدماي تطآن البر في مدينة يافا حتى سمعت من الشكوى من رجال الحكومة . فمن قائل ان الرشوة لا تزال جارية مجراها . ومن قائل ان الفوضى ضاربة اطنابها . ومن قائل ان الوظائف تعطى بالصنيعة لا بالكفاءة فلم تزل الحال كما كانت في العهد الماضي . ومن قائل ان الموظفين الجدد الذين عينوا بايعاز جمعية الاتحاد والترقي قليلو الخبرة في الامور الادارية فيديرهم الذين تحتهم كما يشاؤون او يجهلون العربية فتدار الامور حسب ميل المترجم . وسمعت مثل ذلك في حيفا وعكاء وبيروت . والمسيحيون يشكون خاصة من الشروع في تجنيد اولادهم حالاً قبلما يوجد الضباط منهم . والكل يشكون من الشكوى من جعل المرافعات باللغة التركية واستخدام قضاة لا يفهمون العربية

ولم اكد استريح من وعثاء السفر في حدث بيروت حتى جعل اهلها يقصون عليَّ كيف فازوا في انتخاب عضو منهم لمجلس الادارة في لبنان بعد ان اظهر الجفاء لدولة المتصرف وكيف اظهر المتصرف ارتياحهُ لانتخابهِ لانهُ نابغة حر الفكر قوي العارضة وكيف عاد الى بيتهِ بموكب حافل لسرور حزبهِ بفوزهِ . وشاهدت هناك اناساً يهتمون بالسياسة ولم اكن اتصور انها تخطر لهم ببال . ثم رأيت مثل ذلك في كل مكان نزلتهُ في لبنان . واكثر الذين حادثوني في المواضيع السياسية رأيتهم يشكون من المتصرف ومن مجلس الادارة ومن محاكم القضاء ومن القائمقامين ومن المديرين ومن كل رجال الحكومة . وتلوت بعض الجرائد في بيروت ولبنان فرأيتها تردد شكوى الاهلين وتزيد عليها حتى ان من يسمع شكوى الشاكين او يقرأ جرائدهم يحسب ان البلاد خربت او عمتها الفوضى وانتفى منها الامن . ولكنني لم ارَ شيئاً يدل على ذلك لا في احوال الناس ولا في معاملاتهم ولا بلغني انهُ حدثت حادثة واحدة جنائية في الاربعين يوماً التي اقمتها في بيروت ولبنان ودمشق تدل على فساد الاحكام . نعم وقع بعض الجنايات قبيل ذلك ولكنها ليست من فساد الاحكام وتراخي الحكام بل من حدة دم الاهلين وهي اشبه بالمبارزات الشخصية التي تحدث في فرنسا منها بسطو اللصوص للقتل والنهب الذي يحدث في بلدان أُخرى

ومن الغريب اني لم اسمع احداً يشكو من اسباب الشكوى الحقيقية اي من الاعمال التي

يناط عملها بالحكومة وهي لم تعملها حتى الآن فسكك بيروت اكثرها احافير ومهاوٍ ولم اسمع احداً يشكو منها كأنهم يحسبون وعورتها وتخربها مما لا بد منهُ · وسكك دمشق الداخلية مرصوف اكثرها بحجارة كبيرة من الزلط فتسمع للمركبات السائرة عليها قرقعة تصم الآذان وكثير منها ضيق جدًّا لا يسع الا مركبة واحدة فاذا التقت مركبتان اضطرت احداها ان ترجع القهقرى الى ان تبلغ اول الشارع · وقد اعتادت الخيل ذلك على ما يظهر فتسير طرداً وعكساً على حدٍ سوى · والكهربائية رخيصة جدًّا في دمشق لانها تتولد من غير نفقة لكن المصابيح التي نصبت في الشوارع ضئيلة النور غالباً لقدمها حتى يصح فيها قول من قال انها وضعت لتدل على الظلام — وقس عليها قناديل الغاز في بيروت فان هذه ضئيلة النور وبعيدة بعضها عن بعض · وللحكومة او للمجالس البلدية حق المراقبة على هذه وتلك ولكن لا مراقبة على ما يظهر ولم اسمع من الناس شكوى منها · وطرق المركبات قلما ترش في لبنان ولولا الامطار الجارفة التي وقعت هذا الصيف لساءَت حالها جدًّا ولم اسمع احداً شكا منها · وقد اشترى اهالي عاليه نبع ماء في حمانا ليجروهُ الى قريتهم ويعطوا منهُ جانباً لسوق الغرب فقام بعض اهالي حمانا وحفروا الارض فوق النبع وتحتهُ حتى يغور ماؤُهُ او يجري في حفرهم ويضيع على اهل عاليه المال الذي دفعوهُ ولم اسمع شكوى منهم بل سمعتهم يؤكدون ان الماء سيصل اليهم في العام المقبل ولو لم يطلعني متصرف لبنان على حقيقة الحال لبقيت احسب الامر كما قالوا

والخلاصة ان شكاوي الناس من حكامهم كثيرة ولكن حال الامن وحال المعاملات لا تؤيدانها · واما الشكاوي الثلاث المذكورة آنفاً وهي شكوى المسيحيين من المبادرة الى تجنيد ابنائهم قبل وجود الضباط منهم وشكوى الجميع من جعل المرافعات بالتركية ومن استخدام المأمورين الذين يجهلون العربية لحقيقة بالنظر ويضاف الى ذلك شكويان الواحدة شكوى اهالي لبنان من منع السفن البخارية عن مرافئهم والثانية شكوى اهالي الاقضية في الولايتين من تأليف المحاكم فيها فابسط الكلام عليها

***

تجنيد المسيحيين — لا مشاحة في ان الحروب من اكبر الويلات على نوع الانسان ومن آثار الهمجية الباقية الى الآن وان على كل محب لابناء نوعهِ ان يبذل جهدهُ في ابطالها ولكن ما دامت شرًّا واجباً وما دام التخلص منها ضرباً من المحال فلا سبيل الى الهرب من تجنيد الجنود واعداد معدات القتال · ولا تدفع الحرب الآن الا بالاستعداد لها · والمسيحيون منتدبون للدفاع عن وطنهم كالمسلمين وهو فخر يلامون اذا احجموا عنهُ اشد اللوم · ولا تشتد

الالفة بين طوائف الامة العثمانية ما لم يشترك كل ابنائها في السراء والضراء وفي كل ما يعلي شأن الوطن .

ولكن لا مشاحة ايضاً في ان كثيرين من ابناء الطوائف المسيحية قد تعلموا وتهذبوا وترفهوا وصار يصعب عليهم تحمل شظف العيش وفي ان عاداتهم مخالفة من وجوه كثيرة لعادات غيرهم من الطوائف الاخرى فاذا كان ضباطهم منهم او من الاوربيين صارت الخدمة العسكرية اسهل عليهم مما لو لم يكن الامر كذلك . ومن المرجح انهم يعظمون المصاعب الآن ومتى انتظم ابناؤهم في الخدمة وجدوها اخف مما ظنوا ولكن لا يمكن نزع ما هو راسخ في النفوس دفعة واحدة . فالتؤدة واجبة في هذه الحال . ولو عولت الحكومة المركزية على تجربة تجنيد المسيحيين اولاً في بعض الولايات التي لا يمتنع اهلوها عن تجنيد ابنائهم وتركت الولايات الاخرى على حالها القديم سنتين او ثلاثاً الى ان تظهر صحة التجربة لاصابت غرضين في وقت واحد فان دخلها من البدل العسكري لا يقل كما ينتظر ان يقل الآن ورعاياها المسيحيين يرون من الاصلاح في احوال جنودنا ما يرغبهم في الانتظام في الجندية

⁂

استعمال اللغة التركية في المرافعات — هذه الشكوى عامة ولا بد للحكومة المركزية من ان تعيد النظر وتتدارك الخطب قبل تفاقمهِ او تؤجل العمل بقرارها بضع سنوات الى ان يكثر متعلمو التركية في الولايات العربية والاَّ فانها تقيم قائمة اولاد العرب عليها وهم ليس لهم الآن جامعة تجمعهم ولكن امراً مثل هذا يجمع شملهم لا محالة لانهُ ليس اقدر على جمع الشمل من الاشتراك في محنة . ويعجبنا ما فعلهُ احد قضاة الانكليز في القطر المصري وهو انهُ طلب من كاتب المحكمة ان يكتب اقوال الخصوم والشهود كما قالوها حرفيًّا بلغتهم العامية حتى لا تخسر شيئًا من معناها ولا من قوتها بالنقل الى اللغة المعربة التي يكتب بها الكتاب عادة . فكيف يكون حال القاضي الذي لا يفهم العربية وكل اعتمادهِ على لغة الترجمان وذمتهِ . وهب ان الترجمان من اطهر الناس ذمةً فمن يكفل انهُ لا يضيع المعنى بالترجمة عن غير قصد منهُ . ومتى كثر المحامون العارفون باللغة التركية سهلت المداعاة بها

لغة المأمورين — وما قيل عن المرافعات وجهل القضاة للعربية يقال عن جهل المأمورين ايضاً لها ولكن عذر الحكومة المركزية في ذلك واضح وهو قلة المأمورين الذين يحسنون العربية واذا لم يكن لك ما تريد فارد ما يكون . ويحسن بها ان تفعل ما تفعلهُ الحكومة الانكليزية وهي ان ترغّب المأمورين في تعلم لغة البلاد التي توظفهم فيها باعطائها الجوائز لمن يتعلمها منهم

وبتفضيلهِ على غيرهِ فاذا فعلت حكومة الاستانة ذلك ووضعت نصب عينها ان تغيير لغةٍ واسعة منتشرة مثل اللغة العربية ضرب من المحال وانهُ يصعب عليها ان تحكم ابناء العرب بالعدل والانصاف باناس يجهلون اللغة العربية لم يتعذر عليها ان تجد الحكام الاكفاء العارفين بالعربية ولو بعد بضع سنين

⁂

مرافئ لبنان – القانون الاساسي العثماني يجيز للسفن ان ترسو وتشحن وتفرغ الشحن في كل مرفإٍ فيهِ مأمور جمرك ومرافئ لبنان جامعة هذا الشرط فلا وجه لمنع السفن من الدخول اليها . ولعل شركة المرفإ في بيروت اوجست ان يقلَّ دخلها بذهاب السفن الى مرفإ جونيه او غيرهِ من المرافئ اللبنانية فسعت الى اصدار هذا المنع ولكننا نرجح ان الحكومة المركزية ترى أن ذلك في غير محلهِ ما دام لبنان جزءًا لا يتجزأُ من البلاد العثمانية . ثم ان السفن الاوربية اذا وجدت شحناً كافياً لها في مرافئ لبنان فانها تذهب اليها وتشحنهُ لا محالة ولا تعتد بمنع لا تعدهُ قانونياً ولا نظن ان الحكومة المركزية تقيم مشكلة دولية من اجل امر طفيف مثل هذا

⁂

محاكم الاقضية – تتألف محاكم الاقضية الآن من قاضٍ موظف ومن عضوين يختارهما اهل القضاء . ويقول الشاكون ان اهل السطوة والنفوذ يختارون هذين العضوين فيجريان في الاحكام على غرض الذين يختارونهم . ولا شبهة ان هذا المبدأ حسن جدًّا وهو ان يختار الناس قضاتهم بانفسهم فاذا افسدهُ اهالي الاقضية باختيار اناس لا ذمة لهم فاللوم عليهم لا على الحكومة . ويجب ان يصلحوا انفسهم قبل الاهتمام باصلاح حكومتهم ومع ذلك لا تعفى الحكومة من النظر في هذه الشكوى بجعل انتخاب هؤُلاء الاعضاء حرًّا على قدر الامكان

ولما سمعت هذه الشكاوي وامثالها قصدت اصحاب الدولة والي بيروت ووالي سورية ومتصرف لبنان وباحثتهم فيها وفي غيرها من الشؤُون المهمة وها انا مورد الآن خلاصة ما استنتجتهُ من الحديث معهم ومع غيرهم من رجال الحل والعقد . وكل ما ساذكرهُ تبعتهُ عليَّ وحدي لانني لم اطلع احداً منهم عليهِ قبل نشرهِ ولكنني اعتقد انهُ لا يناقض شيئاً مما قالوهُ لي

تمهيد

تفضل دولتلو متصرف لبنان فقابلني في مصيفهِ بعاليه ودامت المقابلة ساعة ونصف ساعة فشرح لي فيها كثيراً من احوال لبنان فوجدتهُ خبيراً بامورهِ ورجالهِ يحفظ حتى الارقام في ميزانية دخلهِ وخرجهِ ويعرف ما بين سكانهِ من المناظرات والمشاحنات ويتألم من كثرة شكاويهم لاسيما وانهُ لا يرى لها مسوغاً . ولما قلت لهُ ان الشكوى قد لا تكون دليلاً على البلوى بل على زيادة الشعور وتحسن الاحوال وقدمت لهُ الامثلة على ذلك من القطر المصري ووصفت لهُ حال البلاد كما كانت لما فارقتها منذ خمس وعشرين سنة وحالها الآن ابرقت اسرتهُ وظهرت عليهِ امارات الرضى والسرور وجعل يشرح لي ما فعلهُ للبنان وما يشكو منهُ كما سيجيء

وتفضل والي سورية دولتلو اسمعيل فاضل باشا فقابلني في سراي الحكومة بدمشق وكانت المقابلة يوم جمعة فاتى السراي لهذه الغاية ودامت المقابلة اكثر من ساعة . ورد لي الزيارة في النزل الذي كنت فيهِ وزارت عائلتي عائلتهُ فسرَّت سروراً لا مزيد عليهِ بما لقيتهُ من حضرة حرمهِ ثم زرتهُ مودعاً وكنا في هذه الزيارات نتذاكر في امور الدولة بنوع عام وامور سورية بنوع خاص فوجدتهُ متوقداً غيرةً على مصلحة دولتهِ جامعاً بين الرقة والحزم عازماً ان يقوم بمهام الولاية مهما كانت شاقة وان يستعمل اللين اولاً فان لم يجدِ نفعاً فالشدَّة . والناس لا يجهلون مصلحتهم ولكنهم لم يروا من تصرف الحكومة معهم في العهد الماضي ما يحملهم على الثقة بها فاذا ثبت لهم الآن ان الحكومة الدستورية مخلصةٌ ومهتمة بما يرقيهم ويعلي شأنهم انقادوا اليها عن طيب نفس

ولا يخفى ان دولتهُ جندي باسل فلا ينتظر ان يكون واسع الخبرة في الامور الادارية ولكن الرجال الذين يعتمد عليهم واسعو الخبرة جدًّا واخص منهم ثلاثة تحدثت معهم وهم حضرات الدفتردار والمكتوبجي ومدير الامور الاجنبية ولا بد من ان يكونوا اكبر عضد لهُ . ثم ان السوريين عموماً قد برهنوا في ما مضى على انهم يستطيعون ان يتقدموا ولو كانت حكومتهم ضدهم فلا يعقل انهم يقفون عن التقدم والحكومة غير واقفة في سبيلهم بل مؤيدة لهم ولذلك لا يحتاج واليهم الى دهاء سياسي غير عادي لسياستهم . اما اهالي الجهات القاصية كحوران ونحوها فيحسن برؤسائهم ان يجربوا الثقة بالحكومة والانقياد لها الآن فيروا من عدلها وانصافها غير ما اعتادوه . قيل لي ان جماعة منهم ابوا الانقياد فارسل اليهم الوالي مأموراً ومعهُ نفر من الجند وامرهُ ان يطلب منهم الطاعة والاَّ فيهددهم باطلاق النار عليهم ويطلقها

فعلاً اذا اصروا . وعليهِ ان يعود بجنودهِ حالما يتم مأموريتهُ سواءٌ اطاع اولئك العصاة سلماً او حرباً حتى لا يثقل عليهم . فذهب المأمور بجنودهِ وطلب من العصاة الطاعة فابوا فامر الجنود ان يصطفوا ويسددوا بنادقهم فلما رأى العصاة ذلك اطاعوا قبل ان تطلق عليهم بندقية وللحال رجع الجنود عنهم من غير ان يثقلوا على احد منهم . فحادثة مثل هذه لا بد من ان تؤثر اعظم تأثير في البلاد المجاورة

وتفضل والي بيروت دولتلو ناظم باشا فقابلني في بيتهِ مقابلة خصوصية . ذهبت اليهِ مهنئاً بعيد الفطر وشاكراً اهتمامهُ بامر عائلتي فانهُ لما بلغهُ ان المركبة انقلبت بها قرب صوفر بعث اليَّ بطاقة تركية العبارة يقول فيها ما ترجمتهُ « ان الحادث الفجائي الذي بالعون الصمداني كانت نتيجتهُ السلامة قد افعم فؤادي سروراً فمع كمال الشكر والحمد اظهر لكم حاساتي الخالصة » . ثم رد اليَّ دولتهُ الزيارة وتناول الشاي مع عائلتي ودعيت معهُ للعشاء في دار صاحب السعادة سليم بك ايوب ثابت وابن عمهِ الخواجه قسطنطين نعمه ثابت وطال الحديث مع دولتهِ في المرات الثلاث عن احوال بيروت والبلاد السورية بنوع خاص وعن احوال السلطنة بنوع عام . وهو الوالي الذي حمى الاحرار في زمن الاستبداد على ما بلغني . وعلمت ممن اثق بهِ ان سفراء الدول شهدوا لهُ بان مذابح الاستانة لم تكن بامرهِ ولا برضاهُ بل كانت على ضد ارادتهِ وانهُ بذل جهدهُ في منعها خلافاً لما يتهمهُ بهِ خصومهُ

والولاة الثلاثة يحسنون الفرنسوية ويكثرون من استعمال الفاظها في التركية اذا تكلموا بها واولادهم يتكلمون الفرنسوية ايضاً وقد وقع نظري عرضاً على دفتر لابن ناظم باشا وهو فتىً في نحو الثانية عشرة من العمر فرأيتهُ قد كتب فيهِ دروسهُ الجبرية باللغة الفرنسوية وما كتبهُ آية في جودة الخط ودقة العمل الرياضي ورأيت ناظم باشا مهتماً بتعليم بناتهِ اللغة الانكليزية مع الفرنسوية

آتي بعد هذا التمهيد على بعض ما علق بذاكرتي من الاحاديث مع هؤلاء الولاة ورجالهم

متصرف لبنان

رأى متصرف لبنان ان اجور مأموري الحكومة لم تزل على ما كانت عليهِ حين كانت لوازم المعيشة رخيصة جدًّا والجبل في حالة الفقر المدقع . ومعلوم ان قلة راتب المأمور تجربة كبيرة في سبيل الارتشاء فلا يهون عليهِ ان يرى بيتهُ عارياً من الاثاث وزوجتهُ واولادهُ دون امثالهم في اكسيتهم واطعمتهم ثم تعرض عليهِ مئة جنيه رشوة فيرفضها . ولذلك اهتم بزيادة

اجور رجال الحكومة كلهم من اعضاء مجلس الادارة الى انفار الجندرمة فضاعف رواتب اعضاء المجلس . كان راتب العضو منهم الف غرش في الشهر فجعله الفين وحبذا لو استطاع ان يجعله ثلاثة او اربعة لانهم مضطرون ان يقضوا وقتهم كله في خدمة الحكومة وان يقيموا فصل الصيف في مكان وفصل الشتاء في مكان آخر وقد لا يكون لهم دخل يعتمدون عليه غير راتبهم . وضاعف ايضاً رواتب القضاة كلهم وزاد اكثر من ثلاثين في المئة على رواتب سائر المأمورين وزاد عدد انفار الجندرمة من ٨٢٠ الى ٩٤٠ وكان راتب النفر ١٥٠ غرشاً فجعله ٢٠٠ غرش في الشهر وزاد رواتب ضباطهم على هذه النسبة وبلغ مجموع الزيادات نحو ٨٠٠٠ ليرة في السنة . واراد في اول الامر ان يزيد مال الاعناق ومال الاملاك لكي يجد المال اللازم لهذه الزيادات فقاومهُ اهل البلاد فعدل عن ذلك واهتم بضبط الايرادات غير المقررة كرسوم المحاكم والتسجيل (التصديق) وتذاكر السفر وما اشبه وتسمى عندهم بالمهمولات فوجد المال المطلوب لزيادة الرواتب

وهو يعترف ان لبنان محتاج الى اصلاحات كثيرة فطريق دمشق يحتاج الى ترميم واصلاح مستمر وقد بذل جهده في جعل حكومة الاستانة توافقه على ذلك . وسائر طرق لبنان تحتاج الى زيادة الاعتناء في رصها وترميمها ولا بد من انشاء طرق كثيرة غيرها وتعميم المنافع العمومية كالبوستة والتلغراف . لكن يصعب تدبير الاموال اللازمة لذلك مع ان ما ينفق في هذا السبيل بمثابة رأس مال يزيد بهِ دخل اهالي لبنان وتزيد راحتهم ورفاهيتهم وتقل نفقاتهم . فاذا فرضنا ان في لبنان الآن نحو عشرة آلاف دابة من دواب الحمل والنقل بين جمال وخيل وبغال وحمير وانهُ يقتصد من قوة كل دابة منها في اليوم ومن عليقها غرشان اذا سارت على طريق ممهد بدلاً من السير على طريق وعر كثير العثرات وانها تعمل ٢٥٠ يوماً في السنة فيكون الوفر السنوي من كل دابة ٥٠٠ غرش ومن عشرة آلاف الدابة خمسين الف ليرة . وهذا التعديل يقل عن الحقيقة ولا يزيد عليها ناهيك عن انهُ اذا أُصلحت الطرق كلها تضاعف حمل الدواب ضعفين او ثلاثة لان احمالها تصير توضع في عربات بدلاً من ان تحملها على ظهورها . ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد الكبير

ثم ان اصلاح الطرق وفتح مكاتب البوستة والتلغراف في كل قرية كبيرة يزيد عدد المصطافين وتربح البلاد منهم الآن ربحاً طائلاً لان نفقات العائلة المصطافة لا تقل عن مئة ليرة في فصل الصيف وقد تبلغ ثلثمئة او اربع مئة او اكثر . فاذا اخذنا اقل النفقات وهو مئة ليرة وحسبنا عدد العيال المصطافة في كل لبنان من سورية ومن غيرها خمسة آلاف عائلة

فالاموال التي ينفقونها في الجبل تبلغ نصف مليون ليرة واذا تسهلت كل وسائل الراحة فلا يبعدان يتضاعف عدد المصطافين فيتضاعف المال الذي ينفقونهُ

ثم ان طرق لبنان ينفق على انشائها الآن المكلفون من ابنائهِ لا غير واما اصحاب الاملاك الواسعة فيهِ من اهالي بيروت فلا ينفقون غرشاً في هذا السبيل مع ان املاكهم تربح ربحاً طائلاً من انشاء الطرق واصلاحها بارتفاع اثمانها وسهولة نقل حاصلاتها اذا كانت ارضاً وبغلاء ايجارها اذا كانت بناء . فنظام لبنان مختل من هذا القبيل فيجب اصلاحهُ . وليس مرادي إعنات اصحاب الاملاك بل الاستعانة بهم على ما لا بدَّ منهُ خدمةً لمصالحهم ومصالح غيرهم . وقد ظهر لي ان دولة المتصرف يحجم عن امر مثل هذا لانهُ يعلم ما يجرُّ اليهِ من القلاقل ولكن ان احجم هو فاهالي لبنان انفسهم واصحاب الاملاك فيهِ يجب عليهم ان لا يتغاضوا عن مصلحتهم ويجب على الجرائد ان تنهض هممهم . وياحبذا لو استعان دولتهُ بجرائد لبنان وبيروت على ارشاد الرأي العام كما فعل رجال الحل والعقد في مصر فقد اخبرت دولتهُ بما فعلتهُ الجرائد المصرية في امر الكتاتيب فانها حركت غيرة الامة كلها حتى فعلت العجائب . ولا يزال سعادة ناظر المعارف المصرية يستعين بالجرائد وذلك بنشر كل ما يجدُّ عن الكتاتيب لكي يغار المحسنون بعضهم من بعض ويقتدي بعضهم ببعض

وجملة القول ان الاربعين الف الليرة او نحوها التي كفت حكومة لبنان وادارتهُ منذ خمسين سنة لا تكفي الآن ولا بد لهُ من مئة الف ليرة على الاقل . والحصول عليها ليس بالامر العسير اذا اعيد مسحهُ ولا يستلزم أن يزاد غرش واحد على الاملاك التي كانت عامرة في زمن المسح الاول ودفعت قسطها بالعدل . وكل ما فيهِ من الصعوبة ان زمن المسح الجديد يطول وقد يستغرق سنتين او اكثر ونفقاتهِ غير قليلة ولكن لا تتعذر استدانة النفقات اللازمة لهُ الى ان يتم المسح وتوضع الضرائب على كل الاملاك عقارات كانت او مسقفات حسب ريعها وعلى الاراضي البور الصالحة للزراعة

وكذلك لا بدَّ من تعميم البوسطة والتلغراف في كل انحاء الجبل ومن جلب الماء الى القرى المحرومة منهُ او التي هو قليل فيها . حبذا لو ربطت مراكز الحكومة كلها بالتلفون كما في القطر المصري وكما في بلاد الحبش

ولا بدَّ للحكومة اللبنانية من اخذ الامور بالحزم فاذا ثبت لها نفع شيء من الاشياء وجب ان تجري فيهِ ولا تحجم عنهُ امام المعارضة لان في البلاد فئة تطمع في الوظائف فتنتقد اعمال الحكومة مهما كانت لكي تضطر المتصرف الى مراضاتها . وحبذا لو تمكن دولتهُ من جعل

وظائف المأمورين ثابتة فلا يعزل مأمور الا لذنب يقتضي عزله بعد المحاكمة كما هو جارٍ في القطر المصري فيبطل هذا الطمع في الوظائف

وقد ابنت لدولتهِ ان رجال الاصلاح في مصر كانوا يلقون من المقاومة مثلما يلقى هو في لبنان لكنهم لم يعبأوا بها ولولا ذلك لما اصلحوا القناطر الخيرية ولا بنوا خزان اصوان ولا عملوا عملاً كبيراً من الاعمال التي عملوها وعادت على البلاد بالنفع . وقد كان اصحاب الاطيان يرشون المهندسين لكي يبعدوا خطوط السكك الحديدية والسكك الزراعية عن اطيانهم اما الآن وقد رأوا نفعها فصاروا يرشونهم لكي يخططوها ضمن اطيانهم . فوافقني دولتهُ على ذلك كلهِ . وعسى ان لا يرى من وجهاء لبنان الا كل ما يشد ازرهُ في ما ينويهِ لهُ من الاصلاح

والي سورية

والي سورية صاحب الدولة الفريق اسمعيل باشا فاضل قدم دمشق منذ عهد قريب فقد التقيت بهِ في بيروت يوم وصولهِ اليها في ١٠ سبتمبر الماضي وصعد الى دمشق في اليوم التالي فاختبارهُ لولايتهِ قليل ولكن الرجل الواسع الخبرة لا يصعب عليهِ ان يحكم حكماً صائباً من اول نظرة . وقد سألتهُ كيف وجد سورية بالنسبة الى سائر الولايات العثمانية فقال ان ما رآهُ حتى الآن منها يحملهُ على الحكم بانها متقدمة اكثر من كل الولايات العثمانية ما عدا سلانيك. وهو في قولهِ سورية يعني ما رآهُ من ولايتي سورية وبيروت او البلاد السورية عموماً . ثم ان ما رآهُ من همة السكان يحملهُ على الاعتقاد انهُ اذا استتب الامن والعدل في هذه البلاد فاقت سلانيك في وقت قصير. وسألتهُ عما رآهُ من قبول اهالي الشام للحكومة الدستورية فاجاب انهُ يرى العامة راضين كلهم وكذلك اكثر الخاصة . ولا يعقل ان الناس يرون صلاح الحكومة الدستورية ومزاياها الكثيرة ويبعدون عنها الى ان قال . نعم يقال ان العرب يودون الاستقلال والانفصال عن سائر العثمانيين ولكن كل من يتأمل احوال البلاد العربية الآن يرى ان اهاليها من ابعد الناس عن ادارة الملك لانقسامهم ولما حل ببلادهم من التأخر والذين يسمون انفسهم عرباً من اهالي الشام والولايات التي تتكلم العربية اكثرهم ليسوا من الجنس العربي . واستطردنا الحديث الى اللغة العربية فقال لا صحة لما يقال من ان الاتراك يودون اماتة اللغة العربية بوجه من الوجوه فانهم يعلمون انها لغة دينهم وكتابهم ولا تستغني عنها لغتهم هذا فضلاً عن ان اماتة لغة يتكلمها ملايين من الناس في كل الاقطار

انهُ مستحيل لذاتهِ . ولا يتهم الاتراك هذه التهمة الاَّ الذين يريدون ان يصطادوا في الماء العكر او الذين خسروا مزاياهم الماضية ويودون انتقاض الحكومة الدستورية ليعودوا الى مفاسدهم السابقة ومن هؤلاء لا من سواهم يخشى الضرر . اما جمهور الشعب فعلى غاية الخضوع والصلاح

ثم اخبرني كيف جال ليلاً متنكراً وسمع احاديث العامة في مجالسهم وقهاويهم فرآهم قريبين من الصلاح بعيدين عن الشر لا يحتاجون الاَّ الى من ينصح لهم فينقادون لنصحهِ

وفهمت منهُ ان غرض الحكومة الدستورية الحاضرة ان تكون سياسية محضة وان تترك لارباب الدين الاهتمام بالامور الدينية لاسيما وان رعاياها من اديان مختلفة اسلامية ومسيحية ويهودية ولكل دين منها مذاهب شتى فيتعذر على الحكومة ان تكون دينية وترضي الجميع على حد سوى ولكن لما كانت مرتبطة باجراء بعض العادات الدينية وكان ابطال هذه العادات مما يتعذر اجراؤُهُ دفعة واحدة فلا بد لها من التدرج في ذلك تدرجاً . والظاهر انهُ ابطل الولائم التي كانت تولم في شهر رمضان لانها ليست من الفروض الدينية ولان نفقاتها كثيرة وفوائدها قليلة وهي ليست من خصائص رجال الحكومة

وبيَّن انهُ عازم على استعمال اللين في كل الامور والاقناع بالحسنى فان لم يجدِ اللين والاقناع نفعاً فلا بد من الالتجاء الى القوة وامرها سهل عليهِ لانهُ جندي محنك

وبلغني انهُ يشتغل بامور الولاية نهاراً وليلاً وينظر في كل المسائل الهامة . وقد انعم الله عليهِ بزوجة من نوابغ النساء وفضلياتهن فتساعدهُ في افكارهِ وتوجد البهجة والسرور في بيتهِ . ولا يخفى ان ذلك اكبر مساعد لاصحاب الاشغال المهمة على تدبير اشغالهم. وهو بشوش الوجه انيس المحضر على غير ما ينتظر من قواد الجيوش عادة

والي بيروت

والي بيروت دولتلو حسين ناظم باشا اشهر من نار على علم وهو من اخبر الناس بشؤُون الولايتين سورية وبيروت وشؤُون السلطنة عموماً وقد اخبرني انهُ بدأ الاشتغال محرراً في جريدة ورأى السلطان السابق حرية افكارهِ وبلاغة قلمهِ فاستدعاهُ اليهِ وصرفهُ عن التحرير . ولما عين لولاية سورية طلب ان تعطى الحرية التامة لجرائدها وبيَّن للدولة ان ذلك من افضل الطرق للاصلاح فكانت النتيجة ان الحكومة الحميدية اوجست منهُ خيفة ووبخنهُ على ما فعل وشددت المراقبة على المطبوعات بنوع عام وعلى الجرائد بنوع خاص

وقد ظهر لي من الحديث معهُ انهُ يرى ما يراهُ كل خالي الغرض محب لمصلحة العثمانيين وهو انهُ لا بد للقضاة من معرفة العربية وان تكون المرافعات بها في كل البلاد التي لغة اهاليها العربية . وهو ينوي ان يبذل جهدهُ في عمل كل ما يلزم من الاصلاح لمدينة بيروت . ولا يزال اهالي دمشق يذكرونهُ بالشكر لما اتمهُ في مدينتهم من الاعمال النافعة حتى الناقمون عليهِ منهم ففي عهدهِ انشئت سكة الحجاز وهو الذي اعاد بناء ما احترق وتهدم من الجامع الاموي ولم يستخدم لذلك غير الدماشقة وهو الذي بنى سراي الحكومة وغيرها من المباني العمومية وانشأ شارعاً كبيراً بنيت البيوت الكبيرة على جانبيهِ وانشأ في آخرهِ منتزهاً على نفقتهِ الخاصة

ويظهر لي انهُ يكرم الصحافة ويقدرها قدرها ويعلم نفعها للبلاد ولا غرابة في ذلك لانهُ كان صحافيًّا ولا يزال يفتخر بذلك . قال لهُ بعضهم على مسمع مني ان المقطم اقام عليك النكير لما سجنت فلانًا فقال نعم وقد ارتفعت منزلتهُ في عيني من ذلك الحين لاني رأيتهُ يقوم في وجهِ الولاة ولا تأخذهُ في الحق لومة لائم اما انا فسجنت فلانًا اطاعة لامر لم يكن في طاقتي ردهُ ولذلك فاني أهنئ المقطم بانهُ كان نصير الحرية في زمن الاستبداد

وهو عصبي المزاج شديد التأثر والظاهر ان وفاة ابنتهِ وكانت من نوابغ الفتيات اثرت فيهِ تأثيراً شديداً جدًّا فقد رأيت الدموع تجول في عينيهِ اذ حدث امرٌ ذكرهُ بها . وعلمت انهُ يجول في شوارع بيروت ليلاً متخفيًا ليقف على احوال الامن وقد ابطل اطلاق البارود مطلقاً . ويرى الفضل للاوربيين في خدمة البلاد العثمانية بمدارسهم وقد سمعت الثناء العطر عليهِ من رئيس المدرسة الكلية السورية الاميركية لما اظهرهُ من الاهتمام بامرها . ورأيت الطمأنينة مستولية على بيروت حتى في ايام العيد التي تكثر فيها الضوضاء عادة ولم ارَ من احد ما يسوء ذكرهُ حتى البحارة رأيت منهم لطفاً وانساً غير عاديين

واذا طالت اقامتهُ في بيروت كما يرجو اهاليها وساعدهُ مجلساها البلديان على انفاذ ما يريدهُ لها من الاصلاح زالت منها الشوائب التي تشوب محياها الآن ولكن لا يبعد ان ترى الحكومة الدستورية شدة حاجتها اليهِ في الاستانة العلية لتستفيد السلطنة كلها من واسع اختبارهِ

(٥) مدنهما

حسب البعض من الذين قرأوا رسائلي السابقة انني كثير التفاؤل بالخير نظرت الى الحسنات في سورية ولبنان واغضيت عن السيئات وراقتني الظواهر فغفلت عما تحتها من عوامل الخراب . ولكن لو وقف الذين يقولون هذا القول موقفي ورأوا البلاد منذ خمسة وعشرين عاماً وامعنوا نظرهم حينئذٍ في احوالها المعاشية والاجتماعية وعادوا اليها الآن وقابلوا ماضيها بحاضرها وحكّموا العقل والروية لرأوا ما رأيت وحكموا بما حكمت

ولا يخفى ان المسائل العمومية لا يؤخذ فيها بما يصيب البعض من نفع او ضرر وربح او خسارة بل بالنتيجة العمومية مما يلحق بمجموع السكان . فان كثيرين من اصحاب البيوتات القديمة ضعف شأنهم وتقدم عليهم الذين كانوا دونهم بل لا يندر ان ترى الآن خادماً صار اغنى من سيده واجيراً امتلك ما كان لمؤجره فلا عجب اذا شكا ذلك السيد وهذا المؤجر من تغير الحال وانذرا بسوء المصير . ولكن ثروة البلاد لم تقل بانتقال الاملاك من زيد الى عمرو ومن خالد الى بكر بل زادت لان عمراً وبكراً جلبا مالاً اعطياه لزيد وخالد بدل املاكهما فزادت ثروة البلاد بسعيهما

الآن ان البعض سألوني هل رأيت في البلاد مصادر ثروة حقيقية ثابتة يمكن الاعتماد عليها وهل تدل حالة مدنها على ذلك فاجيب انني اشرت الى هذا الموضوع في الكلام على معايش السكان ولم يفتني الانتباه له وانا في سورية ولبنان فكنت اذا دخلت مخزناً اسأل عن اثمان البضائع ومصادرها والاماكن التي تباع فيها وهل يشتري الناس نقداً او ديناً وكم يهلك من الدين . واذا رأيت اثاثاً في دار او دكان اسأل عن المعمل الذي صنع فيه واذا دخلت معملاً لا التفت الى زخرفة مصنوعاته بل اسأل عن مقدار ما يصنع منها في السنة والاماكن التي تباع فيها وربح المعمل منها وموادها الاصلية . واذا مررت في الشوارع التفت الى البيوت القديمة والجديدة اقابل بينها ولاسيما في الاحياء التي عرفتها من قبل . وقد كانت الفرصة قصيرة جدًّا لم تمكني من الوقوف على عشر ما أريد الوقوف عليه ولكن ما رأيته وما سمعته يكفيان للحكم الاجمالي . واذ قد تمهد ذلك اذكر بعض ما يناسب المقام عن مدن سورية ولبنان

***

بيروت — بيروت اكبر الثغور السورية اتسع نطاقها على اثر الحرب الاهلية التي نشبت في

لبنان سنة ١٨٦٠ وعمت جانباً كبيراً من سورية فان كثيرين من المنكوبين لجأوا اليها حينئذٍ واستوطنوها والاموال التي جمعت لمساعدتهم من اوربا واميركا والتي اعطتهم اياها الحكومة العثمانية تعويضاً انفقوا اكثرها في بيروت فاتسعت تجارتها وزادت عمارتها وكثر سكانها . كان سكانها يقدرون حينئذٍ بنحو اربعين الفاً وهم الآن نحو مئة واربعين الفاً .

واكثر اعتماد اهالي بيروت على التجارة فهم تجار سورية يجلبون وارداتها ويرسلون صادراتها . وبيوتهم التجارية منتشرة في عواصم اوربا وبر الاناضول والقطر المصري . وتبلغ قيمة صادراتهم في السنة نحو مليون جنيه اكثرها من الحرير وقيمة وارداتهم نحو مليوني جنيه فيدفع الفرق بين ثمن الوارد والصادر من اموال المهاجرين والسياح والمصطافين . واذا ضبطت قيمة الصادر والوارد فلا يبعد ان تزيد على ذلك كثيراً . وقد تعزز مركزها التجاري بانشاء المرفإ فيها ووصول سكة الحديد اليها ولكن هذا المركز يهدد الآن بانشاء مرفإ في حيفا وبمد سكة الحديد من حلب الى طرابلس . ولا بد لتجار بيروت من ان يجمعوا كلمتهم على ما يحفظ شأن مدينتهم

والصناعة الكبيرة ضعيفة في بيروت لان ليس فيها قوة مائية فتضطر ان تستخرج القوة من الفحم الحجري الذي يجلب اليها من اوربا . واكبر معمل صناعي فيها معمل النجارة وعمل الاثاث المعروف بمعمل السيوفي وهو مثل اكبر معامل النجارة في اوربا تصنع فيهِ الخزائن والمغاسل والموائد والكراسي وما اشبه والغالب انها تصنع من خشب الجوز او من غيره من الاخشاب الغالية وتنقش وتحفر وتطعم . وتصنع فيهِ ايضاً الابواب والشبابيك ونحوها . واكثر مصنوعاتهِ من الاثاث وهو يعتمد على الآلات البخارية في ما يمكن عملهُ بالآلات وعلى مهارة الصناع في ما يصنع باليد ففيهِ آلة بخارية قوتها ستون حصاناً وآلات كثيرة لكل نوع من العمل بين مناشير ومخارط ومثاقب ومقاشط ومطارق ومجالي وكلها تتحرك بسرعة فائقة بقوة البخار وتغني عن الوف من العمال ومع ذلك يبلغ عدد العمال فيهِ اربع مئة

ولا شيء ادق من الآلات اذا اريد الانتظام مع الدقة . رأيت قطع الخشب توضع في الآلة التي تصنع ارجل الكراسي فتخرطها وتضلعها وتخرجها متشابهة متماثلة تماماً في كل شيء كانها افرغت في قالب واحد وقس على ذلك سائر القطع التي تتركب منها انواع الاثاث

واما النقوش من اوراق وازهار وشرائط وطيور وملائكة وما اشبه فيصنعها الحفارون بايديهم بعد ان يرسمها الرسامون

وكل الاخشاب التي يصنع منها الاثاث في هذا المعمل تجفف اولاً في فرن ينتزع الرطوبة

منها فيمتنع تشققها والتواؤها اذا جف الهواء او ترطب

والعمال في هذا المعمل وطنيون كلهم وبينهم بنات يعملن الاعمال اليدوية الدقيقة ويدهن الخشب ويبردخنهُ. واكثر الاخشاب يؤتى بها من بر الاناضول فالعمل وطني بموادهِ وصناعهِ. وتباع مصنوعاتهُ في ولايتي بيروت وسورية وفي جبل لبنان ويرسل منها الى حلب فترى البيوت والدكاكين مزدانة بالخزائن والموائد والكراسي والمرايا من عمل هذا المعمل وهي مثل ما يؤتى بهِ من الاثاث الاوربي لانها تتبع الاشكال الاوربية في الغالب. ويا حبذا لو اهتم باعة الاثاث في مصر بجلب بضاعتهم من هذا المعمل بدلاً من جلبها من اوربا لا تنشيطاً للصناعة الوطنية لان كلمة تنشيط لا معنى لها في التجارة بل لان مصنوعات هذا المعمل مثل مصنوعات اوربا اتقاناً وامتن منها وارخص

والظاهر ان ربح هذا المعمل كان قبل اعلان الدستور اكثر منهُ الآن لان البلاد لا تزال مضطربة ولان صاحبهُ وسَّعهُ كثيراً ولكن لا بد من رد الفعل حالما تطمئن الخواطر فيزداد ربحهُ بازدياد الثروة العمومية التي تنتج عن استتباب الامن واجراء العدل

وفي بيروت معمل آخر عمالهُ من النساء والبنات وهو لحبك الخرج والدانتل وما اشبه وقد اخبرني مديره' انهُ باع من مصنوعاتهِ في اميركا في الستة الاشهر الاولى من هذه السنة ما ثمنهُ خمسون الف ريال اي عشرة آلاف جنيه

وفيها معامل للمركبات ومعمل للطيوب ومعمل للادوية ولكن هذه المعامل كلها واشباهها لا تجعلها مدينة صناعية بمعنى انها تصدر مقداراً كبيراً من مصنوعاتها حتى اذا ضعف مركزها التجاري تجد في الصناعة ما يسد مسد التجارة لان الصناعة الكبيرة لا تفلح في هذا العصر الاَّ اذا كانت القوة رخيصة وليس في بيروت ولا حولها فحم حجري لاستخراج القوة منهُ ولكن على مقربة منها قوى مائية كثيرة فشلال جزين تبلغ قوتهُ ثلاثة آلاف حصان على ما اخبرني حضرة مهندس سورية السابق بشاره افندي وماء نهر ابرهيم تزيد قوتهُ على ذلك فهل يقوم من اهالي بيروت رجال ذوو همة واقدام يحولون هذه القوة الى كهربائية ويأتون بها الى مدينتهم لانشاء المعامل الصناعية فيها . ذلك مرهون بالمستقبل

اما الصناعة الصغيرة اليدوية كالصياغة والنحاسة والحدادة والنجارة والدباغة والخياطة والسكافة وما اشبه فشائعة في بيروت وفي كل مدن سورية وقراها والصناع ماهرون جدًّا في صناعاتهم حتى لا تكاد البلاد تحتاج الى شيء من المصنوعات الاجنبية الاَّ ما رخَّصت المعامل الكبيرة عملهُ فكفَّ الصناع الوطنيون من المناظرة فيهِ. وفي لبنان مناجم غنية من الحديد وتراب

صالح للخزف ورمال الساحل صالحة لعمل الزجاج ويقال ان فيهِ فحماً حجرياً جيداً فاذا ثبت ذلك فلا يبعدان تنشأ في بيروت وحولها معامل كبيرة للمصنوعات الحديدية والخزفية والزجاجية ومعامل لنسج الحرير

وصناعة الادب رائجة في بيروت فترى علماءها وادباءها يحررون الجرائد ويؤلفون الكتب وانديتها الادبية حافلة بالادباء والفضلاء . ولم يكن فيها قبل الدستور من الجرائد اليومية غير اثنتين فكثر عددها الآن ولكن قلما تصلها الاخبار اليومية من اقطار المسكونة كما تصل الجرائد المصرية

ولاهالي بيروت املاك واسعة في ساحل بيروت وجبل لبنان فانهم حلُّوا محل الامراء الشهابيين فيها ولبعضهم املاك كثيرة في هذا القطر ايضاً وهذه الاملاك كلها من جنائن وبساتين وحراش ومباني لها ريع كبير لكن ملاَّكها قليلو العدد . ولا يزال في ضواحي بيروت قليل من بساتين التوت لتربية دود الحرير ويقال بالاجمال ان ريع اهالي بيروت من الزراعة قليل وخاص ببعض اغنيائها فلا يعتد بهِ

ومن حسنات الدهر ان بيروت صارت داراً للمدارس كما كانت في عهد الرومان واشهر مدارسها المدرسة الكلية السورية الانجيلية التي انتشر تلامذتها في اقطار المسكونة يعلمون ويطببون ويتولون الاعمال الكبيرة سياسية وادارية وتجارية . وقد اتسع نطاقها منذ خمس وعشرين سنة الى الآن اتساعاً لا مثيل لهُ فزاد عدد تلامذتها واساتذتها اكثر من عشرة اضعاف وزيدت مبانيها على هذه النسبة . ولا شبهة في انها من اقوى دعائم الارتقاء العقلي والادبي وحرية الفكر والبحث في المملكة العثمانية . وفيها المدرسة البطريركية ومدرسة الحكمة وكلية القديس يوسف ومدارس كثيرة للبنات وكلها كثيرة التلامذة من سورية ومن القطر المصري ايضاً

والمعاملات التجارية في بيروت على ما يرام فلا يضيع غرش على تاجر ولا يخشى احد من ضياع امواله . وقد ارتفعت اثمان الاراضي واجور البيوت والمخازن لكثرة الطلب عليها ولتوفر النقود . والناس في سكينة وطمأنينة حتى البحارة صاروا على جانب من الدعة ولين العريكة

اما حالة بيروت الهندسية فعلى اسوإ ما يكون فان عدد سكانها اكثر من عدد سكان جنيفا مثلاً وموقعها الطبيعي اجمل من موقع جنيفا ولعلهُ اجمل موقع في الدنيا ولكن شتَّان بينها وبين جنيفا في سعة الشوارع والساحات والمتنزهات وجمال المباني التي حولها بل شتان بينها وبين بورت سعيد وسكانها لا يبلغون ثلث سكان بيروت وما بيروت من هذا القبيل الأ قرية

كبيرة · نعم أُقيمت فيها مدة غيابي مباني كثيرة ولكنها مثل مبانيها السابقة الأ بناء اوروزدي باك الالماني فانهُ يعد من المباني الفاخرة اينما كان و برج الثكنة العسكرية وسبيل عصور فانهما من المنشئات الهندسية الجميلة ولكن شوارع بيروت لم تزل على حالها او زادت تحفراً · ولا تصلح هذه المدينة باقل من ثلثمئة الف جنيه تفتح بها الشوارع الواسعة وترصف بالحصى والقطران وتقام لها الماشي على جوانبها · واذا كان هذا المال غير ميسور وجب ان يستدان ثم يوفى اقساطاً من عوائد الاملاك والشرفيات[1] وتصنع للمدينة خريطة منظمة يجرى عليها في المستقبل ولا يحاد عنها ولا يسمح ببناء بيت على شارع عمومي الأ اذا كان منطبقاً على رسم معلوم · فاذا اصلحت على هذه الصورة صارت مشتى لاغنياء سورية والكثيرين من اغنياء اوربا وربحت منهم ربحاً طائلاً

دمشق — دمشق اكبر مدن سورية واقدمها بل اقدم مدن المسكونة الباقية الى الآن · عُرفت بهذا الاسم في كلّ اللغات القديمة فهي بالعبرانية دمسكْ وبالمصرية تمسكو وبالاشورية دمسكي وكفى بذلك دليلاً على قدمها · وهي الآن مركز ولاية سورية وقد كانت دار الخلافة في عهد بني امية وعاصمة ملوك كثيرين من قبلهم ومن بعدهم لكن لم يبقَ فيها من مبانيها القديمة الأ الجامع الاموي والقلعة واثار السور القديم والدرب المستقيم وسأعود الى وصف هذه الآثار في فرصة اخرى

والمدينة زراعية صناعية تجارية وقد كانت كذلك من قديم الزمان فطمع بها الغزاة واجتاحوها مراراً كثيرة وحلَّ بها من الرزايا ما خرَّب الممالك وعفا آثارها اما هي فكانت تنهض بعد كل رزيئة وتسترجع مجدها السالف الى ان فتحت ترعة السويس وحوَّلت طريق التجارة عنها

تحيط بها الغوطة المشهورة جنائن اثمار وفواكه وخضر وبقول مساحتها نحو اربعين الف فدان ويتصل بها سهل فسيح تجود فيهِ الحبوب على انواعها لا تقل مساحتهُ عن مئة وخمسين الف فدان · وقد لا يقل ريع الغوطة والسهل عن مليون ونصف من الجنيهات وفي دمشق وضواحيها نحو ثلثمئة الف نفس فيصيب النفس منهم خمسة جنيهات في السنة وهو كسب كبير يساوي كل ما يكسبهُ الواحد من السكان في القطر المصري في سنتهِ

(١) اذا فتح شارع في بيروت فالذين يقع عليهم ضرر من فتحهِ ياخذون عوضاً والذين يستفيدون من فتحهِ يدفعون شيئاً من المال مقابل ما استفادوهُ يسمى شرفية · وهو اسلوب عادل وحبذا لو اتبع في القطر المصري

وقد اشتهرت دمشق من قديم الزمان بانها مدينة صناعية حتى ان بعض المصنوعات تسمى بالنسبة اليها في اللغات الاوربية كالسيوف الدمشقية والمنسوجات الدمشقية. وطالما نقل الغزاة الصناع منها الى عواصمهم ففقدت بهم بعض صناعاتها القديمة ولكنها لم تزل داراً لكثير من الصنائع . وصناعها من امهر الناس في شغل البلاط والنحاس والحديد والخشب والصوف والجلد والنسج. وترسل مصنوعاتهم الى كل الاقطار من بلاد فارس شرقاً الى اميركا غرباً. وصناعاتهم في الغالب صغيرة يعمل بها الصانع وحده وقد تكون كبيرة اي في معامل واسعة حيث تتوزع فروع العمل على الصناع فيعمل بعضهم في هذا النوع وحده وبعضهم في غيره ويستعمل البخار او الكهربائية لادارة الآلات بدل الناس . وقد شاهدت معملاً منها وهو معمل الخواجات نعسان فيه سبع مئة عامل يعملون بسبك النحاس ورسمه ونقشه وتنزيله وصقله ونشر الخشب وحفره وتطعيمه وتدار آلاته بالكهربائية . ومصنوعات هذا المعمل النحاسية والخشبية من ابدع ما رأته العين بأشكالها ورسومها وهي تتناول كل اثاث يصنع من الخشب او من المعدن بين كراسي وموائد ومقاعد وخزائن وبين برواز وقناديل وثريات وطسوت واباريق وكوانين وما اشبه . والامتعة الخشبية مطعمة بالصدف والعاج والابنوس والباغا والبقم وغيره من الخشب الملون . والمعدنية اكثرها من النحاس المنقوش نقوشاً عربية وبعضها مرصع بالفضة والذهب والمينا والحجارة الكريمة . ويكثر فيها القناديل والثريات المعدة للانوار الكهربائية وهي اجمل مما هو من نوعها من المصنوعات الاوربية وارخص . ابتعت ثرياً منها للكهربائية فرآها احد تجار الثريات الكهربائية في القاهرة وثمّنها بضاعف الثمن الذي اشتريتها به وأكّد لي انهُ يسهل عليه ان يبيعها بهذا الثمن

ومن الغريب ان بعض العمال في المعمل اولاد صغار قد لا يزيد عمر الولد منهم على سبع سنوات ومع ذلك تراهُ يحفر النحاس بالمطرقة والازميل بدقة واحكام كأنهُ اكتسب المهارة بالوراثة . وبلغني ان لهذا المعمل فروعاً في مصر وتونس والجزائر حيث يبيع الكثير من مصنوعاته فضلاً عما يشتريه السياح من دمشق نفسها وعما يبيعهُ المهاجرون في اميركا الشمالية والجنوبية

ولم ارَ معامل النسج ولكنني رأيت منسوجاتها وهي من الحرير والصوف والقطن والمطرز والموشى على ضروب واشكال شتى ولاسيما ما يقلد به الكشمير الهندي والظاهر ان سوقها رائجة جداً

اما صناعة الرخام والحجر الكلسي الشبيه بهِ فلصناع دمشق فيها القدح المعلى كما يشهد تجديد الجامع الاموي وما فيهِ من بديع صنعة الفسيفساء وكما تشهد دور دمشق الكبيرة قديمها وحديثها . واصحاب هذه الدور يقابلون الزوار بالترحاب ويسمحون لهم بمشاهدة واجهاتها وغرفها وما فيها من دقة الصناعة في الرخام والخشب . على ان هذه الدور حقيرة من خارجها لا يدل ظاهرها على باطنها

وقد كانت دمشق مركز تجارة واسعة لانها واقعة في طريق القوافل بين شمالي سورية والفرات ودجلة وخليج فارس وبلاد العرب والقطر المصري وهذا الذي كان يساعدها دائماً على استرجاع عظمتها بعد كل رزيئة حلت بها الى ان فتحت ترعة السويس فحولت طريق التجارة عنها كما تقدم لكن فتح سكة الحجاز وسكة بيروت اعاد اليها بعض شأنها التجاري . ولا نعلم قيمة صادراتها ووارداتها بالتحقيق ولكن المرجح انها نحو مليون ونصف من الجنيهات ولعل دخل السكان من الزراعة والصناعة والتجارة لا يقل الآن عن ثلاثة ملايين من الجنيهات فيكون دخل الواحد منهم عشرة جنيهات في السنة وتكون ثروتهم مضاعف ثروة السكان في القطر المصري لان دخل الواحد من هؤُلاء لا يزيد عن خمسة جنيهات في السنة

ثم ان لاهالي دمشق مورداً آخر للكسب وهو ان مدينتهم مركز الولاية ومقام الفيلق الخامس وايراد الولاية المقرر نحو اربع مئة الف جنيه في السنة ينفق جانب كبير منها في دمشق

فمن رأَى ذلك وعلم تاريخ هذه المدينة وما حل بها من الارزاء منذ مئات من السنين الى الآن ووجد انها صبرت على مضض الدهر وغير الايام وخرجت من العصر الحميدي باسواق جديدة عامرة ومباني كبيرة فاخرة ومعامل واسعة النطاق وسكة تدر عليها الخيرات لم يُحسَب كثير التفاؤُل اذا رأَى فيها دلائل الارتقاء وقدَّر لها مستقبلاً سعيداً في عهد حكومة دستورية ترفع الجور عن الاهلين وتبذل الوسع في معاضدتهم

وقد تبارى الكتاب في وصف دمشق اذا اشرف الرائي عليها من الصالحية فقصدت الصالحية لاراها منها ولكن اتفق ان ضباباً اكتنفها تلك الساعة فحجب عني رؤْيتها لكنني رأَيتها في اليوم التالي من أعلى مأْذنة في الجامع الاموي فاذا هي كبناء واحد تعلوهُ القباب والمنائر وتتخللهُ سقوف الاسواق حنايا من المعدن كانصاف الاساطين والغوطة حولها كسوار من الزمرد حول عقود من اللؤْلوء

وشوارع دمشق على ضيقها ولاسيما القديمة منها انظف من شوارع بيروت واذا فتحت فيها الاسواق الواسعة كسوق مدحت ورصفت بالاسفلت واعتني بنظافتها صارت من اجمل المدائن . ولا بد من الاعتناء بمجاري مياهها حتى لا تشاب بميكروبات الامراض وذلك كلهُ يناط عملهُ بالمجلس البلدي ولعلهُ يؤلف الآن من وجوه المدينة اصحاب المصالح الكبيرة فيها فينضوا عزيمتهم الى اصلاح مدينتهم وجعلها الاولى بين المدائن الشرقية نظافة وانتظاماً

بعلبك — مدن سورية كثيرة شاهدت منها بيروت ودمشق ويافا وحيفا وعكاء وبعلبك . وقد تقدم الكلام على بيروت ودمشق . وذكرت يافا وحيفا وعكاء بالايجاز التام لانني لم اقم فيها الاَّ ساعات قليلة ومع ذلك لا يسعني الاَّ ان اعود الى حيفا فاقول ان امامها مستقبلاً مجيداً اذا انشئ لها المرفأ المطلوب وعسى ان يهتم سكانها من الآن لكي لا يستأثر الالمانيون الذين نزلوها بتجارتها . وقد كانت عكاء مرفأ دمشق لكن مد سكة الحديد الى حيفا لا اليها سيحول التجارة كلها الى حيفا . وقد شاهدت الجمال آتية الى عكاء بالحنطة وهي قطار كبير جداً يمثل تجارة البلاد وثروتها وكأنهُ النفس الاخير من حياة دامت الوفاً من السنين وقد اخذت تتقمص الآن بصورة القطر البخارية . فنودع هذا الحيوان الكريم الذي خدمنا وخدم اجدادنا قروناً كثيرة يقطع الفلوات المحرقة ولا يشكو ضيماً وينقل تجارة الشرق الى الغرب والغرب الى الشرق ذلولاً صبوراً

اما بعلبك فمن اقدم مدن سورية وقد كانت محطاً للقوافل السائرة بطريق تدمر . ويحيط بها وينبسط امامها سهل فسيح لا تقل مساحتهُ عن مئة الف فدان وهو من اخصب سهول الدنيا ترويهِ الامطار شتاء والجبال على جانبيهِ كثيرة الينابيع فتجري اليهِ وترويهِ صيفاً

وبعلبك مشهورة بقلعتها وهي هيكلان عظيمان من اجمل ما بناهُ الرومان في عصر مجدهم وانفحمهِ واكملهِ وساعود الى وصفها في الكلام على مشاهد سورية وعظمة هذين الهيكلين تزيد المدينة الحاضرة حقارة بالنسبة اليهما . ولا شبهة في انها كانت في عصر الرومان من المدن العظيمة الراقية كما يستدل من آثار المباني العمومية الباقية فيها عدا هيكليها ولا يحتمل ان تعظم مدينة الاَّ وفيها اسباب الثروة من زراعة وصناعة وتجارة . وكانت بعلبك كذلك فان سهل البقاع من اخصب السهول وهو المصدر الاول لثروتها . وقد كانت فيها صناعة واسعة بقيت الى عهد غير بعيد حتى أُطلق اسم البعلبكي على انواع من الثياب التي كانت تنسج

فيها · ووقوعها بين تدمر وساحل البحر جعلها محطة من محطات التجارة بين الشرق والغرب وأُضيف الى ذلك كونها دار عبادة وكعبة حجة في زمن الزومان فكانت النذور ترد اليها من كل الاقطار ويتبارى المتعبدون باقامة التماثيل في معابدها

اما الآن فالمدينة لا تذكر بين المدن الكبيرة ولم ارَ فيها تغييراً يذكر بعد ان زرتها آخر مرة منذ خمس وعشرين سنة الاَّ بناء بعض البيوت والفنادق الكبيرة · وقد بني بعضهم بيتاً اوفندقاً على آثار مشهدها الروماني القديم ولم يشأ ان يتركها مكشوفة ليراها السياح الذين يقصدون بعلبك كل سنة بالالوف ليشاهدوا آثارها ورأيت منتزه رأس العين وكان في النوبة الاولى التي شاهدتهُ فيها منذ ثلاثين سنة اجمل منهُ الآن · وطريق المركبات الواصلة اليها من محطة سكة الحديد تعمي السائر فيها بغبارها

فموقع المدينة الطبيعي والجغرافي وتاريخها المجيد قبل ان تولاها فساد الاحكام يدلان على انها اهلٌ لتكون من المدن العظيمة الزاهرة وهي مقرّ أُسرتين كريمتين من اعلى أُسر سورية همة وهما آل مطران وآل حيدر وقد عرفتُ منهما رجالاً نوابغ يفتخر بهم في كل بلاد فلا يكبر عليهما وقد انتشر لواء العدل والامن ان تتضافرا على اعادة بعلبك الى سالف مجدها

..زحله — زحلة اكبر مدن لبنان واكثرها ارتقاء رأيتها اول مرة منذ نحو خمس وثلاثين سنة وكان اكثر مبانيها باللبن (الطوب الاخضر) واخذني الذين زرتهم حينئذٍ الى الكنيسة الكبرى فيها واروني اياها متباهين بانها مبنية كلها بالحجر. اما الآن فصار فيها مئات من البيوت الكبيرة وكلها بالحجر النحيت المزخرف وفيها سوق جديدة تسمى سوق البرازيل لان اصحاب البيوت التي بنيت فيها جلبوا اموالها من تلك البلاد. ولم يكن فيها حينما زرتها اولاً فندق واحد ولا ما يقوم مقامهُ فاضطررت في زيارتي الاولى ان انزل عند احد الاصدقاء وفي زيارتي الثانية ان انزل في خيمة من خيام السفر اما الآن فرأيت فيها فنادق كبيرة جامعة كل وسائل الراحة

وهي مثل غيرها من مدن سورية زراعية صناعية تجارية فحولها كروم العنب تمتد الى مسافة شاسعة واهلها مشهورون بزرع الكرم والاعتناء بهِ والظاهر ان تربة ارضهم صالحة لذلك ويرسل العنب منها الى بيروت والى كثير من قرى لبنان ويصنع منهُ الزبيب والدبس وتعصر الخمر · وسهل البقاع على مقربة منها ولاهلها زراعة واسعة فيهِ امتلاكاً والتزاماً · وفيها الصنائع الوطنية المعروفة وهي مختصة بعمل اللبد وصنع الاكاف منهُ · وماؤُها غزير ولا يتعذر عليها ان تحول قوة انحدارهِ الى كهربائية تنير بها بيوتها وشوارعها وتدير

الآلات ولها تجارة واسعة بالحبوب ولكن المورد الذي استوردت منهُ الاموال فبنت بها بيوتها انما هو المهاجرة

وهي في مطئن من الارض يعلوها الجبل من جهات ثلاث وينفرج امامها وفي وسطها وادٍ ملتف الشجر اكثرهُ من شجر الحور فاذا نظرت اليها من مكان مرتفع رأيت بيوتك مترادفة على جانبي الوادي اكثرها كبير ناصع البياض بواجهات على اعمدة من الرخام وسقوف مسنمة من القرميد الاحمر والماء ينحدر اليها من علو شاهق والوادي في وسطها كبساط من الزبرجد . وفيها من المباني الكبيرة الجميلة دار للحكومة ومدرسة كلية وطنية وبناء للمرسلين الاميركيين وبناء آخر لليسوعيين لكن طرقها وشوارعها لا تليق بها ولا يزال فيها كثير من البيوت القديمة الزرية مما بني بالاتبن فاذا بقيت اموال المهاجرة تنهال عليها واستمر عمرانها على هذا النسق من التقدم والتأنق فلا يبعد ان تزول منها البيوت القديمة الرثة بعد سنين قليلة وتصلح طرقها وشوارعها ويزيد تردد المصطافين عليها

وفي لبنان قرى كثيرة اتسعت فصارت كالمدن الصغيرة مثل عاليه وقد كانت قرية حقيرة منذ ثلاثين سنة وكان المثل يضرب بقلة ذكاء اهلها وهي الآن من مدن لبنان بكثرة مبانيها وتردد الناس عليها واكثر الفضل في ذلك لسكة الحديد فانها جعلتها مصيفاً لاهالي بيروت . ومثل سوق الغرب وبمكين وبحمدون وصوفر وبكفيا وظهور الشوير فانها كلها بنيت فيها المباني الكبيرة بعضها باموال المهاجرة وبعضها باموال التجارة وبعضها باموال المصطافين وقليل منها بالاموال المكتسبة من الزراعة والصناعة . ويظهر لي ان الموارد الاولى اي المهاجرة والمتاجرة والاصطياف ليست مما ينضب بل لا يبعد انها تغزر رويداً رويداً ولاسيما مورد الاصطياف اذا بذل اللبنانيون وسعهم في اعداد لوازمهِ كاصلاح الطرق ورشها وانشاء المكاتب للبريد والتلغراف او التلفون في كل مصيف

وخلاصة المقال ان ما رأيتهُ من التقدم في مدن سورية ولبنان يدل على ان البلاد سائرة في سبيل الارتقاء سيراً حثيثاً وان اسباب هذا الارتقاء لا يحتمل زوالها الا اذا حلت بالبلاد كوارث غير عادية

الطبيعيات وارتقاؤُها

تتمة خطبة السير جوزف طمسن رئيس مجمع تقدم العلوم البريطاني

ومن الامور التي نجهلها الآن العلاقة بين القوة المستترة والقوة المحركة فهل هما قوة واحدة وهل القوة المحركة في الاثير هي القوة المستترة في الاجسام فاذا كان الامر كذلك امكننا ان نفرض ان الاشياء المنظورة في هذا العالم تستمد قوتها المستترة من قوة محركة في عالم غير منظور هو الاثير

فالاثير اذاً اشبه شيء بالمصارف المالية تودع الاجسام فيهِ قواها وتسحبها عند اللزوم ومقدار الاثير المرافق للاجسام يختلف حسب زيادة القوة المستترة فيها ونقصانها . ولما كانت الاجسام تشع قوة محركة على الدوام فتنقلب تلك القوة الى حرارة فحجمها في نقص مستمر. فالشمس والارض وغيرها من الاجرام ينقص حجمها يوماً بعد يوم وذلك بنقصان الاثير الذي كان متصلاً بها ولكن هذا النقصان قليل جدًّا و يزداد بطئًا بطول الزمان

ولا بد في هذا المقام من ذكر التقدم العظيم الذي حدث في هذه السنوات الاخيرة في فرع من فروع الطبيعيات اي البحث في الاشعاع الذي اظهرهُ لنا اكتشاف اشعة رنتجن فمن خواص هذه الاشعة انها اذا وقعت على بعض المواد كاملاح الاورانيوم اكسبتها نوراً فصفوريًا فخطر لبكرل ان يبحث في ما اذا كان هذا النور الفصفوري يولد اشعة رنتجن فاخذ املاح الاورانيوم وعرَّضها لنور الشمس فصارت تشع نوراً فصفوريًّا ثم بحث فيها فوجد ان لها خواص اشعة رنتجن. وعلم بعد ذلك ان ليس من الضروري عرضها لنور الشمس لتتولد فيها تلك الخواص بل هي موجودة فيها ولو كانت في الظلام أي انها من المعدن نفسهِ وليس من الصفة الفصفورية المكتسبة فالاورانيوم واملاحهُ تنبعث منهُ اشعة كاشعة رنتجن وتعمل عملها . ووجد شمد بعد ذلك ان هذه الخواص موجودة ايضاً في الثوريوم . ثم اكتشف الراديوم والبولونيوم والاكتينيوم وغيرها من العناصر وكلها تفعل فعل اشعة رنتجن

وقد وجد ايضاً انهُ يمكن فصل الاورانيوم الى مادتين مادة منها لها خواص الاشعاع والثانية عكس ذلك . وانهُ اذا حفظت هاتان المادتان بضعة اشهر فقدت الاولى منهما تلك الخواص واكتسبتها الثانية . ويمكن تفسير ذلك بالرأي الذي قدمهُ رذرفورد وسودي وهو ان العناصر الاشعاعية ليست دائمة بل تتحول الى عناصر اخرى ذات ثقل جوهري اقل من ثقلها فالاورانيوم يتحول بعضهُ الى الراديوم وهذا يتحول بعضهُ الى غاز اشعاعي والغاز الى آخر وهلم

جدًّا ومدة هذا التحوّل قد تكون الوف الملايين من السنين كما في الاورانيوم او بضع ثوان كما في الغاز المنبعث من الاكتينيوم

وجواهر هذه العناصر عند تحوّلها من حالٍ الى اخرى ينبعث منها مقدارٌ عظيم من القوة فتكون الجواهر المتولدة اضعف من الاولى وهلمّ جرًّا . وقد علم بالتجارب ان هذا التغير في الجواهر لا علاقة لهُ بعمر الجوهر الواحد اي ان عدد الجواهر التي تتغير في مدة معلومة واحد مهما كانت اعمارها فجوهر الراديوم الذي يكون عمرهُ الف سنة مثلاً قد يعيش الف سنة اخرى كالجوهر المتولد حديثًا . ويظهر من ذلك لاول وهلة ان اسباب هذا التغير خارجية لكنها على الراجح داخلية كأَن بعض الجواهرِ يولد قويا فيعيش كثيراً و بعضها يولد ضعيفاً فيعيش قليلاً

اما القوة التي تولدها الاجسام الشعاعية فعظيمة جدًّا فالغرام الواحد من الراديوم يولّد قوة تعادل القوة المتولدة من حرق الف كيلو غرام من الفحم الحجري . ولكن كيف تأتي هذه القوة وما هو مصدرها . هذه مسألة يصعب حلها . ويحتمل ان يكون سبب ذلك ان في كل جوهرٍ من الجواهر اجهزة كهربائية مختلفة الحجم بعضها صغير وبعضها اكبر منهُ بنحو ١٠٠٠٠٠ ضعف . فالقوة المؤثرة في الجهاز الصغير اعظم كثيراً من القوة التي في الجهاز الكبير فاذا انفجر الجهاز الصغير حتى صار في حجم الكبير تولّد من ذلك قوة عظيمة جدًّا . فهل يمكن ان الوحدات الكهربائية الايجابية كانت قبلاً صغيرة جدًّا كالوحدات السلبية و بسبب تقادم العهد عظمت وتحولت الى حجمها الكبير و بقي عددٌ منها في حجمهِ الصغير فيكون الانفجار الذي يحصل فيها مصدر هذه القوى الهائلة

وللراديوم شأن كبير لدى الجيولوجيين كما لهُ شأن كبير لدى الطبيعيين والكيماويين فاكتشاف خواصهِ قد غير كثيراً في الآراء المعروفة في عمر الارض . فقبل اكتشافهِ كان يظن ان الحرارة المنبعثة من جوف الارض لا يوجد ما يعوّض عنها . فقد كان في الارض مقدار معلوم من الحرارة عند اول تكوينها وهذه الحرارة تنقص رويداً ولا يوجد ما يعوّض عنها فلا يمكن ان يتعدى عمر الارض مقداراً من السنين والاَّ لكانت ابرد مما هي . وقد قدّر اللورد كلفن هذا الزمن باقل من مئة مليون سنة

فالراديوم وان يكن مقدارهُ قليلاً في الارض اي بنسبة خمسة غرامات الى كلّ مكعّب طول جانبهِ مئة ميل لكنهُ ينبعث منهُ من الحرارة ما يزيد على الحرارة التي تتوزّع من الارض في الفضاء . فالطريقة التي كانت متبعة في تقدير عمر الارض لا يعوّل عليها الآن . ولو كان الراديوم في جوف الارض على النسبة التي هو فيها على سطحها لزادت حرارة جوف الارض

كثيراً عمّا هي عليهِ الآن ولما وجدت صخور على عمق يزيد عن خمسة واربعين ميلاً عن سطح الارض . ومن الغريب ان الاستاذ ملن في اثناء بحثهِ عن الزلازل وصل الى نتيجة تقرب من هذه وقدَّر المسافة التي تصل اليها الصخور ثلاثين ميلاً وقال ان الارض بعد ذلك متشابهة في البناء (اي ليس فيها اجسام صلبة كالصخور واجسام هشة كالتراب)

واذا كان اكتشاف القوة الاشعاعية قد نفى الطريقة المتبعة في تقدير عمر الارض فقد جاءنا بطريقة غيرها . فمن المعلوم ان غاز الهليوم ينبعث من الاجسام الاشعاعية لكنهُ فيما عدا الزبرجد لا يوجد في الجمادات التي لا عناصر اشعاعية فيها فينتج عن ذلك ان الجمادات التي فيها غاز الهليوم جاءها الغاز من تلك العناصر . والجمادات التي فيها اورانيوم وهو منشأ الراديوم والهليوم يتولَّد فيها الهليوم بمعدَّل معلوم والهليوم لا يتحوَّل كسائر العناصر الاشعاعية بل يبقى ثابتًا و يتجمَّع في الجماد الذي تولَّد فيهِ فاذا عرفنا المقدار منهُ في قطعة من الصخور وما يتولَّد منهُ كل سنة عرفنا المدة التي تجمَّع فيها المقدار الموجود منهُ في الصخر او بعبارة اخرى عرفنا عمر الصخر . وقد قدَّر الاستاذ سترت وهو مكتشف هذه الطريقة عمر قطعة من الجماد المسمى ثوريانيت فوجدهُ ٢٤٠ مليونًا من السنين

وللباحثين مجالٌ واسعٌ لدرس الخواص الطبية والفسيولوجية التي تنشأ من الراديوم فما عرف منها الآن كاف لان يجعلنا نرجو الوصول الى فوائد كثيرة تخفف آلام الانسان وقد ثبت الآن ان هذه الاشعة شفت عدداً كبيراً من المصابين بالقرحة الآكالة فيجب علينا الانتباه التام في درس هذه الخواص لئلا يفوتنا شيءٌ من فوائدها . ولا يخفى ان ثمن الراديوم باهظ جدًّا ولا يسع جميع المستشفيات عمل التجارب بهِ لكنهُ بفضل كرام القوم كالسر ارنست كاسل واللورد ايفه وغيرهما اقيم معهدٌ في لندن تحت رعاية جلالة الملك للبحث في خواص الراديوم الطبية ولمعالجة المصابين بامراض يؤَثر فيها العلاج بهِ

وقد كان لهذه الاكتشافات الحديثة في الطبيعيات تأثير عظيم في المشتغلين بهذه العلوم فزادت الآمال باكتشافات جديدة اذ ان مجال الاكتشاف لم يزل واسعًا وقد كنا نظن ان الذين سبقونا لم يتركوا لنا شيئًا منها . فاننا لم نصل بعد الى الغاية القصوى من العلم وكلما بلغنا ذروةً منهُ نرى امامنا ارجاء واسعة كلها فوائد ومهما نظرنا الى الامام لانجد الغرض الاخير الذي نسعى اليهِ فلم يزل بيننا وبينهُ ذرًى كثيرة سيصل اليها الباحثون ويرون ان وراءها آمالاً واسعة فكلما تقدمنا في العلم زاد شعورنا بقدرة الخالق وقلنا « عظيمة هي اعمالك يا رب »

ما هي الحياة

من مقالة للدكتور كنج الاميركي

لو سألنا سائلٌ ما هي الاجزاء الحية من اجسامنا وهل كل جزءٍ منها حيٌّ ام بعضها حيٌّ والبعض الآخر ميت لاجاب كلٌّ منا بمقدار ما عندهُ من العلم وربما اجاب البعض ان كل اجزاء الجسم حية ما خلا العظام

اننا نعلم بالاختبار انهُ كثيراً ما يدخل الجسم الحيواني موادٌ معدنية كالرصاص والدبابيس والابر والمسامير والخواتم وما اشبه وتبقى زمناً طويلاً في الجسم ولا ينتج عنها ضررٌ ما ء ومثلها الحصوات التي تتكوّن في الجسم والاجنة الميتة فانها تبقى في الجسم سنواتٍ كثيرة ولا تؤْذي حاملها وامثلة ذلك كثيرة جدًّا

ثم ان الاصداف والزوائد الجلدية كالقرون والانياب والحوافر والاظفار والشعر والصوف بعضها حيٌّ وهو الجزء الاقرب الى الجسم وبعضها ميت وهو الجزء الابعد . فهذه الاجزاء الميتة تشبه الفحم الحجري والصخور الطباشيرية وعروق المرجان وامشاط الذبل المتولدة من اجسامٍ حية لكنها ميتة

فما هو الحد الفاصل بين الجزء الحي والجزء الميت من قرن الثور او ناب الفيل مثلاً . والجواب عن ذلك انهُ لا فاصل بينهما فالانتقال من الحياة الى الموت لا يكون الا تدريجاً ولا نعلم اين تنتهي الحياة واين يبدأُ الموت. ففي الجسم الحيواني اجزاءٌ كثيرة ميتة عدا الزوائد التي مرَّ ذكرها فالغازات والمواد البرازية في القناة الهضمية ومفرزات الكليتين والكبد كلها موادٌ ميتة. ومثلها اللبن فهو ليس سوى محلولٍ من بعض الاملاح والسكر والمواد النتروجينية وفيهِ بعض الحويصلات المتفتتة المصابة بالتحوُّل الدهني فيتكون منها السمن. اما الدم وهو من اهمّ اجزاء الجسم فبعضهُ حي وبعضهُ ميت فكرياتهُ حية والسائل ميت ونسبة السائل الى الكريات كنسبة الماء الى الحيوانات التي تعيش فيهِ . والكريات الدموية تعيش في كثيرٍ من السوائل التي لا حياة فيها فاذا نزف دم انسان وادخلنا الى اوعيتهِ الدموية محلولاً من ملح الطعام عاشت الكريات الدموية فيهِ . وهي تعيش ايضاً في محلول الملح خارج الجسم كما اثبت الدكتور روس من زمن قريب فانهُ وضع كرياتٍ بيضاء في محلولٍ مؤَلف من ثلاثة اجزاءٍ من شترات الصوديوم وجزءٍ واحد من كلوريد الصوديوم الى مئة جزءٍ من الماء فبقيت الكريات حية مدة ثلاثة ايام

ومن المواد الميتة في جسم الحيوان السائل البلوراوي والسائل التاموري والسائل البريتوني وغيرها من سوائل الجسم . فيظهر مما تقدم ان خلايا الجسم الحيواني حية وسوائلهُ ميتة . ولنبحث الآن في الموت . هل اذا مات حيوان يموت كل اجزائهِ الحية دفعةً واحدة او يبقى بعضها حياً مدة من الزمن . فقد علم بالاختبار ان بعض خلايا الكبد تستمر على الافراز بعد الموت وكذلك الخصيتان وثبت ايضاً انهُ يمكن نقل قطع من جلد رجلٍ ميت الى جلد رجلٍ حيٍ بطريقة التطعيم فتعيش فيهِ ونقل قطع من عظام الاموات الى الاحياء فتبقى حية . فقد نقلوا مفصلاً بتمامهِ من رجل ميت ووضعوهُ مكان مفصلٍ مصابٍ بآفة مرضية فعاش المفصل المنقول . فالانتقال من الحياة الى الموت لا يكون دفعةً واحدة بل تدريجاً كما هي الحالة في نشوء المواد الحية من المواد الميتة

ومن المعلوم ان اهم الخصائص التي تتميز بها الحيوانات الحية الحركة والنمو والتوليد . اما الحركة فاساسها الكهربائية فالحركة العضلية وحركة الخلايا وانقسام الخلايا وارتباطها بعضها ببعض كل ذلك نوعٌ من القوة الكهربائية المغنطيسية وهذه القوة تتولد بواسطة التحليلات الكيماوية في الجسم . فكل تغيير يحصل في الخلايا من التغذية وغيرها ينتج عنهُ مجرًى كهربائيٌ وكل خلية في الجسم بطرية كهربائية قائمة بنفسها

واحسن مثالٍ لتولد الكهربائية في الجسم الحيواني نجدهُ في السمك الرعَّاد والانقليس الكهربائي والورنك وغيرها من الاسماك الكهربائية . ففي هذه الاسماك جهاز كهربائي متقن التركيب مؤَلف من مئات من الارصفة وفي كل رصيفٍ عددٌ لا يحصى من الاقراص الصغيرة الواحد فوق الآخر وبينها سائل زلالي فيتكوَّن من هذه الارصفة جهاز شبيه بجهاز ولطا الكهربائي ويتصل بهِ اعصابٌ توصل بينهُ وبين النخاع المستطيل فيكون اطلاق المجرى الكهربائي تحت تصرُّف الحيوان فيرسل المقدار الذي يريدهُ وفي اي وقتٍ اراد

فالقوة الكهربائية والقوة العصبية واحدة اي انهُ اذا تحرَّكت عضلة من العضلات بفعل عصبٍ بها تكون القوة الصادرة من ذلك العصب قوة كهربائية وقد بيَّن ذلك الاستاذ سلومونصن باجلى وضوح فقاس المجاري التي تسبب حركة العضلات بواسطة المقاس الكهربائي المسمى كلفنومتر اي كما تقاس الكهربائية وصوَّر هذه المجاري على الالواح الفوتوغرافية

واذا صحَّ قولنا ان كل حيوانٍ وكل خليةٍ منهُ جهازٌ كهربائي وجب فصل الكهربائية المتولدة كما نفصلها في الاجهزة الكهربائية المعروفة والاَّ تبدَّدت سريعاً وتوزعت في ما يحيط بالحيوان من الاجسام . فاذا دققنا النظر وجدنا في الجسم الحيواني فواصل عديدة اي مواد

غير موصلة منها الجلد والصوف والشعر وغير ذلك من الزوائد الجلدية وتزيد هذه الفواصل احياناً بلبس الصوف والحرير والشعر وما اشبه · ولهذه الاسباب نشعر بنشاط اذا كان الهواء جافّاً وبانحطاط اذا كان رطباً فانهُ في الحالة الاولى تبقى كهربائيتنا فينا لان الهواء الجاف موصل رديء للكهربائية واما الهواء الرطب فموصل جيد فنخسر بهِ مقداراً من الكهربائية

هذا ما يختص بسطح الاجسام الحية المتصل بالهواء وهي متصلة ايضاً بالارض فتقيها الاقدام من توزُّع الكهربائية · وقد ارسلت قطعاً من حوافر الخيل الى الاستاذ ستراتون وطلبت منهُ ان يمتحن قوة فصلها فوجد قوة الفصل في الاجزاء المقطوعة من باطن الحافر ٤٧٠ مليون أُهْم وقوة الفصل في اسفل الحافر ٢٢٠٠٠ مليون اهم وكان المجرى الكهربائي الذي اطلقهُ مؤلفاً من ١٢٠ ولطاً والكلفنومتر حساساً لكنهُ لم يتحرك الاَّ قليلاً جدًّا

ثم ارسلت ٦٧ قطعة من انسجة حيوانية ونباتية الى الاستاذ مورتيمر وهي متنوعة كثيراً من حوافر الدواب واظلاف الغنم واظفار الارانب والدجاج ومشيمة جنين وحبلهِ وسلاهُ أي غلافهِ وقشر البيض والنارنج والتفاح والجوز واللفت والبصل · فلم يجد في شيء منها ان القوة الفاصلة في النسيج الداخلي اقوى من القوة الفاصلة التي في الغلاف

فالكرة الارضية لو لم يكن حولها هذا الجو الفاصل فيقيها من توزع الكهربائية منها ولو لم تكن اكثر الاجسام الحية مكتنفة ايضاً بما يقيها من خسارة الكهربائية او بعبارة أُخرى من خسارة الحياة لما بقي حيٌّ على هذه الارض ولكانت الارض كالقمر لا حياة فيها

وغايتي من هذه المباحث كلها وضع تعريفٍ للحياة فقد عرَّفها سبنسر بانها « المطابقة المستمرة بين الاحوال الداخلية والاحوال الخارجية » وعرفها بلانفيل بقولهِ « انها حركة عامة ومستمرة من التركيب والتحليل » وانتقد سبنسر هذا التعريف بقولهِ انهُ ينطبق على ما يجري في البطرية الكهربائية فانها ايضاً حركة عامة ومستمرة من التركيب والتحليل · ففي الزمن الذي كتب فيهِ سبنسر اي سنة ١٨٦٦ لم يكن علم الحياة قد وصل الى الدرجة التي هو فيها الآن ولم يعلم سبنسر ان الجسم الحيواني مؤلف من ملايين من البطريات الكهربائية اي ان كل خلية بطرية كهربائية قائمة بنفسها وان الحياة تصدر من اتفاق هذه البطريات في العمل

فبعد هذه المقدمات اطرح للقرَّاء التعريف الآتي للحياة فاقول · ان الجسم الحيَّ سواءٌ كان خليةً واحدة بسيطة او حيواناً لبوناً تام الارتقاء مؤلفٌ من مجموع ذرات من المادة ينتج من الفعل والانفعال اللذين بينها وبين الاحوال المحيطة بها كالنور والحرارة والهواء

والماء قوة كهربائية مغنطيسية ويشترط ان تحفظ هذه القوة لمنفعة الفرد الذي تولدت منهُ ويكون حفظها بواسطة غلافٍ فاصل وبغير هذا الفاصل لا توجد الحياة مهما تولد من القوى في الاجسام لان هذه القوى توزع في الفضاء وتنتقل الى الاجسام الاخرى المحيطة بها . ولم يثبت الى الآن ان للخلايا نفسها غلافاً كهذا ولكن يظهر من بعض التجارب ان لها شيئاً من ذلك

اما البروتوبلازم فمن المواد التي لا هي حية ولا هي ميتة بل بين بين . فاذا اجتمع مقدار منهُ واحاط بهِ غلافٌ وتكونت فيهِ الكهربائية صار حيّاً والاَّ فلا

ومن المعلوم ان المواد الجمادية لا تحول الى مواد آلية حيوانية حية مباشرةً بل لا بد من تحويلها اولاً الى مواد آلية نباتية لان للنبات خواص يقدر ان يحول بها المواد غير الآلية الى آلية . اما الحيوان فلا يقدر على ذلك بل لا بد لهُ من اخذ هذه المواد من النباتات او الحيوانات الاخرى . وعليهِ فلا نقدر ان نضع تعريفاً للحياة يشمل الحياة الحيوانية والحياة النباتية وبعض المواد حي كالحيوان وبعضها ميت كالجماد وبعضها بين الحياة والموت كالبروتوبلازم

الكوليرا والصحة في مكة المكرمة [1]

[لخصنا المقالة التالية من رسالة فرنسوية للدكتور قاسم بك عز الدين المفتش العام للصحة والكورنتينات في الاستانة فانهُ اقام سنوات في الحجاز ودرس الاوبئة والاحوال الصحية فيهِ فرأينا ان نتحف قرَّاء العربية بالفوائد التي وردت في رسالتهِ هذه]

الامراض المتسلطة على مكة

الامراض الصدرية كالنزلة الشعبية وذات الرئة كثيرة في الشتاء لكن التدرُّن الرئوي نادر ضربة الشمس والاحتقانات الدماغية كثيرة في زمن الحرّ الشديد في عرفات ومنى والمدينة نفسها

امراض العين والكبد كثيرة ايضاً لكن الجذام نادرٌ جدًّا ولم ارَ الاَّ مجذوماً واحداً في مدة خمس سنوات

امراض القناة الهضمية تشاهد على مدار السنة لكنها تزداد في مدة الصيف فتأخذ

(1) Dr. Cassim Izzeddine. Le Choléra et l'Hygiène à La Mecque, Paris 1909.

الدوسنطارية شكلاً وبائياً وتكثر الوفيات بها لاسيما بين الاطفال . وأري السبب في ذلك ما يحدث من الضعف في القناة الهضمية لشدة الحرّ فيؤثر فيها اقل تغيير كا كل الاثمار الفاسدة والسمك العفن الذي يؤتى به من جدة

الحميات الغيلية كثيرة ولاسيما في الصيف و يصعب معرفة اسبابها لان الهواء جاف ولا مستنقعات في المدينة . وقد شاهدت عدة حوادث من النوع الخبيث انتهت كلها بالموت ماعدا حادثة واحدة . ولا ريب عندي في صحة التشخيص فان الحمى الخبيثة التي شاهدتها في البصرة اعراضها كاعراض هذه تماماً ولا نزاع في ان الحميات الغيلية كثيرة في البصرة

ولا مستنقعات في مكة لكن الرطوبة كثيرة حول الينابيع والآبار حيث يقع الماء وفي بعض النواحي مياه راكدة لكنها لا تشبه المستنقعات ولا بدّ من ان البعوض يلقي بيوضهُ في مثل هذه الاماكن . وحدث مرّة ان الحمّى الملارية تفشت بكثرة في محلة السليمانية فبحثت عن اسبابها ووجدت هناك مصنعاً كبيراً كانوا يملأونهُ ماء قبل قدوم الحجاج . فعند ظهور الحمى كان في هذا المصنع مقدار قليل من الماء عليهِ طبقة من الخز واظن ذلك سبب الحمى

اما الجدري فانهُ يتخذ شكلاً وبائياً في مكة ولم تمرّ سنة من السنين التي اقمتها هناك الأ وحدث وباء منهُ وفي سنة ١٨٩٥ كانت الوفيات بهِ ٧٧٠ . ولما رأيت ذلك اشرت على الحكومة بانشاء معمل للمادة الجدرية فانشأت معملاً كان لهُ فائدة عظيمة للبلاد فكان العرب يقصدونهُ لاخذ الانابيب والتطعيم وكنا نرسل الانابيب الى المدينة المنورة والطائف وجدة و ينبع

ثم اتى المؤلف على ذكر الحصبة وابي الركب والنزلة الوافدة وقال ان كثرة الوفيات في شهر مايو سنة ١٨٩٤ كان سببها الحمى الخبيثة وليس الامراض المعدية وتلويث بئر زمزم كما زعم الاستاذ بروست[1]

الكوليرا في مكة

ان الاوبئة التي ظهرت في مكة من حين الى آخر لم تدرس درساً وافياً فاخطأ المؤلفون الاوربيون في وصفها . وقد شهدت مدة اقامتي في الحجاز الاوبئة التي تفشت في سنة ١٨٩٠ و ١٨٩١ و ١٨٩٣ و ١٨٩٥ ودرستها درساً مدققاً ولم اكتف بذلك بل جمعت من افواه الشيوخ ومن المرحوم الشريف عون الرفيق باشا الذي كان امير مكة في ذلك الحين ما قدرت ان اجمعهُ من تاريخ الاوبئة التي ظهرت قبل مجيئي الى الحجاز و بقيت متتبعاً لاحوال

(1) Proust. Politique sanitaire, 195-196

مكة الصحية بعد خروجي منها فاخذت اخبار الوبائين اللذين ظهرا في سنة ١٩٠٢ وسنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨

اما الاوبئة التي تفشت في مكة فهي هذه

١ وباء سنة ١٢٤٦ هجرية كان ظهورهُ في شهر ذي القعدة (ابريل ١٨٣١) وهي اول مرة عرفت فيها الكوليرا في مكة وكانت وطأتها شديدة جدًّا

٢ وباء سنة ١٢٥٦ (١٨٤١) ظهر في اواخر شوال (ديسمبر) وكان خفيف الوطأة

٣ وباء سنة ١٢٦٢ (١٨٤٧) ظهر في رجب (يونيو) اي خمسة اشهر قبل العيد وكان اخف قليلاً من الاول

٤ وباء سنة ١٢٦٦ (١٨٥١) ظهر في ذي القعدة (سبتمبر) وكان اخف من الذي قبلهُ

٥ وباء سنة ١٢٧١ (١٨٥٦) ظهر في ذي القعدة (يوليو) وكان خفيفًا

٦ وباء سنة ١٢٧٢ (١٨٥٧) ظهر في ذي القعدة ايضًا (اواخر يونيو واوائل يوليه وكان خفيفًا

٧ وباء سنة ١٢٧٥ (١٨٦٠) ظهر في ذي القعدة ايضًا (مايو ويونيو) وكان خفيفًا

٨ وباء سنة ١٢٨٠ (١٨٦٥) ظهر في ذي القعدة ايضًا (ابريل) وكان شديد الوطأة لكنهم بالغوا فيهِ كثيرًا في اوربا فزعم الاستاذ بروست ان ثلاثين الفًا من الحجاج ماتوا بهِ في منى وقد قيل لي في مكة ان هذا الوباء كان اخف وطأة من وباء سنة ١٨٣١ ومثل وباءي سنة ١٨٩٠ و ١٨٩١ فلا يمكن ان يكون عدد الوفيات في منى اكثر من ١٥٠٠ . ولا ريب ان هذا الوباء كان في غاية الاهمية ليس لشدتهِ بل لسرعة انتشارهِ في جهات عديدة

٩ وباء سنة ١٢٨٨ (١٨٧٢) ظهر في شعبان (اكتوبر) اي اربعة اشهر قبل العيد ولم يكن شديدًا

١٠ وباء سنة ١٢٩٤ (١٨٧٨) ظهر في ذي الحجة (ديسمبر) وكان خفيفًا

١١ وباء سنة ١٢٩٧ (١٨٨١) ظهر في ذي القعدة (اكتوبر) وكان اشد مما قبلهُ

١٢ وباء سنة ١٢٩٨ (١٨٨٢) ظهر في ذي القعدة ايضًا (سبتمبر) وكان اخف مما قبلهُ

١٣ وباء سنة ١٢٩٩ (١٨٨٣) ظهر في ذي الحجة (أكتوبر) وكان اشد مما قبله

١٤ وباء سنة ١٨٩٠ مسيحية ظهر في ٢٨ يوليو اي في اليوم الثاني من ايام العيد وعدد وفياته ٢٥٣٨

١٥ وباء سنة ١٨٩١ ظهر في الخامس من ذي الحجة (١١ يوليه) وعدد وفياته ٢٩٤٢

١٦ وباء سنة ١٨٩٣ ظهر في ٢٣ ذي القعدة (٨ يونيو) وكان اشدها فتكاً توفي به في مكة وحدها ١٣٤٣٦ وفي ضواحيها ١٨٩٠٠

١٧ وباء سنة ١٨٩٥ ظهر في ٢٧ شوال (٢١ ابريل) وكان خفيفاً جداً عدد وفياته في مكة ٢٧٨ فقط

١٨ وباء سنة ١٩٠٢ ظهر في ذي القعدة (٢٠ فبراير) وعدد وفياته نحو ٤٠٠٠

١٩ وباء سنة ١٩٠٧ و١٩٠٨ ظهر في ذي القعدة (١٣ دبسمبر) وعدد وفياته ٤٧٣٩

هذه هي الاوبئة التي تفشت في مكة والمشهور عند اهاليها انها انتقلت اليها من الهند اما مباشرة او عن طريق بلاد اخرى كجزيرة جاوى وبلاد اليمن وجزيرة قمران وبلاد الفرس والعراق

وقد وصلتُ الى النتائج الآتية من درس هذه الحوادث

اولاً لم ينشأ الوباء ولا مرة في مكة بل جاءها من الخارج

ثانياً كانت أكثر الاوبئة الشديدة في زمن الحرّ كوباء سنة ١٨٣١ و١٨٦٥ و١٨٩٠ و ١٨٩١ و ١٨٩٣ وبعضها في فصل الشتاء كما في سنتي ١٩٠٢ و ١٩٠٨

ثالثاً قد يكون الوباء خفيفاً في زمن الحرّ كما في سنة ١٨٥٦ و ١٨٥٧ و ١٨٦٠

رابعاً يكون الوباء خفيفاً في زمن الحرّ المعتدل كما في سنة ١٨٤١ و ١٨٧٢ و ١٨٧٨ و١٨٨١ و١٨٨٢ و١٨٨٣ ويكون احياناً شديداً في مثل ذلك كما في سنة ١٨٤٧ وسنة ١٨٥١

خامساً لم يظهر الوباء قط في الاشهر الستة الاولى من السنة الهجرية اي محرم وصفر وربيع الاول وربيع الثاني وجمادى الاولى وجمادى الآخرة . وظهر مرة واحدة في رجب (١٨٤٧) اي خمسة اشهر قبل العيد ومرتين في اواخر شوال واربع مرات في ذي الحجة واحدى عشرة مرّة في ذي القعدة . فيظهر جلياً ان لهذا الداء علاقة بالحج فيجيء بمجيء الحجاج ويذهب بذهابهم

الوسائط التي تنتقل بها الكوليرا الى مكة

من الامور المسلَّم بها عند جميع الذين كتبوا في هذا الموضوع ان الكوليرا لا تنشأُ في مكة بل تأتيها دائماً من الخارج لكنَّ الوسائل التي تنتقل بها الجراثيم من الهند الى الحجاز لم تزل على بساط البحث وقد أُتيح لي ان اتباحث في هذا الموضوع مع زميليَّ المرحوم الدكتور ڤوم والدكتور ڤرندير بلس وذلك عند ما كنا في محجر جزيرة قمران في سنة ١٨٩٦ . ثم جاء بعدنا الدكتور بوريل ودرس المسألة عينها ونشر آراءهُ في مؤلف سمّاهُ « الكوليرا والطاعون في الحج الاسلامي (١) » وكان ملخص آرائهِ ان الحجَّاج القادمين من الهند يحملون في امعائهم الباشلوس الضمّي (ميكروب الكوليرا) وهو في حالة الضعف لا ضرر منهُ فاذا شربوا ماء فيهِ المكروبات الموافقة لنموهِ انتشر الوباء في مكة وجزيرة قمران وهذه المكروبات هي التي سمّاها متشنيكوف مكروبات المساعدة . وقد بنى الدكتور بوريل رأيه هذا على ابحاث الدكتور ڤرندير بلس حيث وجد في قمران الباشلوس الضمّي والمكروبات المساعدة لهُ . وقال انهُ لا بد من وجود الباشلوس والمكروبات عينها في آبار مكة ونسب تفشي الداء الى هذه الاسباب ومن الادلة التي اتى بها لاثبات ذلك ان الكوليرا ظهرت في مكة سنة ١٩٠٢ دون ان تحدث اصابات بها بين المقيمين في قمران لان هؤلاء استعاضوا عن ماء الآبار بالماء المقطَّر . فرأي الدكتور بوريل هو ان الكوليرا تنتقل من الهند الى مكة وقمران بواسطة الجراثيم الكامنة وهو ينكر بتاتاً انتقالها مع البضائع وامتعة المصابين

ولما جئت الى قمران سنة ١٨٩٦ اتيتها من مكة حيث درست هذا الداء درساً وافياً وعرفت الاحوال التي يظهر فيها والطرق التي ينتقل بها فلم تقنعني آراء رصيفيَّ الدكتور ڤرندير بلس والدكتور بوريل ولي رأي آخر اطرحهُ على بساط البحث

ليس من السهل معرفة الباشلوس الضمي من شكلهِ فقط ولا دليل على ان الباشلوس الذي وجد في قمران هو الباشلوس الضمي عينهُ ولو كان مشابهاً لهُ تمام المشابهة فقد تأكد وجود هذا الباشلس في حج سنتي ١٨٩٦ — ١٨٩٧ ولم تحدث اصابات بالكوليرا في ذينك العامين لا في مكة ولا في قمران فلو كان هو الباشلوس الضمي عينهُ لانتشرت الكوليرا في مكة على الاقل لان اهلها لم يشربوا الماء المقطَّر . وعندي انهُ لا علاقة بين الباشلوس الكامن وانتشار الكوليرا فهذا الداء ينقلهُ الحجَّاج من بمباي حيث الداء مستوطن كلما اشتدت وطأتهُ

(1) Choléra et Peste dans le Pelèrinage musulman, 1901

في تلك المدينة وزادت الاصابات فيها . وظهور الداء في قمران قبل ظهوره في مكة من الادلة التي تثبت ذلك فالكولرا تنتقل بواسطة المصابين في غالب الاحيان اما انتقالها بالبضاعة فنادرٌ جداً لا يمكن اثباتهُ ويرجح انتقالها في بعض الاحيان مع امتعة المصابين

وكثيراً ما تصل البواخر الى قمران ويعلن عنها انهُ لم تحدث اصابات وبائية فيها فملاحظة الحجاج على الطريق صعبة جداً وقد تحدث اصابات لا يعلم بها ضباط الباخرة

اما الطرق التي اشير باتخاذها لمنع انتقال الكوليرا الى الحجاز فهي هذه

اولاً يجب عزل الحجاج عند ما تشتد وطأة الكوليرا في بمباي ووضعهم تحت المراقبة خمسة ايام قبل سفرهم تطهر في اثنائها امتعتهم

ثانياً تراعى الاحوال الصحية في البواخر التي ينقلون عليها ويعطى لكل حاج مضاعف المساحة التي تعطى لهُ اعتيادياً على ظهر الباخرة

ثالثاً البواخر التي تنقل الحجاج من بمباي تمنع من الاختلاط بالمدينة واذا كان لا بد من ذلك يجب ان تبقى خمسة ايام تحت المراقبة

رابعاً ينتقى الاطباء والموظفون الصحيون في البواخر من ذوي الخبرة الذين كانوا في وظائف الحكومة ولا يكون للشركات صاحبة البواخر سلطة عليهم بل يكونون تحت سلطة مصلحة الصحة في المواني التي يسافرون منها . ويساعدهم في الباخرة معاونون يقيمون مع الحجاج ويراقبونهم واذا حصلت اصابة بالكوليرا مدة السفر وجب على القبطان اعادة الباخرة الى بمباي وانزال الحجاج منها فيعودون الى اوطانهم ويمنعون من السفر تلك السنة وتمنع الباخرة من قبول غيرهم من الحجاج

خامساً اذا حدثت اصابات في جزيرة قمران يمنع الحجاج الذين ظهرت بينهم الاصابات من استئناف السفر الى مكة

اما اذا كانت الكوليرا خفيفة الوطأة في بمباي فلا داعي لعزل الحجاج قبل سفرهم بل يراقبون مدة السفر كما لو كانت الكوليرا شديدة واذا حدثت اصابات في الباخرة او في جزيرة قمران وجب اعادة الحجاج الى اوطانهم ولا يسمح لهم بتتميم فريضة الحج تلك السنة . ولي الأمل انهُ بهذه الوسائل يمتنع انتشار الكوليرا في الحجاز

وسنأتي في العدد التالي على ملخص وصفهِ لوبائي سنة ۱۸۹۳ و ۱۸۹۵ والاحتياطات الصحية التي يشير باتخاذها في مكة

برنارد شو ورواياتهُ

(١) المجد الحربي

هل الشجاعة الحربية فضيلة او هي رذيلة ؟ وذلك الضابط او العسكري الذي تلمع في صدرهِ النياشين هل نعدهُ في عداد الرجال الذين نفتخر بهم او في عداد الطغام الذين نرجو زوالهم من الارض

لا ينتهي الانسان من قراءة رواية المستر شو « الانسان والسلاح » Arms and Man حتى تنجلى امامهُ حقيقة جديدة عن اوهام الناس في الحروب والوطنية اذ يرى كذب الشعراء في الامجاد الحربية وبطلان الاسباب التي تحشد من اجلها الجنود وتراق في سبيلها الدماء

كيف يقال ان في الحرب مجداً وهي مبنية على خداع العدو اي على انتهاز فرصة ضعفهِ للهجوم عليهِ . اننا في معاملاتنا العادية نلوم الخادع الماكر الذي يعيش بخداع الناس وغشهم— نسترذل عملهُ في معاملاتنا العادية ولكننا نجدها في الحياة الحربية

يقول المستر شو في مقدمتهِ لهذه الرواية : « اننا ننظر الى وظيفة العسكري كأحط وظيفة تنزل اليها شهامة الرجل ويحق لنا ذلك اذ ما هي حقيقة هذه الوظيفة ؟ هي ان يعتمد الانسان على قوتهِ الجسدية . هي ان يكرهُ اعداءهُ حتى يقتلهم . هي ان لا يقتلهم وهم مسلحون حتى يردوا وحشيتهُ بمثلها بل ينتهز فرصة يكونون فيها نياماً او في حالة لا تمكنهم من الدفاع عن نفوسهم . هذه هي صفوة الفضائل الحربية التي يتغنى بها الشعراء »

ولقد فضل المومسة التي تبيع جسمها وتضحي طهارتها لتنال لقمة تسد بها رمقها على القائد الذي نال شهرتهُ ببيع اجسام الالوف بعد ان نشر الخراب طولاً وعرضاً الى ان قال . هل نحن محقون في تبجيل من وظيفتهُ لا تزيد على وظيفة مكروب الطاعون او الكوليرا التي تبتدئ بالقتل وتنتهي بالقتل ؟ أليست هذه وظيفة كل حربي من القائد الى الجندي

وصف احد كتاب الاميركان المستر شو بقولهِ « اننا نرى الاشياء بعيوننا العادية اما هو فكأنهُ يراها بمكرسكوب فيطلع على دقائق الاشياء التي تخفى عن ابصارنا البسيطة » . ويظهر لك صدق هذا القول اذا قرأت رواية من رواياتهِ التمثيلية التي يحلل فيها عواطفنا الكاذبة كالحب والمجد والشرف التي تعودتَ ان تراها موصوفة بانها من الاخلاق السامية - هذه العواطف التي تعودنا احترامها يريها لك كأنها بنيان من تراب اساسهُ الخرافات اذا وضعتهُ

تحت اشعة العقل انهار الى الارض · وما هذا المجد الحربي الاَّ توحش ورثناهُ من آبائنا ايام كانوا في دور الحيوانية ؟ ما هو حبك لوطنك وتفضيلهُ على بقية الاوطان الاَّ قصراً في النظر تستحق العقاب عليهِ لا الشكر

ومن الغريب ان المستر شو يرى الفوضى ديناً في اخلاقنا الاجتماعية وهو سوشيالي في مبادئهِ المعاشية ! والفوضوية ضد السوشيالية على خط مستقيم كما لا يخفى فغرض السوشيالية ان تقيد حريتنا التجارية وتوقف المزاحمة الاقتصادية وهذا النظام مطلوب مفيد ظهرت بعض فوائدهِ التي جُربت في الممالك الاوربية فيستغرب من المستر شو ان يعتقد صحة هذا النظام المعاشي مع رغبتهِ في فوضى نظامنا الاجتماعي فهو لا يرى فرقاً بين المومسة والمتزوجة ولا يرى ان من العقل ان نحمي الوطن ضد العدو او ان نقدس الشرف الاصطلاحي او ان نحب عائلاتنا لانهُ يجب علينا ان نحب الجميع بلا تفضيل ونمزق كل القيود التي تربط الزوج بزوجتهِ والأَب بابنهِ والانسان بوطنهِ

(٢) الثورة الاصلاحية Revolutionist's Handbook

في «كتابهِ الثوروي» الذي اضافهُ الى احدى رواياتهِ ترى آراءهُ وما يطلبهُ من الاصلاح في المجتمع الانساني · ففي الفصول الاولى بيَّن كل اغلاطنا في المدنية واوضح ان الفرق بينها وبين الهمجية معدوم او قليل ثم اقترح العلاج في الفصل الاخير من هذا الكتاب — علاجاً يؤَدي الى تقدم الانسانية وترقيها ·

ونعني بتقدم الانسانية افضلية الانسان الحالي على الانسان الماضي عقلاً وجسماً · فقد قال المستر شو اننا اذا قارنا انفسنا بآبائنا لم نرَ فرقاً محسوساً في ترقينا عليهم · تصوَّر مثلاً حالة المصريين القدماء في عهد رعمسيس الثاني وقارنها بحالة المصريين الآن وبين العصرين ٣٥٠٠ سنة · فهل المصريون الآن ارقى من اسلافهم عقلاً او اقوى منهم جسماً قد نقول مثلاً اننا نسافر الآن بواسطة البخار الذي كانوا يجهلونهُ وان وسائط النقل عندهم كانت لا تزيد على الحمير او الخيول او نحوها واننا نحن نركب المواطر والمركبات والترام وغيرها وتستنتج من هذا دليلاً على تقدمنا عليهم · ولكنك اذا بحثت واعملت نظرك في لب هذه الحقيقة بدلاً من سطحها وجدت ان التقدم موهوم فان الفلاح الذي يتربع اليوم في الدرجة الثالثة من قطاراتنا ليس اذكى عقلاً ولا اقوى جسماً من اخيهِ او ابيهِ الذي عاش في مصر في عهد رعمسيس الثاني · فهو لا يعرف ماهية هذه الآلة الهائلة التي تجر القطر

واذا عرف فمعرفتهُ لا يمدح عليها او لا تفضلهُ على المصري القديم الاَّ كما يفضل هو علينا بمعرفتهِ تحنيط الموتى الذي عرفهُ وجهلناهُ . وبعبارة أُخرى ان معرفة امور كثيرة ليست دليلاً على التقدم كما ان جهل امور كثيرة ليس دليلاً على التأخر فكم من امور دينية وصناعية عرفها المصريون وجهلناها نحن بلا خسارة علينا

ونحن وان كنا اختلفنا عنهم في الفروع فاننا وهم سواء في الاصول فبيوتنا كبيوتهم وطعامنا كطعامهم والفرع الوحيد من اعمالنا الذي تقدمنا فيهِ تقدماً محسوساً هو الآلات الحربية — أي اننا تقدمنا في ما يقطع اوصال الانسانية بدلاً من ان يلئمها

والعلاج الذي يشير بهِ المستر شو ضمانة لتقدمنا هو اصلاح الزواج . قال فقد ظهر في تاريخ الانسان كثيرون من النوابغ الذين فاقوا بعقولهم ابناء عصرهم كافلاطون وغاليليو ونيوتن — رجال افادوا العالم باعمالهم التي ملأُوا بها حياتهم . ولكن بموت هؤُلاء النوابغ ماتت قرائحهم وخسرنا خسارة كبرى

فالثورة الاصلاحية التي يطلبها هي تخليد هؤُلاء النوابغ او بعبارة اوضح تخليد قرائحهم حتى تفيد الانسان وتؤُول دائماً الى ترقينا الترقي الصحيح . والسبب في عدم وصول ابناء افلاطون الى مستوى عقل ابيهم وبعبارة أُخرى السبب في عدم وراثتهم قريحة والدهم هو جهل الامة التي عاش فيها افلاطون اذ لم تستعمل قوتهُ بطريقة تؤَدي الى وراثة نسلهِ لهذه القوة العقلية فانهُ بديهي اننا نرث كثيراً من والدينا جسماً وعقلاً فاذا نظمنا التزاوج — لا الزواج — بين الافراد تنظيماً علمياً يؤُول الى تخليد القوى عقلاً او جسماً وزوال الضعيف كان ذلك خطوة في سبيل التقدم الحقيقي واذا لم يؤُول الزواج الى تحسين الشعب وتقدمهِ فلا فائدة منهُ والغاؤُه افضل من بقائهِ فالغرض الاسمى من الزواج يجب ان يكون تخليد الشعب وتحسين عناصرهِ ولكن هذا الغرض ضائع الآن بقوانين الزواج فاذا عدلنا الزواج بشكل نمنع بهِ المريض من التزوج بالمريضة والابله بالبلهاء وقبيح الشكل بالقبيحة . ثم زوجنا القوي بالقوية والرياضي او الفلكي بالرياضية او الفلكية — فبهاتين الطريقتين يمكننا تحسين الشعب ولكن قد يعترض القارئ الآن انهُ لا يمكن اجبار اثنين على الزواج اذا لم يتحابا فالجواب انهُ اذا لم يكن الغرض من الزواج ارضاء الشهوة الحيوانية بل خدمة الامة بتقديم ابناء اصحاء لها وجب ان يسقط كل اعتبار آخر

تتوقف اليوم معيشة المرأة على عمل الرجل فاننا نمنعها من العمل ونكلف الرجل القيام

بنفقاتها فالنتيجة من هذا النظام ان نصف الامة عاطل لا يعمل وقوته الجسمية والعقلية في خمول يرثه نسل الزوجين اذ ان الطفل ليس ابن ابيهِ فقط بل ابن ابيهِ وامهِ . وثانياً ان المرأة باعتمادها على الرجل تنكر على نفسها وحي طبيعتها بانتقاء من تفضله وتقبل من تراه اقدر من غيره مالاً فيمكننا ان نلخص الاصلاح المطلوب بما يأتي

اولاً جعل المرأة مستقلة عن الرجل معاشيًّا حتى يسقط الاعتبار المالي في اختيارها لزوجها والطبيعة افضل حاكم فاذا اوحت اليها فهي تتبع وحيها في بقاء الانسب

ثانياً ان نمنع زواج العاطلين ونقوي تزاوج اللائقين . فلا ينبغي ان نزوج المجرم او المريض ويجب ان نقوي الزواج بين اللائقين كالقوي مع القوية جسماً او عقلاً

ثالثاً يجب ان نضع امام اعيننا قصداً سياسيًّا لاصلاح الشعوب ونتخذ الطرق الطبيعية لتحسينها فانه اذا كانت الطبيعة على توالى الزمن قد قدرت على تكويننا من الحيوانات الدنية — وبعبارة اخرى اذا كنا نعرف ان الانسان الحالي نشأ من الخلية البسيطة — اذا كنا نعرف هذه القوانين وماهياتها التي كانت العامل القوي في اخراجنا من دور الحيوانية الى دور الانسانية فلماذا لا نستعملها في اخراج او انشاء انسان ارقى من الانسان الحالي عقلاً وجسماً .

وليس برنارد شو اول من فكر في هذا الموضوع فقد سبقه نيتشه الفيلسوف الالماني واله هذه الفكرة مرتئيًّا اننا يجب ان نضحي كل عزيز لدينا في الوصول الى تتميمها

الفكرة عالية والمقصد نبيل ولكنني ارى انه لا سبيل الى الغاء الزواج حتى تلغى الغرائز الحيوانية التي فينا وهو ما لا نصل اليهِ الاَّ بعد قرون سلامه موسى

[المقتطف] لبرنارد شو اقوال ثقيلة حذفناها من هذه المقالة لانها لا تناسب آداب الاجتماع الآن لا في هذه البلاد ولا في البلدان الاوربية فالمجاهرة بها من باب وضع الشيء في غير محله فهو يبيح مثلاً التزاوج من غير قيد وهذا امر تأباه آداب الاجتماع في عصرنا في اكثر البلدان الراقية لان الادلة متوفرة على ضررهِ فاذا تغيرت احوال الاجتماع وتوفرت الادلة على نفعهِ حق للذين تتوفر لديهم تلك الادلة ان يغيروا نظامهم ويعملوا بما يصلح لهم

معجم الحيوان

﴿ البومة · ام الخراب · النُّهام ﴾ E. Owl. F. Hibou
طائرٌ من طيور الليل وهو انواع كثيرة

﴿ البومة البيضاء · المصّاصة ﴾ Strix flammea E. Barn owl F. Effraye
نوعٌ من البوم يعرف بهذين الاسمين في مصر والشام (سافيني وترسترام وهو غلن)

﴿ الثَّبج ؟ ﴾ Scops giu. E. Scops owl, screech owl. F. Duc. طائرٌ من الماء يصيح الليل اجمع كأنهُ يئن (المخصَّص ولسان العرب)

﴿ الخَبَل ﴾ Syrnium aluco. E. Tawny owl F. Chat-huant
طائرٌ يصيح الليل كلهُ ماتت خَبَل (المخصَّص ولسان العرب) وهذا الصوت يشبه كثيراً صوت البوم المسمى Syrnium عند علماء الحيوان

﴿ البُوه · البُوهة ﴾ Bubo. E. Eagle owl طائر من طير الليل وهو نوعٌ من البوم يعرف بهذا الاسم الى يومنا في مصر كما ذكر سافيني وهوغلن وقد تكون اللفظة يونانية كما قال الاب انستاس الكرملي او هي حكاية صوت هذا الطائر

وفي لسان العرب « البوهة الرجل الضعيف الطائش قال امرؤُ القيس

ايا هند لا تنكحي بوهةً عليهِ عقيقتهُ احسبا

وقيل البوه الكبير من البوم · قال رؤْبة يذكر كبرهُ

كالبوهِ تحت الظلّةِ المرشوشِ

وقيل البوهة والبوه طائر يشبه البومة الاَّ انهُ اصغر منهُ والانثى بوهة قال ابو عمرو هي البومة الصغيرة و يشبه بها الرجل الاحمق وانشد بيت امرىء القيس » انتهى · والذي اراهُ ان امرأ القيس لم يلقب هذا الرجل بالبوهة لحمقهِ فقط بل لقبح منظرهِ ولانهُ اجهر مثلها اي لا يحتمل ضوء النهار ولذلك نعتهُ بالاحسب ايضاً والاحسب كما فسَّرهُ المرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي هو « الذي ابيضّ جلدهُ وشعرهُ لآفة تعرض للمادة الملونة فتقل من جسمهِ وتفقد تماماً »وهو ما يسمى Albinos باللغة الفرنسوية والاسم منهُ الحسبة Albinisme. ويكون الاحسب اجهر اي لا يبصر في ضوء الشمس · ولا يستغرب تنبه امرىء القيس لهذا الداء فقد كان العرب

على جانب عظيم من الفراسة لا يفوتهم شيءٌ من الامور التي كانوا يشاهدونها فكيف برجل مثل امرىء القيس

الهامَة . الصدَى Athene glaux. E. Little owl F. Chouette

نوعٌ من البوم وهي طائرة صغيرة كدراء غبراء عظيمة الرأس اينما درت ادارت رأسها قبلك . والهامة تأوي الى القبور والاماكن الخربة المظلمة

وقد جاء في المخصّص ان « الهامة طائرة كدراء غبراء مثل لون البوم بعظم البومة . والهامة الظيمة الرأس وهي زرقاء تنظر من كل مكان اينما درت ادارت رأسها قِبلك ولا تقبل بصدرها والجميع الهامات والهام . ولا تطير البومة ولا الهامة بالنهار ولكن يكونان في الغيران ظاهرتين . ويتطير بالهامة ويتنكد بها وقوم لا يتطيرون بها ولا يتنكدون فلا تضرّهم باذن الله تعالى . وقومٌ كثيرٌ يتيمّنون بها وقالوا لا ترى الاّ بالليل في رؤُوس الجبال وبعض اهل الجاهلية كانوا يقولون انها هام الناس اذا مات الانسان خرجت من رأسهِ هامة وذلك باطل . قال ابو خيرة تصيح عند القبور وخالفهُ ابو الدُقيش . قال ذو الرمّة

يا ابهاذيًا الصدى الضبوحُ اما تزال ابدًا تصيحُ

وقال بعضهم البومة بضخم العقاب والهامة طائرة صغيرة . قال ابن خازم السلمي وقتل لهُ ابن بهراة

فان تك هامةٌ بهراة تزقو فقد ازقيت بالمروين هاما

وهذا في مذهب من قال يخرج من هامتهِ طائرٌ يصيح عند قبرهِ » انتهى

وفي حياة الحيوان « الصدى طائرٌ معروف تقول العرب انهُ يخلق من رأس المقتول يصيح في هامة المقتول اذا لم يؤْخذ بثارهِ .... وتزعم العرب في الجاهلية ان الانسان اذا مات او قتل تتصور نفسهُ في صورة طائر تصرخ على قبرهِ وفي ذلك يقول توبة الحميري احد عشاق العرب

ولو ان ليلى الاخيلية سلّمت عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ
لسلّمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدًى من جانب الغور صائحُ

قيل انها مرّت بقبرهِ فانشدت ذلك (وفي رواية أُخرى سلمت عليهِ) فارتفع شيءٌ من القبر كالطائر نفرت منهُ ناقتها فسقطت ميتة ودفنت الى جانبهِ » انتهى

ومثلهُ قول المجنون

فلو تلتقي في الموت روحي وروحها ومن دون رمسينا من الارض منكبُ

لظل صدى رمسي وان كنت رمة لصوت صدى ليلى يهش ويطربُ

وقال سافيني ان الهامة الطائر المسمى Strix flammea لكني ارى من وصف الهامة في المخصص ولاسيما في قولهِ ان العرب يتيمنون بها انها الطائر الذي ذكرتهُ لان بعض العرب في يومنا هذا يتيمنون بها ايضاً (انظر حيوان فلسطين للقانون ترسترام) وقد كانت رمز الحكمة عند قدماء اليونان

﴿ السُبَد : الضُوَع ﴾ Caprimulgus E. Goatsucker, churn-owl, nightjar. F. Tette-chèvre, engoulevent.

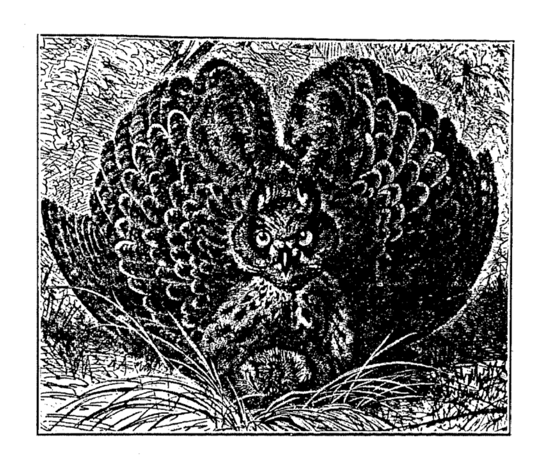
طائرٌ من طير الليل اكبر من الخطّاف وشبيهٌ بهِ ريشهُ اغبر اصدأ مخطَّط بخطوط سود وهو مسرول الساقين واسع الفم مفلطح الرأس والمنقار وحول منقارهِ شعر . ويعرف في الشام بابي عُمَيْ وفي مصر بابي النوم وفي المغرب بطير الموت وفي السودان بالقرّة لكنهم يطلقون هذه اللفظة هناك على نوعٍ من الحجال ايضاً

والسُبَد في المخصَّص « طائر دون الصقر يطير بالليل ينفخ ثم يقع قريباً سريع الامتلال وعن ابي عبيد هو طائر ابن الريش اذا قطر على ظهرهِ قطرتانِ من ماء جرى » (اي الماء)

وفي لسان العرب « السُبَد طائر اذا قطر على ظهرهِ قطرةٌ من ماء جرى وقيل هو طائر لين الريش اذا قطر الماء على ظهرهِ جرى من فوقهِ للينهِ ... وقيل السبد طائر مثل العقاب وقيل هو ذكر العقبان .... وقال الاصمعي السبد هو الخطّاف البرّي وقال ابو نصر هو مثل الخطاف اذا اصابهُ الماء جرى عنهُ سريعاً » . فالاصمعي وابو نصر عرفا ان السبد من رتبة الخطاف قبل ان يعرف ذلك علماء الحيوان بمئاتٍ من السنين فهؤلاء لم يتفقوا على وضعهِ في هذا الباب الاَّ من زمنٍ قريب . فوصف السبدِ في المخصص ولسان العرب ينطبق تمام الانطباق على الطائر المسمى ابا عمي في الشام

اما الضوع فاظنهُ السبد ايضاً وقد اختلفوا في وصفهِ وتحريمهِ وتحليلهِ لشدة مشابهتهِ للبوم ففي حياة الحيوان في باب البوم ما نصهُ . « قال الرافعي ذكر ابو عاصم العبَّادي ان البوم حرام كالرخم وكذلك الضوع وعن الشافعي رحمهُ الله قولٌ انهُ حلال وهذا يقتضي ان الضوع غير البوم لكنَّ في الصحاح ان الضوع طائر من طير الليل من جنس الهام » وفي باب الضوع « قال النووي الاشهر انهُ من جنس الهوام وقال الجوهري انهُ طائر من طير الليل من جنس الهام وقال المفضل هو ذكر البوم »

وفي لسان العرب « الضوع طائر من طير الليل كالهامة اذا احسَّ بالصباح صدح . قال الاعشى يصف فلاةً



البوهة



السُبَد وهو الضُوَع

لا يسمع المرء فيها ما يؤنسهُ بالليل الأ نئيم البوم والضوعا

وقال المفضل هو ذكر البوم وقال ثعلب الضوع اصغر من العصفور»

وفي المخصص «الضوعة صغيرة ولونها الى الصفرة عاليتها رقشة وباطنها صفرة وزرقة قصيرة العنق والزمكّى اصغر من العصفور سميت ضوعة من قبل صويت لها يصوّت في وجه الصبح .... وقيل الضوع من العصافير الخ»

وفي كتاب الحيوان للجاحظ (٢ : ١٠٩) «يقال للطائر الذي يخرج من وكره بالليل البومة والصدى والهامة والضوع والوطواط والخفاش وغراب الليل» . فقد ذكر الجاحظ طيور الليل المعروفة عندهم ولا بد انهُ ادخل بينها الطائر المسمى ابا النوم وهو كثير في بلاد العرب وليس هو البوم ولا الصدى ولا الهامة ولا الوطواط ولا الخفاش ولا غراب الليل فلم يبقَ الأ الضوع . ثم لو كان الضوع هو البوم او جنساً من العصافير كما جاء في بعض كتب اللغة لما اختلف الائمة في تحليلهِ وتحريمهِ لكنهُ طائر من طير الليل يشبه البوم في بعض احوالهِ ويشبه العصافير في غيرها وهو سبب اختلافهم والله اعلم

وفي مجلة المقتبس (١ : ٣٧٥) مقالة لاحد قرّائها في بغداد لم يذكر اسمهُ جاء فيها ان استاذي الدكتور بوست رحمهُ الله مخطئ في تسمية احد انواع الببغاء في اميركا بالمكّاء وان المكّاء هو هذا الطائر اي المسمى Goatsucker بالانكليزية وتفسيرها مصّاص المعز واستشهد على ذلك بصاحب الاوقيانوس وكاتب آخر تركي . ولا ريب ان المكّاء ليس هذا الطائر الذي ذكرهُ الدكتور بوست ويسمى Macaw بالانكليزية واظنهُ استعار لفظة المكّاء العربية للمشابهة بين الاثنين . وليس المكّاء مصاص المعز ايضاً بل هو نوعٌ من القنابر يعرف عند علماء الحيوان باسم Certhilauda desertorum وهو كثير في بلاد العرب وبادية الشام وشمال افريقية . ولا ادري كيف سماهُ عاصم افندي «جوبان الداديجي» اي خادع الرعاة ولعل الذي حملهُ على ذلك قول الشاعر

اذا غرّد المكّاء في غير روضةٍ فويلٌ لاهل الشاء والحمراتِ

وفسرهُ البطليوسي بقولهِ ان المكاء انما يألف الرياض فاذا غرّد في غير روضةٍ فانما يكون ذلك لافراط الجدب وعدم النبات . وهو تفسير غريب لان المكاء لا يألف الرياض بل البادية وقول بعضهم انهُ يغرّد في الرياض مأخوذ عن هذا البيت واظنهُ لامرىء القيس فان صحّت رواية البيت فلا بد ان لهُ تفسيراً آخر

ولا انكر ان بعض مؤلفي الافرنج قالوا ان المكّاء هو مصّاص المعز ويحتمل ان اللفظة

مستعملة بهذا المعنى في بعض الانحاء او انهم اخذوا ذلك عن عاصم افندي لكن وصف المكّاء في كتب اللغة لا ينطبق مطلقاً على مصّاص المعز بل على نوع القنابر الذي ذكرتهُ واللفظة مستعملة الى هذا اليوم في المغرب كما سيجيء . وهذا ما جاء عن المكاء في بعض كتب اللغة وغيرها

ففي لسان العرب « المكاء طائر في ضرب القنبرة الا ان في جناحيهِ بلقاً سمي بذلك لانهُ يجمع بديهِ ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً قال الشاعر

اذا غرّد المكاء في غير روضةٍ فويلٌ لاهل الشاء والحمراتِ

وفي التهذيب المكاء طائر يالف الريف وجمعهُ المكاكي من مكا اذا صفر »

وفي المخصَّص « المكّاء طائرٌ دقيق ابيض طويل الرجلين والعنق وساقاهُ بيضاوان كبياض جسدهِ . صغير المنقار قصير الزمكّي . يكون في كل زمان ولهُ صفير حسن وتصعيد في الجوّ وهبوط وهو في ذلك يصفر »

وفي عجائب المخلوقات « المكّاء طائر من طيور البادية يتخذ الخوصة عجيبة من العوسج و يبيض فيها ورأى بعض الاعراب مكّاء بالشام سائراً لحنّ الى وطنهِ وقال

فدىً لك يا مكّاء مالك ههنا عمارة الخوص فكيف تبيض »

وفي حياة الحيوان « المكّاء طائر يصوّت في الرياض يسمى مكّاء لانهُ يمكو اي يصفر كثيراً . . . . قال البغوي هو طائر ابيض يكون بالحجاز لهُ صفير الخ »

وقد وصفهُ السائح الانكليزي ريتشاردسن بما يقرب من وصف ابن سيده قال[1] « وكنا نرى من حين الى آخر طائراً يسمى المكا Moukha وهو في حجم الهزار ابيض ضارب الى السمرة لم نسمع احسن من تغريدهِ . اما طيرانهُ فعجيب فانهُ يسير مسافة على وجه الارض ثم يقف و يطير صعداً في الهواء بضع عشرة قدم وهو في ذلك يصفر صفرتين او ثلاثاً ثم ينشر زمكّاهُ ويهبط الى الارض وهو يغرّد تغريداً مطرباً » . واللفظة الانكليزية قرأها دوزي مكّاء وهو من المعوّل عليهم لاسيما في لغة المغرب (انظرها في معجم دوزي)

وجاء في « حيوان فلسطين ونباتها » للقانون ترسترام في وصف القنبرة المسماة Certhilauda ما تعريبهُ « وهو كثير في جنوب فلسطين وشرقي الاردن و يألف البادية في شمال افريقية وغرب اسيا وحسبهُ بعضهم من نوع الهدهد لانهُ اخرج الجناحين ولانهُ يشبههُ في الطيران »

(1) Travels in Morroco, by Richardson, II, 246.

وللشنفرى في وصف طيرانهِ ما ينطبق على قول ابن سيده وريشاردسن وتزسترام قال

ولا خرقٍ هيقٍ كأنَّ فؤادهُ يظلُّ بهِ المكَّاء يعلو ويسفلُ

فهذا التصعيد والهبوط لا تراهُ في مصَّاص المعز بل في القنبرة والهدهد والسقساق وما اشبه

وجاء في حاشية الدكتور جورج يعقوب على عجائب المخلوقات ان بعضهم فسَّر المكاء بمصَّاص المعز والبعض بالقنبرة المسماة Certhilauda desortorum (1)

ومحصَّل ما تقدَّم ان المكاء طائر من القنابر لهُ تصعيد في الجوّ وهبوط وهو في ذلك يصفر صفيراً حسناً. لونهُ ضارب الى البياض لكنهُ اخرج الجناحين اي فيهما بياضٌ وسواد لذلك سمي بالاخرج ايضاً . وهو يبني الخوصاً (عشًّا على الارض) من العوسج

اما السبد اي مصاص المعز فخالف لهُ تمام المخالفة فهو من طيور الليل لا تصعيد لهُ وهبوط كالقنابر او المداهد ولا هو حسن الصوت ولا لونهُ ابيض ولا هو اخرج الجناحين ولا يبني الخصوصاً من العوسج او غيرهِ بل يلقي بيضهُ على الارض لا في حفرةٍ كالاخوص ولا في عش كغيرهِ من الطيور وكل ذلك يتضح من مراجعة وصفهِ في كتب الحيوان

الدكتور امين المعلوف

المقرن

او ملتقى البحرين

شاهدتُ في الخرطوم أعجبَ منظرٍ فيهِ أطلت تأملي وتفكري
ما عشتُ لا أنساهُ بل يبقى لهُ يحلو على مرّ الزمان تذكري
ويسرني اني على القراء ما شاهدت اعرض وصفهُ واقولُ

من نحو خمس سنين ألزمني السفر لزيارة الخرطومِ امرٌ لي صدَر
فوردتها وصدرتُ عنها نائلا ما شئتهُ وحمدتُ وردي والصدر
وبرحتها ولها اشتياقي كلما ذُكرتْ يدور بخاطري ويجولُ

(1) Dr. Georg Jacob. Arab. Geographen, 128.

لم ابقَ فيها غير بضعةِ اشهرٍ ووددتُ لو سمح الزمانُ باكثر
لكنَّ ذا الوقتَ القصيرَ قضيتهُ في خبرِ ما عنها رواهُ مخبري
فوجدتهُ محضَ الصوابِ تكلما ما شابَ صحةَ قولهِ تدجيلُ

جوَّلتُ فيها ما اردتُ ممتعًا نظري بها لشؤونها مستطلعا
فرأيت انوارَ الحضارة فوقها أجلى من الصبحِ المنير واسطعا
وعلى مرابعها السلام مخيما والامنُ يمتعُ روقهُ ويطولُ

هذا بمقلة حائرٍ متعجب ابصرتهُ فنفى ارتيابًا حيفَ بي
ولأمِّ درمانَ ابتغيت زيارة اقضي بها مما أشاهدُ مأربي
واليك مجمل ما رأيتُ وانما تفصيلهُ مالي اليهِ سبيلُ

كحل الرقادِ مسحتهُ عن ناظري وبكرتُ في يومٍ بكور الزاجر
وركبتُ مع غيري القطار فقلَّنا وغدا بنا يجري كعدو الطائرِ
حتى اتى جرفًا عليهِ تحتما فيهِ الوقوف كأنهُ مغلول

فهبطت منهُ النيلَ ضفتهُ الى حيث «المعدية» استوت مستعجلا
كانت هناك معدةً لركوب من يبغي الى قصر الخليفة موصلا
فدخلتها وعلوت فيها سلما ووقفت أُطلق ناظري وأُجيلُ

سرَّحتهُ فاذا ضحى من خدرها قد اسفرت مفترَّة عن ثغرها
وتدفقت انوارها فتمزَّقت بشعاعها سحبُ الظلام بأسرها
والكونُ اصبح كلهُ متنعما ثملاً بصهباء السرورِ يميلُ

والوحش يطفر والطيور تزقزق والدوح يرقص والغصون تصفقُ
وعلى الجيوب تهب انفاس الصبا فتخالها مسكاً فتيقًا يعبق
والورد بالزهرِ البديع تختما وعليهِ من قطر الندى أكليلُ

والأزرقُ الجاري يريكَ بمائهِ ذوبًا من الفيروزِ لونَ سمائهِ
تحكي عذوبتهُ الشهادَ وما لهُ من مشبهٍ بنقائهِ وصفائهِ

يجري صحيحاً والنسيمُ مسلما أبداً يهبُّ عليهِ وهو عليلُ

اذ ذاكَ نبهني صفيرُ الباخره فنظرتها واذا بنا هي ماخره
جاش البخارُ بجوفها وتصاعدَت زَفراتها فوقَ المياهِ الزاخره
وجرَت بنا غرباً تشقُّ البحرَ ما وتكرُّ فوق عبابهِ وتصولُ

واذا بهذا الازرقِ الضحضاح بال بحرِ الخضمِّ الابيض الطامي اتصل
وسمعتُ صوتاً من ورائي صارخاً « ذا مجمع البحرين فانظر بالعجل »
فنظرته متفرساً متوسماً وحلا لي التشبيهُ والتمثيلُ

شبهتُ ابيضهُ بجوَّابٍ حضر بعد الغيابِ وعاد من اقصى السفر
فاغبرّ من وعث المسير وطولهِ واكدرّ حتى ابيضّ من فرط الكدر
ولذاكَ لاحَ مقطباً متجهما وبدت عليهِ نحافة ونحول

والازرقُ الصافي حكى بنقائهِ قلبَ الوفيّ بودهِ وولائهِ
حصباؤهُ درٌّ واما ماؤهُ فمذابُ فيروزٍ على حصبائهِ
وبنهلةٍ من مائهِ تلقى الظما ريَّان لا يقوى عليهِ غليلُ

هذا المكانُ لهُ يقال المقرنُ إذ فيهِ للبحرين ملقى بيّنُ
جمعتهما الاقدار فيهِ وكان في الـ حسبان ان حصولهُ لا يمكنُ
مثل الشيئين اللذين عليهما لا يستحيل الى اللقاء وصول

وكأنني بهما غداة تقابلا وتلاقيا فيهِ ولم يتواصلا
رجلان من اهل الفرنجة لم يكن من قبل بينهما التعارفُ حاصلا
فتوقفا عنهُ وكلٌّ منهما لم يبدُ منهُ على القبول دليلُ

سارا معاً وكلاهما متجنبُ لرفيقهِ خطواتهِ مترقبُ
تلقاهُ يرمقهُ بعين محاذرٍ متفحص لكن لهُ لا يقربُ
حتى يرى بعد المسير ويعلما ان التعارف صالح مقبولُ

فيميل حينئذٍ اليهِ ويبسط كف السلام وللتعارف ينشطُ

حتى ترى الرجلين صارا واحداً في كل ما فيهِ التمازجُ يضبطُ
عقدا اتفاقاً لا يحلُّ وابرما عقداً على الاخلاص ليس يحولُ

او عاشقان تلاقيا في موعدِ لشكاية الشوق المقيم المقعدِ
لكنما خوفَ الرقيب وللحيا او لانقاء السامع المتعمدِ
سكتا عن الشكوى كان قد ألجما وعليهما سترُ الجوى مسدولُ

حتى اذا عينَ الرقيب تجنبا وعلى حيائهما الشديد تغلبا
باحا بشكوى عذبة وتطارحا عتباً الذَّ على الفؤَاد واعذبا
وغدا ائتلافهما وثيقاً محكما لانقض يعروهُ ولا تبديلُ

وكذلك البحران حين تلاقيا ما انفكَّ بينهما التقاطع باديا
هذا على حدةٍ جرى وبلصقهِ ذاكَ استقلَّ بجريهِ متفاديا
فرأيت للمائين خطًّا معلما وكلاهما عن جارهِ مفصولُ

من بعد ما جريا على هذا النمط ميلاً وهذا لم يمازج ذاك قط
جذبتهما نحو التآلف قوة فاندس ذاك بماء هذا واختلط
وتمثل البحران بحراً اعظما اياهُ نعني اذ نقول النيلُ

هذا الذي مصرُ العزيزة ترفدُ بمياههِ وبهِ نعيش وتوجدُ
يروي اراضيها ويسقي زرعها وبفيضهِ يغني البلاد ويسعدُ
و « بطميهِ » في كل عام اذ طما تزكو الغلال ويخصب المحصولُ

ومفاوز السودان تسأل قطرةً تطفي بها من حر ظمإ زفرةً
فيصد عنها وهو يعلو ظهرها ويردها ظمأى تردِّدُ حسرةً
« كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمولُ »

مصر القاهرة في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٩ اسعد داغر

الكرة والصولجان

كرةٌ وضعت لصوالجةٍ فتلقفها رجلٌ رجلُ

اللعب بالكرة والصولجان قديم جدًّا كان شائعًا في مصر والشام في زمن المماليك الى عهد غير بعيد ثم نسي امرهُ الى ان اعادهُ الضباط الانكليز في هذه الايام وهم يلعبونهُ في ميدان الكرة في الجزيرة وفي كثيرٍ من مدن السودان ويسمونهُ بولو Polo · ولا يعلم تاريخ اللعب بالكرة تمامًا ويقال انَّ على بعض الآثار المصرية والهندية رسومًا بارزة تمثل فرسانًا بايديهم الصوالجة · والمشهور ان اصلهُ من بلاد الفرس فقد ذكر صاحب الاغاني ان عديًّا بن زيد كان يختلف مع ابن احد المرازبة الى الكتَّاب فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من افهم الناس بها وافصحهم بالعربية وقال الشعر وتعلم الرمي بالنشَّاب فخرج من الاساورة الرماة وتعلَّم لعب العجم على الخيل بالصوالجة وغيرها · ولا يخفى ان عديًّا هذا كان في زمن الجاهلية

وجاء في بعض التواريخ اليونانية ان لعب الكرة والصولجان كان معروفًا عند الروم في القسطنطينية يلعبهُ القياصرة والامراء والخاصة منهم ويعدونهُ من الالعاب الشريفة وقد وصفهُ احد مؤرخيهم قال[1] «ينقسم جماعة من الفرسان الى فرقتين متساويتين عددًا ويضعون في ميدان اللعب كرةً من الجلد في حجم التفاحة ثم يأخذ كل واحد منهم عصًا في رأسها حلقة محبوكة بالخيوط كالشبكة ويطلق العنان لفرسهِ وهو يدفع الكرة بهذه العصا نحو غرض منصوبٍ في طرف الميدان · ولكلٍّ من الفرقتين غرضٌ تدفع الكرة اليهِ فالفرقة التي توصل الكرة الى غرضها اولاً هي الغالبة · الى ان قال ولا يخلو هذا اللعب من الخطر لان على اللاعب ان ينقلب بفرسهِ ويميل في عدوهِ لاحقًا بالكرة اينما اتجهت » · ثم ذكر عددًا من الامراء قتلوا وهم يلعبون

وذكر الطبري في تاريخهِ ما يأتي « وكان اردشير بن بابك لما افضى اليهِ الملك اسرف في قتل الاشكانية الذين منهم كل ملوك الطوائف حتى افناهم ثم تزوج بجارية رآها في دار المملكة ولم يكن يعلم انها ابنة الملك المقتول من الاشكانية فحملت منهُ واخبرتهُ بعد ذلك انها من نسل اشك فنفر منها ودعا بشيخ يثق بهِ وامرهُ بقتلها · الاَّ ان الشيخ استبقاها حتى وضعت غلامًا فسماهُ شابور وهو سابور الجند عند العرب · وبقي اردشير بعد ذلك دهرًا لا يولد لهُ فحزن لذلك · ثم دخل عليهِ الشيخ بعد حين واخبرهُ ان ولدهُ حيٌّ فامرهُ اردشير ان يهيئهُ في مائة غلام من اترابهِ واشباههِ في الهيئة والقامة ثم يدخلهم عليهِ جميعًا لا يُفرق بينهم في زيٍّ

(١) قالهُ كاترمير في تاريخ المماليك

ولا قامةٍ ولا ادب ففعل ذلك . فلما نظر اليهم اردشير قبلت نفسهُ ابنهُ من بينهم واستحلاهُ من غير ان يكون اشير لهُ اليهِ . ثم امر بهم جميعاً فاخرجوا الى حجرة الايوان فاعطوا صوالجة فلعبوا بالكرة وهو في الايوان على سريرهِ فدخلت الكرة في الايوان الذي هو فيهِ فكاع الغلمان جميعاً ان يدخلوا الايوان واقدم سابور من بينهم فدخل فاستدل اردشير بدخولهِ عليهِ واقدامهِ وجرأتهِ انهُ ابنهُ»

وذكر المسعودي في مروج الذهب ان هرون الرشيد كان اول من لعب بالكرة والصولجان من الخلفاء . وشاع هذا اللعب بعد ذلك بين السلاطين والامراء والخاصة من المسلمين في مصر والشام والعراق ولم يزل شائعاً بين الاتراك والجراكسة في بر الاناضول الى هذا اليوم . وكان اكثر الناس ولعاً بهِ سلاطين المماليك في مصر فانشأُوا لهُ الميادين وغرسوا حولها البساتين وصاروا يركبون اليها و يلعبون بالكرة . فمنهم الملك الصالح نجم الدين ايوب فقد ذكر المقريزي انهُ انشأ الميدان الصالحي باراضي باب اللوق وصار يركب اليهِ ويلعب فيهِ بالكرة وما برح هذا الميدان تلعب فيهِ الملوك بالكرة من بعد الملك الصالح الى ان انحسر ماء النيل من تجاههِ فانشأ الملك الظاهر بيبرس الميدان الظاهري في طرف اراضي باب اللوق وما زال يلعب فيهِ بالكرة هو. ومن بعدهُ من ملوك مصر الى ان كانت سنة اربع عشرة وسبعمائة فانشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان سرياقوس (وهي في جهة الناصرية الآن) سنة ٧٢٣ وكان يتوجه اليهِ في كل سنة و يقيم بهِ الايام و يلعب فيهِ بالكرة الى ان مات فعمل ذلك اولادهُ من بعدهِ . فكان السلطان يخرج في كل سنة من القلعة الى الميدان الناصري على النيل ومعهُ جميع اهل الدولة من الامراء والكتاب وقاضي العسكر وسائر ارباب الرتب و يسير الى السرحة بناحية سرياقوس و ينزل بالقصور و يركب الى الميدان هناك للعب الكرة ويخلع على الامراء وسائر اهل الدولة ويقيم في هذه السرحة اياماً ولم يزل هذا الرسم مستمراً الى سنة ٧٩٩. وانشأ الملك الناصر ميداناً آخر في القلعة سنة ٧١٢ وكان ينزل اليهِ و يلعب فيهِ بالكرة مع امرائهِ يومي الثلثاء والسبت

وقد قتل كثيرون من الامراء بلعب الكرة فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٥٥٥ ان قايماز الارجواني امير الحج سقط عن الفرس وهو يلعب بالاكرة فسال مخهُ من منخريهِ واذنيهِ فمات . وجاء في تاريخ ابن اياس ان الملك السعيد محمد بركة خان ابن الملك الظاهر بيبرس كان يلعب بالكرة في ميدان قلعة الكرك « فتقنطر » بهِ الفرس فانكسر ضلعهُ فمات من يومهِ وذلك سنة ٦٧٨ هجرية

ولم يزل المماليك والانكشارية يلعبون بالكرة والصولجان الى ان بادوا فنسي هذا اللعب في مصر والشام لكنهُ لم يزل معروفًا في برّ الاناضول الى هذا اليوم كما اخبرني بعض ادباء الاتراك

وكان للعب الكرة شأن عظيم عند سلاطين المماليك وامرائهم فكانوا يعينون اميراً لحفظ الصوالجة والاعتناء بها منهم الامير حسام الدين الجوكان دار او الجوكاندار اي صاحب الجوكان وقد فسَّرها صاحب كتاب الانشاء قال « الجوكان دار هو الذي يحمل الجوكان وهي عصاً مدهونة طولها نحواً من اربعة اذرع وبرأسها خشبة مخروطة محدودبة تنيف



لعب الكرة والصولجان عند الفرس

عن نصف ذراع » . فالجوكان هو ما يسميهِ الانكليز Polo stick واللفظة فارسية قديمة الاستعمال في تلك اللغة وهي في الاصل چول گان من چول منحنٍ وگان اداة نسبة فخففوها وقالوا چوگان . والجوكان هو الصولجان بالعربية معرّب چولگان بالفارسية قبل ان خففت الفرس هذه اللفظة . وقالوا ايضاً الصولج والصولجة والصّوجان وكلهُ معرّب چولگان او چوگان وهو عصاً يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب كما في التهذيب . والصولجان ايضاً عصاً كان يحملها الملوك وهي من شعارهم كالتاج

اما الروم فاخذوا لعب الكرة عن الفرس كما مرّ وسموهُ چوكانيون من چوكان بالفارسية

ومن الرومية اشتقت لفظة Chicane الفرنسوية في بعض معانيها (١)

وقد ورد ذكر الجوكان كثيراً في تواريخ الفرس واشعارهم اخصها كتاب الملك (شاهنامه) الذي نظمهُ شاعرهم الفردوسي للسلطان محمود الغزنوي في القرن الرابع للهجرة فوصف لعب الكرة والصولجان وصفاً بديعاً وذكر ان الامير سياوش بن كيكاوس كان يلعب بالكرة والصولجان. ويرجع ذلك الى زمن بعيد في تاريخ الفرس لا يعرف تماماً لكنهُ كان قبل المسيح ببضع مئات من السنين وفي اكثر نسخ «شاهنامه» المصورة رسوم بديعة الشكل تمثل سياوش يلعب بالكرة والصولجان. والرسم الذي في هذه المقالة منقول في الاصل عن نسخةٍ قديمة من ديوان حافظ احد شعرائهم كتبت سنة ٩٥٦ هجرية الموافقة لسنة ١٥٤٩ مسيحية. والفردوسي اقدم من ذلك كثيراً لكنني لم اتمكن من نقل صورة عن كتابهِ الا ان هذا الرسم كافٍ لان يعرف منهُ ان لعب البولو عند الانكليز ليس سوى لعب الكرة والصولجان المعروف عند العرب والفرس من قبلهم من عهد بعيد. ويحتمل ان الفرس اخذوا لعب الكرة عن الترك لاسيما اذا صح قول المرحوم وفيق باشا الصدر الاسبق في معجمهِ التركي ان كلمة چوكان تركية الاصل وليست فارسية بل مشتقة من مصدر جوكمك اي الانحناء والضغط وقد اخذها الفرس عن الترك. وهذا غير بعيد فالخيل نشأت اولاً في اواسط اسيا والامير سياوش الذي ذكرهُ الفردوسي اقام في بلاد الترك وتزوج ابنة ملكهم ولعلهُ تعلم لعب الكرة هناك. لكن الفرس يعتمدون اشد الاعتماد على الفردوسي ويعرفون عدد الالفاظ العربية والتركية في ديوانهِ ويقولون ان هذه اللفظة فارسية ثم ان وجود اللام في الصولجان العربية مما يدل على ان اللفظة فارسية كما مر. وقد اسهبت في ذكر اصل اللفظة بناءً على طلب صديقين هما الدكتور ميرزا مهدي خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء ومن علماء الفرس المشهورين وعزتلو يوسف سامح بك من موظفي الحربية ومن ادباء الترك المعوَّل عليهم وكلٌّ منهما تمسك برأيهِ

فلعب الكرة والصولجان قديم جداً ولا يزال معروفاً في بلاد التبت واليابان والهند والاناضول وقد تعلمهُ الافرنج من الشرق كما يستدل من اسمهِ باليونانية البيزنطية اي چوكانيون واللفظة الفرنسوية Chicane وان يكن قد تغير معناها الآن ثم نسي امرهُ عند الافرنج الى ان اعادهُ الضباط الانكليز فتعلموهُ من الهنود ولعبوا بهِ لاول مرةٍ في بلاد الانكليز سنة ١٨٧١ وانتشر بينهم انتشاراً كبيراً ولهم فيهِ مؤَلفات كثيرة. اما لفظة بولو الانكليزية فيظن انها من بولو بلغة التبت ومعناها كرة

امين المعلوف

---

(١) قاله كاترمير في تاريخ المماليك

مناجاة الارواح

لا بدّ من العود الى هذا الموضوع مرة بعد أخرى لانهُ من اهم المواضيع العصرية لاسيما واننا ابدًا رأينا في كل الحوادث الدالة على مناجاة الارواح وهو ان ليس فيها دليل قاطع على انها خالية من الخداع ومتى احتُمل وقوع الخداع في عمل بطل الاستدلال بهِ وضعفت الثقة بعاملهِ . وقد قرأنا الآن مقالة مسهبة في هذا الموضوع لسكرتير الجمعية التي تبحث في المسائل النفسيَّة نشرها في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وذكر فيها اعمالاً لاسابيا بلادينو شاهدها بنفسهِ هو وجماعة من البارعين في اكتشاف حيل المحتالين وكانوا قد أرسلوا الى ايطاليا من قبل جمعية المباحث النفسية ليمتحنوا اعمال اسابيا هذه فرأينا من الانصاف ان نذكر خلاصتها حتى يطلع القراء على المسألة من وجهيها

يقال ان رجال العلم المعتادين على المباحث الطبيعية هم اقل من غيرهم استعداداً لاكتشاف خداع الخادعين لانهم الفوا الاعمال الطبيعية التي لا تخدع احداً . قال الكاتب ولذلك اختير اثنان من الماهرين في فن الشعوذة ليشتركا في امتحان اسابيا بلادينو وهما المستر كرنجنون والمستر بغدلي اما المستر كرنجنون فمشعوذ مشهور وهو يستعمل مهارتهُ للفكاهة لا للتعيش وقد استخدمتهُ جمعية المباحث النفسية في اميركا لامتحان مدعي مناجاة الارواح واكتشاف اخاديعهم فامتحنهم وكشف اضاليلهم وكتب عنهم مقالات كثيرة في مجلة الجمعية بين فيها كيف يخدعون الناس وألف كتاباً كبيراً في هذا الموضوع سماهُ الظواهر الطبيعية والسبرتزم صرح فيهِ بانهُ لم يرَ عملاً من الاعمال الدالة على مناجاة الارواح حقيقية

والمستر بغدلي من اعضاء مجلس الادارة في جمعية المباحث النفسية وقد مارس الشعوذة مدَّة للفكاهة ولاظهار اخاديع المشعوذين المدعين مناجاة الارواح وامتحن كل اعمال مدعي مناجاة الارواح منذ ثلاثين سنة الى الآن واستنتج من ذلك ان مناجاة الارواح خداع في خداع . واضيف اليهما كاتب هذه المقالة وهو لم يمارس فن الشعوذة ولكنهُ تعلم طرقها واساليبها من اربابها ومن المدعين مناجاة الارواح انفسهم حتى صار يعتقد ان كل الذين يشتغلون بمناجاة الارواح خادعون ماكرون

قال الكاتب هؤلاء اعضاء اللجنة التي انتخبت للبحث في هذا الموضوع وقد رأوا انهُ لا يكفي ان يقتنعوا بصحة ما يرونهُ او فسادهِ بل يجب ان يخبروا عما حدث وعما رأوا بالتفصيل والدقة

حتى يقف الجمهور على ما وقفوا هم عليهِ . وان يصفوا ايضاً كل ما اتخذوهُ من الوسائل لمنع الخداع ولذلك اختاروا واحداً ماهراً بالكتابة المختزلة اجلسوهُ معهم حيث يستطيع ان يرى ويكتب ما يراهُ وما يسمعهُ . وجرى الامتحان في الغرفة التي كنت انام فيها في احد الفنادق بنابلي علقنا ستارة سوداء ذات فلقتين امام زاوية الغرفة فحجبت منها جزءا مثلثاً طول قاعدتهِ نحو ست اقدام ووضعنا داخل الستارة مائدة صغيرة مستديرة ووضعنا عليها لعباً صغيرة اشتريناها من نابلي وهي دف ومزمار وبيانو و بوق وجرس وما اشبه . وعذرنا في اختيار هذه الاشياء ان الافعال التي تحدث بواسطة اسابيا هي في الغالب تحريك الاجسام الصغيرة ونقلها من مكان الى آخر على بُعد قليل منها فلا فرق بين ان نختار هذه الاشياء او غيرها . ووضعنا الستارة لان اسابيا تعتقد ان المكان المستور يساعد على جمع القوة ولعلها مصيبة في ذلك لانهُ يظهر ان القوة صادرة من الستارة . اما هي فلم تنظر الى ما وراء الستارة ولا كانت تعلم ما فيها . ووضعنا امام الستارة مائدة صغيرة طولها قدمان وثلاثة ارباع القدم وعرضها نحو قدم ونصف وجلست اسابيا الى جانب هذه المائدة وظهر كرسيها الى الستارة وبُعدها عنها نحو قدم او قدم ونصف وجلس كل واحد منا على جانب من الجوانب الثلاثة الباقية وامسكنا بيديها ووضعنا رجليها بين ارجلنا وفي بعض الاحيان كان واحد منا يجلس تحت المائدة ليمسك رجليها بيديهِ .

وكان امامها على نحو ست اقدام منها قنديل كهربائي مدلًّى من السقف فيهِ اربعة مصابيح مختلفة النور بعضها اقوى من بعض ولها مفاتيح الى جانب الشخص الذي يكتب الكتابة المختزلة فيفتحها ويقفلها كما يشاء . فاذا كان النور على اقواهُ امكننا ان نقرأ بهِ الخط الدقيق في طرف الغرفة البعيد عنا واذا كان على اضعفهِ امكننا ان نرى بهِ وجه اسابيا ويديها . وفي بعض الاحيان كانت نقفل المصابيح كلها فنصير في ظلام دامس

جلسنا مع اسابيا احدى عشرة جلسة كنا وحدنا في بعضها واشترك معنا بعض اصدقائنا او اصدقائها في البعض الآخر . وقد نجحت في بعض الجلسات اكثر مما نجحت في غيرها وكان اقلها نجاحاً الجلسات التي حضرها اصدقاؤُها . ويظهر ان للنور شأناً في بعض الاعمال فبعضها لا يظهر جيداً الاَّ في النور الضئيل وبعضها يظهر جيداً مهما كان النور . وكانت الاعمال في الجلسات الاولى ابسط مما صارت في الجلسات الاخيرة وكانت تتوالى بسرعة آخذاً بعضها برقاب بعض او تتباطأُ فيكون بينها فترات طويلة او قصيرة . واذا تباطأت طلبت اسابيا إضعاف النور لكننا لم نرَ ان اضعافهُ كان يسرع الاعمال بل ان الاعمال كانت على اقلها في الجلسات التي كان فيها الظلام على اشدهِ

وهاك وصف جلسة من الجلسات . يُخرَج كل ما لا لزوم لهُ من الاثاث قبل الوقت المعين لمجيء اسابيا بنصف ساعة وتوضع السنارة وتوضع الاشياء داخلها كما تقدم ويبقى منا اثنان في الغرفة وينزل الثالث لاستقبال اسابيا فتأتي ومعها زوجها فيتركها هناك ويمضي ويصعد بها الرجل الذي قابلها الينا على السلالم وهي خمسة لان الغرفة في الدور الخامس فتجلس في مكانها على الكرسي وظهرها الى السنارة . وقد تبتدئ الاعمال او الظواهر حال وصولها وقد تتأخر نصف ساعة فأكثر الى ساعة او ساعة ونصف . ويظهر كأن التأخر ينتج اما عن ان اسابيا تأتي طربة فتكثر من الكلام ولا تلتفت الى اظهار الظواهر المطلوبة واما عن انها تصل متعبة غير قادرة على شيء . فاذا كانت في الحالة الاولى لم يكن لنا سبيل الاّ الانتظار حتى تتعب من الكلام وتسكت ومتى تعبت اخذت تتثاءب فنعلم ان الظواهر ستبتدئ حالاً ولاسيما اذا اردفت التثاؤب بسعال شديد

وقد تقع في غيبوبة وقد تبقى مستيقظة وقد تكون بين بين وهو الاكثر . وحينما تكون في هذه الحالة تكون اهدأ منها وهي مستيقظة وتدعي حينئذٍ انها لا تتذكر شيئاً مما حدث واذا وقعت في الغيبوبة التامة ظهر كأنها نائمة وقد ترتمي بين ايدينا كأنها لا تقوى على الحركة . وكلامها في هذه الحالة قليل ونغمتها منخفضة جدًّا وتشير حينئذٍ الى نفسها بضمير الغائب لا بضمير المتكلم وتدعي انها تحت سلطة رُوح رجل اسمهُ يوحنا كنج وانهُ هو الفعَّال الاصلي في اكثر الاعمال المنسوبة اليها . واذا كانت في الحالة الوسطى بين اليقظة والغيبوبة تراها في خلاف دائم بينها وبين هذه الروح . والروح تعلن مرادها بهز المائدة او رفعها مشيرة بما يلزم عملهُ لادارة الجلسة والتحكم بالنور واسابيا تعترض على ذلك غالبًا اعتراضًا شديداً . فاربع هزات تدل على طلب الاقلال من النور فتهتز المائدة واسابيا تعترض على ذلك لكن المائدة تعيد هزها الى ان ترضخ اسابيا لحكمها وتطلب اقلال النور

اما الاعمال او الظواهر فاولها ارتفاع المائدة التي كنا جلوسًا حولها فانها تأخذ اولاً تهتز ثم ترتفع عن الارض قدمًا او قدمين وتبقى مرتفعة مدة قصيرة وتعود الى مكانها وقد تكون يدا اسابيا عليها وقد لا تكونان عليها بل تكونان مرتفعتين عنها قدمًا او قدمين ونحن ممسكون بهما بايدينا او تكونان موضوعتين في حضنها . وارتفاع المائدة من اكثر الافعال حدوثًا وهو يقع والنور في الغرفة على اسطعهِ ولم يكن في طاقتنا ان نمنعهُ ولم يكن مع اسابيا شيء كل مما ترفع بهِ الموائد عادة ولم نستطع ان نشعر بانها كانت تحرك ركبتيها او رجليها . وكان بينها وبين المائدة فسحة ظاهرة وكانت المائدة ترتفع احيانًا على قائمتين من قوائمها الاربع

وتبقى كذلك نحو دقيقة ونحن ندفعها من الاعلى بايدينا لتنخفض فتنخفض ثم ترتفع كأنها متصلة بشيء مرن ثم تثب عن الارض وترفع قوائمها الاربع

ومن الاعمال الكثيرة الحدوث حركة الستارة وراء اسابيا · وكانت اسابيا في الغالب تطلب تقليل النور لاجل هذه الحركة ولكن كان يبقى من النور ما يكفي لرؤيتها وكانت تمديدها نحو الستارة ونحن ممسكون بها حتى تصير على قدم منها او على ثلثي قدم فتنتفخ الستارة اي تقترب من اسابيا من وسطها · وقد تفعل الستارة ذلك اذا مدَّ احدنا يده اليها بناء على طلب اسابيا · وكنا نتأكد دائماً انهُ لا اتصال بين يد اسابيا والستارة وذلك بامرار ايدينا بينهما ولم نكن نري من الستارة مقاومة لمن يدفعها الى مكانها · ولا كان في الامكان جذب الستارة بخيط او شنكل من غير ان يرى تأثيرهُ فيها لانها رقيقة جدًّا · وكانت تتحرك احيانًا حركات عنيفة فتندفع حتى يعلو طرفها الاسفل فوق المائدة التي كنا حولها · كل ذلك واسابيا امامنا لا تتحرك ونحن نراها بعيوننا ويداها على المائدة ونحن ممسكون بهما ورجلاها تحت المائدة بعيدتان عن الستارة

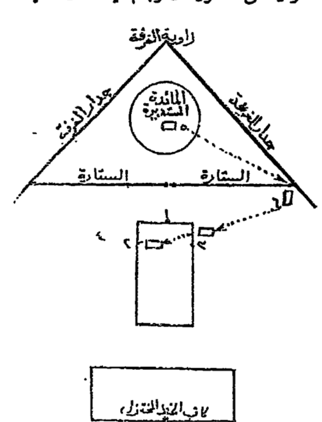
ومن هذه الاعمال ان شبحاً غير منظور كان يلمسنا من وقت الى آخر والنور كافٍ لان نرى بهِ وجه اسابيا ويديها وكان ذلك الشبح يلمس اذرعنا واكتافنا ورؤوسنا ونحن لا نراهُ بل نشعر كأنَّ انامل يد تلمسنا

ومنها لمسنا من وراء الستارة يد حقيقية ذات كف واصابع واظافر فكانت تقبض على ايدينا واذرعنا واكتافنا ورؤوسنا وكان ذلك يحدث ويدا اسابيا على المائدة امامنا ونحن ممسكون بهما · واول مرة حدث ذلك لي كنت جالساً امام اسابيا على الجانب المقابل لها من المائدة وكرنجنون وبغدلي على جانبي المائدة عن يمينها ويسارها وكانا يقولان انهما يشعران بيد تلمسهما من وراء الستارة فقلت لاسابيا انني اود ان اشعر بمثل ذلك فامرتني ان اقف الى جانب المائدة وامد يدي فوق رأسها الى جهة الستارة فمددت يدي على نحو ثلاث اقدام فوق رأسها فشعرت حالاً بنقر على اناملي ثم شعرت ان يداً حقيقية قبضت على اصبعي السبابة باربع من اصابعها ثلاث من الاعلى والابهام من الاسفل وشدَّت على اصبعي حتى شعرت ان اظافرها غرزت في لحمي ثم قبضت على يدي كلها وشعرت حينئذٍ براحتها قابضة على يدي وكان كرنجنون وبغدلي قابضين على يدي اسابيا حينئذٍ · فلا بد من شخص آخر وراء الستارة قبض على يدي ولم يكن وراءها احد

ثم ان اليد التي قبضت على يدي ظهرت للعيان من فتحة الستارة ومُدَّت فوق رأس اسابيا

وكانت احياناً بيضاء كيد الميت واحياناً في لونها الطبيعي ورأيناها مرةً وشعرنا بها في وقت واحد وذلك انها خرجت من عند طرف الستارة مما يلي الحائط وامسكت بالمستر بغدلي وجذبتهُ حتى كادت تقلبهُ عن الكرسي

وكنا نسمع قلقلة داخل الستارة كلما تحركت كأنَّ احداً يهز المائدة التي داخلها وما عليها وكانت المائدة تهتز احياناً اهتزازاً عنيفاً حتى يسقط ما عليها وتخرج من الغرفة وتستقر على مائدتنا فيكون طرف سطحها على المائدة وقوائمها الى جهة الستارة افقية كأنَّ يداً ممسكة بقوائمها من وراء الستارة وتكرَّر ذلك مراراً حتى اضطررنا ان نربطها في المكان الذي كانت فيهِ ومن ثم جعلت الاشياء التي وضعناها عليها تنتقل الينا الواحد بعد الآخر فأتى المزمار ولمس رأسي ووثب الدف الى حضني والبيانو الى رأس صديق كان جالساً معنا في احدى الجلسات ودق الجرس وخرج من وراء الستارة وهو يدق في الهواء فوق رأس اسابيا ثم علق بشعرها فمددت يدي لانزعهُ فسبقتني اليد من وراء الستارة ونزعتهُ وجعلت تدقهُ فوق رأس اسابيا ثم رمتهُ على المائدة امامنا وكان النور كافياً حينئذٍ



للكاتب ليرى اليد التي امسكت الجرس وهو على ثماني اقدام او تسع من اسابيا

ووضعنا طيناً على لوح صغير ووضعناهُ على المائدة داخل الستارة حتى اذا لمستهُ يد الشبح انطبعت اناملها في الطين ٠ وترى رسم ما حدث حينئذٍ في الشكل المتقدم فان اسابيا كانت جالسة عند الرقم ١ وانا عند الرقم ٢ ويمين اسابيا في يدي وكنت قد دعوت صديقاً لنا اسمهُ المستر ريان فكان جالساً عند الرقم ٣ ويسار اسابيا في يدهِ ووقف المستر كرنجنون ورائي عند الرقم ٤ وكان اللوح على المائدة المستديرة عند الرقم ٥ فخرج من وراء الستارة ورأى المستر كرنجنون حينئذٍ انهُ مرَّ من طرفها عند الرقم ٦ وسار في الهواء الى فوق كتف المستر ريان ورأيتهُ انا

حينئذٍ فنزل رويداً رويداً من فوق يمين المستر ريان التي كانت ممسكة بيسار اسايا ومرَّ فوق المائدة واستقرَّ على يدي التي كانت ممسكة بيد اسايا

ومن الظواهر التي ظهرت ايضاً انوار بدت مرتين فوق رأس اسايا ومرةً عند الستارة بعيداً عنها وبعض هذه الانوار ازرق الى الخضرة وبعضها اصفر وبعضها كالشرر المتطاير من القطب الكهربائي

وسنتمم هذه المقالة في الجزء التالي ونذكر رأينا في تعليل ما فيها



تربية دود الحرير في القطر المصري

لا يخفى ان لتربية دود الحرير شأناً كبيراً جدًّا في كل البلدان التي تعتمد عليها . وقد جرَّب كثيرون ادخال ذلك الى القطر المصري فلم يفلحوا مع ان التوت كثير فيهِ وتربتهُ واقليمهُ صالحان لشجر التوت حتى يجود فيهِ كما يجود في اكثر البلدان صلاحية لهُ وسبب عدم نجاحهم تسلُّط الحر الشديد حر الخماسين في فصل الربيع حينما يكون الدود عائشاً . وقد جرَّبت تربية دود الحرير في الزيتون بضواحي القاهرة في هذه السنة وفي السنة الماضية فوجدت انهُ يمكن التخلُّص من الحر بهاتين الطريقتين

الاولى ان يربَّى الدود في بيوت كبيرة لا في اخصاص كما يفعل اهالي سواحل بيروت ويجب ان توضع السقائل لهُ على الجدران التي لا تصيبها الشمس وان يكون في الغرف التي يربَّى فيها شبابيك بحرية (شمالية) تفتح دائماً الاَّ ايام الحر الشديد ويطعم الدود حينئذٍ كلما جفَّ ورقهُ ولو اقتضى الحال ان يطعم عشر مرات في كل اربع وعشرين ساعة وتقلل العلفات وقت الصوم واذا هبَّت رياح الخماسين يُصَب ماءٌ على بلاط الغرف لتبريد الهواء ويواظب على الاطعام حتى ينتهي الموسم في ٤٠ يوماً الى ٤٥

والثانية ان يبكر في التنجيل واظهار الدود حتى ينتهي الموسم قبل اشتداد الحر . وقد قسمت البزر الذي كان عندي هذه السنة الى ثلاثة اقسام وجعلت قسماً منها يخرج اولاً وقسماً يخرج بعدهُ بعشرة ايام وقسماً يخرج بعد هذا باسبوع وكان البزر كلهُ جيداً ليس فيهِ اقل

مرض وسلم كلهُ وشرنق ولكن الذي خرج اولاً كبر كثيراً وكانت شرانقهُ كبيرة سميكة جيدة جدًّا والذي خرج بعدهُ كان اصغر منهُ وشرانقهُ اصغر من شرانقهِ وارق لان الحر اضرَّ بهِ والذي خرج اخيراً كان اصغر من الجميع وشرانقهُ صغيرة رقيقة اصغر من شرانق الثاني وارق منها لان الحر اضرَّ بهِ كثيراً

فاذا اخرج الدود باكراً في اوائل شهر مارس وربي في البيوت واطعم دائماً حتى يسرع نموهُ نجا من الحر وجاءت شرانقهُ كبيرة سميكة جيدة الحرير

ويظهر لي ان التوت الذي في جنينة الجناب الخديوي حول سراي القبة يكفي لتربية دود ينتج مئتي اقة او ثلاثمائة اقة من الشرانق فعسى ان تجرَّب تربية الدود عليها وتتبع الارشادات التي ذكرتها حتى اذا ثبتت صحتها اكثر اصحاب الاطيان الواسعة من زرع التوت وتربية دود الحرير فيصير في البلاد محصول ثمين مع محصول القطن نعوم مغبغب

اصلاح المواشي المصرية

كتب المستر غودتشليد في كتاب الجمعية الزراعية الخديوية مقالة في هذا الموضوع قال فيها ما خلاصتهُ ان موسم القطن لا يجود في القطر ما لم تحرث ارضهُ جيداً ولذلك فالمواشي القوية القادرة على العمل ضرورية جدًّا ولكن هذه المواشي نادرة في القطر المصري وغالية الثمن لقلة الاهتمام بتربيتها فيهِ . ولا يجوز اهمال امر مثل هذا لهُ علاقة شديدة بالزراعة ولاسيما بزراعة القطن

ولعلَّ تربية المواشي اكثر فروع الزراعة اهمالاً في القطر المصري. ولذلك ذكرنا الامور التالية لعلها تأتي بفائدة للذين يلتفتون اليها

في المواشي المصرية صفات حسنة يجب تقويتها وصفات رديئة يجب اصلاحها . الاَّ ان الصفات الحسنة اقل من الصفات الرديئة . ومما يذكر بالاسف ان البلاد المصرية اقل البلدان صلاحية لتربية المواشي فانهُ ليس فيها مراعٍ والمراعي الطبيعية ضرورية والاَّ كان علف المواشي غاليًا جدًّا بسبب غلاء الارض ولذلك لا يستطيع كبار الفلاحين ان يعتنوا بتوليد المواشي وتربيتها فيشترونها من صغار الفلاحين وهؤُلاء يولدونها كيفما اتفق ويرعونها ما يجدونهُ من الحشائش على جسور الترع وما يقتلعونهُ وقت خف الذرة ويضطر كبار المزارعين ان يشتروا ما يجدونهُ عند هؤُلاء الفلاحين الصغار . ولا بدَّ من ان تقل المواشي الجيدة سنة بعد سنة بغلاء الاطيان ما لم تبذل الوسائل اللازمة لاصلاحها

فماذا يجب ان يُعمل لاجل اصلاح المواشي او لاجل تكثير المواشي القوية القادرة على الحرث الجيد والخدمة الكافية حتى يجود موسم القطن ولاسيما بعد ان اخذت بلدان كثيرة في مناظرة القطر المصري

والجواب انهُ لا بد من تعيين لجنة تعتني بتأصيل المواشي وانتاج الجيد منها وهذه اللجنة تعين لها لجاناً فرعية في المديريات والمراكز لكي توزع الثيران القوية كما فعلت حكومة الهند فاستفادت بلاد الهند من ذلك فائدة كبيرة

الا ان هذه اللجنة تجد امامها مصاعب كثيرة اولها ان تعلم ماذا تختار من المواشي للشروع في الاصلاح المطلوب . واول ما يخطر على البال جلب الثيران من اوربا لتطلق على البقر الاهلية ولكن هذا النوع من التوليد او التجنيس غير مناسب والمرجح انهُ يضر ضرراً كبيراً لشدة البعد بين المواشي البلدية والمواشي الاوربية . فانهُ اذا كان البعد شاسعاً بين صنفين ممتازين من الحيوان فالغالب ان نسلهما يعود الى الاصل الذي تولَّد منهُ ذانك الصنفان أي يأتي مشابهاً للاصل القديم الذي تولدت منهُ المواشي الاوربية فتكون النتيجة الضرر بدل النفع وهذا ما يسمى في علم الاحياء بالرجوع الى الاصل . واذا لم يظهر هذا الرجوع الى الاصل في النتاج الاول ظهر في ما ينتج منهُ . ولذلك يرجح ان اطلاق الثيران الاوربية على الاناث البلدية يفسد النتاج ولا يصلحهُ ولو وجد صنف اوربي جيد متولد من الاصل الذي تولدت منهُ المواشي المصرية لكانت ثيران هذا الصنف تجيد المواشي المصرية كما تجيد الاحصنة الانكليزية الموَّصلة نتاج الافراس العربية لان الاحصنة الانكليزية ناتجة من اصل عربي ولكن لا يظهر انهُ يوجد صنف جيد من البقر الاوربية اصلهُ مصري

وزد على ذلك ان اقليم مصر مخالف جداً لاقليم اوربا من حيث الحر والبرد فلا تحتملهُ المواشي المعتادة اقليم اوربا . والمواشي المصرية اعتادت بعض الامراض التي تنتشر في القطر المصري فلم تعد تموت بها وهذه الامراض تميت المواشي التي يؤْتى بها من الخارج

فلذلك كلهِ ولأن في المواشي المصرية صفات جيدة تجعلها اصلح من غيرها لاقليم مصر يُفضَّل ان يقع الاختيار على اجود المواشي المصرية وتبذل العناية في تقوية الصفات الجيدة التي فيها واضعاف الصفات الرديئة وذلك بان تشتري اللجنة اجود الثيران واجود الابقار وتختار من نتاجها اجود الثيران للنتاج كما جرى في كل البلدان التي أصلحت مواشيها وحسنت نوعها بناء على ناموس الوراثة العام . وينظر في الاختيار الى الصفات التي يراد تقويتها في النتاج

وألحق الكاتب بمقالتهِ صور ثورين مصريين وصور ثور انكليزي من النوع المعروف بقصير القرون. ويظهر من هذه الصور الفوتوغرافية الاصل ان الثور المصري حتى اجوده دقيق ضامر من وراء كتفيهِ اضلاعهُ قليلة التقوُّس ولذلك يكون صدرهُ ضيقاً فلا تتسع رئتاهُ واحشاؤُهُ الاتساع اللازم للقوَّة . وظهرهُ ضيق وكفلهُ ضيق ايضاً . وضيق الكفل يضعف قوتهُ على جر الاثقال وجر المحاريث الثقيلة . واما صور الثور الانكليزي فتدل على انهُ واسع الصدر والظهر والكفل وكل ذلك لازم لزيادة القوة وكثرة اللحم . ثم قال ان الذين انيط بهم اصلاح نسل المواشي نظروا الى ثلاثة امور وهي كثرة اللبن وكثرة اللحم وعظم القوة فاصَّلوا بعضها من الجهة الاولى حتى صار عندهم ابقار غزيرة اللبن جدًّا واصَّلوا بعضها من الجهة الثانية حتى صار عندهم ابقار كثيرة اللحم واصَّلوا بعضها من الجهة الثالثة حتى صار عندهم ثيران قوية جدًّا على العمل فاذا امكن تأصيل المواشي حتى تكون غزيرة اللبن وكثيرة اللحم وشديدة القوة في وقت واحد فذلك غاية المراد ولكن الصفات اللازمة للمزية الواحدة تمنع تقوية المزية الاخرى فيتعذر ان تجتمع هذهِ المزايا كلها في حيوان واحد او في صنف واحد من المواشي اذ قد وجد بالاختبار ان البقرة الغزيرة اللبن تكون ضيقة المقدَّم صغيرة القد وهذا الشكل لا يصلح لكثرة اللحم ولا لشدَّة القوة . والمواشي الصالحة للذبح يجب ان تكون غزيرة اللحم دقيقة العظام . والصالحة للشغل يجب ان تكون غليظة العظام وعظامها موضوعة على شكل يجعلها قادرة على الشد . وهذا النوع الاخير من المواشي هو ما تمس الحاجة اليهِ في القطر المصري . ومن المحتمل انهُ اذا أُصلحت مواشي القطر من هذا الوجه أُصلحت ايضاً من الوجهين الآخرين فيزيد لحمها ويزيد لبنها ايضاً اما اللحم فيزيد اتساع جرم الحيوان واما اللبن فلا يحتمل انهُ يقل عما هو الآن وقد يزيد لان البقرة القوية التي تلد عجلاً كبيراً تهيئ الطبيعة لهُ فيها لبناً غزيراً يكفيهِ

واستطرد الكاتب الى كيفية تربية المواشي التي يراد اصلاح النسل بها وكيفية تدبير العلف لها وربما لخصنا ذلك في فرصة أُخرى . ونحن نرى كما يرى هو انهُ لا بدَّ من ان تهتم الحكومة باصلاح مواشي القطر على طريقة عملية ولكننا لسنا على ثقة ان الثيران القوية لازمة لحرث ارض القطن لاننا لا نرى ان تعميق الحرث يجيد موسم القطن فاننا نرى بالاختبار ان الارض الشديدة الخصب تنمي ورق القطن ولا تكثر لوزهُ . رأينا قطناً زرع في الربيع الماضي في ارض جيدة بعد تقصيبها فنما فيها حتى صار شجراً كبيراً علو الشجرة منهُ متران او اكثر وكانت الاشجار كثيرة الاغصان غضة الورق لا يستطيع المرء ان يمرَّ بينها الاَّ بكل

صعوبة ومع ذلك لم يحاسب الفدان منها على قنطار من القطن مع انها لو زرعت شعيراً مثلاً لحاسب الفدان منها على عشرة اراذب او اكثر

موسم القطن

اختلف المقدرون في تقدير موسم القطن الاميركاني فقدَّرهُ بعضهم باحد عشر مليونًا ونصف مليون من البالات وهو اعلى تقدير لهُ وقدَّرهُ غيرهم بتسعة ملايين وثلاثة ارباع المليون وهو اوطأ تقدير

اما الموسم المصري فالمبالغون في قلتهِ يقولون انهُ لا يبلغ خمسة ملايين قنطار والمبالغون في جودتهِ لا يوصلونهُ الى اكثر من ستة ملايين وربع مليون فاذا فرضنا انهُ بلغ اكثر التقديرين فتكون نسبتهُ الى الموسمين السابقين هكذا

	سنة ١٩٠٩	سنة ١٩٠٨	سنة ١٩٠٧
	تقديراً	حقيقة	حقيقة
المحصول	٦٢٥٠٠٠٠	٦٧٥١٠٠٠	٧٢٣٥٠٠٠
متأخرات من الموسم الماضي	٠٣٥٥٠٠٠	٠٤٦٣٠٠٠	٠١٧٢٠٠٠
فالجملة	٦٦٠٥٠٠٠	٧٢١٤٠٠٠	٧٤٠٧٠٠٠

المقطوعية

	تقديراً	حقيقة	حقيقة
المرسل الى انكلترا	٣٣٥٠٠٠٠	٣٢٠٦٠٠٠	٣٤٠٥٠٠٠
" " اوربا	٢٨٥٠٠٠٠	٢٨٤١ ٠٠	٢٩ ١٠٠٠
" " اميركا	٠٧ ٠٠٠٠	٠٧٦٦٠٠٠	٠٦٠٦٠٠٠
المقطوعية المحلية	٠٠٢٢٠٠٠	٠٠٤٦٠٠٠	٠٠٣٢٠٠٠
اجمال المقطوعية	٦٩٢٢٠٠٠	٦٨٥٩٠٠٠	٦٩٤٤٠٠٠
الموجودات	٦٦٠٥٠٠٠	٧٢١٤٠٠٠	٧٤٠٧٠ ٠
فالزيادة او النقص في آخر الموسم	٣١٧٠٠٠ نقص	٣٥٥٠٠٠ زيادة	٤٦٣٠٠٠ زيادة

واذا اضيف الى المتأخرات التي كانت في الاسكندرية ماكان في لفربول وسائر اوربا فالمحتمل بقاؤُهُ في آخر اغسطس المقبل من القطن المصري هو ١٨ الف بالة مقابل ٩١ الف بالة في آخر اغسطس هذا العام و ١١٩ الف بالة في العام الماضي · واما اذا ثبت ان محصول هذا

العام اقل من ستة ملايين قنطار وبلغ خمسة ملايين او خمسة ونصفاً قصّر عن طلب المعامل كثيراً ولا يبعد ان يزيد سعره حينئذٍ زيادة فاحشة ويزيد سعر الموسم المقبل ايضاً فيبلغ سعر القنطار ستة جنيهات او اكثر

ربح الزراعة ومصاريفها

اطلعنا على التفصيل التالي في حساب المدرسة الزراعية في الجيزة عن سنة ١٩٠٦ وهو يذكر في باب الايرادات ثمن الحاصلات كلها وفي باب المصروفات المصروفات كلها ومعها مال الحكومة وايجار الارض وثمن الماء فحذفنا هذه الثلاثة لان المراد معرفة مصاريف الزراعة بالنسبة الى ايراداتها

٣٠ فدانًا و ١٨ قيراطًا من القطن العفيفي

مليم	جنيه		مليم	جنيه	
٨٨٣	١٧	حرث سنة ١٩٠٥	٥٠٠	٦٢٥	ثمن ٨ و١٦٦ قنطار بسعر ٣٧٥
٦٢٦	٦٣	اجور عمال	٣٧٥	١٥	ثمن حطب قطن
٢٤٠	٣٤	مصروف ثيران			
٣٧٥	٦	تقاوي			
٧٣١	٢٩	سماد كيماوي			
٠٠٠	٣٠	سباخ بلدي			
٨٩٦	٤٨	جمع القطن			
٥٠٧	٣	منشورات			
٢٥٨	٢٣٤	والجملة			
٦١٧	٤٠٦	صافي الايراد			
٨٧٥	٦٤٠		٨٧٥	٦٤٠	

اي ان صافي ايراد فدان القطن نحو ١٣٠٠ غرش يخرج منها المال والايجار ومصاريف الري . وقد ذكر في المصروفات ان الايجار والماء والمال كل ذلك بلغ ١١٩ جنيهاً اي ان ايجار الفدان وماله وريه بلغ ٣٨٧ غرشاً والاطيان التي محصول القطن فيها يبلغ خمسة قناطير ونصف قنطار لا يكون مالها اقل من مئة وعشرين غرشاً فيكون الايجار ومصاريف الري ٢٦٧ غرشاً وهذا غريب جدًّا وحبذا لو فصّل

ومما يستحق الذكر ان مصاريف تسميد الفدان بالسماد الكيماوي والبلدي بلغت نحو مئتي غرش

٦ افدنة من القطن العباسي

مليم	جنيه		مليم	جنيه	
٩٠٧	١٠	اجور عمال	١٢٠	١٢٢	ثمن ٥٣ و ٣٠ قنطار سعر ٤٠٠
١٦٠	٤	اجور ثيران	٠٠	٣	حطب القطن
٢٧٥	١	تقاوي			
٣٢٢	٧	سماد كيماوي			
٧٨٢	٩	جمع القطن			
٤٤٦	٣٣				
٦٧٤	٩١	صافي ايراد			
١٢٠	١٢٥		١٢٠	١٢٥	

فصافي ايراد الفدان ١٥٢٨ غرشاً يخرج منها ايجار الارض والمال ومصاريف الري . وقد كانت مصاريف الزراعة عن الفدان في القطن العفيفي نحو ٧٦٠ غرشاً وفي القطن العباسي نحو ٥٥٧ غرشاً وهذه المصاريف كثيرة في الحالين

وبلغت مصاريف زراعة ١٢ فدانًا من القمح ٥٨ جنيهاً وبلغ محصولها مئة اردب واردبين وثلاثة ارباع بيع الاردب منها بمئة وعشرين غرشاً فبلغ ثمنها ١٢٣ جنيهاً وثمن تبنها وهو ٨٩ حملاً نحو ٤٥ جنيهاً والجملة ١٦٨ جنيهاً فصافي الايراد ١١٠ جنيهات يطرح منها المال والايجار ومصاريف الري

وبلغت مصاريف زراعة ٦ افدنة من الشعير ٣٠ جنيهاً وايرادها من ثمن الشعير والتبن ٥٦ جنيهاً

ومصاريف اربعة افدنة و ١٢ قيراطاً من الذرة ١٤ جنيهاً وايرادها من الذرة والحطب ٣٩ جنيهاً فصافي الايراد ٢٥ جنيهاً

واذا كان ما ذكر من مصاريف الايجار والمال والري مقسماً بالقسط على الزراعات فصافي ريع الفدان من القطن العفيفي ٩٣٥ غرشاً ومن القطن العباسي ١١٤١ غرشاً ومن القمح ٦٤١ غرشاً ومن الشعير ٦٥٧ غرشاً ومن الذرة ٤٣٣ غرشاً. وسنورد خلاصة التفصيل الذي ذكر مع هذه الارقام في الجزء التالي

باب التقريظ والانتقاد

عبرة وذكرى
او
كلمة حول الدستور

فصول ادبية فلسفية تتعلق بالشورى انشأها حضرة الكاتب العصري المجيد الدكتور ايوب ثابت اجابة لطلب صديقهِ نجيب افندي شوشاني ونشرت في جريدتي الوطن والثبات تباعاً فكان اقبال الناس على مطالعتها كبيراً وكان لها وقع في النفوس، وقد اعيد طبعها الآن في كراس واحد وأُضيف اليها قصيدتان لحضرة منشئها من موضوعها . كتب هذه الفصول قبل الانقلاب الاخير لكنهُ سبق فانبأ بحدوثهِ واشار ببقاء جمعية الاتحاد والترقي كحارس ساهر على الدستور ريثما « يرسخ ويتأيد الحكم النيابي في البلاد » . الى ان قال وليس من خطر في بقائها او تداخلها في الشؤُون بل الخطر كل الخطر انما هو في تقلص نفوذها والويل وشقاء الامة انما هما في ملاشاتهِ . وهاك فصلاً من هذه الفصول لما فيهِ من الفوائد وللدلالة على سائر ما كتب المؤلف

كيف نشأت السلطة

خلق الناس في الحقوق سواء فتقوى قوم وسادوا البقيه
زعموا ان الملك آتٍ اليهم بدء بدءٍ من سلطة علويه
فكأني بهم يقولون وهماً نحن لسنا من طينةٍ ادميه
اورثوهُ بعد الممات بنيهم امشاعٌ حقوقنا البشريه
ظلموا الشعب واستبدوا دهوراً انما لم يدم رقاد البريه
قام فيهم ذوو العقول فنادوا انتم الملك والملوك الرعيه
ليس حقاً ان يحكم الكل فردٌ انما حق الحكم للاكثريه
ناهضوهم مستهلكين ففازوا وغدا الكل في الحقوق سويه

كل ما يرجع الحكم فيهِ مما يتعلق بالمجتمع الانساني الى ما قبل زمن التاريخ لا يتعدى

حد الحدس والتخمين او اذا تعدى الى ما وراء ذلك فلا يخرج عن حدود الآراء العلمية
ومما يدخل تحت هذا الباب مما نحن في البحث فيهِ هو كيفية نشوء السلطة

كيف نشأت السلطة — صوّر لنفسك الارض والجليد لا يزال كاسياً لجزء كبير من سطحها على اثر دور جليدي انتابها والوحش من الوعل الارلندي الى دب الكهف الى واحد القرن الصوفي الى المموث الشعري يضرب في اكنافها والانسان بينها. لا كساء لهُ الاَّ ما كان من جلدها ولا قوت غير ما ينازعها ولا مأوى غير ما يشاركها من كهف او شق في صخر ولا سلاح يدفع بهِ هجماتها الاَّ ما كان من قرنها او الحجر الصوان فاذا ما تصورت كل ذلك تمثل لك ما يقارب حالة اجدادك الاولين وانتجت لنفسك ان وجود الانسان على مثل تلك الحالة بين تلك الاوساط والعوامل اضطرهُ حفظاً لكيانهِ الى التعاضد والتضام فكان ذلك بدء تشكيل «الجماعة» او سمها ما شئت

ثم عد فصوّر لنفسك احد افراد «الجماعة» ممن ميزتهم الطبيعة بشدة بأس او سمو عقل وقد دفعهُ حب الذات الى الانتفاع مما ميز بهِ فيخيل لك كيف نشأت السلطة وكان هو مغتصبها

او اذا انكرت هذا المذهب فصور لنفسك ان «الجماعة» ادركوا وجه الضعف في استبقاء السلطة مشتتة وانتجوا ان جمعها يكسبهم قوة في تنازع البقاء فارتأوا عقد السلطة لواحد منهم او اكثر فالمدار واحد يدفعهم الى ذلك عامل حب الذات فيخيل لك كيف نشأت السلطة وكان هو مكتسبها

إنما لا مهرب لك كيف تصورت نشأتها من التسليم بانها اما مغتصبة واما مكتسبة

هل من حقوق الشعب تقييد الملك — فاذا ذهبت الى انها مغتصبة اوجب عليك مذهبك هذا التسليم والاقرار بحق الشعب وهو الممثل المعنوي «للجماعة» في استرداد السلطة من الممثل المعنوي لمغتصب السلطة من «الجماعة» وهو الملك

او اذا ذهبت الى انها مكتسبة سألناك هل كان اكتسابها بقيد ام من غير قيد. فاذا قلت بل هو بقيد قلنا ان اقل ما يمكن ضمن هذا القيد «للجماعة» هو حق التمتع بالحرية الشخصية التي هي حق من حقوق الانسان الطبيعية . اذ لا يعقل ان الانسان مهما هو مفطور عليهِ من حب الذات يرضى بالتنازل عن كل حقوقهِ لغيرهِ . او ما ترى الرقيق المولود في العبودية يحن دوماً الى الحرية فكيف يخيل لك ان المولود فيها يرضى بالتنازل عنها . فاذا صحَّ هذا الفرض اي ان العقد المعقود بين «الجماعة» ومكتسب السلطة تضمَّن وضمن «للجماعة» حق التمتع

بالحرية الذاتية وهو كما ترى فرض معقول نتج ان كل ما كان من شأنهِ مساس هذه الحقوق كان منافياً ضرورة لمضمون هذا القيد . فلما كان الامر كذلك وكان الحكم الاستبدادي المطلق منافياً لهذا الحق تأتي عن ذلك بداهةً انهُ منافٍ لمضمون القيد ايضاً وكان حلولهُ محل الحكم المقيد اخلالاً بالشرط او القيد المعقود بين « الجماعة » ومكتسب السلطة فلذلك ولان للانسان حقوقاً طبيعية ولهُ حق التمتع بها ولا يقوى على ذلك والسلطة مطلقة فقد حق للشعب وهو الممثل المعنوي « للجماعة » ان يعتبر العقد المعقود لغواً وان يعيد السلطة الى القيد او يستردها اليهِ من الممثل المعنوي لمكتسب السلطة في « الجماعة » وهو المالك

بل هب ان السلطة كانت مكتسبة من غير قيد فذلك لا يكون منهُ ان حقوق الانسان الطبيعية دخلت ضمن الحق المكتسب . ذلك لان هذه الحقوق هي حقوق معنوية وانما هي للانسان بصفتهِ انساناً اي بشراً لا كفرد او مجتمع من الناس وهو وان حق لهُ التمتع بها لا يحق لهُ التصرف بها من مثل التنازل عنها . لذلك كان ادخالها ضمن الحق المكتسب على فرض امكان وقوع ذلك عقداً فاسداً من اساسهِ وحق للشعب ان يعتبرهُ ملغى وان يظل متمتعاً بحريتهِ الذاتية وهي حق من حقوقهِ الطبيعية ما دام حياً

ثم لو فرض ان للجماعة حقاً في التصرف في حقوق الانسان الطبيعية وانهم تنازلوا عنها لصاحب السلطة المكتسبة فانما يتقيد بهذا الفعل فاعلهُ دون غيرهِ ذلك لان هذه الحقوق ملازمة للانسان ولكل فرد من المجتمع الانساني حق التمتع بها فتنازل فريق عنها لا يفقد هذا الحق من غيرهِ . فلذلك ولان الشعب لم يكن من الفئة المتنازلة عنها قد حق لهُ ان يعتبر العقد لغواً وان يظل متمتعاً بحقوقهِ الطبيعية ما دام حياً

فترى مما تقدم وقد ذهبنا واياك على ما شئت من المذاهب ان لا مهرب لك كيف تصورت نشوءَ السلطة من الاقرار والتسليم بانها إما مغتصبة من الشعب وإما مكتسبة منهُ . فلما كان امرها كذلك وكان للانسان حقوق طبيعية لهُ حق التمتع بها وكان لا يقوى على ذلك والسلطة مطلقة مستبدة حق لهُ توصلا الى حقوقهِ ان يقيد السلطة كيف شاء وليس هو بعملهِ هذا متعدياً او مستبداً بل كانت هي المتعدية المستبدة لو انكرت عليهِ هذا الحق . فكما ان العمران لا يقوم بدون وجود السلطة فهو ايضاً لا يتم والشعب مقيد مفقود الحرية . بل ما افلحت الامم المعاصرة وترقت في سلم المدنية الا بعد ان قيدت السلطة بالدستور وحلت قيود الشعب واليك التاريخ اذا رجعت اليهِ تجد الصواب في هذا القول

والفصول كلها على هذا النسق من البحث الاجتماعي الفلسفي . وقد بيّن فيها ان لا ترقي

الاَّ بعد تقييد الملك وان لا دخل للذهب في ترقي الامم وانحطاطها ولا دخل للذهب في سياسة اوربا · والحقها بقصيدتين عامرتين في موضوعها عنوان الاولى وسلام على العظام البلية وعنوان الثانية « الحياة بعد الموت »

كتاب الحضارة القديمة

انتُدب حضرة العالم الاثري احمد بك كمال امين متحف القاهرة لالقاء المحاضرات في الجامعة المصرية عن الحضارة القديمة فالقى محاضرات كثيرة في تاريخ مصر القديم الى آخر العائلة الرابعة عشرة من الدول المصرية وجمع فيها خلاصة ما يعلم من احوال المصريين الاجتماعية في ذلك العهد · والمطلع على هذه المحاضرات يرى منها ان المصريين الاقدمين كانوا قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة ارقى مما انحطوا اليهِ منذ مئة سنة واثباتاً لذلك ننقل بعض ذكرهُ المؤلف في الكلام على المعارف عند المصريين قال

« نبغ في عصر الملك (شوبسيسكاف) من الاسرة السادسة رجل من ارباب الرتب العالية طال عمرهُ حتى رأى الملك (نفر كارى) ولقب نفسهُ في نقوش قبرهِ ناظراً لدار الكتب فكان هذا العنوان كافياً وحدهُ للدلالة على اتساع دائرة المعارف وعلى تقدم العلوم في عصر ذلك الملك حتى استوجب نشر المؤلفات وبناء خزانة فاخرة لها ادخروا فيها السجلات وكتب التاريخ والتقارير والتحريرات المتبادلة بين الملك وكبار العمالات والامراء · وحفظوا فيها ايضاً وقفيات للمعابد ولافراد الامة واوراقاً شاملة لمسائل شتى مما كانت تقضي بهِ الامور في مملكة منظمة كمصر · وذلك خلاف ما كان يوجد فيها من النصوص الدينية القديمة · وما كان يتلى من الصلوات في عصر الاسر الاول وما كان يرتل من العبارات الدينية قبل (مينا) ومن المدائح لمعبودات النور وفيها الكتب السحرية والرمزية مثل كتاب الموتى وكتاب الرتب الدينية الخاصة بالمقابر وغير ذلك من الرسائل العلمية المدونة في الطب والهندسة والحساب والفلك والآداب والحكايات الفكاهية اللطيفة الخ »

وغنيٌّ عن البيان ان المباني المصرية والآثار كلها من كتابات وتماثيل ونقوش تدلُّ على مقدرة فائقة في نقل الاثقال ومهارة بالغة في الصناعة وحضارة واسعة تناولت كل المعايش وكل الحاجيات والكماليات من الحرث والزرع والخبز والطبخ الى ايلام الولائم والجلوس في مجالس الشراب والغناء والتضمخ بالعبير والملاب والتزين بالحلى المرصعة والحلل الموشاة

وفي هذه المحاضرات كثير من الصور والرسوم وبعضها غاية في الاتقان

آداب السلوك

ان من ادل الادلة على فائدة هذا الكتاب واحتياج الجمهور اليهِ نفاد الطبعة الاولى والثانية منهُ وظهور هذه الطبعة الثالثة مع كساد بضاعة الادب في بلادنا . والكتاب كذلك يحسن ان تكون نسخة منهُ في كل بيت وان يطالعهُ كل احد ولو كان التأدب وحسن السلوك فيهِ طبعاً ولا تخلو صفحة منهُ من فائدة او فوائد مثال ذلك قولهُ

ومما يحرم فعلهُ في الهيئات الاجتماعية وضع اليد على الشعر ، ولمس الوجه والرأس عموماً ، وتقليم الاظافر ، وحك الجلد ، وادخال الاصابع في الاذن ، والبصق ، والتثاؤب ، والجشاء ، الى غير ذلك من النقائص التي يشمئز الحضور من رؤيتها * ولا مرآء ان قواعد الرقة والادب وما اصطلح الناس عليهِ من سنن الحشمة والحياء ، ورسوم الزيارات والمقابلات ، يمكن ان تعود بالفوائد والصلاح اذا استعملت حق الاستعمال ، او بالضرر والفساد اذا لم تراعَ فيها شروط الكمال ، كما لو احتفلنا بهذه الرسوم وقدمناها على غيرها من الواجبات الحقيقية ، وجعلناها اهم شاغل نصب اعيننا ، فانها تصبح وقراً على كاهلنا ، وعثرة في سبيلنا ، ونصبح هزأة للآخرين * اما اذا كانت طبيعية المجرى ، غريزية المبدإ ، خالية من التصنع والتكلف ، فقد نجونا من شرها * وقد اصاب من شبهها بثوب ناصع البياض يزين لابسهُ في حسن التحكيم ، ولا يعوقهُ عن الحركة والمسير ، واقل قصور او شذوذ عما يقتضيهِ الذوق السليم يشين الاديب و يعيبهُ ، و يظهر كبقعة سوداء على ذلك الثوب الابيض ، والآداب اشبه شيءٍ بالزيت الذي يصبُّ على ادوات الآلة لتسهل بهِ حركاتها وتسرع في دورانها وتتقي بهِ خطر الاحتكاك ، وهذا هو تأثير التأدب في السلوك والمعاملات ، فانهُ يسهل حركة الاعمال و يفتح ابواب التقدم والارتقاء * وقد قيل : كل شيءٍ يرخص اذا كثر الا الادب فانهُ اذا كثر غلا

وقولهُ

وكثيراً ما يستدلُّ على اخلاق الشخص واطوارهِ من النظر الى ترتيب ثيابهِ ونظافتها ولونها ومقاسها * فاذا رأيت شاباً حسن الهندام نظيف الثياب ثمينها كان في الغالب كريماً محباً للترتيب مواظباً على عملهِ ثابتاً في مبادئهِ ، واذا فضل اللون الاسود او الادكن في ثيابهِ كان رزيناً وقوراً * واما اذا بلغ في وقاية ملابسهِ من الاوساخ والغبار حتى صار يمنع نفسهُ عن الكد خوفاً عليها من التلف فهو محبٌّ لذاتهِ غير مكترث بذويهِ ومعارفهِ ، واذا بالغ

في النظافة الخارجية واهمل ثيابهُ الداخلية ونظافة جسمهِ كان مرائياً مداهناً —

يعطيكَ منْ طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ منكَ كما يروغُ الثعلبُ

واذا اعتنى كثيراً بنظافة جسمهِ وترتيب ملابسهِ الداخلية دون الخارجية كان سليم النية منصفاً ينظر الى حقائق الامور لا الى ظواهرها ولا يهمهُ مدحهُ الناس او ذموهُ * ومن كان ثوبهُ نظيفاً لكنهُ غير مرتب غلب في طباعهِ الاسراف والكسل ، واذا كان بعض ملابسهِ مرتباً دون البعض الآخر فهو محب للعمل لكنهُ قليل الصبر ، واما اذا تفاوت بعضها عن بعض في الشكل او الحجم او القيمة او القدم فهو ضعيف الرأي قصير النظر لا لا يصلح ان يدير عملاً من الاعمال

وفي آخر الكتاب وصف اربعين لعبةً من الالعاب البيتية وشرح ٢٥ احجية وكلام مسهب على لغة الازهار والاشجار وعلى خرافات اهل الغرب وما اشبه

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مدارس الاطفال الصناعية

رأينا منذ مدة مقالة للادي دارون زوجة السر جورج دارون بن دارون الشهير وصفت فيها مدارس الاطفال الصناعية في بلاد اسوج فاستغربنا تعلُّم الاطفال للصنائع وعملهم بها ولكننا لما زرنا دمشق هذا الصيف ورأينا معمل الخواجه نعسان وجدنا فيهِ اولاداً لا يزيد عمر الولد منهم على سبع سنوات وهم يعملون في صنع الادوات النحاسية والخشبية ولاسيما في حفر النحاس بمهارة غريبة ويأخذون اجوراً غير قليلة بالنسبة الى سنهم فعدنا الى مقالة لادي دارون فوجدنا ان المدارس الصغيرة تفتح في بلاد اسوج من الصبح الى الساعة الواحدة بعد الظهر فقط فاذا كانت المدرسة لا تسع كل الاولاد أُخرج الصغار منها الذين سنهم من ٧ الى ٩ سنوات وعلّموا فيها بعد الظهر فقط فيكونون بلا مدرسة من الصبح الى الساعة

الواحدة بعد الظهر . وقد اهتم بامرهم بعض السيدات والشأن لهم مدارس صناعية يتعلمون فيها النجارة والحدادة والحياكة والحباكة والسكافة والخياطة وعمل السلال وحفر الخشب وما اشبه من الصنائع ويعملون فيها قبل الظهر ويذهبون الى المدارس التي يتعلمون فيها القراءة والكتابة بعد الظهر . وكل الاولاد الذين تعلموا في هذه المدارس الصناعية لم يرتكب احد منهم جريمة لما شبوا ولا دخل محكمة . والمدرسة تطعمهم الظهر والمساء بدل عملهم فيها والاولاد يقبلون عليها سواء اطعموا فيها او لم يطعموا لان الطعام لا يقدم في فسحات الاعياد ومع ذلك يترددون عليها حينئذٍ رغبةً في العمل . وهم يتعلمون في هذه المدارس الصناعية صبياناً وبنات معاً والبنات منهم يساعدن الطباخين في طبخ الاطعمة وكلهم يصلحون احذيتهم وثيابهم ولكنهم يفضلون خياطة الثياب الجديدة على ترقيع الثياب القديمة وعمل حذاء جديد على اصلاح حذاء قديم ولذلك لا يتعبهم المعلمون والمعلمات في اصلاح الاشياء القديمة

ومن المصنوعات الكثيرة التي ذكرت لادي دارون انهم صنعوها البرانيط والاحذية والثياب على انواعها والمراويل والكراسي والموائد والرفوف والمعاجن والحصر والمنافض وكل الادوات الحديدية كالمطارق والرفوش والمزالق . وفي مدينة ستكهلم الآن ست عشرة مدرسة من هذه المدارس وفي اسوج كلها ٧٢ مدرسة . وقد اقتدت بها فنلندا والدنمارك ونروج وبولندا وفرنسا وروسيا وبلاد اليونان وودت ان تقتدي بها انكلترا ونحن نود ان تقتدي بها مصر وكل البلاد العثمانية فيتعلم اولاد الامة في صغرهم صناعات تفيدهم في كبرهم وينجون من سآمة الدرس الكثير في المدارس

والنساء انشأن هذه المدارس في بلاد اسوج فهل يقوم من نسائنا سيدات يسرن في خطتهن وينشئن مدارس صناعية للاطفال افادةً لهم وانقاذاً من السآمة والضجر

جمعيات النساء

كان عدد الاناث في القطر المصري في التعداد الاخير الذي تم منذ سنتين ٥٦٢٠٢٨٥ وعدد اللواتي يعرفن القراءة والكتابة منهن ٦٠٦٥٣ اي نحو واحدة في المئة واكثر هؤلاء من الاوربيات والسوريات ولا سبيل الى ابلاغ غير المتعلمات ما يكتب في المواضيع النسائية والمتعلمات قليلات العدد جداً بالنسبة الى غير المتعلمات كما تقدم فما هو السبيل الى مخاطبة غير المتعلمات

نشرنا في بعض الاجزاء الماضية كلاماً لجمهور من الاطباء قالوا فيه ان وقاية الاطفال

من الادواء المميتة تقدم بتعليم امهاتهم كيف يعتنين بهم . فما هو السبيل الى تعليم النساء هذا الشيء الضروري وغيره من لوازم الصحة والراحة وهنَّ يجهلن القراءة ولا يرجى ان يكثر عدد المتعلمات منهنَّ الاَّ بعد سنين متطاولة بل اننا نشك في امكان انشاء مدارس للبنات تكفي لربع ما يبلغ منهنَّ من التعلم سنويًّا

ان مَن ينظر الى قلة عدد المتعلمات وقلة مَن يمكن تعليمهُ سنويًّا من غير المتعلمات يكاد يقع في اليأس من اصلاح الحال ولكن اذا اعتبرنا ان المرء يتعلم بالاذن اكثر مما يتعلم بالعين اي انهُ يتعلَّم ممَّا يسمعهُ اكثر مما يقرأهُ بدت امامنا بارقة من الامل . كنا قُبَيل كتابة هذه السطور في نادٍ فيهِ جماعة من الوجهاء فقال لنا وجيه منهم لماذا لا تعيدون تلك الجمعية الادبية التي كنتم تلقون فيها الخطب والمباحثات فقد سمعت فيها مباحثة في الموضوع الفلاني دارت بين فلان وفلان . ثم سرد لنا خلاصة تلك المباحثة مع انهُ قد مضى عليها الآن نحو ثلاث وعشرين سنة فأيَّد لنا بقولهِ هذا ما يقال من ان الانسان يتعلَّم ويحفظ ممَّا يسمعهُ اكثر ممَّا يتعلَّم ويحفظ ممَّا يقرأهُ

واذا كان الامر كذلك فالسبيل الى النساء غير المتعلمات سهل وهو ان نعقد لهنَّ جمعيات في بنادر القطر وجهاتهِ المختلفة يتردد عليها بعض النساء المتعلمات ويشرحنَ لهنَّ الامور الصحية اللازمة لتربية الاطفال وتدبير المنزل . ولا نرى ما يمنع الرجال من ان يقوموا بهذا العمل اذا تعذَّر وجود النساء للقيام بهِ واذا ابى السامعات ان ينظر الرجال الى وجوههنَّ ولا نظن ان نساء البنادر والارياف يأبينَ ذلك فليضعن البراقع على وجوههنَّ

ويظهر لنا اذا بذلت الهمة في هذا السبيل اي في تعليم النساء بالخطب السهلة الفهم ما تلزم معرفتهُ لهنَّ من امور تدبير المنزل وتربية الاطفال استفادت البلاد في سنتين ما تستفيدهُ من المدارس في سنوات كثيرة . فهل في البلاد ذوو غيرة وحمية ينفقون في هذا السبيل فيكسبوا الشكر الجزيل ويخدموا بلادهم اكبر خدمة

مدرسة في محلها

لا يخفى ان بنات الفلاحين اذا تعلمن في المدارس صعب عليهنَّ العود الى بيوت آبائهنَّ والتزوج برجال من اهلهنَّ فتعليمهنَّ قد لا يفيدهنَّ مطلقًا وقد يضرُّ بهنَّ ولا تستفيد منهُ عيال الفلاحين لانهنَّ لا يعدن اليها والفلاَّحون عماد البلاد واصلاح شؤُونهم اهم اصلاح تحتاج اليهِ . وقد بلغنا انهُ انشئت مدرسة داخلية في مدينة اسيوط تعلم البنت كل ما يلزم

لادارة البيت مع تعليمها القراءة والكتابة ومبادىء العلوم وتمنعها من لبس ثياب غير الثياب التي تلبسها في بيت ابيها بشرط ان تكون نظيفة دائمة فهي تقصد ان تصلح بيوت الفلاحين المصريين وتجعلها مثل بيوت الفلاحين الاوربيين من غير ان تزيد نفقاتها

هذه مدرسة في محلها والبلاد في اشد الحاجة الى امثالها فعسى ان تبحث نظارة المعارف عنها وتنسج على منوالها في المدارس التي تنشئها في بلاد الفلاحين ولو كانت داخلية

فوائد للسيدات

الاعتناء بالشعر

يشتكي كثيرات من السيدات من قصر شعرهن وتقصفهِ وتشققهِ فلا بد لهنَّ من الاعتناء بهِ لحفظهِ في حالة صالحة واستعمال المشط والفرشة صباحاً ومساء وفرك فروة الرأس بهما فركاً جيداً فان ذلك ينبه جذور الشعر ويزيد في نموهِ . ويجب ان يكون المشط والفرشة من احسن جنس لا تشقق ولا تشعث فيهما ولا بأس بقص اطراف الشعر من وقت الى آخر فان ذلك يزيد في نموهِ . وافضل الادوية التي تمنع سقوط الشعر ما كان فيها مركبات البارافين كزيت البترول وغيره وهي كثيرة

واذا كان الشعر جافًّا قصماً فيمكن تليينهُ بدهنهِ ببعض الزيوت وافضلها لذلك زيت الخروع النقي الخالي من الرائحة . ويلمع الشعر بعد غسلهِ بفركهِ بمنديل من الحرير الناعم

ازالة الشعر

لا واسطة لازالة الشعر من الوجه سوى الكهربائية . والوسائط المستعملة اعتيادياً اما مضرَّة او لا فائدة منها بل ربما زاد نموُّ الشعر باستعمالها

ازالة الغضون من الوجه

لا يخفى ان الغضون اي التجعدات في الوجه يزيدها التقدم في العمر وضعف الجسم والمرض والهموم والاحزان . وافضل طريقة لازالتها ومنعها الدلك باحد المراهم الملطفة مثل « الكولد كريم » لكن الفائدة بالفرك لا بالمرهم ثم يمسح الوجه بغسول قابض مؤلف من ربع اوقية من العفص ونصف اوقية من الغليسرين وخمس اواقي من ماء الورد . وافضل الوسائل لمنع الغضون انبساط الوجه والاخلاق الحسنة الرضية وتقوية الجسم بالرياضة والهواء النقي

ازالة النمش

الادوية التي يقال انها تزيل النمش كثيرة وتحتوي غالباً على مواد سامة او مهيجة وهي لا ضرر منها اذا استعملت باعتناء تام . ومن الوسائل المستعملة لازالة النمش دهن الوجه باللبن الرائب وعصير الحصرم وعصير الفريز (الفرولا) وفركهُ بقطعة من الخيار او الليمون الحامض

غسل الوجه

كثيرٌ من السيدات يغسلن وجوههنَّ صباحاً مساء باللبن الحليب مع مثل مقدارهِ من الماء النقي وهي طريقة حسنة جدًّا . وبعضهنَّ يغسلنهُ بالماء فقط ويضفن اليهِ قليلاً من ماء الورد . ولا بد ان يكون الماء ليناً اي مما يرغو الصابون فيهِ جيداً واذا كان قاسياً اي مما لا يرغو فيهِ الصابون يفضل استعمالهُ فاتراً ولا بأس باضافة قليل من البورق اليهِ . اما الصابون فيجب ان يكون من افضل جنسٍ

الاعتناء بالايدي

يجب على النساء الاعتناء بايديهنَّ ما امكن لاسيما اذا كنَّ من اللواتي يشتغلنَ بها فيجب غسلها جيداً ثم فركها بالنخالة قبل تنشيفها فانهُ يزيد في نعومتها وبياضها . واذا كان فيها خشونة تغمس في الماء الفاتر نحواً من خمس دقائق ثم تغسل وتنشف جيداً وتفرك بعصير الليمون وتدهن بمرهم الكولد كريم ويرش عليها قليلاً من النخالة الناعمة وتصقل بقطعة من الجلد اللين

الاعتناء بالاسنان

يجب تنظيف الاسنان مرتين في اليوم بفرشة ناعمة ومسحوق لا مواد مضرة فيهِ . ومن العوائد المستحسنة المضمضة بالماء بعد الطعام وقد يضاف اليهِ قليل من كربونات الصوداء فان ذلك يزيل ما يتبقى من فضلات الطعام كالدهن والحوامض . ولا بد من غسل الفم ايضاً بعد تعاطي الادوية ولاسيما مركبات الحديد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاءً واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسببٍ كافٍ

(١) مطبوخ الارمن والتغيرات الجوية

حمص . مصطفى افندي الترك . ان مطبوخ الارمن السنوي قسم الشهر اربعة اقسام يذكر في كل ربع منها ما يقع فيهِ من التغيرات الجوية قبل وقتهِ فنراهُ يصيب في بعض منها ويخطئ في بعض كما هو المشاهد فما مفتاح هذا العلم واستنباطهُ ومع اصابتهِ في البعض كيف اخطأ في البعض الآخر

ج . اذا اردتم بالتغيرات الجوية التغيرات الفلكية كظهور الهلال والبدر والكسوف والخسوف ومواقع السيارات فذلك يعرف بالحساب الفلكي لان سير هذهِ الكواكب معروف . وما يحدث هذه السنة من الكسوفات والخسوفات يتكرَّر كل ١٨ سنة و ١١ يوماً او ما يحدث كل ١٨ سنة و ١١ يوماً يتكرَّر في الثاني عشرة السنة والاحد عشر يوماً التي تتلوها وهكذا فكان يسهل على القدماء ان ينبئوا بما يحدث من هذا القبيل في مستقبل الازمان ويكون خطأهم قليلاً . ولكن اذا اردتم بالتغيرات الجوية وقوع الامطار وهبوب الرياح والعواصف والايام الغائمة والصاحية فذلك مما لا يعلم قبل حدوثهِ مطلقاً الا اذا حدث شيء منهُ في بلاد وعُلمت جهة حركته وسرعتها وارسل خبرها بالتلغراف الى المكان المتجهة اليهِ فانهُ يمكن الانباء بحدوثها فيهِ قبل حدوثها بيوم او بضعة ايام . وما صدق غير ذلك فصدقهُ اتفاقي

(٢) حرارة الشمس

مصر . عبد المجيد افندي سليمان . يقول العلماء ان الشمس تفقد مع الزمان جزءا من حرارتها فاين تذهب تلك الحرارة

ج . ان حرارة الشمس تشعُّ منها دائماً في الفضاء الذي حولها ويصل الى الارض جزء صغير منها وهو الجزء الذي تعترضهُ الارض في سيرها في الفضاء

(٣) الجاذبية الشعرية

ومنهُ . ماسبب ارتفاع السائل في الانبوبة

الشعرية او انخفاضهُ على حسب ما اذا كان السائل من طبيعتهِ ان يلصق او لا يلصق بالانبوبة فاننا لم نجد تعليلاً لذلك في الكتب العلمية التي بين ايدينا

ج · سببهُ في الحالة الاولى ان جاذبية الالتصاق بين الانبوبة والسائل اشد من جاذبية الملاصقة بين دقائق السائل وفي الثانية ان جاذبية الالتصاق اضعف من جاذبية الملاصقة

(٤) النبات والطب

ومنهُ · لماذا ابطل علم النبات من المدرسة الطبية المصرية · أَوَ لا ترون علاقة بين هذا العلم والعلوم الطبية توجب جعلهُ من علومها اوَلا يمكن لطالب الطب ان يدرس علم النبات من كتبهِ بدون مساعدة استاذ في بلد مثل مصر

ج. نظن ان تدريسهُ أُبطل لانهُ يدرَّس في المدارس الاخرى التي يتخرج فيها الطالب قبل دخول المدرسة الطبية · ودرسهُ مفيد جدًّا للطبيب ولكنهُ ليس ضروريًّا لهُ · و يصعب درسهُ او يتعذَّر في هذه البلاد من غير ارشاد استاذ

(٥) غروب الشمس

بني سويف · كامل افندي فهمي · يفهم من جوابكم على سؤالي في العدد السابق عن غروب الشمس ان المدة من نصف النهار الى نصف النهار هي ٢٤ ساعة وان المدة من الغروب الى الغروب ليست كذلك اذ لو كان كذلك لوجب ان يكون وقت الغروب بالساعة الافرنكية ثابتًا لا يتغير كما انهُ دائمًا على الساعة الثانية عشرة في الحساب العربي لان الساعة العربية مساوية للساعة الافرنجية · واذا كانت المدة من الغروب الى الغروب ليست ٢٤ ساعة دائمًا فلماذا يقولون ان وحدة الزمن وهي الساعة هي جزء من ٢٤ من المدة التي بين الغروب والغروب التالي لهُ ولماذا تكون الساعة العربية دائمًا مضبوطة على الساعة الثانية عشرة وقت الغروب

ج · ان الساعة جزء من اربعة وعشرين جزءا من اليوم والقياس الصحيح لليوم هو من بلوغ نجم الهاجرة الى بلوغهِ الهاجرة في اليوم التالي ولا يقال انهُ من الغروب الى الغروب الأ توسعًا لان المدة من الغروب الى الغروب تطول وتقصر كما تقدم والساعة العربية لا تكون دائمًا مضبوطة على الساعة ١٢ وقت الغروب واذا كانت تدل دائمًا على ١٢ وقت الغروب فهي غير مضبوطة

(٦) دوران الشمس

ومنهُ · لقد استعظمتم سرعة الشمس اذا كانت هي التي تدور حول الارض في جوابكم على سؤالي عدد ٢٨ مع ان تلك السرعة ليست مستحيلة فاذا قورنت بسرعة النور او الكهربائية نجد ان النور اسرع منها فنرجو بيانًا شافيًا لا يقبل الشك

ج . لم نقل ان هذا هو الدليل الوحيد على ان الارض هي التي تدور حول الشمس بل قلنا صريحاً ان هناك «ادلة اخرى على دوران الارض حول الشمس ترونها في كتب الفلك» واذا اردتم زيادة التفصيل فعليكم بمطالعة كتاب في علم الفلك او بمطالعة بعض الفصول التي كتبناها في المقتطف في هذا الموضوع . اما كون النور يسير بسرعة فائقة فلا يؤخذ دليلاً على ان الاجسام الجامدة تستطيع ان تسير بهذه السرعة ولا تتمزق لان النور ليس مادة بل هو تموّج او تحرك في دقائق الاثير وهذه الدقائق تتموج كما يتموّج الماء اذا رمي فيهِ بالحجر من غير ان يحول من محلهِ اما دوران الشمس او النظام القديم فيقتضي ان تدور النجوم كلها حول الكرة الارضية بسرعة تفوق سرعة النور اضعافاً كثيرة جدًّا

(٧) الراي السديمي

ومنهُ . يقولون ان جميع الكواكب كانت كتلة واحدة فكيف كانت طريقة انفصال اجزائها الى كواكب

ج . اذا دار الجسم على نفسهِ بسرعة فقد تنفصل منهُ اجزاء تدور حولهُ كما ينفصل الوحل من على عجل المركبات وهي مسرعة في سيرها . والظاهر ان النظام الشمسي اي الشمس وسياراتها كان كلهُ كتلة واحدة دارت على نفسها اما بسبب بردها وتقلصها اي بصدم جرم سماوي لها فلما دارت انفصلت عنها مادة السيارات واستدارت وبقيت تدور حولها وترون تفصيل ذلك في مقالاتنا عن الراي السديمي في المجلد السابع من المقتطف

(٨) ظهور التدخين في مصر

فراشه . الشيخ ابو هاشم علي قريط من قبيلة اولاد علي . من هو اول من استعمل التدخين في القطر المصري وفي اي زمن كان ذلك

ج . لا نعلم من ادخل التدخين الى مصر ولا من استعملهُ اولاً والشائع انهُ جاء من اميركا عن طريق اوربا وكان ظهورهُ في الشرق سنة ١٠٠٠ هجرية الموافقة لسنة ١٥٩١ مسيحية وقد ارخهُ بعضهم بهذين البيتين

سألوني عن الدخان وقالوا
هل لهُ في كتابكم إيماء
قلت ما فرّط الكتاب بشيءٍ
ثم ارّخت يوم تأتي السماء

ولعله دخل الى مصر في تلك السنة او ما يقرب منها

(٩) حرارة ماء الآبار

ومنهُ . لماذا يكون ماء الآبار بارداً في الصيف وحارًّا في الشتاء

ج . اذا قسنا حرارة ماء الآبار بالترمومتر اي ميزان الحرارة وجدناها واحدة تقريباً صيفاً وشتاء لانها مكتسبة من حرارة جوف الارض وهي واحدة في الاعماق المتساوية .

لكنَّ حرارة الهواء وسطح الارض تتغيَّر بتغيُّر الاحوال الجوية فترتفع صيفًا وتزيد عن حرارة ماء الآبار فيظهر لنا ان ماء الآبار صار باردًا بالنسبة اليها وتنخفض شتاء فتنقص عن حرارة ماء الآبار فيظهر لنا ان ماء الآبار صار حارًّا

(١٠) تأثير الخصاء

لندن . سلامه افندي موسى . ما هو تأثير الخصاء في قوة العقل والجسم في الرجال والنساء

ج . تختلف نتيجتهُ في ما اذا كان قبل البلوغ او بعدهُ فخصاء الصبي يمنع فيهِ ظهور العلامات التي تميز الرجل عن المرأة مثل نموّ شعر اللحية والشاربين وخشونة الصوت وهو يؤَثر ايضًا في الصفات الادبية التي يمتاز بها الرجال او هي فيهم اقوى مما هي في النساء كالاقدام وعلوّ الهمة والشجاعة والكرم وما اشبه . ولا ريب انهُ يضعف القوى العقلية ايضًا لكن ذلك ليس مطَّردًا فقد نبغ من الخصيان اقوامٌ اشتهروا في التاريخ مثل كافور الاخشيدي صاحب مصر . وهو يزيد المادة الدهنية في الجسم ويكسب الجلد نعومةً لكنهُ يضعف القوة العضلية . واذا كان بعد البلوغ فانهُ يؤَثر في بعض هذه الصفات ولا يؤَثر في غيرها . اما تأثيرهُ في النساء فمثل تأثيرهِ في الرجال مع مراعاة الصفات التي يمتاز فيها النساء عن الرجال

(١١) الادبيات في غير مصر

ومنهُ . ما هي حالة الادبيات العربية في غير مصر

ج . راقية جدًّا في بيروت وقد نشطت ايضًا في دمشق وطرابلس ولبنان وحلب وبغداد .

(١٢) المسيحيون المتكلمون بالعربية

ومنهُ . كم عدد المسيحيين المتكلمين بالعربية في السلطنة العثمانية

ج . ليس لدينا احصاءٌ مدقق لهم ولكننا لا نظن ان عددهم يقل عن ثمانمئة الف نفس

(١٣) لغة مصر العامية

ومنهُ . هل تختلف لغة مصر العامية عن عامية مراكش او بلاد العرب كثيرًا

ج . ان الاختلاف ليس قليلاً ولكنهُ لا يمنع التفاهم اذا تأنَّى المتكلمون واصغى السامعون اما اذا تكلَّم اهل البلاد الواحدة بعضهم مع بعض فقلما يفهم كلامهم من كان من بلاد أُخرى .

(١٤) توحيد مفضل بن عمر

اورنبرغ (روسيا) . رضاء الدين ابن فخر الدين . في خزانة كتبي الخصوصية كتاب عتيق مكتوب بقلم ليس برديء ولا جيد بل بين بين غير معلوم تاريخ الكتابة كتب قبل البسملة هذه العبارة «كتاب توحيد مفضل بن عمر رحمة الله عليهِ» وديباجتهُ

بعد البسملة هكذا « روى محمد بن سنان قال حدثني المفضل بن عمر كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وانا متفكر في ما خص الله به سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم وآله من الشرف والفضائل وما منحهُ واعطاهُ وشرّفهُ وحباهُ مما لا يعرفهُ الجمهور من الامة وما جهلوهُ من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته فاني كذلك اذ اقبل ابن ابي العوجاء فجلس» الخ وعند تمام الكتاب مسطور هذه الجملة « قال المفضل فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف احد بمثله . تم بعون الله وتوفيقه والله اعلم »

فاني فتشت عن ترجمة المفضل بن عمر كي اعرف عصرهُ ومصرهُ وسائر احواله وقلبت اوراق كتب التراجم والطبقات التي عندي ولكن ما وقفت على اثره في شيء وما وجدت محمد بن سنان ولا ابن ابي العوجاء بل لم اقف على كتاب اسمهُ توحيد المفضل في اثناء الكتب التي لديَّ ولذلك جئت اليكم معتذراً لتفيدوني وتعرفوني هذا الكتاب وترجمة حال صاحبه ولو بالاختصار خدمة للعلم واهله

ج . لم نعثر على اسم المفضل بن عمر في كتبنا ولا في المكتبة الخديوية ولم نجد ذكراً لكتابه في التوحيد في فهرست المكتبة الخديوية ولكن عثرنا على اسم رجل من الرواة اسمهُ محمد بن سنان القزاز ذكرهُ الطبري مراراً واخذ عنهُ ولعلهُ محمد بن سنان المذكور في ديباجة هذا الكتاب وكان معاصراً للطبري . وقد ولد الطبري سنة ٢٢٤ هجرية وتوفي سنة ٣١٠

(١٥) الجنس السوري

نيواورليان . الخواجه شديد نعمة عطايا والخواجه ميشيل فضل الله كحيل . هل الجنس السوري مغولي او قوقاسي

ج . كل العلماء الباحثين في هذا الموضوع من لينيوس وبلومنباخ الى هكسلي وفيرخو وفلور وبروكا وتوبينار متفقون على المزايا التي تميز الجنس القوقاسي عن الجنس المغولي وهذه المزايا تجعل السوريين كلهم من الجنس القوقاسي حتماً بعضهم من الفرع الاشقر منهُ حسب تقسيم هكسلي وبعضهم من الفرع الاسمر . وليس ذلك فقط بل ان الجنس القوقاسي يسمى عند علماء الاثنولوجيا اي علماء الانسان بالجنس المديترّاني نسبة الى بحر الروم المعروف بالمديترانيان او المتوسط فالسوريون اخص فروع الجنس القوقاسي وقد كان وطن هذا الجنس اصلاً غربي اسيا وجنوبي اوربا وشمالي افريقية اي سورية وبر الاناضول والروملي وبلاد اليونان وايطاليا ومصر وتونس والجزائر او الاراضي المحيطة بالبحر المتوسط او بحر الروم . واقسام هذا الجنس اولاً الساميون في سورية والعراق وبلاد العرب وشمالي افريقية - ثانياً الآريون في الهند

وايران وبلاد الارمن وبر الاناضول واوربا وفروعهم الهنود والافغان والفرس والارمن واليونان والطليان والكلت والتيوتون والصقالبة . وثالثًا الحاميون في شمالي افريقية وشرقيها ومنهم سكان مصر الاصليون والبربر والبجاة . ورابعًا القوقاسيون بالذات وهم الشركس والكرج والابخاس وخامسًا الباسك سكان جبال البرينيز الغربية . وقد وردت علينا مسائل كثيرة من هذا القبيل . واذا كان احد من جهلة الاميركيين يعتقد ان السوريين من الجنس المغولي فما على السوريين الا ان يردوهُ الى علماء الاثنولوجيا Ethnology او يروهُ اي كتاب كان من كتب الاثنولوجيا فيجد فيه ان السوريين من صميم الجنس القوقاسي

(١٦) السوريون والعرب

ومنهُ . هل السوري والعربي من سلالة واحدة

ج . ان اكثر السوريين من الفرع السامي من الجنس القوقاسي كالعرب وبعضهم من الفرع الآري اي من اصل يوناني ولاتيني

(١٧) منّ النبات

اسيوط . وليم افندي مشرقي . ما هو المنّ الذي يصيب المزروعات والاشجار ويسبّب سقوط ازهارها مثلما حصل هذه السنة ببعض بلاد الوجه القبلي وسقط اكثر ازهار اليوسف افندي وكيف يوجد في الطبيعة وهل من واسطة لمنعهِ عن الكرنب

ج . المن اسم عام لحشرات دقيقة خضراء او سوداء تمتص عصارة النبات وهو يوجد بالتوالد بعضهُ من بعض والغالب ان النمل الصغير ينقلهُ من شجرة الى أخرى لانهُ يغتذي بالعصارة العسلية التي يفرزها وتوجد حشرة كبيرة نوعًا تأكلهُ وهي اكبر عدوٍ لهُ فاذا وجدت على شجرة فالغالب انها تنقيها من المن واذا ذرّ الرماد على الكرنب فالغالب انهُ يميت ما عليهِ من المن

(١٨) الحامض الفصفوريك

ومنهُ . كيف أكتشف وجود الحامض الفصفوريك في الارض الزراعية

ج . خذ عشر غرامات من التراب بعد تجفيفه وتنعيمهِ جيداً وغطهِ بالحامض النيتريك المركز في اناء زجاجي واحمهِ في حمام رملي الى ان ينقطع تولد بخار الحامض النيتروس دلالة على انحلال كل المواد الآلية وبخّر المزيج في صحفة من الخزف الصيني واحرقهُ حتى ينقطع صعود الابخرة الحامضة وسخّن الباقي مراراً مع قليل من الحامض النيتريك المخفف واكسر القطع المتولدة بقضيب من الزجاج ورشحها وعدّل اكثر الحامض النيتريك الذي فيها واحمها الى درجة ٧٠ سنتغراد واضف اليها كثيراً من مذوب المولبدات الامونيك ثم مذوب المغنيسيا وهو يصنع من مذوب الكلوريد المغنيسيك والكلوريد الامونيك وحرك المزيج بقضيب

من الزجاج من غير ان تمس بهِ جوانب الاناء وغطِّ الاناء واتركهُ عشر ساعات فيرسب الفصفات الامونيك المغنيسيك

(١٩) مؤلفات لوز

ومنهُ . هل للسر جون لوز مؤلفات في الطب البيطري او في الكيمياء الزراعية او علم الزراعة او علم النبات

ج . لهُ تقارير كثيرة عن التجارب الزراعية التي اشار اليها المقتطف مراراً كثيرة ولا نعلم ان لهُ كتباً اخرى

(٣٠) دواء للصلع

غراياهو (البرازيل) . الخواجه الياس الخوري . قرأت اعلاناً في بعض الجرائد جاء فيهِ ان رجلاً فرنسوياً اكتشف دواء يمنع سقوط الشعر ويشفي من الصلع فهل ذلك صحيح

ج . لا نظن ان احداً اكتشف دواء للصلع ولو صح ما جاء في الاعلان الذي تشيرون اليهِ لطبقت شهرتهُ الخافقين

(٣١) القمر والمطر

. ابو حمد . . . افندي لبيب . ما هو التعليل الطبيعي في تأخر المطر حينما يكون القمر في التربيع الثالث او بدراً كاملاً

ج . ان المطر لا يتأخر حينما يكون القمر في التربيع الثالث ولا حينما يكون بدراً ولا نعلم علاقة للقمر بالمطر على الاطلاق

(٣٢) كتب الادلاء الانكليزية

اسنا . الياس افندي جرجس . ما هي افيد كتب الادلاء باللغة الانكليزية للمسافر الى بلاد الانكليز وفرنسا والولايات المتحدة واين تباع في مصر

ج . كتب بدكر Baedeker وهي تباع قرب لوكندة شبرد وكل باعة الكتب الاوربية يبيعونها

(٣٣) مدارس انكلترا

ومنهُ . ما هي افيد مدرسة لشخص حائز على معلومات الشهادة الابتدائية حتى يكمل دروسهُ في البلاد الانكليزية وكم هي المصاريف المتوسطة التي تكفيهِ في السنة وهل يقبل في مدرسة عالية او تجهيزية بدون شهادة من نظارة المعارف

ج . المدارس الانكليزية كثيرة واشهرها عند ابناء هذا القطر اكسفرد وكمبردج والمصاريف السنوية نحو ثلثمائة جنيه ويمكن قبول الطالب بدون شهادة اذا جاز الامتحان هناك

(٣٤) شركة جريشام

سانتوس . الخواجه زخور الخوري . لقد عثرنا في مقتطفكم الاغر على فقرة عن شركة جريشام للتأمين على الحياة ذكرتم فيها رأسمالها الاحتياطي ومدخولها السنوي والمدفوع للمؤمنين ويظهر من تلك الارقام ان المدفوع للمؤمنين معدلهُ اكثر من المدخول السنوي فاخذتنا الدهشة وهي شركة يشار اليها بالبنان فكيف ترضى بعمل فيهِ خسارة مستديمة

ج . لا نتذكر اننا كتبنا شيئاً مما ذكرتموهُ ولكن يطبع على غلاف المقتطف اعلان من هذه الشركة يذكر فيهِ ان رأس مالها الاحتياطي ٩٨٠٠٠٠٠ جنيه ومدخولها السنوي ١٤٠٠٠٠٠ جنيه والمدفوع للمؤمنين ٢٣٠٠٠٠٠٠ جنيه فاذا كان هذا هو مرادكم فايضاحهُ ان المدفوع للمؤمنين هو كل ما دفعتهُ الشركة للمؤمنين من اول انشائها الى الآن . اي ان رأس مال الشركة الاحتياطي وقت نشر الاعلان كان تسعة ملايين وثمانمئة الف جنيه ومدخولها السنوي من المؤمنين ومن تشغيل اموالها مليون واربع مئة الف جنيه وجملة الاموال التي دفعتها الى المؤمنين من اول انشائها سنة ١٨٤٨ الى الآن ٢٣ مليون جنيه وقد سألنا ادارة هذه الشركة في مصر عن دخلها السنوي وما تدفعهُ الآن سنوياً للمؤمنين فاجابتنا ان دخلها في سنة ١٩٠٨ بلغ ١٤٠٦٧٦٢ جنيهاً ودفعت من ذلك لورثة الذين ماتوا من المؤمنين ٤٩٧٤٩٧ جنيهاً ودفعت للذين انتهت مدة تأمينهم ولم يموتوا ٣٢٦٧٨٧ جنيهاً فجملة ما دفعتهُ عن التأمين ٨٢٤٢٨٥ جنيهاً واذا اضيف هذا المبلغ الى نفقات الادارة ونحوها تلك السنة بلغ الباقي من دخلها فيها نحو ٣١٤١٩٨ جنيهاً اي زاد مالها الاحتياطي بهذا المقدار ولا اشكال في ذلك

(٣٥) سبب الزلازل

جاميكا . الخواجه نجيب يوسف . حدث هنا منذ مضي سنتين ونصف سنة زلزلة مهولة ولم تزل تتبعها هزات متواترة فما هو سبب تلك الزلزلة والهزات المتواترة

ج . ان سبب الزلازل هبوط جزء من قشرة الارض فاذا كان في قلب جبل غار كبير او ارض رخفة وكان سقف ذلك الغار او تلك الارض صخراً كبيراً فانهُ يكون حاملاً ثقل ما فوقهُ من الجبل فاذا زاد ضغط الهواء على الجبل لسبب من الاسباب الجوية فلا يبعد ان ينقدّ ذلك السقف ويهبط فيهز الارض ويزلزلها وقد تزول الموازنة من الاماكن المجاورة فتصير سقوف الكهوف الصغيرة تهبط الواحد بعد الآخر فيكون من ذلك هزات صغيرة . هذه اهم اسباب الزلازل الكبيرة والهزات الصغيرة

(٣٦) تعقيم الماء

ومنهُ . هل تصفية ماء الشرب بقطعة من القماش كافية لمنع بعض الميكروبات وما اسهل طريقة لتعقيم الماء

ج . غير كافية واسهل طريقة اغلاؤُهُ جيداً ثم يبرَّد في آنية نظيفة ويشرب والترشيح بمرشح باستور كافٍ لتنقيتهِ غالباً

(٣٧) غور ماء نهر

ومنهُ . يوجد هنا نهر فتح بغتةً هوَّة في قعرهِ وغار الماء فيها فكيف تعللون ذلك

ج · اذا كان الامر كما ذكرتم فالظاهر ان سقف الكهف الذي خسف واحدث الزلزلة او احدى الهزات التي تلتها كان تحت النهر فانفتحت الهوة فيهِ · ومن المحتمل ان الماء يجري من هناك الى البحر او الى مكان شديد الحرارة في جوف الارض فيستحيل بخاراً ويخرج من بعض الثقوب

(٢٨) مناقب الصخور

اسكلة طرابلس · شكري افندي فاخوري · اين توجد آلات لثقب الصخور الصلبة

ج · توجد في معامل الآلات الحديدية في بلاد الانكليز وغيرها فاطلبوها باسم Darlington Rock-boring Machine او باسم Diamond-drills ·

(٢٩) نسف الصخور

ومنهُ · كيف تنسف الصخور النارية والكلسية

ج · تنسف بالبارود او بالديناميت كما تنسف في بلاد الشام ولكن اذا كان المقدار كبيراً فالغالب ان الذخير يشعل بسلك كهربائي عن بعد

باب الاخبار العلمية

مجلس المبعوثان والنطق السلطاني

افتتح مجلس المبعوثان في ٢١ نوفمبر في سراي جراغان افتتحهُ الحضرة السلطانية وتلي فيهِ النطق السلطاني وهذه ترجمتهُ

ايها الاعيان والمبعوثان المحترمون

نرحب باعضاء المجلس العمومي شاكرين الله تعالى شكراً لا حدَّ لهُ لانهُ اراد ان يبتدئ ملكنا بدور الدستور المسعود وان نفتتح في اول سنة من جلوسنا الاجتماع الثاني لمجلس النواب الذي هو مثال الحكم الدستوري المشروطية والمشورة اللذان يأمر بهما الشرع الشريف والعقل والنقل هما السبيل الوحيد الى النجاة والسلامة · ففي مثابرتنا على السير في هذا السبيل نستطيع الوصول الى القوة والاتحاد اللذين هما من اشد اللوازم لحياتنا السياسية والاجتماعية · فالمحافظة على القانون الاساسي وتأييد قواعدهِ وتطبيقها هي من اخص رغائبنا وسنشتغل بعون الله وعنايتهِ وروحانية النبي وامدادهِ بكل قوتنا نحن ورعايانا لبلوغ هذه الغاية

لقد سررنا كثيراً في اثناء سياحتنا في بروصه وازميد واقتربنا من افراد رعيتنا وشاهدنا افكار الاخاء تزداد وتتقوى بين

ابناء الوطن. واني اعد تعميم الخدمة العسكرية التي هي من نتائج القانون الاساسي الطبيعية الذي يقضي بمساواة افراد الامة في الحقوق والواجبات من اهم الحوادث التي قضى بها انقلابنا السياسي. فهذا التعميم موءَدٍ الى تكامل شأن الملة واعلائهِ وستعلّم الجندية اولاد الوطن مبادئ الاخاء الصحيحة العثمانية تعليماً وثيق العرى متيناً. وان المناورات التي اجرتها جنودنا وبحارتنا ودلائل الانتظام والترقي التي اظهرتها فيها جديرة بالتقدير لاسيما وانها حدثت لاول مرة. وعلينا ان نعزز قواتنا البرية والبحرية التي يعتمد عليها واجب الدفاع عن الوطن وتأييد السلم العام. اما احوالنا الداخلية فهي محمودة لا توجب الخوف. فقد اسرعت الحكومة الى اتخاذ التدابير اللازمة على اثر الحوادث التي وقعت في قضاء الزيدية التابع للواء الحديدة من ولاية اليمن وفي متصرفية العسير فالقبائل التي خرجت عن الطريق القويم عادت اليوم الى الطاعة. وقد ظهر بعض حوادث في برازان ولومه التابعتين لولاية الموصل وقوصوه الا انها ليست بذات اهمية فمتى اتسعت المعارف وتعممت نعم الدستور تنقطع هذه الحوادث وامثالها بلا شك

ويجب علينا ان نبدأ حالاً باستثمار خزائن بلادنا الواسعة لزيادة الرفاه العام ويجب بذل الوسع ايضاً في نشر المعارف التي لم تبلغ الى الآن الدرجة المطلوبة. وترقية صناعاتنا واشغالنا العمومية لتبلغ الدرجة التي تتطلبها حالتنا

واشد رغائبي هو ان ارى التوازن في المالية لان التوازن هو اساس الاصلاح فقد اعتني عناية عظيمة بترتيب الميزانية العمومية التي قدمت اليكم غير انهُ بالرغم عن ذلك لم يتم التوازن المقصود الاَّ ان الامل معقود باتمام ذلك متى صودق على زيادة رسوم الجمارك واعطي بعض الامتيازات بحصر بعض الاصناف وحسنت طريقة توزيع الضرائب وجبايتها فتزداد بذلك الثقة المالية بنا اكثر مما ازدادت منذ حين حينما عقد القرض الاخير

اشتغل مجلسكم في دورهِ الاول باقامة القانون الاساسي على اساس دستوري وعلى اسس النظام العام. وسيشتغل هذا العام بمشروعات النظامات التي ستعرضها عليهِ هيئة الحكومة وهي تتعلق بشؤون البلاد الاجتماعية والاقتصادية وبتأييد النظام والامن العام بقوة القانون. ومن هذه النظامات نظام التجارة البرية والبحرية. ونظام الاموال غير المنقولة ونظام قضاة الصلح المتنقلين ونظام ادارة الولايات العمومية. ولائحة تتعلق بقانون الجزاء

ان علاقاتنا مع الدول ودية ونرى بمزيد المنة ان غاية الدول ترمي الى حفظ السلم

العام وهذا الامر يجد منا تأييداً كبيراً · ونحن مع رغبتنا الشديدة في المحافظة على هذه المبادىء محافظة شديدة ترغب حكومتنا في ان تكون عاملاً قوياً في حفظ السلم العام واود ان اذكر خصوصاً المساعي الخصوصية التي قامت بها هيئتا مجلسي الاعيان والمبعوثان في دورها الاول سائلاً الله ان يوفق اشغالكم في المستقبل ونحن نفتتح الآن الدور الثاني لمجلس النواب »

الجامعة المصرية

فتحت الجامعة المصرية ابوابها لقبول الطلبة في ٢٧ نوفمبر الحالي وقررت القاء الدروس الآتية

١ محاضرات باللغة العربية في آداب اللغة العربية والاستاذ حفني بك ناصف

٢ محاضرات باللغة العربية في الرياضيات العالية والاستاذ صابر صبري باشا

٣ محاضرات باللغة العربية في الطبيعة والاستاذ اسمعيل حسنين بك

٤ محاضرات في آداب اللغة الانكليزية والاستاذ المستر ملر

٥ محاضرات في آداب اللغة الفرنسوية والاستاذ المسيو بوڤيليه

٦ محاضرات باللغة الفرنسوية في الاقتصاد السياسي والاستاذ المسيو جرمان مارتان

٧ محاضرات باللغة الفرنسوية في علوم العرب والاستاذ السنيور ناللينو

٨ محاضرات متنوعة باللغة الفرنسوية تلقيها المادموازل كوفريو في مواضيع مختلفة تختص بالسيدات ويكون الحضور خاصاً بهنّ فقط

واوقات التدريس من الساعة الرابعة ونصف الى الساعة السابعة

ثوران بركان تنريف

ثار بركان تنريف فانفتحت فيهِ اربع فوهات جرت منها الحمم مسافة ثلاثة اميال ونصف في عرض ١٣٠٠ قدم فملأَت وهدةً عمقها ثمانون قدماً واجتازتها وقد اخذ الاهلون يفرّون من الجزيرة

وبركان تنريف جبل علوهُ ١٢٢٠٠ قدم في جزيرة تدعى بهذا الاسم عدد سكانها ١١٢٠٠٠ نفس وهي احدى جزر كناري· واكثر جبال كناري براكين خامدة وجبل تنريف هذا اعظمها ارتفاعاً وقد ثار آخر مرة سنة ١٧٩٨ ولم تزل الغازات تخرج من شقوق فيهِ منذ ذلك الحين

تقدم الطيران

لم تزل اخبار الطيران ترد علينا تباعاً وقد جاء في الاخبار التلغرافية ان فارمن طار مسافة ١٤٤ ميلاً وهي اطول مسافة امكن

قطعها بالطيران الى الآن

وقد اقلع من مرسيليا جماعة من اصحاب الطيارات ووجهتهم القطر المصري وهم غير الذين اتفقت معهم شركة واحات عين شمس

الثوم عند قدماء المصريين

المسيو لوره ثقة يعوَّل عليهِ في درس النباتات المصرية القديمة وقد نشر حديثاً خلاصة بحثهِ عن الثوم عند قدماء المصريين فقال انهُ كان كثيراً في مصر في زمن الفراعنة وورد ذكرهُ في بعض الكتابات القديمة ووُجد النبات نفسهُ في احد القبور في طيبة وهو اقرب الى الثوم الذي يزرع في الواحات منهُ الى الثوم الذي يزرع في مصر في يومنا . وقد جاء في احدى كتابات البردي ان رعمسيس الثالث ارسل هدايا كثيرة الى كهنة طيبة وبينها نبات يدعى «خِذجانا» توصل المسيو لوره الى معرفتهِ بمقابلة هذه اللفظة بما جاء في سفر العدد في الترجمة القبطية القديمة وتحقق لديهِ انهُ الثوم والآية في سفر العدد هي هذه «قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكلهُ في مصر مجاناً والقثاء والبطيخ والكراث والثوم» (عدد ١١ : ٥) فلفظة الثوم يقابلها شوم بالعبرانية وشومو بالاشورية فهي متشابهة في اللغات السامية لكنها خدجانا بالمصرية القديمة

ومما يذكر استطراداً ان «البطيخ» يسمى «أَبَطِّيخيم» بالعبرانية بصيغة الجمع «وبدوغا» او «بَطيخه» بالقبطية والمصرية القديمة «والبصل» يسمى «بَصَل» بالعبرانية و«بزل» او «بَجَر» بالقبطية والمصرية القديمة

السود في افريقية الشرقية

نشر المستر ونستن تشرتشل مقالة في احدى المجلات بحث فيها في مسألة البيض والسود في افريقية الشرقية وهو يرى ان لا خوف من مزاحمة الاوربيين لاهلها بل الخوف من مزاحمة الاسيويين . لم فالاوربيون لا يطيقون الاقامة فيها زمناً طويلاً ولا دليل على انهم يقدرون ان يستوطنوها في المستقبل

اما الهنود فهواء البلاد يوافقهم ولهم فيها حقوق فلولاهم لم تصل الى ما هي عليهِ الآن وليس من حسن السياسة طردهم منها . وهو يرى انهُ لا بأس باتفاق العناصر جميعها على تقدم تلك البلاد ونفعها

مذنب هلي

نشرت المجلة الفلكية تقويماً لمذنب هلي عن شهري ابريل ومايو جاء فيهِ ان مرور المذنب في نقطة الراس يكون في اليوم ١٩،٦٥ من شهر ابريل فيكون في اقرب نقطة من الارض في ٢٠ مايو وتكون المسافة بينهُ وبينها

١٤ مليون ميل · ويصير امام الشمس في ١٨ مايو كما ذكرنا في المقالة التي صدرنا بها هذا الجزء من المقتطف

الداء الاسود

انفذت الحكومة السودانية اثنين من ضباط القسم الطبي لدرس الداء الاسود (كلازار) في جهات النيل الازرق

مؤتمر لدرس الراديولوجيا

سينعقد في معرض بروسل القادم مؤتمر مشترك لدرس الراديولوجيا (علم الاشعاع) والكهربائية وذلك في شهر مارس سنة ١٩١٠

الكابتن بيري

ثبت للجنة التي عُينت لفحص اوراق الكابتن بيري انهُ بلغ القطب الشمالي وقد قدَّمت تقريرها الى الجمعية الاهلية الجغرافية في وشنطون فقبلتهُ باجماع الآراء ومنحت الكابتن بيري مداليتها الذهبية وقرَّرت تعيين لجنةٍ اخرى للبحث في ما اذا كان احدٌ قد بلغ القطب قبلهُ

القمح وتحسين زراعتهِ

جرى البحث في مجمع تقدم العلوم البريطاني عن القمح وتحسين زراعتهِ فقرأ بعضهم رسالةً جاء فيها ان المواد النيتروجينية ضرورية جدًّا لنمو القمح وزيادة محصولهِ اما المواد الفصفورية وان تكن اقل من المواد النيتروجينية اهمية فانها تسرع في نموهِ ويحسن استعمالها في البلاد الباردة جدًّا حتى ينتهي الموسم قبل حلول البرد الشديد · وقرأ آخر خطبة جاء فيها انهُ ليس من المؤكد ان مقدار النيتروجين والفصفور والبوتاسا في التربة يزيد مقدار هذه المواد في القمح لكن الرطوبة لها تأثير شديد في تركيب الحبة ومقدار النيتروجين فيها فقد زرع قمحًا فيهِ ١٢٫٥ بالمائة من النيتروجين في ارض جديدة رطبة فكان في المحصول ٩٫٩ بالمائة من النيتروجين وزرعهُ في ارض قديمة على مقربة من الاولى لكنها اكثر منها نشوفة فوجد مقدار النيتروجين في المحصول ١٢٫٤ بالمائة اي ان الرطوبة تقلل كمية النيتروجين في القمح

ثم بحث بعض الاعضاء عن جودة القمح في نظر الطحّان والخباز فقال احدهم ان دقيق القمح الجيد يجب ان يكون عجينهُ مرنًا متماسكًا حتى يسهل عمل الارغفة منهُ على اشكالٍ مختلفة وفي اي حجم كان وان كمية الماء اللازمة لعجنهِ من الامور التي ينظر اليها الخبازون بعين الاهمية · ثم ان الارغفة بعد خبزها يجب ان يكون شكلها حسنًا وهواؤُها كثيرًا (اي تكون اسفنجية القوام) ويتم ذلك بمعرفة العلاقة بين هذه الخصائص والتركيب الكيماوي في انواع القمح. ثم قام غيرهُ وقرأ رسالة عدَّد فيها ما عرف الى الآن

من هذه العلائق وقال انهُ يجب علينا ان ننظر الى تركيب القمح الكيماوي من وجوهٍ عديدة ككثرة المواد النيتروجينية فيهِ وكبر الحبيبات النشائية وغير ذلك . وذكر غيرهُ انهُ مزج نوعين من القمح احدهما من الاسمر الصلب والآخر من الابيض اللين فكانت النتيجة من مزجهما احسن مما لو خبز كلٌّ منهما على حدة

ثم بحث آخر في الموضوع من وجه آخر وهو تأصيل القمح وقال ان القمح يجب ان يربَّى منهُ النوع الذي يوافق التربة التي يزرع فيها ولاسيما في الاصقاع الباردة التي لا يصلح لها الاَّ القمح السريع النمو . وقال غيرهُ ان انتخاب القمح الجيد الاصل لهُ اهمية كبيرة في مقدار المحصول وجودتهِ

التحريش

ومن المسائل التي جرى فيها البحث في مجمع ترقية العلوم البريطاني امر الحراج وزيادة الاعتناء بها فقال احدهم ان ثمن الخشب في ارتفاعٍ سنة بعد أُخرى وسبب ذلك ضيق الحراج فالواجب على كلّ بلادٍ ان تعتني بحراجها اشدَّ الاعتناء وتغرس الاشجار في الاماكن التي لا تصلح لغير ذلك

لحم المعادن

لا يخفى ان لحم الحديد قديم جدًّا ولعلهُ يرجع الى الزمن الذي اكتشف فيهِ هذا المعدن وهو سهل لان من خواصّ الحديد انهُ يلتحم بسهولة متى احمي وطرّق . وكانت الطريقة المتبعة في لحم بعض المعادن ان يكون اللحام معدنًا آخر من خواصهِ انهُ يصهر على درجة اقل من الدرجة التي يصهر عندها المعدن المراد لحمهُ . اما الآن فانهم يلحمون اكثر المعادن كما يلحم الحديد واذا احتيج الى درجة مرتفعة من الحرارة استعملت الكهربائية وقد نجحوا حديثًا في لحم الالومينيوم ويقال انهُ يكون في المحل الذي لحم فيهِ اقوى مما هو في غيرهِ اي انهُ اذا قصم قضيبٌ ملحوم منهُ ينقصم في مكان غير المكان الملحوم

ماذا يرى في المريخ

اجلى رصد المريخ عن اكتشاف ترع جديدة فيهِ وظهور بعض الترع القديمة مزدوجًا او مركبًا من ترع كثيرة ويظهر من رسمين رسما لهُ في الربيع والصيف ان الخطوط التي عليهِ اوضح واكثر عددًا في الصيف منها في الربيع . وقد قدَّر بعضهم ان عمق ترع المريخ ٥٠٠ قدم اذا كانت على اضيق ما يمكن او ٣٧٠ قدمًا اذا كانت سعتها ٤٥٠٠ قدم واذا كانت على هذا الحد من العمق والسعة فهي ترع للنقل ولو استعملت احيانًا للري على ما قالهُ الدكتور بكلفتن في الجمعية الملكية ببلاد

الانكليز . وكتب المستر هنت الى جريدة ناتشر مرتئياً ان هذه الترع لخزن القوة فترفع المياه الى اعالي الترع بطلمبات هوائية وقت عصف الرياح ثم تجري المياه منها وقت السكون فتولد كهربائية للنور والحرارة ولادارة الآلات. ولا سبيل لسكان المريخ الى توليد الحرارة والقوة بغير ذلك بعد ان فرغ المريخ من الوقود فتكون هذه الترع للنقل والقوة والري

خريطة كبيرة للارض

اجتمع اربعة وعشرون من نواب بريطانيا وفرنسا والمانيا والنمسا وروسيا واسبانيا والولايات المتحدة وكندا واستراليا في دار وزارة الخارجية ببلاد الانكليز للبحث في رسم خريطة كبيرة للارض كلها تكون بمقاس ١/١٠٠٠٠٠٠ اي بنسبة بوصة لكل ستة عشر ميلاً ليعتمد عليها في كل البلدان فقرّ رأيهم على ان تختار دولهم من تعتمد لاخراج ذلك من القول الى الفعل

قطر برنان

ذكرنا منذ سنتين ان المستر برنان استنبط طريقة لجعل قطرات سكة الحديد تسير على قضيب واحد من الحديد بدل السير على قضيبين وسميناها قطرات الدوّامة لانها تثبت على الخط الواحد ولا تنقلب عنهُ بواسطة دوامات فيها تدور بسرعة فائقة . وقد تمكن الآن من عمل مركبة كبيرة ثقلها ٢٢ طنًا وتحمل ما ثقلهُ ١٥ طنًا ووضع فيها دوامتين سرعة كلّ منهما ثلاثة الاف دورة في الدقيقة من الزمان وجربها في العاشر من نوفمبر فركب فيها اربعون نفسًا فسارت بهم سبعة اميال في الساعة . وهو يتوقع ان يحسن هذه المركبات كثيراً حتى تصير سرعتها ١٥٠ ميلاً

السر ارنست شكلتن

انعم جلالة ملك الانكليز على السر ارنست شكلتن بلقب سر وقد قوبل باحتفال عظيم في جمعية باريس الجغرافية في ١٥ نوفمبر الحالي فخطب فيها مفصلاً رحلتهُ الى القطب الجنوبي ولما اتم الخطبة نهض البرنس رولند بونابرت رئيس الجمعية وقال انهُ منذ انشئت جمعيتنا هذه سنة ١٨٢٧ وهي تهتم باعلاء شأن كل من فاق اقرانهُ من اهل السياحة بمنحها اياهُ وسامها الاكبر الذهبي فمنحتهُ للسر جون فرنكلن والسر جيمس كلارك وروس ودومون دورڤيل ونانسن من رواد القطبين ويسرها الآن ان تضيف الى اسماء هؤلاء العظام اسمًا آخر باهدائها اليهِ وسامها الذهبي وهو اعظم ما يمكنها منحهُ

وقد حظي السر ارنست شكلتن بمقابلة ملك اسوج ايضًا فانعم عليهِ بوسام النجم القطبي

فهرس الجزء السادس من المجلد الخامس والثلاثين

